

مجلد علي بن أبي طالب

(دمشق) : كانون الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق شعبان سنة ١٣٤٨ هـ ١٠٩

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

— جزؤه الثامن —

« كلمة المجمع »

كتاب نشوار المحاضرة او جامع التواريخ تصنيف القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي المتوفي سنة ٣٨٤ هـ من أمثل ما ألفه الاخباريون في التاريخ والتراجم والاجتماع الاسلامي . وربما كان هذا المصنف نسيجاً وحده في موضوعه . فهو لم يسرد وقائع التاريخ واخبار رجاله كما سرده غيره وإنما هو املى من خاطره اخبار الذين عرفهم في حياته من طبقة الوزراء والقضاة وكبار الكتاب والعمال الذين هم صفوة رجال الدولة العباسية في القرن الرابع للهجرة .

ونكتفي بهذا القدر من التعريف بالكتاب — لما ان مجملنا ومجلته واعضاءه قد وفوه حقه من التقريظ والتعريف . عند ظهور جزئه الاول الذي نشره المستشرق المشهور العلامة الاستاذ مرجليوث أحد أعضاء

مجمعنا . وكان ظفر بهذا الجزء في خزانة الكتب الوطنية يباريز منقولاً عن نسخة كتبت سنة ٧٣٠ هـ فاعتني بتصحيحه وطبعه بمطبعة هندية . بقصر سنة ١٩٢١ م . في ثلاثمائة وصفتين وقد اهدى نسخة منه الى مجمعنا . فكتب عليها الاستاذ رئيس المجمع تقريراً نشر في مجلد السنة الثانية من مجلة المجمع الصفحة ١٨٩ ، واستخرج منه الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع محاضرة بعنوان (صفحة من تاريخنا الاجتماعي) القاها في ردهة المجمع في ١٥ كانون الاول سنة ١٩٢٢ م وقد نشرت في مجموعة محاضرات المجمع (جزء ١ ص ٣١٣) وكتب العلامة الاستاذ احمد تيمور باشا احد اعضاء المجمع عدة مقالات بعنوان (تفسير الالفاظ العباسية في نشوار المحاضرة) استخرجها من الجزء الاول المذكور ونشرت في مجلدي السنتين الثانية والثالثة من مجلة المجمع . كما بحث الاستاذ المغربي في تلك الالفاظ العباسية الواردة في الجزء الاول المذكور من جهة ثانية غير الجهة التي بحث فيها الاستاذ تيمور باشا ووضع ثلاث مقالات بعنوان (طاقة ازهار من كتاب النشوار) نشرت في مجلد السنة الرابعة من مجلة المجمع . ومن تتبع ما ذكرناه من تعاليق رئيس المجمع واعدائه على الجزء المذكور من (نشوار المحاضرة) ادرك قيمة هذا الكتاب وعرف شرف موضعه من مصنفات التاريخ والادب في الاسلام . وأسف ان لا يثر على غير هذا الجزء من (النشوار) والجزء الثاني الذي في مكتبة الاستاذ احمد تيمور باشا ، وتمنى لو برز الى حيز الطباعة والنشر شي من اجزائه الاخرى التي تبلغ احد عشر مجلداً . ومضت بضع سنين ونحن وغيرنا نتحدث عن كتاب النشوار ونتساءل

عن بقية اجزائه وهل عثر على شيء منها ، واذا المستشرق الكبير نفسه « الاستاذ
مرجليوث » يرسل اليها الجزء الثامن من النشوار ويقول انه ظفريه مخروم الاول
في المتحف البريطاني بارشاد صديقه لاساذ كرنكو . وانه حقق بعض الفاظه
وصحح بعضاً وترك تصحيح الباقي الى اعضاء المجمع . فهو يرغب اليهم ان ينشروه
تباعاً في مجلتهم ثم يقرده على حدة في كتاب . فلبوا طلب الاستاذ . مرجليوث
وقرروا في جلستهم المنعقدة في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ امر تصحيحه
وطبعه في المجلة ثم نشره في كتاب على حدة كما اقترح الاستاذ وألّفوا لجنة منهم
اخذت على عاتقها بذل الجهد في تصحيحه وتحقيق كلماته وتفسيرها وتعليق
على ما أتهم منها . ثم شرعت اللجنة في العمل فحققت معظم ما كان يقع تحت نظرها
من الكلمات وشرحت كثيراً من مواضع الابهام والغموض . لكنها كانت
احياناً تصطدم بحمل وتعاير تقف عندها موقف الشبهة والريب ولا تهتدي
الى حلها فتتركها على حالها وتكتفي بالتنبيه عليها . ولم يرسل الاستاذ مرجليوث
اليها بالنسخة الاصلية التي ظفريها وانما ارسل نسخة عنها بخطه وعلق عليها
تعاليق اثبتناها له في الذيل غير معزوة اليه . اما تعاليق لجنة المجمع فقد صدرناها
بحرفي « م . ع » تمييزاً لها عن تلك .

وفي الكتاب هذات كان يجب حذفها لولا ان الناس يحبون ان يروا
الكتاب على ما ألفه صاحبه عليه فرأينا اثباتها رعاية لامانة النقل . لكننا
جملنا فيها حرف اللام بدلا من الكاف واعتمدنا في فهمها على نباهة القارى
ولم نضع البسملة في فاتحة الكتاب حتى لا يتوهم متوهم ان ما بعدها هو اول
الكتاب وقد اسلفنا ان هذه النسخة مخرومة

مقدمة المصحح

« الاستاد مرجليوث »

اخبر ياقوت الرومي في ترجمة القاضي ابي علي الحسن التنوخي (١) ان له كتاب نشوار المحاضرة اشترط فيه انه لا يضمه شيئاً نقله من كتاب . أحد عشر مجلداً كل مجلد له فاتحة بخطه — قال غرس النعمة صنف ابو علي الحسن كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة اولها سنة (٣٦٠) هـ . واول مجلده نشرناه في سنة ١٩٢١ عن نسخة في مكتبة باريس العمومية وبذل البعانة الشهير احمد باشا تيمور جهده في تفسير ما ورد فيه من الغريب فنشر ثمرات افكاره في المجلدين الثاني والثالث من مجلة مجمعنا العلمي العربي في دمشق . وقد اخبرنا ان عنده نسخة من الجزء الثاني . ومنذ سنتين نبهني صديقي المستشرق كركوع على وجود خط (٢) في المتحف البريطاني رقمه (٩٥٨٦ شرقي) تتعلق مضامينه بتجارب الامم لمسكويه (٣) وهو غير معنون ولا مؤرخ لذهاب صدره وانما يذكر عند الانتهاء انه الجزء الثامن فطالعت الخط فوجدت المصنف يقول في مقدمته :

« ارجو ان يكون ما كتبه خيراً من موضعه لو بيضته كما اسلفت في الاجزاء السالفة من العذر وخبرته »

وتشبه هذه الجملة ما ورد في مقدمة الجزء الاول من النشوار (٤) « فلو

« ١ » ارشاد الاريب ٦ : ٢٥١ « ٢ » ع . م . ع . اي مخطوط « ٣ » م . ع . المعروف ان

تجارب الامم لابن مسكويه ، « ٤ » ص ١١

لم يكن فيه الا انه خير من موضعه بياضاً لكانت فائدة ان شاء الله ،
ثم وجدت في معجم البلدان لياقوت (١) حكاية طويلة في اشتقاق
اسم نهروان منسوبة لابني علي التنوخي في « نشوانه » وهي في خطنا لفظاً
بلفظ . وفي ارشاد الارب لياقوت (٢) حكاية منقولة عن كتاب ابني علي
التنوخي وهي ايضاً في الخط (٣) ثم دلني صديقي كرنكو على موضع من
كتاب بدائع البدائ لابن ظافر (٤) يقول فيه : وذكر القاضي ابو علي
التنوخي في كتاب النشوان قال حدثني ابو طاهر الخ والحكاية في خطنا (٥)
ثم وجدت في الكتاب دلائل تدل على ان المؤلف هو المحسن التنوخي :
منها ذكر مولى ابيه الذي اسمه مبشر وهو مذكور في الجزء الاول ايضاً
والتاريخ ٣٦٣ وروايات وردت في كتاب الوزراء للال منسوبة لابني الحسين
علي بن هشام المعروف ابوه بابي قيراط صدرها مؤلف النشوار بالعبارة :
« حدثني » وجعل للال مكان ذلك « حدثنا » ولا يبقى شك في ان الجزء
الثامن المذكور هو الجزء الثامن من نشوار المحاضرة

وعدد اوراق الخط ١١١ تحتوي الصفحة منها على ١٥ سطراً . ولم
احذف شيئاً فان المؤلف لم يخل بالادب في هذا الجزء الا نادراً .

ولما علمني الاختبار ان المترجم يلفت نظره ما يذهب عن غيره
رأيت ان ابدأ بترجمة الكتاب الى اللغة الانكليزية ، قبل الاقدام على

« ١ » ٨٤٧ : ٤ « ٢ » ٤٤٤ : ٥ « ٣ » ص ١٠٦ من الاصل . « ٤ » بهامش معاهد

التنصيص « مصر ١٣١٦ » ٢ : ٢٢ « ٥ » ص ٧٠ من الاصل

نشر اصله، فصارت الترجمة تصدر في مجلة تظهر في حيدر اباد دكن
اسمها The Islamic Review وقد آن ان اقدم الاصل العربي الى اعضاء
المجمع العلمي راجياً منهم المساعدة اذا زلت القدم وداعياً لهم بدوام النعم.
د . س . مرجليوث

❦

❦ ❦

وهذا هو الجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضرة نبدأ بنشره من أوله
المخروم وننتبه كما هو فيما يلي :

.....

.....

أكثرها قولاً وتغيراً العوائد في أخلاق أكثر العالم ومعاملاتهم
ورسومهم فتلقطت هذا الفن وأثبتته وخلطت به ما حدث وتحدث (١) من
ما يسح شعر لمن ضمنا وإياه دهر ممن لم يخلق شعره بالاشتهار ولا بشمه الناس
بالاستكثار ومن رسالة غريبة أو فائدة أدبية أو حكم جديدة أو ما يغلب على
ظني من أشباه ذلك - وإن قدم - أنه لم يدون أو منام طريف أو حادث عجيب
أو رسم غريب أو مستنبط مفيد قريب ليعرف الفرق بين الأمرين والتباين
في الحالين ويهش لذلك من قد فرغ من الآداب والعلوم وسبر أكثر الأفهام
والعلوم وقوم (٢) إلى معرفة أسرار الأمور والعادة في الجمهور والتدبيرات
والاختيارات والملح في جميع الحالات التي لا يكشفها له الفكر إلا في الطويل
من العمر وإذا وقعت (٣) عليها من ها هنا قربت من يديه وخف تناوؤها
عليه ولم أجعل ذلك مرتباً على أبواب لعل وأسباب قد ذكرتها فيما قبل هذا
وأوردت فيه جمل هذا القول وشرحت في رسالة كل جزء ما يعني عن الإطالة
فيها ويوضح المغزا (٤) ويقوم بالعدر وأرجو أن لا أكون مذموماً بما
جمعته أن لم أحمد على ما صنعتته وأن يكون ما كتبت خيراً من موضعه لو بيضته
كما أسلفت في الأجزاء السالفة من العذر وخبرته أن شاء الله .

« ١ » م ع لعل صوابه ويحدث « ٢ » لعله قرم « ٣ » لعله وقف « ٤ » م ع « كذا

حدثني ابو الحسين علي بن هشام بن عبدالله الكاتب البغدادي المعروف
ابوه بابي قيراط كاتب ابن الفرات قال سمعت ان ابا القاسم كان اذا خلا
وتذكر امر الآخرة وما هو منقطع (١) عنها من امر السلطان يقول اللهم
لا تخرجني من الصدر الى القبر لا فرجة لي بينهما . قال ابو الحسين فاجيبت
دعوته وجلس في منزله قبل موته نحواً من سنة تأبياً من التصرف تاركاً لطلبه
فلما اعتل علة موته جاءته رسالة الراضي يستدعيه ليقرر معه امر الوزارة
وبوايه اياها فقال : آلاّن !! لئن كان قبل مدة لعله لو جاءني هذا الامر وانا
تائب لما رددته ولعلي كنت انقض التوبة فالحمد لله الذي لم يتم علي ذلك .
حدثني (٢) ابو الحسين قال اقرأني ابو عبدالله احمد بن محمد الحكيمي (٣)
كتاباً بخط علي بن عيسى واخبرني انه كتبه اليه في وزارته الاخيرة وهو
يتقلد له طساسيج (٤) طريق خراسان يحثه على حمل المال ويستحذنه قبل قد
كنت اكرمك الله عندي بعيداً من التقصير غنياً عن التنبه والتبصير راغباً
فيما خصك بالجمال وقدمك على نظرائك من العمال واتصلت بك ثقتي وانصرفت
نحوك عنايتي ورددت الجليل من العمل اليك واعتمدت في المهم عليك ثم
وضح لي من اثرك وضح عندي من خبرك ما اقتضى استزادتك وردفه
ما استدعى استبطائك ولا تمتك وانت تعرف صورة الحال وتطلعي مع شدة

« ١ » لعله سقط « ٢ » « ٣ » راجع كتاب الوزراء لاهلال ص ٣٣٩ . « ٣ » عند هلال

(الحكيمي) « ٤ » م . ع الطساسيج لاهل الاهواز كالحاليف لاهل اليمن والكور لاهل العراق
والطسوج ايضاً ربع الدائق

الضرورة الى ورود المال وكان يجب ان تبعثك العناية على الجد في الجباية حتى
تدر حملتك (١) وتتوفر ويتصل ما يتوقع ووروده من جهتك ولا يتأخر
فنشدتك الله لما تجنبت مذاهب الاغفال والاهمال وقرنت الجواب من
كتابي هذا بما لم تبتزه من سائر جهاته وتحصله وتبادر به وتحمله فان العين
اليه ممدودة والساعات لوروده معدودة والعذر في تأخره ضيق وانا عليك
من سوء العاقبة مشفق والسلام

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو عبد الله بن علي الباقراني (٢) قال
حدثنا ابو جعفر احمد بن اسرائيل قال : كان سبب رفعة عبيد الله بن يحيى
طالب المتوكل لحدث من اولاد الكتاب يوقع بحضرته في الابنية والمهمات
لانه كان قد اسقط الوزارة بعد صرف محمد بن الفضل الجرجاني (٣)
واقصر على اصحاب الدواوين وامرهم ان يعرضوا الاعمال بانفسهم وجعل
التاريخ في الكتب باسم وصيف التركي وانتصب منصب الوزارة وان
كان لم يسم بها . فاسمى له جماعة فاختر عبيد الله من بينهم فحضر اول يوم
فصلى في الدار ركعات وجلس وعليه قباء وسيف ومنطقة وشاشية على
رسم الكتاب قال ابو الحسين لانه لم يكن احد يصل الى الخليفة الا
بقباء وسيف ومنطقة من الناس كلهم الا القضاة لا في موكب

« ١ » عند هلال (رد حولك) « ٢ » « م . ع » : قال ياقوت في المعجم باقطايا ويقال
باقطيا من قري بغداد ينسب اليها الحسين بن علي الكاتب الاديب ذكرته في كتاب معجم
الادباء . « ٣ » الصواب الجرجاني

ولا غيره فاذا كان يوم موكب كانت الاقية كلها سوادا واذا كان غير يوم موكب فربما كانت من بياض وفي الاكثر سوادا . فلما صلى عبيدالله وجلس لم يجتزبه احد من الحاشية كبير ولا صغير الا قام اليه قائماً وسلم عليه حتى قام الى رئيس الفراشين . فراه بعض الحاشية فقال من هذا الشقي الذي قد قام لساثر الناس حتى قام الى الكلاب؟ فقيل له فلان . ثم اذن له المتوكل لما خلا فدخل اليه وكان على رأسه قلنسوة سوداء شاشية وكان طويل العنق فظهرت عنقه فلما رآه المتوكل اوى يده الى قفاه ومسحه شبه صفقة فاحذ عبيدالله يده فقبلها . فنفق عليه وخف على قلبه وسر بذلك واستخف روحه وقال له اكتب فكتب وهو قائم (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً) الى قوله عز وجل (وينصرك الله نصراً عزيزاً) فكتب (وينصرك يا امير المؤمنين نصراً عزيزاً) فزاد ذلك في تقبل المتوكل له وتفاءل بذلك وقال له الزم الدار فكان يلزمها منذ السحر والى وقت نوم المتوكل في الليل . وقوي امره مع الايام حتى صار معرض الاعمال كما كان الوزراء يعرضونها وليس هو بعد وزير . والتاريخ لو صيف . فامر المتوكل في بعض الايام ان يكتب نسخة في امر الابنية فقال نعم فلما كان بعد ساعة سأل هل كتبت؟ فقال لم يكن ممى دواة فقال اكتب الساعة فاستحضر دواة وكان ايتاخ الحاجب قائماً يسمع ذلك فلما خرج عبيدالله قال له انما طلبك امير المؤمنين لتكتب بين يديه فاذا حضرت بلا دواة فلا شيء . فاجاب له عبيدالله واي مدخل لك انت في هذا؟ انت حاجب او وزير؟ فاغتاظ من ذلك فامر به فبطح وضربه على رجليه عشرين مقرة وقال

له الآن علمت ان لي فيه مدخلا . فلم يتأخر عبيد الله عن الخدمة وعاد فجعل يمشي ويمرج . فسأل المتوكل عن خبره فمرف الصورة فغلاظ عليه ذلك وقال انما قصده ايتاخ لمحبي له . وكان قد اجتمع في نفس المتوكل من ايتاخ العظام مما كان يعمل به في ايام الواثق ولا يقدر له على نكبة لتمكنه من الاتراك فامر بان يخلع على عبيد الله من الغد وان لا يعرض احد من اصحاب الدواوين عليه شيئاً وان يدفعوا اعمالهم اليه ليعرضها واجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم . فندم ايتاخ على ما فعله وجعل يداري عبيد الله ويثاقفه (١) وقوي امر عبيد الله حتى حذف بنفسه من غير امر اسم وصيف من التاريخ واثبت اسمه . ثم امر له المتوكل برزق الوزادة ثم خوطب بالوزادة بعد مديدة وخلع عليه ثم قلده كتابة المؤيد وخلع عليه وضم المتوكل الى ابنه بضعة عشر الف رجل وجعل تدبيرهم الى عبيد الله وكان وزيراً اميراً . فلما تمكن هذا التمكن بالجيش والمحل عارض ايتاخ وبطاً (٢) حوائجه وقصده ووضع من كتابه . ولم يزل ذلك يقوى من فعله الى ان دبر على ايتاخ فقتله على يد اسحاق بن ابراهيم الظاهري ببغداد بعد عود ايتاخ من الحج .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة وكان يتقلد قديماً العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب وتقلد في ايام حامد بن العباس ديوان بيت المال قال سمعت الفضل وهو يحكي

« ١ » « م . ع » : المتأقفة المتنافسة في الحذق والفظانة وادراك الشيء وفعله . ومحاولة اصابة الغرة في مسابقة ونحوها . « ٢ » « م . ع » : المعروف ان ابطاً وبطاً بتمديان بحرف الجر

عن ابيه وهو ابو الفضل بن مروان قال كان في نفس الواثق على محمد بن عبد الملك الزيات العظام مما كان يعامله به في ايام ابيه فمن ذلك ان المعلم شكا الى المعتصم ان الواثق لا يتعلم فاذا طالبه بذلك شتمه ووثب عليه فأمر المعتصم محمداً بان يضرب الواثق اربع مقارع فخرج محمد واستدعى الواثق وضربه ثلاث عشرة مقربة حتى مرض. فلما عرف ابوه الخبر انكر ذلك وحلف للواثق انه ما أمر محمداً الا ان يضربه اربع مقارع فاخفاها في نفسه فكان يبغضه وعلم محمد بذلك وكان يقصده في ضياعه واملاكه لما ترعرع وصار اميراً. فوقع المعتصم يوماً ان يقطع الواثق ما ارتفاهه الف الف درهم فجاءها محمد وكتب (ما قيمته الف الف درهم) فلما دخل اليه الخادم وعرفه ما عمله محمد وثب الى ابيه وعرفه ذلك وعرض التوقيع عليه فقال له المعتصم ما أغير ما وقعت به وما ارى في التوقيع اصلاحاً. وكان محمد قد اجاد محوه وعلم المعتصم ان رأي محمد في الاقتصاد اصاح فبطل ما كان يريد الواثق وانصرف فقال للخادم قد تم علي من هذا السكب كل مكروه فان افضت الخلافة الي فقتاني الله ان لم اقبله. ثم قال له انت خادمي وثقتي فان افضى هذا الامر الي فقتله ساعة اخاطب بالخلافة ولا تشاورني وجئني برأيه قال فمضت الايام وتقلد الواثق فحضر الدار في اول يوم محمد بن عبد الملك مع الكتاب فتقدم الواثق الى الكتاب ودونه بان يكتب كل منهم نسخة بخبر وفاة المعتصم وتقلده الخلافة فكتبوا باسرههم وعرضوا ذلك عليه فلم ير ضه فقال لمحمد اكتب انت فكتب في الحال بلا نسخة كتاباً حسناً وعرضه فاستحسنه وامر بتحرير السكتب عليه ولم يبرح حضرته حتى اقره على الوزارة

وخرج من بين يديه والناس كلهم خلفه . قال الخادم فمجيبت من ذلك وقلت
 تراه أنسي ما كان امرني به ؟ لم لا استأذنه في ذلك واذكره به ؟ فتقدمت اليه
 لما خلا ، واذكرته الحديث واستأذنته فقال ويحك السلطان الى محمد بن
 عبد الملك احوج من محمد الى السلطان دعه . قال فراقه الوائق الى ما لم يرقه
 اليه المعتصم . قال الفضل بن مروان ولا نعم وزيراً وزر وزارة واحدة بلا
 صرف لثلاثة خلفاء متسقين غير محمد بن عبد الملك .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي قال حدثني وكيع القاضي قال
 ابو الحسين وقد رأيت محمد بن خلف وكيع وكتبت عنه اشياء كثيرة ليس هذا
 منها قال كنت اتقلد لابي حازم وقوفاً في أيام المعتضد منها وقوف الحسن
 ابن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحسيني ادخل اليه
 بعض وقوف الحسن بن سهل كانت في يدي ومجاورة للقصر وبلغت السنة
 آخرها وقد جبيت ما لها الا ما اخذه المعتضد فجئت الى ابي حازم فعرفته
 اجتماع مال السنة واستأذنته في قسمته في سبله وعلى اهل الوقف فقال لي
 فهل جبيت ما على امير المؤمنين فقلت ومن يجسر على مطالبة الخليفة فقال
 والله لا قسمت الارتفاع او تأخذ ما عليه والله لئن لم يرحم العلة لاوليت له
 عملاً . ثم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت من يوصلني فقال امض الى
 صافي الحرمي وقل انك رسولي انفذتك في مهم فاذا وصلت فعرفه ما قات
 لك فجئت وقلت لصافي ذلك فاوصلني وكان آخر النهار فلما مثلت بين يدي

الخليفة ظن امراً عظيماً قد حدث فقال لي هي (١) قل. كأنه متشوف.

فقلت له ان الى عبد الحميد قاضي امير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما قد ادخله امير المؤمنين الى قصره ولما جيت مال هذه السنة امتنع من تفرقة الى ان اجبي ما على امير المؤمنين وانقضي الساعة قاصداً لهذا السبب فامرني ان اقول اني حضرت في مهم لاصل. قال فسكت ساعة متفكراً ثم قال اصاب عبد الحميد يا صافي هات الصندوق قال فاحضر صندوقاً لطيفاً فقال كم يجب لك فقلت الذي جيت عام اول من ارتفاع هذه العقارات اربعمائة دينار قال فكيف حذقت بالنقد والوزن فقلت اعرفهما قال هاتوا ميزاناً فجاءوا بميزان حراني حسن عليه حلية ذهب فاخرج من الصندوق دنانير عينا فوزن منها اربعمائة دينار وقبضتها وانصرفت الى ابي حازم بالخبر فقال اضفها الى ما اجتمع الموقف عندك وفرقه في غد في سبله ولا تؤخر ذلك ففعلت فكثر شكر الناس لابي حازم بهذا السبب واقدامه على الخليفة بمثل ذلك وشكرهم للمعتضد رضي الله عنه في انصافه

حدثني (٢) ابو الحسين علي بن هشام ابي قيراط الكاتب البغدادي قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد ابن الفرات يحدث قال كان النهيكي العامل قد لازم ابا القاسم عبيد الله بن سليمان في نيام نكبته فلم يكن لما ولي الوزارة الا الاحسان اليه فقلده بادوريا (٣) وكان لا يتقلدها الا جلة الناس واقد

«١» م. ع. «يقال عند الاغراء بالشيء هي هي» ٢ «راجع كتاب الوزراء لهلal

ص ٧٦. «٣» م. ع. «طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد

سمعت اخي ابا العباس (١) يقول انه من صلح لتقلد بادوريا صلح ان يتقلد ديوان الخراج ومن صلح لديوان الخراج صلح للوزارة. قال والسبب في هذا ان المعاملات بيادوريا كثيرة مختلفة وانها عرصة المملكة وعاملها يعامل اولاد الخلافة والوزراء والقواد والكتاب ووجوه الاشراف والرعية فاذا ضبط اختلاف تلك العادات وقام بارضاء هذه الطبقات صلح للامور الكبار. قال ابو الحسن فاقام النهيكي يتولى بادوريا نحو سنتين مدة تقلد عبدالرحمن بن محمد بن يزداد لديوان الخراج في ايام عبيدالله ثم مدة ايام (٢) ابي العباس احمد بن محمد بن ابي الاصبع لديوان الخراج في ايام عبيدالله الى ان طلقت (٣) انا واخي وتقلد ديوان زمام (٤) الخراج وزمام ديوان الضياع وخلفته عليهما فكنا اذا كاتبنا النهيكي في رفع الحساب لم يجبنا ادلالاً لمحله من الوزارة وتعفيه (٥) فانه كان مشهوراً بالعفة واذا كاتبناه في شيء من امور العمل اقل الحفل بكتبنا فلما طالت المدة عليه الحضا عليه بالمطالبة برفع الحساب وشكواته الى الوزير فوكل به من (٦) داره مستحناً له في رفع الحساب لعدة سنين فتشاغلت انا بعمل مؤامرة له فلم اجد عليه كثير تأول وحضرنا بين يدي عبيدالله لمناظرته وقد كنت صدرت اول باب من المؤامرة بانه فصل تفصيلاً ثمن الغلة المبيعة حملته على حسب ما يوجب التفصيل اكثر

« ١ » معجم البلدان لياقوت ١ : ٤٦٠ « ٢ » الصواب تقلد « ٣ » م . ع « اي تركت . وله شواهد في كتب اللغة « ٤ » م ع : هكذا جاءت في الاصل « ٥ » م . ع : كذا في الاصل . ولعل الصواب تعفيه : الا ان يكون من قبيل تمطى وتظنى « ٦ » عند هلال : من لازمه « م . ع » لعل الاصل داورد .

من الجملة التي اوردها بالف دينار فقال اتبع . فما زال يتبع الى ان صح الباب عليه وقال وما هذا (١) غلط الكاتب في الجملة فبدأت اكلمه فاسكنني اخي واقبل على عبيد الله فقال يا ايها الوزير صدق هذا غلط في الحساب فالدنانير في كيس من حصلت . فقال له عبيد الله صدق ابو العباس والله لا وليت لي عملاً يا لص . ثم اتبعت هذا الباب بباب آخر وهو ما رفعه ناقصاً عما كان قدم به كتابه كله في غلة عند قسمتها فلما لاح عليه الجملة قال اريد كتابي بعينه فبدأت اكلمه فاسكنني اخي ثم قال ايها الوزير يطعن في ديوانك ونسخ الكتب الواردة والنافذة شاهدا عدل . فقال صدق يا عدو الله وامر بسحبه فسحب وما برحنا حتى اخذ خطه بثلاثة عشر الف دينار واهلكناه بهذا وما عمل بعد هذا كثير عمل

« للبحث صلة »

درس الآداب العربية الحديثة

«مناهجه ومقاصده في الحاضر»

— نظر واقتراح —

Etude de la littérature arabe nouvelle
ses méthodes et ses buts actuels

مضى عليّ روح من الدهر يزيد عليّ ربع قرن وأنا مجد بقدر الامكان في درس الآداب العربية الجديدة من اول القرن الحالي . وقد تحملت في درسه هذا صعوبات حمة اما خارجية عن الموضوع واما داخلية فيه ولست أعرف أيها كان اكبر عقبة لدرسي ونشاطي . منها بُعدي وانقطاعي عن ينابيع هذه الآداب الحية اي البلاد التي اهلها وخدم خزنتها ومادتها فاني لم أزر اما كنت النهضة العربية الأدبية أعني الشام ومصر المرأة في حياتي منذ عشرين سنة وقطعت الحرب مواصلائنا بتاتاً من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩٢٥ نقر بآ . وماوصلني طول هذه المدة من المطبوعات والرسائل لايروي غليلاً ولا يغني فتيلاً . وهذا ما دعاني لان أعتمد في درسي عليّ خزائني الخاصة فقط وقد جمعتها بكثرة النفس وصرفت عليها من كدّي مصاريف ليست قليلة ومع هذا فهي لا تغني عن الخزانة الشيرة في بلاد العرب ولا سيما معاشره أفاضلها وأساندتها وهم انفسهم تاريخ هذه الآداب ولا يستعاض عنهم بالكتب والمخطوطات . والصعوبة الثانية ناشئة من الآداب العربية ذاتها وهي قلة العناية بتاريخها العلمي وندرة الأبحاث المخصصة لها وعدم الطباعات المخصصة لتأليف جهابذتها وأركانها مشفوعة بالحواشي والشروح الموضحة للموضوع من كل وجه على العادة الجارية في اللغات الادربية . ومها يكن من الامر وعلى الرغم من هذه الصعوبات التي لا محل لتدوينها برمتها هنا فلم آلُ جهداً في بحثي ودرسي واجياً ان ينفع بشار أنعابي من يسير علي آثاره .

ولقد تراكت لديّ في هذه المدة بعض الملاحظات والأفكار التي لها علاقة بمنهج درس الآداب الحديثة ولا سيما في الشرق العربي وأردتُ الآن ان أطحها على بساط

البحث كما يقولون لينظروا فيها بعيني الانتقاد من هم أقدر مني من أصحاب الامر . فصاحب البيت بالطبع أدرى بما فيه من المتطفل مثلي على مائدته .

ولسائل ان يسألني لما ذا أتكلم في الآداب الحديثة فقط وأفرق بينها وبين القديمة او المدرسية حسب الاصطلاح الجديد المصيب . فأجيب على هذا السؤال ليس الفرق بينهما في منهج درسا لان عامة الآداب في كل الامم القديمة المنقرضة او الجديدة الحية يجب ان يكون درسها على طريقة واحدة وحسب منهج علمي واحد . وهذا مما لا يشك فيه من له أدنى إلمام بمجالة الدروس الادبية في الغرب . وعليه فلا أفيض في الآداب العربية المدرسية لان درسها قد أصبحت طريقه مهيبة فلا خوف عليه من الضلال والاضمحلال في الغرب او في الشرق . فتري في كل البلاد المتمدنة خزائن الكتب والمخطوطات المرتبة المنظمة . والقاهرة او بيروت او دمشق من أحسن الدلائل على علو الهمة في ادارة الامم . وقد جمعت هذه المجموعات طرفاً حسناً من تراث اجدادهم ورتبته أحسن ترتيب . اما فهارس المخطوطات فقد صارت تطبع في بلاد بعيدة عن هذه الأمصار التي لها الرياسة في النهضة الادبية . وقد رأينا فهرست مخطوطات الموصل لداود الجليلي الذي لم يكن يخطر على بال احد صدوره منذ عشرين سنة . ومن جهة الأبحاث المخصصة لا تصدق همة الشرقيين والغربيين بل هم يتنافسون فيها نعم التنافس ولا حاجة الى ذكر الأمثال التي تبشر بالمستقبل الحسن لهذه الدروس . وكُتِبَ طم حسين عن الأدب الجاهلي وعبد العزيز الميمني في ابي العلاء بين أيدي محبي الآداب القديمة . اما الآداب الحديثة فلا نرى عناية لا تليق بها ولا اهتماماً يجمع مآخذها وموادها في الغرب ولا في الشرق . ولا يهم هذا كل محب للشعب العربي بل يحزنه وينذره بخطر الحبال لان الفرصة التي نلت لا ترجع مدى الدهر مرة أخرى .

ولسائل ان يسألنا سؤالاً ثانياً هل يجوز افراد طور مخصوص تسميه طور الآداب الحديثة وهل هو الا صلة للأطوار المنقذمة ولا فرق بينهما . ويحق له ان يسأل ذلك لان تفريق الأطوار في حياة كل فرد او مجتمع او فكر شيء خطير . وكل طور يتصل باخيه بطريق خفي ويجبوت لا تری ولا حد محسوس بين طور وطور وقد قلنا سابقاً انه لا فرق بين منهج درسه . ومع ذلك فاننا لا نرى انساناً او نباتاً يشبه نفسه في أطواره

المختلفة تمام المشابهة وعليه فلا مندوحة لتقسيم حياته الى أطوار كما لا مندوحة لأطوار في تاريخ اي شيء كان وإن كانت الأطوار بنائيات خيالية تبنيها الافكار تسهيلاً للدرس والنظر الإجمالي . ولا يشك احد ان الطور الجديد لا يبتدي من نقطة محسوسة معينة بل يتدرج عما قبله تدريجاً . وهذا لا يمنعنا من ان نأخذ وقعة تاريخية حداً لطور ما ولا سيما اذا كان لهذه الوقعة تأثير ظاهر في الطور القديم . وفي تاريخ الآداب العربية الحديثة نرى وقعة من هذا الجنس وهي حملة الفرنسيين على مصر بقيادة نابليون التي جرت على الشرق العربي نتائج هامة منها سياسية ومنها اقتصادية ومنها أدبية ووصلته بأوربا بصلة لم تنقطع في وقت من الاوقات الى أيامنا هذه . نعم ان المواصلات في الشام وإن كانت بدأت مع أوربا قبل القرن التاسع عشر بكثير إلا أنها توطدت بعد فتح المدارس المتنوعة وخصوصاً في لبنان وبيروت . وهذا ما يبدعونا لان نبتدي بدور الآداب العربية الحديثة من النصف الاول للقرن الماضي وإن لم ننس ما قلناه سابقاً من وجوب الاحتياط في تقسيم الأطوار وعن عدم الفرق في مناهج البحث كلها . وسنهتم في بحثنا الآتي بالمسألة من ثلاثة أوجه تكون مصدر أفكارنا وهي أولاً فلة الأبحاث في تاريخ الآداب العربية الحديثة . وثانياً أحوال الأبحاث في تاريخ الآداب بين الأمم الأخرى . وثالثاً أنواع المناهج والأساليب لدرس تاريخ الآداب في العلم الحاضر .

ولا حاجة هنا الى وصف أحوال البحث في الآداب العربية الحديثة فإنها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار فالاعتناء بها قليل بالنسبة الى درس الآداب المدرسية . ولا غرابة في ذلك فإن الانسان في كل زمان ومكان مولع بقصديته أكثر من حديثه فلا يرى هذا جديراً بالدرس كالشيء المادي الذي لا قيمة له وكم رأينا في الشام من البعثات العلمية والأثرية تقب عن آثار المصريين والآشوريين والحثيين ولم تزل نزرأ قليلاً منها خاصة بآثار الدور الإسلامي وهذا ما نراه في دروس الآداب . ولا فرق بين ذلك بين الشرق والغرب . ولا نعرف بين علماء أوربا على كثرتهم ونوعهم إلا اختصاصاً واحداً درس الآداب الحديثة بكل دقة وإمعان إلا وهو مارتين هارتمان الألماني المتوفى منذ عشر سنين وقد مضى على آثاره في الدرس صديقه الذي خلفه في منصبه جورج كامفهاير الألماني . ولذلك نرى في ألمانيا من وقت الى آخر مقالات في الجرائد والمجلات لها علاقة

ببعض كنية العصر او بعض الظواهر الادبية بين أبناء العرب . اما البلدات الاخرى فلا نعرف فيها الا علماً واحداً ساح وتحوّل في اماكن النهضة الادبية بين العرب وشغف بها وأنفق جانباً من وقته وأنعابه لهذه الصفحة من تاريخ الآداب وهو الاستاذ الشاب جيب الانكليزي . وعلى قلة المعتمدين بهذا الموضوع يرى كل ناظر متسأماً ان علماء اوربا في النصف الاول من القرن الماضي كانت رغبتهم في معرفة الظواهر الأدبية وتعرينها لعالم العلم والأدب أقوى وأشدّ فان الاساتذة ربنو في فرنسا او فليشر في المانيا لم يقتضها شيء تقريباً من آثار النهضة الأدبية من الجرائد الحديثة العهد في وقتها او اعمال الجامع المؤسسة حديثاً . فلا غرابة في ذلك فان قلة هذه الآثار على عهدهما سهلت كثيراً تدوينها ونقدتها . اما الآن وقد تنوعت وتكاثرت ظواهر الآداب وآثاره فلا يسعنا الا ان نحكم على علماء اوربا ومستعربها بقلة الاهتمام بهذا الموضوع وهذا ما شكنا منه مراراً الاستاذان كامفابر وجيب .

فلورجينا بعد ما قلناه الى أحوال درس الآداب الحديثة في بلاد العرب رأينا صورة وان كانت أحسن مما سبق يقليل لكنها نافصة من عدة وجوه . ولا ينكر احد ان اللغة العربية حائزة الآن بعض النظرات الإجمالية اولها حسب وقت ظهورها كتاب الأب لويس شيخو في الآداب العربية في القرن التاسع عشر وثانيها الجزء الرابع من تاريخ الآداب العربية لرجي زيدان وثالثها تاريخ الصحافة العربية لفيليب طرازي ولكل من هذه الكتب فضائل ونواقص هي تحت نظر كل محب لتاريخ الآداب . وقد كتب عنها ما يغني عن الإسهاب في هذا المحل . وربما كان أحسنها ترتيباً وأغزرها مادة تاريخ الصحافة العربية لان صاحبها حدد الموضوع وأسند كل شيء الى مأخذ . ولا ينقصه الا عدم إتمامه حتى الآن . ولو كمل هذا الكتاب لسدّ ثغراً في معارفنا بيننا . ومن هذا القبيل تكون اللغة العربية أغنى من اللغات الأوروبية إجمالاً . اما من جهة الابحاث الخصوصية فهي قليلة وليست على غابة ما يطلبه الآت المتبحر العلمي الدارج في اوربا . ولا نستثنى من ذلك الا شيئاً يسيراً كالأبحاث السيدة (ميت) عن باحثة البادية وعائشة التيمورية او تاريخ حياة طاهر الجزائري بقلم محمد كرد علي وغيرها . اما ما بقي من الكتابات فليست الا نظرات انتقادية او تقارير دعت اليها الحياة اليومية وهي تزول مع مرور

الآباء وإن كانت في بعضها مواد للدرس العلمي الخطير التي تفيد بعد البحث العلمي .
 هذه الأحوال التي نشاهدها في درس الآداب العربية الحديثة تضطر كل عالم باحث يشعر بالتعب الملقاة على عاتقه إلى أن لا يضيق حين يبحث بما تحتويه اللغة العربية بل يدرس بامعان ودقة حال دروس الآداب الحديثة في اللغات الأخرى وإن كانت بعيدة عن العربية لكي يتعمق في أسباب تقدمها أو تأخرها ويقتبس من مناهجها وأساليبها ما كان نافعاً ومناسباً لثقافته وآدابه . وللتعقير من هذه الجملة مركز خاص ربما يجمله أسعد حفظاً من علماء أوربا في الممالك الأخرى . فليست اللغة الروسية غنية بآدابها فقط بل وبعلمائها النظريين الباحثين في تاريخ الآداب الذين تعد تأليفهم من أحسن ما كتب في هذا الموضوع في عالم العلم . وفي روسيا من جهة أخرى شعوب كثيرة لم يبتدئ درس آدابها إلا من عشرات من السنين وبين يديك لغة روسيا البيضاء وآدابها وهي وإن كانت عريقة في القدم لم يبتدئ طورها الجديد إلا منذ نصف قرن ولم يبتدئ درسها المرتب العلمي إلا منذ عشر سنين بعد تأسيس دائرة ترقى التمدن في روسيا البيضاء التي تحولت حديثاً إلى أكاديمية العلوم التابعة للروسيا البيضاء . ونرى في بلادنا بعض الدوائر الخاصة لدرس الآداب الحديثة والمتاحف المهمة تجمع كل ما له أدنى علاقة بالموضوع وتدوينه وترتيبه وإعداده للدرس العلمي . ولا شك أن تجارب هذه الأمم ودوائرها العلمية مما يفيد كل عالم مدقق يحب ترويح الدروس في تاريخ آداب لغته من أي بلد أو لغة كان . خصوصاً علماء العرب أو المستعربين الذين ليس لغتهم أمثلة هذه الدوائر أو الاهتمام بالناهج الراقية .

وهذه المناهج هي مصدر لبحثنا الثالث كما قد سبق لنا ذكره . ولسنا نطالب من كل باحث في تاريخ الآداب أن يكون له أقل إلمام بكل من هذه المناهج على كثرتها وتنوعها لأن هذا يحتاج إلى وقت طويل ودرس خصوصي لا يجتمعه إلا علماء النظريات . وما لا شك فيه أن الباحث الذي يريد أن يكون عمله على مستوى ما تتطلبه حالة العلم الحاضرة لا مندوحة له من أن يتعرف إلى بعض التأليف البارزة التي تعد من أجل الأمثلة في لغاتها . هذا أقل ما يطلب منه وبهذا المذهب من المطابقة يرى كل باحث ما ينقصه ويتمكن في طريقه السديد . أما المناهج التاريخية الأدبية فكثيرة في أوربا الحاضرة منها

العلمية المحضة ومنها ما لها صبغة من علم تمييز الحُسن أو علم الأخلاق أو علم الصحافة . وان كان التعارف بجميعها نافعا للدرس الآداب العربية الحديثة ولا سيما وهي أعمى في حالتها الحاضرة بالمذهب الاجتماعي أو الاشتراكي ومذهب درس الصورة الفنية . ولسنا نعتي بالمذهب الاشتراكي معناه السياسي بل المذهب الأدبي التاريخي الذي يطلب ان يدرس الباحث كتابه كالجُزء الذي لا يتجزأ من المجتمع الانساني المشترك معه في كل انفعالاته وان يدرس بثقله التي خرج منها وكل ما له علاقة بالمجتمع الذي عاش فيه وكل ظواهر الحياة التي تأثر منها أو الزمان الذي كان عاملاً فيه . اما مذهب درس الصورة الفنية فهو يجعل نقطة الدائرة درس صورة التأليف وأصاليب المؤلف الفنية وطرائقه لتجسيم افكاره وتخيالاته وكل ما يتعلق بصورة التأليف الظاهرة من وزنهما وقافيتهما أو المحاسن اللفظية والمعنوية . ولا ينبغي على احد ان هذه المذاهب كلها كانت مستعملة في درس تاريخ الآداب العربية منذ القدم ولكن استعمالاً سطحيًا لم يعن "فكر الباحث الا بالصدفة أو تواتر الافكار بدون سابق المعرفة بتجارب غيرها من اللغات . وهذا التعارف يسهل العمل وينجيها من غلطات المتقدمين ولا يرقعنا في الورطة التي وقعوا فيها . ولا حاجة لنا الى التعمق في الجدالات التي ترتبت على قيمة هذه المذاهب التاريخية الادبية ومطابقتها وتباينها - الجدالات التي تكثرت في الدوائر العلمية الاوروبية . لان كل مذهب حسن اذا كان الباحث غير متطرف سببه استعماله ولا يضيق ببحثه بمحدود ضيقة ناشئة . ولا ننسى ايضا ان تاريخ الآداب العربية الحديثة في أحوالها الحاضرة أحوج الى جمع المصادر والمآخذ المنتشرة في كل قطر ومصر من كلام نافه في قيمة المناهج والمذاهب .

اما الآن وقد أنهينا تمهيدنا في كيفية الطريق المؤدي الى درس الآداب العربية الحديثة فلنخرج الى بث نتائجنا في هذا الموضوع . وبعد لا ينبغي على كل من له إلمام بالبحث التاريخي الأدبي ان عمله ينقسم الى ثلاثة أقسام متتابعة في الزمان : اولها جمع المواد ثانياها ترتيبها واختيارها وثالثها الدرس بمعناه الخصوصي وهو بحثي خلا نقد المواد المجموعة واختيارها كتابة نتائج أفكار الكاتب في قالب مقالة أو نظر إجمالي أو تاريخ حياة المؤلف المترجم عنه . ولا ينبغي ايضا ان هذه الاقسام أو المراتب باقية هي ذاتها في عمل شخصي أو في أعمال المجمع المختص بدرس تاريخ الآداب أو الدائرة التي

أنشئت بسببه . وكل هذه المراتب لها فروع ودرجات لا تحصى . ولنا ان نسأل اولاً ما ذا عمل حتى الآن وما ذا بقي ان يُعمل في المرتبة الاولى اي في جمع المواد . وقبل ان نلتمق في هذا الموضوع يلزمنا ان نحدد ماذا نعني بمواد البحث او مصادره او مأخذه او يتابعه كما يقول علماء اوربا . ولنا نعني بالمصادر كل ما كتب المؤلف او طبعه فقط بل وكل ما كُتب عنه وما له ادنى علاقة بحياته او تأليفه من النقصاء وتذكر ورسائل كتبت اليه ورسائل صدرت عنه بل وكل آلة من آله كقلمه او دواته او كرسية الذي كتب كتيبه قاعداً عليه . بل وكل صورة تمثله في أطوار حياته او تمثل اعضاء عائلته وكل تصوير يسهل لنا تخييل محل عمله او يفسر صفحة من تأليفه وهكذا الى النهاية . ولا ننحصر المأخذ في لغة واحدة بل يلزمنا ان نجتمع كل ما كُتب عن مؤلفنا في كل لغة فقد يوجد فيها ما لا وجود له في لغته من تذكرات المعاصرين له من الامم الأخرى ولهذا مكانة عظيمة . هذا فؤاد البستاني قد وجد عند لامرئين شاعر فرنا الشهير ذكراً لنا صيف اليازجي يمثله لنا في وقت شبابه تمثيلاً ما كنا ننصروه . وقد رأيت شيئاً كثيراً من سيرة محمد عتاد الطنطاوي في يوميات فالأين السائح الفنلاندي نصف لنا حياته ودروسه ايام إقامته في بطرسبرج . ويلزمنا ايضاً ألا يغفونا شيء من آثار لها علاقة بالمؤلف فالكثابة على قبر الطنطاوي مثلاً أو ضحت لنا مشكلة في تاريخ موته وهو يختلف عما في الأوراق الرسمية .

ومما نقدم يتضح لنا وضوحاً تاماً ان جمع المصادر لتاريخ الآداب العربية الحديثة لم يخرج حتى الآن في البلاد العربية والغربية من حيز العدم . وان خزائن المكتب والمخطوطات جمعت طرفاً حسناً من مؤلفات المتقدمين من الكتبة والعلماء اما تأليف العصر بين فلم تدخل فيها الا بطريق الصدفة ولم يكن لها من الاهتمام نصيب . وليس من الجائز على ما نعلم الا مجموعة واحدة تستحق الذكر والثناء هي مجموعة الصحف والمجلات التي جمعها فيليب طرازي وهي التي أيدته في تأليفه الخطير عن تاريخ الصحافة العربية وقد خرجت من بلاد العرب وهاجرت الى مدينة هامبورغ من المانيا . وعلى مثل هذا الطريق يلزمنا ان نجتمع كل ما له علاقة بكتبة القرن التاسع عشر والعشرين حسب فهم معنى المصادر المشروح آنفاً . وليس من الحكمة ان ينحصر مجهودنا في الاعمال الشخصية فقط

بل من الضرورة إثارة الرأي العام في هذا الصدد ببث الرسائل الخصوصية ونشر الاعلانات وإرسال البعثات العلمية الى أماكن حياة الكتبة المشهورين لجمع ما بقي من كتاباتهم في أيدي الافراد وجمع التذكريات من أفواه معاصريه . ويجب ارسال هذه البعثات العلمية ايضاً الى خزائن الكتب المشهورة في الشرق والغرب لدرس ما يوجد فيها من آثار الآداب العربية الحديثة .

وعما لا شك فيه أن كل الأعمال يجب اجراؤها حسب اللائحة المخصوصة المرسومة بأيدي الاختصاصيين في هذه الدائرة الذين لم يمام بمناهج البحث الأدبي التاريخي . ويجب ان يذكر في هذه اللوائح كل الاصناف من المصادر التي يهتم العلم جمعها ودرسها وتذكر ايضاً المسائل الخاصة المتعلقة بالكتب المعينة او التأليف المفقودة التي يجب البحث عنها او النقط غيرها التي يهتم درسها وتوضيحها . وانتشار هذه اللوائح وسط الدوائر العلمية او المدارس الوسطى والعليا يعود بنفع على تاريخ الآداب الحديثة .

بجمع المآخذ بتعلق تدوينها وترتيبها تسهيلاً للابحاث العلمية . وهذا العمل الشاق متنوع تنوعاً ليس بأقل من الاول والثاني . ولسنا نعني به الفهارس البسيطة السطحية أمثال فهرس القسطنطينية او المكتبة الخديوية القديمة بل نعني وصفاً دقيقاً علمياً يصور لنا الآثار من كل جهاتها وبكل دقائقها لكي نعلم قبل النظر اليها هل نجد فيها شيئاً يفيدنا في البحث الذي يهمنا في الوقت الحاضر . وليس تدوين المصادر محصوراً على ما يوجد في المحل الفلاني فقط بل من الضرورة جمع الأخبار عن كل ما له علاقة بالآداب الحديثة في بلدان مختلفة وخزائن غريبة ومجلات متنوعة في اللغات الغربية . مثال ذلك ان مكاتب الطنطاوي وجدناها في مدينة هيلسنفورس عاصمة فنلندا وبعضها في فازان عاصمة الجمهورية الفنلندية . ولا تمس الحاجة الى تكرار معنى المآخذ ووجوب تدوين كل ما يوضح لنا شخصية المؤلف او يفسر تأليفه من الصور والآلات وأثاث المنزل وليس هذا العمل مما يسعه علم فرد بل هي من واجبات الدوائر المخصوصة المؤسسة في بلدان مختلفة والمرجو تأسيسها في بلاد العرب .

ومن مقدمات الدرس بعض الأعمال الأولية التي لها علاقة بتدوين المصادر كقاموس الكتبة في القرنين التاسع عشر والعشرين مع ترجمة حياة كل واحد منهم

مختصرة وفهرست تأليفاته وذكر المصادر والمآخذ المهمة ولنا مثال حسن في تأليفات يوسف مركاتس والزركلي الشهيرة ولكنها لا تمثل الا خطوة أولى في هذا الطريق ويجب تدقيقها وترقيتها لكي يصير في الآداب العربية الحديثة كتاب مثل كتاب بروكلاف الألماني عن الآداب العربية في القرن الوسطى . ومن العدالة ان لا يختصر القاموس على أسماء المؤلفين الذين قد انتقلوا الى عالم البقاء بل يدخل فيه معاصروننا الاحياء من يكون لهم شأن في المستقبل . وأحسن طريق الى جمع الاخبار عنهم ارسال الاوائح المخصصة المشتتة على الاسئلة المعينة على بحر ما عمل وبنغاروف العالم الروسي الذي اصبحت مجموعته من أمثني أساس تاريخ الآداب الروسية الحديثة . ولنا مثال أقرب من هذا في سمي كامفاير العالم الألماني المذكور وبشره بعض تراجم حياة شعراء العصر المكتوبة بافلامهم إجابة لسؤاله وكل ذلك من أدنى المصادر وأصدقها التي يصعب الوصول اليها بعد فوت الفرصة . ومن قبيل المعاجم التي تسهل الأبحاث العلمية معجم الاسماء المستعارة وقد انتشرت بين كتبة الغرب ولا سيما في قرننا هذا انتشارها بين أدباء اوربا . وهذا المعجم لا يتسنى جمعه الا لمن كان معاصراً للكتابة او مستنداً الى تذكرات معاصريهم فان الذكرى عن معنى هذه الاسماء لتلاشى بمرور الایام . وان كنا نعرف نحن ان المصري الفلاح مؤلف رواية زنبب الفريدة في بابها هو الكاتب الشهير محمد حسين هيكل فلا يتيسر معرفته لابنائنا ان لم تثبت هذا في كتاب ما . ومن قبيل الاعمال الاولية ايضاً جمع الاخبار عن كل ما يتعلق بالكاتب المفرد او العصر المعين او الطور المخصوص وعن كل ما كُتِب فيه او طُبِع في وقته . وأحسن طريق لتدوين هذه المواد تقبيل ملاحظة واحدة او مصدر منفصل على قطعة من الورق الغليظ مفردة لكي يسهل فيما بعد ترتيب هذه الملاحظات على اي نسق أريد . وهذه الفهارس يجب حفظها في محل خاص لكي لا يعسر الرجوع اليها لكل من يريد جمع المواد لدرس معين .

وتحتوي هذه المرحلة من الدرس ايضاً على طبع المؤلفات للكتابة المشهورين النقدي العلمي وجمع كل المؤلفات المنفرقة في المطابع او المجلات لكاتب واحد . وليس هذا بالامر اليسير كما يتوهمه من اول نظرة من لم يكابده الطبع العلمي النقدي يحتاج الى مقابلة النسخ المعروفة والى تثبيت نص التأليف في كل تدقيقاته حسب مخطوطات المؤلف ان هي

بقيت الى يومنا وحسب كل طبعات بعد المقابلة الدقيقة بامعان النظر . وليس لدينا كتاب واحد مطبوع على هذه القواعد . وهذا مما يعرقل كل درس وكل عمل في حيز الآداب العربية وقد تحملنا مشاق حمة وقت ترتيب المواد لنشرنا المنتخبات العصرية لانا لم نقدر ان نثبت على اليقين هل سفي كتابة لفظة او جملة على الطريق غير الاعتيادي غلط مطبعي . كتابة مخصوصة معتمدة من المؤلف نفسه . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يكاد لا يدرس كل المسائل المتعلقة بنص المؤلف كتاريخ اللغة في عصره او اختراع معانيها او ابصاح المناهج الفنية . ولذلك يجب ان يكون طبعه ملحقاً بالحواشي والشرح التي لا تترك محلاً للشبهة في فكر قارئه او دارسه . ولين له كل جليلة ودقيقة تسحق الذكر . ولا ننس ايضاً ان الطبع النقدي يجب ان يكون ظاهراً الى عالم الوجود في احسن صورة . ولذلك يهم الاعناء بحسن حروفه وانقان طبعه من هذه الجهة .

ولا نقدر ان نستوعب ذكر كل ما يتعلق بالاعمال والدروس بهذه الدرجة الثانية من البحث العلمي درجة الترتيب والتدوين . اما الدرجة الثالثة وهي الأهم من بين الثلاثة لانها تبرز فكر العالم الباحث الى حيز الوجود فتحوي ايضاً على الاصول والفروع التي لا طاقة لنا في تعديد كل مفرداتها . ويدخل فيها مقالات مخصصة لدرس الكتاب المعين او بعض أطراف من عبقريته او تأليفه الواحد كما ندخل ايضاً نظرة إجمالية في طور من الأطوار او في كل تاريخ الآداب العربية الحديثة . وغني عن البيان ان هذه المراجعة تحتاج احتياجاً كلياً الى معرفة مناهج دروس تاريخ الآداب العلمية وقد سبق لما ذكر المناهج التي لها ادنى علاقة على ظننا بدراسة الآداب العربية الحديثة وهي المذهب الاجتماعي او الاشتراكي ومذهب دروس الصورة الفنية ولا لزوم الى اعادة ما قلناه عن هذه المناهج او غيرها . ولا ضرورة الى تعديد كل الموضوعات المختصة بتاريخ الآداب التي خل في الدرس وهي اكثر من ان تعدد وتحصى . فمن أهم الدروس بحث أحوال العمل والف ونظريته في مسائل الآداب ونفسية التأليف وانعكاس بيئته في تأليفه او امانيه اله في المستقبل . اما من جهة الصورة الفنية ففي المحل الاول نحل درس فضائل ناعته او نقائصها من كل وجوها . ولا يختصر دروس الآداب بدراس الفن الجميل فقط بل يدخل فيه فروع أخرى ايضاً كالتاريخ الانقراض الحديث او تاريخ الصحافة وقد

أتخفنا فيليب طرازي بتزوج حسن من هذا القبيل . ولدرس هذه المربطة علاقة وثيقة بالكتب المؤلفة لنشر معرفة الآداب الحديثة أو أفرادها الكرام . وهذه الكتب مكانة لا يستهان بها فانها تروج دروس الآداب ولا سيما بين النشء الجديد وتشوقه الى هذه المسائل . ونعمت الفكرة فكرة فؤاد البستاني في روايته فقد اعطانا خير كتاب عمومي عن اليازجي والبستاني الكبير وولي الدين يكن . ونعمت فكرة ادارة مطبعة الوفد فقد أتخفنا بكتيب في الشعر النسائي المصري يمثل لنا كبريات نجومه . ومن هذه الجهة لنفع الدروس كتب المختبرات بالحواشي والتراجم كمثل مختارات المنفلوطي وقد أدخل فيها قسماً صالحاً من تأليف العصر وكنا نود لو طبعت مختبرات من تأليف كل كاتب مشهور كما نرى امثالها في اوروبا عشرات كل سنة وكما فعلت ادارة الهلال في مختارات جرجي زيدان .

اما الآن وقد وصلنا الى خاتمة عجالتنا فلم يبق لنا الا ان ننظر الى نتيجتها النهائية وهي جليلة لكل منأمل جلاء وأستحقاق ونقول لا يسع عالماً واحداً مهما علت همته او قويت قريحته او حسنت أحواله ان يأخذ على عاتقه كل الاعمال المشروحة اعلاه وحالة الدروس الحاضرة عن تاريخ الآداب العربية الحديثة كما رأينا . فعليه يتراءى لنا دواء هذه الاحوال في تأسيس دائرتين مخصصتين لهذه الأعمال . اولاهما المتحف الخصوصي الحسابي لكل ما يتعلق بمصادر تاريخ الآداب العربية الجديدة . وله المثل الأعلى في المتحف المسمى ببيت بوشكين التابع لأكاديمية العلوم الروسية وهو المتحف الذي أسس سنة ١٩٠٧ على اسم الشاعر الروسي الشهير الذي يعد اباً لكل الآداب الروسية الجديدة . وهذا المتحف لا يحتوي على كل ما يتعلق ببوشكين فقط بل وبسلفه الأدبي وبكل تلاميذه في الأدب وكل مقلديه من زمانه الى ايامنا هذه . وهذا المتحف ينقسم اقساماً منها قسم الكتب الجامع لكل الطبوعات من الشعراء والكتبة الروسين وكل ما كتب عنهم من انقضاء وتاريخ حياتهم وتذكريات معاصريهم ومجالات زمانهم وجرائدهم . ومنها قسم المخطوطات الحاوي تركات الكتبة ومخطوطاتهم ومسوداتهم ومكانيتهم منهم واليهيم . ومنها المتحف بالمعنى المعتاد وهو يحمل صور المؤلفين وتصاوير انفسر حياتهم وتأليفهم وعلى الآلات الباقية منهم التي تصور لنا اشغالهم وحياتهم الشخصية . ومنها قسم المراجعات والاستدلالات . وفيها

فهارس كل ما هو معروف عن الكتاب المفرد ونأليفه ووقته وعدة من المجموعات التي تسهل الدرس لكل من له همة في ذلك . ووصف هذا المتحف بكل دقائقه بطلب محلا واسعا ومحتاج الى تأليف سفر قائم بذاته . وقد ألف بعض الكتب في المعنى في اللغة الروسية والفرنسية قد بعثت بشيء منها الى المجمع العلمي الموقر . ولكن المتحف وحده لا يكفي لترويج درس الآداب الحديثة ولذلك نقترح تأسيس دائرة مخصوصة ثانية الى جانبه تعنى بدروس الآداب حسب الواجه الثلاثة المشروحة آنفا وحسب الالاتمة المنصلة . وهذه الدائرة تكون مستقلة كالأستاذية تحت ضمن الدوائر العلمية غيرها او تكون تحت ادارة المجمع العلمي العربي او تكون قسما منه يهتم بدروس الآداب العربية الحديثة خصوصا . وكل هذه المسائل في ماهية الدائرة يلزم البحث عنها بكل اعمان ودقة بين العلماء المشتغلين بالموضوع اذا صادف الفكر وجه استئذان بين الاختصاصيين .

هذا ما أردنا به وسرده . وهذا قليل بل أقل من القليل في الطريق الموصل الى المقصد الأسمى البعيد الذي لا وصول اليه الا بالرسم المرسوم وبذل الجهود من العلماء المجتمعين . وليس هذا الا جزء من الافكار والآراء تراكت لدى هذا الحقير وقت درسه للمسائل المتعلقة بتاريخ الآداب العربية الحديثة منذ ربيع قرن . ولأعضاء المجمع العلمي العربي الموقرين ان يصرحوا برأيهم في الاقتراح اذا رأوه مما يستحق الذكر . ونتمنى من قراء المجلة الفضلاء الذين لهم اليد الطولى في هذه المسائل ان يبدوا ملاحظاتهم وتعاليمهم فباصطدام الآراء لنجلي الحقيقة ، وربما نتوفق في سعيينا الى ترويج درس الآداب العربية الحاضرة ويكون في ذلك امتزاج همة الشرق وتجاريب الغرب المؤدي الى نهضة العرب العلمية الأدبية التي هي ضالتنا .

كُتب في أسكي قريم : ١ . كراتشكوفسكي

عضو المجمع العلمي العربي

الفيلسوف الفارسي الكبير

صدر الدين الشيرازي

— ٣ —

(احاطة الوجود وسعته) : وذهب الى سعة في وجود الواجب (اي الله) واحاطة معنوية نامة تشمل الكون باجمعه ولا يشذ عنه شيء وهذا الرأي يوضح مذهب صدر الدين في القوة المبدعة (اي الله) كما انه يوضح معنى وحدة الوجود .

قال في كتابه (شواهد الربوبية) الاشراق العاشر في انه جل اسمه كل الوجود قول اجمالي كل بسيط الحقيقة من جميع الوجوه فهو بوحده كل الاشياء والا لكان ذاته متحصل القوام من هوية امر ولا هوية امر ولو في العقل (قول تفصيلي) اذا قلنا لانسان يسلب عنه الفرس او الفرسية فليس هو من حيث هو انسان لا فرس والا لزم من تعقله تعقل ذلك السلب اذ ليس سلباً بحتاً بل سلب نحو من الوجود فكل مصداق لا يجاب سلب المحمول عنه لا يكون الا مركباً فان لك ان تحضر في الدمن صورته وصورة ذلك المحمول مواطاة او اشتقاقاً فنقايس بينهما وتسلب احدهما عن الآخر فما به الشيء هو هو غير مابه يصدق عليه انه ليس هو فاذا قلت زيد ليس بكتاب فلا يكون صورة زيد بما هي صورة زيد ليس بكتاب والا لكان زيد من حيث هو زيدا بحتاً بل لا بد وان يكون موضوع هذه القضية مركباً من صورة زيد وامر آخر به يكون مسلوباً عنه الكتابة من قوة او استعداد . فان الفعل المطلق لا يكون هو بعينه من حيث هو بالفعل عدم فعل آخر الا ان يكون فيه تركيب من فعل وقوة ولو في العقل بحسب تحليله الى مهية ووجود وامكان ووجوب واجب الوجود لما كان مجرد الوجود القائم بذاته من غير شائبة كثيرة اصلاً فلا يسلب عنه شيء من الاشياء لانه تمامها وتمام الشيء احق به واكد له من نفسه واليه الاشارة في قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (ما من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) فهو رابع الثلاثة وخامس الاربعة وسادس الخمسة لانه بوحداية

كل الاشياء وليس هو شيئاً من الاشياء لان وحدته ليست عددية من جنس وحدات الموجودات حتى يحصل من تكررها الاعداد بل وحدة حقيقية لا مكاني لها في الوجود ولهذا كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ولو قالوا ثالث اثنين لم يكونوا كفاراً . ومن الشواهد البينة على هذه الدعوى قوله تعالى (هو معكم اينما كنتم) فان هذه المعية ليست ممازجة ولا مداخلية ولا حلولاً ولا اتحاداً ولا معية في المرتبة وفي درجة الوجود ولا في الزمان ولا في الوضع تعالى عن ذلك علواً كبيراً هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . ونسب اليه هذا الرباعي :

مجموعة كونين باشين سبق كردهم تفحص ورقاً بعد ورق
حقاً كه نخوانديم ونديديم دراو جز ذات حق وشئون ذاتيه حتى
اي تصفحننا صفحات الوجود ورقاً بعد ورق حقاً ما تلونا وما رأينا فيها الا ذات الحق
تعالى وشؤون ذاته الحق .

ونسب اليه هذا البيت ايضاً :

وما الناس في التمثال الا كتلعة وانت لها الماء الذي فيه ^(١) تابع
وهذا الرأي ايضاً يشبه مذهب (باسكال) السابق الذكر ^(٢) .

وهذا المذهب كذهب الماديين وان في المادة مبدأ مديراً هو الله وان عنصر النظام الذي نعثر عليه في نواحي المادة هو الله ويشعر بل ينص بقدم المادة وازليتها لان المبدع ليس منفصلاً عنه وان كان ارتباطه بطريق مجهول . بقي شيء : ولفرق بين المذهبين صدر الدين ووحدة الوجود ومذهب الماديين وهو ان الماديين ينكرون الشعور العام المسمى بالعلم وينكرون وجود الغاية والحكمة في خلق الكون واجزاء العالم ونواميسه الجارية ولكن صدر الدين يثبت العلم والغاية في كليهما في الوجود .

(مذهب صدر الدين في علم الباري تعالى) : من اعوص مسائل اللاهوت التي شغلت حيزاً من افكار الفلاسفة من اقدم عصور الفلسفة هي مسألة علم الباري (الله) اضطربت

(١) وجدنا البيت بنصه المنقول ولكن ضمير التذكير لا يستقيم الا بارجاعه الى التمثال .

(٢) ولد باسكال في كليرمون في ١٨ يونيو سنة ١٦٢٣ م وتوفي سنة ١٦٦٢ م .

فيه الآراء واختلفت المذاهب حتى بلغ أصول المذاهب الفلسفية في العلم الى ثمانية اقوال وآراء لان علم الواجب على المبادي الفلسفية لا يقاس بعلم الممكن ولما فكر صدر الدين في مذاهب الفلاسفة المتقدمين في العلم فوجدما لا تزج النقاب عن وجه الحقيقة كما يريد - سلك مسلكاً في العلم يتصل الى مسلك وحدة الوجود ولكن المعسر لم يكن يسمح له بالتصريح به خوفاً من الاضطهاد الديني ذكر (١) مذاهب المشائين والبي نصر وابن سينا وبهمينار (٢) مذهب الاشراقين والسهروري صاحب حكمة الاشراق (٣) مذهب المعتزلة (٤) مذهب فرفوربوس وقال ان لكل من هذه المذاهب الاربعة وجهاً صحيحاً لعلمه التفصيلي وقال ولا الذ تراحت اليه قلوب المتأخرين من العلم الاجمالي .

بل كما علمنا الله سبحانه بطريق اختصاصي سو . هذه الطرق المذكورة ولا ارى في التنبص عليه مصلحة لغرضه وعسر ادراكه على اكثر الافهام ولكنني اشير اليه اشارة يهتدي بها اليه من وفق له وهو ان ذاته في مرتبة ذاته مظهر لجميع صفاته واسماؤه كلها وهو ايضا مجلدة يرى بها وفيها صور جميع الممكنات من غير طول ولا اتحد اذ الحلول يقضي وجود شيتين لكل منهما وجود بغير وجود صاحبه والاتحاد يستدعي ثبوت امرين يشتركان في وجود واحد ينسب ذلك الوجود الى كل منهما بالذات وهناك ليس كذلك كما اشيرنا اليه بل ذاته بمنزلة مرآة ترى فيها صور الموجودات كلها وليس وجود المرآة وجود ما يترأى فيها اصلاً (اشارة تمثيلية) واعلم ان امر المرآة عجيب وقد خلقها الله عبرة للناظرين وذلك ان ما يظهر فيه ويترأى من الصور ليست هي بعينها الاشخاص الخارجية كما ذهب اليه الرياضيون القائلون بخروج الشعاع ولا هي صور منطبعة فيها كما اختاره الطبيعيون ولا هي موجودات عالم المثال كما زعمه الاشراقيون فان كلا من هذه الوجوه الثلاثة مقدوح مردود بوجوه من القدح والرد كما هو مشروح في كتب الحكماء بل الصواب ما اهتمدنا اليه بنور الاعلام الرباني الخاص وهو ان تلك الصور موجودة لا بالذات بل بالعرض بتبعية وجود الاشخاص المقترنة بحسب وصفه صقيل على شرائط مخصوصة فوجودها في الخارج وجود الحكاية بما هي حكاية وهكذا يكون وجود الميات والطبائع الكلية عندنا في الخارج فالحكي الطبيعي اي الماهية من حيث هي موجودة بالعرض

لانه حكاية الوجود ليس معدوماً مطلقاً كما عليه المتشكون ولا موجوداً أصلياً كما عليه الحكماء بل له وجود ظلي الخ .

« ايضاح هذا المطلب يتم بعدة مقدمات »

(الاولى) ان علم الباري يمثل بعلم النفس بذاتها فان العلم والمعلوم هناك واحد فالنفس عالمة ومعلومة والعالم ايضاً قائم بها .

(الثانية) ان وجود الباري ببساطته لا يشاب بعدم ونقص وله كمال لانهائي فارفع درجات العلم واكملها موجود هناك ولا يشوبه غيبة شيء ولا صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اذ لو بقي شيء من الاشياء ولم يكن ذلك العلم علماً به لم يكن صرف حقيقة العلم بل علماً بوجه وجهه آخر وصرف حقيقة الشيء لا تمتزج بغيره والا لم يخرج جميعه من القوة الى الفعل (اية لم يبلغ حد الكمال وهو خلاف الفرض) وعلمه راجع الى وجوده فكما ان وجوده لا يشاب بعدم ونقص فكذلك علمه الذي هو حضور ذاته لا يشاب بغيبة شيء من الاشياء على انه تعالى محقق الحقائق ومشيء الاشياء فحضور ذاته تعالى حضور كل شيء .

(٣) الثالثة ان مثل الواجب الباري كمثل المرأة ومثل الموجودات الممكنات كمثل الصور المرئية فيها المنطبعة على صفحاتها بواسطة اسبابها من محاذاة ذي الصورة لها ووجود النور وغيرهما فالصورة مرئية فيها وبها ولكن كيفية انطباعها وظهورها مجهولة لنا فذلك الموجودات تظهر في وجه الله وقيامها وظهورها يكون به تعالى فالطبائع الكلية لها وجود ظلي لولا وجود الباري لم يكن لها ظهور كما انه لولا المرأة لم يكن للصور ظهور ووجود . فنحن نبصر الصور في المرأة ولا نعلم كيفية انطباعها فكذلك نرى الموجودات وهي قائمة به تعالى ولكن لا ندري ما هو الوجود الحق الواجب .

(٤) الرابعة فهو عالم بذاته وعلمه هو حضور الذات فنحن اذا فرضنا ان المرأة شعرت بذاتها المنطبعة فيها الصور يكون المثل أقرب الى المقصود . فالوجود اللانهائي عالم بالوجود كافة هذه نهاية ما يصور ويدرك من فلسفة صدر الدين في العلم فهمه من جملة كلامه المستور بسنائر النقية . ثم هذا العلم يتعلق بعلمه المتعلق بالايحاد .

ماهية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشبح ذهني لرؤيته في الخارج وظل له .

(مذهب صدر الدين في الحكمة في اجزاء الكون والقصد من وجودها) : من المسائل الفلسفية الغامضة التي تخير فيها كبار الفلاسفة مسألة وجود القصد والحكمة في تكون العالم (يقول صدر الدين) : زعم ايندقلس (انبساطقلس) ان تكون الاجرام الاسطقسية بالانفاق وذهب ذيقراطيس ومن تبعه ان العالم وجد بالانفاق وان لم يكن تكون الحيوان والنبات بالانفاق .

يقول الثاني ان مبادي العالم اجرام صغار لا تميزاً لصلابتها وهي مبثوثة في خلاء غير منتهي وهي متشكلة الطبائع مختلفة الاشكال دائمة الحركة فانفق ان تصادمت منها جملة واجتمعت على هيئة مخصوصة فتكون منها هذا العالم .

ويقول الاول ان تكون الاجرام الاسطقسية بالانفاق فما انفق ان لم يكن كذلك لم يبق واحتج بحجج منها ان الطبيعة لا روية لها فلا يعقل ان يكون فعلها لاجل غرض . ومنها ان الفساد والموت والتشويبات والزوائد ليست مقصودة مع ان لها نظاماً لا يتغير كاضدادها فعلم ان الجميع غير مقصود للطبيعة فان نظام الذبول وان كان على عكس النشو والنمو لكن له كعكسه نظام لا يتغير ونهج لا يميل ولما كان نظام الذبول ضرورة المادة من دون ان يكون مقصوداً للطبيعة فلا جرم يحكم بان نظام النشو والنمو ايضا بسبب ضرورة المادة بلا قصد وداعية للطبيعة وهذا كالمطر الذي نعلم جزماً انه كائن لضرورة المادة اذ الشمس اذا تبخرت الماء فخلص البخار الى الجو البارد فلما صار ماءً ثقيلاً فنزل ضرورة فانفق ان يقع في مصالح فيظن ان الامطار مقصودة لتلك المصالح وليس كذلك بل لضرورة المادة .

ومنها ان الطبيعة الواحدة تفعل افعالاً مختلفة مثل الحرارة فانها تحل الشمع وتقد الملح وتسود وجه القصار وتبيض وجه الثوب فهذه حجج القائلين بالانفاق .

وضع صدر الدين اولاً مقدمة في دحض حجج هذا المذهب مفادها ان الامور الممكنة على اربعة اقسام (١) الدائم وهو يوجد بعلمته ولا يعارضه معارض حركة المنظومة الشمسية . ثانياً (٢) والاكثرى وهو قد يعارضه كالناس في اكثر الامر تحرق الحطب وهو يتم بشرط عدم المعارض سواء أ كان طبيعياً او ارادياً فان الارادة مع التصميم ونهيه للحرارة وعدم مانع للحرارة وناقض للبرودة وامكان الوصول الى المطلوب فبين انه يستحيل ان

لا يوصل اليه ٠ (٣) ما يحصل بالتساوي كقعود زيد وقياحه ٠ (٤) ما يحصل نادراً او على الأقل كتحوتن اصبع زائدة اما ما يكون على الدوام او على الاكثر فوجودهما لا يكون بالاتفاق لان الاتفاق معناه ان لا يخضع الشيء للنظام المستمر او الاكثر والثالث والرابع قد يكونان باعتبارهما واجبا اي خاضعا لناموس لا يتغير مثل ان يشترط ان المادة في تحوتن كف الجنين فضلت عن المصروف عنها الى الاصابع الخمس والقوة الفاعلة صادفت استعداداً تاماً في مادة طبيعية فيجب ان يتخلى اصبع زائدة فعند هذه الشروط يجب تحوتن الاصبع الزائدة ويكون ذلك ايضاً من باب الدائم بالنسبة الى هذه الطبيعة الجزئية وان كان نادراً قليلاً بالقياس الى سائر افراد النوع فاذا حقق الامر في تحوتن الامر الأقل انه دائم بشروطه وأسبابه ففي ضرورة المساوي اكثر يا اودائماً بملاحظة شروطه وأسبابه لم يبق رتبة فالامور الموجودة بالاتفاق انما هي بالاتفاق عند الجاهل بأسبابها وعلاها واما بالقياس الى مسبب الاسباب والاسباب المكتشفة فلم يكن شيء من الموجودات انفاقاً كما وقع في السنة الحكماء الاشياء كلها عند الاوائل واجبات فلو أحاط الانسان بجميع الاسباب والعلل حتى لم يشذ عن علمه شيء لم يكن عنده شيء موجوداً بالاتفاق فان عثر حافر بئر على كنز فهو بالقياس الى الجاهل بالاسباب التي ساقط الحاسر الى الكثر اتفاق واما بالقياس الى من أحاط بالاسباب المؤدية اليه ليس بالاتفاق بل بالوجوب فقد ثبت ان الاسباب الانفاقية حيث يكون لاجل شيء الا انها أسباب فاعلية بالعرض والغايات غايات بالعرض وربما يتأدى السبب الانفاقي الى غايته الذاتية كالحجر الهابط اذا شج ثم هبط الى مهبطة الذي هو الغاية الذاتية وربما لا يتأدى الى غايته الذاتية بل اقتصر على الانفاقي كالحجر الهابط اذا شج ووقف في الاول يسمى بالقياس الى الغاية الطبيعية سبباً ذاتياً وبالقياس الى الغاية العرضية سبباً انفاقياً وفي الثاني يسمى بالقياس الى الغاية الذاتية باطلاً فاذا تحقق ذلك فقد علم ان الاتفاق غاية عرضية لامر طبيعي او ارادي او قسري ينشئ الى طبيعة او ارادة فتكون الطبيعة والارادة أقدم من الاتفاق لذاتيهما فما لم يكن اولاً امور طبيعية او ارادية لم يقع اتفاقاً فالامور الطبيعية والارادية متوجهة نحو غايات بالذات والاتفاق طارئ عليها اذا قبس اليها من حيث ان الامر الكائن في نفسه غير متوقع عنها اذ ليس دائماً ولا اكثر بياً لكن يلزم ان يكون من شأنها التأدية اليها ثم اخذ في

دحض جميع الاتفاقي على التفصيل : دحض الحجة الاولى بان الطبيعة اذا عدمت الروية ولا يستلزم او يوجب ان يكون الفعل الصادر عنها غير متوجه الى غاية فان الروية لا يجعل الفعل ذا غاية بل انما يتميز الفعل الذي يختار ويعينه من بين افعال يجوز اختيارها . ثم يكون لكل فعل من تلك الافعال غاية مخصوصة يلزم تأدي ذلك الفعل اليها لذاته لا يجعل جاعل حتى لو قدر كون النفس مسئلة عن اختلاف الدواعي والصوارف لكان يصدر عن الناس فعل على نهج واحد من غير روية كما في الآلة كفات الافلاك سليمة عن البواعث والعوارض المختلفة فلا جرم ان تكون افعالها على نهج واحد من غير روية ومما يؤيد ذلك ان نفس الروية فعل ذو غاية وهي لا تحتاج الى روية أخرى .

وايضاً ان الصناعات لا شبهة في تحقيق غايات لها ثم اذا صارت ملكة لم يمتنع في استعمالها الى الروية بل ربما تكون مانعة كالكتاب الماهر لا يروي في كل حرف وكذا العواد الماهر لا يفكر في كل نقرة . واذا روي الكاتب في كتبه حرفاً والعواد في نقره يتبدل في صناعته فللطبيعة غايات بلا قصد وروية .

ودحض الحجة الثانية بان الفساد في هذه الكائنات تارة لعدم كمالها وتارة لحصول موانع وارادات خارجة عن مجرى الطبيعة . اما الاعدام فليس من شرط كون الطبيعة متوجهة الى غاية ان تبلغ اليها فالموت والفساد والذبول كل ذلك لتصور الطبيعة عن البلوغ الى الغاية (وما هنا سر ليس هذا المشهد موضع بيانه) واما نظام الذبول هو ايضاً متأد الى غاية وذلك لان له سببين احدهما بالذات وهو الحرارة والآخر بالعرض وهو الطبيعة وكل منهما غاية فالحرارة غايتها تحليل الرطوبات فتسوق المادة اليه وتقيسها على النظام وذلك للحرارة بالذات والطبيعة التي في البدن غايتها حفظ البدن ما امكن بامداد بعد امداد ولكن كل مدد تال يكون الاستمداد منه اقل من المدد الاول . فيكون نقصان الامداد سبباً لنظام الذبول بالعرض والتحليل سبباً بالذات للذبول وفعل كل واحد منهما متوجه الى غاية ثم ان الموت وان لم يكن غاية بالقياس الى بدن جزئي فهو غاية بالقياس الى نظام واجب لما أعدت للنفس من الحياة السرمدية وكذا ضعف البدن وذبوله لما يتبعها من رياضات النفس وكسر قواها البدنية التي بسببها تستعد للآخر على ما يعرف في علم النفس . واما الزيادات فهي كائنة لغاية ما فان المادة اذا فضلت افادتها الطبيعة

الصورة التي تستحقها ولا يعطى لها كما علمت فيكون فعل الطبيعة فيها بالغاية وان لم يكن .
غاية للبدن بمجموعه ونحن لم ندع ان كل غاية لطبيعة يجب ان يكون غاية لغيرها . واما
ما نقل في المطر فممنوع بل السبب فيه أوضاع مماوئة تلحقها قوايل واستعدادات ارضية
للنظام الكلي وانفتاح الخيرات ونزول البركات فهي أسباب الآهية لها غايات دائمة او أكثرهبة
في الطبيعة .

ودحض الثالثة بان القوة المحركة لها غاية واحدة هي احوالة المحترق الى مشاكلة جوهرها
واما سائر الافاعيل كالعقيد والحل والنسويد والتبييض وغيرها فانما هي توابع ضرورية
وستعلم اقسام الضروري الذي هو احدى الغايات بالعرض .

وقد ذكر في كتاب الشفاء ابطال مذهب اناذوقلس ببيانات مبنية على المشاهدات
وشواهد موضحة . ولذلك حمل بعضهم كلامه في البحث والانفاق على انه من الرموز والتجوزات
او انه مخنلق عليه لدلالة ما تصفه ووجده من كلامه على قوة سلوكه وعلو قدره في العلوم
ومن جملة تلك الدلائل الواضحة ان البقعة الواحدة اذا سقطت فيها حبة برّ وحبة شعير
أنبت البرّ برّاً والشعير شعيراً فعلم ان صيرورة جزء من الارض برّاً والآخر شعيراً لاجل
ان القوة الفاعلة تحركها الى تلك الصور للضرورة المادية لتشابهها ولو فرض ان اجزاء الارض
مختلفة فاختلفت ليس بالمادية الارضية بل لان قوة في الحبة افادت تلك الخاصية لتلك
الجزء الارضي فان كانت افادت تلك الخاصية لخاصية أخرى سابقة عليها لزم التسلسل
وان لم يكن كذلك كانت القوة المودعة في البرّة لذاتها متوجهة الى غاية معينة والافلة
لا ينبت الزيتون برّاً والبطيخ شعيراً ؟

(نظر بقية في حس المادة وعشق الهبولي) : اذا ألقيت نظرك في كتب الفلسفة
ألقيت بين الآراء الفلسفية المختلفة رأياً لبعض الفلاسفة القدماء وهو ان للهبولي شوقاً
الى الصورة وكان هذا الرأي مجملًا ومبهمًا لم يوضح المراد منه وناهيك ان مثل الشيخ الرئيس
ابن سينا الفيلسوف اعترف بأنه تعسر عليه فهم معنى شوق الهبولي الى الصورة ولذلك
كان هذا الرأي موضع شك وارتباب بينهم حتى تفرقت الفلاسفة فيه الى نافر .

احتج في نفيه بادلة لا تغني من الحق شيئاً وشاكراً لم تقنع نفسه بدليل النبي والاثبات
ومثبت آثار برهانه في اثباته ونحن نورد كلام الرئيس ابن سينا المتضمن لدليل النبي

وشكك فيه ايضاً لرأي صدر الدين قال ^(١) : وقد يذكر حال شوق الهيولي الى الصورة وتشبيهها بالانثى وتشبيه الصورة بالذكر وهذا شيء لست أفهمه . اما الشوق النفساني فلا يختلف في سلبه عن الهيولي . واما الشوق التخيري الطبيعي الذي يكون انبعثاته على سبيل الانسياق كما للحجر الى الاسفل ليستكمل بعد نقص له بعد في ابنه الطبيعي فهذا ايضاً بعيد عنها . ولقد كان يجوز ان يكون الهيولي مشتاقاً الى الصورة لو كان هناك خلو عن الصورة كلها او ملال صورة قارنتها او فقدان القناعة بما يحصل له من الصور المكتملة اياها نوعاً وكان لها ان تحرك بنفسها الى اكتساب الصورة كما للحجر في اكتساب الابن (الانتهاء خ ل) ان كان فيها قوة محركة وليست خالية عن الصور كلها ولا يليق بها الملل للصورة الحاصلة فتعمل في نقضها ورفضها فان حصول هذه الصورة ان كان موجباً للملل لنفس حصولها وجب ان لا يشناق اليها وان كانت لمدة طالت فيكون الشوق عارضاً لها بعد حين لا امراً في جوهرها ويكون هناك سبب يوجبها ولا يجوز ان يكون ايضاً غير قنعة بما يحصل بل مشتاقاً الى اجتماع الاضداد فيها فان هذا محال والمحال ربما ظن انه ينساق اليه الاشتياق النفساني واما الاشتياق التخيري فانما يكون الى غاية في الطبيعة المكتملة والغايات الطبيعية غير محالة ومع هذا فكيف يجوز ان يتحرك الهيولي الى الصورة وانما تأتياها الصورة الطارئة من سبب يبطل صورتها الموجودة لا لأنه يكتسبها بمركتها ولولم يجعل هذا الشوق الى الصورة المقومة التي هي كالات اولى بل الى الكالات الثانية اللاحقة لكان تصور معنى هذا الشوق من المتعذر فكيف وقد جعلوا ذلك شوقاً لها الى الصورة المقومة .

قال صدر الدين في اول كلامه ان رأي شوق الهيولي الى الصورة مبني على المكاشفات النورية والبراهين البقية بعد تصفية الباطن بالرياضات .

ثم قال بعد كلام الرئيس المذكور اني لاجل محافظتي على التأدب بالنسبة الى مشايخي في العلوم واساتيدي في معرفة الحقائق لست اجد رخصة من نفسي في كشف الحقيقة فيما اعترف مثل الشيخ الرئيس عظم الله قدره في الناشئين العقلية والمثالية بالبحر عن دركه

(١) في طبيعيات كتاب الشفاء .

والعسر في معرفته بل كنت رأيت السكوت عما سكت عنه اولى والاعتراف بالعجز عما عجز فيه لصعوبته وتعسره اخرى وان كان الامر عندي واضحاً ومنقحاً حتى افترح على بعض اخواني في الدين واصحابي في ابتغاء اليقين ان اوضح بيان الشوق الذي اثبتته افافهم الحكماء القدماء واكابر العرفاء من الاولياء في الجوهر الهولائي واكشف قناع الاجمال عما اشاروا اليه واستخرج كنوز الرموز فيما ستروه وافصل ما اجملوه واظهر ما كتموه من التوقان الطبيعي في القوة المادية فالزماني اسعافه لشدة اقتراحه والجاني في النجاح طلبته لقوة ارتياحه فاقول من الله التأييد والتسديد : انه لا بد من وضع اصول لتحقيق هذا المقام تمهيداً ونأصيلاً .

(١) ان الوجود حقيقة واحدة عينية ليس مجرد مفهوم ذهني ومعقول ثانوي كما زعمه المتأخرون وان الاختلاف في مراتبه وافراده ليس بامور فصلية او عرضية بل بنقدم وتأخر وكال ونقص وشدة وضعف وان صفاته الكيالية من العلم والقدرة والارادة هي عين ذاته لان حقيقة الوجود وسنجه وتجوهره مبدأ لسائر الكمالات الوجودية فاذا قوي الوجود في شيء من الموجود قوي معه جميع صفاته الكيالية واذا ضعف ضعفت .

(٢) ان حقيقة كل ماهية هي وجودها الخاص الذي يوجد به تلك المية على الاستنباع وان المحقق في الخارج والفائض عن العلة لكل شيء هو نحو وجوده . واما المسمى بالمية فهي انما توجد في الواقع وتصدر عن العلة لانداتها بل لاتحادها مع ما هو الموجود والمفاض بالذات عن السبب والاتحاد بين الماهية والوجود على نحو الاتحاد بين الحكاية والحكي والمرأة والمرئي فان ماهية كل شيء هي حكاية عقلية عنه وشيخ ذهني لرؤيته في الخارج وظل له .

(٣) ان الوجود على الاطلاق مؤثر ومعشوق ومشوق اليه واما الآفات والعاثات التي تترأى في بعض الموجودات فهي اما راجعة الى الاعدام والقصورات وضعف بعض الحقائق عن احتمال النحو الافضل من الوجود . واما انها ترجع الى التصادم بين نحوين من الوجود في الاشياء الواقعة في عالم التضايق والتصادم والتعارض والتضاد .

(٤) ان معني الشوق هو طلب كمال ما هو حاصل بوجهه وغير حاصل بوجهه فان العادم لامر مارأساً لا يشغفه ولا يطلبه اذ الشوق للمعسوم والمحض والطلب للجهول المطلق

مستحيل وكذا الواحد لا يمر ما لا يشافه ولا يطلبه لاستحالة تحصيل الحاصل انتهى .
وعلى مذهبه ان الوجود الكامل الذي لا نقص فيه هو الله وهو على ذلك لا يطلب شيئاً وينبغي ان يشناق اليه الوجود الذي احتمل بواسطة حوصلة ذواتها ووعاء وجوداتها مرتبة دون مرتبة الواجب اي مرتبة ناقصة وقال اذا تمهدت هذه الاركان والاصول فنقول اما اثبات الشوق في الهيولى الاولى فلان لها مرتبة من الوجود وحظاً من الكون كما اعترف الشيخ الرئيس وغيره من محصلي اتباع المشائين ومراتبها في الوجود مرتبة ضعيفة وعبرة عن قوة وجود الاشياء الفائضة عليها المتحدة بها اتحاد المادة بالصورة . وفي الوجود واتحاد الجنس بالفصل في المهية واذا كان لها نحو من الوجود وقد علم بحكم المقدمة الاولى ان سنخ الوجود واحد ومتمم مع العلم والارادة والقدرة من الكمالات اللازمة للوجود ابناً لتحقيقه وكيفاً لتحقيقه فيكون لها نحو من الشعور بالكمال شعوراً ضعيفاً على قدر ضعف وجودها الذي هو ذاتها وهويتها بحكم المقدمة الثانية فيكون لاجل شعورها بالوجود الناقص لها طالبة للوجود المطلق الكامل الذي هو مطلوب ومؤثر بالذات للجميع بحكم المقدمة الثالثة . ولما كان بحكم المقدمة الرابعة كل ما حصل له بعض الكمالات ولم يحصل له تمامه يكون مشتاقاً الى حصول ما يفقد منه شوقاً بازاء ما يحاذي ذلك المفقود وبطابقه وطالباً ان يتم ما يوجد فيه حصول ذلك التمام فيكون الهيولى في غاية الشوق الى ما يكمله ويتممه من الصور الطبيعية المحصلة اياها نوعاً خاصاً من الأنواع الطبيعية .
(ابضاح لهذا الرأي) : يتم وضوح هذا الرأي بان نذكر معنى الهيولى المستعمل في الفلسفة الاغريقية وهي لفظ يوناني معناه الاصل والمادة .

وعرفه الرئيس ابن سينا في رسالة الحدود بقوله : الهيولى المطلقة هي جوهر ووجوده بالفعل انما يحصل بقبول الصورة الجسمية بقوة فيسه قابلة للصور وقال ايضاً في حد المادة ان المادة قد يقال اسماً مرادفاً للهيولى وهي تطلق في الفلسفة الاغريقية والاسلامية على أصغر ذرة من المادة وهي التي يطلق عليها العلم الحديث بهيات او (اقوم) وهي الذرة الصغيرة التي لا تراها العين المجردة لصغرها . يقول ابن رشد الفيلسوف في كتابه ما بعد الطبيعة (الهيولى) الاولى غير مصورة والا لا تتحقق في عالم المادة لما لا صورة له ولذلك قال الرئيس في كلامه السابق لا خلوة لها من الصورة فاذا تحققت هذا فروح هذا المذهب

الفلسفي . ورأى صدر الدين ان ذرات المادة مطلقاً المعبر عنها بالهيولى ذات شعور وحس لان لها حظاً من الوجود والوجود نفسه كما تحقق في الاصل الاول الذي مهده صدر الدين له متحد مع العلم والارادة والقدرة ابنا ظهر في أصغر ذرة في المادة او اكبر جرم من الفلك فلها نحو من الشعور بالكمال كما صرح في كلامه . وهذا الرأي هو نفس رأي (جاجاديس بوز) العالم النيباتي الهندي في احساس الجماد والنبات وان المادة سواء اكان انساناً عاقلاً ام حديداً جامداً ام نباتاً او صخراً تحس .

اذا كشف بوز حس المادة بقوة جهازه (الكوسكوغراف) المغناطيسي الذي يجعل الحركات التي لا ترى بالعين المجردة اكثر وضوحاً يخمسين الف ضعف قوة جهاز دماغ هؤلاء الفلاسفة الذين ذهبوا بهذا المذهب وسعة فكرهم لا يقل عن قوة جهاز (بوز) والفضل بين فلاسفة الاسلام في اثارة برهان هذا الرأي لصدر الدين وهو الفيلسوف الاسلامي الوحيد الذي اطلع هذا النور في سماء العلم والعجب ان مبنى رأي العالمين صدر الدين وبوز شيء واحد يقول بوز في احدي محاضراته عندما شاهدت هذه المشاهدات وجربت ضروب التجارب المختلفة وفهمت حس المادة ورأيت فيها وحدة شاملة بنطوييه فيها كل شيء ورأيت كيف ان الذرة ترعش في موجات الضوء وكيف ان ارضنا تعج عجيباً بالحياة وتلك الشمس المتسعة التي تضيء فوقنا عندئذ ادر كنت قليلاً من مغزى تلك الرسالة التي بشر بها اسلامي منذ ثلاثين قرناً على شطوط نهر (الكنج) وهم اولئك الذين لا يرون في جميع الظواهر المتغيرة في هذا الكون سوى واحد فقط اولئك وحدهم يعرفون الحقيقة الازلية .

و يقول صدر الدين ان الوجود حقيقة واحدة والاختلاف بين افراده ومراتبه ليس بتمام الذات والحقيقة بل بنقدم وتأخر وشدة وضعف وكمال ونقص وان الصفات الكالية من العلم والقدرة والشعور والارادة عين ذاته .

فنصيب الوجود الضعيف وذرة المسادة من العلم والشعور والارادة على قدر وجوده ونصيبه من نفس الوجود .

(خاتمة في رأيه في العشق) : بحث في العشق وجمل عنوان البحث قوله فصل سيف ذكر عشق الظرفاء والفنيان للاوجه الحساب . وذكر اختلاف الآراء في حسنه وقبحه

وهل هو فضيلة أو رذيلة . ثم قال والذي يدل عليه النظر الدقيق والمنهج الانيق وملاحظة الامور عن أسبابها الكائنة ومبادئها العالية وغاياتها الحكيمية ان هذا العشق أعني الالتذاذ الشديد بحسن الصورة الجميلة المفرطة والمزج وجد فيه الشرائع اللطيفة والمناسبات الاعضاء وجودة التركيب لما كان موجوداً على نحو وجود الامور الطبيعية في نفوس اكثر الامم من غير تكلف وتصنع فهو لا محالة من جملة الاوضاع الالهية التي يترتب عليها المصالح والحكم فلا بد ان يكون مستحسنًا محموداً ولا سيما قد وقع من مبادئ فاضلة لاجل غايات شريفة . اما المبادي فلاننا نجد اكثر نفوس الامم التي لها تعليم العلوم الدقيقة والصنائع اللطيفة والآداب والرياضات مثل اهل فارس واهل العراق واهل (الشام) والروم وكل قوم فيهم العلوم الدقيقة والصنائع اللطيفة والآداب الحسنة غير خالية عن هذا العشق الذي منشؤه استحسان شرائع المحبوب ونحو لم نجد احداً ممن له قاب لطيف وطبع رقيق يذهن صاف ونفس رقيقة خالية عن هذه المحبة في اوقات عمره لكن وجدنا سائر النفوس الغليظة والقلوب القاسية والطبائع الجافية من الاكراد والزنج خالية عن هذا النوع من المحبة .

وقال وبما ان هذه الرغبة والمحبة مودعة نفوس اكثر العلماء والظرفاء فلا بد لها من غاية وجعل من غاية العشق تعليم الصبيان والعلمان العلوم الجزئية كالنحو واللغة والبيان والهندسة وغيرها والصنائع الدقيقة والآداب الحسنة والاشعار اللطيفة الموزونة والنغمات الطيبة وتهذيبهم بالاخلاق الفاضلة وسائر الكمالات النفسانية فهذا العشق بما فيه تكميل النفوس الناقصة وتهذيبها من فائدة حكيمية وغاية صحيحة لا بد ان يكون معدوداً من الفضائل والحسنات لا من الرذائل والسيئات .

وفي الانسان اثر جمال الله وجلاله واليه الاشارة في قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) وقوله تعالى (ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين) وقدم العشق بقسمين حقيقي ومجازي والاول هو محبة الله وصفاته وافعاله من حيث هي . والثاني ينقسم الى انساني وحيواني الثاني سببه فرط الشهوة الحيوانية ومبدؤه شهوة بدنية وطلب لذة بهيمية ويكون اكثر اعجابه بظاهر المعشوق ولونه واشكال اعضائه لانها امور بدنية وهو لا يعد فضيلة .

والادل سببه استحسان شمائل المحبوب المعشوق وجودة تركبته واعتدال مزاجه وحسن اخلاقه ونساسب حركاته وافعاله وغنجه ودلاله ومبدئه مشاكلة نفس العاشق والمعشوق في الجوهر ويكون اكثر اعجابه بشمائل المعشوق لانها آثار صادرة عن نفسه فهذا العشق يرقق القلب ويذكي الذهن وينبه النفس على ادراك الامور الشريفة وقال : ولاجل ذلك امر المشايخ (اسبغ الصوفية) مرادهم في الابتداء بالعشق وقيل العشق العفيف اولى سبب في تلطيف النفس وتذوير القلب وفي الاثر ان الله جميل يحب الجمال . ثم قال ينبغي استعمال هذه المحبة في اواسط السلوك العرفاني وفي حال تقريب النفس وتزجيها من نوم الغفلة ورقة الطبيعة .

وأما عند استكمال النفس بالعلوم الالهية وصيرورتها عقلاً بالفعل محيطه بالعلوم الفلكية ذات ملكة الاتصال بعالم القدس فلا ينبغي لها عند ذلك الاشتغال بعشق هذه الصورة المحسنة للحمية والشمائل اللطيفة البشرية لان مقامها صار ارفع من هذا المقام . وسرد الافوال في ان العشق هل هو فضيلة او رذيلة او مرض :

ثم قال ومنهم من قال ان العشق هو افراط الشوق الى الاتحاد واستجود هذا الرأي ثم قال ولما كانت العشق من آثار النفوس فالاتحاد بصير كما بينت في مباحث العقل والمعقول اتحاد النفس العاقلة بصورة العقل واتحاد النفس الحساسة بصورة المحسوس بالفعل فعلى هذا المعنى يصح صيرورة النفس العاشقة لشخص متحدة بصورة معشوقها وذلك بعد تكرير المشاهدات ولوارد الانظار (النظرات) وشدة الفكر والذكر في أشكاله وشمائله حتى نصير بمثابة حاضرة . مندرجة في ذات العاشق وهذا ما أوضحنا سبيله وحققنا طريقه .

وقال ابن العشق بالحقيقة هو الصورة الحاصلة وهي المعشوقة بالذات لا الامر الخارجي . وقال اذا تبين ووضع اتحاد العاقل بصورة المعقول واتحاد الجوهر الحساس بصورة المحسوس فقد صح اتحاد نفس العاشق بصورة معشوقه بحيث لم يفترق بعد ذلك الى حضور جسمه والاستفادة من شخصه كما قال الشاعر :

انا من أهوى ومن أهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرني أبصرته واذا أبصرته أبصرنا

وخصص قسماً من العشق وهو عشق الآله الذي هو العشق الحقيقي بالعلماء المتأهلين
المنفكرين في حقائق الوجود وهم المشار اليهم في قوله تعالى (يجهلون) .
وهناك نبض عرقه البانتيسمي وقال فانه في الحقيقة ما يجب الا نفسه لا غيره
فالمحب والمحبوب شيء واحد في الطرفين .

ونسب رضا قليخان هدايت هذا الرباعي اليه :

انان كه ره دوست گزيده ندمه در كوي شهادت ارميده ندمه
در معرکه دوكون فتح از عشق است هر چند سپاه او شهيد ندمه
حاصل معنی الرباعي ان الفتح في الشانين الدينوية والاخرية للعشق وان كان
جنده صريحا في معركة الغرام اه .
ابو عبد الله الزنجاني
عضو المجمع العلمي

(المجمع) اذا كان في هذه الرسالة غلط بعد العناية بتصحيحها فليس هو من الطابع
ولا من المؤلف بل من تليذ المؤلف الذي نسخ له اصول رسالته .

العلامة السيد مسعود الكواكبي



نسبه ونشأته — هو محمد مسعود أبو السعود ابن الشيخ أحمد بهائي بن محمد مسعود ابن الحاج عبد الرحمن ابن الحاج محمد بن محمد ابن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن يحيى بن محمد الشيخ أبي يحيى الكواكبي دفين الجامع المعروف به في محلة الجلوو الصغرى ابن برهان الدين إبراهيم بن علاء الدين علي ابن شيخ المشايخ والعارفين صدر الدين موسى الاردبيلي ابن الشيخ صفى الدين اسحاق الاردبيلي ابن الشيخ أمين الدين جبريل بن الشيخ صالح ابن الشيخ أبي بكر قطب الدين أحمد حيدر ابن الشيخ صلاح الدين رشيد ابن الشيخ محمد الحافظ ابن الشيخ عوض الخواص ابن الشيخ فيروز شاه البخاري ابن الشيخ محمد المهدي ابن بدر الدين حسن شرف شاه ابن أبي القاسم محمد بن ثابت بن

حسين بن احمد بن الامير داود بن علي بن الامام موسى الثاني ابن الامام ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين السبط ابن الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنهم . وآل الكواكبي قطنوا حلب منذ خمسة قرون وانجبوا اعلاماً في العلم والفضائل .

ولد السيد مسعود في الثلاثين من شعبان سنة احدى وثمانين ومائتين والـف وحفظ نحو النصف من القرآن العظيم وقرأ العلوم العربية والمنطق والفقه الحنفي على والده وعلى الشيخ محمد الكحيل والشيخ عبد القادر الحمصي وتعلم مبادئ التركية والرياضيات واللسان الفرنسي في المدرسة الرشدية الرسمية بحلب ثم استزاد من الفرنسية قراءة وكتابة على معلمين مخصوصين اكب على المطالعة فأكمل التركية وحصل من الفنون العصرية مثل الطبيعيات والهندسة والجغرافيا والتاريخ والهيئة على حظ وافر وتعلم الخط عند الشيخ محمد العريف في المدرسة الشرفية حينما كان يعلم فيها وبرع في انواعه الثلاثة وبالممارسة تعلم الخط الفارسي والديواني ثم سمى نفسه الى تعلم الخط العبراني والرومي والارمني .

وظائفه واعماله — كانت اول وظيفة وظف لها وظيفة معاون محرر المقاولات وذلك في ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٩٧ وفي غرة جمادى الثانية من سنة ١٣٠١ عين الى ترجمة محكمة التجارة . وفي ١٧ من المحرم من سنة ١٣٠٨ رقى الى رئاسة الكتاب فيها . وفي ١٣ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ طلب الى الاستانة وهناك اقترح عليه انشاء جريدة تدعى (استقامت) امر السلطان عبد الحميد الثاني باصدارها باللغةتين العربية والتركية لتدافع عن ادارته فذهب واجتهد في التوصل من هذا التكليف .

وفي ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣١٤ عين مرة ثانية الى رئاسة الكتاب في محكمة التجارة وبقي الى ٢ ربيع الاول سنة ١٣١٩ وعين عضواً في هيئة تدقيق المؤلفات في نظارة المعارف الى ان الغيت هذه الهيئة باعلان الدستور العثماني . وفي سنة ١٣٢٦ هـ صدر الامر بافتتاح مجلس النواب العثماني وكان المترجم في مقدمة من توجهت الانظار لانتخابه وذلك لما علم من قدرته وكفاءته واستقامته فانتخب نائباً عن الشهباء . وكان من اعضاء الحزب الحر المعتدل

ثم عند الغاء هذا الحزب وتأليف حزب الحرية واذائتلاف كان من اعضائه وصدر باسمه بضعة اعداد من جريدة للحزب دعيت (نقديرات) ثم القتها حكومة الاتحاد بين وبقي السنين الاربع التي هي الدورة الاولى : وفي ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ عين نقيباً لاشراف حلب وبقي فيها الى غاية جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ .

وعلى اثر خروج الدولة التركية من حلب وحدث محكمة الحقوق والجزاء فجعلنا محكمة واحدة وانتخب الى رئاستها فلم يقبلها ثم عين مديراً للاوقاف في ٢٩ محرم سنة ١٣٣٧ فبقي فيها عشرين يوماً واستعفى وكان اثناؤها قد انتخب الى رئاسة نادي العرب فبقي فيها نحو ستة اشهر ثم تجرد عن كل عمل .

وفي سنة ١٩٢٣م انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق وكان يمهّد اليه النظر في بعض الكتب المطبوعة التي ترد الى المجمع فيكتب عليها كتابة خبير بصير و يبين كثيراً مما وقع فيها من الاغلاط مما يدل على نضله من اللغة والادب . وفي شعبان سنة ١٣٤٠ اجتمعت جمعية من المفكرين فانخبته في اثني عشر للمداولة فيما يجب عمله اصلاحاً للعالة الوطنية فقرروا مطالب ثلاثة وكتبوها فوق عظيمها اهل الطبقة الاولى والثانية من الحلبيين وكان لها تأثير بتوحيد سورية بعد انفرقتها الى دول . وفي الشهر المذكور اجتمع كبار متولي الاوقاف واسسوا نقابة للتولين فانخبوا للهيئة الادارية . ولما تألفت حكومة الاتحاد في ذي الحجة من هذه السنة عين كاتماً لاسرار الرئاسة فبقي الى جمادى الثانية من سنة ١٣٤١ ثم تقلد عضوية محكمة التمييز في دمشق فقام باعبائها احسن قيام وقد جمع الى الاستقامة وشرف النفس دقة النظر وسرعة الخاطر وعلو الهمة ولم يزل في هذه الوظيفة الى ان صرف عنها بانقضاض محكمة التمييز باسمها وذلك في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٧ و ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٩ وعين قاضياً لحلب فابى ولزم بيته .

بعض صفاته العلمية — نولى مترجماً خطابة جامع اوغليك منذ سنة ١٣٠٥ ولم يكن مسلكه في الخطبة مسلك الجمهور من تلاوة بعض المواعظ المدونة المسجعة التي حفظها الناس بل كان في كل جمعة يختط في موضوع اجتماعي له مناسبة بما عليه الناس من عادة سبئية فلذلك كان المستمعون يلقون الى خطبته السمع .

وله كثيره شعر لطيف منسجم قليل التكلف فيه بعيد عن الالفاظ الغريبة يتوخى
 ان يفهمه العوام بسهولة وهو مجموع في ديوان . فن نظمه في مطلع قصيدة غزالية :
 قسماً بادعج مقلتيه وجفنته هذا هو السحر الحلال بعينيه
 ان كان من شأن الغزال نفوره فهل القتال يبرحف من شأنه
 ومنها : لاشي أثقل في الهوى من عاذل قد راح معتماً بما لم يعنه
 ومنها : هوليس يدري ما الهوى وانا الذي قد زدت في شرح الهوى عن مننه
 ان كان غيري عاصراً خمر الهوى فلقد سكرت بصرفه من دنه
 وله مطلع قصيدة حكيمية :

ما في زمانك من بحق ينطق فانظر اذا حدثت كيف نصدق
 ولقد فشا داء الخيانة في الملا حتى باورعهم غدا لا يوثق
 افوا الفسوق فان يروا ذا عفة تقموا عليه انه لا يفسق
 والفخر عندهم لمن هو ذو غنى ان كان ينفق منه او لا ينفق
 والناس ما لم تدعهم للملة ما فيهمو الا الحب المشفق
 فاذا دعوتهمو لخطب لم يجيد احداً كأن جميعهم لم يخلقوا
 من رمت منهم ان تبث بعقله نور الحقيقة قال هذا أحق
 وتراه ان حدثته بخرافة يهتز من طرب لها ويصفق
 كم من ظلوم ليس يقعه سوى عجز وما يسديه فهو تخلق
 فاذا تولى الامر أظهر خلقه وهناك أخلاق الرجال تحقق
 ولرب مفساق تراه صوبيلحاً فالسر في ان الصوبيلح علق
 ان رمت كشف السر فاملاً كيبسه وانظر أفسق بعد ام يتصدق
 وختامها كلا تراه يذم خلق رفاقه وانكل من ماء السفاهة قد سقوا
 وقال على أسلوب الصوفية من قصيدة :

افرحالي ما ازداد شوقي او ارا فتمام الوصال يوم أوارى
 كل حال ما زدوت فيه هياما انا منها استغفر استغفارا
 حالي في الغرام أعجب حال لبس بدعاً للعقل لي ان يحار

رام غيري عن أحب سلوا
انا أدعو لحبه كل فرد
عشق العاشقون ذاتاً رأوها
كما ازددت في المحبة قرباً
ورأيت السلوان عنه خساراً
واذا ما ضوأي شارك غاراً
وانا اليوم أشهد الآثاراً
زادني قربه جوى واستعاراً

وقال وقد اخذ منها شقيقه المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي سبعة أبيات تمثل بها في مطلع كتابه (أم القرى) :

دراك فمن يدنف لعمرك بدفن
دراك فاب الدين يزداد وهنه
هلم الى فرض التساوان انه
وان الذي الأسياف شادنه قبلكم
الى م نماشى الغروب فيما يشيننا
لقد شابنا نحن الحنيفين ملة
اذا كان نبذ الدين يدعى لفنتنا
ومها اجننوا منا خللاً حميدة
وكم خصلة للبعض زين ومدحة
وقد كان عاراً نزع ثوب وعمة
همو أمرفوا لكن بمشار ربهم
أنرجو واهل العلم أحلاس بيههم
وكان بعد العلم للصدر زينة
فكان له اهل بوفوف حقه
وما هات الا عندما هان نيله
مضى كان هذا العلم اراثاً وضحة
لقد ذل قوم خدمة العلم عندهم
وما نافع نوح متى قيل قد فني
وقد صار فرضاً رأب هذا التوهن
باءهماله اثم على كل مؤمن
هو اليوم لا يحتاج الا لألسن
حنانيك ان المرة عبد القرب
مفاسد ما يدعونه بالتمدت
فيا بشما يسري لنا من لفن
فخن سوى مفساهم ليس نخنني
وفي جنب بعض مطعن اي مطعن
فما القول ان نقفوهو بالتدين
ومن يفن رأس المال بفلس ويسجن
شفاء لدا قد عرا الدين مزمن
وما لا به اصلاح عيش ومسكن
يهدي وتلقين وحسن تلقن
وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
ومن لم يعاب العلم يلحد ويلحن
لناط بذى جهل لها غير محسن

والمترجم به تفسير القرآن الحكيم مكتوب بخط يده على هامش المصحف الشريف الذي

كان يقرأ به . وله مولد شريف في ١٥ صحيفة سماه المولد المسعودي طبعه في بيروت في المطبعة الاهلية سنة ١٣٣٦ .

وفاته وأخلاقه — ابتدأ به المرض بالتهاب امعاء بسيط لم يدم أكثر من ثلاثة ايام وشفي منه تماماً لكن نوبة جديدة أصابته في الدماغ على اثر التوعك والضعف الذي أصابه من التهاب المعى ، وهذه النوبة تدعى في الطب (نزيف دماغي) لبث فيها مغمى عليه لا حس به ولا حركة مدة اسبوع كامل ، ثم توفي ليلة الجمعة خامس عشر ربيع الثاني سنة ١٣٤٨ و ١٩ ايلول سنة ١٩٢٩ ودفن حسب وصيته في اقرب تربة من البيت الذي بقطنه وهي تربة نبي الله ذي الكفل عليه السلام في جبل قاسيون بصالحية دمشق .

كان رحمه الله مربوع القامة حنطي اللو . نحيف الجسم ازج الحاجبين اسود العينين تشفان عن زكاه مفرط وقلب زكي دمث الاخلاق كثير البشر عند الملاقاة متأنياً في اقواله وافعاله يأتيك بفصل الخطاب بعد ترو قليل محبوباً عند الجمهور من المسلمين وغيرهم لحسن سلوكه في كل عمل ولديه فلم تكن تطلق حربة الكلام والانتخاب للناس مرة الا وكان في مقدمة من يرشح وينتخب للعمل ولكن لما كان يعقب ذلك تسلط المتسلطين على حربة الناس وعلى المناصب كان ينسحب ولا يزاحم . وكان محباً للنفع العام لا بدع فرصة يؤمل منها خدمة البلاد الا انتهزها فمن ذلك يوم اعلان الدستور العثماني سنة ست وعشرين وثلاثمائة اذ كان في الاستانة فانه خاف من سوء تفسير الحوادث التي حدثت وعودها على الموضوع بالعكس فاسرع الى كتابة تفاصيل الوقائع في رسائل طويلة بعث بها الى بعض احبائه ولما رأيت ان فيها تهديئة للافكار جعلت اطبعها واذيعها على الناس في حلب فكان لها احسن وقع لما هو معهود في المترجم من صدق الحديث والوقوف على الحقائق واطمأن الناس اليها وانصح الكثيرون ممن لم يكونوا يعلمون ما هي الحرية فيظنونها شيئاً من الفوضى وخلع العذار . وكان رحمه الله متخلياً بالنقوى متمسكاً بالدين والصلاح صفة ذاتية له . وحسن المعاملة امر طبيعي فيه . لا ترى فيه شيئاً من العوج الذي عليه بعض ذوي المعرفة او مدعيها من اهل هذا العصر ، مبغضاً لمن كان على هذه الصفة مؤنباً له . يبدو انه لم يكن له من الجرأة الادبية ما كان لاخيه المرحوم السيد عبد الرحمن

وقد ايم على صمته في المجلس النيابي الذي كان انعقد في الاسنائة عدة سنوات فاعتذر عن ذلك باييات . وبالجملة فقد كان حسنة من حسنات الشهباء . ودرة فريدة في تاج البلاد الشامية كان له هدي السلف وعلم السلف والخلف وهو امام في القانون والشرية متمكن من الآداب العربية شهدت له موافقه في جلسات المجمع العلمي ومجلته وفي المجمع انبعثت قريحته العلمية كما انبعثت في محكمة التمييز تدقيقانه الشرعية والمدنية ولا عجب ان عظم الخطب به ونجح به عارفو فضله فقد كانت مثال العالم العامل متميزاً باخلاقه قليل المطامع زاهداً في الظهور رحمه الله عداد حسناته .

محمد راغب الطباخ
عضو المجمع العلمي

فصح وشوارد

راعت الارض وأرعت : كثر فيها المرعى . وأروت : كثر فيها شجر الرء .
 واروضت كثر فيها الرياض . وأحمضت : كثر فيها الحمض وهو ما ملح وامر من
 النبات وهو كفاكة الابل تأكله عند سأمها من الخلطة وهي ما حلا من النبات وهو
 كخبزها وهي متى شبت من الخلطة مالت الى الحمض فكأنها تنهم به .
 واخملت كثرتم خمائلها والخميلة هي الشجر الكثير الملتف حيث كان — والموضع
 الكثير الشجر .

وأعضت : كثر ععضها وهو ما صغر من شجر الشوك وقيل هو الطلح والعومج
 والسلم والسيال والسرحد والعرفط والسمر والشبهان والكنهيل .
 وأعضت : صارت عضمة اي كثيرة العضاء وهو كل شجر يعظم وله شوك وما صغر
 من شجر الشوك فهو العض .

وأشوك : كثر فيها الشوك . وغدرت : كثر فيها الغدر وهي الحجارة مع الشجر .
 وأنصت : كثر نصيبها وهو نبت سبط من افضل المراعي مادام رطباً فاذا ابيض فهو
 الطريفة فاذا ضخم وبس فهو الحلي .
 وكلاّت وكلاّت : كثر كلاّها ومثله استكلاّت .
 وأكأّت : كثر بها الكأ .

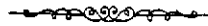
وغضيت : كثر فيها الغضا وهو شجر عظيم من الاثل واحدته غضاة وخشبه من
 اصلب الخشب ولهذا يكون في لحمه صلابة وهو حسن النار وجره يبق زماناً طويلاً
 لا ينطفي . وهو مكان مكلي وارض مكثمة ومكلاة وارض مقصاب ومقصبة .
 وبهجة . ومفواة اي كثيرة القوة . وثيقة اي كثيرة العشب موثوق بها .

ومغروء اي كثيرة المغاريد وهي ضرب من الكأة . وغضياء كثيرة الغضا .
 ومضللة كثيرة الصليان وهو نبات . وملازة كثيرة شجر اللوز . ومألاة كثيرة
 الألاء وهو شجر مر دائم الخضرة . وحليفة كثيرة الحلفاء وهو نبت أطرافه محددة كأنها
 أطراف سعف النخل والخص في مغايب الماء والتوزر الواحدة حلفة وقيل واحده

حلفاء . وطلح كثيرة الطلع . وحمضة كثيرة الحمض . ومسبطة كثيرة السبط وهو نبات كالذخن مرعى جيد . وخضرة كثيرة الخضرة واليخضور . ومبطخة كثيرة البطيخ . ومدلبة كثيرة الدلب وهو شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر . ومرمنة كثيرة الرمان . ومحاسة : صار النبات عليها كالحلس لكثرتة . ومخامة كثيرة الخلابة ليس فيها حمض . ومرطبة كثيرة الرطب اي العشب . وشجراء كثيرة الشجر وكذلك الشجرة . والشجيرة والشجرة . والثرء الكثيرة الثمر . ومثانة كثيرة اللبن . وغضياء كثيرة الغضا . ومذفورة : كثرت فيها البقول الذفراء . ومربال كثيرة الربل . ومشرسة ومشرسة كثيرة الشرس . ومجباء كثيرة الجباء . ومحش ومحشة ومحشة اي كثيرة الحشيش . وعاشبة وعشبية كثيرة العشب . ومنبات كثيرة النبات . وأركمة كثيرة الاراك . ومجازة كثيرة الجوز .

وقالوا أدبت الارض : كثردباها والدي الجراد والنمل الواحدة دابة . وأذابت صار فيها ذئاب . وأذبت : صارت ذات ذباب . وأفرشت : كثرفراشها . وضبت صارت مضبة . وبرغشت كثرفيها البرغوث . وبقت وبقت وأبقت كثربقها . وهي ارض محيطة اي ذات حيات . ومسبعة اي تكثرفيها السباع . ومدرجة كثرفيها طائر الدراج . ومذبة ذات أدباب . ومدباء ومدببة كثيرة الدبي . ومداكة ومدبكة كثيرة الديكة . ومذابة فيها ذئاب . وذبوبة ومذبة ومذبذبة ومذبة اي ذات ذباب . ومربعة ذات يرابع . ومرنبة ومورنبة كثيرة الارانب . ومنزرة كثيرة الزناوير . ومعقرة كثيرة العقارب .

النبيك : سالم خليل رزق



آراء وافكار

حاجة الحروف العربية الى الاصلاح

كل غيور على اللغة العربية يحس بالحاجة العظمى الى وجوب اصلاح حروفها التي اصبحت عقبة في سبيل ترقية اللغة وسبباً قوياً من اسباب انتشار الأمية بين ابنائها في عصر يقاس رقي اممه بعدد القارئین فيها وما ذلك الا لصعوبة تعلمها وانقائ ربط بعضها ببعض اضاف الى ذلك ما يحدثه لنوع تلك الحروف وعدم تناسبها وما توجبه قواعد الخط الفنية من تعدد حروف مطبعتها حتى تكاد تناهر الاربعمئة علاوة على ضخامة اجسام الحروف فان العادي منها وهو الذي تستعمله الجرائد لا يقل عن ١٨ بنطاً والمسبوك منها على جسم ١٢ بنطاً لا يكاد يقرأ بل لا يكاد يسلم السطر منه من غلطة مطبعية وهناك عقبات اخرى كثيرة لا يدركها الا من عانى صف الحروف كتعدد بيوت الصندوق واستحضار الحروف المركبة من حرفين وثلاثة لاثلاث قواعد الخط واختيار الحروف المختومة او المفتوحة حسبما تقتضيه الحروف التي تليها كما يقرره الخطاطون والمربون الفنيون الى ما لا يحصى من تعب على العامل وضياح وقت وزيادة سطور في الصفحات وبذلك لتكلف نفقات الطبع وترتفع اثمان الكتب عن مناول عامة الناس خصوصاً الطلبة والصغار الذين هم احوج الكل الى المطالعة لتغذية عقولهم وتثمية مداركهم كما انهم احوج الناس الى الاقتصاد لقلة ذات ايديهم . وما نقوله عن المطبعة ينطبق ايضاً على الآلة الكاتبة (تايبرايتير) بل هي اولى ان يعنى بها فالتايبرايتير العربية اليوم على ما بذل فيها من جهود وتحسين لا اهمية لها ولا يدفع الناس الى استعمالها الا التقليد والتخففة اذ لا فوائد جوهرية تترتب على استعمالها اكثر ما يقع فيها من الاغلاط للكاتبين المتوسطين في المهارة وهم الاكثر علاوة على قلة جمال حروفها لشذوذها عن قواعد الخط الجميل بسبب اضطرار صانعيها الى اختصارها وصنع حروفها متناسبة مع انها لا تناسب بطبيعتها . وثالثة الاثافي صعوبة التعلم فيها وكنا يعلم ان التلامذة بصرف نوت وقتاً غير قليل على تهجئة الحروف وربطها واملائها وفي ذلك ما فيه من ضياح وقت وتعب .

ولئن كان آباؤنا استطاعوا ان ينشروا الثقافة العربية ومن جملتها الحروف العربية في كثير من الامم التي اخضعوها فلأن السلطة كانت بايديهم ولأن حاجات تلك العصور لانقضي الاقتصاد في الوقت والمال كما يقضيها العصر الحالي ولان الناس كانوا يعنون بجمال الحروف أكثر مما يعنون بجمورها وفائدتها المعنوية ومن ذا الذي لا يبهره جمال الخط العربي الذي هو تحفة من التحف التي نتجلى فيها الاذواق الشرقية باجل مظاهرها ولكن الجلال شيء والمصلحة شيء آخر ومن الذي يؤثر الزوجة الجميلة الغاملة على العادية الصالحة الا اذا اتبع هواه وشهوته فهذا شيء آخر ، اما وقد تبدل الزمن ودانت دولتنا وذهبت السلطة من ايدينا واصبحت محكومين بعد ان كنا حاكمين فقد توفرت عوامل الضمحلل تلك الثقافة او التراث المقدس اذا لم نندارك النقص ونعالجه بحكمة واذا لم نستطع زيادة نشرها فلا اقل من ان ندافع عنها وندخل عليها الاصلاحات حتي تظل صالحة للبقاء ، وها قد كثر المثيرموت من ابناء اللغة نفسها فكيف بالاجني يا نري ؟ فالعاقل البصير يعذر الكالبين في تركهم الحروف العربية واستماضتهم عنها بالحروف اللاتينية وعذرهم انها لا تلائم الوقت الحاضر وهم يحاولون ان يعلموا الشعب التركي بأسره ولا سبيل الى ذلك لصعوبة الحروف وتعدد تراكيبها وهي حقيقة يجب ان نعترف بها ونحسب حسابها ونسعى الى تلافيا لثلاث نققد امة اخرى من الامم التي تستعمل الخط العربي وهناك امة اسلامية غير الترك اخذت تترك الحروف العربية شيئاً فشيئاً ولن يمضي قليل من الزمن حتى تنقرض الحروف العربية عندها ونحن لانعلم بها لبعدها عنا وهي امة الملايو فاكثر بنينا اليوم اخذوا يكتبون بالحروف اللاتينية لان الحكومة الهولندية تشجعهم على ذلك ولها دعاة في كافة انحاء البلاد ولهم في وضعية الحروف العربية حجة قوية لدعم آرائهم ونشر دعوتهم ولقد رأيت واحداً من الملايو يكتب بكليهما ولكنه يؤثر الحروف اللاتينية على العربية وعلمت منه ان الناشئة الجديدة كلها على شاكلته وقد قال لي لولا اضطرارهم الى درس القرآن لما كانت هناك حاجة الى تعلم الحروف العربية اصلاً ! فاذا كانت بركة القرآن حالت دون خروج الملايو عن عائلة الخط العربي فماذا يمنع وتلي السند الذين اخذوا يتركون خطهم العربي ويكتبون بخطهم السندي القديم المشتق من الحروف السنسكريتية للأسباب نفسها كما ان كثيراً من مسلمي الهند في داخلية الهند كبنارس وما جاورها يستعملون الحروف الباليندية المشتقة

من القلم السنسكريتي في لغتهم الاوردو وقلها الاصلي عربي ولهم في ذلك مطابع وجرائد حتى الكتب الدينية اخذوا يطبعونها بها ماعدا القرآن وبعض المنااسك والخط السنسكريتي وما اشتق منه جميل الوضع متناسب الحروف يدعو الى نفسه بنفسه ومع انه لا يخلو من تعقيد وزوائد لا فائدة منها ولكن طريقة تهجئته مثقنة جداً حتى ان المتعلم الاجنبي لا يجد في نفسه حاجة الى مراجعة معلم ما سيفي النطق بالكلمات بلا خطأ فلا شذوذ سيفي قواعده ولا تشابه بين حركاته فما عليه الا ان يقتبس من القواميس متى اتقن الكتابة والقراءة وقد يعترض على ذلك بان الحروف السنسكريتية انما هي السنين عدداً ولكن من المعلوم ان مخارج الحروف عند الهنود عديدة فبعض الحروف لها ثلاثة مخارج وكل يخرج حرف يرمز اليه حتى ان المسلمين اضطروا ان يضعوا عدة علامات او حروف سيفي اللغة الاوردو المكتوبة بالحروف العربية ولست اقصد تحييد الخط السنسكريتي ولكنني اخشى ان يكون مصدر خطر على الحروف العربية في الهند أم الملاحين من البشر وهو خط حي منتشر كثير الاستعمال مألوف يتعلمه اكثر المسلمين في الوقت الذي نرى فيه مجددي ايران يدعون الى العودة الى استعمال خطهم القديم الفهلوي الميت لبساطته وهذه الفكرة تكاد تملأ ادمغة الناشئة الايرانية ولولا سقوط الملك أمان الله خات كانت البلاد الافغانية اليوم أوفي القرب العاجل تحذو حذو الاتراك ، ولقد اسهبت سيفي الموضوع لأبين الخطر المحدق بالخط العربي وسوف يعود غرباً كما بدأ الى اهل هذا اذا لم يمين بحكام طائشين مقلدين او حكومات اجنبية مستعمرة كالحكومة الهولندية فهناك الطامة الكبرى والقضاء المبرم الهائل .

وكثير من الناس الآن يتصور ان في اصلاح الحروف مساماً لشعائر الدين ولو علم ان الخط الذي نستعمله الآن هو من استنباط الوزير ابن مقلة في القرن الرابع الهجري وان خطي الرقعة والتعليق لم يشنقا الا بعد ذلك بزمان لزال عنه ذلك الوهم واصلاح ابن مقلة سبقته عدة اصلاحات على يد ابي الاسود الدؤلي وغيره ومن منا اليوم يستطيع ان يقرأ خطوط القرون التي سبقت ابن مقلة وخاصة ما كان منها في صدر الاسلام وعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه سواء في ذلك القلم المشتق من النبطي او الكوفي ومع ان مطابعنا في الايام الاخيرة اخذت تستعمل الخط الكوفي احياناً ويستعمله بعض الصحافيين

والناشرين لعنوانات جرائدهم وكتبهم فلا تكاد تنتهجو الا بصعوبة وامعان نظر والانقلاب الذي احده ابن مقلة لم يعده علماء ذلك الوقت خروجاً على الدين والتقاليد القومية وهم اغير عليها منا الآن بل سرعان ما انتشرت قاعدته وطبقت العالم العربي برغم قلة وسائل الانتشار في ذلك الزمن وما ذلك الا لان الناس كانوا في حاجة عظيمة الى الكتابة السهلة البسيطة لارتفاع الدولة وكثرة الاعمال في الخاصة والعامة وكأني بهم كانوا يشعرون بنقص كتابتهم القديمة كما نشعر نحن الآن ويعانون نفس ما نعانيه ونحن لا نحاول ان نترك حروفنا العريضة والتي هي رمز من رموزنا القومية ومنحرة من مفاهيمنا بجملها الفني البديع ولكن هذا الجمال لا يكفي في عصر يتطلب السرعة والاقتصاد وما علينا الا ان نعيد عملية ابن مقلة بالتحويل والترتيب لنجعلها ملائمة للطبعة والآلة الكتابة ولنا ايضاً مطلق الحرية في استعمال حروفنا الحالية في المكاتبات والعنوانات . اما المطبعة فيجب ان تضاهي المطابع الاخرى لنتمكن من تجهيزها بالآلات اللينوتيب والمونوتيب المنتجة المفيدة او على الاقل تخفيض عدد الامهات في المسبك العربي فانا مثلاً نجد ان المائة كبلو من الحروف اللاتينية تكفي لترتيب صفحات عديدة من الكتاب او الجريدة بينما هي لا تكاد تكفي لما يوازي ربع مقدارها من الحروف العربية ويمكن ثلاثي ذلك بما يأتي . -

(١) جعل الحروف ٢٨ حرفاً بسيطاً ونسغني عن بقية الحروف .

(٢) ان يراعى تناسب الحروف في حجمها حتى نتمكن من سبكها على بنط ٩ و ٦ بوضوح وفي ذلك من الاقتصاد ما فيه .

(٣) نقش بعضها وسبكها بهيئة خاصة حتى يصلح لأوائل الكلمات بحروف الكايتال اللاتينية وجعل الحروف التي من جسم واحد بعضها اسود وبعضها عادي للعنوانات والاعلام وما شاكلها مما هو مصطلح عليه في المطابع الافرنجية .

واقرب الطرق الى تحقيق ذلك جعل الحروف مربعة الشكل ليسهل نقشها ونثنيها وتدقيقها وجعل امتدادها افقياً لا عمودياً ليتمكن سبكها على البنوط القليلة ومن المعلوم ان الحروف الحالية تتألف من متصلة اولى ووسطى واخيرة ، ومنفصلة فتكون لها اربعة اشكال فلنكتف منها بحروف اليمين وبعض الوسط الحالية ليتمكن وصلها بعضها ببعض من يمينها ويسارها بعد ان نجعل لها علامات تسبك على حدة لتمييزها في وضعياتها ويمكن فصلها بوضع

بارتد د د ژر ز س ش ص ض ك خ ع غ ف ق ل م ن و ه ي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ḥayy ḥayy ḥayy

المجمع العلمي العربي بدمشق الشام كتبناه هكذا :

المجمع العلمي العربي بدمشق الشام

الى ما وصلت اليه الالف قرون عديدة .

هذا اذا أردنا مجازاة عواطفنا والمحافظة على تقاليدنا واصلاح حروفنا بحيث يحفظ اصلها وتبقى على ترتيبها المعمول به حتى يتم انتشارها بسهولة ويتعود على قراءتها بعد قرن طفيف ولا تحتاج الى حكومة ننشرها بالمشائق ومحاكم الاستقلال في هذه الامة المتعددة الممالك والدول المتنازعة المختلفة والا فنهنا طريقة أخرى ان استعملت فلن يبق سيف الامة

العربية أمي واحد وهي وان كنا متى استعملناها نضج بعض نقاليدنا الأدبية ولكنها تحفظ أيضاً بجزء منها . فمالنا وللحروف اللاتينية المركبة العويصة وامامنا حروفنا البسيطة المألوفة منا أليس من الاصلح والانسب ان تكون الحروف تسعة فقط ! وعلاوة على ذلك فهي قابلة لان تكتب طردأً وعكساً اي من اليمين الى اليسار وبالعكس حسبما نريد ان نستخدمها . تسعة حروف ؟ نعم تسعة فكنا نعرف حساب الجمل ونعرف قيمة الحروف الانجليزية وما علينا الا ان نستبدل الحروف بالارقام بعد تحويل طفيف في وضعية الارقام وشكلها . ولكي تكون بسيطة سهلة وقابلة لان نقول حروفاً جميلة يجب ان نعتمد الى شكلها فيجعلها مربعاً وبذلك تكون متناسبة متراصة فترسمها هكذا : ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

٠ : : ٠ : : ٠ : : ٠ : : ٠ : : ٠ : : ٠ : : ٠ : :
لما هو عشرات و : للمئات و : للآلاف فتكون الألف ١ والياء ١٠ .
والقاف ١١ والغين ١٢ والياء ١٣ والكاف ١٤ والراء ١٥ والجيم ١٦ واللام ١٧
والشين ١٨ وهكذا الى ان تكون النقط الثلاث للغين فقط ويمكن ان نجعلها حرفاً قائماً بذاته مصطلحاً عليه . اما الارقام فيمكن ان نستعملها من نفس الحروف اذا خصصنا لها صفراً مربعاً متوسط الوضعية ١٠ ولتميزها نحصرها بين قوسين او نضع لها علامة أخرى ويمكن ان نرمز اسم المجمع من اليمين الى اليسار هكذا :

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠

١٢٣٤٥٦٧ ١٣٤٥٦٧ ١٤٥٦٧ ١٥٦٧ ١٦٧ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠

٥٥٦ (١٩٢٩) ٥١٣١٣١٣ سنة ١٩٢٩ ميلادية

سنة ١٣٤٨ هجرية ٥٥٦١٣١٣ (١٣٤٨) ٦٥٥٥

تسعة حروف وثلاثة للنقط وكفى ، ومما لا ريب ان التليذ الصغير والأمي الكبير في استطاعتهم ان يتعلموا هذه الحروف في ظرف اسبوع واحد وفي شهر على الاكثر والسته اشهر كافيه لتعلم ابلد البلاد ، وحينئذ يسهل اقتناء المطابع والآلات الكتابية

وبكثر سواد القراء وننشر الجرائد والمطبوعات لرخص أثمانها وتعم العلوم والمعارف وترثي المدارك . أقول هذا حسب اعتقادي ، وقد يكون مخيفاً مضحكاً ، وقد أكون مخطئاً من حيث لا أعلم ، والعصمة لله وحده .

(الدمام : القطيف خليج فارس) خالد بن محمد النرج

مطبوعات حديثة

خطط الشام

— الجزء السادس —

« للسيد محمد كرد علي »

تناول الاستاذ المؤلف في هذا الجزء من كتابه المتمتع هذه الموضوعات :
البيع والكنائس والديرة — المساجد والجوامع وفيهما ذكر للخلوات — المدارس —
الخوانق والربط والزوايا وفيها ذكر لمراقدة العظام — المستشفيات والبيمارستانات — دور
الآثار — دور الكتب — الاديان والمذاهب — الامادات والاخلاق . وعقب على ذلك
بفصل « استدراقات ونصوبيات » اودعه بعض ما فاته ذكره في الاجزاء السابقة ، وناقش
فيه بعض من اخذوا عليه في بعض ما اخذوه عليه .

وهذا الجزء حافل بالفوائد القيمة مما لا نقع عليه الا في المعالم الكبرى بل مما لا تثرى له
حتى في هذه المعالم مثلاً . اذ المعالم الاجنبية لانعنى بشؤوننا بما يشي حاجة الطالب ، والعربية
على قلتها لا تثرى فيها في هذه المباحث الخاصة — ما تثرى في هذا الكتاب من علم جم ،
واحصاء ع ، مجموعاً موباً في فصول مستقلة .

فانت في هذا الكتاب تعرف معظم ما في بلدك من مؤسسات دينية وعلمانية وتعرف
في كثير منها منشأها ومنشئها .

واذا شئت ان تستشهد على حضارتنا الغائرة بما انشأ آباؤنا الاولون من مستشفيات
ومدارس ، وجوامع وكنائس ، ودور للكتب والآثار ، الى غير ذلك من مقومات الحضارة

والعمران ، رأيت المادة التي تريد مجموعة منسقة متسلسلة . وعمل مثل هذا لا يستطيعه
الارجل فضى ما فضاء الاستاذ من بحث ومطالعة ونقيد ومدارسة .
وتشهد في فصل « العادات والاخلاق » صوراً تمثل لك نفوس اصحابها واخلاقهم .
وفي رأيي ، بل رأي كثير من صرخوا بهذا الفصل ان الاستاذ المؤلف في تصويره اخلاق
هذه الفئة من الناس ، وفيها وصفه عامة الصحافة والقائمين بها ، قد ابدع بما ليس بعده
غاية . فجاء هذا الفصل امير هذا الكتاب . وحبذا الاستاذ وهو يرد على من يرون
« السكوت عن المعايير حتى لا يبدو عوارنا لغيرنا » .

« وكتبت العلة مدرجة الى الهلكة . والتاريخ لا يكتب على الهوى . ولا يلى لارضاء
الناس . وما نخال منصفاً بصيراً الا ويمترف — وهو مثلكا جد آسف — ان ما اصاب
هذه الدبار من المصائب منذ عهد طويل لم يكن الا لسوء اخلاق من تولوا من ابتائنها
امرهما . وان من المستحيل بعد ان صرح الحق من محضه ، ان تؤلف الشام كياناً يذكر ونقوم
في ساحة الحضارة البشرية بعمل يشكر ولو اوتيت علم الجرمانيين واللاتنيين ، ورزقت غنى
الانكليز السكسونيين . مادامت اخلاق اهل الحل والعقد فيها لانعالج بالقويم . ولا يحاول
القضاء على مواطن الضعف من نفوسهم وعقولهم . فالساكت عن الحق شيطان اخرس
وصديقك من صدقك لا من صدقك .

فصلته لكن على عقلي فما مقياس عقلك كان لي معروفا
وهذا كلام حسن ، واحسن منه العمل به مع الكبير والصغير ، والحاكم والمحكوم ،
ولا سيما في مصلحة البلاد .
على اننا نأخذ على الاستاذ — وهو الذي يأبى الا ان ندلي برأينا الصريح وننقد
ما نحسبه محلاً للنقد — اشياء منها :

١ — انه استعان في بعض فصول كتابه بنفر من الفضلاء كتبوا في امور حسنها من
اختصاصهم ، فأثبت ما كتبوه على عجره وبجره ، وعلى بعده احياناً عن روح الموضوع .
وليس يرد على ذلك ان ما كتب انما كتب باسم صاحبه فاذا كانت تبعة ما كتب على
الكتاب ، فتبعة المؤلف في الانتخاب .

خذ لك مثلاً ما كتب في الادبان والمذاهب ، فلقد كتب احدهم عن اليهود كتابة

نُحصر في التزلف الى المسلمين، والتقرب منهم، واظهارهم .مظهر الصديق الحميم . وليس من مثل هذا ، تعرف حقيقة اليهودية ولا سر دينهم .

وكتب احد القساوسة عن الارثوذكسية بعبارة بليغة شائقة ، غير انه تجاوز في بعضها حد الاعتدال ، فرمى خصومه بمستهجن من القول وكان همه التشنيع عليهم في البحث عن سر الارثوذكسية .

ويبحث احد الابرآاء البسوعيين عن الكشلكة ببحث العالم ، على ما في هذا البحث من فلتات تمصب لا يميزها تاريخ مدني، وانتهى به البحث الى احصاء عجيب استوحاه من نزعات نفسه لامن سجلات النفوس الى غير ذلك من الشؤون التي « كتبت على الهوى وامليت لارضاء الناس » وهو ما نهى عنه الاستاذ في ما نقلناه عنه .

٢ — حبذا لو رجع المؤلف ايضاً في بعض عادات دمشق وحلب القديمة الى اصحاب ألسن المالكية من شهدوا هذه العادات او عرفوا شيئاً عنها كما فعل السيد عبد القادر القباي في ما كان كتبه عن عادات بيروت ، اذ ان اكثر ما جاء عن عادات هاتين المدينتين دمشق وحلب انما هو عن عادات اليوم لا العادات القديمة .

٣ — جاء في هذا الكتاب عسارات هي اقرب الى الترجمة او الى لغة دواوين الحكومة منها الى أسلوب الاستاذ السهل الممتنع . ووقع في ما كتبه بعضهم اغلاط في اللغة . الاملاء كان حقاً على الاستاذ ان يصححها لان الكتاب بالجملة كتابه .

٤ — ودنا وجمهوراً من اصدقاء الاستاذ لو انه أسقط الفصل الاخير الذي ترجم فيه نفسه . فلقد ظهر من خلال السطور بل من السطور نفسها انه أراد امرأ غير ترجمة نفسه وغير التاريخ .

هذا بعض ما بدا لنا . ونحن نشكر للاستاذ ان أحل كلانا السابقة في الاجزاء السابقة محل النظر ، فأورد شيئاً منها في فصل (الاستدراكات والتوصيات) وقد رد على بعضها رداً نترك امره للقاري .

وما نحن نثني على الاستاذ الرئيس مرة سادسة ، لما أسداه الى أئمة من الخدمة الصادقة في وضعه لما هذا السفر الجليل .

من اعضاء المجمع العلمي
عارف النكدي

اتحاد اعلام الناس

« بجمال اخبار حاضرة مكناس »

تأليف مولاي عبد الرحمن بن زبدان طبع بالمطبعة الوطنية بالرباط

سنة ١٣٤٧ — ١٩٢٩ ص ٤٧٠ الجزء الاول

هذا كتاب صادر عن مدينة من مدائن العلم الاسلامي في الغرب الاقصى يستر له طلاب البحث . فقد ضم فيه مؤلفه الاستاذ بعض ماله علاقة بممران هذه المدينة وتاريخها ورجالها فكانت يجيد الوصف عندما يتخلى عن السجع ويضع رونق الكلام اذا تشبث بالنسجيم وهو قليل . وتكثر الفوائد الملتقطة من تضاعيف صفحات هذه السفر فهو في الحقيقة تاريخ الغرب الاقصى السياسي والاجتماعي والادبي . وتاريخ الرجال هو تاريخ السياسة . وبهذا الكتاب عرفنا الحالة الاجتماعية والحركة الادبية في تلك البلاد العربية السحيقة . فالشكر للمؤلف الفاضل الذي نهج بكتابته نهجاً عصرياً في الجملة وحلاه برسوم بعض الرجال والاماكن والوثائق وقدمه الى مولاي السلطان محمد بن يوسف سلطان الغرب . وسيكون لهذا الكتاب الاثر النافع بعد اتمام طبعه من حيث معرفة من ظهوروا من الرجال كما كان لكتاب الاستقصا للسلاوي في كشف احوال تلك البلاد السياسية .

م . ك

الاعلام

« تأليف السيد خير الدين الزركلي الجزء الثالث طبع بالمطبعة العربية سنة »

« ١٣٤٧ — ١٩٢٩ وبه انتهى الكتاب فبلغت صفحاته كلها ١١٨٧ »

تسكننا مرنين في فائدة هذا الكتاب وسرعة مثاول تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام وذكرنا مبلغ عناية الاستاذ المؤلف بالتدقيق . وقد بدأ هذا الجزء بحرف الكاف وانتهى بالياء وفي تراجم بعض المشاهير اختصار زائد ونرجم لبعضهم من المعاصرين تراجم مطولة في الجملة وان كانوا لا يعدون في باب الاناج العلمي

الا على شيء من التجوز او التكلف . ويزين هذا السفر الدافع كما قلنا في الجزء من الاولين المعارضة بين التاريخ الميلادي والعجري وشكل الاسماء المشكلة من الاعلام والاشارة الى المطبوع او المخطوط من كتب المؤلفين . وهو مكتوب بسلاسة عرفت عن الاديب المؤلف نجاء كتابه تحفة لا يستغني عنها باحث يريد الوصول من اهل طريق الى الوقوف على احوال الرجال في الجملة . فالتشكر الجزيل للمؤلف على هذه الخدمة العلمية وعساه يوفق الى اصدار « المستدرک » لنتم به الفائدة .

م . ك

اهدا . مكتبة برمتها

سلم السيد ابو الخير الكزبري ادارة المجمع العلمي العربي مكتبة اخيه الاستاذ المرحوم الشيخ عبد الله الكزبري التي اوصى بها في حياته لدار الكتب الظاهرية وتبلغ (٤٠٠) مجلد وهي تشتمل على فنون متنوعة في التفسير والحديث واللغة والادب والتاريخ . منها مائة وخمسة عشر مجلداً مخطوطاً ومائتان وخمسة وثمانون مجلداً مطبوعاً ومن المخطوطات النفيسة خمسة عشر كتاباً منها ما هو محلي بالذهب والنقوش البديعة :

(١) جزء عم . بقلم حافظ عثمان الشهير محلي بالذهب وفواصل آياته بالذهب ايضاً
كتب سنة ١٠٥٤ .

(٢) مصحف شريف . بقلم محمد صادق محلي بالذهب ونفيس الجلد كتب سنة ١٢٨٢

(٣) أنعام شريف . محلي بالذهب بقلم احمد المعروف بنائلي ومموه جلده بالذهب

كتب سنة ١٢٠٤ .

(٤) أنعام شريف ايضاً محلي بالذهب بقلم محمد سليم سنة ١٢٠٥ .

(٥) آيات الشفاء مذهبة ونفيسة الخط بقلم محمد كاتب السراي السلطاني .

(٦) الحزب الاعظم . محلي بالذهب وفيه نقوش بديعة جداً كلها بالذهب .

(٧) مصحف شريف . محلي بالذهب بقلم مصطفى المعروف بحافظ القرآن سنة ١١٦٩

(٨) التفحات العنبرية سيفي وصف نعل خير البرية لاحمد بن محمد المقرئ صاحب

كتاب نفع الطيب كتب سنة ١٠٩٦ وهي نفيسة الخط جداً وفي هذه النسخة صورتان للنعل الشريف مذهبتان .

(٩) مجموع يشتمل على كتاب الرسالة للمحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المعروف بالدقاق الاصبهاني في ٥٨ صفحة بقطع صغير كتب سنة ٥٣٠ هجرية وعلى كتاب مننقى أبي النصر بن حنون في علم الحديث كتب سنة ٦٠٥ وعلى فوائد أبي بكر الدباجي في الحديث ايضاً كتب سنة ٥٩٧ .

(١٠) حكم ابن عطاء الله الاسكندري لاحمد بن احمد الفاسي المعروف بابن زروق عدد صفحانه (٦٦٠) وهو بخط محمد نقي الدين الدمشقي الشهير بابي شعر وشعير .

(١١) مجموع فيه ثبت عبد الرحمن الشهير بابن الصناديقي . والقول السديد الحري باسانيد شيخنا الكزيري جمع ولده الشيخ عبد الرحمن الكزيري سنة ١٢١٧ .

(١٢) المنظومة في الآداب . نظم احمد الكيواني .

(١٣) المصباح في النحوي للقطري كتيبت سنة ١٠٧٥ روى بليه كتاب الحدود للفاكي .

(١٤) سفر السعادة لابي طاهر محمد الفيروز ابادي الشيرازي (صاحب القاموس)

(ص ١٣٠) مقابل على نسخة المؤلف كتب سنة ٨٥٢ .

(١٥) مجموع فيه تراجم ابي المواهب الحنبلي واسماء شيوخ شمس الدين محمد بن علي الكامل و ثبت شمس الدين بن محمد الكزيري والقول السديد في انصال الاسانيد للنبيني .

فالمجمع العلمي يشكر ورثة المرحوم الشيخ عبد الله الكزيري وخاصة شقيقه الفاضل السيد ابا الخير على ما قاموا به من تنفيذ وصية فقيدهم المرحوم كما انه يدعو للفقيد بالرحمة والبرضوان وان يثيب ورثته عن العلم خير الثواب .

المجلد الثاني العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٣٠ م

الموافق رمضان سنة ١٣٤٨ هـ

١١٠

تصحيفات غربية

في معجمات اللغة

« فَهْمٌ وفوق وفوق ومقوس »

لم يفت علماء اللغة العربية من ابناء الشرق ان بعض الالفاظ المقيدة في المعاجم اصلها تحريف وتصحيف وقد بين ذلك ايضاً وأجاد في بيانه المستشرق المحترم الشهير الاستاذ اغناطيوس غوبدي (Guidi) في رسالة ايطالية نشرها قبل اثنين واربعين سنة في مجموعة الابحاث المقدمة للمؤتمر الدولي السابع للمستشرقين المنعقد بمدينة وينا سنة ١٨٨٦^(١) ومن المعلوم ايضاً ان بعض الكتبة لما شغفوا بغريب الالفاظ استخرجوا احياناً تلك التصحيفات من كتب اللغة واستعملوها في تأليفاتهم كأنها كلمات صحيحة . ومن هذا القبيل لفظ الفَهْم الذي اول من قيده في المعاجم العربية صاحب القاموس وشرحها بعبارات تدل على ان الكلمة جمع تصحيفين مختلفين كما سيظهر من مقالتي هذه الصغيرة ان شاء الله . جاء في تاج العروس من جواهر القاموس (ج ٤ ص ٣١٠) مانصه^(٢) :

« (الفَهْمُ كَهَمَّاس) اعمله الجماعة قال الدميري في حياة الحيوان هو (طائر

(١) I.Guidi, Alcune osservazioni di lessicografia araba, Verhandlungen des 7. Orientalisten - Congresses in Wien 1886, في semitische Sektion, Wien 1888, 83 - 88

(٢) ما بين هلالين لفظ القاموس .

عظيم بمنقاره اربعون ثقباً يصوت بكل الانغام والالحن العجيبة المطربة يأتي الى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء ويقعد بنوح على نفسه اربعين يوماً ويجمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون (بحسن صوته) ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فتندح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رماداً فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا في الشفاء) فالهدة عليه وقد ذكروه في شرح قوله (والذي حارت البرية فيه) بيت التلخيص وشرحه في المطول وحواشيه وكأنه سقط من نسخة شيخنا^(١) فنسب المصنف الى القصور وهو كما ترى ثابت في سائر النسخ وقال القزويني هو قرقيس^(٢) ثم ذكر قصته بمثل ما ذكرها الدميري^(٣) وزاد فاذا سقط المطر على ذلك الرماد نولد منه دود ثم انبت له اجنحة فيطير^(٤) طيراً فيفعل كعمل الاول من الحك والاحترق .

وفي مستدركات صاحب تاج العروس على مادة قوقس ما نصه (ج ٤ ص ٢٢٠ في الاسفل) :

(١) هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن موسى الفاسي المولود بفاس سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨-١٦٩٩ م) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ - ١٧٥٧ م) صاحب تأليف منها حاشية على القاموس ورحلة مهمة جداً وصف فيها سفره من فاس الى مكة ورجوعه الى فاس سنة ١١٣٩-١١٤٠ هـ (١٧٢٧-١٧٢٨ م) .
وقدمردت ترجمته وكتبه السيدة المستشرقة الايطالية (Laura Veccia Vaglieri) في مقالة عنوانها (Viaggio di un pellegrino attraverso la Libia nel secoli) (ج ١ سنة ١٩٢٤) أدرجت في مجلة (Rivista della Tripolitania) (ج ١ سنة ١٩٢٤ ص ١٣٥-١٣٨) وزدت انا على تلك الاخبار في مقالي (A proposito del viaggio di un pellegrino attraverso la Libia) في المجلة المذكورة (ج ١ سنة ١٩٢٥ ص ٣٧٥ - ٣٨١) .

(٢) لعله غلط مطبعي بدل قوقيس كما ورد في نص آخر من تاج العروس سأذكره عن قريب .

(٣) والصواب ان الدميري نقل قول القزويني . (٤) والصحيح « فيصير » .

« وقوقيس اسم طائر نقله القزويني وقد ذكره ^(١) في قفنس » (كذا بتقديم القاف وهو غلط مطبعي) .

اما نسب وصف القفنس الوارد في القاموس الى الدميري فسهو ظاهر من صاحب تاج العروس لان القفنس غير مذكور في كتاب حياة الحيوان الكبير ^(٢) وما قاله الدميري في قوقنس (او قوقيس كما جاء غلطاً في الطبقات) غير ذلك ومأخوذ من القزويني حرفياً كما قال الدميري نفسه . ونص القزويني ^(٣) هذا :

« قوقنش ^(٤) طائر يوجد بارض الهند قال صاحب تحفة الغرائب ^(٥) هذا الطائر عند التزاوج يجمع حطباً كثيراً للعش ثم لا يزال الذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى تذاجم النار من حكمهما في ذلك الحطب ويشتمل ويخترقان فيها فاذا وقع المطر على رمادهما

(١) أراد صاحب القاموس لا القزويني الذي لا ذكر للقفنس والقفنس في كتابه .
(٢) وعلى كل حال ولو كانت ذكر القفنس موجوداً في كلا الكتابين بكلام واحد لاستحال الفصل فيما هو الاصل منهما اذ المؤلفان معاصران فعاش الدميري من سنة ٧٤٥ الى ٨٠٨ هـ وعاش الفيروزبادي من سنة ٧٢٩ الى ٨١٧ .

(٣) El - Cazwini's Kosmographie herausgegeben von F. Wüstfeld, Göttingen 1849 (ج ١ ص ٤٢٣) . وفي الطبقات المصرية من كتاب عجائب المخلوقات (وهو القسم الاول من كتاب القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) اختلافات يسيرة جداً في الرواية لا تغير المعنى .

(٤) كذا في الطبعة الافرنجية وهو اصح من « قوقنس » الوارد في الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس في ثاني الموضعين المذكورين آنفاً . ويظهر ان الدميري نفسه كان قد كتب « قوقنس » بالنون لانه جعله بين القوق والقوقي في كتابه المرتب على ترتيب حروف الهجاء .

(٥) كثر ذكر هذا الكتاب في كلا قسمي كتاب القزويني ولكن بدون اسم مؤلفه الذي لا يزال مجهولاً لدينا . انظر في ذلك ما قاله G. Ferrand, Le Tuhfat al - Albab de Abu Hamid al - Andalusi al - Garnati, Paris 1925

ص ٢٤٠ — ٢٤١ (مستخرج من مجلة Journal Asiatique) .

يبقى^(١) الدود منه ثم يثبت لها جناح وتكبر فتصير قوقنشا^(٢) كما كانت اصله ثم يفعل ما فعل اصله .

اما المصراع المذكور في تاج العروس فن مرثية ابي العلاء المعري لفقيه حنفي مجهول الاسم . قال في البيتين السابقين للاخير^(٣) :

بان امر الاله واختلف النا س فداع الى ضلال وهاد
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

واختلف الشراح اختلافاً غريباً في شرح الثاني ومنهم من زعم ان المعني به آدم عليه السلام حيث خلق من التراب (وهو رأسه يوسف بن طاهر الخوي في شرح التنوير) ومنهم من زعم انه عصا موسى عليه السلام ومنهم من قال انه نافذة صالح ومنهم من اصاب وقال ان المراد المعاد الجسماني^(٤) . ثم اتخذ ابو يعقوب يوسف السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٩ هـ) البيت الثاني شاهداً ليكون المسند اليه موصولاً^(٥) واتخذ بهده الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في تلخيص المفناح شاهداً للتقديم المسند اليه فذهب بعض شراح التلخيص الى ان المراد في البيت الفففس . قال بهاء الدين احمد بن تاج الدين علي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ في عروس الافواح في شرح تلخيص المفناح ج ١ ص ٣٩٠ من طبعة مصر سنة ١٣٤٢ (وفي آخرها ١٣٤٥) : « وقيل معناه ان الله خلق طائراً في

(١) وفي الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « تولد » او « يتولد » وهو اصح . (٢) وفي الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « طيراً » . (٣) شرح التنوير على سقط الزند لابي العلاء المعري (ج ١ ص ٢١٧) من طبعني بولاق (١٢٨٦) ومصر (١٣٠٣ - ١٣٠٤) .

(٤) هذا رأي ابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ في شرحه لسقط الزند كما قيل في بعض شروح تلخيص المفناح . واليه ذهب ايضاً سعد الدين التفتازاني وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ في كتاب معاهد النصيب شرح شواهد التلخيص (ج ١ ص ٤٨) من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ وغيرهما . (٥) مفتاح العلوم للسكاكي طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ ص ٩٨ .

بلاد الهند اسمه ففئس بضرب به المثل في البياض وله منقار طويل وهو حسن الالوان بعيش الف سنة ثم يلهمه الله الموت فيجمع الحطب حواليه و يضرب بجناحه الحطب فتخرج نار فيشتعل فيحترق فيخلق الله من رماده بعد مدة مثله « . وقال محمد بن محمد عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ في حاشيته على شرح النفازاني المختصر لتلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٣ من الطبعة المذكورة :

« وقال بعضهم المراد به طائر بالهند يقال له الفئس بضرب به المثل في البياض له منقار طويل فيه ثلاثمائة وستون ثقبه على عدد ايام السنة اذا صوته يخرج من كل واحدة منها صوت حسن بعيش الف سنة واذا انتهى اجله وألهمه الله ذلك دخل عشه ونفخ فيه فيحدث في العش اصوات مطربة فيحترق العش بنار تحدث حينئذ ويحترق ذلك الطائر في العش حتى يصير رماداً ثم يخلق الله من ذلك الرماد بعد ثلاثة ايام ذلك الطائر مرة اخرى ثم اذا انتهى اجله فعل مثل ما فعل اولاً وهلم جرا » .^(١)

اما الذي جاء في القاموس ان هذا الطائر العجيب مذكور في كتاب الشفاء لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) فلا سبيل لي الى تحقيقه لانه لم يطبع من الشفاء الا قسم الالهيات وقسم الطبيعيات بطهران سنة ١٣٠٣ - ١٣٠٥ وما وجدت فيهما ذكر هذه الامور كما لم اجد في الترجمة اللاتينية لفرنس الحيوان من طبيعيات الشفاء وهي ترجمة عملها في ايطاليا ميخائيل الاسكوتي (Michael Scotus) بامر الانبراطور فرديريك الثاني الذي تولى الملك من سنة ١١٩٦ الى ١٢٥٠ م .

ومن الجدير بالذكر ان عجائب شبيهة بهذه نسبها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات الى العنقاء ايضاً فقال (ج ١ ص ٤٢٠ من طبعة غوتنبخ) :

« وذكروا ان عمر العنقاء الف وسبعمائة سنة و يتزوج اذا اتي عليه خمسمائة سنة فاذا حان وقت بهضها وجدت لذلك الماء شديداً فيأتى الذكر بماء البحر في منقاره ويحقنها به فيخرج البيض بسهولة فيخصن الذكر البيض والاثنى تمشي تصيد و يفرخ البيض بمائة

(١) انظر ايضاً مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ج ١ ص ٣٩٢) من الطبعة المذكورة وهو كتاب الفه ابن يعقوب المغربي بمكة سنة ١١٠٨ هـ .

وخمس وعشرين سنة فإذا كبر الفروخ فإن كان انثى فالعنعناء الانثى تجمع حطباً كثيراً والذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى يتوقد منه النار ويضرم فيه ذلك الحطب والانثى تدخل تحت النار حتى تجترق والفروخ يبقى زوج الذكر وإن كان الفروخ ذكراً فالعنعناء الذكر يفعل مثل ما فعل الانثى ويبقى الفروخ زوج الانثى .

اما المديري مع كثرة نقله عن القزويني ومع اطالة الكلام في العناء فلا يذكر ذلك
وعلى كل حال كانت هذه الروايات منتشرة في الشرق العربي في القرن الرابع للهجرة
(العاشرة للميلاد) لان ابا الحسن تبرهلول النسطوري قال في معجمه السرياني العربي ⁽¹⁾
المؤلف قبل سنة ١٠٠٠ م :

« (فونيكس) عقاء مغرب يحرق نفسها وتصير دودة ثم يتولد منها حيوان مثل الاول . (فونكوس) او (فونكس) طير يسمى فنفس (فونيكس) قيل يعملون من ريشه منديل فاذا اسخت بالقوتها في النار فتتظف وتنقى وهي تصلح للملك ^(٢) . . . (فونيكس) الوحيد

Lexicon syriacum auctore Hassano Bar Bahlule, ed, R. (1)

Duval, Pazisiis 1888 - 1896 عمود ١٥١٤ - ١٥١٥ . وعريبته كثيرة اللحن كما يظهر مما أنقله بدون تغيير لان اللحن صادر عن المؤلف لا عن نساخه . والكلمات الموضوعية بين هلالين سريانية مكتوبة بالحروف السريانية في الاصل .

(٢) الظاهر من هذا الوصف ان فونيكس بهذا المعنى لفظ مرادف للفظ الآخر السرياني سَلَمَنْدَرًا وهي ما يسمى في كتب العرب السَّمَنْدُر او السَّحْنَدُر والسَحْنَدُر او السَّحْمَنْدُل او السَّبْمَنْدُل نقول العرب انه طائر ببلاد الهند لا يحترق بالنار واذا انقطع نسله وهزم ألقى نفسه في البحر فيعود الى شبابه وزعموا ايضاً ان المنسوجات غير المؤثرة بالنار المحلوبة من اقصاي البلاد الاسيوية كانت من وبره اوريشه . والحقيقة ان كل هذه الألفاظ محرفة عن كلمة (salamandra) اليونانية (وهي ايضا لاتينية وايطالية وبالفرنسي salamandre) وهو نوع من الحردوز موجود باوربا كان القدماء يقولون انه لبرودة طبيعته يستطيع ان يجناز بالنار بدون احتراق . اما السريان والعرب فعند اخذهم ذكر (salamandra) من كتب اليونان ظنوا ان هذا الحيوان طائر بالهند

الذي لا يشبه احد . وايضاً (فونيكس) العنقاء وهي طير يحرق نفسه وهو كل خمسائة سنة اذا أراد ان يتجدد يحمل على جناحيه خشب الدارصيني ويعمله في مكان ويحرق نفسه عليه فيظهر منه نار تحرقه فيبقى رماداً فيصير من ذلك الرماد دودة ونلش و نصير فرّوج و يصير لها جناحات وبعد سبعة ايام نصير عنقاء كما كانت اولاً وتسمى ايضاً فنخس .

* * *

أخذت الفرس ايضاً عن العرب بعد الاسلام هذه الحكايات العجيبة وقالوا بالفارسي (قَفَنُوس) او (قَفَنُوس) « بقافين اولاهما مفتوحة وثانيتها ساكنة وبعدها نون مضمومة كما ضبط في المعجم الفارسي الشهير الموسوم ببرهان قاطع » او (قَفَنُوس) « بقافين ايضاً ثانياً بالضم كالنون التالية » او (قَفَنُوس) . وأطال الكلام في قفنس « بسكون القاف الثانية كما يتضح من الوزن » الشاعر الشهير فريد الدين عطار^(١) في منظومته الفارسية المزدوجة المشهورة في التصوف المسماة منطلق الطير^(٢) وقال ما هذا ملخصه :
يوجد في بلاد هندوستان القَفَنُوس^(٣) وهو طائر عجيب للغاية جميل جداً له منقار

(ومنهم من قال انه نوع من الفأر) ولما عرفوا المنسوجات المذكورة المعمولة من المعدن المشهور باسم حجر الفتيلة (amiante) ذهبوا الى ان مادتها ريش ذلك الطائر الموهوم والسياح الايطاليون الذين كشفوا البلاد الاسيوية في القرن الثالث عشر والرابع عشر راوا نل الخامس عشر لليلاد سمعوا من ابناء الشرق هذه العجائب عن طائر (smenda) .
(١) عاش في نيسابور واختلفوا في تاريخ وفاته والمرجح انه توفي سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩-١٢٣٠ م) .

Mantic uttair, ou le Langage des oiseaux' poème de phi^(٢) sophie religieuse de Farid uddin Attar, publié en persan par M. Garcin de Tassy, Paris 1857 في الباب السادس والعشرين والابيات ٢٢٩٥ — ٢٣٢٨ (وفي ص ١٢٦-١٢٧ من الترجمة الفرنسية المطبوعة بباريس سنة ١٨٦٣ م .
(٣) قفنس بالفارسي وقفنوس في الترجمة الهندوستانية لمنطق الطير .

طويل فيه نحو مائة ثقبه لكل منها صوت وفي كل صوت سرٌّ خاص . فإذا صوّت بانغامه تحركت الطيور والسمك وسكنت الوحوش طرباً . ولازم فيلسوف هذا الطير وتعلّم من صوته علم الموسيقى . وليس للققنُس أنثى فيعيش منفرداً وبطول عمره ألف سنة نقر بياً وهو يعرف وقت موته وعند قربه يجمع حواري نفسه اوراق مُنقَل و يصوت بالانغام الحزينة المطربة فيموت حينئذ حزناً كثير من الحيوانات . وفي أوقاته الاخيرة يحرك أجنحته وريشه فتسبب هذه الحركة ناراَ تحرق الخشب والطائر و يصيرهما رماداً الا انه عند انطفاء النار يقوم من الرماد ققنُس صغير .

واستدل فرید الدین عطار بهذه الحکایة علی استحالة الفرار من الموت مها كانت الحیل التي دبرها الانسان .

وحکایة فرید الدین عطار ادرجها میر علی شیر نوائی فی منظومته بلغة چغتای (ای التركية الشرقية) المسماة لسان الطیر واسم الطائر فیها ققنوس ^(١) .

یتضح عند التأمل فی هذه النصوص العربیة والفارسیة ان الققنُس والققنوس والقوقنش والقوقبیس وما اشبه ذلك فی الحقيقة شيء واحد وان اقوال العرب والفرس فیة ناشئة عن جمع شیعین مختلفین :

(١) الطائر النائي الكثير الوجود ببلاد اوربا المسمى (kyknos) باليونانية و (cyenus) او (cygnus) او (olor) باللاتينية و (cygne) بالفرنسية غير معروف بالبلاد الشرقية وهو من جنس الأوز الا انه أشد منه بهاضاً جميل الصورة ذو عنق طويل جداً ظريف للغاية كان يضرب به المثل في صفاء البياض عند اليونان والرومان

(١) عاش میر علی شیر نوائی فی هراء فی النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد . اما النص المشار اليه هنا فانظر المجموعة الروسية المسماة (Mir Ali Chir) المطبوعة بلتبنگراډ سنة ١٩٢٨ م ص ٧٣ - ٧٤) .

ولم يزل بضرب عند الافرنج . وكان القدماء يزعمون^(١) انه عند الاحساس باقتراب الموت بصوت بالنفثات العجيبة الحسن المطربة فاستعملوا كلمة (cygnus) مجازاً بمعنى الشاعر الفائق وهو مجاز رائع ايضاً عند الافرنج الى القرن الماضي دلالةً اما على شاعر شهير واما على مؤلف موسيقي ماهر . وكذلك من العبارات السائرة في ايطاليا وفرنسا «اغنية القنص» (le chant du cygne) والمراد بها آخر ما قال شاعر من المنظومات الرائقة او الخطيب من الخطب البليغة كأنه حسن الختام .

وهذا الطير هو المقصود في كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق^(٢) للقاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي (بالسين) ص ١١ من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ (وفي آخرها ١٣١٧) ١٨٩٨ م حيث قال المؤلف ايضاً ليعرف العرضي اللازم : « واما اللازم بسبب امر خارجي فمثل الاسود المزنجي والذكر والانثى للحيوان والابيض للطائر المسمى قنصاً^(٣) » . ولا شك ان هذا المثال مأخوذ من كتب منطقية يونانية ويحتمل

(١) وان شك بعضهم (منهم Plinius الروماني) في صحة ذلك . اما ارسطو واليس فاقنصر في كتاب الحيوان (في الباب الثاني عشر من الكتاب التاسع) على قول ان (kyknos) « من عادته ان يغرد لا سيما اذا اقترب من الموت » .

(٢) هو كتاب كاد مجهل تماماً قبل ان اكتشفه في مكتبة بيرونية المرحوم الاستاذ محمد عبده وطبعه وعلق عليه وقراء في الازهر . وبقروءه الآن بالجامعة المصرية صديقي وزميلي المحترم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

(٣) قال الشيخ محمد عبده في تعليقه : « وجد مضبوطاً في النسخة التي بيدي بضم القاف الاولى وسكون القاف الثانية وضم النون التي قبل السين ولم اجد لهذا اللفظ ذكراً في معجمات اللغة التي امكن الاطلاع عليها لا في مطولاتها ولا في مختصراتها ولا فيما استدركه بعض الباحثين في العربية من الغربيين ولم اجد ايضاً في كتب الحيوان العربية » . ثم قال ان احد المطالعين على اللغة اليونانية واللاتينية اخبره بوجود كلمة (kyknos) الخ . وفات الشيخ كلمة القنص وما يشبهها في الكتب العربية واخطأ (وهو معذور) في ظنه ان القنص هو البلشون او مالك الحزين اذ هذا هو (héron) بالفرنسية و (airone) بالاطالية

ان الساوي وجده في القسم المنطقي من كتاب الشفاء لابن سينا الذي لقبه في تلك الصفحة نفسها « افضل المتأخرين زماناً »^(١).

(٢) الطائر الخيالي الشهير المسمى (phoiniks) باليونانية و (phoenix) باللاتينية و (phénix) بالفرنسية و (fenice) بالابطالية الذي كثر فيه الحكايات العجيبة عند اليونان والرومان وان قال بعضهم (ومنهم plinius) بعدم صحتها^(٢) فقالوا مثلاً انه موجود ببلاد العرب وانه وحيد في جنسه وان عمره خمسمائة سنة او ١٤٦١ او اكثر وانه يحرق نفسه بحطب عطر يجمعه لذلك ويقوم بعد الاحتراق التام من رماده شاباً مجدداً حتى جعله بعض النصارى القدماء من البراهين الدالة على امكان القيامة وصحتها واتخذوه في الرسوم رمزاً للنشور . والذين نقلوا الكتب اليونانية الى العربية بلا واسطة الترجمات السريانية^(٣) عربوا (phoiniks) (فونقس) او (فنقس) على أسلوبهم المعتاد في تعريب الحروف اليونانية ثم التبس قراءة الكلمات بالحروف العربية واتى النساخ بكل نوع من التحريف فكانت نتيجة الالتباس والتحريف ان كتبه العرب والفرس المسلمين أصبحوا غير مميزين بين (phoinix) (فونقس او فنقس) و (kyknos) (قونقس او قنقس) ونسبوا الى طائر واحد بعد تحريف اسمه كل الخرافات المتداولة

و (Ardea cinerea L.) في اصطلاح علماء الحيوانات . ولم يصب في قوله في آخر التعليق : « وعلى هذا (اي الاشتقاق اليوناني) يكون الصواب في ضبطه كسر القاف الاولى » لان نطق حرف (y) كان باليونانية اقرب الى (u) منه الى (i) فنقله السريان بالواو دائماً وكتبوا فوقنوسا بمعنى (kyknos) .

(١) ولعل صاحب القاموس اراد المنطق من كتاب الشفاء في قوله المنقول في اول مقالتي هذه .

(٢) ولم يذكر ارسطو الطيبس هذا الطير بته في كتابه في الحيوان .
(٣) اقول هذا لان السريان نقلوا (phoinix) بصيغة فونيكس او فونكس او فونكوس فلو أخذت العرب هذا اللفظ منهم لكتبوا فونخس او فنخس لان الكاف بعد الحركة تنطق خاء تقريباً بالسريانية . انظرونص برهبول السطوري المذكوراً نقاً .

عند القدماء في شأن طائرين مختلفين أحدهما حقيقي الوجود والآخر خيالي تماماً .
وعلى كل حال فإن الفقه نَس المذکور في القاموس تحريف محض يجب إسقاطه من
كتب اللغة وإن نقل به حبيب افندي بسترس لفظ (phoiniks) لما عرّب ترجمة
(Larcher) الفرنسية لتاريخ هيرودوتس ^(١) وأظنه الكاتب العربي الوحيد الذي
استعمل كلمة فقه نَس .

والذي يجب إدراجه في القواميس العربية بدل الفقه نَس اثنان : (١) فَوْقَنْس أو
فُقَنْس وهو (kyknos) اليونان . (٢) فَوْقَنْس أو فُقَنْس وهو (phoiniks) القدماء .
ومما أراه أيضاً تصحيف فوق نَس أو فقه نَس (kyknos) ككتمان لم يذكرهما الجوهري
المتوفى في آبين سنة ٣٩٣ و ٣٩٨ وإنما قد هما المتأخرون من علماء اللغة أو الخبيريون بعلم الحيوان .
الاولى منهما فوق . قال ابن منظور الأفرقي المتوفى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) في
لسان العرب ج ١٢ ص ٢٠٠ : « والقوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل نحض الجسم
وانشد * كأنك من بنات الماء فوق * » . وقال هذا أيضاً السيد محمد مرتضى الحسيني
الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) في تاج العروس ج ٧ ص ٥٨ بزيادة « عن
الليث » ^(٢) قبل « وانشد » . وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري (ج ٢ ص ٢٣١) من
طبعة مصر سنة ١٣١١ : « القوق بالضم طائر . أي طويل العنق قاله في العباب ^(٣) » .

(١) في الفصل الثالث والسبعين من القسم الثالث من تاريخ هيرودوتس الشهير ترجم
من الفرنسية بقلم . . . حبيب افندي بسترس . بيروت سنة ١٨٨٦ - ١٨٨٧ م .
(٢) يعني الليث بن نصر بن سيار الخراساني اللغوي المعاصر للغيل الفراهيدي عاش
في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . ولا أعرف هل اصاب صاحب تاج العروس
بزيادته هذه .

(٣) يعني العُباب الزاخر واللباب الفاخر لرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني
(او الصاغاني) المتوفى سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ - ١٢٥٣ م) . ولشغفه بالزيادات على
كتب اللغة أصبح مسؤولاً عن أغلاط اتخذها المتأخرون ولبس لها اصل سوي التحريف
او التصحيف كما دلّ عليه الاستاذ غويدي في المقالة المذكورة آنفاً .

اما القزويني فلم يذكره في كتاب عجائب الخلوقات .
 ان وصف هذا الطائر بناسب الققنس تمام المناسبة . واقتصار المؤلفين ولا سيما
 الدميري على هذا الوصف بغير ادنى إشارة الى بلاده وعاداته ومنفعته — يدل
 على انه كان مجهولاً لاهل الشرق عديم الوجود في بلادهم كالمقوقنس (kyknos) .
 فالارجح ان المراد بالقوق هذا الطائر .
 اما الكلمة الاخرى التي أظنها ايضاً تحريفاً أدخل خطأ في بعض معاجم اللغة
 فالمقوقس حيث يزعم انه امم طائر . ولا ذكر لهذا المعنى في الصحاح ولا في لسان العرب
 ولكن اتى به صاحب القاموس وشارحه .
 قال صاحب تاج العروس (ج ٤ ص ٢٢٠) : « (طائر مطوق طوقاً سواده في
 بياض كاللحم) عن ابي عمرو » . وهذا الطائر لم يذكره القزويني واما الدميري فمع كثرة
 كلامه في قصة المقوقس المصري الشهير اقتصر على ما وجد في القاموس فيما يخص الطائر
 قائلاً (ج ٢ ص ٢٧١) : « المقوقس طائر معروف مطوق سواده في البياض كاللحم » .
 فالغالب على ظني انه من تحريفات قوقنس (kyknos) ايضاً .

أختم هذه الملاحظات اللغوية بذكر ورود كلمة (قوقنوس) في كتب طبية عربية
 تسمية لانواع خاصة من الشياقات (اي من الادوية للعين) وان املت كتب اللغة
 هذا اللفظ والمعنى تماماً . سمى أطباء اليونان أنواعاً من الشياقات (kyknos) تشبيهاً
 لبياضها ببياض الطائر فاتخذ كثرة العرب هذا الاسم اليوناني وكتبوه قوقنوس وهو
 المذكور غير مرة في كتاب العشر المقالات في العين المنسوب الى حنين بن اسحاق المتوفى
 سنة ٢٦٤ هـ (٨٠٩ م) وهو الكتاب الذي اعنى بنشره وترجمته الى الانكليزية
 وشرحه الدكتور (Max Meyerhof) بمصر سنة ١٩٢٨ م . انظر ص ١٨٧ و ٢٠٨ —
 ٢١٠ من الاصل او (١١٩ و ١٤٢ - ١٤٠) من الترجمة .

كارل نالينو
 رومية :
 عضو المجمع العلمي العربي

—•••••—

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

- ٢ -

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي وابو منصور عبد الله بن جبير النصراني
 قالوا حضرنا مجلس ابن الفرات وقد عملت موءامرة لابن حبش العماني
 وكان يتقلد الذاب ونهر سابس (١) في ايام وزارة عبيد الله بن سليمان فأخذ
 ابو العباس وابو الحسن يناظرانه عليها الى ان الزم خمسة وعشرين الف درهم
 من ابواب صحيحة وطولب بادائها واخذ خطه يصححها (٢) فصصح خمسمائة
 واربعين طول المدة والظ (٣) بالمال . فقيد فلم ينزع وضرب سبع مقارع فلم
 يوءد . وكان اذ ذاك اذا خرج بانسان من العمال الى هذا القدر ونحوه من
 المكروه فعندهم انه النهاية . فاخرجه ابو العباس الى حضرته وطالبه بالمال
 فاقام على انه لا شيء معه وان ضيعته وقف . فقال له ويلك لا اعرف اجهل
 منك اذ كان هذا صبرك على المكروه واسلامك لنفسك وبذلك لها فلم لم
 تأخذ اصل الارتفاع فانا ما كنا نعمل بك اكثر من هذا . ولكن انشدت
 فانا ادع عليك هذا المال واصرفك الى منزلك . ولكن بعد ان كشف
 للوزير صبرك على المكاره فلا تتصرف والله في ايامه ابدأ وبذهب خبرك .
 قال فقلق من ذلك . وسأل ان يخفف عنه شيء من المال ليوءدي الباقي .

« ١ » « م . ع » : بضم الباء قرية بواسط اضيف نهرها اليها . « ٢ » « لعله :

يصححها . « ٣ » « م . ع » : اي ججده .

فما برحنا حتى تقرر امره على بعض المال واداه وانصرف .

حدثني (١) ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول فاضطرت الجبظ احد العمال على مواسرة قد عملناها له وكنت انا واخي جعلنا نأخذ خطه بياب باب فلما كثر ذلك قال لي سرّاً ليس الشأن في الخط . الشأن في الاداء . ستمهلون انكم لا تحصلون على شي فسمعه عبيد الله لانا كنا في مجلسه فقال له اعد علي ما قلت فاضطرب فقال لا بد ان تعيده فاعاد ذلك فقال اذا لا تلي لي والله بعدها عملاً ابداً قم عافاك الله الى منزلك . خرّق يا غلام المواسرة قال فخرقت في الحال وانصرف الجبظ الى منزله فما صرفه عبيد الله بعد ذلك وشاع خبره فتحامى الناس كلهم استخدامه فهلك جوعاً في منزله حتى بلغ انه احتاج الى الصدقة .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله زنجي الكاتب قال حدثنا ابو العباس بن الفرات قال كتب صاحب الخبر بمدينة السلام الى اسماعيل ابن بلبل في وزارته الاولى للمعتمد بان مغنية من جوارى بدعة الكبرى غنت عند الحسن بن مخلد وهو اذ ذاك معطل بهذا الصوت فاستعاده وطرّب عليه :

عادات طيء في بني اسد ري القنا وخضاب حل حسام
لهفي على قتلى النجاج (٢) فانهم كانوا الذرى ورواسي الاعلام

« ١ » كتاب الوزراء ض ٧٧ . « ٢ » « م . ع » النجاج ككتاب قرية على عشرة اميال من البصرة وبها يوم تميم على بكر .

كانوا على الأعداء سيف محرق ولجأهم حرماً من الاحرام
لا تهلكي جذعاً فاني واثق برماحنا وعواقب الايام
فانهى اسماعيل ذلك الى المعتمد وقال هذا يسمي عليك ويتمنى لك
الدوائر ويتربص بك فامر بنفيه الى مصر فكان مضيه اليها تلفه .

حدثنا ابو الحسين قال سمعت ابا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قبل
الوزارة يتحدث قال حدثني ابو عبدالله حمد بن محمد القناني (١) الكاتب قال
ابو الحسين وكان ابن اخت الحسن بن مخلد وكان قد خلفه دفعات على ديوان
الخراج ومرة على ديوان الضياع ثم ولي اعمالاً جليلة من العمالات والدواوين
منها ديون المغرب ومات وهو يتقلد ديوان الخراج والضياع العامة بالسواد
وما يجري فيه وقد رأيته وتعلمت بين يديه وسميته يتحدث باشياء ولم اسمع
هذا منه قال سليمان قال لي حمد سألت الخادم الذي تبع خالي الحسن بن مخلد
الى ابن طولون لما نفي اليه - عن السبب الذي دعا ابن طولون الى قتله فقال
لما ورد عليه تناهى في اكرامه وبره واعظامه ثم انس به حتى ناداه وصار
يشاوره في مهم اموره فشاوره مرات في خلع طاعة المعتمد فمظم عليه امر
السلطان وخوفه من العصيان فقبل رأيه ثم طواب ابن طولون بحال الوظيفة
التي كانت عليه فقال لابن مخلد ما رأيت اعجب من جهل هذا المخذول يعني
الموفق يطالبني بالوظيفة وهو عاص على الخليفة. الى من احمل؟ فقال له لا تفعل

« ١ » « م . ع » : كذا في الاصل ولعله القناني فقد قال ياقوت : دير قنا من اعمال
النهر وان نسب اليه جماعة من الكتاب والنسبة اليه قناني وسيأتي في صفحة ٥٢ انه القناني

فان الامور اليه والجيش معه وان منعه المال قصدك وحاربك فقام في نفس ابن طولون انه دسيس (١) للقوم عليه وقال لو كان هذا عدواً للقوم ما اشار علي بهذه المشورة وانما هو دسيس على ملكي ليأخذ البلدان مني لهم ويرهني ويستخرج البلدان مني باللطف . فشكر له ثم امر بالقبض عليه وحبسه فكان جباناً فلم يجب مع احاشمه ان يفلت في وقت من الاوقات ففسد اليه في شربة فقتله بها . وجد الموفق (٢) وانفذ اليه المعتضد في الجيش واخرج احمد بن طولون خمارويه اخاه (٣) لمحاربة المعتضد فتحارباً فانهزم كل واحد منهما من صاحبه وهو لا يعلم ان صاحبه قد انهزم فضرب الناس بهما المثل وقالوا صبي لقي صديقاً وهكذا تكون محاربة الصبيان قال فلما جرت هذه الحال تقدم احمد ابن طولون على قتل الحسن بن مخلد وقال صدقني فلم اقبل منه واتهمته .

حدثني (٤) ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال قال لي ناقد خادم ابي وثقته وكان يتولى نفقة ابي : ما رأيت اجسر من مولاي على اخذ مال السلطان ومن ذلك اني باكرته يوماً وقد لبس سواده ليضي الى دار المعتمد وهو اذ ذاك يتولى دواوين الازمة والتوقيع وبيت المال فقلت له قد صككت (٥) علي البارحة المعاملين بالف وستائة دينار وما عندي من ذلك حبة واحدة فقال لي يا بغيض تحاطبني في هذه الساعة

« ١ » « م.ع » : دسيس فاعيل بمعنى مفعول هو من تدسه لياتيك بالاخبار . « ٢ » « م.ع » : كذا في الاصل . « ٣ » الصواب : ابنه . « ٤ » كتاب الوزراء ص ٧٧ . « ٥ » « م.ع » : صك الرجل للمشتري صكاً . كتبه . وهو الذي يكتب في المعاملات والافاري .

اين كنت عن خطابي البارحة لا وجه لها وجهها ولكن اتبعني الى دار السلطان فتبعته ودخل الى المعتمد مع عبيد الله بن يحيى الوزير ودخل معهما احمد بن صالح بن شيرزاد صاحب ديوان الخراج فلما خرج قال لي امض الى صاحب بيت المال فخذ منه ما يسلمه اليك فظننته قد استساف على رزقه شيئاً فمضيت الى صاحب بيت المال فسلم الي ثلاثين الف دينار فاستعظمت ذلك وعلمت انه ليس من الرزق وحملتها الى الدار وعرفته خبرها فقال لي أنفق منها ما رقت به اليك واحفظ الباقي فليس في كل وقت يتفق لنا مثل هذا ومضى للحديث ايام ودعا دعوة فيها صاعد بن مخلد واليه اذذاك عدة دواوين وجماعة من الكتاب واكلوا وناموا وانتبهوا فاذا كاتب من كتاب احمد بن صالح ابن شيرزاد يستأذن فاستأذنت لدخوله على مولاي وكانوا قد بدأوا بالشرب فترك مولاي المجلس وخرج الى بيت خلو واستدعى الرجل فادخله اليه فسمعته يقول اخولك ابو بكر يقرأ عليك السلام يعني احمد بن صالح ويقول لك انت تعرف رسمي مع صاحب بيت المال وان محاسبته في سائر الاموال اليّ وانا اذا تمت ثلاثون يوماً وجهت صاحبي الى حساب بيت المال^(١) فحمله مع صاحب بيت المال لينظم دستور الختمة بحضرتي واصصح حكاياتها ونحن منذ عشرة ايام في هذا حتى انتظمت الحسبة ولم يبق الا ثلاثون الف دينار ذكر صاحب بيت المال انك خرجت اليه من حضرة امير المؤمنين فامرته بحملها الى خادمك ناقد ولست ادري في اي جهة صرفت ولا في اي باب ثبتها

«١» عند هلال وجهت حاجي الى الخازن .

ولا ما الحجة فيها قال فاجابه مولاي بلا توقف وقال يا أخي ابو بكر والله
وقيع اسأل انا الخليفة في اي شيء صرف ما امر ان يحمل الى حضرته يجب
أن يكتب في الختمة وما حمل الى حضرة امير المؤمنين في يوم كذا وكذا
ثلاثون الف دينار قال فقام الكاتب خجلا ومر ذلك في الحساب على هذا فما
تنبه احد عليه وحصل له المال قال ابو الحسين فقال لي سليمان بعقب هذه
الحكاية ما رأيت لهذه الفعلة شيئا الا ما عمله ابي القرات في وزارته الاولى
فانه نصب يوسف بن فنحاس^(١) وهارون بن عمران الجبهذين فلم يدع مالا
لابن المعتز ولا للعباس ابن الحسن ومن نكب وقتل في الفتنة وما صح من
مال المصادرين وغيرهم ممن يجري مجراهم الا أجراه على أيديهما دون يد
صاحبي بيت المال العامة والخاصة^(٢) وأفرد لذلك ابن فرجويه كتابه يحاسبهما
ولا يرفع لهما حساب الى ديوان من الدواوين فلما كان في السنة التي قبض
عليه فيها كتب كتابا عن نفسه الى مؤنس الخادم صاحب بيت المال ذكر فيه
انه حوسب يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران على ما حصل عندهما من
كيت وكيت حتى استغرق تلك الوجوه فكان الباقي قبلهما بعد الذي حمل
الى حضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه وصرف في مهمات أمر بها هو
والسادة أيدهم الله من الورق الف الف وأربع مائة وسبعين الف درهم

«١» م.ع : في تاريخ الوزراء فيجاس . « ٢ » م.ع : كذا في الاصل وذكر بعضهم
ان المال يوهن ولكن في تاريخ الوزراء بيت مال الخاصة والعامة .

وخمسمائة وستة واربعون^(١) درهما وامر بقبض ذلك منهما وإيراده بيت مال العامة^(٢) فقبض مؤنس منهما تلك البقية ومضى الأصل كله لا يعرف في اي شيء صرف وكان مبلغه فيما ظنه الكتاب وكانوا يتعاودونه^(٣) نحو الف الف دينار فان ابن القرات فاز بجمعها^(٤) ولم يقيم بها حجة عليه قال ابو الحسين فحدثني ابي بعد ذلك قال لما قلدني علي بن عيسى في وزارته الاولى ديوان الدار الجامع للدواوين امرني باحضار هذين الجهبذين ومطالبتهما بختماتهما لما كان حصل في ايديهما في وزارة ابن القرات الاولى من الجهات التي تقدم ذكرها فاستدعيتهما وطالبتهما فاحالا^(٥) ان ابن القرات أخذ حسابهما ولم يدع عندهما نسخة منه فامر بحبسهما وتهديدهما ففعلت ذلك فاحضراني حسابا مبتورا ذكر انهما وجداه فرأيته غير منتظم فلم أزل أرفق بهما الى ان أقرا انه قد وصل اليهما من فضل الصرف فيما بين ما ورد عليهما وبين ما أنفقاه مائة الف درهم فجعلتها عشرة آلاف دينار وقررت أمرهما عليهما وأخذت بهما خطوطهما فلم يقنع علي بن عيسى بذلك وأخذهما من يدي وسلمهما الى حمد بن محمد وكان اليه ديوان المغرب وأمر ان يتبع أمرهما بنفسه وكان حسن الكتابة ولم يعرفه اني أخذت خطهما بشيء فتبع حمد ذلك فلم يجد في الحساب الا احالات على حمد الى الخليفة والسادة وأشياء صرفت الى خاص ابن القرات

«١» م.ع ؛ الصواب واربعين ليتسق الكلام . «٢» م.ع : في تاريخ الوزراء : بيت مال الخاصة . «٣» م.ع : كذا في الأصل ولعله يتعاودونه اي يتداولونه بالعد او التخمين «٤» م.ع : في تاريخ الوزراء فاحالا على ان . «٥» م.ع : في تاريخ الوزراء فاحالا على ان .

فقال له حمد هذا كله مسروق والقوم معهم حجج بالبراء وما عليهم طريق وابن الفرات كان أجلد من ان يدع هؤلاء يفوزون بحجة من المال فردهما الي وقال اجتهد في ان تأخذ منهما مائتي الف درهم فقلت لا يمكن ذلك فقال اعمل على انك طالبهم (١) بمرفق لنفسك بتمام مائتي الف درهم فقلت له فاذا فعلت هذا فاي شيء أعمل أنا لنفسي قال خذ منها عشرين الف درهم والزهما مائة وثمانين قال فخرجت وجددت بهما الى ان ألزمتها ذلك وأخذت لنفسي منه ما قال فلما فرغنا من ذلك أخذنا بها خطوطهما وأخذنا لهما خطه بالبراءة من ذلك فقال لي علي بن عيسى سأريك موضعي انا من العمل وان للرئيس في كل أمر موضعاً (٢) لا يقوم فيه احد مقامه فاستحضرتهما الى حضرته وانا في مجلسه فقال لهما تريدان مني ان أزيل عنكما تبعة ان لم ازها بقيت عليكما وعلى ورثكما ابد الدهر لست افعل هذا الا بشيء يقرب لا ضرر عليكما فيه وهو اني احتاج في كل هلال الى مال أدفعه في ستة ايام من ذلك الشهر الى الرجالة ومبلغه ثلاثون الف دينار وربما لم يتجه في اول يوم من الشهر ولا الثاني وأريد ان تسلفاني في أول كل شهر مائة وخمسين الف درهم ترتجماها من مال الاهواز في مدة الشهر فان جبهة الاهواز اليكما فيكون هذا المال سلفاً لكما (٣) أبداً واقعاً لا ضيف الى هذا المال الوظيفة التي على حامد التي (٤)

١ «م.ع: كذا في الاصل والصواب طالبهما. ٢٢» بالاصل: الرئيس في كل موضع. والصواب عند هلال. ٣ «م.ع في تاريخ الوزراء سلفاً واقعاً لكما الخ. ٤» بالاصل: الى ان. والصواب عند هلال.

رد في أول كل شهر وهي عشرون الف دينار فيكون ذلك بازاء مال القسط الاول من النوبة فيخف عني ثقل ثقل فتأبيا ساعة فلم يفارقهما حتى استجابا لذلك فقال لي علي بن عيسى كيف رأيت فقلت ومن يفي بهذا الا الوزير أيده الله تعالى قال وكان علي بن عيسى اذا حل المال وليس له وجه استسلمه من التجار على سفانج قد وردت من الاطراف فلم تحل (١) عشرة آلاف دينار بربح دائق ونصف فضة في كل دينار وكان يلزمه في كل شهر الفسان وخمسمائة درهم أرباحاً فلم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنحاس وهارون ابن عمران ومن قام مقامهما مدة ست عشرة سنة وبعد وفاتهما لأنهما ما صرفا الى ان ماتا فكانا قد تقلدا في أيام عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان السلطان لا يرى صرفهما ليقى جاه الجبهة مع التجار فيقرض التجار بالجبهة اذا دفعت الضرورة ومتى صرف الجبهة وقلد غيره (٢) لم يعامله التجار وقف امر الخليفة .

حدثنا ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن جني الكاتب وكان ابوه مغنياً وهو من أغنياء الكتاب قال حدثني ابن ثوابه الكاتب قال حدثني أبو الفرج بن نجاح بن سلمة عن ابيه عن الفضل بن مروان قال كنت أتولى مجلس الحساب من قبل صاحب ديوان الرشيد وكان يجيئنا الى الديوان شيخ من بقايا كتاب بني امية وكان صاحب الديوان يقول لنا هذا اكتب اهل زمانه وكان يلبس دراعة وقلنسوة كسا كاسية (٣) النصاري وخفاً أحمر

«١» م . ع كذا في الاصل ومثله في تاريخ الوزراء . «٣» م . ع لعل الاصل ولم يعامله او . ووقف امر الخليفة . «٣» م . ع : كذا في الاصل . ولعله كاكسية .

وكان هذا زي المتعطلين من الكتاب إذ ذاك وكان صاحب الديوان يكرمه جداً فصار إلي في يوم من الايام لحاجة عرضت له وأنا متشاغل بعمل مهم قد طلبه الرشيد وأنا جالس حيال صاحب الديوان اعمله فقصرت في حق الشيخ ولا مني صاحب الديوان على تقصيري به ووبخني فاعتذرت اليه بشغل القلب فلما كان بعد ايام جاءني فزدت في اكرامه وقت اليه وجلست بين يديه فاقبل علي صاحب الديوان فقال احسبك طابت فتانا على تقصيره أولاً ثم أقبل علي وقال يافتي كننا نعد الصناعة نسباً والنعمة نسباً والنحلة نسباً والنحلة نسباً.

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو عبدالله الباقطائي قال حدثني ابو الفضل عون بن هارون بن مخلد بن أبان وكان كاتب المأمون على ديوان الضياع قال ميمون سمعت الفضل بن مروان يقول لا ينبغي لاحد ان يحقر احداً ولا يأيس (١) من علوه فاني كنت في حدائتي اتوكل لهرثمة بن أعين في مطبخه ايام الرشيد وكان بخيلاً وكان له خادم يشرف على مطبخه وأجرى علي خمسة عشر درهماً في الشهر ووظيفة خبز فلما كثر توفيري عليه صيرها عشرين درهماً وكنت لا آكل من مطبخه شيئاً فسأل الخادم عن اكلي فعرفه اني لا آكل فامرني ان يطعمني من المطبخ كل يوم ويوفر الوظيفة على منزلي فدعا يوماً دعوة عظيمة فوفرت عليه في الاسعار الف درهم وعرضت عليه بذلك عملاً وسره وحسن موقعه منه وكان بخيلاً جداً فقال يوماً قد استحققت الزيادة

(١) «م ع : أيس يأيس بغير همزة بمعنى يئس .

فكم تحب ان أزيدك فقلت لا أقل من عشرة دراهم أخرى فقال هذا كثير ولكن اربعة دراهم فأيست من خيره واتفق له بعد ذلك خروج عن مدينة السلام فتعالت عليه ولم اتبعه ولزمت الديوان وتعلمت فصرت كاتب مجلس في ديوان الرشيد وكان ذلك اول اقبالي وتخرجت وزادت حالي مع الايام فلما ولي المأمون وعظم من أمر المعتصم كان المعتصم شديد المحبة للصيد وكانت فتنة محمد الخلوع قد صرفت ما كنت جمعته من "١" ضياع وبساتين بالبردان "٢" وهاهرت بعض تنائمها "٣" واجتمعت لي حال فلما انجلت الفتنة كنت من وجوه البردان فاجتاز بها المعتصم منصرفاً من صيده مسرعاً وليس معه من اصحابه كثير "٤" احد فاجتاز في الطريق وانا واقف على بابي فتوسمت فيه الجلالة وقدرته احد وجوه القواد وكان لي وعد على عامل البلد ان يكون ذلك اليوم في دعوتي وقد اعددت له طعاماً وفيه جداء وحلواء وفاكهة كثيرة وثلج استدعيته من بغداد وكان قبل ذلك بساعة قد جاءني خبر العامل انه عرض له مهم في السواد فخرج لوقته فلما رأيت المعتصم وتوسمت فيه الجلالة قات لم لا اخلف "٥" على هذا القائد واضيفه عندي على هذا الطعام المعد قال فكلمته وسألته النزول عندي فاجاب ونزل واكل وشرب وانفذت في الحال فاستدعيت له قيانا وجلس يشرب وقد انبسطت بين يديه وخدمته

"١" الصواب في . "٢" م. ع : هي قرية على سبعة فراسخ من بغداد .

"٣" م. ع : كسكان جمع تاني وهو المقيم ببلده راجع صفحة ٢٨ من المجلد الرابع من مجلة التجمع العلمي . "٤" م. ع : كذا في الاصل . ولعل صوابه الكثيرين احد . "٥" م. ع اخلف عليه . عوضه ولعله اخلف بمنى اقسام وهو الانظهر .

فنحن نشرب اس(١) الجيش في طلبه وعرفوا خبره واحاطوا بالدار فمرفت
 حينئذ انه اخو الخليفة فهبته فبسطني وسألني عن شرح حالي فمعرفة فقال لا بد
 ان تجيء معي الى بغداد وتخدمني ولم يدعني حتى اجتذبتني ودخلت معه
 الى بغداد وقلدني بعض اموره ثم تزايدت حالي عنده الى ان جمع لي
 جميع امره ورياسة كتابه ثم خلطني بخدمة المأمون وقلدني ديوان
 الخراج مضافاً الى كتبة اخيه ثم رقيت الى الوزارة من تلك الحال التي
 كنت عليها مع هزيمة قال ابو الحسين ما رأي(٢) في الدولة العباسية من
 الكتاب من اتصل تصرفه منذ نشأ الى ان مات وترددت ولا بعد(٣) الوزارة
 لديوان الخراج وديوان الضياع — احد من غير ان يتعطل غير الفضل بن مروان
 وصادره المعتصم على اربعين الف الف درهم فاداهما بغير مكروه . وسمعت
 حامد بن العباس يحكي انه سمع صاعداً يقول حدثني احمد بن اسرائيل قال
 حدثني الفضل بن مروان قال ما في الارض اجمل من وزير يطلب الخليفة
 منه مالا وهو في ولايته فيعطيه اياه فانه يطعمه في نعمته وانما يدفع النكبة
 مدة ثم تحدث وقد ذهب المال . فمن ذلك ان المعتصم لما خرج يغزو الروم
 وانا وزيره استخلفني على سر من رأي واستخلف بحضرته محمد بن الفضل
 الجرجاني(٤) فلما عاد طمع في فقال لي قد وردت والمال(٥) والجيش مستحق

«١» لعله : اذ أتى . م . ع الظاهر انه انبت الجيش اي تفرق .

«٢» لعله رؤي .

«٣» الجملة محرفة ولعل الصواب وتقلد الوزارة بعد ولايته .

«٤» بالاصل الجرجاني . «٥» لعله سقط : قد ذهب .

فاحتل (١) لي مائة الف دينار من مالك وجاهك ففعلت فلها مضي شهر طلب مني على هذا السبيل خمسين الف دينار ففعلت فطلب في الدفعة الثالثة بمثل هذا الوجه ثلاثين الف دينار فوعده بها وادفعه (٢) اياماً ثم حملتها اليه فبلغني عنه انه قال لابنه الواثق هذا النبطي ابن النبطية اخذ مالي جملة وهو ذا يتصدق علي به تنفاريق . ثم (٣) قبض عليه بعد ايام واخذ منه اربعين الف الف درهم .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الملك التوارخي وكان شيخاً قد عني بجمع التواريخ فلقب بها وكان يجلس في الجامع الى جانب الزجاج ويعظمه قال سمعت المبرد يقول كنت اصحب الفضل بن مروان فذكر بحضرته في ايام الواثق عظم بناء احمد بن الحبيب بسر من رأى وانه استعمل في سقف دهايز داره سبعين قارية ساج والقارية (٤) ساجة عظيمة تستعمل صحيحة . فقال الفضل ما كانت لي في خدمة لذة في بناء ولا فرش ولا غلمان ولا جوار ولا مفاخرة بمروءة وانما كانت لذتي في العمارة والتوفير ولهذا اتصلت مدتي في صحبتهم وتمهدي وقد وليت الهامون ديوان الخراج فوجدت الاهواز قد اخذت يثيق اسوء (٥) ابطل العمارة فانفقت عليه مائة

«١» م . عدى احتال بنفسه على جد قول الحماسي :

اذا ما أتت من صاحبك زلة فكن انت محتالاً لزلته عذرا

«٣» م . ع الظاهر ودافته . «٣» م . ع الظاهر ان هذا من كلام احمد بن اسرائيل الراوي عن الفضل . «٤» م . ع لم نعتز على القارية بهذا المعنى . «٥» م . ع الظاهر ان الاصل يثيق سد او أسداد جمع سد وهو بناء يجعل في وجه الماء .

الف دينار وجددت في عمارة النواحي . وكانت كورّ الاهواز اذذاك قد ارتفعت باربعة وعشرين الف الف درهم للسلطان فضمنتها له بثمانية واربعين الف الف درهم حاصلة للحمل .

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال حدثنا ابي قل سمعت نجاح بن سلمة يقول ان السبب في علو حال عبيد الله ابن يحيى بن خاقان مع المتوكل ان اياه يحيى بن خاقان بن موسى تقلد ديوان الخراج في ايام المتوكل فقلد ابنه ابا محمد عبد الله مجلساً من مجالس الديوان ولم ير عبيد الله اهلاً لمثل ذلك فغضب على ابيه وصار (الى) الفضل بن مروان وهو يتقلد ديوان الضياع فلزمه وخط بين يديه وكانت ارمينية تجري في ديوان الضياع وكان على اهلها مقاطعة فضلها مال جليل فامتنع الفضل بن مروان من اقتضاها (١) لهم وعرض عليه مرفق مائة الف درهم فاني قبولها وطرحها (٢) نفوسهم على اكثر الوجوه بسر من رأى فلم يجب احد الى ذلك فلجأوا الى عبيد الله بن يحيى وسألوه مسأله لما ظهر من اختصاصه به ونفاقه عليه فخاطبه في امرهم فتذمر من رده لانه كان يعمل معه بالرزق (٣) ولا له نفع وكانت حاله قوية وانما اراد التصرف مراغمة لايه وجمل ذلك كالمرفق له والصلة فأجابه وامضى المقاطعة فحمل اليه القوم خمسة آلاف دينار فردها وقال ما كنت لآخذ على معروفي ثمناً فلما خرجوا الى ارمينية أحبوا مهاداته

«١» الصواب امضاًها . «٢» الصواب وطرحوا .

«٣» لعله بلا رزق .

ومكافأته فاستعملوا له فرش بيت ارمني ببساط عظيم ومصليات والنخاخ (١) ومساور (٢) ومخاد (٣) ودست وستور وأذهبوا الجميع وكتبوا عليه كنيته واسمه ولم يكن رأى (٤) قَطُّ مثله حسناً وجلالة وحملوه اليه واتفق انه وكَلَّ المتوكل تلك السنة بالطرق وامر ان لا يدخل شيء من الامتعة او يمرض عليه فعرض عليه البيت في جملة حاجي به من أرمينية فاستهوله وقال من هذا الرجل فقالوا هو (٥) عبيد الله بن خاقان قال واي شيء اليه حتى يستعمل له هذا العمل لعل هذا مرفق لايه فقبل له ان ارمينية تجري في ديوان الضياع ولا معاملة بينه وبين ابيه فاستشرح الصورة ونقر (٦) عليها الى ان حدث الحديث على صحته فاستحسن ذلك من فعل عبيد الله وامر بتسليم فرشه اليه وقال هذا فتى يدل فعله على كبر همته فلما صرف محمد بن الفضل الجرجاني (٧) عن وزارته قال قد استغنيت عن وزير لان اصحاب الدواوين مرضون عما هم علي والتاريخ يجعل باسم وصيف التركي واجرى الامر على ذلك مدة ثم انه احتاج الى كاتب يكون بين يديه في أبنيته والتوقيعات في المهم الذي يامر به من حضرته فيها وفي غيره الى اصحاب الدواوين وغيره (٨) فامر ان يطلب له حدث من اولاد الكتاب ينصبه لذلك فسمي له جماعة منهم عيسى بن داود بن الجراح وابو الفضل

«١» م.ع في اللسان النخ بساط طوله اكثر من عرضه وهو فارسي معرب وجمعه نخاخ وفي التاج انه بالفتح . «٢» م.ع جمع مسور ومسورة وهي منكا من آدم وهي المساند . «٣» م.ع جمع مخدة وهي الوسادة . «٤» م.ع ريد روي . «٥» بالاصل ابو . «٦» م.ع المعروف نقر عن الشيء اذا بحث عنه . «٧» بالاصل الجرجاني . «٨» م.ع هكذا في الاصل .

ابن مروان وجماعة وكان فيهم عبد الله وعبيد الله ابنا يحيى بن خاقان فحين
مر على سمعه ذكر عبيد الله ذكر حديث القرش فاختره ولم يزل حاله يرقى معه
الى ان استوزره .
« للبحث صلة »



المحاضرة الاولى

(١) الادب

« أفقه . فعله . غايته »

فكرت في شيء من الكلام أهد به السبيل الى دراسة الأدب في خلال هذه السنة ، قلت : دراسة الادب ، وكان يجب عليّ ان أقول : أحاديث الأدب . لان كلمة الدراسة تدل على شيء من جهد الذهن وعنت الفكر وما ينبغي للادب ان يكون الا ألهية يتلاهي بها العقل ، لكنها ألهية شريفة لا تشبه غيرها من الألهية ، ما ينبغي للأدب ان يكون الا لذة الفكر وراحة البال . فكرت في شيء من الكلام أستعين به على الاستمهال ثم عدلت عن التفكير وقلت ما قاله الاستاذ « برونيتير Brunetière » في اول محاضرة من محاضراته : لعلكم تعترفون بان المقدمات الطويلة لا تكون في كل حين أروع المقدمات وأفضلها . فلنشرع في حديثنا الاول دون الافاضة في التمهيد .

قلت : الأدب ألهية ولكنها شريفة . واذا أردنا ان نعرف مبلغ شرفها لزمنا ان ننظر الى أفق الأدب المديد . فحق أدركنا العالم الذي يحيط به الأدب علمنا مقدار اتساع أفيائه وانبساط سلطانه .

قال « اناتول فرانس ، Anatole France » في مقال له في معجمات اللغة :

اني أحب معجمات اللغة . فانا لا احبها لمجرد فائدتها العظيمة ولكنني احبها لانها تحتوي على شيء جميل نغم . انظر الى معجم غازية او الى غيره من المعجمات وتصور انك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات التي يبلغ عددها الف صفحة اوالفاومائتي صفحة عبقرية فرنسا وطبيعتها . ليتصور ذهنك ان فيها افكارنا

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبيري عضو الجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة . وقد عرّضت مجلة الجمع العلمي على نشر هذه المحاضرات كلها متتابعة .

وافكار اجدادنا وافراحنا وافراحهم واعمالنا واعمالهم وآلامنا وآلامهم . لينظر بيالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم . لينظر بيالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عددهم . وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم . لينحس في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشر ودمها وروحها .

اني احب ان اقتبس قول اناتول فرانس في اللغة فأقوله في الأدب نفسه فاذا قلنا في الادب ما قاله اناتول في اللغة ، اذا قلنا على سبيل التجوز ان الادب هو روح الوطن وعبقريته ادر كنا حينئذ معنى كلامنا : الادب ألوية شريفة لا تشبه غيرها من الالاهي .

* * *

كنت أطالع رواية من الروايات فعلقت بذهني عبارة قيدتها في دفترتي . قالها شيخ ايطالي في حض فني على درس اللغة اللاتينية :

« ان هذه اللغة الشريفة قد أسنتني آثارها المنقطعة النظير آلامي وشجوني في معظم الاوقات . كنت باسيدي أغدئ وماغدائي الا صفحة من «تاسيت» وانهشي وما عشائي الالهية من «جوفنال» .

لقد ادرك هذا الشيخ غاية الادب الادراك كله ، ادرك ان الادب بفرج الغم ويكشف الكرب وينشيء في العقول لذة لا يعدلها كثير من لذات الدنيا فهي لذة هائلة لا يضطرب صاحبها ولا يقلق . اني على رأي الذين يريدون ان لا يكون الادب موضوع علم وانما أريد ان يكون الادب كما قال عنه الاستاذ (لانسون Ianson) رياضة وذوقاً ولذة . ولا بأس بان اتلو عليكم فصلاً للاستاذ (لانسون) في طبيعة الادب وفعله :

« الادب لا يعلمه المرء علماً ولا بدرسه دراسة وانما يمارسه ويجرته ويحبه واصدق كلام فيه انما هو كلام (ده كارت Descartes) الذي قال : قراءة الكتب الصالحة حديث يحدثك به اشرف رجال القرون الخالية ولكنه حديث لا يعرض عليك فيه اولئك الشرفاء الا احاسن افكارهم . »

ان الرياضيين — وانا اعرف طائفة منهم — الذين يلهمهم الادب فيذهبون الى المسارح و يقرأون الكتب على سبيل التسلية انما هم أقرب من الصواب من هؤلاء الادباء الذين لا يقرأون الكتاب قراءة ولكنهم يجردونه تجر يداً و يظنون انهم يصيبون الاصابة كلها اذا جمعوها ابواباً . خلق الادب لينشيء لذة لنا ولكنها لذة تروض قوانا العقلية فيخرج العقل من رياضة الادب اقوى سلطاناً وامرن طبيعة واغنى مادة وعلى هذه الصورة يكون الادب ثقاف الباطن ، هذه هي حقيقة فعله .

وللادب الفضل الاكبر في تدريب الناس على ذوق اللمة الافكار انه يروض الفكر فيجد المرء في هذه الرياضة مسرته وراحته وتجدد قواه . انه يذهب تعبنا الذي نلعبه في ممارسة الاعمال و يرفع العقل فوق كل واجب وفوق كل مصلحة وفوق كل وهم . اصبح الفلاسفة في عصرنا هذا ضرورة العقل ولكن الفلاسفة لا يستطيع درسها كل واحد منا ، اما الادب فانه يعم الفلسفة . بالادب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقى هذه الجماعات وتغير اوضاعها . الادب هو الذي يتعد النفوس التي اثقافتها تكاليف الحياة واغرقتها مشاغل المادة فيحملها على الاعناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنى او غاية . لقد ضعف الدين في كثير من رجال العصر وبعده أفق العلم عن كثير من الناس فالادب وحده هو الذي ينزع بنا عن الاثرة الضيقة او عن الحرفة التي تغرس فينا غرائز الحيوانية » .

هذا ما قاله الاستاذ (لانسوت) في طبيعة الادب وابلغ كلامه : الادب ثقاف الباطن . من هذا يتبين لنا ان الثقافة الادبية مجردة اي لا غاية مادية لها وكان الذين وضعوا « قرار » انشاء مدرستنا قد فطنوا لذلك واحبوا ان ينهبوا عليه فقالوا : غاية مدرسة الادب العليا تثقيف الجمهور تثقيفاً مجرداً وتعليمهم علماً عالياً في نظام الادب وهم يعنون بذلك ان الثقافة الادبية لان تكون غايتها الكسب فلا يدرس الانسان الادب ليعيش به كما يدرس الحقوق او كما يدرس الطب مثلاً وانما يحصل الادب للذنة .

اراد احد شباب الفرنسيين ان ينصرف الى الادب فسأل (فلو بر) عن رأيه في ذلك فقال له (فلو بر Flaubert) :

« الاخلاص يدفعني الى ان أبين لك ان استثمار عملك امر صعب جداً ان لم يكن

ممنعاً ، انك لا تزال ناعم الشباب فاعمل واعمل كثيراً واعتزل في عملك ولا ترج ان تكون لك مكافأة ولا تفكر في نشر ما تكتب ، ثقيل طريقي فقد كان عمري سبعة وثلاثين سنة لما نشرت (مدام بوفاري) فاذا خطر ببالك ان تستخرج فائدة من آثارك ضللت وكنت من الخاسرين فلا تفكر الا في الفن ذاته وفي كماله وما عدا ذلك فهو تابع له .
لا نظن ان حياة اديب مثلي ناضرة بالازاهير فاذا ظننت شيئاً من ذلك كنت من الواهمين ، اذا كان حبك للادب خالصاً فحصل الادب لنفسك قبل كل شيء واقرأ كثيراً كتب (المدرسين) وروض فملك على كتابة اشياء شعرت بها وعلى وصف البيئة التي تأنس بها .

علما (فلوربر) ان نحصل الادب لانفسنا دون ان نرجو مكافأة ، ينبغي لنا ان نحصل الادب لمسرة قلوبنا ورياضة عقولنا وتهذيب عواطفنا ، فاذا لم تكن هذه غايتنا لم نستفد من الادب ، اذا كننا نلذوخي الكسب في تحصيل الادب الخط ادبنا عن منزلته الرفيعة وصار صناعة من الصناعات التي يمارسها الانسان ليعيش في هذه الدنيا والادب اجل من ان يكون حرفة ، اننا نحصل الادب لذوق لذة الحياة ، اننا نحب كما كان الشيخ الايطالي يحب آثار اللغة اللاتينية . اننا نحب لانه ينسينا الآلام والشجون على انه قد يجوز ان يفيدنا الادب فوائد عظيمة ولكن لا ينبغي ان تكون هذه الفوائد غاية الادب وانما نحبها على طريقتنا في نزهة العقل كما نلذو الورود والريحان على طريقتنا في نزهة البدن . اننا لا نلذو لنقطف الورود ولكننا نلذو لترويض أجسامنا وكذلك لا ندرس الادب لنعيش به ولكننا ندرسه لترويض به عقولنا .

قلت : قد يفيد الادب فوائد عظيمة ، واذا سمحتم لي قرأت لكم عبارة من مقال لي عنوانه : « الكتاب ملوك » ومن هذا المقال يتبين لكم ان الادب قد رفع كثيراً من الناس . لكن المنفعة يجب ان تأتي على سبيله كما يأتي الورود والريحان على سبيل المنزهين .

اما وقد فرغت من الحديث الاول فما احب ان اخرج من مجلسنا هذا قبل ان يتأكد عندي اننا ادر كننا غاية الادب . ما احب ان اخرج من هذا المجلس قبل ان اتفق باننا علمنا ان الادب انما هو : رياضة وذوق ولذة لا تنفرغ له لغرض من اغراض

الدنيا فهو اجل من ان تكون غايته الكسب وانما نمارسه لندرك به جمال هذا العالم انما نمارسه لنفرج به غم هذه الحياة . يقول انا تول فرانس في هوغو في معرض النقد : عاش فيكتور هوغو ثملاً تسكره الالوان ورنات الاصوات وقد اسكر العالم بذلك . فاذا جاز لي هذا التعبير قلت : الادب يسكر بالوانه ورنات الفاظه فهو نزهة عقولنا ونعم النزهة يشخذ الطباع ويهيج النفس ويمر الصدر . اني لا اري اشتطاطاً في الحكم على الادب يشبه اشتطاط تاسوني (Tassoni) الذي كان يعتقد ان الادب مضر بالجماعة والبشرية . اي شيء احسن ترويضاً لمداركنا من الادب . اي شيء احسن تهذيباً للاهواء منه . اي ثقافة اعمل في التقريب بين البشر من الثقافة الادبية . واذا لم يكن لادبنا في هذا العصر عاقبته المحمودة فهذا ناشئ عن انه لا يزال في عزلة عن الانواع الادبية الحديثة التي فعلت فعلتها في الامم . فاذا كان لحدبنا خلاصة فهذه خلاصته :

الادب الهية شريفة وحسبها شرفاً ان يكون موضوعها روح الوطن وعبقريته .

في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩



المحاضرة الثانية

ثقافة الذوق

دراسة المصادر الادبية - الانفراد بالرأي في الادب

ما أظن انكم نسيتم ما حدثتكم به في الاسبوع المنصرم ، ما أظن انكم نسيتم أفق الادب وفعله وغايته ، اني اعتقد الاعتقاد كله ان مطافكم في هذا الأفق الفسيح يوطي لكم السبيل الى الاحاطة بروح وطنكم وعبقريته ، واذا قلت روح لوطن وعبقريته عنيت بذلك ثمرات قرائحه ونتاج خواطره من منبثق فجره الى يومنا هذا . اني اعتقد الاعتقاد كله ان المطاف في هذا الأفق يدخل السرور على القلوب ويطفئ البواطن ويهذب العواطف وليس بقليل ان ينسلخ المرء من حيوانيته ويحيا في جو أعلى من جو البشرية والادب هذا فعله في الامم . فاذا كانت غايته مجردة وثقافته خالصة فنجع واثر: هذا أفقه ، وهذا فعله ، وهذه غايته . ما أظن انكم نسيتم شيئا من ذلك .

غير اني أتوقع بعد ان بينت لكم أفق الادب وفعله وغايته على سبيل الايجاز وعلى قدر ما سمح به الزمن ، غير اني أتوقع ان نقولوا لي : أدركنا هذا كله ، ولكن كيف السبيل الى ذوق نذة الادب ، كيف السبيل الى الاتصال بهذا الأفق والعلم بهذا الفعل والخلوص الى هذه الغاية ، ولو قلتم لي شيئا من ذلك لوقع القول مني . موقعه لان السر كل السر في تمهيد هذه السبيل قال الاستاذ لانسون :

« لا أكاد أفهم كيف يدرسون الادب من دون ان تكون غايتهم في دراسته ثقافتهم وحدها ، لا أكاد أفهم كيف يدرسونه من غير ان يكون مرمى فكرهم الالتذاذ بالادب ، لا ريب في ان الذين يتفرغون لتدريس الادب يلزمهم ان يجمعوا معارفهم في نظام واحد وان يهيئوا طرائق في التدريس وان تكون وجهتهم أصح وأوضح من وجهة هواة الادب الصغار . ولكننا لا ينبغي لنا ان نذهل عن امرين : الامر الاول ان أستاذ الادب الذي لا يعنى بتثمية الذوق الادبي في تلاميذه ولا يستقبلهم الى ان يهتوا كل حياتهم في الادب عما يشعذ افكارهم ويسلهم عن همومهم لا يكون أستاذاً صالحاً ، هذا هو الهدف الذي يجب علينا ان نرعى اليه لان نعد للطلاب جوابات الى يوم الامتحان ،

والامر الثاني لا يستطيع أستاذ الادب ان ينفع بتدريسه ان لم يكن هو نفسه من هواة الادب قبل ان يكون من العلماء ، لا يمكن ان يثر تدريسه اذا لم يبدأ بتثقيف نفسه بهذا الادب الذي ينبغي له ان يجعله ثقافاً لغيره ، لا يمكن ان يؤدي تدريسه الى الخواثيم الحسنة اذا كان نقب عن الآثار الادبية وجمعها ، ولم تكن غايته في تثقيبه وجمعه زيادة ادراكه للادب وزيادة لذته بعد هذا الادراك .

ما أصح هذا الكلام ! ما أصدق بالحقيقة ! الأستاذ الذي لا يعنى بتثنية الذوق الادبي في تلاميذه لا يكون أستاذاً صالحاً ، ثنية الذوق هذا هو هدف الأستاذ وعلى حسب ذوقنا الادبي يكون شعورنا بالجمال . واحساسنا للقيج ، على حسب هذا الذوق يكون ادراكنا لحاسن العالم وقابحه ، فاذا فسد ذوقنا الادبي ضعف شعورنا بجمال العالم وبهجة الحياة ، اذا فسد هذا الذوق انقلبت أضواء الحياة ظلمات بعضها فوق بعض ، وما انحط الادب الا لفساد الذوق ، أصبحنا في عصر لا نستطيع التمييز فيه ، تعرض علينا الآثار الصالحة فلا نهتدي الى التلذذ بصلاحها ، وتعرض علينا الآثار الفاسدة فلا ننبض عن مواضع فسادها ، ولو سلم ذوقنا لتيقظ فينا الشعور بتاعة الآثار وشناعتهما ، فما كل اثر من هذه الآثار الادبية فاسد قبيح ، ولا كل واحد منها مانع جيد ، فالذوق وحده هو الذي يهدينا سواء السبيل في التمييز والاستاذ هو الذي بقوي فينا هذا الذوق .
تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب .

وقبل ان أبين كيف يستطيع الأستاذ ان يروض تلاميذه على ذوق لذة الافكار أحب ان انظر في الامر الثاني الذي أشار اليه (لانسون) اي أحب ان أبين ان أستاذ الادب الذي لا يكون من هواة الادب لا يستطيع ان يثقف ذوق تلاميذه ، فالادب شيء وعلم اللغة شيء آخر وقد يجوز ان يضرب الأستاذ في اللغة بالسهم الفائز وان يأخذ منها الحظ الاوفر ولا يكون في هذا كله ادبياً ، اي لا يعرف اماكن الجمال ومواطن القبح في آثار اللغة الخالدة فاذا خرج الأستاذ عن ان يكون أدبياً ، اذا لم يستطع ان يذوق لذة الجمال أعقم التدريس وأفسد الاذواق ومضى فسد الذوق فسد كل شيء في الادب ، أستاذك ذوقك : هذه كلمة (فولتير Voltaire) .

قلت : تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب ، فكيف يثقف هذا الذوق

ويقوم ، كيف يدرب على التمييز في الآثار الادبية ، هنا العقبة الكؤود ، وهنا يظهر ضعفنا وينكشف أمرنا . سئلت مرة عن رأيي في أساليب طلاب (البكالوريا) في الانشاء ، فقلت بعد التمحيص والتدقيق في جملة ماقلت : ان الطلاب لم يتمموا التعمق كله في الموضوعات التي طرحت عليهم ، فقد كانت أفكارهم سطحية على انهم كانوا يستطيعون بفضل ثقافتهم العامة التعمق في الموضوعات والذنب في ذلك يرجع الى أساليب التدريس فلم ينظر الطلاب في كتاباتهم نظرات عامة اي انهم لم يبحثوا عن كاتب او شاعر على وجه عام او عن نتائج عصر من العصور على صورة عامة ، او عن التطور الادبي في خلال العصور ، ان الاساتيد لا يدربونهم على التفكير ولا يعدونهم ان تكون لهم أفكار عامة في موضوعات حديثة . وجملة القول ان تدريس الادب ينقصه الشيء الكثير فهو لا يستند الى دراسة المصادر الادبية نفسها اي الى دراسة كلام المؤلف او شعر الشاعر او خطبة الخطيب فان تفسير هذه المصادر هو المعتمد عليه في تدريس الادب والظاهر ان هذا النقص ذاته كان في مدارس فرنسة حتى جاء في بلاغات وزارة معارفها سنة ١٩٠٢ ان تدريس الادب يجب ان يكون أساسه درس المصادر الادبية نفسها .

المعول عليه من كلامنا هذا درس المصادر الادبية لان هذا الدرس هو الذي يقوم الذوق فكيف ندرس المصادر الادبية ، كيف يشرح كلام الكتاب وشعر الشعراء هذا الذي نخوم عليه ونلوب فلا نكاد نصل اليه ، فقد كنا ولا يزال اذا شرحنا شعراً نشوخي تفسير الغريب من هذا الشعر واعراب المشكل من تراكيبه والنتيجه على مذاهب الاستعارات والكتابات وسائر فنون المجاز هذا شيء وليس بكل شيء ، ان التفسير اللغوي قد بولد فينا ميلاً الى معرفة مفردات اللغة ولكنه لا بولد فينا ذوقاً أدبياً اي لا يقوي فينا الشعور بالجمال . واللغة كما قلت شيء والادب شيء آخر ، وكثير من علماء اللغة أنفسهم لا ذوق لهم في الادب .

ان هذه المصادر الادبية التي ننفرغ لدراستها تشتمل على امور غير امور اللغة وآلاتها ان هذه المصادر انما هي آثار ناطقة يظهر على كل واحد منها روح صاحبه وفكره وعاطفته فتدلك على آثار العصر والبيئة فيها او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وتكشف لكم عن اهواء صاحبها وانفعالاته . فاذا اردتم ان تعرفوا شيئاً من روح الشاعر

ومن فكره ومن عاطفته فان التفسير اللغوي لا يضمن لكم الوصول الى هذه المعرفة ولكنه يعينكم عليها فاستنطقوا المصادر الادبية واسألوا كلام المؤلف وشعر الشاعر وخطبة الخطيب فان من وراء هذا كله اختصاصاً ينطقون ويشعرون فاذا خالطتم هذه المصادر ومازجتموها احطتم بطواهر اصحابها وبواطنهم واتصلتم بأسرارهم والغازم فعرفتم خصائصهم وطبائعهم واهتديتم الى اخلاقهم وادبائهم فنشأت في انفسكم من هذا كله لذة منقطعة النظير ومن هذا يتبين لكم انه لا بد لكم من الاحاطة بعلم النفس حتى تستطيعوا ان تمضوا القول في روح الشاعر وفي عواطفه .

قلت : المصادر الادبية تدلكم على آثار العصر والبيئة فيها او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وهذا معناه انه لا بد لنا من معرفة العصر الذي نحاول درس شاعر من شعرائه فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها هذا الشاعر في عصره والعواطف التي يقطبها فاذا كننا مثلاً ندرس المتنبي ووقع نظرنا على اسلوب غريب في شعره او على لفظ غريب فلا يصح ان نجزم ونقطع قبل ان يتحقق عندنا ان هذا الاسلوب غريب قياساً الى عصر المتنبي اذ انه قد يكون غريباً في عصرنا ومألوساً في عصر ابي الطيب .

يستنبط مما تقدم اننا ينبغي لنا ان نستعين بالمصادر الادبية نفسها على فهم روح صاحبها وافكاره وعواطفه فاذا استطعنا ان نفهم شيئاً من ذلك نشأ فينا ذوق ادبي . وفي نشأ هذا الذوق وكانت سلباً خالصاً شعرنا بمحاسن الآثار الادبية وبهذا الشعور تزداد لذتنا بمحاسن العالم نفسه على اننا لانستطيع ان ندرك حقائق المصادر الادبية الا اذا كنا منفردين بامر البحث والنقيب فلا ينبغي ان يكون لغيرنا تأثير فينا ، لا ينبغي لنا ان نكرر كلام غيرنا على اثر من آثار الادب فاذا فعلنا شيئاً من ذلك كانت دراستنا الادبية جامدة لا روح فيها . —

قال الاستاذ « لانسون » :

« اذا حاولت ان انصور خصائص المؤلفات وطبائع اصحابها امتنعت عن تخلص آراء من اولعت بهم من الاساندة في هذه المؤلفات اشباه « زين » و « ساندبوف » و « غاستون باري » و « بروننير » فالاولى لي وانا اخوض في موضوع ليس فيه حقيقة مبنية على اصول مستندة الى عقل ان اخلص ما انشأته في قراءة هذه المؤلفات من الانفعالات وما اخطرت به

ببالي من الآراء وما احدثت اليه من صيغ فكر المؤلف وعاطفته ، وعلى هذه الصورة وحدها تكون الدراسة صادقة ، فيها روح اذ انه لا يستطيع احد ان يستقبل غيره الى الامور التي يخوض فيها الا اذا استعان على ذلك بالذوق الذي ذاقه هو نفسه في هذه الامور .
هذا ما قاله لانسوت ومن قوله هذا يتبين لنا اننا اذا اردنا الكلام على المنبي مثلاً لزمنا ان ندرس شعر المنبي نفسه دون ان نردد ما قاله فيه . بعض الاساتذة كالثعالبي والجرجاني وغيرهما ، اذا اردنا الكلام على حس المنبي لزمنا ان ندل على مواطن هذا الحس وعلى طبائعه من دون ان نستعير كلام غيرنا والخلاصة اذا حاولنا دراسة المنبي وجب علينا ان نقرأ شعره وندون الآثار التي تركها فينا هذا الشعر وننقل هذه الآثار الى غيرنا حتى يكون في كلامنا شيء من الروح والحياة وعلى هذا يتمو ذوقنا في الادب ومتى نما هذا الذوق نما معه الشعور بالجمال .

اني لا ارى اضل سبيلاً من الذين لا يريدون ان ينفردوا بأرائهم في الادب . وعلى الخصوص بعد ان عرفنا ان الادب ليس فيسه حقائق سبينة على اصول مستندة الى عقل اسية ليس فيه شيء من حقائق العلم الثابتة وانما الادب يتبع الذوق والعاطفة فتغير آراء الناس فيه بتغير ادواقهم وعواطفهم انظروا مثلاً الى « فيكتور هوغو » فقد قال فيه « فاكه Faguet » « هوغو من الخالدين لان جمال الاسلوب هو الذي يخلد » وقال فيه اناتول فرانس : « ان مجد الشاعر الذي احتفل امس آخر احتفال بوفاته يأتي عليه اليوم دهر صعب حرج لقد ذهب اعجاب المعجبين به الذين كلوا واعيه ا بعد ان جهدوا في ذلك الاعجاب خمس عشرة سنة ، وتبددت طائفة من الاوهام فقد كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكر اكثر من ذلك » . انظروا الى تناقض هذين الرأيين في شاعر مثل « هوغو Hugo » ومنه يتبين لكم فبق الادب واضطرابه فاذا كان الامر كما وصفنا فما أجدر الذين يريدون ان يذوقوا لذة الادب . بالانفراد بأرائهم دون ان يكون لغيرهم سلطان عليهم .

هذا ما حاولت تقريره في هذا المجلس وما أريد ان أبسط القول اكثر من ذلك ، ولئن كانت خلاصة حديثنا الاول : الادب روح الوطن وعبقريته ، فخلاصة هذا الحديث تثقيف الذوق هو الذي بضيء انا الظلمات حتى ندرك روح هذا الوطن وعبقريته .

في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

تمازج الثقافات

ما ارى حاجة الى ان اعيد في هذا المقام ما قلته في دراسة المصادر الادبية ، فقد عرفتم ولا ريب في ذلك كيف يجب علينا ان نقرأ كلام الكتاب اوشعر الشاعر اوخطبة الخطيب ، عرفتم كيف يجب علينا ان نخطط بروح المؤلف و بافكاره وبعواطفه ، وننظر في اتصال هذه الامور النفسية بعضها ببعض وفي تفاصيلها ومظاهرها ، عرفتم كيف ينبغي لنا ان نبحث عن بهان المؤلف وفنون افصاحه ، وعن خصائص لغته وأسلوبه ، وفي الجملة فقد عرفتم كيف ينبغي لنا ان ندرس المصادر الادبية واذاقلت : دراسة المصادر الادبية ، اردت بذلك التعمق في النقيب عن فكر المؤلف وعواطفه ، والتمكن من معرفة مراميهِ والوصول الى تلك الذكريات التي كانت تخطر بباله في ساعات تأليفه و كتابته ، فاذا كنا نفسر كلاماً فكأننا نحاول ان نقوم مقام صاحب هذا الكلام ونبحث قبالة اعيننا حالة عقله من مرقدها ، وننعمش فكره وانفعالاته بعد ان ذهب اثره ، وانطوى ظله ، ولم تبق منه الا صفحات لا نرى فيها في فاتحة الامر غير صور بعيدة عنا ، وتعبير جامدة لا روح فيها ، فاذا عاجلناها انتفضت من مدافئها فأصبحت صوراً ناطقة تشعر ونفكر .

كان يجب علي بعد ان فرغت من هذا التمهيد ان اشرع واياكم في قراءة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب وابي عباد و ابي تمام ، وانا لاشك في ان لهذه الاسماء العربية صدى في آذانكم لا يجده لغيرها من الاسماء غير اني اذا كنت قد استعنت بطائفة من آراء الافرنجة على الخوض في موضوع للعرب فيه المقام الارفع والمحل الاشمخ ، فما اردت بذلك ان اكفر نعمة ادب ذهبت في الشغف به كل مذهب ، ما اردت ان اكفر نعمة لغة امتزجت بالنفس محبتها ، والعود غرض والغصن رطيب ، الا انه اذا كان يتيسر لي الاستشهاد ببعض آراء شيوخ ادبنا في قديم الدهر كالجاحظ واشباهه ، ومن هم اشباه الجاحظ ، فما كان يتيسر لي الاهتداء الى كل الآراء ، والادب قد لبس في هذا العصر برداً قشياً فحدث فيه حوادث وعنت فيه عوائق ، ونهجت مناهج وسلكت مسالك ، فلاندوحة لنا عن الانقباس من بعض الافرنجة ولا غضاضة في ذلك فقد اخذوا عنا فأخذنا عنهم وتلك الايام نداولها

بين الناس وما زالت الامم في قديم الدهر وفي حديثه يقتبس بعضها من بعض وقديماً تمازجت الثقافات فأدى تمازجها الى العواقب المحموده في عبقرية الفكر .

انلثفت قليلاً الى القرون الخالية فللنظر الى الرومان كيف اقتبسوا ادبهم من اليونانيين فقرأوا كتبهم ونقلوا طرائقهم ولننظر الى الادب الفرنسي في القرون الوسطى كيف انبلج نوره من أفق اللاتينية وهذا « سينسر » اخذ عن الايطالية في ايام تجديدها ، وهذا الشاعر الانكليزي « تومسون » قد اثر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في مؤلفي فرنسا من العصرين المذكورين وقد كان « فولتير » يعبد الكاتب « اديسون » وكان « روسو » و « ديدرو » يعبدان « ريشاردون » واي تأثير اعظم من تأثير شاعري الانكليز « شكسبير » و « بايرون » في الادب الفرنسي ، وقد كان شعراء الادب الوجداني في فرنسا متصلين بالاتصال كله « بولترسكوت » ومن « ميشله » الى « رنان » قد استنزل كتاب فرنسا الذين نظروا في مصائر النوع البشري وحيهم من المؤرخ الالماني « هرذر » وشاعر الالماني « غوتي » استنزل وحيه من ادب المتقدمين وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اقتبس الاسبانيون ادبهم من شعراء فرنسا مثل « هولبير » ولم يقصر الروس في الاخذ عن الادب الغربي في القرن التاسع عشر ولم يحجم البولويون عن اقتباس أدب فرنسا وايطالية ومانية وانكلترة .

مالنا وهذه الاعجميات فلننقل الى ناحية اقرب . هذا ادب العرب نفسه ، أفلم يدخله شيء من حكمة الهند ، وفلسفة اليونانيين ، وادب الفرس ، وهذه مصر في عصرنا أفلم يكن للثقافتين الفرنسية والانكليزية اثر في كتابات ادبائها ، أفكان يستطيع اساتيد ادبها ان يسلكوا هذا المسلك في ادبهم لولا معرفتهم بعض اللغات الاجنبيات .

معاذ الله ان ارمي في قولي هذا الى الخروج على عبقرية ادبنا فان الامة التي لا تنصل بماضيها لا تثق بماضها وآتيها ، وان لنا من هذا الماضي الشيء الذي نفخر به على وجه الدهر ، ان لنا من هذا الماضي محاسن لا تبلى سحبيس الليالي ، ولكن تجديده الادب في هذا العصر امر لامندوحة عنه ، فان الافراط في المحافظة على هذا الادب لا يقل ضرره عن الافراط في التجديد ، ولو شئت لثلوت عليكم صفحة كتبها ابوالحسن احمد ابن فارس بن زكريا المقيم من الف سنة بوجه التقريب ، ما اظن احداً من ادباء هذا العصر

بعقد فصلاً ابلاغ من هذا الفصل في التجديد قال ابو الحسين :

« ومن ذا حذر على المتأخر مضادة التقدم ، ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الاول
للآخر شيئاً ، وندع فسول الآخر : كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا زمان ، ولكل
زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ونتاج العقول ،
ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، ولمه لا ينظر الآخر مثل
ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ويرى في كل ذلك مثل رأيه ،
وما نقول لفقهاء زماننا اذ نزلت بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان
قبلهم ، او علمت ان لكل قلب خاطر اربكل خاطر نتيجة ، ولمه حجرت واسعاً وحظرت مباحاً
وحرمت حلالاً وسدرت طريقاً مسلوكة ، ولو افنصر الناس على كتب القدماء لضاع علم
كثير ولذهب ادب غزير ولضلت افهام ثاقبة ولكت أسنة لسنة ولما وشى احد خطابه ،
ولا سلك شعباً من شهاب البلاغة ولجأت الاسماع كل مررد مكرر وللفظت القلوب
كل مرجع ممضغ » .

ما أثقب نظر ابي الحسين رحمه الله ! ما اهدى فكره ! ما اصفى ذهنه ! لو افنصر الناس
على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب ادب غزير ، ان عقل البشر ينسبط افقه من عصر
الى عصر ، ويتسع مجاله من دهر الى دهر فيولد في انبساط هذا الاق و اتساع هذا المجال
الفاظاً ومعاني لم تكن من قبل ، وينشئ الادب لهذه المعاني اساليب طريفة ويفرغها في
قوالب حديثة ، وعلى هذا يتنقل الادب من طور الى طور ويدرج من حال الى حال على
تعاقب الاحقاب ، ولو ثبت هذا الادب على اساليب محدودة لاقى عليه حين من الدهر
لم يك فيه شيئاً ، لو تملص هذا الادب من عوامل الحضارات والثقافات لما وسع شيئاً انسا
فجد مذاهب تولد ، ومذاهب تموت والفاظاً تدفن والفاظاً تبعث واساليب تعيش واساليب
تقرض ، ما عظم انقلاب الافكار ! قال الاستاذ « شارل ريشة » احداً من معلمي دار
« يسير العلم في سبيله سيرا تحار ثواقب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في
عنقوان امره ، وربعان عمره ، فالعالم « اوكسميدس » على نبوغ فضله وبراعته ، كان
يجهل ما يعلمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، واجهل تلميذ من تلاميذ المدارس
التجهيزية يعرف من العلوم اموراً يجهلها العالم « غليله » نفسه ، ما بين العالم « فرنكلان » وبين

العالم « أنشئين » مائة وخمسون سنة فتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ، ما اعظم انقلاب الافكار ! لم يكن في القديم علم الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف قرن ، وما هو قرن ونصف قرن ؟ المشي غير وثيد ، اننا نسير في معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متصاعدة وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقتنيه من العلوم سلطان عظيم على المادة . هما اختلفت أشكالها .

هذا ما قاله (شارل ريشه) في كتابه العالم . ولو قلتم لي وما هي الاواصر بين العلم والادب لأجبتكم بان العلم اذا امتد سلطانه فانه لا يخلو من التأثير في الفكر وبالادب كما اشرت الى ذلك في حديثي الاول تسفيض مذاهب الفلسفة والعلم في طبقات الناس فتعمل عملها في أوضاع الجماعات ، فالادب ظهير العلم ومعينه ، ولو نظرتم في تحالط الام في هذا العصر وتغارب جماعاتها ، وشيوع لغاتها ، وآثار عقولها ، لرأيت ان الثقافات لاندحة لها عن التمازج والتواصل ، فالام يأخذ بعضها عن بعض ويهتدي بعضها ببعض ، لا شك في ان لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها تصلح لها وقد لا تصلح لغيرها من الام غير ان تمازج الثقافات اذا روعي فيه روح الامة وروح لغتها أفضى الى الخواصم الحسنة في نتائج العقول وثمرات الالباب لنضرب مثلاً لذلك .

قلت : انكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها ، فاذا قابلنا بين الشعوب السامية وبين الشعوب الآرية وجدنا ان الفكر في هذه الشعوب مختلف بعض الاختلاف فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع ان يتجرد من الصورة المادية التي تسره وتغويه ، ولذلك فانك تجد لغة التوراة لغة شعرية ساطعة الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة ، فالذهن في الام السامية عنيد فانه يحفظ بالصورة ويحرص على طابع الاتعمال المادي ، اما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة ويرتفع الى تصور الفكرة المجردة وإدراكها ، ولعلك تجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية ، لان التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم يعيدون عن التجريد ^(١) .

(١) رأي الاستاذ « دارمستر » صاحب كتاب : حياة الالفاظ .

فلما تقارب العرب وبعض الشعوب الآرية كالفرس واليونانيين انتقلت آثار هؤلاء إلى العرب والفلسفة من جملة هذه الآثار ، فهي نتيجة من نتائج تمازج الثقافات وما أظن أن الفلسفة خلت من رسوم حسنة في الفكر العربي .

ما أردت التبسط في هذا الموضوع ولا كانت غايي استنهاض هممكم للتقليد فاني من المنشدين في الحرص على أوضاع أدبنا والاحتفاظ بمذاهبه ، إلا أن هذا التشدد لا يمنعنا عن اقتباس ما يزيد في رونق لغتنا وأدبنا فاني أخشى إذا جدد هذا الأدب أن يضيق عن استيعاب ما استحدثته حضارة العصر فإذا أخذنا في بعض الاقتباسات من ثقافات الأمم ما يحسن أخذه فلا حرج علينا في ذلك ، وقد بما استعان أدباؤنا بآثار من جاورهم وخالفهم فما نقصت مقاديرهم ولا خفت موازينهم ، فطالعوا على قومهم بأدب منقول الحواشي مهذب الاطراف ، على أني لا أقول بالمبالغة في الأخذ والاقتباس فإن ميراثنا الأدبي روحاً يجب علينا أن نحافظ عليه ، وأن للعصر روحاً مالنا منه فلت ، فالتأليف بين الروحين صقال الأدب ونموه .

دمشق : في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩



فصح وشوارد

الارض مشعلة : كثيرة الثعالب . وسرفة كثيرة السرفة وهي دويسة سوداء
الرأس وسائرهما احمر نثخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دفاق العيدان على مثال الناوروس تضم
بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتقوت فيه ومنه المثل (أصنع من سرفة) .
ومشبولة كثيرة الاشبال . ومشاهة ذات شاء او كثيرة الشياه . ومفعاة كثيرة
الافاعي . ومفارة وفيرة كثيرة الفيران . ومقدرة كثيرة الغدور اي الوعول الغادرة .
ومضبة وضبية كثيرة الضب . ومضغبة كثيرة الضغابيس والضغوس ولداثعاب .
ومبعضة كثيرة البعوض . ومبقة كثيرة البقي . ومحيأة ومحواة كثيرة الحيات .
ومكابة كثيرة الكلاب . وموزة كثيرة الوز . وموحشة ذات وحش او كثيرة
الوحش . ومأوزة كثيرة الأوز . ومجرودة كثيرة الجراد . ومشورة كثيرة الثيران .
وجردة كثيرة الجرذ .

ويقال أظبت الارض كثرت ظباؤها . وأسبع الطريق كثرت فيه السباع .
وأضب المكان كثرت ضبابه . وأبعض القوم صار في أرضهم البعوض .
وأرض محربة كثيرة الحرباء . ومسروءة ذات سروء وهي البهوض من الجراد
والسملك والضرباب . ومظبأة كثيرة الظباء .

* * *

وانتهج الرجل طلب النهج . وأوعر السالك وقع في وعر من الارض . وأجدد لزم
الجدد وهي الارض الغليظة المستوية ومنه المثل من سلك الجدّد آمن العثار .
وحقّ الطريق ركب حافّة اي وسطه . وسمّت : لزم السمّت وهو الطريق والمجبة
نقول خذ في هذا السمّت .

وأسبل الطريق : كثرت سابلته . وطرق الموضع : جعله طريقاً يقال لانطرقوا
المساجد — وللابل : جعل لها طريقاً . واستطرق الشيء : اتخذ طريقاً . وأجدد
الطريق : صار جدداً . واستنهج : صار نهجاً .

* * *

وعُدَّسَ الغراب : نعى عشرة أصوات في طلق واحد . وَنَعَقَ نَفِيقًا وَنُغَافًا : صاح غيقى غيقى . وَقَطَّتِ القَطَا لِقَطْوِ قَطْوًا : صَوَّتَتْ بِقَوْلِهَا قَطَا قَطَا . وَفَطَقَتِ صَوْتًا وَحدها . وَعَنْدَلُ العَنْدَلِيبِ : صَوْتٌ وَمِثْلُهُ وَطَّ الوَطْوَاطُ وَبَطَّطَ البَطُّ وَزَرَزَرَ الزَّرَزُورُ وَغَنَّتِ الفَاخِشَةُ . وَقَدْ مَأَمَّتِ الشَّاةُ وَالظَّبْيَةُ مَأْمَاةً : وَاصَلَتْ صَوْتَهَا فَقَالَتْ مَيَّ مَيَّ . وَلَقَلَقَ اللِّقْلَاقُ : صَرَّتْ . وَكَذَا فَعَقَعَ القُمَّةُ قُمَّعُ وَتَضَوَّعَ الضَّوَّاعُ .

* * *

وَيُقَالُ دَاهِيَ الْقَوْمَ مِدَاهَاةً وَدِهَاءً أَيِ أَصَابَهُمْ بِدَاهِيَةٍ . وَصَلَّتْهُمْ الصَّلَاةُ : أَصَابَتْهُمْ وَالصَّلَاةُ الدَاهِيَةُ وَمِثْلُهُ ذَبَاتَهُمْ ذَبُولٌ . وَفَقَرَّتْهُ الدَاهِيَةُ فَقَرًّا : نَزَلَتْ بِهِ فَكَسَرَتْ فَقَارَ ظَهْرِهِ . وَقَدْ تَرَهَّ الرَّجُلُ تَرَهًّا أَيِ وَقَعَ فِي التَّرَهَّاتِ . وَأَصْبَرَ : وَقَعَ فِي أَمِّ صَبُورٍ أَيِ الدَاهِيَةِ . وَدَبَلَتْهُ الدَّبُولُ أَيِ دَهَمَتْهُ الدَّوَاهِي . وَأَفْلَقَ الرَّجُلُ : جَاءَ بِهِ لَمَاتَى فَلَمَاتَى أَيِ بِالدَّاهِيَةِ .

وَأَفْتَقَ الرَّجُلُ : أَلْحَتَ عَلَيْهِ الْفَتَقُ أَيِ الْآفَاتُ مِنْ جُوعٍ وَفَقْرٍ وَدَيْنٍ . وَنَكَبَهُ الدَّهْرُ أَيِ أَصَابَهُ بِنَكْبَةٍ . وَتَرَفَلَانَا أَصَابَهُ بَوْنٌ . وَأَفْظَمَهُ أَوْقَعَهُ فِي أَسْرَفِ ظَمِيمٍ شَدِيدٍ . وَالْأُمَى الرَّجُلُ وَقَعَ فِيهِ اللَّأْوَاءُ وَهِيَ الشَّدَّةُ وَالْحَنَّةُ . وَأَزِيلَ النَّاسُ : أَصَابَهُمُ الْأَزْلُ أَيِ ضَيَقِ الْعَيْشِ وَخَرِطُوا . وَأَسْنَنُوا أَجْدَبُوا وَاصَلَهُ مِنَ السَّنَةِ بِمَعْنَى الْقُحْطِ وَالْجَدْبِ . وَشَتَا الْقَوْمُ وَأَشْتَوْا : أَجْدَبُوا فِي الشِّتَاءِ . وَتَغَبَّوْا تَغَبًّا أَصَابَهُمُ التَّغَبُّ وَهُوَ الْقُحْطُ . وَأَحْمَلَ اللَّهُ الْأَرْضَ : جَعَلَهَا مَحْمَلَةً . وَأَحْطَهَا أَصَابَهَا بِالْقُحْطِ . وَجَرَدَ الْقُحْطُ الْأَرْضَ وَجَرَّدَهَا : جَعَلَهَا جَرْدًا . وَدُبَّتِ الْأَرْضُ : أَكَلَ الدَّبِيُّ نَبَاتَهَا فَهِيَ مَدْبُوتَةٌ وَمَدْبُوتَةٌ . وَجَرِدَتْ وَجُرِدَتْ : أَكَلَ الْجَرَادُ نَبَاتَهَا — وَجُرِدَتْ الزَّرْعُ : أَصَابَهَا الْجَرَادُ . وَبَشَّرَ الْجَرَادُ : أَكَلَ مَا عَلَى بَشَرَةِ الْأَرْضِ أَيِ وَجْهِهَا .

* * *

وَيُقَالُ اكْتَنَّتْ الْأَرْضُ : كَثُرَتْ كُنَائِهَا وَهِيَ الْخَنْزَابُ أَوِ الْكَرَّاثُ أَوْ بَزْرُ الْجُرْجِيرِ . وَأَفْنَأَتْ كَثُرَ بِهَا الْقَنَاءُ — وَالْقَوْمُ كَثُرَ الْقَنَاءُ عِنْدَهُمْ . وَاجْتَلَوْا كَثُرَتْ جِهَالُهُمْ . وَأَشْخِمَ الرَّجُلُ إِذَا كَثُرَ عِنْدَهُ الشَّخْمُ مِثْلَ الْحَمِّ إِذَا كَثُرَ عِنْدَهُ اللَّحْمُ . وَأَبْلَتِ الْأَبْلُ : كَثُرَتْ . وَأَبْلَى الرَّجُلُ : كَثُرَتْ إِبْلُهُ وَمِثْلُهُ أَبْلَى إِبِلًا . وَنَعَقَرُ : كَثُرَ عُقَارُهُ وَهُوَ

خيار المال والكلاء . وأَضَبَّ البلد : كثرت ضبابه . وأَثَلَّ الرجل : كثرت عنده الذَّلَامَةُ وهي الضَّان الكثيرة وفي القاموس جماعة الغنم الكثيرة أو من الضَّان خاصة ولا يقال للمعزى الكثيرة نَبْلَةٌ ولكن حَيْلَةٌ ، فإذا اجتمعت الضَّان والمعزى فكثرتا قيل لهما ثَلَّة ومنه بنو فلان مُثَلَّوْنَ أي اصحاب غنم .

ورسَل القوم : كثر رسلهم وهو اللبن ما كان . وأزبدوا : كثر زبدهم . وأزاتوا : كثر عندهم الزيت . وأرحلوا : كثرت رواحلهم وهي الابل القوية على السفر والاحمال . ونَضَضَ الرجل ونَضَض : كثر ناضه أي دراهمه ودنانيره . وأغزر القوم : غزرت إبلهم وشاؤهم وكثرت ألبانها — وصاروا في غزير المطر وهم قوم مُغْزِر لهم أي غزرت إبلهم وألبانهم . وقد أَكْثَرَ الرجل أي كثر ماله .

(النيك) : سالم خليل رزق



آراء وافكار

قوة الحافظة و كثرة المحفوظات

اذكر في هذه المجالة فريقاً من العلماء الاعلام الذين نؤثر عنهم قوة الحافظة وكثرة المحفوظات مثبتاً لهم هاتين الصفتين دون باقي صفاتهم واخبارهم التي هي من وظائف المؤرخين ونقلة الاخبار فاصداً بذلك الفات انظار ابناء المدارس والمكاتب الى ما سيفي الحفظ من الفوائد والمقاصد فتشور همهم الى اقتناء آثار ادلك الرجال و يسرون على مناهجهم في حفظ ما يملية عليهم اسانذتهم ومعلوم خصوصاً منهم من رزقه الله حافظة قوية فعرف قدرها وما اضاعها بالانصراف عنها الى ما يضعفها من الانهاك بالاكل والشرب وباقي الملذات البدنية ولم يقارف شيئاً من مورثات النسيان على ما سنذكره قريباً .

ان ابناء المدارس الذين وهبهم الله قوة في حافظتهم هم اولى الناس بصرفها الى الحفظ والاكثر من المحفوظات لأن العائق الذي يعوق غيرهم عن استئثار هذه القوة « وهو الاشتغال بتحصيل المعاش » قد كفاهم اولياؤهم امره فلم يبق عليهم سوى القناعة باليسير والانصباب على حفظ ما يتلقونه من اسانذتهم وبذلك يحرزون شرف النبوغ في علومهم وبنالون منزلة النفوق على غيرهم ممن حرم هذه القوة اورزقها ولكنه لم يتوفق لاستخدامها .
وانني قبل الشروع بذكر الحافظة وبيان محفوظاتهم آتني على ذكر بعض فوائد لها علاقة بهذا الموضوع فأقول :

العلم ما يحفظ لا ما يكتب — .

قالوا : ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم الا ما وعاء الصدر

وقيل العلم في الصدور لا في السطور ، وقيل العلم ما استحضرته وانت في جانب جرن الحمام : يريد قائل هذا ان العالم الحقيقي هو الذي اذا تحدته بمسألة علمية بداهة بالجواب الصواب غير قائل لك حتى اراجع الدفتر او الكتاب .

معنى الحفظ — . يقال حفظ القرآن : استظهره ووعاه على ظهر قلبه ومنه قول المحدثين عرض محفوظاته على فلان ، ويقال حفيظ وحافظ من قوم حفاظ وهم الذين

رزقوا حفظ ما سمعوه وقلموا بدسون شيئاً بعونه . ويقال حافظ من قوم حفظته ككتاب وكتبة والحفظ نقيض النسيان وقلة الغفلة . ويقال رجل حفظته كهمزة اي كثير الحفظ . ومن المجاز قرأه عن ظهر القلب اي قرأه حفظاً بلا كتاب . ويقال حمل فلان القرآن على ظهر لسانه كما يقال حفظه على ظهر قلبه . واستظهر القرآن اي حفظه وقرأه ظاهراً . ومن المجاز ابصاً ظهرت على القرآن واظهرته ا قرأته على ظهر لسانه .

عناية السلف بحفظ الحديث واللغة — كان السلف يتبارون بحفظ الحديث واللغة ويرون ان النبوغ فيها غير متاح الا لمن يحفظهما باسانيدهما . وكان حفاظها يملونهما في مجالس لم يحضرها اولو العناية بها ويكتبونهما عنهم . وقد املى حفاظ اللغة والادب من المتقدمين الكثير فاملى كل من ثعلب وابن دريد مجالس كثيرة واملى ابو محمد القاسم ابن الانباري وولده ابو بكر ما لا يحصى . واملى ابو علي القالي خمس مجلدات واملى الشريف المرتضى كتاب الغرر والدرر املاه في مجالس على فنون من المعاني والادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك . وآخر من املى في اللغة ابو القاسم الزجاجي سنة ٣٣٩ : اما املاه الحديث فقد استمر الى سنة ٨٧٢ ثم انقطع .

على ان العلماء الذين اكثروا من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون كصاحب الاغانى والغزالي والزمخشري وابن تيمية والجلال السيوطي — هم ليسوا دون اصحاب الامالي في قوة الحافظة وكثرة المحفوظات بل هم باعتبار كثرة مؤلفاتهم جديرون ان تعد مراتبهم في قوة الحافظة وكثرة المحفوظات فوق مراتب اصحاب الامالي فان مؤلفات كل واحد منهم على انفراد قد تضاهي بحجمها وعظمها جميع كتب اصحاب الامالي وقد نقلها الى القراطاس من خزائنه حافظته صفواً عفواً كاصحاب الامالي لا من الكتب المحفوظة في خزائنه اذ العقل يحيل ان نتسع ايام حياته لتأليف تلك الكتب الكثيرة اذا لم يكن مستظهِراً لها بان كانت مسألة منها لم يفرغها في قالب التأليف الا بعد ان يبحث عنها في مظانها من الكتب المحفوظة في خزائنه .

فانا نرى في المؤلفات المنسوبة الى الجلال السيوطي مثلاً — ان مجرد نسخها وكتبتها مما تضيق عنهما ايام حياته فكيف يمكننا والحالة هذه ان نصدق ان كانت غير محفوظة له ان نتسع لتأليفها ايام حياته اذ كان كل كتاب منها لم يتم له تأليفه الا بعد ان راجع

عن مسائله الكتب المختصة كما هو الحال والشأن مع احدا اذا اراد ان يكتب في موضوع ما .
اهتمام ائمة اللغة يحفظ غريبها — . كان المشغل باللغة لا يرى نفسه اهلاً لان يدعى لغوياً حتى يحفظ منها الغريب ، روى صاحب كتاب نفح الطيب عن محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض انه سئل عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه فأقسم ان يقيد رجله بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ كتاب (الغريب المصنف) فانفق ان دخلت عليه أمه وهو في تلك الحالة فارتاعت وقالت له هل جئت فقال :

روعت عجوزي أن رأني لابساً حلق الحديد ومثل ذاك يروع

فالت جئت فقلت بل هي همة هي عنصر العلياء والينبوع

من الفرزدق سنة فثبعتها اني لما سن الكرام تبوع

قلت (الغريب المصنف) كتاب الفه ابو عبيد القاسم بن سلام وله كتاب غريب الحديث وكتاب غريب القرآن . واما قوله سن الفرزدق الخ فقد اشار بذلك الى ما فعله الفرزدق لما اراد حفظ القرآن فانه قيد رجله بقيد من حديد ولم ينزعه حتى حفظ القرآن .

ما يجب على الحافظ مراعاته — . يجب على الحافظ ان يستوعب في حافظته ما يريد حفظه بلفظه ولا يجوز له ان يستوعبه بمعناه دون لفظه الا اذا كان عارفاً بمواقع الكلام قادراً على ان يأتي بلفظ مرادف للفظ الاصلي مساو له في المعنى جلاءً وخفاءً من غير زيادة في المعنى ولا نقص فان المقصود هو المعنى دون اللفظ ، وهذا في غير القرآن واللغة فان حافظهما لا يجوز له ان يحفظ فيهما المعنى دون اللفظ لان الغرض فيهما هو اللفظ بعينه .

وما يجب على الحافظ ايضاً ان يفهم معنى ما يحفظ والا كان كالبيغاء لتتلقن من الكلمات ولا تفهم لها معنى او كان كالرجل الذي يقال عنه أنه كان يحفظ كتاب الروض للقرني ولا يفهم لمسائله معنى فكان الطلبة يقترحون عليه قراءة بعض فصول منه فيقرؤها ويحصلون منها على بغيتهم وهو لا يفقه معنى ما قرأ عليهم فصاروا يسمونه حمار الروض اخذاً من آية (فثناه كمثل الحمار يحمل اسفارا) والى هذا اشار بعض الصوفية بقوله :

حمار العنب ايش معناه حامل ثقيل الارامل

غير منلذذ بجلاواه وهو حامل الحمل باطل

وقال مروان بن ابى حفصة بدم قوماً استكثروا من رواية الاشعار من غير نفهم ما فيها من المعاني واللطائف :

زوامل للاشعار لا علم عندهم يجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باواقه اوراح ما في الغرائر
ومما يجب على الحافظ ايضاً ان يكرر ما يحفظه كي لا ينساه فان ترك التكرير من اكبر موجبات النسيان فقد قيل آفة العلم النسيان واعظم بواعث النسيان الترك . قيل الماصمي كيف حفظت ونسي صاحبك قال درست وتركوا .

مورثات النسيان . — يروى عن سيدنا علي بن ابى طالب انه قال : عشرة تورث النسيان كثرة الهم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد واكل التفاح الحامض واكل الكسفرة واكل سور الفأر وقراءة الواح القبور والنظر الى المصلوب والمشي بين الفطارين والقاء القملة حية اه . كان السلف يعتقدون صحة هذه الاسباب ويتجافون عن اتيانها وان كانوا يعجزون عن تحليل تأثير بعضها اذ لا مجال للعقل في ادراك ما هو الارتباط النكثن بين القوة الحافظة وبين البول في الماء الراكد واكل سور الفأر والقاء القملة حية وقد عد قوم في جملة مورثات النسيان — الاكثار من تناول الحوامض والنظر الى ما يجب ستره واطالة النظر في النجوم .

قلت لا بأس ان يضاف الى هذه المورثات ما قد يكون اعظم منها تأثيراً في الحافظة وهي البطنة و يقال لاصحابها البطن وهو الأشر المتبول ومن همم بطنه او الرغبب الذي لا ينهي من الاكل كالمبطان فقد قيل : البطنة تذهب الفطنة ، ومن تلك المورثات الافراط في الباهة فانه يضعف الدماغ وينقص مادته ، ومنها ادمان المسكرات والمخدرات على اي صفة كان تعاطيها ومن اي نوع كانت حتى السعوط والتدخين بالتبغ ، ومنها كثرة النوم فانها تورث الخمول وتبطل الفكر ، ومنها حبس الذاكرة وصرفها بكايبتها الى الاشتغال باحراز المال وطلب الرياضة فان المتدهور في هذه الهواية السحيقة لو كلفته حفظ حديث او بيت واحد لأظهر لك العجز عن حفظه .

ومنها وهو اعظمها بل هو الكل في الكل في تورث النسيان — الهم ولا سيما ما يتوالى منه كل يوم على العائل المملق وما يعانيه من الضنك والكرب في سبيل الحصول على معاش عياله ،

ذلك هو السبب الاقوى في طمس الواح الفكر والفنك في القوة الحافظة والاغارة على ما اکتنز فيها من جواهر العلوم والفهوم فقد نقل عن الامام الشافعي قوله : (لو كلفنا بصلة ما تعلمنا مسألة) .

قوة الحافظة موهوبة لا مكتسوبة — . قوة الحافظة منحة ربانية ينحصر الله بها من يشاء من عباده فهي كباقي المواهب الطبيعية لانثال بالسعي ولا تدرك بالارادة .
لا يكبر على القاري تصديق ما سنورده في اخبار اقوياء الحافظة وكثرة محفوظاتهم فيقول ان هذا الا من مبالغة المؤرخين ومجازفات اقله الاخبار بل يعتقد ان للطبيعة خوارق تتخذ لها مظاهر في كل زمان ومكان وان الذين اختصوا بهذه الملكة العظيمة في التاريخ الاسلامي انما امتازوا باستثمارها على غيرهم بما كانوا عليه من صفاء القرائح وبساطة المعيشة وصدق العزيمة وصميم الاعتقاد بحسن العقبى فلم يسلطوا على تلك الملكة ما يضرها ولا قارفوا شيئاً من مورثات النسيان بل تجافوا عنها جد التجافي واعظم الاستعانة به على صيان موهبتهم هذه تجردهم من حب الدنيا ومجرم المذات البدنية وابشارهم الكمالات النفسانية واستجلاء العلوم على كل لذة فذسوغوا بالعفاف وتبلغوا بالكفاف .

يحكى ان ابا حامد الاسفراييني الذي انتهت اليه في وقته رئاسة الدين والدنيا كان يعيش عبثة الكفاف ، بحرس في درب و يطالع على زيت الحراسة ويمش من اجرها ، وان ابن حمدويه علي بن احمد الامام اليزدي كان له عمامة وقميص بيضاء وبين اخيه اذا خرج هذا فعد هذا واذا قعد هذا خرج هذا ، وان ابانصر محمد الفسارابي كان قائماً باليسير من الرزق كان في اول امره ناطور بستان في دمشق وهو مع هذا ملازم للاشتغال ليله ونهاره فكان في اكثر لياليه يستضيء على المطالعة بقنديل الحارس وأراد سيف الدولة أن يوسع عليه فلم يقبل سوى اربعة دراهم فضة في اليوم ، وكان عبدالرحمن بن محمد الانباري لا يعتبره تصنع ولا يعرف السرور ولا احوال العالم كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحائوت مقدار اجرتهما نصف دينار في الشهر بقرن به ويشترى منه ورقاً ولا يوقد عليه ضوء ونجته حصير قصب وعليه ثوب خلق ولا يخرج من بيته الا يوم الجمعة وسيراليه المستضيء خمسمائة دينار فردا فقال له اجعلها ولدك فقال : ان كنت خلقتك ارزقه . وكان محمد بن القاسم الانباري لا يأكل الا البقول ولا يشرب الا قرب العصر مراعاة لحفظه وسياً في ذكرهما . ولوأردت

استقصاء ذكر أمثال هؤلاء المنقشفين في معانيهم إشاراً للذة العلم على كل لذة لاتسع لنا المجال وأفضى بنا الحال الى الملل .

وهنا أسرع بذكر العلماء الحفظة الذين وعدت بذكرهم في افتتاح هذه المقالة : أبدأ بـسطير سنة وفاة أحدهم ثم اتبعها بالكلام على سرعة حفظه وما يؤثر عنه من المحفوظات : مقتصرأ على ذكر أشهر مشاهيرهم مضمراً عن ذكر من نقل عنه انه كان يحفظ كتاباً او كتابين فان الإحاطة بذكر هؤلاء مما يملأ مجلداً ضخماً يجدر ان يؤلف على حديثه فأقول : (سنة ٦٨) عبدالله بن عباس : يحكى عنه في قوة الحافظة انه استنشد عمر بن ربيعة القرشي شيئاً من شعره فأنشده فصيده التي اولها :

امن آل نعم انت غاد فبكر غداة غد ام رايح فهجز
وهي تعد ثمانين بيتاً فاعترض عليه احد الحاضرين بقوله : أنضرب اليك اكباد الابل
تسألك عن الدين ويا تيك غلام من فريش فينشدك سفها فقال عبدالله ماسمعت سفها
فقال المعترض :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيغزى واما بالعشي فينسر
فقال ابن عباس ما هكذا قال وانما قال (فيضحي واما بالعشي فينصر) قال المعترض
او تحفظ الذي قال قال والله ماسمعتها الا ساعتي هذه ولوشئت ان أورها لأوردتها
وأنشده اياها كلها .

(سنة ١١٧) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الاعمى : كان يضرب به المثل في حفظه قال ما قلت قط لمحدث أعدي « وما سمعت أذناي شيئاً الا وعاء قلبي » قال الامام احمد بن حنبل في حقه : قتادة عالم بالأنفسير و باختلاف العلماء ثم وصفه بالثقاة والحفظ وقال قلما نجد من تقدمه ، قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها .

قلت لانجد ما يشبه به أدمغة من عرفوا يحفظ ما يلقى اليهم من الكلام من سمعة واحدة كعبدالله بن عباس و قتادة و ابي تمام والمنني والمعري — الا بقرص الآلة المعروفة عندنا بالسماة او حافظة الصدى (الفونوغراف) فان ذلك القرص يشبه بادمغة اولئك من جهة حفظه ما يلقى اليه من الكلام من سمعة واحدة .

(١٥٥) حماد الراوية : قال له الوليد بن يزيد الاموي — بما استخفقت هذا الامم فقال لاني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف بانك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا حديثاً الا ميزت القديم من الحديث ، فقال له فيكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير . ولكنني انشدك على كل حرف من حروف الهجاء مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال سأمتحك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر ثم وكل به من استخفاه ان يصدقه عنه و يستوفي عليه فأنشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة الف درهم .

(٢٠٦) الامام محمد بن ادريس الشافعي : كان يحفظ الكثير الوافر من العلوم بكتاب الله وسنة رسول الله واختلاف افاضل العلماء وكلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي على جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه اشعار المزلين : قال الامام الشافعي قدمت على مالك بن انس وقد حفظت الموطأ فقال لي احضر من يقرأ لك قلت انافاري فقرأت عليه الموطأ حفظاً . وحفظ الشافعي خمسة وعشرين حديثاً حدث بها مالك في جلسة واحدة ، وحفظ كتاب الاوسط لابي حنيفة في ليلة واحدة .

(٢١٧) عبد الملك المعروف بالاصمعي : كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزة وحضر مرة في مجلس الحسن بن سهل وكان يوقع في رفاع للناس في حاجاتهم وكانت خمسين رقعة وبعد ان وقع بها كلها اخذ يتذاكر مع من حضر مجلسه في الحفظ والحفظ فالتفت ابو عبيدة وكانت من جملة الحاضرين وقال للحسن ما معناه — هنا من يقول ما قرأت كتاباً قط فأحتاج ان اعود فيه ولادخل قلبي شيء نخرج منه فقال الاصمعي الى الحسن — ايها الامير ان ابا عبيدة يريدني بهذا القول وقد صدق فان الامير قد نظر فيما نظر من الرفاع وانا اعبد من حفظي ما فيها وما وقع بها الامير على كل رقعة منها فأحضرت الرفاع ليعارض بها ما يقول فقال الاصمعي — صاحب الرقعة الاولى قال كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر نيف واربعين رقعة فالتفت اليه نصر بن علي وقال له ايها الرجل ابق على نفسك من العين فكيف الاصمعي .

(٢١٩) ابو بكر الجيمدي بن حميد : كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث .

(٢٣١) حبيب بن اوس الطائي المعروف بابي تمام : كان له من المحفوظات ما لا يحقه غيره : قيل كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ، وكان يحفظ القصيدة الطويلة متى سمعها مرة واحدة ، وانشد البحرني قصيدته التي اولها « أفاق صب من هوى فأفيا » وكان ابو تمام حاضراً لحفظها كلها وهي تبلغ نحو سبعين بيتاً وقصتها مشهورة مذكورة في ترجمته .

(٢٤١) الامام احمد بن حنبل : كان يحفظ الف الف حديث وعن ابي زرعة انه احرز كتب احمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه على ظهر قلبه .

(٢٥٦) الامام اسماعيل البخاري صاحب الصحيح المنسوب اليه : كان آية في الحفظ والضبط وبلغ ما حفظه في صباه سبعين الف حديث ثم بلغ حفظه بعد ذلك مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح ، وامتنح حفظه جماعة من اهل الحديث فجمعوا مائة حديث وقلبوها متونها واسانيدوا وجعلوا متن هذا لاسناد الآخر والقوها عليه واحداً بعد واحد وهو يسميها ويقبها بمعرفتها حتى اذا فرغوا من القائها طفق يحيب عنها واحداً بعد واحد فرد كل حديث منها الى اسناده الصحيح وكل اسناد الى مننه فأقر له الناس بالحفظ والضبط واذعنوا له في الفضل .

(٢٦٤) اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه : قال احمد بن حنبل سيفه في حقه — عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحق . قال اسحق احفظ سبعين الف حديث واذا ذكر بمائة الف حديث وما سمعت قط شيئاً الا حفظته ولا حفظت شيئاً قط فزنته . واملى على جماعة من اهل العلم احد عشر الف حديث من حفظه ثم قرأها عليهم فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً .

(٣٠٢) يونس بن حبيب النخوي : قال ابو عبيدة معمر بن المثنى — اختلفت الى يونس اربعين سنة أملاً كل يوم الواحي من حفظه .

(٣٠٨) عبد الله بن محمد المكفوف القيرواني : كان يجلس مع حمدونة النخعي في مكتبته فربما استعار بعض الصبيان كتاباً فيه شعر او غريب او شيء من اخبار العرب فيقتضيه صاحبه اياه فاذا ألح عليه أعلم عبد الله فيقول له أقرأه علي فاذا فعل قال أعده ثانية

- ثم يقول له رده على صاحبه ومتى شئت تعال حتى أملكه عليك .
- (٣٢١) محمد بن الحسن بن دربد اللغوي : كان واسع الرواية لم ير احفظ منه وكانت دواوين العرب تقرأ عليه فيسابق الى اتمامها من حفظه .
- (٣٢٨) محمد بن القاسم الانباري النخوي : كان اكثر الناس حفظاً في الادب قال ابو علي القالي — كان محمد الانباري يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم وقيل له قد اكثر الناس في محفوظاتك فكيف تحفظ قال احفظ ثلاثة عشر صندوقاً وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن باسانيدها .
- (٣٥٤) احمد بن الحسين ابوالطيب المنيني : كان سريع الحفظ وقف مرة على وراق فجاء رجل ومعه كتاب للبيع فأخذه المنيني من يده وطقى بقرأه فقال له صاحبه ادفع الكتاب للوراق وبعد ان يشتريه مني خذه منه واقرأه فدفع المنيني الكتاب للوراق وقال له لم يبق لي به من حاجة فاني قد حفظته ومر بثلاثه حتى أتى على آخره .
- وما يدل على كثرة حفظه كثرة نقله اللغة واطلاعه على غريبها وحوشها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان ابا علي الفارسي قال له يوماً كم لنا من الجوع على وزن فعلى فقال في الحال جلي وظربي قال الشيخ ابو علي فطاعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان أجده لذين الجمع ثلثاً فلم أجده .
- (٣٥٦) علي ابوالفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغانى : قال النونجي في حقه : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم — ابوالفرج الاصبهاني يحفظ من الشعر والاغانى والآثار والاحاديث المسندة والنسب ما لم ارقط من يحفظ مثله و يحفظ دون ذلك من العلوم الأخر اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ومن آلة المناداة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبهرة ونف من الطب والنجوم .
- (٣٥٦) اسماعيل ابو علي القالي صاحب الآمالى المنسوبة اليه وقد أملاها من حفظه وله غيرها من المؤلفات الكثيرة التي أملاها من حفظه ايضاً .
- (٣٨٥) علي بن عمر المعروف بالدارقطني : كان يحفظ ديوان السيد الحميري الذي يشتمل على الفين وثلاثمائة قصيدة في مدح بني هاشم فقط سوى القصائد الاخر المنظومة في بقية المعاني ومدائح الناس ومجوم .

(٣٩٣) محمد ابو بكر الخوارزمي : يحكى عنه انه قصد الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابيه « قل للصاحب على الباب احد الادباء وهو يستأذن بالدخول » فدخل الحاجب واعلمه فقال الصاحب قل له قد الزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك فقال ابو بكر ارجع اليه وقل هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه فقال الصاحب « هذا يكون ابابكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول فدخل عليه فعرفه .

(٣٩٨) احمد بن حسين المعروف بالبديع الحمذاني : كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها غير مرة واحدة فيعيدها من حفظه مقلوبة وهي تربو على خمسين بيتاً وينظر في الاربعة والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة خفيفة ثم يهزها على ظهر قلبه : يحكى انه لما دخل نيسابور اعجب بنفسه وانكر على الناس قولهم « فلان الحافظ في الحديث » ثم قال وحفظ الحديث مما يذكر « فسمع به محمد بن عبدالله بن حمدو به الحاكم الضبي المتوفى سنة ٤٠٥ فوجه اليه بجزء من الحديث واجتله في حفظه جمعة فرد الجزء بعد جمعة وقال من يحفظ هذا محمد بن فلان وجمعه بن فلان عن فلان اسامي مختلفة والفاظ متباينة » فقال له الحاكم فاعرف نفسك واعلم ان حفظ هذا اضيق مما انت فيه .

(٤٣٩) محمد بن عبد الواحد المعروف بالمطرز : كان اكثر ما يمليه من التصانيف يلقيه من لسانه من غير صحيفة يرجع اليها حتى قيل انه املى من حفظه ثلاثين الف ورقة من اللغة ، وكان يسأل عن شيء تكون الجماعة قد اتواطات على وضعه فيجيب عنه ثم يترك سنة ويسأل عنه فيجيب عنه بذلك الجواب بعينه .

(٤٤٩) احمد ابو العلاء المعري : يذكر المؤرخون في قوة حافظته اخباراً كثيرة ربما كان بعضها مما يحيله العقل وقد اقتصرت منها على حكاية واحدة يسهل تصديقها ولا سيما ان راويها ثقة معروف وهو الامير أسامة بن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علوياً فخالست يوماً عنده فقال لي قد خبأت لك خبئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ ، قلت وما هي قال هي دون البلوغ ضرير يتردد الي وقد حفظته في ايام قلائل عدة كتب وذلك اني افرأ عليه الكراسية والكراسيتين

مرة واحدة فلا يستعيد الا ماشك فيه ثم يتلو علي ما قد سمعه مني كأنه كان محفوظاً له قلت
فعله ليكون محفوظاً قال سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك
كذلك فهو اعظم ثم حضر المشار اليه وهو صبي دميم الخلقة مجدر الوجه على عينيه قليلاً وهو
يتوقد زكاء بقوده رجل طويل من الرجال احسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن يا ولدي
هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يجب ان تحفظ اليوم ما ينجته لك فقال
سمعاً وطاعة فيخار ما يريد ، قال ابن منقذ فأخبرت شيئاً وقرأته على الصبي وهو يوج
و يستزبد فاذا مر بشيء يحتاج الى تقريره في خاطره بقول اعد علي هذا فأردده مرة
اخرى حتى انتهيت الى ما يزيد على كراسة ثم قلت له بقنع من هذا من قبل نفسي قال اجل
حرسك الله قلت كذا وتلا علي ما املئته عليه وانا عارض بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهيت
الى حيث وقفت عليه فكاد يذهب عقلي لما رأيت منه وعلمت انه ليس في العالم من يقدر على
ذلك الا ان يشاء الله وسألت عنه فقبل لي هذا ابو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء
والثروة والغنى .

(٤٥٨) علي بن احمد بن سعيد اللغوي المعروف بابن سيده الضريز : قال في حقه
ابو عمر الطنكي — دخلت مرسية فتشبت بي اهلها لسمعوا علي كتاب (الغرب المصنف)
فقلت لهم انظروا من يقرأ وانا امسك كتابي فأناو برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه من
اوله الى آخره حفظاً من قلبه فتمجبت منه .
(٤٧٨) عبد الملك بن عبد الله الجويني امام الحرمين : كان يحفظ اثنتي عشرة الف
ورقة من كلام القاضي ابي بكر .

(٥٠٣) محمد بن عباس الخوارزمي : كان يحفظ شرح المذهب لابن بكر الصيدلاني
في مجلدات ويحفظ تفسيراً للعرب جميعه .
(٥٠٥) محمد بن محمد المعروف بالغزالي : كان يحفظ جميع ما علقه في مؤلفاته
الكثيرة فلا حاجة للتطويل في ذكر محفوظاته .

(٥٤٤) محمد بن مروان الاشيلي الاندلسي : كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو
ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع اقوال اهل الطب .
(٥٨٠) الخضر بن ثوزان التوماني : كان يحفظ المجمل وشعر الهزليين واخبار

الاصمعي ورؤية والحجاج وذو الرمة وغيرهم من الخضر من اهل الجاهلية والاسلام .
(٥٨٩) السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي : كان يحفظ القرآن وكتاب
التهذيب في الفقه وشعر الحماسة .

(٥٩٥) القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني : وهي المنظومة اللامية المحببة في
فن القراءات السبع كان يقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ فتصحح النسخ من حفظه
ويملي النكت على المواضع التي تحتاج اليها ولما دخل مصر قال انه يحفظ وفر بعير من العلوم
بجيث لو نزل عليه ورقة لما احتملها .

(٧٢٤) احمد بن ابراهيم الكنافي العسقلاني : كان يحفظ مخنصر الخرق في الفقه
والألفية ابن مالك والطوالع للبيهضاوي والشذور والمحة وحفظ نصفها في ليلة واحدة وبحفظ
غير ذلك من الكتب التي كان يعرضها على علماء عصره .

(٧٢٨) الامام احمد بن نعيم له من المؤلفات المفيدة ما يربو على اربعمائة كتاب كلها
كان يمليه من خزائنه فكره ويقتربها من بحار معرفته وكان الناس يهتدون من كثرة حفظه
فهو حقيق ان يعد امام الحفاظ في العالم الاسلامي .

(٧٩١) ابراهيم المعروف بابن مسافر : كان يحفظ القرآن والعمدة والألفية ومنهاج
البيهضاوي وكتاب التدريب ومنهاج النووي وعرض محفوظاته على علماء عصره .

(٨١٧) محمد بن يعقوب الفيرز آبادي صاحب القاموس المحيط كان سريع الحفظ
وكان يقول لا انا ولا احفظ مائتي سطر وما بدل على قوة حافظته اتيانه برديف لكلام
علي بن ابي طالب على الفور لما قصد علماء الروم امتحانه فسألوه عن قول علي لكتابه (الصق
روانفك بالحبوب الخ) .

(٨٣٣) محمد بن محمد الجزري : يحفظ القرآن والشاطبية والرائية وكتاب التهذيب
لابي اسحق والفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي وتلخيص المفتاح ومنهاج البلقيني والفية
العراقي وعرض محفوظاته على شيوخ عصره .

(٩٠٠) حسن بن علي الحلبي المعروف بالسيوفي : يحفظ القرآن ومنهاج النووي
والارشاد لابن المقرئ والفية العراقي والسيرة النبوية ومنهاج البيضاوي في اصول الفقه

والشاطبية وكافية ابن الحاجب . الفية ابن . الثالث . الطوالع للبيضاوي في الاصول والشمسية في المنطق وتصريف العزى .

(فريق من الحفظة الذين لم اهتد الى تاريخ وفياتهم) — منهم الهيثم بن احمد بن غالب قال في كتاب نفح الطيب : كان آية في الحفظ وكان يحفظ ديوان ذي الرمة واختبره جماعة من الادباء في الحفظ فاقترحوا عليه ان ينشدهم شعراً قافيته (قاف) فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشد وزن (أرق على أرق ومثلي بأرق) وسمّاه قدنام بعضهم وبعضهم قد مل وسئم وهو لم يفارق قافية القاف .

ومنهم الشيخ محمد التونسي الشهير بالغوثي قال في الشقائق النعمانية انه كان يحفظ المطول مع حواشيه وشرح المطالع للرازي والتلويح شرح التوضيح وشرح مختصر ابن الحاجب للعضد وحواشيه والكشاف مع حواشي الطيبي .

ومنهم حميد الدين بن افضل الدين الحسيني قال في كتاب الشقائق : قال محيي الدين النفثازاني في حقه انه قرأ عليه مدة طويلة وشهد له بانه لم يجد مسألة من المسائل الشرعية والعقلية الا وهو يحفظها قال ولو ضاعت كتب العلوم كلها لا يمكن ان يكسبها من حفظه . ومنهم مصلح الدين مصطفى الشهير بالبغل الاحمر قال في كتاب الشقائق : سئني عنه احد تلامذته انه كان يحفظ جميع المسائل بجميع العلوم وقال ما ذكرت عنده مسألة من الفنون الادبية والعقلية والشرعية الاصلية والفرعية الا وهي في حفظه بالفاظها وعباراتها حتى انه كان يعرف اختلاف النسخ . وغضب يوماً من بعض الطلبة لعناده في مسألة فقال ما من مسألة من كتاب المقصود في الصرف الى الكشاف للزمخشري الا وهي في خاطره قال صاحب الشقائق وكلامه هذا صادق لا ريب فيه .

وهنا استوقف اليراع عن اذاعة ما يكنه في حافظته من اسماء اقرباء الحافظة وكثيري المحفوظات الذين لو اطلقت اليراع في حلبة بيان اسمائهم لضافت عن جربه صفحات الحلة وانما اكسني الآن بايراد هذه النبذة عملاً بما يقال (ما لا يدرك كله لا يترك الله) .

حلب : كامل الغزي

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

حوليات مصر السياسية

« تأليف احمد شفيق باشا »

تمهيد الجزء الثاني ص ٧٩٩ وملحقه ١٢٨ ص طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م .

تمهيد الجزء الثالث ص ٧٣٥ طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م .

الحوالية الاولى سنة ١٩٢٤ م ص ٦١١ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م .

الحوالية الثانية سنة ١٩٢٥ م ص ١١٠٤ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م .

الحوالية الثالثة سنة ١٩٢٦ م ص ٧٠٧ طبعت سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .

وكلاهما مطبوعة في مطبعة شفيق باشا ومطبعة حوليات مصر السياسية بشارع

الدواوين بالقاهرة .

بلغ المؤرخ الاستاذ واضع هذا الكتاب العظيم أمنيته على نحو ما توقعه في الجزء الاول من حولياته (مجلة المجمع العلمي العربي م ٨ ص ٣٠٦) وما أمنيته الا خدمة مصر وتاريخها . وبعد ان مهد لتاريخه في ثلاثة مجلدات عاد فخص كل سنة بمجلد فكتب تاريخ مصر الآن بعد المقدمات المهمة من سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٦ اي ثلاث سنين وتوخى « خطة الحياض في سرد الحوادث وبيان ارتباطها بعضها ببعض » وابتعد « عن الحكم فيها الا بما قضت به ضرورة البَيان متوخياً في الحكم البحث عن الحقيقة المجردة » « فما زالت علة التسايرخ الزبغ والميل مع الهوى » « وحسبك ان تعلم ان اول واجبات المؤرخ نسيان عواطفه ووأد العوامل الشخصية وأدأ تاماً ، والتحرر من النزعات النفسية إطلاقاً حتى لا تصطبغ كتابته بما يشوش بهاء الحق وبغض من جمال الصدق » .

وفي الحق ان المؤلف راعى هذه الاعتبارات كل المراعاة فيما أضدره حتى الآن من مجلداته الستة المتمعة بحيث لا يحتاج الباحث بعدما سيفي تلخيص تاريخ مصر الحديث الا الى الرجوع الى مادون من هذه الوثائق الثمينة وبذلك وفر للباحثين اوقاتهم واعطاهم زبدة ماتم في تاريخ مصر السيامي . وحسب القاري ان يعرف ان العلامة مؤرخ مصر

الحديثة صرف حياته في معاناة السياسة خائضاً فيها مع الخائضين قريباً كل القرب من
الاوراط السياسية . وهو يكتب الآن مجرداً عن مظاهره القديمة وقد نضج علمه وصحت
تجاربه . ولذلك يهنا على عمله المجيد الذي خلده به مجد مصر الأخير على صورة ترفع
رأس كل مصري بل كل عربي وشرقي . وفقه الله الى إتمام مشروعه الذي نشوء بمجمله
الجماعات دوع الافراد . وانا لنترجو ان نلبيث همه كل اخصائي في علم من العلوم البشرية
في مصر والبلاد العربية ليقدم لامته خدمة كخدمة صدقنا احمد شفيق باشا ، اذا لامتلأت
الخزائن بنفثات الأقلام ونخرجنا بالامة الى رحاب البحث العلمي الممتع ولماخونا امام أمم
الغرب بدؤوبنا وتسلسل اعمالنا ، فحجونا بمملنا وجدنا الوصمة التي طالما وصمنا بها الدخلاء
برمهم ايانا بوناء العلم افراداً وجماعات .

م . ك

المجمع العلمي اللبناني

« خلاصة اعماله الى السنة الحاضرة (١٩٣٠) مطبعة المعارض بيروت »

رسالة في أعمال المجمع منذ نشأته في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ وفيه خلاصة من
قارير خمسة وضعها اللجنة الادارية — واللغوية — والجغرافيا والتاريخ — والخطوطات
ورأي رئيسه وبعض اعضائه في دائرة المعارف . ولم تخرج كلها عن حدود النقارير التي
لم تنفذ بعد ولتنظر عطف الجمهورية اللبنانية حتى تخرج من الاقوال الى الافعال .
وقد استندنا منه ان في مكاتب بيروت الكبرى ٦٧٤ مؤلفاً عربياً مخطوطاً منها ٤٧٦
مجلداً و ١٩٨ رسالة . في الجامعة الاميركية منها ١٨٣ مجلداً و ١٣٤ رسالة . وفي مكتبة
الآباء اليسوعيين ٢٤٥ مجلداً و ٤٤ رسالة . وفي دار الكتب الكبرى ٤٨ مجلداً و ٢٠
رسالة . وان لجنة الجغرافيا والتاريخ « طبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام وفي
كل منها حقول متنوعة لاسماء المدن والساكن والقرى والمزارع وعدد النفوس والمذاهب
والانهار والينابيع والجبال والمنتاج والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ومواطن
الآثار واهم الحاصلات الزراعية والمنسوجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون العمرانية
الاقتصادية عدا أماكن الاصطياف ومواردها التي لها المقام الاول في جبل لبنان » .

والمأمول ان يتم هذا المجمع قريباً وان يشرع المجمع الشقيب سيفه القاء المحاضرات العشر التي اعدّها لهذه السنة وهي مهمة في بابها ولا بأس بان نلّفت نظر من وضعوا هذه الرسالة الى ان المجمع التي ذكروها في العراق ومصر (بل وشرقي الأردن) لم نعد حد التأسيس بل حد الاماني حتى الآن . وعالم الادب ينظر منها ومن المجمع اللبناني اعمالاً أدبية محسوسة نقرأ بها عيون العرب والعربية .

م . ك

سيد قريش

— بقلم —

« الاستاذ معروف الارناؤوط »

قال ابو العباس النامي في المنبئي والنامي ، من خواص شعراء سيف الدولة : كان بقي من الشعر زاوية دخلها المنبئي ، وانا لما قرأت (سيد قريش) واحطت بحياة العرب ، وسياستها ، واجتماعها في جاهليتها الجاهلاء ، خطر ببالي ان اقول في الاستاذ معروف الارناؤوط ما قاله النامي في المنبئي : كان بقي من الادب زاوية دخلها السيد معروف الارناؤوط .

وما هذه الزاوية الا زاوية الرواية ، ولقد دخلها الاستاذ معروف ونجّح في ساحتها ، فبأنه وفيها ، فما نكرت جانبها ولا نكرت جانبها ، أعطته كل ما ملك ، واعطاها كل ما ملك ، أعطته صوراً هامة فأحيّاها ، وارواحاً جامدة فحرّكها ، وألواناً جامدة فصفّأها ، فان شئت ان تشاهد شيئاً من حياة هذه الصور ، وحركة هذه الارواح ، وصفاء هذه الالوان ، فارجع الى اي فصل من فصول سيد قريش ، اني لا ادلك على موضع من مواضع روعتها ، فاختر لنفسك ما شئت من فصولها في الفساسة والمناذرة ، والقياصرة والاكاسرة ، فان كان في قلبك غم لم تفرّجه فارجم الى فصلها في شاعر الفساسة ، انك تجد دمشق في ربعمها الطلق تهش بك ازاهيرها ، وتضحك اليك رباحينها ، فاستظلّ بهذا الظل الخضر ، وان كان في عينيك بقية دمع لم تذرفه ، فارجع الى فصل العرب بين الروم والفرس ، انك تصادف أمة مصدوعة الشمل من قديم الدهر ، تشتري موتها في سبيل حياة غيرها ،

من الروم والفرس ، بصطنعمونها في تأييد سلطانهم ، فينقأ نل الحارث الغساني ، والمنذر اللخمي حتى يتبسط قيصر او كسرى في بلاد العرب ، وان كان في صدرك وحشة في وطنك فارجع الى فصل الوطن في البداية ، انك ترى البدوي يأبى ان يسكن دمشق وجناتها بدل الصحراء ، فتعلم كيف يكون الحنين الى الوطن .

ارجع الى هذه الفصول كلها ، حتى تعرف ما هو سحر العبقريّة ، وتذكر الفرق بين كدة التاريخ ونضارة الفن . لقد وضّح الاستاذ معروف الارناؤوط حياة العرب قبل الاسلام في جميع نواحيها ، في سياستها ، واجتماعها ، وثقافتها ، على قدر ما هداه اليه التاريخ ، وعلى قدر ما أوحى اليه الرواية ، والتأليف بين حقيقة التاريخ ، وبين خيال الرواية ، هذا هو السحر الحلال الذي يروك في سيد قریش .

« شفيق جبري »

هدايا كتب

(العقود الدرية في الدواوين الحليّة) — هي ثلاثة دواوين لثلاثة من شعراء حلب : اولهم حسين بن احمد الجزري المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ . وهذا الديوان لم ينشر ولم يطبع بعد . والثاني ديوان فتح الله الفخاس المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ . وهذا طبع وتداول . والثالث ديوان مصطفى بن عبد الملك البابي الحلي المتوفى سنة ١٠٩١ هـ . وقد طبع ايضا والاخير منهم هو صاحب الموشح الرقيق الذي وصف فيه عين الذهب ووادي الباب ومطلعه : (بابي وا بابي وا بابي جرعة من ماء عين الذهب)

وقد ذهل قانديك في جغرافيته (المرأة الوضية) فجعل هذه العين في الاندلس مذ قال « ومن الاماكن المشهورة بالاندلس عين الذهب التي يقول فيها مصطفى البابي الحلي هذا الموشح بابي الخ » والبابي المذكور مات سنة ١٠٩١ هـ اي بعد جلاء المسلمين عن الاندلس بنحو (٢٠٠) سنة فلا يعقل ان يكون — وهو في حلب — قال موشحه في العين التي في الاندلس . وناسر هذه الدواوين الثلاثة هو عضو مجمعنا العلمي الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ وقد طبعها في مطبعته العلمية بحلب سنة (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م) .

وقد أثبتنا مراراً على نشاط رصيفنا الاستاذ في ما ينشره من الكتب والمخطوطات في الفنون المختلفة فجزاه الله خيراً .

(الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) - اخذت (مكتبة عرفة) في دمشق لنشر على نفقتها من وقت الى آخر الكتب التي نراها أعلق بفائدة الجمهور ، من ذلك الرسالة المذكورة التي ألفها الاستاذ الكتاني المعروف في دمشق بعلمه وفضله ورسومه في علوم الدين ولا سيما السنة والحديث . وقد جمع في رسالته كل ما يتعلق بالسنة وطبقاتها ودرجاتها ، فالتصفيح لها يحد كل ما يهمه وبقيده في الوقوف على علم السنة وتاريخه وتدرجه منذ صدر الاسلام الى اليوم .

(مستهل الآداب) - وهذا الكتاب أيضاً مما نشرته مكتبة عرفة لمؤلفه الأديب السيد محمد جميل سلطان من أساتذة المدارس وقد ضمنه طريقة حديثة في تسهيل تعليم الآداب العربية للطلاب طبقاً للبرنامج المقرر تدرسه لطلاب الصف الخامس . فنشكر مؤلفه ونشره ونلفت أنظار أساتذة التعليم إليه .

(الثقافة والتهذيب) - رسالة لطيفة في جمعها غزيرة في مادتها وفائدها لكتابها الفاضل (ابو زهير الاندلسي) وهو لقب انتحله السيد راشد طيارة ، يوقع به آثاره . ومنها هذه الرسالة التي ضمنها مباحث في التربية والتهذيب ومقامها من حياة الافراد والجماعات ، والبحث فيها مستند الى الاصول التي وضعها علماء هذا الفن المعاصرين ، فالرسالة لا غنى لعالم ولا لمرب عنها فنشكر مؤلفها سعياً وهدية .

(الهندسة المستوية) - تأليف « وبنفورث وسميث » وتعرض كل من الفاضلين جلال امين زريق والاستاذ السيد علي وقد وصل اليها من هذا المصنف جزآن الثاني والثالث اللذان قررت وزارة المعارف العراقية تدريسهما في السنة الثانية من الدراسة الثانوية فنلفت اليهما علماء هذا الفن وطلابه .

« المغربي »

ملحق للمجلد الثاني

(دمشق) : آذار سنة ١٩٣٠ م الموافق شوال سنة ١٣٤٨ هـ ١١١

قاعدة توهم الإصالة

— أو —

« انجذاب الطبع »

كنت منذ خمس سنوات نشرت مقالاً في مجلة المجمع (مجلد ٥ ص ٢٠٥) بعنوان « تأصيل اصل في اللغة العربية » قررت فيه قاعدة لغوية مميّتها (توهم الأصالة) أو (انجذاب الطبع) وبنيتها على ما روي من أن (عمارة ابن عقيل) أحد من تؤخذ عنه اللغة في القرن الثالث للهجرة استعمل في شعره كلمة (أرباح) جمع ربح . فخطأه ابو حاتم السجستاني فائلاً أن هذا لا يجوز وإنما هي (أرواح) بالواو لان (الباء) في مفردة مقلوبة عن (واو) فاعتذر عقيل بقوله (لقد جذبني اليها طبعي) يعني انه يستعمل بقولون في جمع ربح (رباح) فتوهم الباء أصلية فقام عليها (ارباح) .

وقلنا في مقالنا المذكور ان علماء اللغة افترضوا غلط عقيل واستفادوا من (انجذاب طبعه) فخرّجوا كلمات كثيرة في اللغة على قاعدة (توهم الأصالة) مخالفين القياس في ذلك . وقد انتبعت طائفة من تلك الكلمات سردها واحدة واحدة في مقالي المذكور . وأثبت كيف كان قياسها وكيف جرى الاستعمال عليها بخلاف القياس مراعاة لقاعدة (توهم الأصالة) وهذه هي تلك الكلمات نذكرها درج مقالنا هذا :

(١) عيد أعياد	(٧) مذهب تمذهب	(١٣) نهمة أنهمه الحاكم
(٢) منطقة تمنطق	(٨) مصيراً مصرة ومصارين	(١٤) (صاق) وجمعها سوقي
(٣) مدرعة تمدرع	(٩) مسيل مُسَلّ مسلان أمسلة	بالهمزة
(٤) مسكن تمسكن	(١٠) مكان أمكنة أمكن أماكن	(١٥) سنة سانه
(٥) منديل تمندل	(١١) حيلة أحيل	(١٦) ثور أشيه
(٦) مُسلم تمسلم	(١٢) نخمة أنخمه الطعام	

هذه الكلمات وردت في كلام العرب فهي إذاً قاموسية وقد طبّقها علماء اللغة على قاعدة (توهم الأصالّة) . وهناك كلمات ذكرناها وردت على تلك القاعدة لكنها ليست قاموسية وإنما هي مولدة استعمالها المولدون متأثرين بالقاعدة من حيث لا يشعرون وهي :

(١٧) مسخرة تمسخر عليه	(٢٠) سلطان تسلطن
(١٨) ملعون تملعن	(٢١) شيطان تشيطن
(١٩) مشيخة تمشيخ	

هذا ما أحدثه المولدون من الكلمات المراعى فيها قاعدة (توهم الأصالّة) اما المعاصرون فهل استفادوا من تلك القاعدة ؟ نعم . فان الشيخ ابراهيم اليازجي استعمل :

(٢٢) كلمة (منطاد) وجمعها على (مناطيد) نوهمّا ان نون (منطاد) اصلية مع انها زائدة وكان القياس ان يقال (مطاييد) . ثم خرجتُ أنا كلمة جديدة شائعة على اللسان والأفلام ولا سيما في المعاملات الرسمية وطبقتها على تلك القاعدة وهي كلمة :

(٢٣) أشّر تأشيراً بالهمزة على نوهم أصالتها في كلمة (إشارة) وكان القياس ان يقال (شورّ على الكتاب) لا أشّر عليه .

هذا ملخص ماجاء في مقالنا السابق . ومازلت منذ ذلك الحين أتتبع الكلمات القاموسية التي وردت مضروبة بر غرار تلك الكلمات فعمّرت على طائفة منها أحبت جمعها في هذا المقال وتخرّجها على قاعدة (توهم الأصالّة) أو (التجذاب الطبع) كما فعلت في كلمات المقال الاول . وبعد ان أسردتها آتيت على كلمات استعمالها نحن اليوم مخالفين فيها القياس . ثم أستفتي الزملاء بجواز استعمالها بناءً على القاعدة نفسها .

(٢٤) مر في مقالنا السابق (مجلد ٥ ص ٢١٠) ان اصل (سنة) سنو حذفوا واوها وعوضوها تاء فقبل سنة . لكنهم كثيراً ما يقفون عليها بالهاء فيقولون (سنه سنه) وبذلك توهموا الهاء أصلية وبناءً على هذا التوهم قالوا سيف في جمع سنه (سنهات) وفي فعلها (سانهه) اي عامله بالسنة كما قالوا (سنوات) و(ساناه) على الأصل .

• أقول هنا انهم كما كانوا يقفون في (سنه) على الهاء حتى ظنوها أصلية كذلك كانوا بنطقون الهاء تاء فيقولون (سنة سنة سنه) حتى توهموا ان التاء أصلية وليست مقلوبة عن واو . وتوهمهم هذا جذب طبعهم الى اشتقاق فعل منها واثبت التاء في الفعل : فقالوا (أبنت) مشتقاً من كلمة (السنة) المستعملة في معنى الجذب والتخط لا بضمه العام . ومعنى أسنت القوم أجذبوا وخطوا . وكان القياس ان يقولوا (أسنى القوم) بالألف المنقلبة عن الواو الاصلية . نعم هم يقولون أسنى القوم لكن لا بمعنى خطوا بل بمعنى أقاموا في المكان سنة واحدة . ومن قبل توهم الأصلية في تاء (سنة) استعمالهم فعلاً لها من النعتل فيقولون (تسنت فلان فلانة) اي ان فلانة المسكينة أسنت وأجذبت وقل مالهـا وهي كريمة فافترض فلان اللثيم الكثير المال حالتها هذه فتزوجها .

(٢٥) (ميسم مياسم) الميسم أثر الكي في الجلد مشتق من (الوسم) الواوي فأصل (ميسم) (موسم) قلبت واوها ياءً لانكسار ما قبلها فاذا جمعتها على القياس قلت (مواسم) بتصحيح الواو . لكنهم قالوا في جمعها (مياسم) ايضاً وهذا بناءً على توهمهم أصلية الياء في (ميسم) كما توهموا أصلتها في (ريج) و(عيد) مذ قالوا (أرباح) و(أعياد) . ولعلهم انما قالوا مياسم في ميسم ابتعاداً عن التباسها بالمواسم جمع موسم وهو اجتماع الناس في أيام مخصوصة .

(٢٦) (زير أزيار) الزير هو الذي يزور النساء و يجب محادثتهن من غير شر . فهو من (زار يزور) الواوي وأصل (زير) (زور) قلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها . فجمع (زير) (أزوار) برد الياء الى أصلها . لكنهم لكثرة ما سمعوا كلمة (زير) توهموا ياءها أصلية فقالوا في جمعها ايضاً (أزيار) .

(٢٧) (مكحلة تمكحل) (المكحلة) بضم الميم اسم آلة للوعاء المعروف الذي يوضع فيه الكحل وقد أس الناس بكلمة مكحلة وتردت على أفواههم حتى حسبوا ميمها (أصلية) وحتى قالوا في الفعل منها (تمكحل) اي أخذ مكحلة كما قالوا تمنطق . وقياسه تكحل من دون ميم .

(٢٨) (مولى تمولى) المولى السيد وميمه زائدة لانه مشتق من (ولى) . فكان قياس فعله ان يقال (تولى) فلان علينا . لكنهم توهموا ميم (مولى) أصلية فقالوا (تمولى) علينا و (ما كان فلان بمولى ولقد تمولى) .

(٢٩) (أتى أتى يتى) فعل (أتى الله) أصله إوتى من الوقاية قلبت الواو تاء ثم ادغمت التاء الآن وقد كثر استعمال (أتى) حتى توهموا ان تاء أصلية لامتقالية عن واو ثم توهموا ان ثلاثي (أتى) (أتى) لا (وتى) ومضارعه يتى لا يتي . انشد ابن دريد :
جلاها الصيقلون فاخضوها خفافاً كلها يتى بأثر
وامره (تق) لا (ق) قال الشعبي :

(أتى الله لا انظر اليه يا فتى وما خلني في الحج ملتصاً وصلًا)
وهكذا زادوا في لغة العرب بناءً على قاعدة (التوهم) فعلاً ثلاثياً هو (تق يتق) كقضى يقضى . وجعلوا له مصدرًا وهو (تقى وتقاه) واسم مصدر وهو (تقوى) . فكانت لا واو في اصل المادة بل ناسوها بالمرّة . وكل ذلك ناتج عن لزوم التاء في (أتى) وتوهمهم أصلتها .

(٣٠) (أخذ أخذ يتخذ) فعل (أخذ) افعلال من الاخذ . وأصله إتخذ ولقد توهموا أصله التاء في (أخذ) من كثرة استعمالها حتى اشتقوا منه فعلاً ثلاثياً مبدوءً بالتاء فقالوا (أخذت ما لا اذا كسبته وأخذت زبدًا صديقًا) من باب تعب . وجعلوا له مصدرًا مبدوءً بالتاء ايضا فقالوا (أخذت) على وزن (تعبًا) .

(٣١) (خنثى خنثاء) خنثى كحبل ألفها زائدة لكنهم توهموا أصلها فاشتقوا من خنثى فعل (خنثاه) كساقاه اذا صيره كالخنثى ومنه قول المتنبي :

خنثى الفحول من الحكمة بصغره ما يلبسون من الحديد معصفرا
اي صير فحول الحكمة خنثاء وذلك مذصغ دروعهم بعصفر الدم . ولون العصفور والورس مما يتضمخ به النساء فهم خنثاء : بين النساء والرجال .

(٣٢) (مأونة : مان يمون) وزن (مأونة) مفعلة وهي مشتقة من (الأمين) بمعنى التعب فأصل (مأونة) (مأينة) . والاصح ان كلمة (مأونة) مشتقة من (الاون) وأصل معناه الشدة والتعب كالابن لكنهم نقلوه الى معنى التكلف للنفقة خاصة . والمأونة هي النفقة التي

بتكلفتها رب العائلة تكلفاً . وقد كثرت (المأونة) في استعمالهم حتى توهموا ان ميمها اصلية كالفاء من (فعولة) مع انها هي كالميم في (مفعلة) وبناءً على هذا التوهم اشتقوا من (مأونة) فعلاً ثلاثياً فقالوا (مأنه يَمُونُهُ) ثم خففوا همزته فقالوا (مانه يمونه) وكان القياس ان يقال بدل (مانه يمونه) (آنه يؤينه) لان اصله الادون او الالين كما مر .

(٣٣) (زيار زير) الزيار خشبتان بضبط بهما البيطار جمعلة الفرس (أي شفته) ليندل فيتمكن من بطرته . واصل (زيار) (زوار) بالواو . لكنهم توهموا أصالة يائها لكثرة الاستعمال . وبناءً على هذا التوهم قالوا في فعله (زير) البيطار الدابة . أي شدة جمعلتها بالزيار والقياس فيه زور بالواو .

(٣٤) (عيل : أعيل) عال الرجل عياله يعولهم اذا كفاهم مؤونتهم ويقال في المازيد منه (أعول عياله) بمعنى عالم . فأعول بالواو هو الاصل والقياس . لكنهم أحياناً يقولون (أعيل) الرجل عياله بالياء مكاتب (أعول) وهذا منظور فيه الى توهم أصالة الياء في (عيل) الكثير ترددها على الأفواه . مع ان (ياء) عيل مقبولة عن واو : اذا اصله (عوال) . قال ابن بري « كأن (عوال) في الاصل مصدر أريد به المفعول » يريد ان معنى عوال في الاصل هو ان نعول غيرك ثم استعملوه في من نعولهم . وهكذا وجود الياء في (عيل) جعلهم يتوهمون ويشقون منها فعل (أعيل) اذا كثرت عياله : كما يقولون ايضاً (أعول) بالواو على الاصل . ولعل الذي روج (أعيل) في الاستعمال أن لأعول الواوي معنى آخر وهو رفع الصوت بالبكاء . فمن ثم استحسنوا ان يقولوا (أعيل) بالياء استناداً الى قاعدة التوهم وخصوصاً (أعول) الواوي بالعويل .

(٣٥) (قيل : أقيسال) القيل الملك او من كان دون الملك من ملوك حمير : فهو بمثابة (برنس) في لغات الأعاجم . واصل (قيل) الخفف (قيل) مشدد . خففوه مثلاً خففوا (ميت) فقالوا (ميت) واصل (ميت) ميوت . فكذلك اصل (قيل) فيول : فهو مشتق من القول . لان الامير الحميري يقول ما يشاء فينفذ قوله . فاذا جمعوا (قيل) الخفف قالوا (أقوال) لان المجموع ترد الاشياء الى اصولها كما يقولون في جمع (ميت) (أموات) . لكن الفصحاء اكثر ما يستعملون في جمع (قيل) (أقيل) بالياء وهذا بالطبع مراعى فيه قاعدة (توهم الأصالة) أي أصالة الياء في (قيل) . ولعل الذي روج هذا الجمع

وجعله يغلب على (أقوال) هو يتجنبهم الاتباس (بأقوال) جمع (قَوْل) مصدر قال .
 (٣٦) (منارة : منائر) ميم منارة زائدة لان الكلمة مشتقة من النار او النور . فوزن
 (منارة) مفعلة لأفعالة . لكنهم توهموا أصالة ميم (منارة) كما اذا كانت مشتقة من
 (منر) وهذا التوهم جعلهم يعتبرون ألفها زائدة كألف (فعالة) لا أصلية . ويجمعونها على
 (منائر) بالهمزة لا (مناور) بالواو . فانظر كيف عكسوا : فتوهموا الحرف الزائد (وهو
 ميم منسارة) أصلياً . والحرف الاصيلي (وهو واو منارة : منورة) زائداً . حتى ظهر أثر
 هذا التوهم في جمع التكسير فقالوا (منائر) بالهمزة . والقاعدة في ذلك ان الواو والياء اذا
 وقعتا بعد الف تهمزان اذا كانتا زائدتين كياء (فضيلة) في (فضائل) وتبقيان على حالهما
 اذا كانتا أصليتين فواو (منارة - منورة) أصلية فيجب ان تبقى على حالها في الجمع . فيقال
 (مناور) ومع هذا فقد قالوا ايضاً (منائر) على توهم أصالة الميم وزيادة الواو .
 (٣٧) (حيّز : تحييز) الحيز المكان ويستعملونه أحياناً كما نستعمل نحن اليوم كلمة
 المنطقة مذ نقول ان البلد الفلاني داخل في منطقة الحرب او منطقة الثورة مثلاً . والفعل
 منه تحويز بالواو لان اصل (حيّز) (حيوز) من حاز الشيء يحوزه اذا ضمه اليه وجمعه .
 و (الحيز) يحوز مافي ضمنه . فقياسه تحويز لا تحييز . لكنهم مع هذا قالوا (تحييز) على توهم
 أصالة الياء في حيّز .

« هذه ثلاثة عشرة كلمة عثرت عليها أخيراً وأضفتها الى الكلمات التي أودعتها مقالتي

الاول .

وكما زدت في مقالتي الاول فعل (أشّر تأشيراً) وطبقته على قاعدة (توهم الاصاله)
 و (النجذاب الطبع) واستخسفت تجويز استعماله — أحب في مقالتي هذا ان أمرّد خمس
 كلمات أطبقها على القاعدة المذكورة وهي :

(٣٨) سيد : تسيّد) سيّد أصله سيود من (ساد يسود) الواوي فاذا أراد
 العرب ان يقولوا صار فلاناً سيّداً قالوا (تسوّد فلاناً) وهذا هو القياس كتحويز من
 الحيز . لكنهم قالوا ايضاً (تحيّز) بالياء على توهم أصالة الياء في الحيز كما مر . فلم لا يطاوعني
 الرفاق فنقول (تسيّد فلان) أي صار سيّداً . كما قالوا (تسوّد) . وذلك بناءً على توهم
 أصالة الياء في (سيد) كما توهموا هم أصلتها في (حيّز) . ثم نخصص (تسوّد) — بالشيء

الذي صار أسود كما مر في تخصيص فعل (أعول) بالعويل وجعل (أعيل) للعيلال . ولم لأشايح على ذلك . واننا نرى الناس اليوم يستسهلون ان يقولوا (تسيّد) اي صار سيّداً . ولا يفهمون من (تسوّد) الا معنى اسودّ أي صار أسود .

(٣٩) (رياضة : تريض) أصل رياضة روضة بالواو لانها مصدر راض الدابة يروضها فالفعل منه (تروض) وهو القياس لكنهم يقولون اليوم (تريض) بالياء . فلما ذا لانجيز لم ذلك كما جاز سيف (أعيل) مستندين الى قاعدة (توهم الاصلية) أي أصله الياء سيف رياضة . ويحق لنا هذا التوهم لكثرة ما نستعمل كلمة رياضة استعمالاً . سنضيف على أطراف السنننا وأسنة أعلامنا .

(٤٠) (مخنار : مخانير) التاء في (مخنار) زائدة كما لا يخفى . فالواجب اذا حذفها في جمع التكسير فيقال (مخابير) وهو الأصل . لكن كثرة استعمال كلمة (مخنار) مراداً بها شيخ الحارة او شيخ القرية الذي ترجم اليه الحكومة سيف أمورها — هذه الكثرة جعلتنا نخيل ان تاء (مخنار) أصلية . ولذا انجذب طبعنا الى إثباتها في جمع التكسير فنقول (مخانير) بالتاء . كما أثبت العلامة اليازجي التون في (مناطيد) مع ان القياس والاصل أن يقال (مطابيد) ولا أكلف نفسي عناء في استصدار فتوى من الزملاء بجواز استعمال (مخانير) فاف فتواها . معها وقد أعلنتها على السنة جميع الناس وأيدت ذلك معاملات الحكومة .

(٤١) (مسمار : تمسمر) ميم (مسمار) زائدة لان اصله اسم آلة من (سمّر) الشيء بالتخفيف (وسمّره) بالشديد (شده بالمسمار . لكننا من كثرة استعمال (مسمار) حسبنا ميمه أصلية . وجعل الناس يقولون (مسمّره) كما يقولون (تمسمر) فلان في مكانه اذا ثبت ولم يتحلل . وكان القياس ان يقال (نسمّر) في مكانه من دون ميم في اوله . لكننا توهمنا أصلتها في (مسمار) فأجربناها في تمسمر . وهذا كما فعل من قبلنا في (تمسخر وتملن وتمشيخ) منذ توهموا ان الميم أصلية في مسخرة وملعون ومشيخة .

(٤٢) (مركز : تمرکز) ميم (مركز) زائدة: اذ هو امم مكان من (ركزه) اذا غرزهُ وأثبتته في الارض . والمراكز منابت الاسنان . وشاعت كلمة (مركز) في زماننا لمعان مختلفة حتى حسبنا ميمها أصلية . ولذا اشتققنا منها فعلاً وقلنا (تمرکز) اي ثبت واتخذ لنفسه

مر كراً . وكان القياس ان يقال تركّز . غير ان نوهّمنا أصالة ميم (مر كز) جعلنا نقول (نمر كز) كما قال العرب تمكحل مذ نوهّموا الميم أصلية في (مكحلة) .
هذه هي الكلمات الخمس التي أرى تجوز استعمالها وان نستفيد من قاعدة توهم الأصاله .
وأختم البحث بنقير كئيبين ارى ان أطبقهما على القاعدة المذكورة وأخالف ابن جني وسبويه فيما ذهبوا اليه من امرهما . وهما :

(٤٣) (صاغ بصوغ صوغاً) واسم الفاعل (صائغ) بقلب الواو همزة . والمبالغة (صواغ) بالواو المشددة . لكنهم قالوا ايضاً في المبالغة (صياغ) بالياء المشددة المقلو به عن واو . ولا موجب لقلبها . غير ان ابن جني علل القلب بكراهة النقاء الواو ين . فنقول له : ولما ذالم بكرهوا النقاء الواو ين في (جوال) مثلاً فيقولوا (جبال) . وعندى ان السبب في قولهم (صياغ) قول العرب في مصدر صاغ (الصياغة) بقلب الواو ياءً وقولهم في اسم الفاعل منه (صايغ) بتسهيل المحزة ياءً . وقد كثرت استعمال كلتي (صياغة) و (صايغ) في كلامهم كثرة جعلتهم يتوهمون ان الياء اصلية فيها ثم جذبهم توهمهم هذا الى ان يقولوا في المبالغة (صياغ) بالياء على خلاف القاعدة كما قالوا (صواغ) بالواو على القاعدة .

ومثله في ذلك (نام نوماً) واسم الفاعل (نائم) واصله (نائم) وجمع نائم (نُوام) بواو مشددة وهو الاصل . لكنهم قالوا ايضاً في جمع نائم (نُيَام) بياء مشددة . قال الشاعر :

(ألا طرقتنا مئة ابنة منذر فما أرق النيام إلا سلامها)

وكذلك نستعملهم يقولون في جمع (نائمة) (نؤم) بواو مشددة على الاصل و (نُيَم) بقلب الواو ياءً على خلاف الاصل . وارى انه لا داعي لهذا القلب في (نُيَم) ولا في (نُيَام) سوى توهمهم اصالة الياء في (نائم) و (نائمة) مذ ينطقونها هكذا بياءين مسمتين عن المحزة .
(٤٤) (فتي : فتّوان) ألف (فتي) منقلبة عن باء لان فعله (فتيّ بفتي) على وزن (بلي بلي) فالقياس ان يقال في ثنثيته (فتّيان) وفي جمعه (فتية) لكن أهل اللسان كما نطقوا بذلك على الأصل خالفوه وقالوا في المثني (فتّوان) وفي الجمع (فتوة) بالواو في الكئيبين . فما الداعي الى ذلك ومن اين جاءت هذه الواو ؟ أجاب سبويه عن هذا بان إبدال الواو في ذلك شذوذ . أما انا فأرى ان استعمالهم (فتّوان) و (فتوة) بالواو بدل الياء مبني على القاعدة السخمة : قاعدة (انجذاب الطبع) وتوهم أصالة الواو في كلمة (فتوة) التي

هي مصدر (فتى يفتى) اليائى . وقد تولدت (الواو) في (فتوة) — مع ان فعلها يائى — يعامل
 صرفي : ذلك انهم بنوا من فعل (فتى) اليائى مصدراً على وزن (فعولة) كما قالوا (طنولة
 ورجولة ورسولة) من (طفل ورجل ورسء) فكان (فتوبة) : في هذا البناء اجتمعت
 الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الياء واواً وأدغمت في الواو الزائدة . فأصبح
 المصدر (فتوة) . اذ نقول في إعلال (فتوبة) ان الواو قلبت ياءً كما هو المشهور في القاعدة
 فصارت (فتية) ثم قلبت الياء المشددة واواً مشددة لانضمام التاء قبلها اذ القاعدة ان
 الياء اذا كان قبلها ضمة نقلب واواً فصارت (فتوة) . ثم ان كلمة (فتوة) شاعت ورددتها
 الافواه وغلبت في الاستعمال على المصدر الآخر وهو (الفتاء) وبذلك توهموا ان واوها
 أصلية . وبعد ان استحكم هذا التوهم سهل عليهم ان يقولوا في مثنى فتى (فتوان) كما قالوا
 فتيات وفي جمعه (فتوة) كما قالوا (فنية) وفي جمع فتاة (فتوات) كما قالوا (فنيات)
 وملخص القول ان اجراء (فتوان) و (فتوة) و (فتوات) على قاعدة (توهم الاصاله) خير لما
 من ان نقول كما قال سيبويه — ان ذلك شذوذ . لان القول بالشذوذ يؤدي الى عدم قبول
 كلمات جديدة . بخلاف القول بقاعدة (توهم الاصاله) فاننا نستفيد منه تصحيح كثير من
 الكلمات التي قد نحتاج اليها في المصطلحات الحديثة .

« المغربي »

جامع التواريخ المسمى بنشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

— ٢ —

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحيى بن زكريا بن
شيرزاد الكاتب قال لما تقلد ابي ديوان الضياع المعروفة بغريب الحال (١)
استخلف اخي ابا الحسين زكريا بن يحيى على الديوان وأجرى له عشرين
ديناراً في الشهر وأجرى عليّ عشرة دنانير برسم التحرير في هذا الديوان
فأنفت من ذلك ولم اقبل الرزق ولا العمل ومضيت الى ديوان ضياع الخاصة.
وكان يليه اذ ذاك ابو حامد محمد بن الحسن الملقب بسودانية فلم يلقه ولا
توسلت اليه بما كان بين ابي وبينه. ولزمت الديوان بمحضرة ابي يوسف عبد الرحمن
ابن محمد بن سهل المعروف بالمرمد. واليه كان مجلس الحساب في هذا الديوان
مدة شهر وكنت أتعلم. فبلغ ابا حامد خبري ولم اكن اذ ذاك بلغت عشرين
سنة ولا قاربها. فاستحضرني فدخلت اليه فمتبني على تركي الدخول اليه
والتعرف اليه. وامرني بملازمة حضرته واجرى لي درجين وثبتاً وقرطاساً في
كل يوم وقال سود فيها وتعلم الخط. فلما كان بعد ايام فرقت ارزاق الكتاب
لشهر واحد فوقع الى خازنه المتولي للتفرقة أن يحمل اليّ بقيمة عشرين ديناراً
ثلاثمائة درهم. وقال قد أجرى لك هذه في كل شهر. فصرت الى ابي فأريته

«١» م. ع. لم نعثر على ضياع بهذا الاسم.

اياها وقلت قد فعل الله بي خيراً مما فعلت. فقال خذ الان العشرة والزم موضعك ليصير لك ثلاثين ديناراً في الشهر. فاخذتها وكان هذا اول اقبالي .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو القاسم سليمان بن الحسن بن محمد قال لما انفذ ابني الى مصر اجتديت (١) البحرني وابامعشر فكنت آنس بهما لو حدثني وملازمي البيت وكنا في اكثر الاوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثني يوماً أنهما اضاقا في وقت من الاوقات اضاقة شديدة وكانا مصطحبين فعرض لهما ان يلقيا الممتر وهو محبوس و يترددان (٢) اليه و (لا) يوصلان عنده اصلاً فتوسلا اليه حتى لقياه في حبسه. قال فقال لي البحرني فأشده ابياتا كنت قلتها في محمد بن يوسف الثغري لما حبس وجعلتها اليه وهي (٣)

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك	من الحادث المشكو والحادث المشكي
وما هذه الايام الا منازل	فن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك النائبات وانما	صفا الذهب الابريز قلبك بالسبك
اما في رسول الله يوسف أسوة	لمثلك محبوساً على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في الحبس برهة	فآل به الصبر الجميل الى الملك
على انه قد ضيم في حبس العلى	واصبح عز الدين في قبضة الشرك

فأخذ الرقعة التي فيها الابيات ودفعها الى خادم كان معه وقال غنها واحتفظ بها فان فرج الله عني فاذا كرني بها لا قضي حق هذا الرجل قال ابو معشر وكنت

«١» م. ع. لعلها محرفة عن اجتديت . «٢» م. ع. لعل اصل العبارة : وجعل يترددان اليه ولا يوصلان عنده اصلاً فتوسلا اليه . «٣» راجع ديوان البحرني (مصر ١٣٢٩ - ٢ : ١٥٤) .

قد اخذت مولده وعرفت وقت غمدا البيعة للمستعين ووقت البيعة بالمعهد من المتوكل للمعتز وانظرت فيه وقد صححت النظر وحكمت له بالخلافة بعد فتنة وحروب وحكمت على المستعين بالخلع والقتل فسلمت ذلك اليه وانصرفنا . قال وضربت الايام ضربها (١) وصح الحكم باسره فدخلنا جميعاً الى المعتز وهو خليفة وقد خلع المستعين وكان المجلس حافلاً قال ابو معشر فقل لي المعتز : لم انسك وقد صبح حكمك وقد اجريت لك مائة دينار في كل شهر رزقاً وثلاثين ديناراً نزلاً وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وامرت لك عاجلاً بالف دينار صلة . قال فقبطت ذلك عاجلاً كله في يومي قال البحراني وانشدته انا في ذلك اليوم قصيدي التي مدحته بها وهنأته ولحوت المستعين واوها :

يجانبنا (٢) في الحب من لا يجانبه ويمد عنا في الهوى من تقاربه
حتى انتهيت الى قولي :

وكيف رأيت الحق قر قراره	وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه .
ولم يكن المعتز بالله اذ شرى	ليمجز والمعتز بالله طالبه
رمي بالقضيب عنوة وهو صاغر	وعمرى من برد النبي مناكبه
وقد سرفني ان قيل وجه مسرعاً	الى الشرق تحدى سفنه وركابيه
الى واسط (٣) نحو الدجاج ولم يكن	لينشب الا في الدجاج مخالبه

فضحك واستعاد هذه الايات مراراً فأعدتها فدعى (٤) بالخدام وطاب الرقعة

«١» م . ع المعروف ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه ومن ضربه . «٢» راجع الديوان ١ : ١٧ . «٣» في الديوان الى عسكر . «٤» م . ع دعى يدعى لغة في دعايدعو .

التي فيها اياتي التي انشدته اياها في حبسه. فأحضره اياها بمينها فقال قد امرت لك بكل بيت في الرقعة بالف دينار وكانت ستة فأعطيت ستة آلاف دينار وقال لي كأني بك وقد بادرت فاشترت غلاماً وجارية وفرساً وفرشاً وتلفت المال لا تفعل. فان لك فيما تستأنفه من ايامك معنا مع وزرائنا واسبابنا اذا علموا موقعك منا غناء عن ذلك فاشتر بهذا المال ضيعة ببلدك تقوم في ادناها فترى اقصاها ويقي لك اصلها وتلتفع بغلتها كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصله به عبد الله بن جعفر فقلت السمع والطاعة وخرجت فعمات بما قاله واعتقدت بالمال ضيعة جليلة بمنج ثم تأملت حالي معه واعطاني وزاد وما قصر .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح بن جعفر بن محمد بن القرات بعد عوده من مصر والشام في ايام الراضي وتقلد الوزارة قال اجتزت في رجوعي هذا الى مدينة السلام بمنج فرأيت ضياعاً في نهاية العمارة والحسن فسأت عنها فقيل هي اقطاع البحري الشاعر واملاكه فقلت لمن (١) هي اليوم فقيل لي هي اليوم في يد ابن ابنة ابنة ابي الغوث فقلت هذا نسب طويل وامرت الحسن بن ثوابه بقبضها فلما كان من الغد جاءني رجل متكهل (٢) في زي الجند وذكر انه صاحب الضياع وقال ياسيدي هذه الضياع التي قال جدي البحري بسببها (٣) .

وما انا والتقيسيط اذ تكتبونه ويكتب قلبي جلة القوم او بعدي
وانشدني هذه الابيات كلها وقال ذاك بكاء لاجل تقسيط يسير فكيف

«١» بالاصل : من . «٢» م . ع لعله متكهل . «٣» راجع الديوان ١ : ٢٠٠

يكون حالي اذا قبضت هذه الضياع ؟ قال فتذمت ان اكون سبب ذهاب معيشته فاطلقت له عنها .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الفتح قبل تقلده الوزارة الاولى بمدة طويلة قال حدثني ابي قال صرفت محمد بن سيف العامل عن بادوريا وتقلدها فاستدركت عليه اشياء كثيرة وطالبته بها فلم يرد فيها شيئاً . فأخرجته يوماً الي وناظرته فأقام على امر واحد فاغتظت عليه وامرت بصفعه فلم يتأوه ولم يزل يصيح واحدة فاذا صفع اخرى قال ثانية على هذا الى ان صفع ثلاث عشرة صفعة . فتمعجت من عدده وقلت هذا (١) له ويحك اي فائدة لك في العدد وان لا تستعني قال انا اعدد ذلك اعزك الله لاصفمك بعدده بعد ايام اذا صرفتك وتقلدت مكانك فلا اظلمك بالزيادة ولا تفوز بالنقصان قال فأخجلني فقلت قم في غير حفظ الله الى منزلك فأطلقته وذهب المال .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا نسطور به قال حدثنا ثعلب قال : كان عندنا في الحربية جمال (٢) مستور يوصف بالزهد وكان لا يحمل لاصحاب السلطان شيئاً وكان اذا حمل بقدر قوته على ضيق لم يزد عليه شيئاً وراح نفسه ولا يحمل الا كارة (٣) خفيفة مثل لحم وفاكة (٤) وما يكون قدره خمسين رطلاً او نحوه قال فاتبعته يوماً وهو لا يعلم اني خلفه فرأيت يضع رجلاً ويقول الحمد لله ويرفعها ويقول استغفر الله فقلت له لم تفعل هذا ؟ فقال انا بين نعم لله

«١» لعله : من عدده هذا وقلت «٢» م . ع كذا في الاصل . ولعله . حال مستور .
والحربية محلة ببغداد منسوبة الى حرب بن عبد الله البلخي احد قواد المنصور .
«٣» م . ع الكارة مقدار معلوم من الطعام . «٤» بالاصل فاهه .

وذنوب فاننا احمده عز وجل على نعمه واستغفره من ذنوبي فاردت امتحانه فقلت : ما تقول في علي وابي بكر ايهما افضل ؟ فقال اذ نشرت الدواوين ووضعت الموازين اأستل عن ذنوبي ام عن تفضيل ابي بكر وعلي ؟ فقلت بل عن ذنوبك فقال في في نفسي شغل عن معرفة الافضل منهما .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي قال سمعت حامد بن العباس يقول مافي الدنيا اضر على الانسان من مداجاة العدو وينبغي ان تشهر ماينك وبين عدوك حتى لا يقبل قوله فيك قال وسمعته يقول : ربما انتفع الانسان في نكبته بالرجل الصغير اكثر من منفعته بالكبير . فمن ذلك ان اسماعيل بن بلبل لما حبسني جماني في يد بواب كان يخدمه قديماً قال وكان رجلاً حراً فاحسنت اليه وبررته وكنت اعتمد على عناية ابي العباس بن الفرات وكان البواب قديم الخدمة لاسماعيل يدخل الى مجلس الخاصة ويقف بين يديه فلا ينكر ذلك خدمه عليه لسالف الصحبة فصار الي في بعض الليالي فقال قد حرد الوزير على بن الفرات وقال له ما يكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في مطالبته بياقي مصادرتة وسيدعو بك الوزير في غد الى حضرته ويهددك فشغل ذلك قلبي فقلت له فهل عندك من رأي ؟ فقال اكتب رقعة الى رجل من معامليك يعرف شحنه وضيق نفسه والتمس منه لعيالك الف درهم يقرضك اياها واسأله ان يجيبك على ظهر رقعته لترجع اليك فتخرجها فانه لشحنه وسقوطه يردك بمذر واحتفظ بالرقعة فاذا طالبك الوزير اخرجتها اليه وقلت قد افضت حالي (الى) هذا واخرجتها على غير مواطاة . فعمل ذلك ينفعك ففعلت ما قاله

وجاءني جوابه بالرد كما حسبنا فشددت الرقعة معي فلما كان من غد اخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة واقرأته اياها ورقفته وتكلمت فلان واستجيا وكان ذلك سبب خفة امري وزوال نكبي فلما تقلدت في ايام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب واجتذبه الى خدمتي فكنت أجري عليه خمسين دينارا كل سنة وهو باق معي الى الآن .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي عن جدي عبدالله بن هشام قال حدثني يحيى بن عبدالله الكسكري (١) قال كنت اكتب لابن البختري الاصر علي مصر . فصرف بسليمان ابن وهب وخرج معه ابنه عبيد الله وكان يخلفه عليها فجلس «٢» العامل بن البختري لرفع حسابه وخلوا النظم الحساب وكنت اغدو واروح الى سليمان اعرض عليه ما اعمل وكان قد وكل بابن البختري قائداً من قواد مصر معه عدة من الفرسان والرجال والعلماء وكان ابن البختري يقيم لهم الطعام الواسع وحضر المهرجان فتقدم بان يحضر قدر نبيذ ويعمل فيها الهريسة في الدار التي كان فيها معتقلا وكان قصيراً ضئيلاً فجاءوا له بالقدر وطبخ فيها الهريسة في جملة الطعام واكل الموكلون وشربوا وسكروا وعمل هو الحيلة فجلس في القدر وغطيت عليه وأخرجت ولم يعرفوا خبره حتى طلبوه لما افاقوا فلم يجدوه . قال يحيى بن عبدالله ولم اكن انا عرفت الخبر فبكرت الى سليمان على رسمي فوجدت عبيد الله جالسا متشاغلا بطلبه وقد صح «٣» وهو

«١» م . ع كسكر كجعفر كورة قصبتها واسط . «٢» لعله : فجلس .

«٣» م . ع كذا في الاصل . ولعله ضح .

فيقال فينا كيف يحفظها ولا الاموال (١) والاعمال مع عجزهم عن حفظ محبوس وجعل يضرب الناس في التقرير عليه وامر بالقبض علي لما رأيته فقلت له اعزك الله لو كان عندي علم بالخبر ماجئتك قال فصدق قولي وكان حضوري سبب خلاصي قال ووقع في يده وكييل نصراني لابن البختري يتوكل في مطبخه وكان نبطياً (٢) وقيل له انه لا يجوز ان يخفي عليه خبره فجعل يضربه وكان في المجلس سليمان بن وهب واصحاب البرد والახبار والناس باجمعهم وكنيت احسن بالنبطية (٣) ولم يكن عبيدالله يحسنها فلما همي بالضرب على الوكيل كاد ان يقر على موضع ابن البختري ففهم ذلك سليمان ولم يحب ان يامر بالانكار فيكتب بالخبر واراد ان يسلم المنكوب سلوكا المذهب الناس قديماً في طلب السلامة بالابقاء على اعدائهم قال فقال للمضروب كلاماً بالنبطية تفسيره لاتقرر فان الاقرار مثل القير لا ينقطع قال فتصبر الرجل على الضرب ثم قال سليمان لعبيدالله الى كم تضرب هذا البائس لو كان يعرف شيئاً لقاله اقطع عنه الضرب لا يتلف فندخل في دمه قال فرفع الضرب عنه واطلق من يومه وأفلت المستتر

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن عبد الملك التماريخي قال حدثنا المبرد قال حدثني الحسن بن سهل لما اسن وجلس في بيته قال

«١» لعله : يحفظون الاموال . م . ع : لعل الاصل يحفظ هو . لاء . «٢» م . ع : لعله نبطياً لان الحادثة وقعت في مصر .

«٣» م . ع : لعل الباء زائدة اوسقط لفظ التكلم او نحو .

دخلت يوماً الى المأمون وهو جالس وبخضرتة جماعة من خواصه منهم اسحاق ابن ابراهيم بن مصعب وكان في يده كتاب يقرأه فلم ينظر اليّ فوقفت قائماً فقال له اسحاق يا امير المؤمنين ابو محمد الحسن بن سهل فقال لي اقم فقمعت فقال احضر دواتك فاحضرت فقال وقّع بتقليد اسحاق بن ابراهيم جميع اعمال المعاود بالسواد جزاء له على ما نبه عليك (١) من تكرمتك يا ابا محمد فشكرته ودعوت له ووقعت بذلك .

انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار بن احمد الداري الصيدلاني البصري قال انشدني ابو الحسن عبد الله بن سليمان الكوفي الضرير المعروف بالبصير لنفسه :

واحرى ما الذي لقيت انا احمل في كل بلدة شجنا
ادخلها وادعاً فتجلب لي رقة قلبي من اهلها سكنا

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال رأيت بعمان شيخاً من الخوارج قد دخل في يوم جمعة من ناحية بلد الشراة الى السوق بعمان وكانت طريق الناس الى الجامع والناس يتعمدون الى حضور الجمعة خوفاً من فوتها والخارجي ماش الهونا (٢) في حاجته لا يراعي امر الجمعة فاذا بشيخ قد جاء من ناحية الجامع فالتقيا فقال الشيخ للخارجي وهو لا يعرفه وقدرانه يريد الجامع الى اين تمضي يا شيخ وقد صلى الناس وفاتت الصلاة فقال الخارجي يا بله انما فاتت من ادركها يريد ان التجمع معهم لا يسقط الفرض الذي

(١) امله عليه . «٢» م . ع كذا في الاصل . والصواب الهوني .

هو الظهر وهو اذ جمع معهم ترك الظهر فتفوته الصلاة الواجبة وهي الظهر ويصلي مالا يجدي عنه في مذهبه من تكفيرهم . قال ولم يفهم الشيخ ماسمعه وقلت انا للخارجي اظنك اعزك الله شاربيا قال فقال نعم والحمد لله قال وهم يستحبون ان يقال لهم شرارة ويأبون ان يقال لهم خوارج ويذهبون الى قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية)

حدثني ابو الحسن علي بن نطيف البغدادي المعروف بابن السراج المتكلم المعروف بالبهمشي^(١) قال كان يجتمع ممنا في المجالس ببغداد شيخ الامامية يعرف بابي بكر بن الفلاس وكان طيباً فحدثنا يوماً انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع . ثم صار يقول بمذهب اهل التناسخ قال فوجدته وبين يديه سنور اسود وهو يسجها^(٢) ويحك بين عينيها ورأسها وعينيها تدمع كما جرت العادة في السنابير بذلك وهو يبكي بكاء شديداً فقلت له لم تبكي؟ فقال ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه امي لا شك وانما تبكي من رؤيتها لي حسرة . قال واخذ يخاطبها خطاب من عنده انها تفهم عنه وجمعت السنور تصيح قليلا قليلا . قال فقلت له وانا معتقد الطنزيه : فهي تفهم ما تخاطبها به؟ فقال نعم فقلت له اف تفهم انت عنها صياحها؟ فقال لا فقلت له فانت اذا المسوخ وهي الانسان .

كتب محمد بن عيسى احد كتاب زماننا^(٣) بتعزية الى صديق له قرأته

«١» م . ع البهمشي نسبة الى البهشية وهي طائفة من المعتزلة تنتمي الى ابي هاشم الجبالي .

«٢» م . ع السنور الهر والاثني سنورة فالصواب اعادة الضمير عليه مذكراً او

تأنيث السنور . «٣» لعله سقط كتاباً .

بخطه فاستحسن منه صدره. ولذخنه «من سره امتداد عمره. ساءته فجائع
دهره. بفقد حميم. اوطارق هموم. عادة للزمان معروفة وسنة للحدثان مألوفة. واحق
من سلم للاقضية والاقدار. من وهب الله تعالى له جميل الاصطبار. فان اصابته
مصيبة تلقاها مسلماً او تأتية «١» وجدته محتسباً»

كتب الي عمرو بن محمد بن الاشعث «شاب ورد من عمان مجتازاً بواسط
ذكر انه كان من الجند فيها فزال نعمته وهرب حين ملك الديلم عمان اياتاً
في آخر رقعة له اقتضاني فيها ثواب مديح كان اسلفنيه وهو :

مات الرجا بغيطه فلك البقا	ولربما افضى النعيم الى الشقا
فان احترقت فمن تلهب حادث	لاقل منه تلهباً ان يحرقا
ان كان عود الجود جف فانه	لم يسق ماء ندك حتى اورقا
واردت منك اذا حرمت مطالبي	تسمى معي فلعلني ان ارزقا

حدثني ابو علي المنتاب قال حدثني ابي قال كنا مع حامد ابن العباس في
ولايته يوماً جلوساً في الخيش بواسط في النصف الاخير من تشرين الثاني
لشدة الحر فجاء البرد في ليلة فاصبحنا من غد وقد لبسنا الخروز والمحشو
وعجبنا من التفاوت بين الحالين في شدة الحر وشدة البرد في ليلة واحدة.

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن اسماعيل بن سائدة الواسطي قال سمعت
بعض شيوخنا يحكي عن ابراهيم الحاربي انه قال: في العافية طعم كل شي وفي
الرزق نصر كل شي.

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال سمعت القاضي ابا جعفر احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي الانباري يحدثني وقد جئت اليه ومعي تهئة بعيد اضحى فحدث احاديث فقال حدثني ابو حازم القاضي قال كان في حجري ايتام ذكور واثاث خلفهم بعض العمال فرددت امانتهم الى بعض الشهود فصار الي الامين يوماً وعرفني ان حامل المستغلات يفسد الذي يتولى مستغلات السلطان وعامل بادوريا قد ادخلا ايديهما في املاك الايتام وذكر ان الوزير عبيد الله بن سليمان امرهما بذلك عن امير المؤمنين المعتضد فصرت الى المعتضد في يوم موكب فلما انقضى الموكب دنوت منه وشرحت له الصورة فقال لي يا عبد الحميد : هذا حامل خاتني في مالي واقتطعه ولي عليه مال جليل من نواح كان يتولاها من ضيعتي خاصة ومالي عليه بضعف هذه الاملاك التي خلفها . فقلت يا امير المؤمنين ما تدعيه عليه يحتاج الى بينة وقد صبح عندي ان هذه الاملاك املاكه يوم مات ولا طريق الى انتزاعها من يد وارثه الابينة بالمال . هذا حكم الله تعالى في البالغين . فكيف في الاطفال ؟ قال فسكت ساعة مطرقاً ثم دعا بدواة ووقع بخطه الى عبيد الله بن سليمان بالاخراج عن الضياع .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن محمد بن الفرات وكان يخاف ابا نوح عيسى بن ابراهيم على ديوان الضياع . حدثه انه كانت في يد صاعد بن مخلد ضمانات كثيرة وكانت اليه معاملة مع ابي نوح وكان صاعد اذ ذاك من وجوه الناس ولم يكن بلغ المبالغ السكبار فحضر عنده (١) صاعد

اول خلافة المعتز ونحن حضور فطالبه ابو نوح باموال وجبت عليه وجرت بينهما مناظرات ادت الى ان تنطع في الجواب فاغتاظ ابو نوح فاغضبه. فرد عليه صاعداً مثل ما قاله له فاستعظم الناس ذلك فاستخفوا به وقالوا يا مجنون يا جاهل قتلت نفسك قم قم فاقاموه وخلصوه من ان يفتك به ابو نوح في الحال. وقالوا هذا مجنون ولم يدر ما خرج من فيه. وانصرف صاعداً الى منزله متحيراً لا يدري ما يعمل فيما قد نزل به. فحدث اخاه عبدوناً بما جرى فقال له ان لم تطعمني فأنت غداً مقبوض عليك مطالب من المصادرة بما لا يني به حالك ولا حال من عرفك من اهلك ومقتول بلاشك تشقياً منك. قول وما الرأي؟ قال كم عندك من المال الصامت العتيد واصدقني عن جميعه. قال خمسون الف دينار قال تسمح نفسك ان تمرى منها وتزني بها كأنها لم تكن وتنفذ نفسك وتحرم دينك وما بقي من حالك وضياحك وعقارك فتصير من اجلاء الناس او لا تسمح بذلك فتؤخذ الدنانير منك تحت المقارع وتذهب الضيعة والنعمة كلها وتذهب النفس. قال ففكر طويلاً ثم قال قد تعريت عنها في عز نفسي. قال اعطني منها الساعة ثلاثين الف درهم. قال خذ. فاخذها وجاء الى حاجب موسى بن بغا وقت عتمة وقال له هذه عشرة آلاف درهم خذها واوصلني الى فلان الخادم. قال وكان هذا الخادم يتعشقه موسى جداً ويطيعه في كل امره وموسى اذذاك هو الخليفة وكتبته (١) كالوزراء والامور في يديه والخليفة في حجره. قال فأخذ الحاجب المال واوصله الى الخادم

فاحضره العشرين الالف (١) درهم الباقية وقال هذه هدية لك وتوصلني الساعة الى الامير وتعاونني في حاجة اريد ان أسأله اياها ومشورة اريد ان أشير عليه بها . فواصله الخادم فلما مثل بين يديه سمى اليه بكتابه وقال قد نهوك واقتطعوا مالك واخر بواضياعك واخي يجعل كتبك اجل من الوزارة ويتغلب لك على الامور ويوفر عليك كذا ويفعل كذا ويحمل اليك الليلة من قبل ان ينتصف الليل خمسين الف دينار عتياً هدية منه لك لا يريد عليها مكافأة ولا يرتجمها من مالك وتستكتبه وتخلع عليه غداً سحراً قال فقال له موسى افكر فقال ليس هذا موضع فكر والح عليه قال وقال له الخادم (٢) في الدنيا احد جاءه هذا المال العظيم دفمة واحدة فرده وكتب بكتاب والمال ربح . قال فأجابه وصافحه فقال له فتنفذ الساعة بمن يحضرك اخي وتشافهه بذلك . وانفذ من احضره وبات عبدون في الدار وقلد موسى كتبه لصاعد في الحال وامره بالبكور اليه ليخلع عليه وتقدم الى النقباء بان يباكروا الرجل ليركبوا معه . قال وبكر صاعد وليس عند احد له خبر فيخلع عليه موسى بن بغا لكتبه وركب الجيش على بكرة ايهم وانقلب سر من رأى بظهور الخبر فبكر بمض المتصرفين الى الحسن بن مخلد وكان صديقاً لابي نوح فقال له قد خلعت على صاعد فقال لابي شي فقال تنقلد كتبة موسى بن بغا فاستعظم ذلك . وقال ثيابي قال فأحضرت فلبس وركب الى ابي نوح فقال له عرفت

« ١ » م . ع كذا في الاصل بتعريف العشرين والالف والافصح تعريف الدرهم وحده .

« ٢ » م . ع لعله سقط « همزة » او « ما » .

خبر صاعد؟ فقال نعم. الكلب. وقد بلغك ما عاملني به؟ والله لا فعلن به ولا صنعن.
قال انت نأثم ليس هذا اردت. قد ولي الرجل كتبة الامير موسى بن بغا
وخلع عليه الساعة وركب الجيش معه باسرههم الى داره فقال له ابو نوح: هذا
ما لم نظنه: بات خائفاً واصبحنا خائفين منه. فما الذي عندك فقال له انا اصاح
بينكما الساعة قال فركب الحسن بن مخلد الى صاعد وهناه و اشار عليه ان
يصالح ابا نوح وقال له وانت بلا زوجة وانا اجعلك صهره وتعترض به فانك
وان كنت قد نصرت عليه فهو من يعلم موضعه ومحلّه ويجمل بمصاهرته
ومودته وانت حبيب على الرجل. قال ولم يدعه حتى اجاب الى الصالح والصهر
فقال له فتركب معي اليه فانه هو ابو الابنة والزوج يقصد المرأة ولولا ذاك
لجاءك. قال فحمله من يومه الى ابي نوح واصطاحا ووقع العقد في الحال بينهما
وزوج ابو نوح في مجلسه ذلك ابنته الاخرى بالعباس بن الحسن بن مخلد
فولدت له ابا عيسى المعروف بابن بنت ابي نوح صاحب بيت مال الاعطاء
ثم تقلد ديوان زمام الجيش لعمه سليمان بن الحسن وكان اصغر سنّاً من ابيه
فكانت كتبة صاعد لموسى ومصاهرته لابي نوح اول رتبته العظيمة التي بلغها
ثم تقابلت به الحال حتى ولي الوزارة.

تاريخ الادب

أما وقد أوجزت في الكلام على الادب وتدرسه ، وعلى الذوق وثقافته ، ولمسحت الى نماذج الثقافات ، فبنت دون شيء من الإسهاب كيف بأخذ بعض الامم عن بعض ، ويقتبس بعضها من بعض ، فيزبد هذا الاقتباس في عبقرية البشر ، اما وقد فرغت من هذا كله ، فقد لزماني على ما أعنفد ان أحوض في الموضوع الذي انندبت اليه وهو تاريخ الأدب ، وما تاريخ ادب العرب الا تسلسل قرائثهم وبنات افكارهم من يوم ظهر هذا الشعب الكريم على وجه الارض حتى يومنا هذا ، ماتاريخ الادب في الحقيقة الا سلسلة آثار ، اذا نظرنا اليها وجدنا فيها سلاسل شتى : سلسلة آثار مؤلف من المؤلفين ، سلسلة آثار عصر من العصور ، سلسلة آثار تطور الادب في خلال القرون الخالية ، ماتاريخ الادب الا النظر في تأثير بعض المؤلفات في بعض واتصال بعضها ببعض وتسلسلها في تماكب الاحقاب ، هذا هو تاريخ الادب ومن هذين السطرين يتبين لكم حرج الموضوع وضيق مذاهبه ، وتبدو لكم سعة مجاله وتراعي اطرافه في وقت واحد ، اما حرج الموضوع فانه ناشي عن فقدان ما يجب علينا ان نؤصل به من الومائل الى معرفة فرائح العرب ونتاج عقولهم على حسب روح هذا العصر ، واما سعة المجال فحسبكم ان تجدوا في تاريخ ادب العرب صور ناطقة تفصح لكم عن اطراد آثار عبقريةهم في مطاوي الاحقاب .

ما طالعت مقدمة من مقدمات تاريخ الادب الفرنسي الا وقع نظري على عبارة تدخل الخوف على قلب من ينفرغ لتسدر يس تاريخ الادب حتى يتمهب الموضوع فيكاد يمسك عن الكلام لدشهه وتحيره ، فقد وجدت في احدى المقدمات هذه العبارة : تاريخ الادب الفرنسي انما هو نتيجة حياة باجمها او تكفي حياة باجمها حتى يتم مثل هذا التاريخ ، واذا انظرنا المورخ ننتج بحته وذقبيه لبشرع في موضوعه ، أفيكذب هذا التاريخ

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على انه يجب على المؤرخ ان يعمل على قدر مجهوده دون شيء من الاوهام .
وقال الاستاذ برونثير في نقده مذهب ساندروف : وعلى هذا فان دراسة كاتب
كبير ان لم تستغرق حياة برمتها استغرقت سنين طويلة .
هذا قول كتاب اذا أحبوا ان يكتبوا في تاريخ الادب وجدوا السبيل مهيأة فاقول
لكتاب نعترضهم العقبات وتحيط بهم المصاعب فنقف افلامهم لتخيرها ، الموضوع حديث
لم يكتب العرب فيه على حسب روح هذا العصر وانما كتبوا بأساليب لا تناسب اوضاع
هذا العصر ، مات فلان سنة كذا . . . ومن قوله في وصف كذا . . . وله تشبيهات
فريدة . . . كل هذا ليس من تاريخ الادب في شيء ، واذا كنا نجد بين نقاد المتقدمين
من ارتفع الى منزلة أعلى ، وحقق في جو أفسح كالجراني في وساطته ، وكالثعالي في
كلامه على المتنبي ، او كغيرهما فهذا قليل على ن نقد الادب شيء وتاريخه شيء آخر .
قلت في صدر الحديث : تاريخ ادبنا ضيق المذاهب ، فلنتحدث عن شيء من هذا
الضيق ، اذا اخذتم تاريخ ادب غربي وجدتم في فاتحته وصف اول هذا الادب كيف
ولد وكيف عاش ، فلا يستغني المؤرخ عن التتقيب عن لغة قومه ، كيف نشأت هذه
اللغة وما هو اصلها ومنحدرها وما هي عناصرها ، لا يستغني المؤرخ عن هذا كله حتى يستطيع
ان ينظر في تسلسل الآثار العقلية نظراً ثاقباً ويحيط بمختلف العوامل التي عملت في
هذه الآثار ، فيكون مثله في ذلك كممثل المؤرخ الطبيعي فكما ان هذا المؤرخ يصف
اتصال الخلوقات الحية في الطبيعة بعضها ببعض على صورة سريّة فكذلك يجب على المؤرخ
الادبي ان يبين كيف تسلسلت آثار عبقرية قومه والتحق بعضها ببعض من مبادئها الى
خواتمها ، أفيتيسر لنا في حالتنا هذه ان نعرف شيئاً عن مبادئ لغتنا فنعرف كيف ولدت
الفاظها وكيف عاشت كما يعرف الفرنسيون مثلاً كيف تحدثت لغتهم من الاصل اللاتيني ؟
كنت اذاً مرة في امر لغتنا الكريمة استاذاً مطلعاً على اللغات السامية فقلت له
في جملة ماقلت : وددت لو اننا نعرف كيف ولدت لغتنا في اول امرها كما يعرف بعض
الافرنجة كيف ولدت لغاتهم ، فقال : هذا امر ممنوع الآن ، ان بعض الافرنجة شهدوا
ميلاد لغاتهم فدوّنوا آثارها وتعمدها فكان مثلهم في ذلك كممثل من يغرس شجرة ثم
يتمدها حتى تورق وتزهو وتثمر ، اما نحن معاشر الساميين ، فاننا لم نشهد ميلاد لغتنا

فلا نستطيع ان نعرف اليوم كيف اورقت هذه الشجرة السامية وكيف ازهرت وكيف
أثمرت وبنينا وبين الذين غرسوها وتعهدوها أحقاب متطاولة وعصور متراخية ، خفيت
علينا حتى اليوم آثارها ورسومها فلا نعرف عن هذد الاحقاب شيئاً . —
هذا صحيح ، والغريب انكم تجدون من كان يعتقد ان لغة العرب قد تكاملت دفعة

واحدة دون شيء من التدريج ، منهم (رنان) فقد قال :

« من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب اظهار سره ، انتشار اللغة العربية فقد
كانت هذه اللغة غير معروفة باديء بدء فبدت فجأة غاية في الكمال سلسلة غنية واي
غنى ، كاملة بحيث انها من ذلك العهد الى يومنا هذا لم يدخل عليها اقل تعديل مهم ،
فلبس لها طفولة ولا شيخوخة ظهرت لال امرها تامة ، ولا ادري هل وقع مثل ذلك
لغة من لغات الارض دون ان تدخل في اطوار مختلفة » .

وانا لا ادري كيف صدر هذا الكلام عن رجل مثل رنا ، اي شيء يتكامل في
الطبيعة فجأة ، مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات فكما ان
الحيوانات والنباتات تولد فتعيش وتموت فكذلك اللغات فانها أشبه شيء بهذه المخلوقات ،
اما قول (رنان) لبس لغة العرب طفولة ولا شيخوخة فهو يخالف لاصول العلم ، لغة
العرب عهد طفولة ولكننا لا نعرف شيئاً عن هذا العهد ، لبعده عنا وخفاء رسومه
علينا ، فلا يمكن ان نكون لغة جاهليتنا متكاملة على صورتها هذه من دون ان يتسلسل
فيها هذا التكامل عصوراً متطاولة صقلت اللغة وحسناتها حتى طلعت علينا في حالتها
الانيقة ، وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى ذلك في شعرهم ، أفأجد حاجة الى ذكر
قول عنتره :

(هل غادر الشعراء من متردم)

اول قول امرئ القيس :

(عوجا على الطلل القديم لعننا نبيكي الديار كما بكى ابن حزام)

او قول زهير :

(ما ارانا نقول الا معاراً او معاداً من قولنا مكروراً)

فالذي يستنبط من كلام عنتره وامرئ القيس وزهير ، انه جاء قبلهم شعراء جالوا

في الشعر كل مجال وحلقوا في سماءه كل محاق ، وقد انقطعت عنا اخبار الذين اورثوا
عنبرة واسراء القيس وزهيرا وامثالهم فيض قلوبهم وصب اذهانهم ، وانطوت آثارهم فلا
نعرف عنهم شيئا ، فلغة العرب منقادة العهد فلا يمكن ان ننشأ دفعة واحدة على الصورة
التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف ، فلارب في إنها قد سبقتها احقاب مديدة ،
انقلت فيها اللغة من طور الى طور ، حتى وصلت الى ما وصلت اليه ، فالعصور التي انقلت
اللغة في اثنائها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الاسرار وهذه ثلثة في
تاريخ ادبنا ، ولا تسد هذه الثلثة الا اذا درسنا اللغات السامية ولغات الامم التي خالطها
العرب في قديم الدهر وعثرنا على كتابات قديمة منقوشة ، ان لغة العرب لم تنته اليها
بجذافيرها ، فان الذي جاءنا عن العرب غيض من فيض فكثير من الكلام ذهب بذهاب
اهله . قال ابن فارس : ذهب علمنا او اكثرهم الى ان الذي انتهى اليها من كلام العرب
هو الاقل ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير .

تصوروا بعد هذا كله حرج موضوعنا وضيق مذاهبه ، اني لا اجد لذة في تاريخ الادب
الا اذا عرفت اوائل الآثار واواخرها ، ومباني المصنفات وخواتمها ، واستطعت ان
اصل الاواخر بالاوائل واربط الخوانيم بالمباني حتى اعلم كيف تسلسلت ثمرات القرائح
ونماذج الخواطر ، وكيف اثر بعضها في بعض وتحدّر بعضها من بعض فاذا لم يتهيأ لي
شيء من ذلك كان العلم ناقصا . —

على ان هذه العقبة التي نعترضنا في سبيلنا ليست فرجة فان من ورائها عقبات غيرها ،
اظن انكم تذكرون قولي في ثقافة الذوق : لا بد لنا من معرفة العصر الذي ندرس
شاعرا من شعرائه ، فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها
هذا الشاعر في عصره والعواطف التي أبغظها ، فاذا كننا ندرس شعر المتنبي ، ووقف
نظرنا في شعره على لفظة (ابنشاك) ومعناها : الكذب ، وهي لفظة غريبة فكيف نجزم
امر غرابتها اذا لم يكن في لغتنا معجم يشير الى تاريخ الالفاظ ، كيف نعرف ان لفظ
الابنشاك كان غريبا في عصر المتنبي اذا لم يكن في لغتنا معجم يبين لنا ان هذا اللفظ
استعمل في عصر كذا ثم بطل استعماله بعد ذلك العصر ، فاذا كان في لغتنا معجم لغوي
نفسر فيه الالفاظ بحسب تاريخها استطعنا ان نجزم امر غرابة الالفاظ ، فلا نسبر في

نقيبنا واستقصائنا على غير هدى وانما نستند الى مصادر موثوق بصحتها ، فنقطع دون شيء من الخبرة والارتباك فلا يزال تاريخ ادبنا بثلوم الجوانب فاذا كنا نبحث عن شاعر من الشعراء فقد لزمنا في مثل هذه الحالة ان نقرأ شعرا هل عصره كلهم ، حتى نعرف مصطلحات ذاك العصر ، وهل يقيس شيء من ذلك ؟ فاما ان يفوتنا البحث عن هذا الامر ، واما ان نستعين عليه بالكتاب الذين ظهوروا في ذاك العصر واثاروا الى غرابة الفاظ شاعر من شعراء عصرهم ، فاذا لم يكن شيء من ذلك بقيت في تاريخ ادبنا زاوية فارغة . —

ولو جاوزنا هذه العقبة لا عترضتنا عقبة غيرها فان في تاريخ ادبنا شيئا من الغموض نشأ عن ان طائفة من الاسماء اطلقت على مسميات لا نرى لها اثرا في هذا العصر ، لنضرب مثلا لذلك فقد قرأت في بعض كتب الادب هذا الكلام : دخل الاحنف بن قيس على معاوية وافداً لاهل البصرة ودخل معه التمر بن قطبة وعلى التمر عباءة قطوانية وعلى الاحنف درعة صوف وشملة ، فالعباءة القطوانية منسوبة الى قطوان — موضع بالكوفة — منه الاكسية ، غير اننا لا نعرف شيئا عن نوع هذه العباءة وكذلك المدرعة فانها ثوب ولا يكون الا من صوف ومن الذي يعرف هيئة هذا الثوب ^(١) .

فانتم تجدون في سطر واحد كلمتين او ثلاث كلمات تدل على مسميات نكاد لا نعرفها ففي لغتنا كثير من الاسماء اطلقت في القرون الخالية على مسميات ثم انطوت تلك القرون فذهبت بذهابها المسميات وبقيت الاسماء في بطون المعاجم تدل على اشياء لا نعلمها ، وقد كانت هذه الاسماء وضعت للدلالة على انواع من السلاح واللباس والطعام والشراب والدرهم وماشابه ذلك ثم ذهب الذين كانوا يتقلدون هذا السلاح ولبسوا هذا اللباس وبأكارن هذا الطعام ويشربون هذا الشراب ويضربون هذه الدنانير والدرهم ، فذهبت بذهابهم مسمياتهم وبقيت الاسماء وحدها فلا تزال طائفة من ادبنا غامضة بعض الغموض .

(١) اخترت هذه الاسماء عرضاً وقد يجوز ان تكون مسمياتها معروفة في بعض قبائل بادية الشام على ان في لغتنا اسماء كثيرة غيرها لا تعرف مسمياتها . فكتب الادب ومعجمات اللغة مملوءة بهذه الاسماء في كل عصر من عصور اللغة .

ما اردت الاستقصاء في البحث عن تلم تاريخ الادب وانما احببت ان ألمح الى طائفة من هذه الثلم ، حتى ندرك مبلغ ما يقف في سبيل المؤرخ الادبي من المصاعب التي يستعصي عليه تذليلها ، والتي لا تجد الى جنب هذه العقبات عقبات غيرها لا بأس بالاشارة اليها .

اقتصر الذين كتبوا عن مؤلفي العرب على ذكر السير من آثار حياتهم العامة وحياتهم الخاصة فذكر اميلادهم ووفاتهم ولمعاً من اخبارهم وقد ورد قليل من النقد في تضاعيف كلامهم ، وما عدا ذلك فانتا لا تكاد نجيط بشيء من آثار حياة مؤلفي العرب فلا نعرف مثلاً كيف ولد هذا المؤلف وكيف عاش وكيف رباه اهله حتى نشأ وترعرع ، لانعرف كيف كانت حياته في مدرسته وما هي اخلاقه وادبائه وعاداته ومذاهبه واهواؤه ، وما هي وجهته في حياته ، ما هي انبأؤه الخاصة والعامة ، ما هي هيئته وصورته ، ما هي ملابسه ، ما هي الكتب التي كان يقرأها . كل هذا ينفعنا في تاريخ الادب حتى نكشف لنا اسرار المؤلفين فنتسعين بذلك على العلم بافكارهم وعواطفهم ، ونحل عقد هذه الافكار والعواطف في اثناء بحثنا عن آثار عقولهم وألبابهم ، وهذا النوع من المعرفة عنصر من عناصر التحصيل والتدقيق . فاذا قلنا هذا العنصر اضطررنا الى النظر في آثار المؤلف نفسها لانها تدل على فكره وعلى عاطفته وعلى روحه ، الا اننا قد نضطرب في خلال البحث والنظر اضطراراً نقف فيه حائرين فلو كنا نعرف دقائق حياة المؤلفين لما اضطررنا هذا المضطرب ، وقد استدرك هذا الامر طائفة من المؤلفين في هذا العصر فكتبوا تراجمهم بافلامهم ووصفوا دقيق حياتهم وجليها وكشفوا الغطاء عن كثير من امورهم ، والمرء اذا صدق اعلم بظواهره وبواطنه ، وادرى بفضائله ورذائله ، واقطن لمواطن القوة والضعف فيه ، فضلاً عن اللذة التي تجدها في قراءة هذا النوع من التراجم ، فانها تزهة العقول وسأوة القلوب فكأننا بمحض رجال قد باحوا باسرارهم فنكاد نشهد حركاتهم وسكناتهم ونكاد نسمع صوتهم وكلامهم ونرى ابتسامتهم ونقطبهم ونشاركهم في آلامهم وأفراحهم وما شابه ذلك . —

قال «سانديوف» في كلامه على هذه التراجم :

« احببت في كل حين مراسلات اكابر الكتاب واحاديثهم وافكارهم ، احببت تفاصيل طبائعهم واخلاقهم وتفاصيل تراجمهم التي كتبوها ، فان الباحث بعكف خمسة

عشر يوماً على آثار ميت مشهور سواء أكان هذا الميت شاعراً أم فيلسوفاً ، فيدرسه ،
 وبقلب النظر فيه ، ويسأله ما شاء من المسائل ، ويجعله قبالة عينيه » .
 هذه طائفة من نوافض تاريخ ادبنا ولو شئت لأثبت على ذكر غيرها من النواقص ،
 وإنما مرادي بيان ما بياغت المؤرخ من بعض المضاعب على ان التلوثم سيفي التفرغ لوضع
 تاريخ الادب لا طائل فيه ، فاذا ظللنا ننظر فأننا لا نصنع شيئاً ، اذا كنا ما ننفعك
 نرد ان تاريخ الادب يستغرق وضعه سنين طويلة فقد تمر هذه السنون من دون ان
 نشرع في الوضع ، فاذا اخرج شيوخ الادب مكنونهم واستنفدوا وسعهم فتصدي كل
 منهم لمادة من المواد ، وعمل على قدر مجهوده ، هيأنا تاريخ الادب ومضى تمياً تاريخ ادب
 العرب استطعنا ان نحيط بنسب آثارهم وافكارهم وقرائنهم من اول امره الى آخره .
 دمشق : في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

نقد المؤرخات الادبية

ذكرت لكم البسير من العقاب التي يصعب قطعها على الذين يتصدون لوضع تاريخ الادب ، وقد خالجت قلبي الرجوع الى هذا الموضوع وانتم لا تجدون ريباً في علو شأنه ، ورفعة مقامه ، وكفى بتاريخ ادبنا ان يكون عنواناً لحسنات قوم ذهبوا بين سمع الارض وبصرها ، فلم تبق من جلاله ملكهم ونخامة سلطانهم الا آثارها مدة ، اذا نحن اعملنا الروبة فيها برزت لنا بلاغة منطق اهلها ، ورجاحة احلامهم ، وصحة عقولهم ، لم تبق من قوم ملؤا الدنيا وشغلوا الدهر الا صور جامدة اذا نحن ناجيتها اعربت لنا عما نسجت طباع الذين صوروها وسبكته افهامهم ، فرأيتكم كيف درج صوغ اذهانهم في مواضي الليالي من طور الى طور ، وشهدتم اطراد عصورهم وما كان يتخلل هذه العصور من خلافة في الالسن ، او من تشديق ونقير فيقلب بكم تاريخ ادبنا من عصور السهولة والايجاز الى عصور التكلف والتزبد ، ومن الاقتصاد في النظر الى التبسط في التفكير وعلى هذا يكون التاريخ صلة محكمة الاطراف محبوكة الوشي ، بين حاضر الخواطر وماضيها ، واذا استطعنا ان نؤلف بين الحاضر والماضي حافظت لغتنا على وحدتها وازدادت عظمة سلطانها .

نعم ، خالجت قلبي الرجوع الى البحث عن تاريخ الادب لان هذا التاريخ هو الذي ينزع بالنفس الى التمتع بآثار الاولين ويحمل رجال الادب على املاء قلوبهم من هذه الآثار ، فيطعمهم على دروج اصحابها من حال الى حال وينبههم على توسعهم في اساليب شتى ومذاهب مختلفة ، كل عصر وله اسلوبه ، وكل دهر وله مذهبه ، وجملة المقال ان تاريخ الادب هو الذي يضيئ لنا سبيل العقل البشري حتى ندرك آثار العبقريّة في الاحقاب ، فنصل او اخرها باوائلها ، ومتى استحكمت هذه الصلة اتسعت افياء العبقريّة . هذا هو تاريخ الادب وهذه هي فعلته في الامم ، بقي ان نعرف كيف ينبغي لهذا التاريخ ان يكون حتى يعمل عمله هذا . جعل تاريخ الادب لاهياء آثار الماضي ورسومه ،

حتى تمثل الاذهان هذه الرسوم والآثار فتصبح بحضور من أشخاص ناطقين ، بصورون لنا صوراً شتى ، في كل صورة منها فكر وشعور ، ينبغي لتاريخ الادب ان يكون فيه شيء من الحياة حتى يمثل لنا حقائق الآثار على وجوه متباينة ، فمرة نرى وضوح هذه الآثار وصفاءها ، ومرة لا نرى الا ايهامها وتعقيدها ، وحينئذ نسمع خفي صوتها ، وحينئذ لا نجد فيها الا الجمود ، ان تاريخ الادب هو الذي يبعث انواع هذه الآثار حتى تأخذ العين خصائصها وصفاتها ومحاسنها ومزاجها وجودها وحياتها وعلو قدرها وانحطاطها ، ومخالف الوانها ، ومتباين اساليبها ومذاهبها . ان تاريخ الادب هو الذي يبعث روحاً في هذه الآثار كلها مستعيناً على التمكن من احيائها بالفن وما أوتيته من سلطان ، فالن من وحده هو الذي يحكي ماسات من الرسوم . وخلاصة الامر اننا نطلب الى المؤرخ الأدبي ان لا يذهل عن شيء في تصوير صفات التاريخ ، فلا ينبغي له ان يغفل عن تفاصيل الآثار وظروفها وعن الوانها ومعارضها وخصائصها .

فلنبحث بعد هذا كله هل كان عندنا تاريخ ادبي يستطيع ان يصور لنا حقيقة الماضي ، حتى نطلع على اطوار هذا الماضي وضروب اساليبه ومذاهبه ، اما المؤلفون في القديم فقد ذكرت لكم انهم لم يصنعوا شيئاً في تاريخ الادب واما المؤلفون في هذا العصر فما اظن انهم سبقوا المتقدمين في هذا الميدان ، وسننظر في ذلك في مجلسنا هذا ، اظن انكم ما نسيت قولني : ان تاريخ الادبي انما هو سلسلة آثار ولم اقل مجموع آثار ، والفرق بين الجمع وبين التسلسل ظاهر ، فالآثار المجموعة ليست من تاريخ الادب في شيء وانما الآثار المطردة المتسلسلة هي التي تصور لنا الماضي ، الآثار المجموعة لاندلكم الا على نتائج خواطر لا يتصل بعضها ببعض ، فلا تحيطون بشيء من تأثير عصر في عصر ، وتأثير مؤلف في مؤلف وانما الآثار المتسلسلة تصف لكم ارتباط عصر بعصر ، واتصال مؤلف بمؤلف فتشاهدون سير العقل البشري ونقله من حال الى حال ، ان ما وضع حتى اليوم من المؤرخات الادبية مجاميع لا سلاسل ، فان اصحاب هذه المجاميع اذا درسوا مؤلفاً من المؤلفين فانهم لم يدرسوا من تقدمه ولا نظروا في الذي جاء بعده ، انهم لم ينظروا في اواصر المصنفات وارتباطها بحملة التاريخ الادبي ، ان الذين كتبوا في تاريخ الادب كانت كتبهم مجاميع ولم تكن سلاسل مطردة ، فان كل عصر متصل بالذي سبقه ومهد السبيل للذي تلاه .

تصنحت طائفة من كتب تاريخ الادب في هذا العصر، واحببت ان اجد فيها ما اصططلحوا عليه ان تكون اشباه هذه الكتب، فلم اظفر بشيء وانما الذي تبين لي ان هذه المؤرخات الادبية مجاميع آثار فيها قليل من الدراسة الادبية والنقد الادبي، ولكن هذه الدراسة مشوهة الاسلوب وهذا النقد مثلوم المذهب، فلم تبين هذه المؤرخات الآثار التي ابقاها شاعر من الشعراء في اهل عصره، ولم توضح العوامل التي عملت في هذا الشاعر حتى قال شعره، ولا ذكرت كيف نشأ خيال هذا الشاعر، وكيف نما حسه وشعره، لم تبين الظروف التي قال في خلالها شعره، على اني اعتمد ان ذكر هذه الامور لا يتيسر في هذا العصر لمؤرخ ادبي، وعلى التخصيص ذكر الروح الادبي والروح الفني في عصر من العصور، لو عورة هذا المسلك وخشونة هذا المركب، ولا يتهيأ شيء من ذلك الا بعد سنين طويلة فكاتب تاريخ الادب في هذا العصر ليست من التاريخ في شيء وانما هي مجاميع مشتملة على قليل من دراسة الادب ونقده، فلنبحث هل تشتمل في الحقيقة على شيء من هذه الدراسة وهذا النقد.

اخذت عرضاً تاريخياً ادبياً وضعه استاذ من اساتيد الادب في مصر، وكتب التاريخ قليلة ثلاثة او اربعة على ما اظن، اخذت عرضاً هذا التاريخ وقرأت كلام صاحبه على المنبئي حتى اعرف كيف حاول ان يبحث عن المنبئي، ولم تكن غايته الاستعانة بهذا الكلام، فان الناقد الادبي يجب عليه ان يقرأ آثار المؤلف حتى يستطيع ان يبدي رأياً فيها، فاذا استعان بكلام غيره على هذه الآثار لم يكن نقده نقداً، قرأت الكلام على المنبئي في هذا التاريخ لاطلع على أسلوب المؤرخ او على أسلوب الناقد على الوجه الاصح، فوجدته بعد ان ذكر اليسير من اخبار حياته اشار الى منزلته في الشعر فحكم له وقال: لم ينبغ احد بعده بلغ غايته في الشعر، الا اني كنت احب ان اعرف شيئاً عن نبوغ المنبئي نفسه، فلماذا لم ينبغ احد بعد المنبئي، فلم يبين الناقد السماء التي خلق فيها المنبئي، ولم تطاولها سماء، ولا الافق الذي امتد اليه حسه، ولا الصور التي صورها، ولم يذكر شيئاً من شعور المنبئي ودقائق هذا الشعور، وهو العامل الاكبر في شعره، ولا ذكر طبيعة هذا الشعور ولا اشار الى شيء من عاطفته، ولا وضع طبيعة هذه العاطفة، ولا بحث عن قلق المنبئي واضطرابه وعن اسباب هذا القلق والاضطراب، ولا اشار الى تناقض المنبئي في اخلاقه، ولا صور

لنا مثله الأعلى في الحياة ولا ذكر هل كان هذا المثل مادياً أم معنوياً ، ولا تعرض لبعض نزعات المثني في الفلسفة ولا أبدى رأيه في خلود المثني ، هل يخلد ابو الطيب ، وما هو السبب في خلوده ، وفي الجملة فقد قرأت البحث عن المثني فلم تنشأ في ذهني صورة عامة ، قال المثني في كل الاغراض ، ما هي هذه الاغراض ، اجاد المثني في وصف المعارك ، ولكن ابن مواطن الاجادة ، المثني في كلامه كثير من التعقيد اللفظي ، فإين مواضع هذا التعقيد ، قرأت هذا كله فلم تنشأ في ذهني صورة المثني العامة ، ولا صورة شعره ولا صورة حسناته ولا صورة سيئاته ، فلم اعرف شيئاً عن جملة حاله وشعره وأسلوبه .

فرغت من هذا التاريخ ، فأخذت تاريخاً غيره فوقع نظري عرضاً على بحث صاحبه عن ابي فراس الحمداني ، فتبين لي ان المؤلف قد استعان برأي الثعالبي في ابي فراس ، حتى انه لجأ في ذلك الى الفاظه نفسها ، فقال : ولما خرج قمر البهان من سمراره ، واطلق اسد الحرب من اساره . وقال في موضع آخر في كلامه على شعر ابي فراس : شعره على مثال الشعراقديم متانة وأسلوباً الا ان عليه رواء الطبع ومحة الظرف وعزلة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبدالله بن المعتز ، وهذا الكلام انما هو كلام الثعالبي نفسه ، اي امانة في نقده لم يقرأ صاحبه الاثر الادبي الذي ينقده ، اي روح في كلام لم يصدر عن قلب صاحبه ، فلو قرأ هذا المؤلف الاثر الادبي الذي ينقده لكان له رأي فيه خاص به ، مثل المصادر الادبية في تأثيرها في اذهاننا كمثل مشاهد الطبيعة في تأثيرها في حواسنا فكما ان هذه المشاهد قد تترك في حواس مصور آثاراً لا تتركها في حواس غيره من المصورين ، فكذلك المصادر الادبية فانها قد تترك في ذهن رجل آثاراً لا تتركها في ذهن غيره ، فيجب على الذي ينفرد للنقد ان يقرأ الكلام الذي ينقده ، واما اذا رد ما قاله غيره فلا تجدد امانة في قوله ، فاذا كننا لا نزال نكرر آراء المتقدمين ونستعين على بحثنا بكلامهم نفسه ، او نشوّه هذا الكلام في بعض الاحابين فكأننا لم نخط خطوة في الف سنة .

اكتفيت بهذا القدر من الاستشهاد لأبين لكم ان فريقاً من المؤلفين في الادب لا يزالون ينسخون في هذا الدهر اقوال المتقدمين ، فهم ينسحبون على اذيلهم في كتابة المؤرخات الادبية مع شيء يسير من التعديل ، على ان البحث عن مؤلف من المؤلفات في هذا العصر

يختلف عما كان في القديم فقد استغاضت المناهج العلمية في دراسة الأدب وشاعت مذاهب النقد وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات وأصبح هذا التطور علامة الحياة نفسها ، فلو اجتزأنا بأراء المتقدمين لجمدت القرائح ، ولنضبت الخواطر ، فان لكل ناقد أسلوباً ، واث لكل مؤرخ مذهباً ، وعلى قدر اختلاف هذه الأساليب والمذاهب يزداد رونق الأدب ، فاذا تشابهت فنون الكتابة نفرت الاذان عن كل مردد ، وانقبضت القلوب عن كل مكرر .

اما وقد أشرت الى بعض المطاعن في المؤرخات الادبية فلا ارى بأساً بان اتلو عليكم صفات المؤرخ الادبي على حسب ما حددها الاستاذ « فأكّه » في كتابه : فن القراءة .

« يجب على المؤرخ الادبي ان ينسلك من دخيلته ^(١) على قدر ما اعان عليه الامكان ، يجب عليه ان يتجرد منها كل التجرد ، فلا يجوز له ان يعرب عن الاثر الذي ابقاه في نفسه مؤلف من المؤلفين ، وانما ينبغي له ان يفصح عن الآثار التي ابقاها هذا المؤلف في اهل عصره وابناء زمانه ، فاذا كان يبحث عن عصر من العصور وجب عليه ان يبين روح هذا العصر العام على حسب ما يعرف من تاريخه وان يوضح الروح الادبي والروح الفني في هذا العصر على قدر ما يعرف من التاريخ الادبي والتاريخ الفني ، يجب عليه ان يقيس — وهذا الامر بكاد يكون ممكناً — العوامل التي عملت في مؤلف من المؤلفين وان يبين كيف نشأ عقل هذا المؤلف بحسب الكتب التي قرأها في حياته ، ويجب الرسائل التي كتبها ، وبحسب رأي اهل عصره فيه ، يجب عليه ان يبحث عن مجامع الظروف العامة التي كتب في خلالها ، ظروف قومه ، وظروف مكانته ، وظروف اهله ، وظروف شخصه . يجب عليه ان ينقب عن التأثير الذي اثره هذا المؤلف نفسه ، اي ان يذكر الرجال الذين رافقهم كتابته ، والرجال الذين لم تعجبهم هذه الكتابة ، فلا يجوز للمؤرخ ان يعرف الا الحوادث ولا ان يعلم غيره الا بهذه الحوادث نفسها ، وبروابطها ، فلا يحق للقاري ان يعلم كيف يحكم هذا المؤرخ ، ولا يحق له ان يعلم انه يحكم ، لا يجوز له ان يعرف انه يشعر .

(١) دخيلة الرجل مذهبه وجميع امره وقد استعملها بدلاً من « الشخصية » .

اما الناقد الادبي فانه على خلاف المؤرخ فهو يبتدئ من حيث ينتهي المؤرخ الادبي ، انه على سطح هندسي غير السطح الذي ترى عليه المؤرخ الادبي ، فالذي يُطلب الى الناقد ان يبينه انما هو فكره في مؤلف من المؤلفين ، او في اثر من الآثار العقلية سواء أكان هذا الفكر صادراً عن عوامل عقلية ام كان صادراً عن هوائج فسية ، فلا يطلب اليه ان بصور مخططات وانما يطلب اليه ان يبين الآثار التي بقيت في نفسه بعد سفر من الاسفار » .

دمشق : في ٧ كانون الاول سنة ١٩٢٩

أطوار النقد

أفلا يزال منكم على ذكر ما قلته لكم في آخر مجلس من مجالسنا ، أفلا يزال عالمنا يحفظكم ان نار يبع الأديب شيء وان النقد شيء آخر ، فقد حدثكم بخصائص المورخات الادبية ، ونعرضت لبعض المطاعن فيها ، فأرى ان اجعل النقد حديثي في هذه الامسية فألمح الى أطوار النقد في لغتنا الكريمة في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني أمية وبني العباس ، ثم أجمل الكلام على النقد الادبي في بعض لغات الغرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

كان نقد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام وفي ايام بني أمية حكماً مختصراً يحكمونه على شاعر من الشعراء او لشاعر منهم ، وقد كان يجري شيء من هذا النقد في اسواق العرب واندبئهم في الجاهلية وفي مجالس الخلفاء وقد ملئت كتب الادب بكثير من موجز هذه الأحكام انقل اليكم نماذج منها على سبيل الاستشهاد .

قيل للخطيئة من اشعر الناس فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية وقال : هذا اذا طعم .

وقال عبد الله العباس : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انشدني لأشعر شعرائكم قلت : ومن هو يا امير المؤمنين ، قال زهير ، قلت : وكان كذلك ، قال : لا بما ظل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه .

وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال : اشعر الجاهلية امرؤ القيس واضربهم مثلاً طرفة ، واما شعراء الوقت فالفرزدق أغرهم وجريز المجام والأخطل اوصفهم .

من هذه الامثلة القليلة يتبين لكم ان النقد كان عبارة عن خطرات سريعة ونظرات عجيبة لا يستند الى شيء من قواعد الفن الشعري الا ان هذه الأحكام كانت صادقة في معظم الاحاين تصدر عن بدهة وفطنة حتى جاء القرن الثالث فدخل النقد في طور آخر

وألف المؤلفون فيه كتباً منها طائفة زعم أصحابها انها تشتمل على تفصيل الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين وانزالهم منازل والاحتجاج لكل شاعر بما وجده اصحاب هذه الكتب من حجة له ، وما قال فيه العلماء ، من هذه الكتب : طبقات الشعراء للجمعي ، غير ان صاحب هذه الطبقات لم يبحث الا عن الصور الفنية كحسن الدباجة وكثرة الرونق وجزالة البيت وما شابه ذلك ، كقوله مثلاً كان الخطيئة متين الشعر ، شرود القافية . وكان نابغة بني جمعة شاعر مفلحاً فلا يخلف طراز هذه الآراء عن الطراز القديم .

ومنها طائفة ننظم قواعد الشعر ككتاب ابى العباس ثعلب الا ان بعض الذين توسعوا في هذا الباب هم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ، وابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ، وقدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر ، وابن عبد ربه في عقده الفريد ، والآمدي في موازنته بين ابى تمام والبحتري والجرجاني في وساطته بين المتنبي وخصومه ، وابن رشيق في كتابه العمدة الى غيرهم من الذين كتبوا - في تراجم الشعراء والكتاب كالثعالبي وابن خلكان .

كانت هذه الكتب اشبه شيء بكتب الفن الشعري في بعض أمم الغرب فانها تشتمل على قواعد الفن والدوق فلم يشر اصحابها الى الآثار الادبية الا من حيث الصور الفنية فلم يخبر ابن قتيبة مثلاً في كتابه - الشعر والشعراء ، الا عما يستجد من شعر الرجل وما اخذه العلماء عليه من الغلط والخطا في الفاظه ، فلم يخبر الا عن الوجوه التي يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها ، وكل هذا لا يتعدى الحاسن اللفظية غير ان ابن قتيبة قد تبسط في بحثه عن القديم والحديث بعض التبسط فقال : ولانظرت الى المتقدم من الشعراء بعين الجلالة لنقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحقار لتأخره ، فالذي يدل عليه باطن كلام ابن قتيبة ان القديم انما هو قديم بالنسبة الى عصرنا ولكنه حديث بالنسبة الى العصر الذي ظهر فيه ولكن الذي توسع في قواعد الفن انما هو ابن رشيق في كتاب العمدة ، على انه مع توسعه هذا لم يجاوز نقده الاقتصار على الصور الفنية فقد قال في فضل الشعراء :

(كل منظوم احسن من كل منشور من جنسه في معترف العادة الا ترى ان الدر وهو اخو اللفظ ونسبه واليه يقاس وبه يشبه ، اذا كان منشوراً لم يؤمن عليه ولم ينفع به في

الباب الذي له كسب ومن اجله انجذب وان كان اعلى قدرأ واعلى ثمتأ فاذا نظم كان اصون له من الابتذال واطهر لحسنه مع كثرة الاستعمال وكذلك المافظ اذا كان منشورأ تبدد في الاسماع وتدرج عن الطباع) .

فكان الشعر عبارة عن الفاظ تشبه الدر على ان ابن فنيبة كانت يعرف ان العرب احتاجت الى الشعر لغني بمكارم اخلاقها وطيب اعرافها وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة ولكنه نظر الى ظواهر الاكسية التي كانت تصون كرم هذه الاخلاق وطيب هذه الاعراق وصلاح تلك الايام ونزوح تلك الاوطان ولم يغفل في بواطن هذا الكرم وهذا الطيب وقد كانت في هذه الكتب كلها شيء من النقد لغوي وهو على ما اعتقد الاساس الذي لا يستغني عنه النقد الادبي نفسه ، وان كان يختلف عنه ، فلا نكاد نجد نقداً ادبياً دون ان يكون فيه نقد لغوي فالكتب التي ذكرتها لكم لم ننظر في روح الشاعر وفكره وعاطفته فلم نفسك اجزاء هذا الشاعر ونبحث عن كل جزء منها ، فكان العصر الذي ظهرت فيه عصر صور فنية الا ان فريقاً من المؤلفين اشاروا الى تأثير بعض العوامل في الشعراء كتأثير البيئة من حاضرة وبدو وتأثير المازج من سلاسة في الطبع وجفاء في الخلقة ومنهم الجرجاني في وساطته وهذا مذهب طريف في نقد الادب في لغة العرب يكاد يشبه مذهب « تبين » في النقد الحديث وسيأتي الكلام على هذا المذهب .

ومن هذا القبيل ابو عامر ابن شهيد الاندلسي فالآثار الادبية في نظره صور ظاهرة تدل على بواطن اصحابها فن قوله :

« ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فن كانت نفسه من اصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعاً روحانياً بطلع صور الكلام والمعاني في اجمل هيأتها ، ومن كان جسمه مستولياً على نفسه من اصل تركيبه والغالب عليه جسمه كان ما يطلع في تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الاولى في التمام والكمال وحسن الرونق ، وهذا الاسلوب في النقد يكاد يشبه اسلوب سانتيفوف في هذا العصر ومذهب سانتيفوف التعمق في روح المؤلف حتى يبعث من مدفنه فترى هيأته وصورته .

اما التراجيح فكنتم تجدون في معظمها اساليب متشابهة والفاظاً متقاربة بحيث يتحقق عندكم ان الشعراء الذين ينقدهم اصحاب هذه التراجيح متماثلون في صيغهم وقوالهم فن

قول اصحاب هذه التراجم : فلان احدا افراد الدهر في النظم والنثر وفلات فرد دهره
وشمس عصره وفلان عجوبة الزمان ونادرته وفريد عصره ، واقعته ، فيكاد يتخيل اليك ان
الناس كلهم اعاجيب الزمان ونوادره وآحاد الدهر وشمسه ، أفلم يمسس ليل الى جنب
شمس من تلك الشمس .

هذه هي جملة اطوار النقد في الجاهلية وصدر الاسلام وفي زمن بني امية وبني العباس
انبت على ذكرها على سبيل الايجاز ثم وقف النقد وقفته فلتنقل الى اطوار النقد سيفي
بعض لغات العرب في القرون الوسطى وفي العصر الحديث .

ما اظن ان ادباً من الآداب قد غت مذاهبه وامتدت ظلاله سيفي العصور الاخيرة
دون ان يكون للنقد الاثر الابلغ سيفي نمو هذه المذاهب وامتداد هذه الظلال ، فالادب
الالمانى في القرن التاسع عشر قد انبلج نورد من افق الناقد « لسينغ » وقد كان النقد
روح الادب الفرنسي من ثلاثة قرون ، ولم يحدث حادث في هذا الادب وفي اذواق اهله
من القرن السادس عشر حتى يومنا هذا الا كان النقد مصدر هذا الحادث او اضله ، حتى
ان كثيراً من شعراء فرانسه امثال رونساو ومالرب وبوالو وفولثير وشانو بريان وهوغو قد
اعتمدوا على النقد ولجأوا اليه في بسط آرائهم ومعتقداتهم في الادب .

نشأ النقد الادبي الحديث في ايطالية في القرن الخامس عشر وقد كان لنشأته عوامل
ثلاث منها عاملان كبيران : عامل باطن وعامل ظاهر ، اما العامل الظاهر فهو اضطراب
رجال التجديد في ايطالية الى تعارفهم وانصرافهم الى استخراج ما خفي من الكنوز في منقذم
العصور من مدافنها ، واما العامل الباطن فهو تيقظ « الشخصية » فقد كان الرجل في القرون
الوسطى تابعاً لطبقته ولرجال نقابته ، قبل ان يكون مالك امره ، فلم يكن له في كل حين
تصرف في شأنه وعمله وفكره فلما طلع فجر التجديد تيقظت « القوميات » وخرج الفرد عن
الرق فاصبح هم رجل الفن ان يدخل في عمله سواء أ كان هذا العمل شعراً ام كان تصويراً
شبيهاً من روحه اي شبيهاً من طابعه ^(١) .

ثم انتقل النقد من ايطالية الى فرنسا فصبغ فيها بصبغة ادبية فجعل نقدة الكلام في

تأليفهم المحل الاول للمبادئ والمذاهب ، افي لا تعرض في هذا المقام لتطور النقد في
فرنسة فهذا خارج عن موضوعي ، فلا تعرض لكتب الفن الشعري في العصرين السادس
عشر والسابع عشر ، ولما كانت تشتمل عليه هذه الكتب من قواعد الذوق والفن ، ولا
انصدى لاضجاج القوم في مسألة القديم والحديث ، ولما نشأ عن ذلك من خروج النقد
عن طور ودخوله في طور آخر فبعد ان كان الناقذ يدرس الآثار من حيث انها آثار
شعر يدرسها من حيث انها صور الحضارات ، افي لا انصدى لتطور النقد بعد هذا كله
فقد اصبح للآثر الادبي في نظر « فيلمان » ارتباط وثيق بالوضع الاجتماعي والسياسية .
كل هذا لاحاجة بنا اليه في هذا المقام ولربما مست الحاجة اليه في العام المقبل ،
ربما احتجنا اليه في دراسة نقدنا الادبي في اطواره كلها في الجاهلية وصدر الاسلام وفي
زمن بني امية وبني العباس وفي عصرنا هذا فقد نضطر الى شيء من ذلك اذا درسنا هذا
النقد وقابلنا بين اطواره وبين اطوار النقد الحديث .

كل هذا لا حاجة بنا اليه اليوم على انه لا اجد لي بداً من ان اذكر لكم اربعة نقدة
قد استفاضت مذاهيمهم في الادب الحديث وكان لها اثر فيه ، واريد بهم فيلمان وسانتبوف
وتين و برونير فاذا اردنا ان نفهم اوضاع الادب الحديث فلا مندوحة لنا عن الاطلاع
على مذاهب هؤلاء النقدة .

اما « فيلمان » (١٧٩٠ — ١٨٦٧) فهو مؤلف كتاب درس الادب الفرنسي ،
واستاذ البلاغة في السوربون ، وصاحب مر (الاكاديمية) وكتابه هذا كان فاتحة النقد
الحديث فقد جعل فيلمان للمجالس الاجتماعية اثرآ في الادب فقال :

لم يخرج من المجالس النيابية نوع حديث في الادب فقط اوصفة خطابية او بلاغة سياسية
بدلاً من البلاغة الدينية وانما اخرج منها شيء آخر ، هبت من هذه المجالس نفحة حياة خرج من
هذه المجالس عنصر حديث امتزج باجزاء الادب كلها فبدل منها وغير واعاد اليها شبابها .
واما « سانتبوف » ١٨٦٩ — ١٨٠٤ فقد حاول ان يطوي من ظل العاطفة الشخصية
في النقد على قدر الامكان ، فالناقذ في نظره يجب عليه ان يكون متزهاً عن كل غرض
حق يستطيع ان يكشف اسرار ارواح تختلف عن روحه ، يجب عليه ان يكون صاحب
عقل مطلق لا يشغله غرض من اغراض الفن والاخلاق والدين والسياسة .

فالنقد يلزمه ان يكون في حيدة عن كل شيء على نحو حيدة العلم .

لا يريد « سانتبوف » ان يكون النقد تابعاً لافسدة محدودة فاذا كان تابعاً لشيء من ذلك فكأننا نحاول ان نلزم الاشياء ان تكون تابعة لمذاهبنا فالطبيعة مملوءة بامور متنوعة وقوالب مختلفة فلا يلزم الناقدا ان يكون خاضعاً لسلطان واحد ، وقد اعترض على تبنيهم « تبين » لما شاء هذا ان يطبق مذاهب العلم في العقل البشري ويجعل للعبقريّة الشخصية اسباباً عامة . يقول « سانتبوف » ينبغي للناقد ان يتجرد من نفسه في النقد ، فن شروط عبقرية النقد ١ - لا يكون للناقد فن وان لا يكون له أسلوب فاذا كان للناقد شيء من ذلك صرف همه الى اثره الخاص فظهر أسلوبه في خلال الاثر الادبي الذي ينقده .

فاذا احتاط الناقد في هذه الامور كلها وجب عايه يومئذ ان يبعث كل مؤلف من مرقده حتى نرى هيأته الخاصة على ان يعني بكل الظروف التي اتى على ذكرها المؤلف في ترجمته ومن هنا يتبين لكم ان النقد أصبح كتابة عن تعمق في روح المؤلف .

اراد سانتبوف ان يدرس آثار الرجال على نحو درس علماء الطبيعة لنماذج الانواع المختلفة في عالمي الحيوان والنبات الا انه يرى ان اليوم الذي نستطيع فيه تصنيف الكتاب اصنافاً ، ان اليوم الذي نستطيع فيه وضع تاريخ طبيعى للعقول انما هو يوم بعيد على ان الذي يهم انما هو وصف الافراد على وجه الضبط .

واما تبين (١٨٢٨ - ١٨٩٢) فشكل اثر من الآثار الفنية في نظره يصدر عن صاحبه حتماً لعلة من العلل الخارجة لان لرجل في الطبيعة يتبع القوانين العامة على نحو المخلوقات والبيك قوله :

قد تمكن ان يعتبر الرجل حيواناً من نوع سامر يضع فلسفة ويقول شعراً كما لنفسج ديدان القز يهونها وكما تبني النحل خلاياها فاذا وجدنا بستاناً ونحلاً فاننا نريد ان نعرف كيف يكون بناء الخلية .

من هنا يظهر لكم ان تبين قد حاول ان يطابق بين العلم وبين نقد آثار العقل والعاطفة وعلى هذا فقد أراد ان يجعل النقد تاريخاً طبيعياً كبيراً نفساً فيه الآثار والقرائح والامزجة بحسب الجنس والبيئة والزمن ، لقد أدخل تبين عناصر حديثة في دراسة الآثار الادبية الا ان مذهبه لا يخلو من بعض المبالغات وقد اثار في الفلسفة وفن الرواية .

ثم جاء برونتير (١٨٤٩-١٩٠٧) فانبسط سلطانه على العقول حينئذ من الدهر ومذهبه في الأدب مذهب الشؤ والارنقاء قال :

اننا نعلم ما استفاد التاريخ الطبيعى والتاريخ والفلسفة من هذا المذهب ، فأريد ان أبحث عن هذا الاسر : أفلا يستطيع التاريخ الادبي والنقد الادبي ان ينفعا بهذا المذهب ، انما مثل الانواع الادبية في نظره كمثلى انواع الحيوان والنبات فانها تولد فتعيش فتتو او تموت وهو لا يؤمن بمذهب التواء الذاتى في الادب ، فالطريقة الغنائية في القرن التاسع عشر لم تظهر فجأة وانما قد هيئت من القرن الثامن عشر .

هذه نظرة عامة في أطوار النقد الادبي الحديث ليس فيها شيء من التطويل والتفصيل وانما غايتى اطلعكم على الزهيد من مبادئ هذه الاطوار حتى لا تكون غريبة عن اذهانكم وقد تبين لكم من هذه النظرة كيف امتد سلطان العلم الى افاق الادب فامتزج بالادب علم النفس والتاريخ الطبيعى وعلم التشريح وعلم الفيزيولوجية ومذهب الشؤ والارنقاء ثم دخل النقد بعد برونتير في طور آخر وقل اعشاء القدة بالافسة والمذاهب وجعلوا همهم ان ينقلوا الينا الآثار التي رسمت في نفوسهم من قراءة كتاب من الكتب او ان يفهموا هذه الكتب ويفسروها لنا .

وجملة القول : النقد يحيط بالبلاغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ وما شابه ذلك فلا يصح ان يكون النقد في حال من الاحوال ثرثرة وهذياناً او خلطاً وتخبصاً .

دمشق : في ١٤ كانون الاول سنة ١٩٢٩

فصح وشوارد

خَاصَّ السَّمْنِ وَأَخْلَصَهُ إِذَا اخْتُدَّ خِلَاصَتُهُ ، وَتَأَثَّلَ النَّاسُ إِذَا اخْتُدَّ مِنْهُمْ أَثَلًا . أَي مَالًا
وَأَثَرُ شَخْمَاشَتِهِ مِنْ فُلَانٍ : اخْتُدَّ ارْشَاهَا وَهُوَ دَبَّةُ الْجِرَاحَاتِ ، وَتَحَوُّفُ الشَّيْءِ اخْتُدَّ حَافَتُهُ —
وَاخْتُدَّ مِنْ حَافَتِهِ ، وَنَصَّفَهُ وَانْتَصَفَهُ : اخْتُدَّ نَصْفَهُ ، وَارْتَجَلَ الرَّجُلُ : اخْتُدَّ بِرِجْلِهِ ،
وَاجْتَدَلَ : النَّقْطُ الْجَلَّةُ لِلْوُقُودِ ، وَخَلْفُ فُلَانًا وَاخْتَلَفَهُ : اخْتُدَّ مِنْ خَلْفِهِ ، وَتَدْرَهَنَ اخْتُدَّ
مَدَهْنًا ، وَاعْتَصَرَ : اخْتُدَّ عَصْرَةُ الْعَطَاءِ أَي ثَوَابِهِ ، وَاعْتَلَّ الضَّيْعَةُ : اخْتُدَّ غَاثُهَا ، وَلَنْبَلُ
مِنْ فُلَانٍ : اخْتُدَّ اللَّانِبِلُ فَلَا انْبِلَ ، وَلَيَجَلَّ الشَّيْءُ وَتَجَلَّى وَاجْتَلَى : اخْتُدَّ جُلَّاهُ ، وَاسْتَعْظَمَهُ :
اخْتُدَّ مَعْظَمُهُ ، وَافْتَلَزَ الْمَالُ : اخْتُدَّ مِنْهُ فِلْزَةٌ ، وَاعْتَدَفَ الثُّوبُ : اخْتُدَّ مِنْهُ عِدْفَةٌ أَي قِطْعَةٌ —
وَالْعِدْفَةُ اخْتُدَّهَا ، وَجَزَأَ الشَّيْءُ اخْتُدَّ مِنْهُ جِزَاءً ، وَاشْتَقَّه : اخْتُدَّ شَقُّهُ ، وَاسْتَدْبَلَ الْمَالُ :
اخْتُدَّ نَبِيلُهُ أَي خَيْبَارُهُ ، وَفُخِّبَهُ : اخْتُدَّ فُخْبَتُهُ ، وَتَشَافَفْتَهُ : اخْتُدَّتْ بِشَفَتِهِ أَي بِفَضْلِهِ ،
وَامْتَدَّرَ الْمَدْرُ : اخْتُدَّ ، وَاعْتَفَى الْأَمْرُ : اخْتُدَّ بِعَنْفٍ ، وَتَكَلَّلَ الشَّيْءُ : اخْتُدَّ كَلَلُهُ —
وَالْكَلَلَةُ : تَسْلَمًا . وَالْكَلَلَةُ هِيَ النِّسْبَةُ وَالْعَرَبُوتُ وَكَذَلِكَ أَكَلَلُهَا ، وَتَعَفَّفَ الْإِنَاءُ
وَالضَّرْعُ : اخْتُدَّ عَفَّتُهُ أَي بَقِيَّةُ مَا فِيهِ ، وَعَعِي يَعْمِي عَصِيًا : اخْتُدَّ الْعَصَا — وَبَسِيفُهُ :
اخْتُدَّ اخْتُدَّ الْعَصَا .

وَتَعَفَّرَ الرَّجُلُ : اجْتَنَى الْمَغَافِيرَ مِنْ شَجَرِهَا . وَالْمَغَافِيرُ صَمِغٌ يُسِيلُ مِنْ شَجَرِ الْعَرَفِطِ حُلُو
كَالِاطْفِ غَيْرِ أَنْ رَأَتْهُ كَرِهَتْهُ مِنْكَرَةً ، وَقَرِطَ الْقَرِطُ : جَنَاهُ أَوْ جَمْعُهُ . وَالْقَرِطُ وَرَقُ السَّلْمِ
يَدْنِغُ بِهِ أَوْ ثَمَرُ السَّنْطِ وَبِعَصْرِ مِنْهُ الْإِقَاقِيَا وَهِيَ مِمَّا يَتَدَاوَى بِهِ وَقِيلَ هُوَ شَجَرٌ عَظِيمٌ لَهُ شَوْكٌ
غَلِيظٌ وَزَهْرٌ أَبْيَضٌ وَثَمَرٌ مِثْلُ الثُّرَمْسِ تَعَصِرُ مِنْهُ الْإِقَاقِيَا الْمَذْكُورَةُ ، وَتَكْنَى : اجْتَنَى الْكَمَّ ،
وَقَمَّةُ ثَمَرِ : اجْتَنَى الْخِثْرَ ، وَهَبْدُ الْهَبِيدِ مِثْلُهُ . وَالْهَبْدُ وَالْهَبِيدُ : الْخَنْظَلُ بِقَالَ صَحْبَةِ الْعَبِيدِ . أَمْرٌ
مِنْ طَعْمِ الْهَبِيدِ . وَفِي الْأَسَاسِ الْهَبِيدُ حُبُّ الْخَنْظَلِ ، وَتَطَرُّثُ : اجْتَنَى الطَّرْثُوثَ وَهُوَ
نَبْتُ بُوَيْكَلٍ يَرْفَعُ كَالدَّرْقَةِ الْمَلْفُوفَةِ وَأَصْلُهُ قَطْعُ حُمْرٍ خَشَنَةٍ وَيُسَمَّى الْإِطْبَاءُ رَبُّ الْأَرْضِ
وَرَبُّ الرِّيَّاحِ ، وَسَأَتَى : افْتَطَعَ السَّاقِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَاقْتَنَدَ ، افْتَطَعَ الْقَنْدَ وَهُوَ نَبَاتٌ يُشَبِّهُ

القضاء وقيل الخيار ، وتلثى والنثى : اخذ اللثى ، واقتنل القنائل : استنفذه يده عن الشجر ، ونخلل الرطاب : طلبه خلال السعف بعد انقضاء الصرام ، وحنظل : جنى الحنظل وهو لغة في الحنظل . ويقال خرج القوم يندأ نون اي يحنون الذؤنون وهو نبت من الزمثم . وقد اجرم التمر اي حان جرمه ، واقطف الكرم دنا قطافه — والقوم : حان قطاف كرومهم ، واخرف النخل : آن له ان يخرف اي يجني ، واقطع : اصرم ، واجنى الشجر صار له جنى يعني فيؤكل .

واحتش الحشيش طلبه وجمعه ، ودوت الديوان جمعه ، وحطب واحتطب : جمع الحطب وحطب فلاناً : اتاه بالحطب — وجمع له الحطب ، ورزم الثياب : شدّها وجمعها رزماً ، وخلّ الكساء : جمع اطرافه بخلال ، وبقل بعيره : جمع له البقل ، وانجب : جمع النجب اي لحاء الشجر وقيل قشر عروقها وقيل قشر صلب منها ، وجمّل الشيء : جعله جملة ، وخرط الجواهر : جمعها في الخريطة ، واستخبل الشيء : استخسه بالخبل ، وجيش القائد : جمع الجيوش ، وكوم التراب جمعه وجملة كومة ، وخلا الشعر في الخلا : جمعه ومثله النقط للقاط ، وحزب القوم جعلهم احزاباً — وجعلهم من حزبه .

واستكار استكارة : حمل الكارة على ظهره وهي ما يحمل من الثياب على الظهر وسميت كارة القصار بذلك لانه يكوثر ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض ، وآبن الشيء : جعله في الثبان وحمله بين يديه . والثبان هو الموضع الذي تحمل فيه من ثوبك اذا تلحفته او توشحته فنثنيه بين يديك ثم تجعل فيه من الثمر وغيره شيئاً وقال الازهري ليس الثبان بوعاء ولكن ما جعل فيه من الثمر فاحتمل في وعاء وغيره وقد يحمل الرجل في كفه فيكون ثباناً ، وقد احتضن الشيء اي احتمله وجعله في حضنه ، واحتجز : حمال الشيء في حجزته وهي مقعد الازار — وموضع التكة من السراويل .

وجزيع البعير انكسرت جوانحه من الحمل الثقيل . ورّبع الرجل الحمل ادخل المربعة تحته واخذ بطرفها الواحد وآخر بطرفها الآخر ثم رفعه على الدابة فان لم تكن مربعة اخذ احدهما بيد الآخر ورفعه وذلك يقال له المربعة ، والمربع والمربعة

خشبية يأخذ الرجلان بطرفيها ليرفعا الحمل على الدابة ويقال رابعوا الحمل اي ادخلوا
المربعة تحته . وحَدَج البعير شدَّ عليه الحَدَج اي الحمل . ووسَقى الخنطة جعلها وسقا
وسقا قال الخليل الوسق هو حمل البعير والوفر حمل البغل او الحمار .

وَأَزْنَحَ البابَ أَغْلَقَهُ بِالْمَزْلَاحِ وَالْمَزْلَاحُ وَالْمَزْلَاجُ وَالزَّلَاجُ : الْإِخْلَاقُ إِلَّا أَنَّهُ يُفْتَحُ
بِالْيَدِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ عَامِنَا بِالذُّقْرَةِ ، وَكَذَلِكَ زَلْجُهُ وَأَزْلَجُهُ أَيِ أَغْلَقَهُ بِالْمَزْلَاحِ .
وَعَصَمَ الْقَرِيْبَةَ جَعَلَ لَهَا عَصَامًا وَشَدَّهَا بِالْعَصَامِ وَهُوَ عُرْوَةٌ يُعَامَقُ بِهَا .

وَأَثَقَبَ الشَّيْءُ خَرَقَهُ بِالثَّقَبِ . وَنَقَرَ الشَّيْءُ ثَقَبَهُ بِالثَّقَارِ . وَوَقَّبَ وَقَبَهُ أَوْجَدَهَا
وَهِيَ نَقْرَةٌ فِي الصَّخْرَةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ — وَالْكُوَّةُ الْعَظِيمَةُ فِيهَا ظِلٌّ . وَخَزَمَ أَنْفَ الْبَعِيرِ
ثَقَبَهُ لِتَعْلِيْقِ الْخِزَامَةِ فِيهِ — وَالْبَعِيرُ جَعَلَ سَيْفَ جَانِبِي مُخِزَةٍ الْخِزَامَةُ وَكَذَلِكَ خَزَمَ الْبَعِيرُ
وَأَنْفَهُ ، وَالْخِزَامَةُ حَلْقَةٌ مِنْ شَعَرٍ تَجْعَلُ فِي وَتَرَةِ أَنْفِ الْبَعِيرِ يَشُدُّ فِيهَا الزَّيْمَامُ وَيُسَمَّى بِهَا بَعْضُهُمْ
بِالْخِزَامِ . وَعَلَّجَى عَبْدَهُ ثَقَبَ عَلَيْهِ وَقِيلَ قَطَعَهَا وَهِيَ عَصَبَةٌ صَفْرَاءُ فِي صَفْحَةِ الْعُنُقِ .
التبكي : سالم خليل رزق



آراء وافكار

العربية واصلا

وقفنا على ما كتبه حضرة الخوري جرجس منش في مجلة المجمع العلمي (٦٩٩:٩) بعنوان : « العَرَبِيَّة . هل هي من وضع ابن بطوطة ؟ » فتعجبنا من هذا العنوان الغريب ، لانه لم يذهب الى هذا الرأي احد ، اذ كلنا يعلم ان ابن بطوطة ذكر اللفظة سماعاً عن اهل البلاد الذين كانوا ينطقون بها . فهو راوٍ لا واضع . فكيف نسب حضرته هذا الامر الى ابن بطوطة في ذِيْلك العنوا ن ؟ فلو قال مثلاً : « العربية : هل هي من عصر ابن بطوطة » لما ناقشناه . اما انه ينسبها الى الرحالة المذكور ، في الوقت الذي بصرح فيه بانه يروي الكلمة روايةً ، فهذا مما كنا نحب ان يرفع نفسه عنه . وهناك نسبة أخرى كنا نود ان لا يذكرها بالوجه الذي ذكره . فقد قال حضرته : « وقد كان . . . الاب الستاس الكرملّي قد ذهب الى ان العربية تركية الاصل في نقده على الشيخ ابراهيم اليازجي قال في مجلة المشرق (٥ : ٥١٩) وكثيراً ما يستعمل كلمة عربية بمعنى مركبة وعجلة وهي تركية الاصل ! ! . . . » كذا رأينا هذه العبارة مكسوةً بعلامتي تعجب . ونحن لم نفعل ذلك . فهي إذن من حضرة الخوري الفاضل ومن زياداته . وكان يحسن به ان يقول انها من عنده او أن يعملها بين عضادتين او هلالين او غير ذلك من العلامات ، لبشر القاريء بانها ليستا لينا اذ لسانا عن يستخر بمعرفة اليازجي . ومقامه من اللغة اشهر من ان يذكر .

إذن وضع حضرته هاتين العلامتين هو من عنده ليدل بهما على تعجبه من جهلنا . قلنا : اننا نقر بهذا الجهل وقد صرّحنا به مراراً ، لكن مع هذا كله لم ننسب الى نفسه القول بتركية اصل العربية . وكلامنا صريح فوّيق هذا وهو : « هي تركية الاصل » ولم نقل : « وعندنا انها تركية الاصل » الى غيرها من العبارات الدالة على ادعائنا بالامر . انما اوردنا رأي الغير . والذي صرّح به قبلنا انها تركية صاحب مرآة اللغات ، ومواف

الدرر العثمانية في اللغة العثمانية ومصنف لهجة اللغات وغيرهم وهم كثيرون . ولما قلنا انها تركية الاصل لم نقل انها بلفظها الحالي تركية الاصل بل اردنا ان نقول تركية التركيب والوضع . ألا يعلم الناس ان عولس او عوليس علم يوناني . ومع ذلك نقله بعضهم بالعين كما نرى . أفلكونث الكلمة تبثدي بعين يزول عنها اصلها اليوناني ؟ ^(١) فقول حضرة الخوري : « وهذا يؤكد (اي كتابة الكلمة بالعين) ما سبق وقلناه لا اظن العربية من اصل تركي » قول يقرب من قول الاطفال والرضعان .

اما ان «العربية» تركية فنحن لانشك فيها . وذلك لاننا نراها مدوثة بهذا المعنى في كتاب «ديوان لغات الترك» لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري ^(٢) . وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦ هـ (٧٣ : ١ م) اي في اواخر المائة الحادية عشرة . وانت تعلم ان المؤلف تركي وصنف كتابه في بغداد ونقل الفاظه عن الترك كما تعلم ايضا ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الاوطان والأطراف الا بعد مئات من السنين ، بخلاف ما يجري في هذا العهد اذ يتم اتخاذ اللفظة نقلها على اجنحة الصحف والمطبوعات . اما في عهد البداوة فان الكلمة ما كانت تنشر الا بعد مئتين من السنين فوجود العربية عند

(١) من الاعلام اليونانية التي عرّبها سليمان البستاني بالعين : عراييق وعسارافس وعسطرف وعسطينيل وعسقانيا وعسقانيوس وعسقلاف وعفرؤذيت وعفنتوس وعفطوليقي وعمارنقا وتزبد على ذلك العقبيون وهي يونانية ايضا قديمة التعريب . والعامية نقول اليوم معكروني والكلمة الابطالية خالية من العين . ونحن نقول كمك بالعين متأثرين بالسلف القديم وهي كالك بالفارسية اي بلاعين . وقالوا السقرقع واصلم السكركة ودرقاعة واصلم درگاه وهما من الفارسية . ونقول الآن عفارم من التركية آفرين . الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط او الآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر اصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها بلفظنا بهذا الحرف الحالي .

(٢) صنف المؤلف هذا الكتاب واهداه الى ابي القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بامر الله الخليفة العباسي وطبع في الاستانة سنة ١٣٣٣ هـ طبعا منقحا وعلى ورق نخين حسن .

الترك بصورة (أَرَبَه) أو (ارابه) بمعنى «العجلة أو المركبة» في لساننا أقدم من نقل معناها بهذا اللفظ نقلاً عن الارميين ان صح هذا النسب الموهوم فيه .

أما انها سر بانية فهي لم ترد فيها بهذا المعنى . وهل يمكن ان يستشهد بوجود كلمة بمعنى من المعاني غير المعنى المطلوب الذي يجري فيه الجدل ؟ — ومن العجيب ان حضرة الخوري بلوي النصوص ونقلها ظهراً لبطن ويسومها عذاب الموت ثم يحاول ان يخرج منها معنى العجلة الذي يولي عنه بعيداً كلما عالج القبض عليه . فالمراد من قول المؤلفين الارميين : جناح دولاب العربية : «النفثة» (كقصة هبة) وهي ما يضر به الماء فيدير الرحى . فاین هذا من العجلة يا حفظك الله ؟ نعم ان العربية هي الرحى التي تكون في السفينة في الماء يطحن بها الخنطة أو يصهر بها البز أو يستخرج بها الزيت ، لكن بين ان يكون الزورق عجلة أو مركبة فرق كالفرق الذي يرى بين السمكة الساجية في الماء والحیوان الداب على الارض . فان كان هذا بواقفه فلا يوافق الغير من المنصفين .

ومن غريب ما استنتجه حضرة الخوري قوله : «وقد ذكر ابن علي عربيا على اللفظ الشرقي بمعنى العربية (العجلة) كما مر بك» والعبارة التي يشير اليها حضرة هي : «(ابزارا) جناح دولاب العربية» . والحال اننا نعلم ان لا جناح للعجلة كما لا جناح للعجلة (يكسر الاول مؤنث العجل) . والعربية المذكورة في هذا النص هي المعصرة لا غير . فكيف بلوي حضرة النصوص ويستنتج منها تلك النتائج ؟ ان هذا لا يمكن ان يسلم به جاهل فضلاً عن عاقل .

فمعنى العربية التي استعملها الارميون يوافق المعنى المذكور عنها في معاجم لغتنا العربية اي معنى المعصرة الموضوعة في السفينة ولها دولاب وللدواليب عنفات يضر بها الماء الجاري فتحرکه اي (Presse hydraulique) وليس هناك اثر لمعنى العجلة .

والعربية التي بكتبها صاحب «ديوان لغات الترك» اَرَبَه (كقصة هبة وبهاء في الآخر) تركية الاصل لا شبهة فيها . وقد عربها العرب بالعین كما عربوا الفاظاً كثيرة ناقلين اياها من اللغات التي لاعين فيها . ولا سيما هذه الاربعة عربت بالعین لقربها من لفظة «العربية» التي القوها لوجودها عندهم علماً ونكرة وان كان المعنيان يختلفان . فاننا نسمع العراقيين يقولون اليوم ام البوس في امينبوس وهي الحسافة — وقلم طوز في او كالبثوس

الى غيرهما من الالفاظ التي يسمع مثلها ونجري على هذا الوجه من التحريف والتصنيف في جميع الديار واللغات لمشابهة بين الكلم الغريبة والكلم المألوفة على السماع .

(تذييل) اغلق علينا فهم بعض الالفاظ فنرجو من حضرته ان يفيدنا عنها . قال :

« ذلك ما تبادر الى ذهني » (ص ٦٩٩) أفيريد ان يقول ذلك ما تبادر ذهني اليه ، او ما بادر اليه ذهني ؟ — وقال فيها « ليس هو من أئمة اللغة بل ليس هو الذي وضع . . . » افلو حذف « هو » من الجملة لما كانا اخف وارشق ؟ — وفي ص ٧٠٠

« في العهد العباسي اي في اواخر العصر التاسع للمسيح » — قلنا فسر العهد العباسي باواخر القرن التاسع للمسيح والذي نطمح ان العهد العباسي يمتد من سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) الى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) اي ٥٢٤ سنة . هذا فضلاً عن اننا لم نجد بين الاقدمين من استعمل العصر بمعنى القرن او مائة سنة . — وما شق علينا فهمه قوله في ص ٧٠٠ « عربة خطأ محض (بالتركية) لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعلها المراد (ارايه در) اه .

فهذا كلام يدل على ان اللفظة التركية هي (ارايه در) . وهذا امر مضحك .

انما المعنى هو « ارايه » بالتركية ، لان « در » في اللغة التركية اذا وصل الخبر بالمبتدأ . ويقابله « هو » بلغتنا . والسلف يحذفونه فيقولون مثلاً « العلم نافع » لا العلم هو نافع — ومما لم بأنس بالنطق به فصحاؤنا قول حضرة الخوري في حاشية ٧٠٠ « مثل برنساء وما اشبه » — والذي ينطق به ائمنسا وما « اشبه » (راجع لغة العرب ٧ : ٥٥٥) لتري سبب هذا التعبير) .

ومن الغار كلامه هذا التعبير : « وهذا يؤكد ما سبق وقلته لا اظن العربية . . . » ولعل هناك غلط طبع اذ الصواب « ما سبق وقلت » او « ما سبق اذ قلت » . او اشباه ذلك .

ومما لم نفهمه قوله « من اعتداد الحرب » (ص ٧٠١) أفيريد من عتاد الحرب (بلا همزة في الاول) او أعتد الحرب او عتد الحرب ؟ فاذا كان هذا هو المطلوب فلماذا كل هذا التخلقي ؟ — وفي تلك الصفحة : « ولما كانت العجالات . . . فقد توسطوا » والصواب حذف الفاء من الجواب إذ لا يتلقى جواب « لما » بالفاء بخلاف « اما » فلعل تشابه اللفظين استدرجه الى الهم . والاحسن ان يحذف معها « قد » ايضاً فيقول : « ولما

كانت . . . توسعوا» — وفي تلك الصفحة كرر قوله وما شبهه . — والصواب الاحتفاظ بالفضلة وإن يقال : وما شبهه . — وضبط «أرامية» في تلك الصفحة بمد الموحدة والصواب بغير مد والاكشفاء بالمد الموحدة أو إن يقال «أرمية» (وزان غناب بالنسبة والتأنيث) كما صرح بذلك صاحب القاموس — واحسن الاقوال إرَم (كغيب) لأنها واردة في سورة الفجر .

ارسلنا بهذه الكلم على ما حضر لنا ونحن اول من يتهم نفسه بالخطأ و يقر به اذا مارآه متبلجا في مماء التحقيق الصاحية .

الاب انستانس ماري الكرملني
عضو المجمع العلمي

التذكرة الصلاحية

طلعت في الجزء العاشر (المجلد التاسع) من مجلة مجمعنا العلمي العامر ما نشره العلامة المستشرق السيد (ف . كرنكو) في شأن الجزءين من تذكرة صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي المحفوظين في مكتبة وزارة الهند بلندرة ووصفه ما احتوا عليه من الفصول الادبية ، فأجبت ان أفيد قراء هذه المجلة بوجود جزء مفرد من « التذكرة الصلاحية » بخزانة مخطوطاتي (مكتبة آل عبد الوهاب بتونس — رقم ٥٠٦) .

ولا ينبغي ان هذه المجموعة الادبية النادرة المثل في مبعثرة الاجزاء فالوجود منها منفرد بين مكتبة غوطا والمتحف البريطاني واكسفورد ودار الكتب المصرية وغير ذلك . اما الجزء المحفوظ بمكتبتي فهو في القالب الرباعي يخرج في ١٩٢ صفحة مكتوب بطالعه بالذهب المزركش « الجزء السابع من التذكرة الصلاحية ، للشيخ الامام العالم العلامة خليل بن ابيك الصفدي ، وبآخرة ما نصه :

تم الجزء الرابع عشر من التذكرة تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي ، وهو السابع من هذه النسخة ، والحمد لله رب العالمين » .

فيتضح من هنا ان عدد أجزاء التذكرة يختلف باختلاف النسخ فقد جمع ناسخنا كل

جزءين في واحد ، وخط هذا الجزء نسخي شرقي يرجع بحسب الظن الى القرن الثامن
— عصر المؤلف — والمنحة جميلة مقروءة اعنى بها صاحبها وان لم يسم نفسه .

واليك ما اشتملت عليه من الفصول ، بعد الافتتاح .

ص ٢ الى ٣٥ — رسالة القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الى صاحب
بهاء الدين بن حنا يعلمه بواقعة السلطان الملك الظاهر مع النار .

ص ٣٦ الى ٤٣ — مقاطيع وقصائد شعرية للقاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر
المقدم في اغراض شتى — وقد قال الصفدي عقب نقله لتلك الاشعار :

على انها قطرة من بحر زاخر ، ولمعة من معترض برق ماله من آخر ، ولو دوت
نظمه وجمع لكان اجزاء كثيرة في سائر الافانين ، ولقيل لمجموعه ما هذا ديوان بل
ديوانين ، ولقد رأيت بخط العفيف الميسري ناقل جوهره الثمين ، وحقيق لما نقل من
احسانه وحساناته انه كاتب امين ، لانه كتب من نظمته ونثره مما نقله من مسوداته
القاضي الاشرف ولد القاضي الفاضل ما عندي بفردى منه خمسة عشر مجلدًا فكيف
ما هو غير ما في ابدي الناس وغير ما هو عندي ايضًا بخط القاضي الفاضل — رحمه الله —
وهو خمسة عشر جزءًا مجلدًا .

ص ٤٤ الى ٤٩ — رسالة من تحرير القاضي الفاضل بفنخر وبياهي ويشيج وبترجع
ويتفسح ويتروح .

ص ٥٠ الى ٩٨ — جملة من مختار نظم القاضي الفاضل .

ص ٩٩ الى ١٠٧ — رسالة قوام الدين ابى طالب يحيى بن زيادة التي اصدرها عن الامام
الناصر امير المؤمنين الى الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب .

ص ١٠٧ الى ١٠٩ — جواب القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر عن الرسالة
المتقدمة وقد ضمنها فصول إنكار عليه .

ص ١١٠ الى ١٦٣ — نسخة الجواب عنها .

ص ١٦٤ الى ١٦٩ — المختار من كتاب الداء لابن ابى الدنيا (قال الصفدي) :

اخبرنا سماعًا شيخنا الامام الحافظ العلامة جمال الدين ابوالحجاج يوسف بن عبد الرحمن

ابن يوسف المربي بدمشق ثالث ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وسبعائة بدارالحدیث
الاشرفية الخ .

من ١٧٠ — انشدني تاج الدين خليل بن ابراهيم بن احمد المصري عرف بالوجيزي
بدمشق المحروسة ٠٠٠ سنة ٧٣٤ بالجامع الاموي ، قال انشدني لنفسه ابو بكر بن
عثمان بن العجمي بالقاهرة ٠٠٠ شعر .

من ١٧١ الى ١٧٣ — اشعار لابي اسحاق بن خفاجة .

من ١٧٤ — ابيات من قصيدة علي بن محمد الابرادي التونسي (معاصر محمد بن هاني
الاندلسي) في وصف الاسطول .

من ١٧٥ — ابيات من قصيدة المريسي (الشاعر الاندلسي) في وصف الاسطول
ايضا .

من ١٧٦ — حكاية عن امير مصر موسى بن عيسى .

من ١٧٧ — اشعار للرستمي وصدر الدين بن الوكيل وابن الدروي .

من ١٧٨ — شعر لابن قلاقس .

من ١٧٩ الى ١٩١ وهو آخر الجزء — المختار من شعر ابن دانيال .

قال المؤلف عقب ذلك ، تم اختيار ديوان ابن دانيال بالديار المصرية في العشر
الاواخر من رمضان سنة ٧٣٦ ، والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلامه ، وحسبنا الله وكفى .

وهو نهاية ما بهذا الجزء ، وكنتُ اخبرتُ انه يوجد بالديار المصرية التونسية
بعض اجزاء متفرقة من « التذكرة » فعمي ان اظفر بمطالعتهما ونشر برنامج فصولها في
فرصة أخرى ، ان ساعد القدر .

عن المهديّة (تونس)

حسن حسني عبد الوهاب

عضو المجمع العلمي العربي

حول شعر بشار

جاءنا ثلاث رسائل من الافاضل الآتية نواقيعهم حول شعر بشار بن برد وجمعه نذكرها حسب ورودها .

لما لم يتيسر لي خدمة ذميمة القصر للباخرزي التي كنت أريدها منذ سنين فكرت في عمل آخر لخدمته فأشار صديقي العلامة الاستاذ عبد العزيز الميني الى عدة كتب خطية عني بنشرها ، منها نسخة (شرح المختار من اشعار بشار) المحفوظة بحيدر آباد الدكن من الهند واخترتها من بين الكتب المعروضة علي وارفضيتها انفسى واستعنت برئيس جامعيتنا الاسلامية الدكتور السيد رأس مسعود فاستعاض لي بالنسخة من حيدر آباد واخذت اعمل فيها وهي شرح اشعار بشار بن برد اختارها الخالديان ابو عثمان سعيد وابو بكر محمد . شرحهما اسماعيل بن احمد بن زيادة الله البرقي الافريقي . ولا اعرف وجود نسخة أخرى من هذا المختار او شرحه سوى هذه النسخة الحيدر ابادية وهي جيدة عتيقة بدل خطها على انها خطت في المائة السابعة من الهجرة وهي ذات اربعمائة صفحة لكنها مخرومة من الابتداء قد ضاع من اوراقها شيء يسير . ولم اجد ذكر الشارح في شيء من الكتب سوى ذكر اسمه في بقية الوعاة للسيوطي . الا ان شرحه هذا يدل على انه رجل كبير فانه يذكر اولاً ابيات بشار فيفسر كلماتها ومعانيها ثم يعارض كلام الشعراء الآخرين في مواضع كلام بشار بعينها . وأريد ان اجمع اشعار بشار بقدر ما يتأتى لي الحصول عليه من الكتب والاسفار بعد خدمة هذه النسخة وان اجعل الاشعار المجموعة تذيلاً لها . ولا بد من هذا العمل اذ كنا نعم انه لا يوجد ديوانه وقد ضاع شيء كثير من شعره وانما يوجد منها ما يوجد في الكتب على سبيل الاقتباس . وحين نشر الشيخ احمد حسنين القرني ما جمعه من اشعار بشار كتب السيد محب الدين الخطيب في مجلته الزهراء انه أخبر بوجود نسخة من ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب بتونس لكنه لم يدر ان كان ذلك الديوان من تأليف المتقدمين او من صنع المتأخرين . فحين عزمتم على خدمة شرح المختار كُتبت الى الشيخ حسن حسني عبد الوهاب ان بعيني في عملي ويخبرني بديوان بشار الذي عنده . لكن لم يصل الي جوابه بعد ، فلعل مكتوب في ما وصل اليه

والآت رأيت محاضرة في بشار بن برد للاستاذ المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ذكر فيها ايضاً ما كان ذكر في الزهراء من وجود ديوان بشار عند السيد حسن حسني عبد الوهاب ، فأرجو من السيد الموما اليه الذي هو من اعضاء المجمع العلمي العربي ان ينظر في هذه السطور ويتفضل عليّ بالاخبار عن ديوان بشار الذي عنده والاولى ان يكون ذلك الاخبار في مجلة المجمع العلمي .

الجامعة الاسلامية عليكره الهند : محمد بدر الدين العلوي



« بشار ايضاً »

قرأت في الجزء الثاني عشر من المجلة محاضرة (بشار بن برد) للاستاذ المغربي فانتفعت بها كثيراً واذ كان بشار احد الشعراء المفلحين الذين غيروا الشعر العربي وحولوه الى طرق جديدة لم يسبق اليها احد قبله بلزمتنا ان نفقش عن آثاره كلها التي بقيت . ولهذا السبب اقول ان في المكتبة السلطانية في حيدرآباد (في بلاد الهند) نسخة من كتاب قديم الخط عنوانه (المختار من شعر بشار) تصنيف الخالدين (ابي بكر وابي عثمان الشاعرين المشهورين) وقد طالعت هذه النسخة في مكتبتنا في (علي كره) فوجدتها في غاية الجودة الا انه سقطت منها ورقة او ورقتان من اولها وقد عزم احد علماء جامعتنا على نشرها ولكنه بطيء العمل بها . واذ كان مشغولاً بنسخها لم يمكنني وصف النسخة كلها . ولكن وجدت فيها — سوى كثير من شعر بشار — ان المؤلفين قابلوا شعر بشار بشعر غيره من الشعراء الذين سبقوه او كانوا متأخرين . ولعل النسخة الموجودة في تونس التي ذكرها الاستاذ المغربي في محاضراته نسخة أخرى من هذا التصنيف نفسه .

علي كره (الهند) ف . كركنو

عضو المجمع العلمي



« بشار بن برد »

قرأت ما كتبه الاستاذ المغربي عن بشار بن برد وقد كنت درست هذا الشاعر العربي درساً واسعاً وكان في عزمي ان اكتب عنه جملة من المقالات المتواصلة كما فعلت

في نشري المقالات العديدة عن المتنبي في جريدة (بهايم صباح) وعن ابي العلاء المعري في مجلة (اجتهاد) ولكن الفرصة لم تسمح لي بذلك فبقي ما علمته عن بشار سيفي صدرني لم استطع رفع لواء دهائه عند الاترك . ولا اجد من يفعل ذلك غيري ولا سيما بعد تحويل الاحرف العربية الى اللاتينية . والآن احببت بعد قراءة ما كتبه الامام المومنا اليه ان اضيف الى ما ذكره او اكرر بعضه فاقول :

(١) ان اشعار بشار بن برد عشرون بالمائة منها هي من الشعر الجيد الذي لا يلحق غباراه ولكن الباقي هو من الشعر السافط الذي لا يليق ان ينسب الى شاعر كبير مثل بشار وهذا مخالف لأشعار المتنبي فان ثمانين في المائة من شعر هذا الشاعر العراقي السوري الكبير الذي ليس له ثاني وهو بكر زمانه والازمنة التي بعده — لا قياس بينه وبين بشار . (٢) لم يجر الادب العربي على سنة النشوء والارتقاء ولكنه منه مات بمرت المتنبي وابي العلاء وكل شعر جاء بعدهما كان تقليداً ليس فيه شيء من روح البلاغة العربية والاسلوب الابداعي العربي بل كان من النظم لا من الشعر .

(٣) لا ريب ان بشار كان هجاءً سباباً شاماً فاحش القول سافط المبدأ ولكن لا ينبغي ان ينسب ذلك الى طينة رديئة جبل منها ودم فاسد سرى في عروقه منذ الولادة بل يلزم ان يسند الى المحيط الذي نشأ فيه والمحيط الذي ولد منه فالرجل ولد لمن والدين فقيرين وكان في منتهى قبح المنظر (فرد اعى كما وصفه هاجيه) فكان الناس يستهزئون به ويستمزقون به ويستمزقونه وهو صغير وكان في نفسه النبوغ والاباء فكان يقابلهم بالمثل ونشأ على ذلك وشب وكل له مستهزي شاتم فكان يشتم شاتميه حتى ان بعض الشعراء اختلس الشهرة لنفسه من هجاء بشار ولولا ذلك لما كان ذلك الشاعر شبيهاً مذكوراً . وقد قال بشار عن نفسه « ان الناس يشتموني فلا احتمل حقارثهم فاشتمهم مكرهاً » وهي حقيقة يلزم ان تكون عذراً لبشار في كثرة هجائه الناس .

(٤) ان النواويع لا يحلون من الهفوات والدلائل بل هم اقرب الى غير التعقل من بالتعقل في اعمالهم وهب ان بشاراً هجا يعقوب بن داود الوزير بقوله :

بني أمية هبوا طال نومكمو
ان الخليفة داود بن يعقوب
وهجا المهدي بقوله :

خليفة يرمي يلعب بالدبوق والصولجان

فهذا لا يستحق الموت بلا سؤال ولا جواب ولا محاكمة فقاتله ظالم والذي وثى به يستحق لعنة الله ولعنة العالمين على مدى الدهور ما دام سيف الدنيا اديب ينطق بالضاد . وقد كنت جئت بعض الشذرات عن ضحايا التعصب من اعلام الاسلام وعزمت على كتابتها بشكل رسالة . وقد تعهد طبعها صديقي القديم الدكتور عبد الله جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولكن لم يسمح لي الوقت ولو كنت كتبت هذه الرسالة لكنت امطرت ناراً على قائل بشار وعلى الوزير الذي وثى به وهذا هو الواجب على كل كاتب نشأ في العصر الحاضر .

(هـ) ان اجتناب الناس تشييع جنازة بشار ليس بدليل على ان الناس كانوا جميعاً يكرهونه ويتمنون موته فما اجنبوا التشييع الا خوفاً من حكومة الخليفة والوزير القاتلين . وهذا السلطان عبد الحميد — وهو اكبر السلاطين وكان الناس يعبدهونه — لما مات لم يشيعه احد خوفاً من حكومة الاتحاديين التي اسقطته وجعلت التقرب اليه جناية لا تغتفر . وهذا هو سبب ضياع اشعار بشار . (الاستانة) زكي مغاثر

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

الاصول العربية لتاريخ سورية

« في عهد محمد علي باشا »

تولى جمعها الدكتور اسدرستم المجلد الاول الاوراق السياسية لسنة ١٢٤٧ هجرية
طبعت في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ١٣٩

عنيت الجامعة الاميركية منذ عهد غير بعيد بهمة الاستاذ اسدرستم — احدا صاندة
التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية — بجمع ما تشئت من الوثائق السياسية
وغيرها لعهد محمد علي الكبير . وانه رف جامع هذه الوثائق الى الاختصاص في هذا الفرع
من تاريخ مصر والشام لمكانة محمد علي من النهضة العربية الحديثة . وهذا الجزء هو النموذج
الاول من النماذج الكثيرة التي تتبعه فقط عليها الباحثون في الاماكن الرسمية والخاصة
ونشرها ناشروها كما كتبت حتى لا يتطرق التضليل الى نصوصها وتكون للؤرخ مادة
كالاصل لا تختلف عنها بحال . وقد تحرى ما امكن في وضعها وتمثيلها على هذه الصورة
الجميلة فاستحق ثناء الآداب العربية . وقد قدم الناشر لهذا الجزء مقدمة ذكر فيها طريقته
في النقل وأثنى على جميع من آزره في عمله من رجال البلاد وغيرهم من القناصل
والمحاكم الشرعية وغيرها .

م . ك

معجم الادباء

« الجزء الخامس طبع في مطبعة هندية بمصر ١٩٢٩ »

نشر الاستاذ مرجوليوث في جامعة اكسفورد الجزء الخامس من كتاب ارشاد
الارباب او معجم الادباء لياقوت الرومي في سنة ١٩١١ في مطبعة هندية بمصر واعاد الآن
طبعه على الوضع الاول مشفوعاً بفهارس اسماء الرجال واسماء الكتب فاستحق بعمله ثناء
العلماء والادباء . لا جرم ان توفر الاستاذ مرجوليوث الانكليزي على نشر معجم الادباء

توفرو الأستاذ وستنفيلد الالماني من قبل على نشر معجم البلدان لياقوت ايضاً من الاعمال العظيمة في خدمة التاريخ والادب العربي . وفي المعجمين من الحقائق عن العرب والاسلام مالا يكاد يثمر عليه الا في بطون الاسفار الكثيرة التي فقد بعضها . وقد قلنا غير مرة في هذه المجلة ان الفضل الذي يجززه ناشر كتاب من هذا الطراز لا يقل عن فضل مؤلفه والي عذره . ولطالما رجونا ان يتقبل بنو قومنا علماء المشرقيات من الغربيين في تحقيقهم وطول نفهم انفس آثار سلفنا .

م . ك

اعمال غولدصهر العامية

Bernard Heller : Bibliographie des œuvres de Ignace Goldziher - Paris

انشرت مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريز هذا الكتاب في مئة صفحة ذكر فيه واضعه الاستاذ هلمر من اعضاء مجعنا في الجرم ما خطته براعة العلامة المجري المرحوم السيد اغناطيوس غولدصهر من الابحاث الاسلامية واليهودية وانشر باللغات المجرية والالمانية والافراسية والانكليزية والروسية والسويدية والخرواتية الصربية والعربية . وهي أبحاث كثيرة منها ما صدر في كتب ضخمة ومنها مقالات ممتعة كتبها في المعلمات الغربية ومنها مقالات متفرقة في المجلات العلمية على اختلاف لغاتها وكلها تدور على ما صرف الاستاذ غولدصهر حياته في تعهده من الابحاث المشرقية . وقد قدم العلامة السيد ماسنيون أستاذ كوليج دي فرانس بباريز لهذا السفر مقدمة رائعة في وصف اعمال العالم المجري مما لا ينهض بمثله بضعة من الاعلام . وعسى ان يكون في الاطلاع على مثل هذه الجرائد من اعمال العلماء في الغرب عظة بالغة للمستعالمين بالعالم في بلاد العرب ، يحتذون مثاهم ويطرسون على اساليبهم البديعة في البحث والدرس .

م . ك

جغرافية العراق الثانوية

« تأليف الزعيم طه بك الهاشمي . يقع في ٢٧٩ صفحة من القطع المتوسط »

الزعيم طه بك الهاشمي اخ ياسين باشا الهاشمي الشهير هو من رجال العراق العاملين فان له عدة مؤلفات بعضها كبير الفائدة كهذا الكتاب الذي يبحث عن جيوولوجية بلاد العراق وهوائها وسكانها وانهارها وبحيراتها وجبالها وطرقها في البر والانهار ، وسككها الحديدية ووسائل الري فيها وزراعتها وحيواناتها ومعادنها ومراقفها الاقتصادية وصناعاتها وقبائلها ونقباتها الادارية الخ . وتجلى قيمة هذا الكتاب في فائدته وفي صعوبة تصنيفه . فاما من حيث الفائدة فانه من خير ما يرجع اليه المهتمون لشؤون العراق الجغرافية . واما من حيث صعوبة تصنيفه فان من يقدم على الكتابة في هذه الموضوعات يحتاج الى السياحة في انحاء البلاد ومراجعة كثير مما كتبه العرب والاجانب في رحلاتهم ومطالعة الرسائل التي تضعها الغرف التجارية والزراعية ومصالح الزراعة والاقتصاد والقبائل والنفوس وبيت المال وغيرها . ولا يخفى ما في تجميع ذلك من التعب .

ومما ورد في الكتاب ان مساحة العراق نحو ٣٧٥٠٠٠ كيلو متر مربع وان سكانه يقدرون بزهاء ثلاثة ملايين نسمة فيصوب الكيلو متر المربع ثمانية اشخاص وهذا قليل ، وان ٧٩ في المئة من السكان هم عرب و ١٦ اكرد و ٢٠٧٥ فرس و ٢٠٢٥ ترك ، وان من سكانه النصارى الكلدان واليعاقبة والنساطرة ، وان البيزيدية يبلغون نحو عشرين الف نسمة وان معظم اليهود يقطنون المدن وهم يبلغون ٨٠٠٠٠ نسمة .

وجاء فيه ان ثمن الصادرات من العراق سنة ١٩٢٧ بلغ ٦١ مليون ربية و ثمن الواردات اليه ١٠٥ ملايين ربية فاذا صحت هذه الارقام ونسبة الصادر الى الوارد تكون حالة العراق الاقتصادية ارجح من حالة الشام قليلاً . و يظهر ان اهم ما يبتاعه العراق من البلاد الاجنبية هي المنسوجات القطنية والسكر و مواد المعادن والآلات والمنسوجات الحريرية والزيتون والشاي والاخشاب وغيرها . واهم ما يبيعها اياه التمر والحبوب والصوف والجلود والماشية والمنسوجات القطنية والمصارين . و يظهر ايضا ان حظ بريطانيا من صادرات العراق و وارداته يكاد يبلغ الثلث وان العراق هو واسطة مهمة لنقل المتاجر بين الاقطار المجاورة

فان ثمن ما يرب به على شكل « ترانسيت » يعادل ثمن صادراته تقريبا .
وجاء ان من المعامل الحديثة معملاً للغزل والنسيج في جوار الكاظمية بالقرب من
بغداد ومعملاً للنسيج وآخر للحداثة في الموصل ومعملاً للحاج في بغداد وآخر للحداثة ووضع
السروج اسسته وزارة الدفاع وثالثاً للنسيج والحجارة اسسته مصلحة السجون ورابعاً لتوليد
القوة الكهر بائية في بغداد وهو اجنبي .

ولقد طلب المؤلف الفاضل في مقدمة الكتاب ان ينفه القراء الى ما يثرون عليه من
الاغلاط لكي يتلافاهما في الطبقات الآتية شأن المؤلفين الافذاذ الذين يسرون من اظهار
هفواتهم (جل من لا عيب فيه) ولذلك رأيت من الواجب لفت نظره الى
الامور الآتية وهي :

(اولاً) وردت في نضاعيف الكتاب الفاظ الباطل وعنة والفندق والاحراش
والحبوبات والصنار والمكائن وصحيحها البليغ وعانة والبندق والاحراج او الحراج والحبوب
والدلب والآلات .

(ثانياً) جاء في الصفحة ١٤٧ ان ما لا يحتاج الى اسقائه في القسم الشمالي من العراق
هي الكرمة وحدها مع انه يمكن زرع اللوز والتين وغيرهما عذياً في الارض الجبلية الكردية
حيث الامطار تكفي لهذا الغرض .

(ثالثاً) ذكر في الصفحة ١٥٢ ان البق ينقل جرثومة الملاريا على حين ان ما ينقلها
هو البعوض .

(رابعاً) ذكر في الصفحة ١٣٦ انه اذا اتبعت خطة محكمة للري في العراق يكون
بالامكان زرع مليونين او اكثر من الهكتارات . وهذا مستحيل لان مساحة العراق كله
لا تزيد على ٣٧٥٠٠٠٠٠ هكتار .

(خامساً) ورد في الصفحة ١٠٠ ان حلب هي على ضفة الفرات اليمنى مع انها تبعد
عنه اكثر من ٨٠ كيلو متراً من اقرب طريق .

(سادساً) خص لفظة الغنم بالضأن على حين انها تطلق على الضأن والمعز .
هذا ما رأيت ان انبه المؤلف اليه ولا بد من لفت نظره الى ضرورة تجو بد لغة الكتاب
وتجو بد طبع المخططات واستعمال المقاييس والمكاييل العشرية بدلاً من الانكليزية وكذا

درجات الحرارة المثوبة بدلاً من درجات فارنهایت (وان كان الاندباب في العراق انكليزياً)
فستان بين الاولى والثانية .

وبعد اننا نشكر للسيد الزعيم هديته ونتمنى ان يكثر في القطر الشقيق امثاله من
الرجال الذين يخدمون بمجدهم امتهم واغتهم .
مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي



الادب العربي

« في المغرب الاقصى »

[تصنيف السيد محمد بن العباس القباج]

— جزآن صغيران —

ذكر فيها المؤلف تراجم شعراء المغرب الاقصى في هذا العصر ، وأثبت فيها صورهم ،
ومنتخبات من شعرهم .

لمح السيد محمد بن العباس القباج الى لثبه الفكر في الشرق العربي ، والى امتداد
صدي هذا اللثبه الى المغرب الاقصى ، والى ما نشأ عن هذا الصدى من انقلاب في
الأفكار والاساليب ، حتى عمل الادباء قرائحهم في نفع الامة وصلاحها .
جعل أدباء المغرب الاقصى ثلاث طبقات :

طبقة الادباء الكبار الذين يمثلون الادب الماضي في مذاهبه .
وطبقة المخضرمين الذين اخذوا من الادب الماضي بنصيب وافر ، واقتبسوا معاني
أدب هذا العصر .

والطبقة الثالثة انما هي طبقة هذا العصر ، عصر الطيارات ، والسيارات والكهرباء .
هكذا رتب المؤلف كتابه .

اما الشعر الذي وقع نظري عليه في هذين الكتابين فهو مختلف المذاهب ، فمن
الغني بايام الصبوة ، الى الحنين الى الوطن ، الى المراثي الى النسب ، الى الاماديج ،
الى وصف الطبيعة ، الى شعر وطني ، الى استغزاز الشباب .

أبش كان في هذا الشعر شيء يسر القلوب ، فما هذا الشيء الذي يسر القلب في الشعر في المغرب الأقصى ، فان بعض الشعراء اخذوا يشعرون ولو قليلاً بان لهم وطناً يتغنون به ، اما بقية مذاهب الشعر في المغرب الأقصى فليس فيها شيء من رونق الجدة والحداثة ، فالادب العربي في عصرنا هذا قد انتقل من طور الى طور ، وقد شعر بذلك بعض ادباء المغرب الأقصى ، فلا بد لهم من الانتقال في ادبهم الى هذا الطور الجديد حتى تظهر على شعرهم آثار خيال طريف ، وصور حديثة ، وليس معنى هذا انه يجوز لهم ان يقطعوا الصلة بينهم وبين شعراء العرب المتقدمين في الجاهلية والاسلام ، وفي زمن بني أمية وبني العباس ، فما يكسبهم المثانة في ادبهم الا الحرص على الآثار القديمة ، فشعرهم ينقصه شيء من هذه المثانة العربية ، وينقصه شيء من مطابقته لروح هذا العصر .

فاذا مررنا الادب العربي في المغرب الأقصى من حيث نبيه رجاله في هذا العصر فاننا نأمل ان يسرنا من للنواحي كلها ، من ناحية حرصه على المثانة العربية ، ومن ناحية موافقته لروح العصر حتى يكون نبيه الشعور والفكر في تلك الربوع الكريمة متكاملان جميع الوجوه ، وحتى لا يبقى الفرق عظيماً بين الادب العربي في المغرب الأقصى وبين الادب في مصر والشام وسائر الافطار العربية .

شفيق جبري

المجلد العلمي العربي

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٣٠ م الموافق ذي القعدة سنة ١٣٤٨ هـ

١١٢

تصنيف الاحياء

« والفاظ العربية »

قرأت في جزء شباط (فبراير) سنة ١٩٣٠ من المقتطف للدكتور محمد شرف صاحب المعجم الطبي العلمي فصلاً في تصنيف الاحياء من نبات وحيوان وفي الألفاظ العربية التي رأى استعمالها للدلالة على اقسام تلك الاحياء مع مقابلتها بالانكليزية . وبعد ان امنت النظر في تلك الألفاظ وجدت ان الدكتور المحترم شرف في بعضها عما وضعه او استعمله العلماء والمؤلفون من قبله مثل الدكتور العلامة بوسن في كتاب « مبادئ علم النبات » وكتاب « نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات » والعلامة الفقيه يعقوب صروف في المقتطف وعلي رياض صاحب كتاب التاريخ الطبي وكبار مؤلفي الترك في كتبهم ، دع غيرهم وهم كثير ممن لم نقرأ تصنيفهم او ممن لا يعول كثيراً على رأيهم في الألفاظ الواردة في كتبهم . وبالنظر الى ما لهذا الموضوع من الشأن فقد رأيت من الواجب ان اكتب فيه على عجل هذه الأسطر الموجزة .

يوجد بين الاحياء افراد تتشابه في خلقها وتحليلتها كل التشابه كأفراد الضأن في الحيوان كأفراد الحنطة في النبات . فمجموع افراد الضأن تكون نوع الضأن كما ان مجموع نباتات الحنطة تكون نوع الحنطة . وقد ميز الانسان الأنواع منذ ازمان متوغة في القدم فأطلق على افرادها اسم نوعها . فالانسان الذي عاش في حقبة الحجر المصقول كان اذا رأى افراداً من البقر سمي كل رأس منها ثوراً او بقرة ولم يسمه كبشاً او نعجة

واذا رأى سنابل من الحنطة سمى كل نبتة منها حنطة ولم يسمها شعيراً . فالضأن نوع والبقرة نوع وكذا كل من الحنطة والشعير وهكذا . ويطلق الفرنسيون لفظة (Espèce) على ما اسميناه نوعاً . وكل رأس من الضأن أو كل نبتة من الحنطة تسمى فرداً وبالفرنسية (Individu)

قلت ان الحنطة نوع . ولكن جميع افراد هذا النوع لا تكون واحدة في صفاتها فقد يكون اعدد من افرادها صفات خاصة ربما انتقلت بالوراثة الى الانسال لكنها كثيراً ما تتبدل او تزول مع الزمن . فلهذا الافراد هي من صنف او ضرب واحد كالصنف الحوراني من نوع الحنطة والصنف الحموي من الشمش الخ . والصنف بالفرنسية (Variété) وقد اطلق عليه العلامة صروف هذا اللفظ فوجدته صواباً فذكرته في كتاب البقول وكتاب الدواجن . لكن غيرنا قد وضع له الفاظاً أخرى كما سيحيي . وقد أوجد الانسان آلافاً من الاصناف النباتية . وهو يحفظ صفاتها بالرجوع في تكثيرها الى التطعيم وغرس القضبان والعكس (جمع عكس وهي الترفيدة) .

ورب اصناف في الحيوانات خاصة تأصلت فيها الصفات ورسخت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل مادام افراد هذه الاصناف يسفد بعضها بعضاً دون ان تنزوي عليها افراد من صنف آخر فتجنسها . فالصنف الذي اصبح راسخاً على هذا الشكل بالانتخاب الطبيعي او الصنعي يسمى عرقاً (او سليلة) وبالفرنسية (Race) كعرق العرب من نوع الخيل وكالعرق البلدي من نوع البقر الخ . وهنا ايضاً يوجد اختلاف في الألفاظ العربية التي وضعت لهذا المعنى كما ستري .

ينضح مما ذكرت ان النوع في التصنيف يقسم عروقاً واصنافاً وافراداً اي انه اذا كان لديك عشرون بقرة بلدية في مريض وخمسون شجرة من الشمش الحموي في بستان فان الاولى تسمى علمياً عشرين فرداً من العرق البلدي من نوع البقر والثانية خمسين فرداً من الصنف الحموي من نوع الشمش . فالعروق والاصناف والافراد هي في سلسلة التصنيف حلقات دون الانواع ، فلننظر ماذا يوجد فوق الانواع من الحلقات .

اذا القيت نظرة الى عدد من البقر والجاموس رأيتما متشابهة في كثير من صفاتها فنوعا البقر والجاموس هما من جنس حيواني واحد . وكذا نوع الاوبل ذوات السنام

الواحد ونوع الاوربل ذوات السنامين . والجنس هو بالفرنسية (Genre) . وقد وضع العالم الطبيعى لينوس الشهير قاعدة مهمة في تسمية المصنفات من الاحياء ذلك انها لما كانت تسمى جميعاً باسماء لاتينية (واللاتينية هي اللسان العلمى) فقد جعل اسم كل نوع من الانواع الحيوانية والنباتية مركباً من لفظتين الاولى منها تدل على الجنس والثانية على النوع . فنوع البقر مثلاً هو (Bos taurus) ونوع الجاموس (Bos bibelus) فترى ان لفظة بوس التي تدل على الجنس قد وردت في اسم النوعين فهما اذنت من جنس واحد .

ثم يجب ان يجمع الاجناس شي في هذا الشيء هو الفصيلة وبالفرنسية (Famille) فالبقر والجاموس والضأن مثلاً من فصيلة واحدة وهي الفصيلة البقرية (والبقرية هنا من قبل اطلاق اسم البعض على الجميع) والخنطة والشعير والذرة والارز وعرق النجيل هي من فصيلة واحدة ندعى الفصيلة النجيلية نسبة الى عرق النجيل .

وربما كثرت اجناس الفصيلة الواحدة وانواعها حتى صار من الضروري جمع المتشابهات من اجناسها في حلقة واحدة تسمى قبيلة وبالفرنسية (Tribu) . فما يأتي فوق الجنس هو اذن القبيلة ومجموع القبائل هي الفصيلة . وقد تكون الفصيلة صغيرة ليس فيها قبائل .

ثم هنالك المتشابهات من الفصائل فانه يجب جمعها في حلقة واحدة كالفصيلة البقرية وفصيلة الاوربل مثلاً فان انواع كليهما تجتر ولذا تجمعان في حلقة واحدة تسمى رتبة المجترات والرتبة بالفرنسية (Ordre) .

وبعد الرتبة يأتي الصف (Classe) وهو مجموع الرتب التي لها بعض صفات مشتركة مثاله في الحيوان صف ذوات الثدي فانه يجمع رتب المجترات وأكلة الحشرات وأكلة اللحوم وذوات اليدين (الانسان) وغيرها من الرتب ومثاله في النبات صف ذوات الفلقة الواحدة فهو يجمع رتبة النجيليات وغيرها .

والحلقة التي تجمع الصفوف هي الشعبة (Embranchement) مثاله في الحيوان شعبة ذوات الفقرات فان فيها صف ذوات الثدي المار ذكرها وصف الطيور وصف

الزاحفات الخ . وفي النبات شعبة ذوات الازهار فأت فيها صف ذوات الفلقة وصف ذوات الفلقتين .

وليس فوق الشعبة شيء سوى دوحه النبات ودوحه الحيوان .
يستنتج مما ذكر انه اذا كان لديك جاموسة بلديه مثلاً قلت انها فرد من العرق البلدي ونوع الجاموس وجنس البقر والفصيله البقرية ورتبه المجترات وصف ذوات الثدي وشعبة ذوات الفقرات . ولا يجوز ان تستعمل في التصنيف غير لفظة واحدة لكل حلقة من الحلقات المذكورة والا التبس الامر على القاري وضاعت الفائدة من التصنيف فلم يعد ذلك القاري يعرف في اي حلقة عليه يجب ان يضع النبات او الحيوان المجهوث عنها .

فالاوربيون وضعوا في لغاتهم لكل حلقة لفظة ثابتة لا يمكن ان تتبدل ومجموع تلك الالفاظ بالفرنسية من فوق الى تحت هي :
Espèce , Genre , Tribu , Famille , Ordre , Classe , Embranchement
Individu , Variété , Race .

اما نحن فقد ركب كل منا هواه وراح يترجم هذه الالفاظ بما يراه راسبه كوت التصنيف العلمي الدقيق على هذا الشكل ما كان موجوداً عند العرب الاقدمين او عند من تقدمهم من الامم ، فلفظة نوع مثلاً تراها في الكتب العربية القديمة تدل على معان شتى من رأس سلسلة التصنيف الى ذنبها . وهكذا لفظة جنس وغيرها .

وهاك ما وضعه بعض المؤلفين والعلماء مقابل الالفاظ الفرنسية المذكورة على التتابع :
(اولاً) الدكتور بوست في كتاب مبادي علم النبات : الرتبة ، الصف ، (لم اجد شيئاً مقابل Ordre) ، الفصيله (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم اجد شيئاً مقابل Race) ، التباين ، الفرد .

(ثانياً) الدكتور بوست في كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات : القسم ، الصف ، الرتبة ، الفصيله (او العائلة) ، السبط ، الجنس ، النوع ، (لم انتبه لما وضعه مقابل لفظة Race) ، التباين ، الفرد .

(ثالثاً) الدكتور صروف في المختطف : كانت يستعمل الفاظ الدكتور بوست

و يخطي الذين يشدون عنها حرصاً على سلامة اللغة وخوفاً من الالتباس . وقد كان يرى ان اصلح لفظة لترجم بها (Variété) هي لفظة صنف .

(رابعاً) اكبر مؤلفي الترك وهم منفقون على هذه الالفاظ وهي : الشعبة ، الصف ، الفرقة (او الرتبة) ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، التنوع ، الشخص (او الفرد) .

(خامساً) علي رياض سيف في كتاب علم النبات . القسم ، (لم اجد ما اورده مقابل لفظة Classe) ، الرتبة ، الفصيلة ، القسم ، الجنس ، النوع ، (لم اجد ما يقابل لفظة Race) الصنف ، المفرد .

(سادساً) الدكتور محمد شرف في المقطوف : القبيل ، القسم ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، السليقة (او الشعب) ، الضرب ، الفرد . (سابعاً) ما اورده في كتابي البقول والدواجن ^(١) : الشعبة ، الصف ، الرتبة ، الفصيلة ، القبيلة ، الجنس ، النوع ، العرق ، الصنف ، الفرد .

هذه هي الالفاظ التي وردت مقابل الالفاظ الفرنسية على التتابع . ومن البديهي انه يوجد هناك اقسام اخرى في التصنيف كتنحت الشعبة او ردف الشعبة للمجموعات التي تجتمعها الشعبة وتنحت الصف او ردف الصف الخ . ومن البديهي ايضاً ان علماء الحيوان والنبات غير منفقين على كيفية وضع اقسام الاحياء ضمن حلقات السلسلة المذكورة وهذه الامور لانهم منا كثيراً اما الذي يهنا فهو ان نلتقي نحن على الفاظ عربية ثابتة نترجم بها الاسماء الاجنبية التي وضعوها لتلك الحلقات . و يستبين مما ذكرت اننا جميعاً منفقون على الفاظ الفرد والنوع والجنس والفصيلة والرتبة مقابل الالفاظ الفرنسية (Espèce و Individu و Famille و Genre و Ordre) اما البواقي ففيها اختلاف ولهذا وجب ايضاحها باليجاز ولنبدأ بالاساس اي بلفظة (Embranchement) فقد خالف فيها الدكتور محمد شرف المحترم من تقدموه فسموها القبيل وسميناها الشعبة وقال ان القبيل هو اول قسم من

(١) ذكرت خلافها في كتاب « الزراعة العملية الحديثة » وكتاب « الاشجار والانجم

الثمرة » للفوضى المنشورة في هذا الصدد .

التفصيل وانه بمنزلة الجذع من الشجرة . فنحن لانوافق، على رأيه هذا لان الشجرة ساقاً واحدة على حين ان الشَّعَب هي اكثر من واحدة سواء في الحيوان ام في النبات . فاول قسم من التصنيف هو الشعب او الفروع في دوحة النبات ودوحة الحيوان اي فيما ترجموه حرفياً بالملكة النباتية والملكة الحيوانية . والشعبة هي اصلح لفظة لترجم بها اللفظة الفرنسية المذكورة وهي نطلق في اللغة على اغصان الشجر الغلاظ وعلى الطائفة من الشيء ونستعمل في المجاز فيقال (انا شعبة من دوحتك) . وقد استعملت قديماً لهذا المعنى في مدارس الشام واصبحت شائعة فلماذا نطرحها ونستعمل لفظة القبل التي لا انفيد معنى الشعب ولم يسمع انها اطلقت على جماعة النبات . ولم يستعملها احد من العلماء والمصنفين .

ولنربط الى الحلقة المسماة (Classe) فنرى ان جميع الذين صنفوا بالعربية ترجموها بلفظة « صف » فاذا بمحضرة الدكتور يخالفهم كلهم و يترجمها بلفظة « قسم » مع ان لفظة صف ارجح من كل الوجوه لاسيما وهي الشائعة في الكتب المهمة كافة . وهو يسمى ((Sous-classe) صفاً مع ان قاعدة الاتساق تقضي بتسمية اللفظة المذكورة « تحت الصف » .

ثم انربط الى الحلقة المسماة (Tribu) فقد وضع لها العلامة بوسـت لفظة ضبط وترجمها بالباقون بلفظة قبيلة واللفظتان موافقتان وربما كانت الثانية اصلح . اما لفظة (Race) فانها تدل على الصنف او الضرب الذي تأصلت صفاته ورست وتثبت وصارت تنتقل بالوراثة ولا تتبدل ولهذا وجدت ان لفظة العرق التي اقراها مؤلفو الترك توافق هذا المعنى بعض الموافقة اي من حيث التأصل والرسوخ . اما لفظة سليلة التي وضعها الدكتور محمد شرف فعناها في اللغة البنت ولست اراها موافقة وكذا لفظة الشعب التي خص بها الانسان اليوم فصارت الاذان لا تألف مثل قولنا « شعب البقر البلدي او شعب الكلب السلوقي ٠٠٠ » . ولدي كتاب مؤرخ في ١٩ آذار ١٩٢٥ كان وجهه الى العلامة الفقيه الدكتور صروف وبه يقول انه يرجع رفع لفظة عرق من احدي مقالتي في الخيل العرب ووضع لفظة صنف مكانها . فلما بينت له ان العرق (Race) هو الصنف (Variété) الذي تأصل وانه من الضروري التفريق بين المعنيين اقر لفظة عرق ولم يبدلها . هذا وقد عثرت في احد اعداد المقتطف على لفظة (رس) استعملها

العلامة اللغوية الأب استناس الكرملى لهذا المعنى ولا اظن هذه اللفظة تساويه لفظه عرق .

وقد اجاد الدكتور محمد شرف بالبقاء لفظه ضرب مقابل لفظه (Variété) . وقد كنت استعملت هذه اللفظة لهذه المعنى في غير مكان من كتبى لكن لفظه صنف هي اليوم اكثر استعمالاً وعلى كل لاظن انه يحصل التباس من استعمال اللفظتين . وهما ترجحان بنظري على لفظتي التباين والتنوع .

وهناك لفظه (Hybride) التي لم نبحث عنها الى الآن فان معناها الاصلي الولد الذي ينتج من تسافد حيوانين ينتميان لنوعين فسيولوجيين مختلفين كولد الحمار والفرس وولد الذئب والكلبة الخ .

وقد ترجم الدكتور شرف هذه اللفظة بالكلمات الآتية وهي النفل والخليل والهجين والبسر . فانا اسأل حضرة الدكتور ماذا ترك من الألفاظ الدلالة على الولد الذي ينتج من ابوين منقسمين لعرقين مختلفين لكنهما من نوع فسيولوجي واحد كالولد الذي ابواه من نوع الخيل مثلاً لكن الاب من عرق الخيل العرب والام من عرق البراذين او الأكاديش . وهو ما يسميه الفرنسيون (Métis) ويسمون شكل الضراب الذي يحصل منه هذا الولد (Croisement) . فانا أرى ان الولد المذكور هو الهجين بعينه وهو أيضاً الخلاعي وطريقة الضراب هي التهجين . اما الهبريد فيسمى بغلاً مع التوسع كما نطلق مصدر التبغيل على طريقة الضراب التي ينتج بها البغل^(١) . ويمكن مع التوسع ايضاً تسميته كودناً او نغلاً مع العلم بان النفل في اللغة ليس سوى ابن الزنية .

وبعد لقد كثرت الآراء في الألفاظ العربية التي يجب استعمالها لملفات تصنيف الاحياء حتى انني اوردت في كتاب الدواجن الذي سأبشر طبعه عن قريب ، العبارة الآتية وهي : اذا قال احد النحاة (اموت وفي نفسي شيء من حنى) فانا أقول (أموت وفي نفسي شيء من الألفاظ العربية التي يجب استعمالها في تصنيف الحيوان والنبات . . .)

(١) راجع ما نشرته في هذا الباب في الصفحة ٢١٥ من المجلد ٧٢ من المقتطف

والصفحة ٤٣٠ من المجلد ٨ من مجلة المجمع العلمي بدمشق .

ولا يجوز ان يأتي كل مؤلف جديد بالفاظ جديدة فقد كفانا الى اليوم تعدد الالفاظ للمعنى الواحد . ولا أخالنا ناجين من هذه الفوضى ومن فوضى ترجمة المصطلحات العلمية عامة حتى تصح عنيزة الحكومة المصرية على انشاء مجمع لغوي يعقد في كل سنة مؤتمراً فيدعو اليه وفود مجامع الدول العربية السائرة ، وهناك في حفرة ارهاط العلوم والفنون واللغة نثبت الالفاظ للعاني بعد المناقشة في كل لفظة . وعلى الحكومات العربية بمدة ان تضمن بما لديها من الوسائل استعمال الالفاظ التي ثبتت دون غيرها . فهل نظنون اننا نعيش حتى نسمع بهذا المؤتمر .

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي العربي



مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

- ٢ -

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن قال كنت
 اخط بين يدي ابي العباس بن الفرات في اول وزارة عبيد الله بن سليمان
 واتحقق به لان ابي اصطنع اياه (١) وكنت اشرب معه . فكنا ليلة على
 شراب وقد جرت الاحاديث فحدثنا باخبار عدة من الكتاب والوزراء
 كانت فيهم حدة . وقال كان أحمد بن الحبيب يركل المتظلمين . وكان ابو
 عباد ثابت بن يحيى يضربهم بالقرعة اذا كان راكباً . وكان احمد بن ابي خالد
 يشتمهم . وعد جماعة . قال وكان في ابي العباس حدة وسفه لسان . فسمعنا ذلك
 منه ولم نقدم على موافقته . فلما كان من غد ركب وانا معه في السحر . فلقيه
 في الطريق اهل سمطيا (٢) يتظلمون من عاملهم في شيء ذكروه . فصاح
 عليهم وشتمهم . فتقدم اليه احدهم فألح عليه في الكلام . فرفسه برجله
 من الركاب وقنعه بالقرعة وبصق عليه . فذكرت الحديث الذي حدثنا
 به من ليلته فضحك . فسمع قهقهتي فالتفت مبتسماً وقال من اي شيء
 ضحك يا عيار ؟ ، فقلت زدتنا نذقة (٣) ياسيدي في ذلك الحديث الذي

« ١ » م . ع لعله اياه . « ٢ » لعله سمطيا . م . ع الذي في ياقوت سبسطية مدينة قرب
 سميساط من اعمالها على اعلى الفرات . والمشهور انها بلدة من نواحي فلسطين . ولم نجد
 باليم الا سمسطا قرية بصعيد مصر . « ٣ » كذا في الاصل ولعله نذقة .

جری الباریة . فقال او قد حفظته ؟ قلت نعم . قال : فقال لی سلیمان بن الحسن سمعت دفعات لا احصیها ابا العباس ابن الفرات وقد احدث طبعه علی قوم غضب علیهم وكان یقول للواحد منهم یا ابن مائة الف کر خردل مضروبة فی مائة الف مثلها زواني . تشاغل بحساب هذا فهو انفع لك .

قال ابو الحسن وما رأینا ولا سمعنا برئيس أسفه لساناً من حامد بن العباس فانه كان لا یرد لسانه عن أحد البتة . وكان اذا غضب شتم . فمن ذلك ان ابی حدثني انه كان بحضرته فی مجلس حافل . فجاءت ام موسى القهرمانة فقالت له ان امیر المؤمنين امرني ان اقول لك فی مجلس حفلك ان ابن الفرات كان یحمل الی خریطة فی كل يوم فیها الف دينار والی السیدة عشرة آلاف دينار فی الشهر والی الامراء والقهارمة خمسة آلاف دينار فی الشهر وانك قد اخلت (١) منذ اربعین يوماً . فقال لها فی جواب ذلك الساعة قد جئت حادة محتدة تطالینني بهذا اضرطي والتقطي . واحذري لا تغلطي . قال فقامت خجلة وكان ذلك احد اسباب سقوطه عندهم وغلبة علی بن عیسی علی الامور ، ومن ذلك انه استحضر ابن عبد السلام العدل یطالبه بودیعة سُمی بانها عنده لابن الفرات وان یحیی بن عبد الله الدقیقی ابا زکریا قرابة ام کلثوم قهرمانة ابن الفرات اودعته (٢) ذلك لجرى الخطاب بینهما فی ذلك وعلی بن عیسی حاضر والخلق من القضاة والاشراف والاولیاء وکنت فیهم وانا حدث مع ابی . فقال له هذا الدقیقی ابن البظراء قرابة ام

« ١ » م . ع الظاهر انه من اخل بالشیء اذا قصر فیہ . « ٢ » الصواب اودعه .

كاثوم العفلاء تعرفه؟ فقال: العدل الوزير اعزّه الله اعرف به مني. ومن ذلك انه قال لابن الحواري في دار الخليفة وام موسى حاضرة ليلة قدم من واسط ليتقلد الوزارة في حديث جرى بينهما: قد نلت امه مرتين. فقالت ام موسى ويبي اي شيء هذا واستجيا. وقال لابن الحواري: نحن في السواد اذا غلبنا خصوصاً قلنا قد نلتنا امهاتهم. ومنها انه استحضر الوليد بن احمد بن اخت الراسي ليطلبه بمصادرة قد وقف عليها عشية (ليلة) (١) عيد اتى عليه في وزارته ولم يشغله حضور الناس عنده للتهنئة بالعيد فأتى بالرجل بحجة صوف فها رآه على بن عيسى وكان حاضراً قال ان رأي الوزير ان يخليني وايه لا خاطبه واقوده الى امثال امره. فقال افعل، واستدعاه اليه وجعل يساره وكان على ابن عيسى قريباً في (٢) المجلس من حامد، فسمع عليه ما يخاطبه به. فسمع الوليد يخلف قليلاً قليلاً ما بقيت لي حيلة. فقال لعلي بن عيسى يا ابا الحسن يلذني الساعة أن أنيل أم هذا. فقال علي بن عيسى اللهم غفرًا إني والله أيّ لوئم. قال وكان ابن عبدوس الجهشياري الذي الف كتاب الوزراء قائماً على رأس علي بن عيسى لانه كان يحجب ابا الحسن وكان ابوه من قبله مضموماً اليه رياسة الرجال برسم علي بن عيسى الوزير وكان يحجبه ايضاً. قال ففتحني ابن عبدوس من مكانه وقال لعن الله زماناً صرت انت فيه وزيراً. ومنها انني سمعته وقد اجتاز على باب دار كنا ننزلها بشارع الكوفة اذ ذاك وانا قائم على الباب وقد اتفق انه كلمه في الموضع قوم من اهل بادوريا في خراج

النخل الشريز واكثروا انهم يبيعون المائة رطل منه وهي حمل نخلة بدرهمين وخراجها ثلاثة دراهم وانهم ينعون من قلمه . فاما اذن لهم في ذلك واما خفف عنهم من الخراج . قال فصاح عليهم وقال ليس لي في هذا نظر قد صار النظر في هذا وشبهه الى علي بن عيسى فامضوا اليه . قال فانصرف القوم وسار خمس خطى او نحوها ثم وقف وقال ردهم فردهم الرجالة فقال لهم كائني بكم وانتم تمضون الى علي بن عيسى وتقولون قد احالنا الوزير عليك واجابنا . وأمي ان كنت اجبتكم الى هذا زانية وامكم ان قلتم هذا زانية وام علي بن عيسى ان اجابكم الى هذا زانية . ثم سار متوجهاً الى بستانه المعروف بالناعورة ليتنزه . ومن ذلك انه كان يجتمع مع علي بن عيسى في دار الخليفة لما ضمن حامد في وزارته السواد وصار علي بن عيسى مستوفياً عليه ومطالباً له فيتناظران في امر المال فيحتفيه علي بن عيسى بالحجة فيعدل هو به الى السب والسفه . فيقول له علي بن عيسى سلاماً سلاماً . يريد بذلك قوله الله تعالى : « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » فلما اكثر ذلك على حامد قال له يوماً عقيب سفه (١) جرى عليه مه كم تذكر سلامة الذي ينزل اخذك اسماء . فقام علي بن عيسى وقال ما بعد هذا شيء . وتجنب مخاطبته بعد ذلك . وقال لعلي بن عيسى مرة بحضرة المقتدر انا والله نلت هذا مرتين وهو امرد .

حدثني ابو الحسين قال : رأيت بغداد في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة وابي وانا مستتران في الكرخ طوفاً يصيح ويقول انظروا الى قدرة الله

«١» م . ع كذا في الاصل وفي المصباح . قولهم عقيب بالياء لا وجه له فيراجع .

في رأس بقرة برأسين واربع اعين فرأيت ذلك كما وصف.

وحدثني ابو الحسين قال : سمعت ابي يقول لما ولي ابو الحسن بن الفرات الوزارة الاولى لم يبدأ بتقليد احد قبل ابي العباس احمد بن محمد بن بسطام . وكان مقيما في مصر على عطلة فكاتبه باجل مكاتبة وقلده أعمال مصر وزاده في الدعاء . وقال : هذا رجل قد جرت له علي رياسة والرياسة دين لا يقضى . قال ابو الحسين وسمعت انا في الوزارة الثالثة ابا الحسن بن الفرات يقول وقد دفع اليه صاحب الخبر خبراً فقرأه وخرقه ثم قال يتمضي (١) الناس بتمطيلي مشايخ الكتاب وتفريقي الاعمال على آل بسطام وآل نوبخت والله اولا انه لا يحسن تعطيل نفر من العمال وقد قلدهم لما استعملت في الدنيا الا آل نوبخت دون غيرهم . قال ابو الحسين : وانما كان يتعصب لآل بسطام رياسة (٢) ابي العباس عليه وللمذهب ويتعصب لآل نوبخت للمذهب .

حدثني ابو الحسين قال سمعت جماعة من مشايخ الكتاب يقولون كان المعتضد اذا نكب رجلا من جلة العمال ورؤسائهم وكل به من يحفظه من قبله ولم يمكن عبید الله من نفسه وربما امر بصيائه وشدد الوصية في امره من غير توكيل به من جهته ولا اطماع في المال وكان اذا وكل به يظهر ان التوكيل للمطالبة وزيادتها والتشدد فيها لا لحفظه نفسه فيطمع العامل . قال وكان يقول هؤلاء اكابر من العمال الذين قد قامت هيبتهم في نفوس الرعية وعرفوا اقطار البلاد هم اركان الدولة واعضاء الوزارة والمرشحون لها . فان

(١) م . ع لعله يعضني اي يتناول عرضي ويعينني . «٢» لعله لرياسة .

لم تحفظ نفوسهم وضع ذلك من الامر واثر فيه .

حدثني ابو الحسين علي ابن هشام قال حدثني ابو منصور عبد الله بن جبير النصراني كاتب ابن الفرات . قال لما تنكبت (٢) بنكبة ابي الحسن ابن الفرات بعد الوزارة الاولى سلمت الى ابي الحسن علي بن احمد بن يحيى بن ابي البغل يحبسني عنده . وكان يطالبني بالمال فادفع عن نفسي الى ان احضرتني يوماً فخطبني في المال فلم اذعن بشي فعدا بتزوين وامره ان ينتف بالمنقاش ربع شعر رأسي فلما نتف منه طاقات يسيرة كدت اتلف وقام هو وقال اذا نتفم ربع رأسه فعرفوني فلما قام رشوت الموكلين فحلقوا باقي الربع من رأسي ولم ينتفوا واعلموه انه قد نتف فامر ان يغير الموضع النظيف من رأسي بغير حار فجاؤا بالقير فوضعوه على رأسي ولم يكن مفرط الحرارة لانه (لو) كان مفرطاً لاتلفني لا محالة . فحين احسست بحمي القير قامت قيامتي وكدت ان اتلف فاذهنت بالاداء واقررت بسبعين الف دينار ودائع لي وكنت التزم تسليمها اليهم . فاخذت في اليوم الثالث فلما كتب خطي بتسليمها امر بالزيت فطلي به رأسي وقام به القير من رأسي ففرغ "١" شعري الى الآن .

حدثني ابو الحسين (١) قال انصرفت من عند ابي عبد الله نفظويه وقد كتبت عنه اشياء فبحثت الى ابي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج فقال لي ما هذا

«١» م . ع . كذا في الاصل ولعله نكبت «٢» م . ع . لعله فقرع شعري اي حلق

وبقيت فيه شعرات . «٣» معجم الادباء ١ : ٣١٤ .

الدفتري فأرثيه اياه وكان على ظهره مقطوعتان فانشدنيهما نفظويه لنفسه. فلما قرأهما الزجاج استحسنتهما جداً وكتبتهما بخطه على ظهر كتاب غريب وكان بحضرة . والمقطوعتان :

تواصلنا على الايام باق	ولكن هجرنا مطر الربيع
يروك صوتك لكن تراه	على روعاته داني النزوع
كذا العشاق هجرهم دلال	ومرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذ الله ان نلقى (١) غضابا	سوى دل المطاع على المطيع

والاخرى :

وقالوا شأنه الجدري فانظر الى وجهه به أثر الكلام
فقلت ملاحه نثرت عليه وما حسن السماء بلا نجوم
حدثني ابو الحسين قال حدثنا جماعة من شيوخ الكتاب منهم علي بن
عيسى والباقراني وغيرهما قالوا حدثنا عبيد الله بن سليمان . قال : لما صاف (٢)
المعتمد بسر من رأى وأمره اذ ذلك نافذ ومعه قطعة من الجيش وكان سليمان
ابن وهب وزيره والموفق بواسط وعبيد الله بن سليمان كاتبه - طلب المعتمد
من سليمان ما لا يحتاله لداره وحرمة وخاص نفقته لا يعلم به الجند فدافعه
بذلك . فقبض عليه وقال له : قد تقلدت منذ ايام المعتر والى الآن اعمالاً
متوالية منها الوزارة للمهدي ومرة (٣) الجبل وغير ذلك وما نكبت ولا

«١» م . ع كذا في الاصل ولعله نقي . او نلقى «٢» م . ع : لعله صاف وفي اللسان
والناج صاف بالمكان اقام به صيفاً واصاف دخل في الصيف . «٣» لعله : وإمرة الجبل .

صودرت واريد منك خمسمائة الف دينار . قال وورد علي الخبر فليشدة
 محبتي لخلاص ابي ما جنيت عليه جناية عظيمة بان صرت الى الموفق فقلت
 له لم يقدم المعتمد علي ابي الا لبغضه لك وليس يحقد (١) علينا الا تمشية امرك
 واجتذاب الجيش اليك . فوعدني بتخليص ابي علي مهل . فقلت ان اخرت
 الامر اسرع الي مكروهه وازالة نعمه . فقال ما تريد : فقلت تخرج بمن
 مملك فتنتزعه من يده قسراً . فقال هذا يحتاج الى مال ورجال وهو
 خليفة علي كل حال ولا احسب الرجال يطاوعوني (٢) علي حربيه .
 فقلت له علي المال والرجال . فقال دعني حتى افكر . قال ودافني واعتقد
 في اقبح اعتقاد ورآني بصورة من يملك طاعة الرجال في قتال خليفته
 وتمكنه (٣) من المال من عنده ومن حيلته ما يرضي به الجيش . فلما عاودته
 قال يجب ان نقدم المراسلة بيننا وبينه فان انجمت وإلا كانت الحرب . فاخترنا
 للرسل (٤) صاعد بن مخلد وهو اذ ذاك من جلة أصحاب الدواوين . فاستدعاه
 الموفق من (٥) حضرته من سر من رأى فصار اليه وحمله رسالة الى المعتمد .
 فمضى واداهها واصلح الامر مع المعتمد لنفسه . اشار علي المعتمد باطلاق ابي
 حاجلا وضمن له إفساد رأي الموفق فيه وفي حتى يقبض علينا . فأقام ابي
 عند الموفق والوزارة اليه فدبر امر الموفق . ثم عاد صاعد فشرع مع الموفق

«١» م . ع كذا في الاصل ولعل اصله يحقده او ضمنه معنى نقم ونحوه . «٢» م . ع
 حذف النون من هذا الفعل وامثاله للتخفيف وقد تكرر في مواضع كثيرة . «٣» م . ع كذا
 في الاصل . «٤» لعله : للترسل . م . ع : الاولى للتراسل او الرسالة . «٥» لعله . الى .

في الامر وأتخذ المعتمد ثقافته سراً الى الموفق بما لقيه به صاعد ولم يزل ينسج (١) الامر حتى تمت النكبة علينا .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عيسى اخو ابي عيسى واسمه احمد ابن محمد بن خالد . قال : سمعت أسماعيل بن بلبل يقول ما في الارض اشد جناية على الوزراء والرؤساء من اصاغر اسبابهم . ولقد قال لي راشد صاحب جيش الموفق كنت قد بليت بالنظر في امر انزال الرجالة ومن يجري مجراهم وكنا نحتاج في كل يوم لذلك الى ستة آلاف دينار فما زالت تنقص بالاضافة الى ان تقتصر على ما لا بد منه وكان ثلاثة آلاف دينار . واعتمد الموفق عليّ في ذلك لشدة اهتمامه به لا يقوم به اذا لم يطلق المال بمالي وجاهي وحيلتي فافقرني ذاك . وكان عبيد الله بن سليمان وابوه وهما مقيمان بمحاضرة الموفق يقصداني ويريشان (٢) المال عليّ . فاحفظني ذلك عليهما . واقتصر (الى) على الف دينار في كل يوم عاجلة والاف بحوالا لا تروج . فكنت احتاج الى ان ارهن سيوفي وسروحي وادخل كل مدخل حتى اقيم الانزال (٣) ووقعا لي في بعض الايام الى جهبذهما ليث بمال من مال الانزال جعلاه من مال ضياعهما فتوارى ليث فبثت الرسل في طلبه . فوجده بعض رجالي فأوصل اليه التوقيع . فقال ما عندي للوزير ولا لابنه مال فقال له فاحتل ولو من مالك . فهذا امر مهم للامير ابي احمد . فقال وأيش لابي احمق عندي

«١» م . ع : يقال نسج الزور لفقّه وزوره . «٢» م . ع : لعله يرتبان . «٣» م . ع : الانزال الارزاق والاقوات .

فجاءني الرجل بالخبر فحملني الغيظ عليهما الى ان شكوت الى الموفق هذه الحال وقلت قد قال كلاماً لا يجوز اعادته مثله قبحاً^(١) عليك . فطالني باحضار الرسول فاحضرته . فأمره ان يحكي الكلام فخاف الرسول فأرهبه فأعاده عليه بعينه من غير كناية . فقال (صدق ليث لو لم اكن ابو^(٢) احمق لما تركت عليه وعلى اصحابه الاموال حتى ننظر فكان ذلك سبب تمجيل النكبة لهما . فقال لي الموفق اريد ان تلزم اصحابك طلب ليث وتظهر انه بسبب هذا التوقيع وتبث الرجاله حتى اذا حصل قبضنا على اصحابه ؛ فأنفذت عدة ولم ازل اجتهد حتى حصل . وجاء سليمان وعبيد الله من غد للخدمة على الرسم فشوغلاً^(٣) في الدار الى ان حصل ليث فلما حصل قبض عليهما وانفذ الى صاعد من احضره فتقلد الامر وسلم اليه ليث . قال راشد صرت الى صاعد مهنثاً له بالوزارة . فقال قم بنا لاريك العجب . فقمنا وخلصونا ودعا بليث ورفق به . فلم ينفع الرفق . فقال عليّ بحبس غلامه فجيء به فضر به بمقارع يسيرة . فقال انا ادلك على بئر المال . فقال لليث هذه البئر مالك او مال اصحابك ؟ فقال بل مالي انا رجل تاجر . فأخرجوا من البئر ثمانين الف دينار . واستخرج بعدها من ليث جملة أخرى كثيرة . فكانت تلك احد^(٤) ما قوي طمع الموفق في آل وهب واستئصالهم

حدثني ابو الحسين قال كنا في مجلس حامد بن العباس وهو وزير

«١» م . ع اعل الاصل قال كلاماً قبيحاً لا يجوز اعادته مثله عليك . م «٢» م . ع ابو مرفوع على الحكاية . «٣» م . ع : كذا في الاصل ولعله شغلاً . «٤» م . ع : الاظهر احدي لتطابق تلك .

وكان يتحدث في مجلس العمل كثيراً . فسمعتة يحكي . قال قال لي صاعد بن مخلد : لما قلدني الموفق وزارته شرطت عليه ان لا ادخل في مكاره سليمان بن وهب وعبيد الله ابنة ولا اطالهما ولا انظر اليهما في مال ولا وديعة . وقالت للموفق : سليمان اصطنعني ورفع حالي وصرفني وما دخل قطلي في مكروه ولا دخلت لهما في مثله . ولم اجب الى التقليد حتى صافحني ان لا يلزمني ذلك . فلما تقلدت وخلع عليّ خاطبني في امرهم «١» بعد ايام وذكر ضيق المال الا من جهتهم . فقلت الشرط املك وانت قادر ان تنصب لهذا كاتباً وتديره بنفسك وبمن ترى من حاشيتك . فعاودني دفعات واذا ممتنع حتى مضى شهر من تقلدي . فلما رآني على هذه الحال راسل سليمان وقال له ان صاعداً غرني من نفسه وضمن لي القيام بالامور وقد بلغ «٢» وليس يذهب ولا يجيء وهو عدو له وعدو ابنك وهو سعى بكما فاضمنه مني واذكر لي ما عليه من الاموال ومسا في جيبه ومعايبه والحجج والتطرق «٣» عليه وعلى املاكه . وكان سليمان محكماً مجرباً فاعاد الجواب عن الرسالة باني ان كنت موثقاً بي فلا تحتاج الى ضمان لانني انصح واستقصي على كل من يجب عليه حق للامير ان اعادني الى خدمته ودافع عن كتب الرقعة ، وعلم انها حيلة عليه لامتناعي من مكروهه حتى يجعل الرقعة (حجة) عليه عندي ، فانفذ الموفق الى عبيد الله

«١» م . ع كذا في الاصل والاولى في امرها . «٢» م . ع بلغ الرجل أعيا وبلغ الغريم أفلس او لعل صواب العبارة « ضمن لي القيام بالاموال وقد بلغ » اي لم يكن عنده مال يفي منه تلك الاموال . «٣» م . ع قال في اللسان . تطرق الى الامر ابتغى اليه طريقاً

مثل هذه الرسالة واستكتمه ذلك عن ابيه فكتب عبيد الله رقعة طويلة يسمى علي^(١) فيها اقبح سعاية ويضمنني بال جليل ويثبني ويتكلم بي . فلما وصات الى الموفق احتفظ بها وغدوت عليه فخطبني في تسلمهم ومطالبتهم فاستغفيت واقتت على الامتناع . فقال اقرأ هذه الرقعة فلما قرأتها ولم يكن عندي اذ ذاك علم كيف جرت الصورة وانما انكشفت لي بعد ذلك المجلس قامت قيامتي وخفت على نفسي من معاجلة الموفق متى لم اعاجلهم ولم اشك ان ذلك القول صحيح من عبيد الله . وان الموفق قد انعم علي باطلاعي عليه فاستجبت^(٢) الى تسلمهم وناظرتهم والزمهم الاموال العظيمة واستمرت النكبة عليهم .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن علي بن عيسى يقول : سمعت عبيد الله بن سليمان يقول : لما دخل صاعد ابن مخلد علي وعلى ابي ليناضرنا ونحن في حبس الموفق قنا وتلقيناه فخطب ابي بجميل وأكرمه . وكلمني بقبيح وجعل لا يخاطبني الا باسمي . ويقول يا عبيد الله فلما اكثر علي آاني ذلك فقلت له نعم انا عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد تنصرف في خدمة السلطان منذ خمسين ومائة سنة وتقلب في جلائل الاعمال . انت صاعد بن مخلد : مخلد من ابوه ؟ فكان هذا من اكبر ما احفظه علي حتى تناهى في مكارهه . وكان ابي يلومني على ذلك ويقول سبيل الانسان في الحن ان يتطأطأ لها .

«١» م . ع : المعروف سعى به الى الوالي وثى به . او ضمنه معنى نعم فعداه يعلى

«٢» م . ع : كذا في الاصل . ولعله استجبت

ويذل لوقوعها . ولا يغالبها . ولم تكن نفسي تطاوعني على ذلك وكان من اضر الامور عليّ وكان الحزم مع ابي دوني .

قال ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن محمد بن محمد بن حمدون الواسطي صاحب حامد بن العباس وخليفته قال لي حامد : كان صاعد بن مخلد اول من قلدني العمالة رياسة . فقال لي في بعض الايام احضر معي دار الامير الموفق . فحضرتها معه فجلس في مجلسه منها . واستدعى علي خلوّة سليمان ابن وهب وابنه عبيد الله وهما منكوبان . فرأيت سليمان وقد خرج بطيلسان وخف ومبطنة وابنه حاف مكشوف الرأس على أذل صورة . فاكرم الاب واسمع الابن المكروه الى ان دعا له بالمقارع فاخذ سليمان يستمطفه كل الاستمطاف وهو لا يثنى ويقول له اذا صنتك يا ابا ايوب عن مثل هذه الحال فلا اقل من ان تدعني تنقم^(١) من هذا الجاهل الفاعل الصانع . قال واقلت المقارع تأخذ عبيد الله بن سليمان وهو يستمطفه . فلما زاد الامر قال له سليمان يا كافر يا فاجر ما تستحي انا اصطنعناك واقعدناك هذا المقعد تضربه بين يدي سبة عليك . قال فاستحيا وامر بقطع الضرب فما ضرب بعدها عبيد الله بحضرته . وواضع الموفق بعد ذلك على ان يكون الضرب بحضرته بايدي غلمان في داره فحرض الموفق عليهما حتى نهكهما عقوبة وضرباً .

فحدثني ابو علي بن مقلة في نكبته بعد الوزارد الثالثة وهو في دار ابي بكر بن قرابة لمال يوديه ضمنه عنه ابن قرابة وشكا ما عامله به الحضيبي من

المكروه ثم قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول سمعت ابا القاسم عبيد الله بن سليمان يقول: أخرجت واخرج ابي في نكبتنا في بعض الايام بواسط الى حضرة الموفق وقد نصبت له سبينة (١) فجلس وراءها ونحن نعلم بذلك . ودعا براغب فأمره بضربنا . فضرب ابي نيفاً وعشرين مقرة . ثم دعى بي فنوظرت . ثم امر بضربي . فالى ان يستدعي لي من يضربني قال ابي لراغب: الذي نحن فيه يستطاب معه الموت وما اقول ما ا قوله دفعاً عن نفسي ولا عن ولدي وانما ا قوله شفقة على الامير . فأعلمه ان ملكاً من ملوك بني اسرائيل ذبح سخلة بحضرة اسها فخطب (٢) من ساعته . قال فوالله مامضى راغب ليؤدي الكلام حتى جاءت الرسل من عند الموفق بان يرفع الضرب عنا . وقد كان بحيث يسمع الكلام من وراء السبينة فما عاد بعدها علينا مكروه .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو زكريا يحيى بن سعيد السوسي المعروف بخلف . ومحلّه في اليسار والجلالة والمكنة من السلطان والاشتهار بالدين والثقة والصدق والامانة وصحة الرأي (والمحل) — مشهور . وكان نصرانياً في حديثه فأسلم وحسن اسلامه . قال رأيت في منامي يعني بعد اسلامه علياً عليه السلام وكانه جالس ومعه جماعة من اصحابه وبالقرب منه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ومعهما جماعة . قال فسألته : فقلت يا امير

«١» م . ع : السبينة ضرب من الثياب تتخذ من مشاق الكتان اغلظ ما يكون وثياب من حرير فيها أمثال الاترج منسوبة الى سبن موضع بناحية المغرب . «٢» م . ع : يقال خبطه الشيطان وتخبطه مسه باذى وافسده وخبله ، وخبط العرق اضطرب .

المؤمنين ما عندك في ابي بكر وعمر ؟ فاثني خيراً كثيراً . قلت فلم لم تجلس معهما فقال حياء منهما لما يعمل بهما الرافضة .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي المعروف بنفطويه في مسجد الرصافة املاء في سنة ٣٠٨ . قال حدثنا ابن بنت يزيد بن هارون ولم يسمه وكذا املى علينا . قال رأيت جدي يزيد في النوم . فقلت له ما فعل الله بك ؟ ومنكر ونكير ما قالاك ؟ قال قال لي من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فقلت ألي يقال هذا ؟ وانا اعلمه الناس منذ ثمانين سنة . فقالا لي نعم نومة العروس فلا بوس (١) عليك . وعاتبني ربي على كتابي (٢) عن عثمان بن جرير . فقلت يارب عبدك وما اعلم الا خيراً . قال انه كان يبغض علياً عليه السلام .

حدثني (٣) ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن بن الفرات قال دخل عليّ المقتدر يوماً وانا في حسبه (٤) في وزارة حامد . فقال لي يا ابا الحسن أتعرف الحسن بن محمد الكرخي الكاتب ؟ فقلت نعم . قال اي شيء هو من الناس ؟ قلت عامل له محل ويفهم من الحساب شيئاً وهو من صنائعي ووجوه عمالي . وقد كان قبل تقلد عمالات لعبيد الله بن سليمان وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي وهو من اهل بيت . قال فقال لي انه قد كتب

١٠، م، ع : المعروف لا بأس عليك اي لا خوف «٢» م، ع اي كتابي «٣» كتاب الوزراء لهلل ص ٨١ . «٤» م. ع هكذا في الاصل واعلمها الحسبة وهي اسم من الاحتساب ومنه محتسب البلد .

الي يخطب الوزارة ويتضمن (١) بحامد وبعلي بن عيسى . قال فقالت له : ولا كل هذا يا امير المؤمنين من هذا انما طمع في الامر لما رأى حامداً قد تقلد الوزارة ولعمري انها قد اتضعت بتقلده وطمع فيها كل احد . ولعمري انه فوق حامد اولاً في العفاقة (٢) وحفظ اللسان والحساب والخط ولكن ليس لانه فوق حامد يجب ان يقلد الوزارة . ولا لان الغلط جرى في امر حامد يجب ان يقلد هذا وعلى (٣) انه قد غلط في ظنه انه يصلح لصرف حامد لان حامداً وجلي قديم الرياسة في العمال وله مروءة عظيمة وضياح كثيرة وغلما ن كثير والمدد وله هبة وسطوة وسن . ونشأ بعيداً من الحضرة فلم (٤) يستشف اخلاقه وافعاله فاستتر امره عن اهلها وله كرم يغطي كثيراً من معايبه وترك الامر في يده ويد علي بن عيسى (اولى) ولا يلحق بعض كتابه فضلاً عنه واني لا قول الحق فيهما على عداوتهم مالي . قال فأضرب المقتدر عن تقليده . قل هشام ثم تم التدبير لابي الحسن في الوزارة وصرف حامد . فحين جاءه الحسن بن محمد الكرخي ابو احمد ذكر تلك الحال التي حدثت بها المقتدر . فهاب الحسن ابن محمد علي الامر ورآه بعين رجل بعيد الهمة وعرف تقلب (الامور) رأى (٥) المقتدر فرأى ان يحسن الى الحسن بن محمد ويبيعه عن الاعمال . فقلده الموصل واخرجه اليها صارفاً لابن حماد . فانتفع الكرخي بذلك المشروع .

«١» م . ع : يقال ضمنته الشيء فضمنته غرضه اياه فالترمه ولعله يريد انه يلتزم استخراج

المال منهما «٢» بالاصل الوزارة «٣» لعله : وعندي . «٤» م . ع : الاظهر تستشف

«٥» م . ع : هكذا في الاصل ولعل الاصل ورأى المقتدر .

الاسلوب (١)

مرحباً وانا اخص لكم مذهب « سانتوف » في النقد ان الناقد ينبغي له ان يفرد من نفسه في نقده فن شرائط عبقرية النقد ان لا يكون للناقد فن وان لا يكون له اسلوب فاذا كانت له شيء من ذلك صرف باله الى العنابة باسلوبه فظهرت آثاره على الكلام الذي ينقده . هذا الطراز من النقد اسمه : النقد الموضوعي وصاحب هذا المذهب يقتصر على الافاضة في الموضوع نفسه دون التعرض لاشياء لا تتعلق بالموضوع فكأنه يحاول ان ينسليم من عاطفته في نقده وقد اعترض على هذا المذهب انانول فرانس فقال :

« النقد انما هو نمط من الروايات على نحو الفلسفة والتاريخ نزاوله العقول الفطنة الطلعة وكل رواية اذ نحن فهمناها كل الفهم ان هي الا ترجمة المؤلف بقلمه فالناقد الخاذق هو الذي يفصح عن خواج نفسه في تضاعيف روايت المؤلفات ، لا يوجد نقد موضوعي كما انه لا يوجد فن موضوعي وكل الذين يتبحرون بانهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير روحهم فهم وهمون فالحقيقة ان المرء لا يخرج من باطنه ابدأ وهذا من اكبر شقاء البشرية اننا قيد انفسنا فكأننا في محبس دائم فالذي يليق بنسأ عمله انما هو الاعتراف بهذه الحالة الفظيعة والافرار باننا ننكم بكلام على انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول : ساداتي . اني اريد ان انكم بكلام على نفسي في اثناء كلامي على « شكسبير » او « راسين » او « باسكال » او « غيت » فان في ذلك فرصة حسنة .

وهذا النوع من النقد اسمه : النقد الذاتي وصاحب هذا المذهب لا يستطيع ان يتخلص من الاعراب عن لوايح صدره في خلال كلامه على مؤلف من المؤلفين .
مالنا ولهذا كله انما يعني الكلام على الاسلوب من حيث هو اسلوب دون الاندفاع

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبيري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

سيفه الذئبية عن طبقات الاساليب والتلحج الى محاسنها ومقايصها الى غير ذلك مما يرجع الى صناعة الترسل والانشاء .

من شرائط عبقرية النقد ان لا يكون للنقاد أسلوب فما هو الأسلوب ؟
قرأت من يومين كتاباً دوت في أحاديث أناول فرانس في مجالسه ، قال جامع هذه الأحاديث وهو من الذين كانوا يحضرون مجالس أناول .

طلبوا الى أناول ان يقص عليهم قصة رنان مع راهبة الدير في لبنان فقال أناول : اسمعوا الحديث من لم رنان نفسه ولست أعني بهذا انه حسن القصص ولكنه كان صاحب طريقة خاصة ، فكان يملأ أحاديثه شواهد وتأوهات البريتوانين وينبسم ويدبر ابهامه على بطنه وبورم خديه الضخمين في أثناء الحديث ، والخلاصة كان يطبع أحاديثه بطابع خاص .

أحب ان استنبط تعريف الأسلوب من هذا الكلام فالأسلوب هو الطابع الخاص الذي يطبع به الكاتب كتابته ، والشاعر شعره ، والقاص قصته ، الأسلوب هو القالب الذي يصب فيه كل واحد منا فكره وعاطفته .

يقول بوفون : الأسلوب إنما هو الرجل نفسه ، ومعنى هذا ان الأسلوب إنما هو فهم المؤلف وطابع عقله فالأسلوب على هذا الوجه إنما هو الشيء الذي يملكه المؤلف ويخص به في اي كتاب من الكتب ، لا يراد بهذا الكلام ان الأسلوب صورة طبع المؤلف او صورة اخلاقه ، وإنما المراد به المنهاج الذي ينهجه هذا المؤلف في الافصاح عن فكره يخلج في ذهنه او عاطفته تضطرب في قلبه ، فهو جملة ما يتسدرع به المؤلف من الدرائع الى تصوير فكره او تصوير عاطفته .

لنضرب مثلاً للأسلوب ، فلنرجع الى أديب من أدباء العرب ، فلنرجع الى شيخ أدبائنا في القديم وأعني به الجاحظ ، من اساليب الجاحظ انه يلجأ الى أحقر موضوع وي موضوع أحقر من الكلام على الحاح الذباب ، فيفرغ هذا الفكر سيفه قالبه ويطبعه بطابعه الخاص ، واذا هو موضوع يستهوي النفس ويستميل القلب قد استخلص منه حكمة من أروع الحكم ، واي حكمة أروع من عجز الانسان عن اضعف المخلوقات اي عن الذباب ، فالجاحظ يعظم المعاني الحقيرة فتعظم ، ويحقر المعاني العظيمة فيحقر ، من هنا

النوع كلامه في كتاب الحيوان على الحاح الذباب على احد قضاة البصرة في ايامه عبدالله ابن سوار ، وصف الجاحظ وقار هذا القاضي فصوره في سطر فقال : لم ير الناس حاكماً قط ضبط من نفسه وملك من حر كته مثل الذي ضبط وملك ، ثم وصف جلوس هذا القاضي فصوره في صورة بناء مبني او صخرة منصوبة فقال : فيأتي مجلسه فيحياي ولا يتكي ، فلا يزال منهصباً لا يتحرك له عضو ولا يلمت ولا يحل عبونه ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كأنه بناء مبني او صخرة منصوبة ، ثم أفاض في غير ذلك من دقائق الصفات حتى اذا فرغ من وقار القاضي وجلوسه ومن الحاح الذباب عليه وحركة القاضي في اطباق جفن على جفن والمواالاة بين الاطباق والفتح وقع في نفس كل واحد منا انه يستطيع ان يقص هذه القصة بأسهل من هذا الكلام ولكنه اذا جمع ذهنه وفأب نظره في الموضوع وعرض على باله مفردات اللغة ونرا كيفها واخذ قلته ليكتب اتى عليه يومه كله ولم يقل شيئاً .

هذا هو الاسلوب وهذا هو معنى كلامي : الاسلوب ملك المؤلف لا ينازعه فيه منازع ، فالفكر الذي يبنه اجاحظ انما هو فكر عام يحظر على بال كل واحد منا ولكن المعرض الذي عرض فيه هذا الفكر انما هو معرض جاحظي لا يقلده فيه مقلد ولا يزاخمه عليه مزاحم قال صاحب كتاب ثقافة الافكار الاستاذ ربي دي غورمون .

« الكتابة صناعة من الصناعات ولكن الاسلوب ليس من العلم شيء فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه او اذا قلنا الاسلوب هو شيء مقدس فقولنا واحد ، فالاسلوب خاص بصاحبه وكما ان لكل واحد منا صوتاً خاصاً به او لوناً خاصاً بعينه فلكل واحد منا أسلوب خاص به ، انك تستطيع ان تعلم صناعة الكتابة ولكنك لا تستطيع ان تعلم كيف يكون لك أسلوب فن الممكن ان تلون أسلوبك على نحو خضبك لشعرك ولكنك لزمك ان تستأنف هذا التلوين في كل صباح دون شيء من اللهو ، قد يتعلم المرء قليلاً ان يكون له أسلوب الا انه ينسى في خلال الحياة ما تعلمه ، فالرياضة التي تحسن سائر المواهب تفسد في بعض الاحابين . ووهبة الاسلوب .

الكتابة على نحو ما يفهمها فلور او غواكور انما هي ان تكون شيئاً وان لا تشبه غيرك فالحصول على أسلوب انما هو ان يكون لك في لغة عامة مشتركة لهجة خاصة نسيجة وحدها على ان تكون هذه اللهجة لغة كل الناس ولغة واحد من الناس في وقت .

لكل واحد منا أسلوب على قدر عاطفته وطبعه وحاله وتربيته وثقافته وبيئته ومزاجه وحسه وتصوره ، فالرجل صاحب النظر الثاقب له أسلوب موجز ، والرجل صاحب الخيال له تعابير مشحونة بالاستعارات والتشبيهات ، والرجل الذي لا ينظر له لا يتحدثون في كلامه وفي تأليفه صلة ما ، ولكل شعب من الشعوب أساليب خاصة فأهل الشرق اصحاب خيال ولذلك ملأوا أساليبهم بالاستعارات وفنوت الحجاز وأهل ائمة شعب مصقول الحواشي رقيق الأطراف فكانت أساليبهم صافية واضحة .

قال جوبر : لكل مؤلف من المؤلفين معجم لغوي وأسلوب فهو يميل الى طائفة من الالفاظ لنفصع عن رنات خاصة ولون خاص وشكل خاص وينزع الى تراكيب تلس فيها اثر بنانه فله نحوه الخاص وله نوعه الخاص وله مآخذه ووسائله .

رجع بنا القول الى بقية الكلام على الاسلوب من حيث اختصاصه بالرجل فاذا قلنا الاسلوب هو الرجل نفسه فمعنى هذا ان الالفكار هي ملك البشر بمخاطبتهم وميراثهم يقتبسها من شاء ولكن الاسلوب الذي يصور به الكاتب هذه المعاني هو ملك له لا ينازعه فيه منازع ، وهنا تظهر براعة السارعين وعبقريّة العبقريين ، وهنا يظهر خلود الخالدين فالاشياء تؤثر فينا في الاغلب من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تصب فيها لان للناس افكاراً واحدة بوجه التقريب ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب هذا ما قاله فولتير .

ومن اصحاب هذا الرأي فاكه فن كلامه : لا يكون الكاتب كبيراً الا اذا اخترع أسلوباً ، يسألون مصوراً عما يريد ان يصوره فيقول : اريد ان اصور فينوز ، لا شك في ان تصوير فينوز ليس فيه شيء من الابداع لان المصور الذي يستعد لذلك ليس باول مصور جال في فكره هذا الموضوع ولكن هذا الامر غير ذي بال اي ليس من الضرورة ان يكون اول مصور خطر بباله تصوير فينوز وانما المهم ان يصور فينوز تصويراً خاصاً به لا يشاركه فيه احد وكذلك فن الكتابة فانه يحتاج الى افكار حديثة وانما الحاجة تمس الى صورة حديثة لهذه الافكار .

ومن كلامه ايضاً في بحث ضافي الحواشي عن هوغو .

هوغو من الخالدين لان الذي يتخذ الكاتب انما هو جمال الاسلوب .

ومن اصحاب هذا الرأي اناتول فرانس فقد قال :
اي الرجال يستطيع ان يفخر بانه فكر في امر لم يفكر فيه غيره ، فالاديب يعلم علم اليقين
ان الافكار ملك الناس باجمعهم فلا يقدر احد ان يقول : هذا الفكري ، الاديب يعلم ان
قيمة الفكر بالقبال الذي يفرغ فيه هذا الفكر .

فافراغ فكرة قديمة في قالب حديث هذا هو الفن كله وهذا ما يستطيع البشر ابداءه
وانشاءه ، ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه وانما هو ملك الذي يثبتته في اذهان الرجال .

وقال في موضع آخر :

الفن لا يكون موضوعه الحقيقة فالحقيقة تلتصق في العلوم لانها غرض هذه العلوم
فلا تلتصق في الادب لان الادب لا موضوع له الا الجمال ولا يمكن ان يكون له الا
هذا الموضوع .

هذه آراء كتاب الافرنجة في الاسلوب فلننقل الى ناحية اقرب منا فلننظر الى
ادبائنا انفسهم والى آرائهم في هذا المذهب ، قال ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعات
وكتابه هذا من ابلغ الكتب التي تضمنت قواعد الفن والذوق .

« ليس لاحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني من تقديمهم والصب على قوالب
من سبقهم ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظاً من عندهم و يبرزوها في معارض
من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الاولى و يزيدها في حسن تأليفها وجودة تركيبها و كمال
حليتها ومعرضها فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها من سبق اليها ولولا ان القائل يؤدي ما سمع
لما كان في طاقته ان يقول ، وانما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين . وقال امير المؤمنين
علي بن ابي طالب رضي الله عنه : لولا ان الكلام يعاد لتفقد وقال بعضهم : كل شيء ثنيته
قصر الا الكلام فانك اذا ثنيته طال .

على ان المعاني مشتركة بين العقلاء فربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي
وانما تفاضل الناس في الالفاظ ورصفها وتأليفها ونظمها وقد يقع للتأخر معنى سبقه اليه
المتقدم من غير ان يلم به ولكن كما وقع للاول وقع للآخر .

وقال ابن رشيق في العمدة نقلاً عن بعض العلماء .

ان المعاني موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل فيها والهاذق ولكن العمل على

جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف، الا ترى لو ان رجلاً اراد في المدح تشبيه رجل لما اخطأ ان يشبهه في الجود بالغيث والبحر وفي الاقدام بالاسد وفي المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفي الحسن بالشمس فان لم يحسن تركيب هذه المعاني في احسن حالها من اللفظ الجيد الجامع للرفقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة لم يكن للمعنى قدر — وبعضهم مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فان لم تقابل الصور الحسناء بما يشاكلها وبليق بها من اللباس فقد نجست حقها وتضاءلت في عين مبصرها .

من هذا كله ينبغي لكم ان اكابر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمعوا على فضل الاسلوب فالاعناء بالاسلوب قديم عهد في الامم فالليونانيون كانوا على هذا المذهب والرومانيون اولعوا بالوعك بهجعال الاسلوب حتى افرطوا في هذا الامر فأدى بهم افراطهم الى التقتصير في الكتابة الحسنة ، ان للاسلوب سلطاناً لا يقاوم وما قيمة الكتاب الا اسلوبه ، يقول بعض الادباء اكثر فواجع «شكسبير» لم تكن الاسلسلة استعارات طرست على آثار القصة الاولى التي جاءته ، انه لم يخترع الا شعره وعباراته فالصور التي صورها حديثه وحداثتها هذه هي التي بعثت روحاً في فواجعه ، انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن البخيري ثم انظروا الى الذين طوامهم فلم يمتد لهم ظل ولم يسمع لهم في افيعيش البخيريه ويموت شعراء وقتيه لولا الاسلوب ، ان اختراع الماني محدود ولو لم يكن للراء اسلوب يختلف به عن غيره لنفد الكلام في العصر الاول من عصور الآداب ولو كان مدار البلاغة على المعاني وحدها لكان الالكن على رأي ابي هلال العسكري بليغاً لانه يفهمنا حاجته بل يلزم ان يكون كل الناس بلغاء حتى الاطفال لان كل واحد منهم لا يعدم ان يدل على غرضه بجمته اولكنته او ايمائه او اشارته بل لزم ان يكون السنور بليغاً لانا نستدل بضعائه على كثير من ارادته .

هذا هو الرأي الذي اطبقوا عليه وما شذعنه بعض الناس ولا طعنوا فيه الا بهجهم عن ان يكون لهم اسلوب حسن ولا يقعن في خلد احدكم ان المراد بالاسلوب مجرد الالفاظ فهذا ظاهر الاحالة لان الالفاظ تدل بطبيعتها على معان فلا ترون الفاظاً من دون معان والذين تجدون لهم اساليب ضخمة ولا تجدون لهم معاني ضخمة هم اصحاب اسلوب اجوف فارغ لانهم لم يحو كوا الكلام على حسب الاماني ولا خاطوا الالفاظ على قدود المعاني .

دمشق : في ٢١ كانون الاول ١٩٢٩

سحر العبقرية

اجمات الكلام حتى اليوم على امور كانت على غير قصد مني شبه تمهيد لدراسة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب و ابي عباد و ابي تمام ، وافق التمهيد مديد . فأنا اخشى اذا مضيت في هذه المقدمات ان لنقصي سنننا ولم نجالس احداً من شعرائنا الثلاثة ولا احطنا بشي من وشي طباعهم وصوب قرائهم فأرى ان اجتزئ بهذا المقدار من التمهيد وان ادرس واياكم بعد اليوم اول الشعراء الذين ذكرتهم واريد به ابا الطيب المنيني مالي الدنيا وشاغل الناس وقبل الكلام على المنيني لا اجد لي مندوحة عن الكلام على الشعر والشعراء على وجه عام دون التعمق في دقائق الشعر وما يتعلق به فنه فما هو الشعر ومن هم الشعراء .

الشعر ومعناه في اليونانية . الابداع انما هو في متعارف الاصطلاح الفن الذي يستخدم الالفاظ المتناسقة في تصوير الجمال ، اي في تصوير افكار وعواطف لاصقة بما يناسبها من الصور . الغرض من الفنون بمجامعها تصوير الجمال وقد علمتم ان تصوير الجمال انما هو الافصاح عن فكر من الافكار او عن عاطفة من العواطف على ان تكون هذه الافكار والعواطف قد كسبت ما يشاكلها من ضروب اللباس ، والتأليف بين الافكار والعواطف وبين قوالبها انما هو من عمل الخيال اي خيال اصحاب الفنون ، فاذا خطر على بال واحد منهم موضوع من الموضوعات وقع في حالة اشبه بشي بالوحي يرتفع فيها الى جو اعلى من جو العامة ويخلق في سماء امد من مماثلهم فيعبرق الموضوع ذهنه وفي هذه الاثناء انكشف الافكار له في شكلها الحسي فينزل الوحي عليه .

وعلى هذه الصورة ، الفنون كلها . بمثابة وانما تختلف باختلاف الوسائل التي يتوصل بها اصحابها الى بيان اغراضهم ، فالمصور يلجأ الى الخطوط والألوان ، وصاحب الموسيقى يرجع الى الالحن والاصوات ، والشاعر يعمد الى الالفاظ . قال انا تولى فرانس في سحر الالفاظ : قلق الشعراء لذبد ، فلا تروا لهم ، ان الذين يغنون يعلمون كيف يخلعون حلة

بفضاء على سواد قنوطهم ، فلا سحر الاسحر الالفاظ فالشعراء يتعززون كما يتعزى الاطفال وما عزائم الا الصور .

فالشعر لا يتم بالأوزان والنقسية وإنما يتطلب صوراً لأنه بالصور وحدها يستطيع ان يخاطم على الافكار والعواطف لباساً محسوساً .

[متى يكون الشعر]

لا يكون الشعر الا اذا جمعت الفاظ متناسقة وكانت هذه الالفاظ النظم صوراً لتناسب المعاني التي تصورها ، فلا تزداد الافكار والصور تناسباً ولا تزداد الالفاظ من جهة ثانية تناسقاً ، سواء أكان هذا التناسق في الالفاظ نفسها ام كان في الافكار وفي الالفاظ التي تمثلها الا ازداد الشعر كمالاً .

قد يكون الشعر في مندوحة عن الاوزان طالما ان الشاعر يستطيع ان ينسق كلامه من دون وزن ، الا ان الاوزان نافعة لان الالفاظ الموزونة اشد تناسقاً دع عنك ان هذه الاوزان تجعل لكل نوع من أنواع الفكر والعاطفة لغة خاصة فلكل جنس من اجناس العروض مقام واذا امكن ان يكون شعر دون ابيات موزونة ولا اقول دون تناسق او اذا امكن ان تكون ابيات موزونة دون شعر فلا بد لنا في كل حال من اعتبار الاوزان قال شبنيه في كتابه (علم الجمال) البيت من الشعر ما هو الالباس ولكنه لباس طبيعي لطيف نابسه الفكرة الشعرية ، البيت من الشعر جناح يعين هذه الفكرة على الارتفاع من الارض ويحول دون تلطخ بردها الغشيب بالوحل ، البيت من الشعر انما هو المثل الاعلى للكلام .

وقال ابن رشيق في العمدة :

« فاذا اخذه — اي اذا اخذ الشعر — سلك الوزن — وعقد القافية تألفت أشعثانه وازدوجت فرائده وبنائه واتخذ اللابس جمالاً والمدخر مالاً فصار قرطه الاذان وقلائد الاعناق واماني النفوس واكاييل الرؤوس بقلب بالاسن ويخبأ في القلوب مصوناً باللب من أنواع السرقة والغصب .

[ما هو ارتباط الشعر بالموسيقى]

الغناء الذي يزيد في تناسق الكلام يزيد ايضاً في كمال الشعر وقد كانت الشعر

والموسيقى في بدء الجماعات متعدين فكانت كل شاعر صاحب موسيقى على ان اتحاد الموسيقى والشعر لا ينفع الشعر الا اذا كانت الحان الموسيقى تصاحب في الشعر الالفاظ وحدها اما اذا حالت الموسيقى دون فهم الشعر امنتم الشعر ولم يزول الناس الموسيقى في الاصل للموسيقى ذاتها ولكنها كانت خادمة الشعر ولهذا لم نكامل اغاني الامم في بدنها نكامل الموسيقى في عصرنا هذا .

وهنا لا بد لي من تلخيص هذا الامر : الموسيقى فن يختلف عن فن الشعر وان كانا يستخدمان الالحن في تصوير الجمال ، الا ان الموسيقى تستخدم الالحن الالحن ذاتها فغايتها العاطفة موصولة بالالحن ، فكل ما غرقت الموسيقى في تناسب الالحن وتجردت من الفكرة التي تصورها الفاظ هذه الالحن كانت الموسيقى متكاملة اما الشعر فانه على خلاف هذا الامر فهو يعتبر الالحن بمنزلة علامة لنقل الفكرة والصورة فالالحن ليس بغرض الشعر الحقيقي وانما حقيقة غرض الشعر الفكرة المحسوسة التي يمثلها الالحن للذهن .

للافصاح عن الفكرة والعاطفة مذهب آخر من الكلام وهو النثر ، فالشعر يختلف عن النثر من وجهين من حيث المعنى ومن حيث المبنى .

اما من حيث المعنى فالمنظوم من الكلام غرضه تصوير الجمال اي جعل الافكار محسوسة فهو يصور الجمال للجمال نفسه فلا تكون غايته الا اللذة ولكن النثر قد يكون من دون ان يتحدثوا فيه صيغة محسوسة للافكار ، واذا عني الكتاب في بعض الاحايين بالجمال فما هو الا ليصلوا على منفعة ما ، فهم يستفيدون من سحر الجمال ما يمكنهم من التهنيد والاقناع وما شابه ذلك .

الشعر لا يعرض علينا الافكار المجردة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الافكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الافكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فاذا قلنا الربيع فانا نفهم الذي يراد بكلمة الربيع ولكننا لا نصور شيئاً في اذهاننا واما اذا سمعنا الميجري يقول :

اتاك الربيع الطلق يفتال ضاحكاً من الحسن حتى كاد ان يتكلم

ادركنا الفكرة نفسها اي فكرة الربيع ولكن سحر العبقرية قد بعث في هذه الفكرة

حياة حتى كأننا بمحضر شخص باسم النثر ضاحك الوجه قد هم بالكلام .

فالشعر غرضه ان يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتخاطب التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة ، قال اناطول فرانس :

« يحق للعلم ان يطلب اليه ان يبحث ذنونا وينبه فكرنا ولكن الذن ليس له هذا الحق ، شأن الفن ان يترك ويسرك ليس له غير هذا الشأن ، ولكنهم في هذا العصر قد خلطوا وخبصوا فأحبوا ان يطبقوا في نتائج الأدب ما طبق من الطرائق في العلم على انه بين انشودة من الاناشيد وبين الهندسة الوصفية بون عظيم فالشعر غير الهندسة وما ينبغي للملاذ الفن ان تكون متعبة للذهن . »

ولست ادري الى اي غرض رمى ابن رشيق في كلامه لما قال :

« والشعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل

من نحو ولغة وفقه وحساب وفريضة »

اما ان يكون الشاعر مثقفا فهذا لا بد منه ، واما ان يحمل الشعر ما تحمله اياه من فقه وفريضة وحساب فهذا مالا قدرة له عليه ، فالشعر شيء ، والجمع والطرح شيء آخر . قلت : الشعر يختلف عن النثر من حيث المعنى وهو يختلف عنه من حيث المبنى فلكل فكر من الافكار صورة تناسبه من الكلام والفكرة الشعرية تختلف عن الفكرة النثرية فوجب ان يكون لكل من الشعر والنثر لغة خاصة قال ابن رشيق :

« وللشعراء الفاظ معروفة وامثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر ان يعدوها ولان يستعمل غيرها كما ان الكتاب اصطلحوا على الفاظ باعيناها سموها : الالفاظ الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها . »

فالشعراء هم اساتذة اللغة ، ان لهم الفاظا اشرف من الفاظ الكتاب فهم يستعملون كلاما اندر واقدم ويولدون الفاظا وتراكيب كتوليد امرئ القيس لهذا التركيب بعيدة موهي القرط او كتوليد غيره من الشعراء .

هذا موجز القول في الشعر وما اظن اني بلغت الغاية في الكلام عليه فان في الشعر شيئا غير ناسق الالفاظ وغير ناسق المعاني والصور ، ان في الشعر سرا روحانيا يدركه الذي يزاوله وقد لا يدركه غير الذي يزاوله وهذا السر الروحاني هو الذي يجعل الشعر شعرا يهز النفوس ويحرك الطباع ، اجمل قول صحار العبدي لمعاوية وقد قال لمعاوية :

ما هذا الكلام الذي يظهر منك فقار صغار : « شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على السفننا . نعم الشعر شيء والشعر كل شيء ولكن ما هو هذا الشيء ان هو الا وحي يوحى ، فما الاوزان وما القوافي وما النسيق ، ان في الشعر شيئاً لا تهبه صناعة وانما تهبه الطبيعة وحدها ، تلهجه الهاماً فيطفح على خاطر صاحبه ، فيقذفه على لسانه فمن كان الشعر غير مناسب لطبيعته وغير ملائم لقر يحمته فليسمع ما قاله له ابن عبد ربه :

« فلا تمض مطيتك في الناس ولا تنعب نفسك الى انبعاثه باستعمارك الفاظ الناس وكلامهم ، فان ذلك غير مثمرك ولا يمجّد عليك ما لم تكن الصناعة ممازجة لذهنك وملتحمة بطبعك ، واعلم ان من كان مرجعه اغتصاب نظم من تقدمه واستضاءته بكوكب من سبقه وسحب ذيل حلة غيره ولم تكن معه أداة تولد له من بنات ذهنه ونزائج فكره الكلام الحزم والمعنى الجزل لم يكن من الصناعة في غير ولا تغير . »

من هذا كله تستخلصون ان الشعر قدر كعب سيف الطبع وامتزج بالنفس فالطبع هو العامل الاكبر في الشعر ولعمري كيف يكون الشاعر رقيقاً اذا قدت طبائعه من الصخر . ونحت قلبه من الحجر ، ام كيف يكون ظريفاً اذا نشأ على الغلظة والنفاظة وطبع على فتور الذهن وجود النفس ، فالناس كلهم يستطيعون ان يتكلفوا الشعر وما كل شعر يقولونه خالد على وجه الدهر فاذا لم يكن الشعر ابن الوحي والالهام ذهب جفاء ولم يترك في الارض .

هذا هو الشعر ، هذا هو سحر العبقرية فمن هم الشعراء من هم هؤلاء السحرة فاذا اردتم ان تعرفوا من هم الشعراء فاسمعوا ما قاله فكثير هوغو :

من الخطأ لا بل من الجنابة ان يخطر ببال الاديب انه يحق له ان يكون بهزل عن مصالح قومه ورغائبهم ، وان يعدل بقر يحمته عن التأثير في اهل عصره وابناء زمانه وان يفرد بحياته فلا يكون له عمل في البنيات الاجتماعية ، فمن الذي يخلص النية في هذه الاعمال الجليلة غير الشاعر ، اي صوت يعلو في العواصف غير صوته ، ام اي وتر يستطيع ان يخفف من شدة العواصف غير وتر فيثارت ، فمن الذي يقسم الفوضى فيذهب بمقاييسها ويهجم على الاستبداد فيدرج بمكارمه ، وقديماً كان الشاعر صاحب الامر النافذ في الجمع بين الشعوب والملوك وحديثاً له الامر في التفريق بينهم .

فاذا علمتم مكانة الشعراء في المجتمع البشري ادركتم معنى احتفال قبائل العرب في القديم بشعرائهم قال ابن رشيق :

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أنت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس ، وينباشر الرجال والولدات لانه حماية لاعراضهم وذبح عن احسابهم وتخليد لما ثروهم وإشادة بذكورهم وكانوا لا يهنتون الا بغلام يولد او شاعر يذبح فيهم او فرس تلقيج . فمن حمى قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه : لا تبجل وانا مهدي اليك هدية فانظر الفرزدق الهدية بهجاء من عنده :

فما ترك الهاجون لي ان هجوته مصححاً اراد سيف اديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه لكاسره ابقوه للمتعرق
ما كسر ما ابقوا له من عظامة وانك من الساق منه وانتقي
فانا وما تهدي لنا ان هجوتنا لكاليجر مها بلى في البحر بغرق

فلما بلغته الابيات كف عما اراد وقال :

لا سبيل الى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .

وكيف لا تحنفل العرب بشعرائها وهم الذين يصورون الحق في صورة الباطل و يصبون الباطل في قالب الحق فاذا قالوا نجحت مقالهم في القلوب ، قال انا تول فرانس :
الشاعر ملك ، الشاعر اكثر من ذلك ، انه فوق أفق البشر ينزل عليه آله الشعر هدوء الفكر ومسرات العقل انه يكتشف عوالم حديثه على نحو « كولومب » دون ان يزابل مركزه ويفتتح البلاد على نحو شارلمان من غير ان يفترق من مكانه .

انه يجمع هوائج النفوس فيبعث حياة كل واحد من البشر ، يشعر بفرح كل من يفرح ويحس بألم كل من يألم في هذا العالم .

اي سلطانات في يديه ! انه يجمع الالفاظ تلك الالفاظ الباطلة التي تقلب العالم .
الشاعر يحكم على الاحياء وعلى الاموات .

انظروا الى الملك « مكبت » دل استقصاء المؤرخين على انه لم يقتل احداً وعلى ان زوجته كانت امرأة صالحة فلم يكن على بدني مكبت لظغة دم ولكن من الذي يؤمن بعد

اليوم بصلاح الزوجين الفاجمين . أراد شكسبير ان يصور الملك « مكبت » في صورة مجرم فظيع فلطمح بد زوجته لطمحة حمراء فنظر الناس بعد تصوير « شكسبير » الى الملك « مكبت » والى زوجته فلم يروا في « مكبت » الا رجلاً قاتلاً غاضباً ولم يروا في زوجته الا انامل غميسة في النجيم . فلا يستطيع احد ان ينصفها بعد كلام شكسبير وان ينظر في مظلمتها مرة ثانية فقد نطق الشاعر واذا الشاعر نطق فلا تسمع العصور غير صوته ^(١) .

ما اعظم سلطان الشاعر ! ما انفذ كلامه ! من كلام الازدي على سيف الدولة انه كان جائراً على رعيته ، ومن كلام قاضي سيف الدولة ابي الحصين . كل من هلك فليسيف الدولة ماترك ، ولما قتل هذا القاضي في احدى المعارك داسه سيف الدولة بحصانه وقال لا رضي الله عنك فانك كنت تفتح لي ابواب الظلم ، وذكر بعض المؤرخين ان بني حمدان اكبوا على أبناء عمهم بني حبيب يصنوف الجور حتى مرق بنوحبيب من دينهم وانجقوا بالروم ، كل هذا نسي منسي ذهب جور سيف الدولة ان كان جائراً وذهب ظلمه ان كان ظالماً ولم يبق في اذهان بعض الناس من سيف الدولة الا الصورة التي صورها ابو الطيب المتنبي في شعره ستكر الايام وتمر العصور وسيف الدولة .

تشرف عدنان به لا ربعة وتفخر الدنيا به لا العواصم

هؤلاء هم الشعراء :

دخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من انت قال : ابن هرم بن سنان قال : صاحب زهير ، قال : ام قال : اما انه كان يقول فيكم فيحسن قال : كذلك نعطيه فنجزل قال : ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم .

وما أريد بعد هذه الحسامة ان اقول شيئاً فالشعراء هم الذين اذا اعطوا بقيت عطايهم على شباب الايام وعلى هرمها .

دمشق : في ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٢٩

(١) لا يراد بهذا الكلام ان حكم التاريخ على « مكبت » او على سيف الدولة قد بطل دفعة واحدة وانما يراد به تصوير تأثير الشعراء ومبلغ هذا التأثير .

أسامة بن منقذ (١)

هنا في عاصمة الأمويين في سنج قاسيون ذلك الجبل المطل على دمشق المشرف على الغوطين بالقرب من نهر يزيد الشمالي ثوى عالم من العلماء الاعلام، وقائد من القواد العظام، وبطل من الابطال وشاعر من فحول الشعراء، كانت تخطب وده الامراء والملوك الا وهو ابو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني السكبي الشيزري الملقب مؤيد الدولة محمد الدين صاحب النصانيف العديدة في فنون الادب، سكن دمشق واستوطنها ثم نبت به كما نبتو الدار بالكريم فانتقل الى مصر فبقي بها مؤمراً مشاراً اليه بالتعظيم الى ايام الصالح بن رزيق ثم عاد الى الشام وسكن دمشق ثم رماه الزمان الى حصن كيفا فأقام به في ولده حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله دمشق وكانت مشغولاً بذكره مستهتراً باشاعة نظمه ونثره فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين فرحل اليه وكان يستشير به في حملاته وغزواته . رحل الى مصر في ايام الظاهر بن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فبث بها روح الثورة وعمل على قتل بن السلار حتى قتل .

ولد في شيزر سنة ثمان وثمانين واربعمائة ونوفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة خمسائة واربعة وثمانين .

(شيزر في القديم والحديث) = وشيزر قلعة غربي حماة الى الجهة الشمالية على مسافة ساعة في سبر السيارة ، قال ياقوت الحموي : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الاردن عليه قنطرة في وسط المدينة . وذكرها امرؤ القيس في قوله :

نقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكي صاحبي لما رأي الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا

(١) هي المحاضرة التي القاها في ردهة المجمع العلمي الاستاذ طاهر النعساني في ١٨

تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م .

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا
فتحها ابو عبيدة صلحا : تلقاد اهلها وسألوه الصلح على مثل صلح حمزة ففعل وذلك
سنة ١٧ هجرة .

وأشهر من ينسب الى شيزر الامراء من بني منقذ وكانوا ملوكها وحكامها . وكانت
على عهد ابي الفداء مملكة من الممالك أضيفت الى مملكة حمزة فكان اسماعيل ملكاً
عليها ايضاً .

وهناك بالقرب من شيزر سيف مرافع من الارض بحيث تشرف على قلعة شيزر قبة
تشتمل على ضريح ومسجد يقال انه ضريح ابي عبيدة والصواب انه ليس بقبر ابي عبيدة
ولكنه حينما قدم ابو عبيدة الى شيزر عاملاً ثم فتحها خيم بجندوده ورجاله في ذلك المكان
الحرب في المشرف على شيزر فاتخذته الناس بعد مقرأ لابي عبيدة وبنوا به هذا الضريح
وذلك المسجد .

لا تزال بعض جدران شيزر ماثلة تهزأ بالعواصف القواصف وتدل على عظمة
الاقدمين وثقتهم في تشييد البنيات ورفعها . ولا يزال فيها السرداب المتصل بالنهر
يسقي منه الاهلون وقد تهدم منه القسم الكبير .

وكانت شيزر على عهد آل منقذ عامرة بقطانها ومحصولاتها الزراعية وفواكهها
الطيبة . يخرج منها خمسة آلاف مقاتل ، وهي اليوم لا يكاد يوجد فيها خمسون
مزارعاً موبوءة مستوبلة امراضها فتأكله يضرب بها المثل بهوائها الفاسد فيقال «اوخم من
شيزر . ونفعل كذا وننال كذا ونقول شيزر وخمة » فسبحان محول الاحوال ومقلب
الليل والنهار .

(آل منقذ) = اول من ملك شيزر منهم ابو الحسن علي بن نصر بن منقذ الكنتاني
الملقب سديد الملك كان نازلاً بجوار القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ وكانت
القلعة بيد الروم فحدثته نفسه باخذها فنازلها وتسلها بالامان في رجب سنة اربع وسبعين
واربعائة ولم تزل في يده وبيد اولاده الى ان جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين وخمسمائة
فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم تحت الردم فشغرت وجاء نور الدين
الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام في بقية السنة فأخذها وجدد من بنيانها ما تهدم

وسأقي على تفصيل هذه الزلزلة . وكان سديد الملك هذا مقصوداً مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي المشهور وغيرهما . وكان له شعر جيد فمنه قوله وقد غضب على مملوك له فضربه وكان يحبه ويحب اليه ولا يؤثر عليه :

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من كفي غلها غيظاً الى عنقي
واستعير اذا عاقبته حقاً واين ذل الهوى من عزة الخنق

وسديد الملك هذا هو الذي رد الروم والافرنج والأتراك والاعراب عن شيزر ومنعها . (كيف فجا علي بن منقذ من القتل) = وكان سديد الملك قوي الفطنة لنقل عنه حكاية عجيبة رأيت ان اوردناها لما فيها من النكتة والفائدة . وذلك انه كان يتردد الى حلب قبل تملكه شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوكة محمود بن صالح بن مرداس فجرى امر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن صالح الى كاتبه ابي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتاباً يشوقه ويستعطفه ويستدعيه اليه وفهم الكاتب انه يقصده الشر وكان صديقاً لسديد الملك فكتب الكتاب كما امر الى ان بلغ - ان شاء الله تعالى - فشدد النون وفحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على بن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه . من خواصه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستمعوا ما فيه . من رغبة محمود فيه وإشارته لقربه فقال سديد الملك اني ارى في الكتاب ما لاترون ثم اجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة الكتاب « انا الخادم المقر بالانعام » وكسر الهمزة من (انا) وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه وقال لاصدقائه قد علمت ان الذي كتبته لا يخفى على الملك وقد اجاب بما طيب نفسي وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى (ان الملائكة يأترون بك ليقنلوك) فاجاب سديد الملك بقوله تعالى (إنا ان ندخلها ابدأ ما داموا فيها) ووقع نظير هذه الحكاية للخفاجي الشاعر المشهور مع محمود بن صالح صاحب حلب ، وهمري ان هذه الحكاية لتدل على فرط ذكاء الكاتب ووفائه لصديقه وبقطة سديد الملك وشدة حذقه وفهمه وما بلغ ما بلغه من المجد والشرف الجب الا بما أوتيته من علم وما انطوى عليه برده من قلب واع وفكرة وفادة . وأسامة بإسادة موضوع محاضرتي

هو حفيد سديد الملك ومرشد ابو أسامة شاعر من فحول الشعراء ، فأسامه شاعر ابن شاعر ابن شاعر وابو شاعر ، وما ظنكم بمن أناسل من شعراء بواسل فهو شاعر باسل .

(آل منقذ محسدون) = حين تملك سديد الملك شيزر حسده شرف الدولة على ذلك فسار عسكر حلب مع مؤيد الدولة علي بن قريش الى شيزر ونزلوا عليها في يوم الجمعة خامس ذي الحجة سنة اربع وسبعين واربعمائة بعد مراسلات جرت فلم يجيب بن منقذ الى ما التمس منه وكان علي بن قريش قد اخذ في طريقه حصناً لابن منقذ يقال له (اسفونا) غربي كفرطاب وكان ابن منقذ قد تأهب للحصار وحمل من الجسر الى شيزر ما يكفي من فيه مدة طويلة من سائر الاشياء . وحصره علي بن قريش مدة الى ان وصل شرف الدولة بنفسه فنزل على شيزر يوم الاربعاء . سلخ المحرم من سنة خمس وسبعين واربعمائة ثم رحل عنها الى حمص يوم السبت ثالث صفر واقام عسكره على شيزر . فنتطرح ابن منقذ عليه وسير ابنه ابا العساكر واسراً . منصوره بنت المطوع واخوته رفيعة الى حمص فدخلوا عليه وحملوا اليه مالاً فأنفذ الى عسكره ورحله عن شيزر في الثامن والعشرين من صفر من السنة المذكورة .

(آل منقذ المشهورون) = ابو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكنتاني الملقب بخلص الدولة والد الامير سديد الدولة ابي الحسن علي صاحب قلعة شيزر المتقدم ذكره . كان رجلاً نبيل القدر ، سائر الذكر ، رزق السعادة في بنيه وحفدته . وكان في جماعة كثيرة من اهل بيته مقيمين بالقرب من قلعة شيزر عند جسر بني منقذ المنسوب اليهم . وكانوا يترددون الى حماة وحلب وتلك النواحي . وكانت لهم بها الدور النفيسة والاملاك الثمينة وذلك كله قبل ان يملكوا قلعة شيزر . وكان ملوك الشام يكرمونهم ويجلون اقدارهم . وشعراء عصرهم بقصدونهم ويمدحونهم . ولم يزل مخلص الدولة في رياسته وجلالته الى ان توفي في ذي الحجة سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب . وقدرناه بن سنان الخفاجي الشاعر بقصيدة رائية . وراثه القاضي ابو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن ابي حصين بقصيدة من فائق الشعر وغرره وأنشدها لولده ابي الحسن علي المذكور مطلعها :

الا كل حي مقصداً مقاتله وأجل ما يجشي من الدهر عاجله

وتوفي اخوه ابو الغيث منقذ بن نصر بن منقذ سنة ٤٣٩ وراثه بن سنان الخفاجي الحلبي ايضاً بقصيدة مطلعها :

حببتك السماء بامطارها وكيف نضن على جارها

(سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنتاني) ولد بطرابلس سنة اربع وستين واربعماية وسمع من الفقيه ابي السمع ابراهيم الحنفي صبيح البخاري بشيزر وولي امرتها بعد اخيه نصر بن علي وهو شاعر مشهور وله من قصيدة سيف الامير مؤيد الدولة أسامة ابن منقذ مطلعها :

ابن مضاء الصارم البائر من لحظات الفاتن الفاتر

توفي يوم السبت للنصف من شوال سنة ٥١٣ هجرية .

(اسماعيل بن سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ابو الفضل بن ابي العساكر ابن ابي الحسن بن ابي المتوج الملقب شرف الدولة الكنتاني الشيزري) امير ، شاعر ، فاضل من اهل شيزر ولد ونشأ بها . ثم بعد ان خربتها الزلزلة انتقل الى دمشق واستوطنها الى ان مات بها . روى عنه شيعتاً من شعره الحافظ ابو القاسم ابن عساكر ولم يفرده ترجمة في تاريخ دمشق . وروى عنه مرهف بن الصنديد الشيزري وابو الفتح عثمان بن عيسى ابن منصور البلطي النخوي وتوفي سنة ٥٦١ بدمشق .

(اسماعيل بن المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن منقذ ابو الطاهر بن ابي الميمون الكنتاني الشيزري الاصل المصري المولد والمنشأ) احد امراء الدولتين العادلية والكاملية سمع بالاسكندرية ابا طاهر احمد بن محمد بن احمد السلبي الاصبهاني وبمصر من والده . وكان اميراً كاملاً ، وكبيراً فاضلاً ، نذبه السلطان الملك الكامل رحمه الله رسولاً الى المغرب فأبان عن نهضة وكفاية وحسن سفارة لما كان جامعاً له من حسن صورة وسيرة وعذوبة لفظ وسداد عبارة . وولاه ولاية مدينة حران . وجمع له بين الولاية والامارة . وكان له شعر وادب كثير . ولد في العشرين من رجب سنة تسع وستين وخمسماية بالقاهرة . وتوفي في شهر رمضان سنة ست وعشرين وسثمائة بحران ودفن بظاهرها .

(المبارك بن كامل بن مقلد بن علي بن نصر بن منقذ الامير سيف الدولة ابو الميمون

الكتاني الشيزري) ولد بشيزر سنة ست وعشرين وخمسمائة وسمع بمكة قليلاً من أبي حفص الميانشي . وقد ولي أمر الدواوين بمصر مدة وله شعر يسير . وكان مع شمس الدولة نورانشاه اخي السلطان لما ملك اليمن . فتاب سيفه مدينة زبيد عنه ثم رجع معه واستناب أخاه حطان . فلما مات شمس الدولة حبسه السلطان لانه بلغه انه قتل باليمن جماعة واخذ أموالهم فصادره وضيق عليه . واخذ منه مائة الف دينار سنة ٥٧٧ . ولما توجه سيف الاسلام طغتكين الى اليمن تحصن الامير حطان في قلعة وعصي فجدعه سيف الاسلام حتى نزل اليه فاستصفي امواله وسجده ثم اعدمه . توفي سيف الدولة في رمضان بالقاهرة .

(عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن علي بن منقذ) الامير الكبير شمس الدولة ابو الحارث ابن الامير نجم الدولة الكتاني الشيزري ولد بشيزر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وهو الذي وجهه صلاح الدين برسالة الى صاحب المغرب وكان ادبياً شاعراً محسناً مترسلاً من بيت الشجاعة والامرة .

(مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ) الامير العالم مقدم الامراء جمال الرؤساء عضد الدولة ابو الفوارس بن الامير الكبير مؤيد الدولة ابي المظفر الكتاني الكلبي الشيزري احد الامراء المصريين ولد بشيزر في سنة ٥٢٠ وسمع من ابيه روى عنه الزكي المنذري والشهاب القوصي وكان مستمراً شاعراً كوالده ملجج المحاضرة جمع من الكتب شيئاً كثيراً . وكان جالس صلاح الدين الابوي ونديمه يروى له شعر ابيه أسامة فيطرب لسماعه ، توفي رحمه الله في ثاني صفر .

(عود الى ذكر أسامة) — جعلت موضوع محاضرتي أسامة لانه أعرق اهل بيته في الحسب واعرفهم بالأدب كما قال ابن العباد .

وكان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من شعر الجاهلية كما روى ذلك عنه ابن السمعاني . يقول ابن العباد : أسامة كاسمه في قوة اثره ونظمه ، يلوح في كلامه أماراة الامارة ويؤسس بيت قرينه عمارة العمارة . تلقى العلوم عن والده مرشد في شيزر وسمع من علي بن سالم السنبسي وسكن حماة مدة يدرس على اساتذها واعلامها . فهو شيزري حموي وكانت لهم مساكن وعقارات بمحاة نفل اموالاً كثيرة . وكان يحب آل البيت ويكرمهم . حتى لقد الحق بعضهم في الشيعة .

(شجاعته ووفائه وتمنيهِ القتل كما تمنى قطري بن الفجاءة) = باشر الحرب وهو ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغ مدى التسعين ، قال رحمه الله : حضرت من المصافات والوقعات مهول اخطارها ، واصطليت من سعير نارها ، وباشرت الحرب وانا ابن خمس عشرة سنة الى ان بلغت مدى التسعين ، وصرت من الخوالف خدين المنزل وعن الحروب بمعزل ، لا اعد لمعز ولا ادعى لدفاع ملم ، بعدما كنت اول من نثني عليه الخناصر ، واكبر العُدَد لدفع الكيائر ، اول من ينقدم السجقية عند حملة الاصحاب ، وآخر جاذب عند الجولة لحماية الأعقاب .

وهو كسائر الابطال في الاسلام كان يقنى ان يقتل في سبيل الله ، ويأسف جد الأسف على بقاءه حياً الى ان بلغ ما بلغه من العمر ، وقد استقرأت ذلك من شعره حيث يقول :

كم قد شهدت من الحروب فليتني في بعضها من قبل نكسي أقفل
فالقتل احسن بالفتى من قبل ان يفنى وبليه الزمان وأجمل
وابك ما اجمعت عن خوض الردى في الحرب يشهد لي بذلك المُنصل
لكن قضاء الله أخرفني الى أجلي الموقت لي فما ذا أفعل
(وقائمه الكبار) = منها وقعة كانت بينه وبين الاسماعيلية في قلعة شيزر لما وثبوا على الحصن في سنة سبع وخمسين وخمسمائة .
ومنها وقعة كانت بين عسكر حماة وعسكر حمص في سنة خمس وعشرين وخمسمائة .
ومنها مصاف على تكريت بين اتابك زنكي بن أفسنقر وبين قواجا صاحب فرس في سنة ست وعشرين .

ومصاف بين المسترشد بالله وبين اتابك زنكي على بغداد في سنة سبع وعشرين .
ومصاف بين اتابك زنكي وبين الأرتقية وصاحب آمد على آمد في سنة ثمان وعشرين .
ومصاف على ريفية بين اتابك زنكي وبين الفرنج في سنة احدى وثلاثين .
ومصاف على قنسرين بين اتابك وبين الفرنج لم يكن فيه لقاء في سنة اثنين وثلاثين .
ومنها وقعة بين المصرين وبين رضوان الوخشى سنة اثنين واربعين .
ووقعة بين السودان بمصر في ايام الحافظ في سنة اربع واربعين .

- ووقعة كانت بين الملك العادل بن السلار وبين اصحاب بن مصال في تلك السنة .
 - ووقعة ايضاً بين اصحاب العادل وبين ابن مصال في السنة المذكورة بدلاص .
 - وفننة قتل فيها العادل بن السلار في سنة ثمان واربعين .
 - وفننة قتل فيها الظافر وأخواه وابن عمه في سنة تسع واربعين .
 - وفننة المصر بين وعباس بن ابي الفتوح في السنة نفسها .
 - وفننة أخرى بعد شهر حين قامت عليه الجند
 - ووقعة كانت بين المسلمين وبين الفرنج في السنة المذكورة .
- سهره نور الدين محمود بن زنكي المشهور بمحاربة الصليبيين الى قتال الفرنج على
 عسقلان فسار في ثمانمائة وستين فارساً في وسط بلاد الفرنج وأقام بمدينة عسقلان اربعة
 اشهر يتازل الفرنج . وهاجم مدينة باني . وحاصر مع نورالدين قلعة حارم .
 « البقية في الآتي »

(١) العلامة محمد أبو شنب

العبد الحقير محمد بن العربي بن محمد أبي شنب وُلد يوم الثلاثاء في العاشر من رجب سنة ١٢٨٦ هـ - ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٦٩ م بقرية يقال لها المدية (والآن المدية) في جنوب الجزائر وبعد عنها تسعين كيلو متراً قرأ شيئاً قليلاً جداً من القرآن ثم قرأ اللغة والعلوم الفرنسية في مدرسة لمدينة الشاوية (الثانوية) ثم انتقل إلى دار المعلمين الفرنسية بأبي زريعة بقرب الجزائر وبعد عام خرج منها مجازاً بأجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية وبعد عشر سنين قد مضت كلها في التعليم وتعاطي اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وعروض وقافية وأدب، وشيء من التوحيد والفقه أجزى بأجازة مدرسة الآداب العليا - نقلد خطة مدرس اللغة العربية والنحو والصرف والعروض في مدرسة فسنطينة أول محرم سنة ١٣١٦ هـ - ٢٢ مايو سنة ١٨٩٨ م ثم انتقل إلى مدرسة الجزائر أول محرم سنة ١٣١٩ هـ - ٢٠ أبريل سنة ١٩٠١ م وبعد أربع عشرة سنة ارتقى إلى القسم الأعلى من هذه المدرسة وأقرأ النحو والأدب والمغربي والبيان والمنطق وفي آخر السنة (١٩٢٢ م) أجزى بأجازة دكتور في القسم الأدبي من كلية الآداب بالجزائر بعد أن قدم إليها تأليفاً في حياة أبي دلالة شاعر بني العباس وتأليفاً آخر في الألفاظ التركية والفارسية البافية في لغة الوطن الجزائري وقد نوقش فيها أمام الجمهور. وفي أول يناير ١٩٢٤ انتقل مدرساً إلى كلية الآداب بالجزائر وما زال بها إلى الآن.

وللعبد الحقير إلمام باللغة الطليانية والألمانية والاسبانية والفارسية ومعرفة ضعيفة غاية الضعف بالتركية واللاتينية، وألف باللغة العربية تحفة الأدب سيف ميزان اشعار العرب طبعت أولاً بالجزائر سنة ١٩٠٦ وثانياً سنة ١٩٢٨ ورسالة في المنطق غير مطبوعة. وشرح نظم مثلثات قطرب طبع بالجزائر سنة ١٩٠٢.

ومن التأليف باللغة الفرنسية : مجموع أمثال العوام بارض الجزائر والمغرب في ثلاثة

(١) كان المرحوم الاستاذ محمد أبو شنب أحد أعضاء مجمعنا العلمي في الجزائر ارسل

الينا ترجمته هذه بقلمه للنشرها في المجلة فلم ننتج لنا نشرها الا بعد وفاته رحمه الله .

أجزاء مطبوع بباريس (١٩٠٥-١٩٠٧) . واصل كلمة شاشية طبع بالجزائر (١٩٠٧) .
إجازة سيدي عبد القادر الغامسي طبع بباريس (١٩٠٧) .
اما الكتب التي نشرها فهي :

الستان في علماء تلسان لابن مريم طبع بالجزائر (١٩٠٨) . رحلة الوثيلاني طبع
بالجزائر (١٩٠٨) . الممتع في شرح المنقوع لابي سعيد السومسي طبع بالجزائر (١٩٠٨) .
تجريد الموشين للفيروزبادي طبع بالجزائر (١٩٠٩) . فهرسة كتب الجامع الاعظم بالجزائر
(١٩٠٩) . عنوان الدراية في علماء بجاية طبع بالجزائر (١٩١٠) . تدميث التذكير في
التأنيث والتذكير للجهري طبع في استراسبورغ (١٩١١) . اصل كلمة تلميس (بالفرنسية)
طبع بالجزائر (١٩١٢) . طبقات علماء افر بقية لابي العرب والخشني مع ترجمة افروانية
جزآن طبع بباريس (١٩١٥-١٩٢٠) . تكملة ابن الابار (بالاشتراك مع بيل) طبع
بالجزائر (١٩٢١) . الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية طبع بالجزائر (١٩٢١) .
فهرسة مطبوعات فاس (بالاشتراك مع ليفي) طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ابودلامة حياته
وشعره بالفرنسية طبع بالجزائر (١٩٢٢) . الألفاظ التركية والفارسية في اللغة
الجزائرية طبع بالجزائر (١٩٢٢) . ديوان علقمة الفحل مع نقر يرات طبع بالجزائر
(١٩٢٥) . ديوان عمرو بن الورد مع نقر يرات طبع بالجزائر (١٩٢٦) . كتاب الجمل
للزجاجي مع نقر يرات طبع بالجزائر (١٩٢٧) .

(المجمع) : وبعد وفاة المترجم ارسل اليها زميله الاستاذ (ماسيه) احد اعضاء مجمعنا
بالجزائر ترجمة له أخرى وقد ذكر في فاتحتها ما ذكره المرحوم في ترجمة نفسه ثم عقب
عليها بما يلي مترجماً عن الافرنسية قال :

قال الاستاذ جورج مارسه احد اساتيد جامعة الجزائر في حق ابن ابي شنب :
ومن الواجب ان نشير اجمالاً الى جميع اعماله حتى نبغلي لنا نشاطه العلمي فقد كنا
نرجع اليه ونستضي بضيائه وكنا نناديه (شيخنا) فانه كان يجمع الى صفات العلم
والعالم الحقيقي صفات الصلاح والطيب .

مشي في جنازة ابن ابي شنب النصارى والمسلمون يؤلف بينهم الاممي والحزب على

الفقيد . وقد أبنته على ضريحه في مقبرة سيدي عبد الرحمن على محضر من جمهور عظيم الاستاذ مارينو مدير كلية الآداب في جامعة الجزائر وصديق الفقيد وقال في جملة ما قال : ان المنهج الذي نهجه ابن ابي شنب بدل دلالة واضحة على مقدار ما يستطيع ان يعمل العقل والارادة والعمل في الارتفاع من اصغر المناصب الى اعظمها واني اود ان يوقر هذا المنهج شباب هذه البلاد وشباب فرنسا نفسها . . . ان السيد ابن ابي شنب كان صورة الادب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الاساليب الاوربية في العمل من دون ان يفقد شيئاً من صفاته وعاداته وكان يتولى هدايته في العمل استاذاه (باسمه) فقد تعلم اللاتينية والانكليزية والاسبانية والالمانية والفارسية والتركية ، وعرف لوازم النقد العلمي وقد توجهت عليه الاعترافات بقدره . . . في سنة ١٩٢٠ انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً في جملة اعضائه وفي سنة ١٩٢٢ قلده حكومة الجمهورية الفرنسية وسام فارس جوقة الشرف . . . وكان ذاصفات تفرس له المحبة في الصدور وهي كرم النفس وميزة العقل والعفة في الافصاح عن العواطف والاستقامة التامة . . . فاذا دنا منه الانسان فإنه لا يكاد ينساه ، فكانوا يذكرونه ذكرى الصداقة ، وكان له ميل الى المساعدة لا ينضب معينه . . . اني اظن انه من اليوم الى سنين قليلة سينهض عالم من فرنسا او من الجزائر ويكتب تاريخ تألف الفرنسيين والمسلمين في افريقية ، فابن ابي شنب سيكون رمز هذا التألف وحينئذ يمكننا أن نقول احسن مما قلته انا اليوم ، اذ من السهل يومئذ على رجال العلم والعمل معها تباعدت أقطارهم ان يتآلفوا ويتعارفوا ويتحابوا اه .

الفاظ عربية لمعان زراعية

- V -

الهذالة . — كثيراً ما يشاهد ارباب الزراعة على شجر اللوز والشمساح والجوز والصفصاف وغيرها نباتاً طفيلياً له ورق غير ورق الاشجار المذكورة . ويكون للاغصان التي يعيش عليها هذا النبات الطفيلي منظر غريب ذلك انك اذا قطعت غصناً من اللوز مثلاً ترى له ورقاً هو ورق اللوز نفسه وبجانبه ورق لا يشبه الاول البتة . ويكون كلا النوعين من الورق رياناً ومتصلاً بالغصن اتصالاً طبيعياً حتى ان الذي لبس له خبزة بالنبتات المذكور يمد وجود نوعين من الورق على غصن واحد من خوارق الطبيعة . فهذا النبات الذي يعيش على اغصان كثير من الاشجار يسمى بالفرنسية (Gui) وباللاتينية (Viscum album) وهو شائع في ادرية ويستعمله الادرينيون في أعيادهم وله اوراق لحمية دائمة متقابلة خضراء الى صفرة ، وأزهار على نوعين ذكرية وأنثوية وكلتا الزهرتين على نبات واحد ، وثمار لبية يهض ثخان فيها مادة لزجة وضمنها يزور خضر . وليس لهذا النبات جذور فاذا حملت الطيور او الرياح ثمرة من ثماره والقتهما على غصن من الاشجار نبتت بزرتها و يخرج منها سويق يذهب صعداً وعضو يقوم مقام الجذير فيلتصق بالغصن ويمتد وبصير زوائد تدخل فيه وتمتص عناصره الغذائية . وبعد ذلك تنمو الساق وتكون الاوراق فالأزهار وجميع غذائها من نسغ الشجرة المصابة بهذا النبات الطفيلي .

يسمى بعض الفلاحين النبات المذكور (الدبق) وهو الاصطلاح العامي الذي اطلقته عليه في كتاب « الاشجار والأنجم المثمرة » لعدم وقوفي اثناء تأليف ذلك الكتاب على لفظة فصيحة تصلح لأن تكون اسماً له . ويسميه فلاحو إقليم الزيداني (الحطام) لانه يكثُر على شجر اللوز ولا سيما في قرى بلودان وبقيين والجرجانية . وهذا الاسم هو عامي ايضاً . وأطلق عليه الاب بلو في معجمه الفرنسي العربي لفظ (شجرة الدبق والعنم) وكلا الاسمين غير صحيح . وسماء محمد البخاري بك في معجمه الفرنسي والعربي (الدبق) ووضع بجانب هذه اللفظة (ابن البيطار) بين هالين . فراجعت مفردات ابن البيطار فلم اجد فيها ما يدل على ان الدبق هو الـ (Gui) .

واخيراً عثرت على لفظة الهدالة في الامهات فاذا بها تعترف بما يلي :

شجرة لذبت في السمر وليست منه ولذبت في اللوز والبرمان وفي كل شجرة وثمرتها بهضاء .

فهذا الوصف هو وصف الـ (Gui) بعينه مع شيء من المبالغة شأن الاقدمين في تحلياتهم لانه لا يمكن ان لذبت الهدالة او الـ (Gui) في كل شجرة بل يكون لكل طفيلي مثلها أشجار معلومة تصاب به .

وانا لم أجمع احداً يطلق لفظة الهدالة على النبات المذكور او على غيره . وعلى كل اذا كان لا يوجد احد علم بهذه اللفظة وبمذلولها على وجه الصحة فهي أصح لفظة يجب استعمالها للدلالة على النبات الذي نبحث عنه .

ومن الخار الجافة في علم النبات ثمرة تسمى بالفرنسية (Capsule) ترجمها بعض المؤلفين بلفظة (علبة) وأقتبسها منهم في كتيبي . وقد وجدت بعدئذ في المخصص الجملة الآتية (. . . وكان سنابله جراء الخشخاش . . .) . فقلت : ان ثمرة الخشخاش نباتاً هي كبسول فلماذا لا نستعمل لها الجرو والجراء بدلاً من العلبة والعلب كما نستعمل السنفة للثمرة المسماة (Gousse) او (Légume) وهي ثمرة نباتات الفصيلة القرنية او الفصيلة القطانية على رأي العالم الشهير الطبيب امين المألوف . والسنفة ترجع على لفظة القرن التي لها عشرات من المعاني .

وذكر الطبيب المشار اليه في بحثه القيم عن اصطلاحات النبات (مجلة المجمع ج ٨ ص ٣٣١) ان اوراق الشجر التي لا تسقط في الشتاء تسمى دائمة (Feuilles persistantes) . قلت ولهذا النوع من الاوراق في الامهات لفظة هي الهداب فان من جملة معانيها « مادام من ورق الشجر كالسرو » .

واذا نظرت الى سنابل الشعير وجدتها انواعاً : فمنها التي يكون لها ستة صفوف من الحب اي تكون فيها جميع ازهار السنبلات ملقحة (كالشعير الرومي) . ومنها التي يكون لها اربعة صفوف اي تبدو السنبلات ذات اربع زوايا لان صفين من الحب يكونان قرابين من محور السنبل فلا يظهر عليها الا اربعة خطوط . ثم هنالك الشعير ذو الصفيين (كالشعير العربي) وهو الذي ايس في سنبله سوى صفين من الحب .

فلفظة صف هنا يقابلها بالفرنسية لفظة (Rang) والفرناسويون يقولون (Orge à six rangs) و (Orge à deux rangs) للشعير ذي الصفوف الستة وللشعير ذي الصفيين . وهما باللاتينية (Hordeum hexasticum) و (Hordeum distichum) . وقد وجدت المخصص يستعمل لفظة حرف بدلاً من صف ويستدل على ذلك من الجملة الآتية في وصف احد اصناف الشعير : (. . . ولسنبله حروف عدة . . .) ولفظة حرف ترجع على لفظة صف في هذا المقام ولذلك اذا نعنا سنبله الشعير الرومي فنقل انما ذات ستة حروف كما نقول ان سنبله الشعير العربي هي ذات حرفين .

وللعزة في الغوطة ولا سيما اذا كانت من العرق البلدي قطعتان لثنتان في اسفل العنق يبلغ طول كل منهما خمسة سنتيمترات الى عشرة والمسافة بينهما ثلاثة سنتيمترات الى اربعة . فكل من هاتين الهندتين تسمى بالعربية زلعة وهي بالفرنسية (Pendeloque) .

والأدوات التي يحدد الزرع بها كثيرة منها المنجل المعروف وهو بالفرنسية (Faucille) ومنها أداة تسمى بالفرنسية (Faux) لها نصل ذو عقب وعصا طويلة ذات قبضة او قبضتين . والأكار يستعملها دون ان يحني ظهره او يقعد القرفصاء كما هي الحال في استعمال المنجل . وقد كنت سميتها الحصادة في الباكورة من كتي وهو كتاب الزراعة العملية الحديثة . وأرى الآن ان يطلق عليها لفظة المقضب او المقضاب وان كان استعمالها بعض اصحاب المعاجم الافرنجية العربية للأداة التي تقطع بها أغصان الشجر والتي تدعى بالفرنسية (Serpette) . فهذه الأداة الأخيرة يجب تسميتها مشذباً من شذب الشجر اي قطع ما عليها من الأغصان . وجاء في الجزء الاول من كتاب الزراعة المعربية لفظة السيف للأداة المسماة

(Faux) ولا اظن هذه اللفظة تساوي المقضب او المقضاب .

اما آلة الحصاد التي تجرها الخيل فهي على أنواع فالحمص العادي او الحش الذي يستعمل في قطع الكلاء هو بالفرنسية (Faucheuse) والحصد الجامع الذي يحدد الحنطة ويجمع القنوط ويلقيها على الأرض هو (Moissonneuse javelutse) . فاذا ربطها قبل القائها فهو الحصد الرابط وبالفرنسية (Moissonneuse lietse) . وهناك آلة تجمع الأقاط بعد الحصاد تسمى (Râteau) وقد كنت أسميتها الملم .

مصطفى الشهابي

« للبحث صلة »

آراء وافكار

رسالة الكرم

- ٢ -

كنا نشرنا في (العدد ٥ من المجلد ٩) من مجلة المجمع العلمي العربي مقدمة لرسالة الكرم ووعدنا القراء الكرام بكلمة نقدمها على الرسالة . في النجم والشجر والجنبة انما للفائدة ، وقد عرض لنا من عوائق الدهر ما أخرنا عن نشرها الى الآن فوأيضا ان نقدم تلك الكلمة الموجزة ثم ننبعها بالرسالة وفاء بما وعدنا .

« الكلمة »

قال ائمة اللغة : النجم من النبات ما لا يقوم على ساق . وفي اللسان والنجم من النبات كل ما نبت على وجه الارض ونجم على غير ساق وتسبح فلم ينهض . ونجم النباتات وغيره طلع .

والشجر كل ماله ساق كالشجر . وارض شجرة وشجرة وشجراً كثيرة الشجر ، والشجر منبت الشجر وموضعها والشجرة ارض نبت الشجر الكثير . وواد شجر وشجر وشجير كثير الشجر وهذه الارض اشجر من هذه . أكثر شجراً . وشجر الشجرة والنبات شجراً رفع ما تدلى من اغصانها .

وقال الخطيب : جميع ما ينبت نجم وشجر وجنبه ^(١) فالنجم ، اباد الشتاء اصله وفرعه كالبقول وانواع من النبات كثيرة . والشجر ما ثبت على ساقه ولم يبد الشتاء اصله ولا فرعه كالجوز واللوز والشمس ونحوها . والجنبه ما جانب هذين فلم يبد الشتاء اصله كما يبد اصل البقل ولا يبقى فروعه كما يبقى فروع الشجر ولكن ياد فرعه وبقى اصله ، والاصل الباقي يسمى الجمة ثين وفيه بعشش الحمر والقنبر وذلك كالحرشف والنوم والمكر والصليان .

(١) ضبطت في مبادي اللغة مرة بفهم الجيم وأخرى بفقها . وهو الموافق لما في اللسان وهو الصحيح .

وفي اللسان الجنبية عامة الشجر الذسي يتربل في الصيف . وقال ابو حنيفة الجنبية ما كانت في نبتته بين البقل والشجر وهما ^(١) مما يبقى اصله في الشتاء ويبديد فرعه . وقال الازهرى : الجنبية اسم لنبت كثيرة كلها عروة ^(٢) سميت جنبية لانها صغرت عن الشجر الكبار وارفعت عن التي لا ارومة لها في الارض فن الجنبية الذسي والصليان والحماط والمكر والدهاء صغرت عن الشجر ونبتت عن البقول ، قال وهذا كله مسموع عن العرب . وقيل هو كل نبت يورق في الصيف من غير مطر .

البقل ما نبت في بزره لا في ارومة ثابتة . وقال الراغب : البقل ما لا يثبت اصله وفرعه في الشتاء . وقال ابن سيده : البقل من النبات ما ليس بشجر دق ولا جل . وحقيقة رسمه انه ما لم تبق له ارومة على الشتاء بعد ما برعى .

والفرق ما بين البقل ودق الشجر ان البقل اذا رعى لم يبق له ساق والشجر يبق له سوق وان دقت .

وبقال : اقبل الشجر اذا دنت ايام الربيع وجرى الماء فيها فرايت في اعراضها مثل اظفار الطير واعين الجراد قبل ان يستبين ورقه فيقال حينئذ صار بقلة واحدة . واسم ذلك الشيء الباقل ويقال كل ما اخضرت له الارض فهو بقل وارض بقلة وبقيلة ومبةلة ومبةلة وبقالة . ذات بقل . وتبقلت الماشية وابتقلت رعت البقل . وتبقل الرجل خرج بطلب البقل .

والعرب نقول للذي يبيع كل شيء من الماء كولات بدال والعامة نقول بقال وقال السمعاني هو من يبيع الياض من الفاكة . والسطاح من النبات ما افتزق فانبسط على وجه الارض ولم يسم كالقشواء واليقطين . والعروة من النبات ما بقي له خضرة في الشتاء .

والعروة من دق الشجر ماله اصل باق في الارض مثل العرغ واجناس الخلة والحض

(١) هكذا جاءت في لسان العرب ونقلها في التاج وهي مخالفة لما سيأتي في معنى البقل . ولعلها وهي اي الجنبية مما يبقى اصله في الشتاء الخ . وهو الموافق لما تقدم في تفسيرها .

(٢) في التاج كلها عروق وما هنا اصح .

فاذا احمل الناس عصمت العروة الماشية فتبلغت بها . والعروة من الشجر ما لا يسقط ورقه في الشتاء مثل الاراك والسدر الذي يعول عليه الناس اذا انقطع الكلاء . وقبل العروة الشيء من الشجر الذي لا يزال باقياً في الارض ولا يذهب .

الاصل اسفل كل شيء . واصُلُّ ونَاصِل صار ذا اصل واصتأصات الشجرة ثبت اصلها واستأصلها فلعها من اصلها .

الجمة شنة ارومة كل شجرة تبقى على الشتاء والجمع جِمةن . وفي اللسان الجمئن ارومة الشجر بما عليها من الاغصان اذا قطعت . وقال الازهري : كل شجرة تبقى ارومتها في الشتاء من عظام الشجر وصغارها فلها جمئن في الارض وبعد ما ينزع فهو جمئن حتى يقال لاصول الشوك جمئن .

ويقال لما في جوف الارض من اصل الشجرة ارومة الارومة بالفتح ويضم والجمع أروم . الجذاة اصول الشجر العظام العادية التي يلي اعلاها وبقي اسفلها جمعها جذاء قال تميم بن مقبل :

باتت حواطب ليلي يقنبنس لها جزل الجذأ غير خوار ولا دعر

الجثث اصل الشجرة وهو العرق المستقيم ارومته في الارض ويقال بل هو من ساق الشجرة ما كان فوق العروق .

العرق فاة بالكسر ويفتح والعرق بالكسر الاصل الذي يذهب في الارض سفلاً وتذهب منه العروق ، وفي القاموس وقولم استأصل الله عرفاتهم ان فتمت اوله فتمت آخره وهو الاكثر ان كسرت كسرتة على انه جمع عرق بالكسر .

وعروق الشجرة وغيرها اطناب تشعب منها واحدها عرق يقال اعرق الشجر والنبات وعرق اذا امتدت عروقه في الارض .

الجذول اصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفروع جمعه اجذال وجذال وجذول وجذولة القهسرة والحجز من الشجرة . اصلها الذي يلي الارض .

ساق الشجرة جذعها وقيل هو ما بين اصلها الى مشعب افنانها جمعه سوق وسوق وسوق وسوق . وشجرة سَوقَ طوبلة الساق ، والسوق الريان من كل شيء قبل النماء وكل شيء ترّ وارنوى من سوق الشجر والطوبل من الرجال ويستعمل في غيرهم .

العُصْنُ ما تشعب من ساق الشجرة والعُصْنَةُ الشعبة الصغيرة منه جمعها عُصَن •
الشُّعْبُ والشُّغُوبُ اعلى اغصان الشجر كالشُّعْبُ والشُّغُوبُ ويقال للعُصْنِ
الناعم الرطب شُغُوب •

الخُصْل اطراف الشجر المتدلية ، وكل عُصْن من اغصان الشجرة خُصْلَةٌ والخَصْلَةُ
والخُصْلَةُ والخَصْلَةُ عود فيه شوك وقيل هو طرف القضيب الرطب اللين • وخَصْلَتُهُ
خَصْلًا قَطَعَهُ • وخَصْلُ الشجر قطع اغصانه وشذبه •
الاختلاء • جذب العُصْن حتى ينزع من اصله ويقال امسح العود من الشجرة اذا
سله منها فقطعه •

و يقال لما بقي من اصول الاغصان في الشجر بعدما يقطع • القُطَعَات الواحدة
قُطْعَةٌ وهي الأُتُن وفي اللسان وقطعات الشجر أُنْبَهَا التي تخرج منها اذا قطعت الواحدة
قُطْعَةٌ • وفي القاموس وقطعات الشجر كهُزْة وبالنحر بك وبضمتين اطراف ابنها التي
تخرج منها اذا قطعت •

فاذا اخذت اغصان الشجرة كلها وورقها فهي السليب وقد سابت الشجرة اذا فعل
بها ذلك وشجرٌ سَاب لا ورق عليه ونخل سَاب لا حمل عليه وهو جمع سَلِيب •
الشماليل ما تفرق من شعب الاغصان في رؤوسها كشماريج العنق قال العجاج :
وقد تردى من اراط ملخفا منها شماليل وما نلقا
الهَدَب اغصان الارطى ونحوه مما لا ورق له واحده هَدْبَةٌ والهَدَب ما دام من
ورق الشجر ولم يكن له غير •

والهَدَب من النبات ما ليس له ورق الا انه يقوم مقام الورق او كل ورق ليس
له عرض كورق الاثل والسرور والارطى والطرفاء • كالمُذَاب واحده هَدَابَةٌ وهَدَب
الشجر كفرح واهدب طالت اغصانه وتدلّت من حواليه فهي هَدَبَاء •
العَبَل الهَدَب وهو كل ورق مفتول غير منبسط كورق الارطى والطرفاء واشباه
ذلك • وقيل هو مثل الورق وليس بورق • وأَعْبَل الارطى ونحوه اذا طلع ورقه وأعبل
ايضاً اذا سقط ورقه •

والهَدَبُ ما ليس بورق الا انه يقوم مقام الورق • وقيل ما لم ينسط من النبات

ولكن لثقل فسكان كالهذب وذلك كهذب الاثل والطرفاء . ويقال اربش الشجر ارباشاً وارمش ارباشاً اذا اوراق وقيل اذا اخرج ثمره كأنه حمص .

النَّجَبُ لحاء الشجر او قشر عروقها او قشر ما صلب منها ولا يقال لما لان من قشور الاغصان نجب ولا يقال قشر العروق ولكن يقال نجب العروق والواحدة نجبة . والنَّجَبُ مصدر نجب الشجرة ينجبها اذا اخذ قشرة ساقها ونجبها تنجباً اخذ قشرها . والقِرْفُ لحاء الشجر واحده قِرْفَةٌ وجمعه قروف والقِرَافَةُ كالقرف . وكل قشر قرف ومنه قرف الرمان . وقرف الخبز الذي يقشر ويبقى في النور والقرفة الطائفة منه . وقرف الشجرة يقرفها قرفاً نحت قرفها وقرف القرحة فنقرفت اي قشرها وذلك اذا بست .

والقِلافُ والقِلافة القشر وقلف الشجرة نزع عنها لحاءها .

الشَّكِيرُ لحاء الشجر والجمع شُكْرُ قال هوذة بن عوف العامري :

على كل خوار العنان كأنها عصا ارزن قد طار عنها شكيرها

القِشْرُ قشر كل شيء خلفة او عراضاً وقشَر قشراً وقشَره نقشيراً سحاً عنه لحاءه او جلده والقُشَارَةُ ما نقشره عن شجرة من شيء رقيق . ولباس الرجل قشره وكل ملبوس قشِر . وثمر قشِر وقشِر كثير القشِر . وقشرة الهبرة وقشرتها جلدها اذا مص ماؤها وبقيت هي . وسحاة كل شيء قشره والجمع سحاً .

ويقال انسفت الشجرة اذا نبتت بعد القطع . والنُسْعُ ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت .

ويقال للندي الذي يخرج عروق الشجر الى غصونها طَلّ والأنبوش والانبوشة ما قاعته مع اصله من صفار الشجر . وفي اللسان الشجرة تغلغلها بعروقها واصولها وكذلك هو من النبات . وانبش العنصل اصوله تحت الارض واحدها انبوشة .

الربل ضرّوب من الشجر اذا برد الزمان عليها وادبر الصيف نفطرت بورق اخضر من غير مطر يقال منه تربلت الارض والربل ورق ينفطر في آخر القيظ بعد الهيج يبرد الليل من غير مطر والجمع ربول . وقد تربل الشجر وخرجوا يتربلون يربعون الربل

وتربلت الارض اخضرت بعد اليبس عند اقبال الحريف والربل ما تربل من النبات في القبط وخرج من تحت اليبس منه نبات اخضر .
ويقال صمّل الشجر اذا عطش فغشن و يبس فهو صميل وصال . قالت زينب الطثرية :

نرى جازره يرعدان وناره عليها عداميل الهشيم وصامله
والعداميل جمع عديمول وهو الشجر القديم .
المستباهة الشجرة يقع بها السيل فتغيبها عن متبجها كأنه مأخوذ من السباه وهو الذي يخرج من ارض الى اخرى .
القادح أ كال يقع في الشجر والاسنان . والقادحة الدودة التي تأكل الشجر والسن .
وقد قدح في السن والشجرة وقدح الدود في الاسنان والشجر قدحاً وهو تأكل يقع فيه .
البعل كل شجر او زرع لا يسقى وقيل البعل والعذني واحد وهو ماسقته السماء .
والسقي الذي لا يعيش بالاعضاء انما يسقى يقال زرع سقي ونخل سقي اي يسقى بالماء
ويقال زرع مسقوي اذا كان يسقى ومظمي اذا كان عذناً .

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي

النبذة الطروب

قرأت المقال المعنون (كتاب نزهة العيون) لزميلنا العلامة الاستاذ الشيخ كامل الغزي فرأيت به بعدد مما تستبعد العقول وقوعه ما حكا له القاضي نحر الدين ابراهيم بن علي دبوفا من انه رأى في بعض قرى بعلبك نباتاً يشبه المنشور في لونه وكونه وان بعض الظرفاء غنى النبات بيتين من الشعر فاهتز كأنما أصابته ريح عاصفة حتى ثلثت اوراقه وذبلت طاقاته ، وان استبعاد الرواية على وجهها المذكور بدون حملها على المبالغة هو في محله ، ولكن حكاية هذا النبات معروفة في هذه الديار واليك البيان :

هذا النبات يعرف بالعاشق وتسميه العامة عورنين يشبه زهره زهر المنشور الاصفر

وهو بريٌّ وتذكر له العامة هذه الخاصة وهي أنه إذا أنشد بصوت حزين شيئاً من النغم تساقط زهره ، وقد نذاكرنا يوماً ونحن أمام نبتة منه أيام الربيع فذكر لنا أحد اصحابنا صفة هذا النبات ونقدم اليها ليرينا صحة زعمه فمسكها بيده وقال أهزها أولاً لتروا أن زهرها ثابت عليها قبل الغناء ، وبعد أن هزها بيده فلم يسقط منها شيء أخذ في الغناء وأخذ الزهر يتساقط ، فقلت حسبك هذه نبتة ثانية غنها ما شئت وبأي نغم شئت ولا تمسها قبل الغناء كما فعلت بالاولى ، فغنى واجتهد وحزن كثيراً ولم يستند شيئاً إذ بقي زهرها ثابتاً عليها ، فقلت له تأخر الآن عنها وثقت اليها فبرزتها بيدي ورجعت عنها ونحن ساكنون ننظر اليها فإذا زهرها يتناثر بعد نصف دقيقة او دقيقة من هزها وظهر اصحابنا ان الخاصة لا تزال للغناء .

احمد رضا

عضو المجمع العلمي

استدراك على مقالة

« كتاب نزهة العيون »

هي المقالة التي نشرت في العدد الاخير من مجلة المجمع ج ١١ و ١٢ ص ٦٨١ من المجلد التاسع لسنة ١٩٢٩

كنت قبل ان اضع تلك المقالة - تقدمت الى العلامة احمد تيمور باشا برسالة استمحت فيها من معين علمه بيان ما عنده من ترجمة ذلك الكتاب المطلوب .

فكتب اليّ بقول : ان الكتاب الذي وصفتموه في مجلة المجمع ج ٩ ص ٦٨١ وورد اسمه بخط غير خطه (نزهة العيون في اربعة فنون) الصواب ان اسمه (مباحج الفكر ومناهج العبر) لجمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الانصاري الكتبي المعروف بالطواطير المترجم في الدرر الكامنة لابن حجر والمتوفى سنة ٧١٨ هـ وان اسم الكتاب وارد في انشاء الخطبة فالظاهر ان النسخة التي اطالعتم عليها وقع بها سقط في الخطبة وارجو أن تراجعوا المشرق ج ١٠ ص ٧٢١ و ٧٢٤ ومجلة المقتبس ج ٥ ص ٥٤٠ ففيها وصف لهذا الكتاب وراجعوا ايضاً كشف الظنون في (مباحج الفكر) وفي (مناهج الفكر) .

جمال الدين الطوطا هذا غير رشيد الدين الطوطا صاحب الرسائل المتوفى
سنة ٥٧٣ هـ
عضو المجمع العلمي
كامل الغزي



من نواذر المخطوطات « في دار الكتب الظاهرية »

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : تأليف نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى
سنة ٨٠٧ هـ جمع فيه مؤلفه زوائد الكتب الستة من مسند الامام احمد بن حنبل والبخاري
وابن يعلى والموصلي والمعاجم الثلاثة للطبراني فأصبح بذلك كتاباً حافلاً في موضوع الحديث
النبوي (رقم ٦١١ حديث) .

المجمل في اللغة : تأليف أبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٠
اقتصر فيه مؤلفه على الالفاظ المستعملة مما تم معرفته وأخذ أكثرها عن السماع وعن مقدمة
واختصر الشواهد . ورتبه مؤلفه على الابدئية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه حتى
طابق اسمه مسماه . والموجود منه الجزء الثاني فقط يبتدي من حرف العين الى آخر
الكتاب في ٣٧٥ صفحة متوسطة . بخط أبي بكر محمد بن محمد بن خلف في سنة ٥٨٩ هـ
(رقم ١٢٣ لغة) . وقد طبع الجزء الاول منه في مصر سنة ١٣٣٢ ص ٣١٩ على نفقة
الحاج محمد سامي المغربي .

جنى الداني في حروف المعاني : تأليف بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المتوفى
سنة ٧٤٩ هـ : وهو مرآة على مقدمة مشتملة على خمسة فصول . ثم اورد خمسة ابواب من
الأحادي الى الختامي قال صاحب كشف الظنون : هو مأخذ المغني لابن هشام . كتب
سنة ١٠١٩ في ٢٥٠ صفحة صغيرة (رقم ٢٦١ نحو) .

شرح الابضاح : (الابضاح) تأليف أبي علي حسن بن احمد الفارسي المتوفى سنة
٣٧٧ والشرح لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ شرحه أولاً شرحاً مبسوطاً في

نحو ثلاثين مجلداً وسماء المغني ثم لخصه في مجلد واحد وسماء المختصر وهو في مجلد ضخم في ٩٠٤ صفحات كبيرات بخط حسن ترجع كتابته الى القرن الحادي عشر (رقم ٣٥٤ نحو) .

جمع الآداب في معجم الاسماء والالقباب : تأليف كمال الدين عبد الرزاق الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ . قال صاحب كشف الظنون انه في خمسين مجلداً وهو مرتب ترتيباً غريباً في أسلوب عجيب : الموجود منه الجزء الرابع ببثدي من حرف العين الى حرف القاف بخط مؤلفه وجامعه سنة ٧١٧ في زهاء ٦٠٠ صفحة متوسطة (رقم ٢٦٧ : تاريخ) .

إنباء الفجر بأبناء العمر : تأليف شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ وهو تاريخ مصر والشام متضمناً حوادثها وتراجم رجالها منذ ولادة مؤلفه الى سنة ٨٥٠ هـ مما أدركه اوسعه وقد رتبته على السنين : فيذكر حوادث كل سنة ثم تراجم الوفيات فيها . وهو مجلد ضخم زهاء ١٢٠٠ صفحة بخط مؤلفه (رقم ٢٤١ : تاريخ) .

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

تاريخ الحركة القومية

[وتطور الحكم في مصر]

« صدر منه جزآن يحتويان على نحو ٩٠٠ صفحة من القطع المتوسط »

« تأليف عبد الرحمن بك الرافعي »

آل الرافعي أسرة لا اعرف منها الا كل خادم لبلاده صادق الخدمة ، وغيور على لغة آباءه واجداده لا ينفك عن العمل لاجلها ما استطاع الى العمل سبيلاً . ولعمري ان أمة نذبت الحراص على استقلالها يتلو بعضهم اثر بعض لا بد ان ندرك غايتها . هما تكن طريقها مشوكة ، واللغة التي لها من ابتائها اناس يؤمنون بها ايماناً لا بد ان تظل حية ما دام ذلك الايمان راسخاً في القلوب .

وكتاب الاستاذ عبد الرحمن بك الرافعي هو دروس في الوطنية يجدر بكل ناطق بالضاد ان يتلوها فيرى فيها بدء الحركة القومية المصرية في اواخر القرن الثامن عشر واولائل القرن التاسع عشر اي منذ احتلال حملة نابليون لمصر الى ايام محمد علي الكبير . ولقد سرد الاستاذ الابحاث بعبارات طليقة وسلسلها على شكل يستحسن ودعّمها بوثائق عديدة نقلها عن مذكرات رجال حملة نابليون والمؤرخ الجبرتي وغيرهم فجاء الكتاب تاريخاً سياسياً وقومياً لتلك السنين يشاهد فيه ابناء مصر اليوم ما لاقاه اجدادهم . من ظلم المستعمرين وفضائهم (سواء اكانوا اتراكاً ام مماليك ام اوربيين) وماتوه من الاعمال للخلاص من سيطرة المتغلبين المشوومة . فما جاء في الصفحة ٤٣ من الجزء الاول عن ابن اياس ان السلطان سليم خرج من مصر ومعه الف جمل محملة من الذهب والفضة فضلاً عن الخف والسلاح واعمدت الرخام والصيني والخماس واخذ من مصر من كل شيء احسنه وذلك عدا ما غنمه وزراؤه من الاموال الجزيلة وكذلك عسكره فانهم غنموا من النهب مالا يحصى وبطل من مصر نحو خمسين صنعة . ولا شك ان اكبر طعنة للغة العربية جاءت من يد الاتراك العثمانيين يجعلهم التركية لسان الدولة الرسمي في مصر مع ان العربية هي

التي كانت اللسان الرسمي الى زوال دولة السلاطين البرجية (الشراكسة) .
وقد اعجبنا قوله أن سلطة محمد علي الكبير قامت على ارادة الشعب ولذلك تمكن بها
من القضاء على سلطة الاتراك والماليك معا .
وبعد اننا نشكر للاستاذ الفاضل هديته ونتمني ان يوفق الى انحاء البلاد بباقي
حلقات هذه السلسلة الذهبية .
مصطفى الشهابي

لبنان وسوريا

[قبل الاندباب وبعده]

« تأليف بولس مسعد وهو يقع في ١٢٩ صفحة »

هل قرأت مصنفات بعض الكتاب الاوربيين الذين سدل التعصب غشاوة على
ابصارهم وبصائرهم والذين يهبطون بلاد الشام فيقيمون فيها عشرة ايام او عشرين يوماً
يظنون بانتهاء انهم صاروا علميين بتاريخ هذه البلاد وجغرافيتها وزراعتها وتجاريتها وعادات
سكانها وميولهم السياسية وكل ما يهم القراء الاطلاع عليه من شؤونهم ؟ اذا كنت
قرأت بامعان كتباً كهذه وهالك ما وجدته فيها من الأقوال الغريبة والافكار المضرة
والنيات السيئة فاعلم ان كتيب السيد بولس مسعد هو من هذا القبيل .
مصطفى الشهابي

خمسة اعوام في شرقي الاردن

« بقلم الارشمندريت بولس سلمان امين سر غبطة بطريرك الروم الكاثوليك »
كتاب يقطع الربع بنهاز ثلاث مئة صفحة جلي الطبع حسن الورق . مطبوع في
مطبعة القديس بولس بجرىسا (لبنان) يتخلل منه عدد من الرسوم التي توافق
الابحاث ، وهو مصدر ببيان شيق بقلم الشاعر المشهور خليل بك مطران . وقد
قدمه مؤلفه « الى الامة العربية النبيلة والى صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن
الحسين » .

اختار سيادة المؤلف هذا الاسم لكتابه للدلالة على الزمان الذي قضاه في شرق الأردن وكان يومئذ في ذلك القطر العربي رئيساً دينياً وكانت مهمته فيه مرتبطة بطائفته فقط . الا انه لم يقف اوفاته على تلك المهمة فحسب شأن بقية الرؤساء الدينين بل صرف همه ايضاً الى التجول في انحاء هذه الامارة البدوية وخالط اقوامها وتعرف احوالهم وعوائدهم وسرائرهم وسهر الليالي في تدوين مشاهداته ومحادثاته ، وكان يجبرها في ساعات الفراغ بلسان عربي فصيح سهل ، يبعث في فصولها الى مجلة المشرق البيروتية التي نشرتها تباعاً . واذ رأى اقبال الادباء على تلك الابحاث وارتياحهم اليها ، وخصوصاً المستشرقين منهم ، نقحها وجمعها وزاد عليها ما تيسر بحيث جاءت سفرأ ، وهو الكتاب الذي نحن بصدد ، يعرف قارئه من احوال العرب الرحل ما لا استطاع معرفته الا لمن قضى بينهم السنين الطوال .

والكتاب حسن الترويب يبحث في تاريخ اهل البادية وشعرهم وقضائهم واديانهم ، وفي آخره جدول مسهب عن عشائر شرق الاردن . فنشكر لسيادة الارثوندريت جهوده الطيبة في خدمة العرب والعربية ولتمنى ان يتسنى له تحقيق املة بلو تباع هذا الجزء بجزء آخر يضم الفوائد في الاسرة البدوية والزراعة والقبيلة والعشيرة والغزو الى آخر ما وعد به في مقدمته من الشروح .

ولعل خير ما قيل عى هذا الكتاب لمؤلفه عبارة ختم فيها خليل بك مطران بانه الشيق قال :

« كان الناس قديماً يسترشدون بما يرشدكم اليه رجال الدين لمعرفة دنياهم والاخذ بالصالح النافع من شؤونها ، أما الآن فقد اصبحوا يستعبدون كرامة الدين عند انفسهم مما يجدونه في أعمال أئمتهم من صالح ونافع في أعمال الدنيا » .

عبد الله رعد

عضو المجمع العلمي العربي

نصوص عربية من تاكرونة

« للسيد وليام مرسي والسيد عبد الرحمن غنيما طبع باريز عدد صفحته ٤٢٦ »

W. Marçais et Abd errahman Guiga . p. p. 426 - paris 1927

يحتوي هذا الكتاب على اثني عشر قطعة بعضها حكايات وبعضها وصف ومحادثات وضعها احدهما (السيد عبد الرحمن غنيما) وقد كتبها بلهجة (تاكرونة) العربية العامية ثم كتبها بالاشتراك مع زميله بأحرف لاتينية لضبط لفظها بحسب لهجة تلك القرية ثم ترجمها الى الافرنسية مع شرح وابطاح للترجمة وهي اهم ما في الكتاب . وموضوع هذه الحكايات حوادث داخلية وامور عائلية متعلقة جميعها بقرية تاكرونة مع وصف شيء من عوائد اهلها ومعيشتهم الزراعية ، وتكرونة هذه هي قرية صغيرة واقعة على الخط الحديدي الذي يربط تونس - سوس بقرب (انفيدايل) وفائدة هذا المصنف درس اللهجات العربية المغربية وتطورها فهو حلقة جديدة تضاف الى سلسلة ما قد كتب بهذا الشأن عن بلاد المغرب . وقد انكر واضع الكتاب في مقدمتها قول القائلين بتقسيم سكان بلاد المغرب الى عرب وبربر . ومن رأيهما ان جميع سكان هذا القطر هم من اصل بربري ولا يوجد فيه اصلاً جنس عربي وقد قسم سكانه الى قسمين : الاول المحفظون بلغتهم البربرية الاصلية والقسم الثاني المتكلمون بالعربية وهم الذين استعربوا بعامل الفتح الاسلامي .

هذا ما ذهب اليه المؤلفان في مقدمة كتابهما مذ زعموا أنه لا يوجد في المغرب احد من أصل عربي وقولهم هذا ظاهر البطلان فإن كل من كتب والى في انساب سكان القطر المغربي عقق بان كثيراً منهم يمتون بانسابهم الى الفاتحين الاولين من العرب اذ من عادة الفاتحين من كل قوم ان يتركوا في البلاد التي فتحوها جماعة من أبناء جلدتهم يستوطنونها والتاريخ القديم والحديث طاف بمثل هذه الحوادث . وما عرب المغرب الا من سلالة هؤلاء الفاتحين .

جعفر الحسني

مجلة علي العربي

(دمشق) : ايار سنة ١٩٣٠ م

الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ

١١٣

المسكرات ومضارها (١)

للأم كما للأفراد قوام مادي وقوام روحي . فقوام الأم المادي افرادها ، وقوامها الروحي مبادئها العامة التي تؤلف ما بين اولئك الافراد فتجعل منهم جسداً واحداً يتحرك بمحرك واحد . اما نسبة المادة الى الروح في تأليف الامة فهي كنسبة الاحجار الى البناء . فكما ان الاحجار المنفرقة لا تؤلف بنياناً . معها كثر عددها وتماثل شكلها الا اذا تراصت وتلاصقت وشد بعضها بعضاً على شكل هندسي معروف . كذلك الافراد فهم لا يؤلفون أمة . معها كثر عددهم وتشابهت سماتهم وتوحدت اصولهم وثقفت أذهانهم اذا لم يجمعهم جامعة عامة واحدة فيتأثرون بمؤثر واحد . يعيشون لاجله ويموتون في سبيله .

وقد يضعف قوام الأم المادي ويبقى قوامها الروحي صحيحاً فتحتفظ بكيانها الاجتماعي كما تحتفظ عليل الجسم بحقوقه المدنية اذا لم تنطرق العلة الى ملكاته النفسية . اما اذا فقدت الامة مبادئها العامة فنقدت حياتها الاجتماعية وتصبح لا كيان لها في العالم الادبي . فيستولي عليها الصحيح من الأم . كما يحجر على مؤوف العقل على الرغم من سلامة سائر اعضائه ، وقوتها ، وجمالها . سنة الله في هذا الكون ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وقد أتى على الامة العربية الى يومنا هذا عوامل مختلفة ، دينية وسياسية وادارية واجتماعية أفقدتها مبادئها العامة ، فأضاعت معها كل ما كان لها من عز وسلطان وكيان

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القايت في ردهة المجمع العلمي

في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م .

سياسي واجتماعي ، و بانث على ما هي عليه اليوم ، مما يندى الجبين لذكره ويهلع القلب لذكره . فهي تعيش اليوم حياة فردية طائفية ، أشبه بها باحجار هيكل عظيم ، قوته زلزال شديد ، فنثارت على الارض مخنقطة بصلابتها ورونقها . فليت شعري ما يكون امرها غداً . امرها أيها السادة احد شيئين : اما ان بتطرق الفساد الى جوهرها بتأثير العوامل الطبيعية المختلفة ، فتنفث خصائصها ، فنثنت ثم تضيحل . واما ان تحفظ بشكلها وخواصها الى ان تصادف بدأ عاملة فتعيدها سيرتها الاولى . وبكلمة عامة : الحياة السياسية ممكنة مادام الجوهر الفرد صحيحاً . وقد كان الاعتقاد ايماناً بان لا بد لهذه الامة من نشر بعد هذا الطي المستمر ، وذلك بالنظر لسلامة قوامها المادي أعني افرادها الذين لم يزالوا محافظين بمعامل الوراثة على كثير من خصائصهم القومية ، فهم بمثابة تلك الاحجار الصلدة المهيبة المنتثرة من ذلك البنيان المتهدم ، غير ان هذا الايمان القوي قد اخذ يتحول الى رجاء في هذه الآونة الاخيرة ، لما ظهر في البلاد العربية من الامراض الاجتماعية الفتاكة التي تهدد الفرد بحياته المادية والنفسية ، وترمي الى افساد مبادئه وخصائصه العنصرية وهي الدعامة الوحيدة لوحدة المذشودة ، فيصبح كالغراب غريباً ، ينكره التالد ولا يلحق به الطارف . أمراض اجتماعية تسربت الى هذه البلاد الضعيفة تحت ستار الحضارة والمدنية البراق . وشر الادواء ما كان خفياً ، وشر السموم ما كان شهيماً ، فتهافت عليها الناس تهافت البعوض على النور يحسبون السعادة في نورها ، فتاتيهم حياتهم نيرانها ، واشد هذه الادواء فتكاً في النفوس واعظمها خطراً على الحرث والنسل (الغولية) اي داء المسكرات .

اقول الغولية وهي نسبة الى الغول ، والغول في اللغة السكر ، وفي مصطلح العلم المادة المؤثرة المسكرة الموجودة في المواد السكرية والنشائية المائعة المتخمرة كحمر العنب ونبذ الشعير والأرز والنفاح وغيرها . وقد كان يُظن قبل الاسلام ان الخمر مسكرة بذاتها فلما جاء الاسلام ووصف خمر الجنة . قال في تعريفها : (لافيهامول ولاهم عنها ينزفون) اي مافيهام مادة مسكرة بنشأ عنها الصداق والسكر يقال لها غول . فأفاد بان الخمر ليست مسكرة ومصدقة بذاتها بل هي مسكرة بمادة خاصة موجودة فيها تدعى الغول ، تحرم لاجلها لانها هي التي تفسد العقل وتسكر .

وبالنظر لجهل الناس علم الكيمياء في ذلك العصر لم ينسبوا الى معنى كلمة الغول العلمي ففسروها بمعناها اللغوي وهو السكر مما أوقعهم في الاختلاف في تخريم النبيذ وعدمه . ولم يتوصل العلم الى معرفة الغول وتجربته عن المواد المخمرة الا بعد ان اكتشف العرب التصعيد والنقطير في القرن الثاني للهجرة فصعدوا الخمر وقطروها واستخرجوا منها الغول ويسمونه روح الخمر والعرق والزئبق الحار . قال داود : العرق هو المأخوذ عن الخمر بالتصعيد والنقطير وقد يؤخذ من الأنبذة . ومن هذا يتبين لنا ان القرآن ذكر الغول بمعناه العلمي قبل ان يتوصل العلم الى اكتشافه وبيان خصائصه . وقد اخذه الفرنج عن العرب ونقلوه الى لغتهم بلفظه العربي ، وبالنظر لعدم وجود الغين في لغتهم استبدلوه بالآش فقالوا بدلاً من أنغول الكوهول . ثم لما جاء الأتراك وأرادوا نقل العلوم من اللغات الفرنجية الى لغتهم لم ينسبوا الى أصل كلمة الكوهول هي الغول فقلبوها في نقلها الآش حاء فصارت الكحول . وقد شاعت لفظة الكحول على اللسان حتى ظنها الناس فصيحة ، بينما انه لا يوجد لها أصل في اللغة يشير الى مدلولها . وبات كلمة الغول الفصحى غريبة لعدم تداولها وهي أجدر بالمادة والاستعمال .

فالغول والحالة هذه هو المادة المسكرة الموجودة في الخمر ، والمعروفة باسم الكحول او السبيرتو العامة ، والغولية هي الماء الذي يحصل من إدمان شرب المسكرات اي المشروبات التي فيها غول ، وهي كثيرة في هذا العصر . ونقسم الى قسمين : القسم الاول المشروبات الروحية . والقسم الثاني الخمر والانبذة .

المشروبات الروحية — فالمشروبات الروحية هي الموائع التي تحتوي على اربعين الى ستين في المئة من الغول ، والباقي ماء ، وعلى روائح عطرية مختلفة . وأهم أنواعها العرق . ويستخرج من الخمر مع الألبسون ، وهو مركب من غول وماء وعطر الألبسون . ومنها القونياك ، وهو عرق الخمر الأبيض يحفظ مدة طويلة في براميل من خشب الصفصاف يكتسب منها رائحته ولونه . وقد نسي بالقونياك نسبة الى بلدة قونياك في فرنسا التي يصنع فيها . ومنها الروم (Rhum) وهو عرق نبيذ الكرز البري . ومن المشروبات الروحية الانواع المدعوة (Liqueurs) اي المشروبات الحلوة وهي الاشربة الغولية

الممزوجة بالماء والسكر وبعض الارواح العطرية ، واشهرها الالبنت اي مشروب الالفنتين والبيتر والفرموت والشارتروز وغيرها .

الخمر - اما الخمر فأهمها الخمر ، وهو عصير العنب المخمر ، وهو يحتوي على ثمانية أجزاء الى عشرين جزءاً في المئة من الغول وعلى خمسة وسبعين جزءاً ماءً وعلى مواد زلالية وعفصية وملونة ، وعلى حوامض وعلى أملاح فلوية ترابية وعلى ارواح عطرية . ومنها الانبذة وهي الخمر التي تحصل من عصير غير العنب ، وانواعها كثيرة ، واسماؤها تختلف بحسب المواد التي تتألف منها ، وأشهرها : المزرو البيرا (الجمعة) وهو نبيذ الشعير المعطر بمحشيشة الدينار ، وهي تتركب من ثمانين جزءاً من الماء ومن ثلاثة الى ثمانية أجزاء من الغول ، وفيها مواد سكرية وزلالية ودهنية وأملاح فلوية ترابية وحوامض ، ومنها المصع . قال داود وهو نبيذ الفواكه . ومن انواعه : السيدر ، وهو نبيذ التفاح ، والبواره وهو نبيذ الأجاص ، ومنها الرائب وهو نبيذ اللبن وهو شائع الاستعمال في روسيا ويسمى الكوميس . وكية الغول في هذه الاشربة اقل مما هي في الخمر .

هذه هي الاشربة المسكرة المستعملة اليوم في جميع أقطار العالم ، وهي مركبة كما أوضحناه من عنصر أسامي مسكر خاص واحد هو الغول ، او روح الخمر ، وبه سميت هذه الاشربة المشروبات الروحية ، ومن عناصر أخرى مختلفة كالماء والمواد الزلالية والسكرية والعفصية والملونة والحوامض والأملاح والارواح العطرية . وهذه كلها معروفة الخواص وغير مقصودة بالذات . وتوجد في سائر الاشربة كالجلاب وشراب السفرجل والريمان والورد وغيرها بكميات وكيفيات مختلفة .

ومن هذه الخلاصة التحليلية يتبين لنا ان المشروبات الروحية او المسكرة لا تختلف عن سائر الاشربة المنعشة والمرطبة الا من جهة واحدة : هي وجود الغول فيها . فالخمر اذا جردناها من الغول تعود جلاباً لذة للشاربين ، والعرق اذا جردناه من الغول يصبح ماءً معطراً كماء الزهر وماء الورد لا يصدع ولا يسكر . فالغول والحالة هذه هو العنصر الاساسي المقصود من الاشربة الروحية ، هو الجوهر الفرد الذي تقوم به هذه الاشربة وتعز ، فهو منها بمثابة الروح من الجسد ، وكما ان قيمة الاجسام تقدر بحسب

صفات نفوسها كذلك نقدر منافع الاشربة الروحية ومضارها بحسب خصائص الغول الذي فيها . اعني تأثيراته في كل من اجهزة الجسم البشري واعضائه . ولعمري ان هذا المطلب وعمر المسلك صعب المنال لما فيه من تضارب عظيم في الآراء واختلاف شديد في المذاهب . فمن قائل مع ابي نواس :

ومقعد قوم قد مشى من شرابها واعمى سقيناه ثلاثاً فابصرنا
واخرس لم ينطق ثلاثين حجة ادركنا عليه الكأس يوماً فهمرا

او مع ابن صاحب تكريت حيث يقول :

ولورسم الزاقي حروف اسمها على جبين مصاب جن أبرأه الرسم
ولو طرحوا في ظل حائط كرمها عليلاً وقد اشقى لفارقه السقم
ولو انفخوا منها على قبر ميت لعادت اليه الروح وانعش الجسم

ومن مررد قول الصفدي :

دع الخمر فالراحات في ترك راحها وفي كأسها للمرء كسوة عار
فكم البست نفس الفتى بعد نورها مدارع قارفي مدار عقار

ومن الاطباء من جعلها غذاء خيراً من الحنطة والعسل . ومنهم من صيرها ترياقاً فيه شفاء الروح والجسد . ومنهم من ذهب الى انها نار تحرق الاجسام ولا تبقى على الارواح . نهلك الحرث ولا تذر النسل . فليت شعري اي هذه الاقوال الصحيح . وايها اهدى للحق ؟ ومن من هؤلاء الرجال المصيب ، ومن منهم المخطي ؟ كلهم ايها السادة مصيب على حد قول الشاعر :

رأيت بعينها ورأت بعيني .

وذلك لان كلا منهم نظر الى المسكرات بعين عقيدته الموروثة وهواه : (وعين الرضا عن كل عيب كائلة) . وللعقائد والعادات تأثير عظيم في تكيف الافعال العقلية وتوجيهها ، ولولا ذلك لما تبانت آراء الناس في المذاهب والاحكام والاخلاق ، فكم من حقيقة علمية كان العالم بامره يعتقد بعكسها ، حتى اذا ظهرت قاومها بالشدة والعنف ، مدفوعاً بعامل الشعور البهيم الى ان خمدت سورة هذا الشعور الموروث وتغلبت قوة العقل عليه فأخذ يؤمن بصحتها هازئاً بخطأه الاول وجهله القديم . ونظرة عامة في صفحات التاريخ ، تاريخ نشوء الافكار وتطورها ، تاريخ الكشف العلمية والدعوات الدينية تكفي لادراك

هذه الحقيقة الناصعة ، وللدلالة على ان صوت المجموع ليس هو على الدوام صوت الحق ، وان الفرد يرى بعين العقل ما لا يراه المجموع بميله وعاطفته الغريزية وان النور ينبثق من الفرد فيتهدي به الصالحون باديء بدء ، ثم ينتشر الى ان يعم المجموع . هكذا قامت الدعوات الدينية ، وهكذا ظهرت الكشوف العلمية والانقلابات الاجتماعية ، ومن يجمل ما لاقاه دعائها وهم على الحق والعالم على الباطل ، من ضروب الاضطهاد والهوان وانواع القتل والتعذيب ، وما هي الا دورة من دورات الفلك حتى انقلب الليل نهاراً ، وللباطل جولة ثم تفصح . فاخذ الناس يدخاؤون في دين الحق افواجاً عالمهم ثم جاهلهم وصحيحهم ثم مريضهم ، مقدسين من كذبوا بالامس يرفعون له التائيل ، و ينعثونه بالنابغة الكبير والعالم الجليل ، هكذا كانت شأن العالم مع الرسل والمصلحين ، وهكذا كان شأنهم مع سقراط وغاليله ، وهكذا شأنهم اليوم مع العلم والعلماء في الحكم على المسكرات .

الف الانسان الخمرة منذ آلاف السنين ، وعاقرها بعضهم حتى خاشرت عقله ولبسه وامتزجت بلحمه ودمه ، واصبحت عنصراً ضرورياً من لوازم حياته ، فهي ماؤه وهي غذاؤه وهي راحه وهي ريحانه ، تجارنها اروج تجارة وصناعاتها اعظم صناعة ، حتى ان من الامم العظمى من جعلها ثمرة حرثه وزرعه وقد عم الخطب بها حتى بات شربها مظهرآ من مظاهر المدنية والحضارة وجفاؤها ضربآ من ضروب التوحش والغباوة ، وذلك حتى اواخر القرن الماضي واوائل العصر الحاضر حيث اخذ العلم يستقري خواص الغول في الجسم البشري ، وما هي الا عشرات من السنين حتى ظهر للعلم بان العالم على باطل سيف معنقه في منافع الغول وحسناته . فأخذ يدعوهم الى تركه والايمان بمضاره وسبائنه . فليت شعري هل من غرابة اذا انكر الناس - والناس من وصفت - دعوته وسفهاوا كلمته ، وصاح قوم انا وجدنا آباءنا عليه عاكفين ، وقام باعته وصناعه يغرون الكتبة بالمال ليطفئوا نور العلم بافلامهم يتسود وجوه الصحف وصحائف الكتب باطراء منافع المسكرات ومضار تركها ولا مشجع لهم سوى اعصاب الناس المتسممة ، ولا دليل سوى الهوى ولا عملي سوى قوة الخيال ؟

ما سيف ذلك لعمر الحق غرابة ، فتلک نفرة طبيعية لم يخل من مثلها تطور من تطورات العالم الى يومنا هذا . واذا اضعنا الى هذه العوامل النفسية الحسية ، العوامل

الاقتصاد والخصائر العظمى التي تنال بعض الامم من تعطيل صناعة المشروبات الروحية وهي تقدر بالمالهين من الليرات نفي لنا خطورة موقف العلم والعلماء اللاعوليين ، وهول جهاد دعاة المسكرات في معترك الدفاع الهائل ، ينجي لنا كيف يتغلب صوت الحق الضعيف على جلبة الباطل الهائلة ، ينجي لنا كيف تذبث شرارة الحق الضئيلة في ظلمات غابات الباطل المتكاثفة فتضيئها رويداً رويداً الى ان تصبح شعلة متأججة من نور ، دعا العلم العالم في اوائل القرن الحاضر الى الايمان بمضار المسكرات ، فاستشاط العالم غضباً وحقناً ، وما هي الا سنوات معدودات حتى دخل في دين العلم اصح الناس اجساماً واشدهم بالمحافظة على الحرية الشخصية تمسكاً وايماناً ، فغولوا حريتهم هذه بايديهم وهي ما عبدوا ، وقضوا على نفوسهم بانفسهم وهي ما قدسوا ، ولا غرابة فقد سبق القول بان الحق يهتدي اليه العالم فالجاهل ، والصحيح فالمرضى .

ومن العجب العجيب ان تقوم الحرب ضرورياً في اوربا واميركا ، في بلاد المشروبات الروحية ومواطنها للقضاء على الغول وطرده وتطهير النفوس والاجسام من شروره ، فتفتح البلاد العربية لهذا الطريد الممقوت ابوابها كأنها استطابت هلاك الجسم فهي تريد ان تضيف اليه فساد النفس ، والنفس هي الاسم الباقي من ذلك الرسم العظيم الفاني .
فيا ابتها النفس الثملة ارجعي الى عقلك راضية نادمة ، واعلمي ان هذا الضيف الجديد اشد خطراً عليك من سائر العناصر الغربية التي تعيث في ارضك ، والجراثيم القنالة التي تفتك في جسمك ، وذلك لان الارض مشاع والجسم موقوف ، واذا اردت شاهداً على صدق هذا القول ، فاستنظقي العلم ، والعلم هو الحق فهو يشهد ويقول .

« كلمة العلوم الطبيعية والطبية الاخيرة في الغول »

صفاته — . الغول جسم مائم لا لون له ذو رائحة خاصة وطعم حار محرق قابل للاشتعال ، يستخرج من الموائع السكرية والنشائية المختمرة كعصير العنب والنفاسح والكثيري والشمندر وقصب السكر والتمر وغيرها ، وكنقوع الشعير والخنطة والذرة والارز والبطاطا وغيرها . فان النشا يتحول فيها الى سكر ، وعندما يتم فعل التخمير في هذه الموائع تحول الى محاليل غولية يختلف مقدار الغول فيها بين ستة الى عشرة في

المائة . ويستخرج هذا الغول منها بالنقطير بادوات خاصة منها الانبيق المعروف . وتختلف اسماءه قبل نقاونه حسب مصدره . فالمستخرج من خمر العنب يسمى عرقياً والمستخرج من قصب السكر يسمى روما وهلم جرا .
وللغول منافع عظيمة في عالم الصناعة فهو من اهم المخروقات ذات الحرارة الشديدة وهو يذيب كثيراً من الارواح والعناصر الدهنية ويستعمل لاستحضار كثير من المواع العطرة كالقانونيا وغير ذلك .

« استعماله في الطب »

اما استعماله في الطب كعلاج فيرجع تاريخه الى عام ١٨٦٠ ، واول من استعمله في ذلك التاريخ الطبيب روبرت تود في شرابه المسمى باسمه . فعالج به ذات الرئة ، وقد شاع استعماله منذ ذلك العهد في جل الامراض ، ولا سيما الحميات العنفيه ، ووقع الافراط في وصفه شأن كل علاج جديد حتى ان من الاطباء من كان يصفه بمقادير عظيمة تجعل المريض في حال السكر الشديد . غير ان التجارب والملاحظات لم تلبث ان أظهرت مضار الغول للعيان ، فخدمت هذه السورة العمياء واخذ الاطباء يقللون من وصف الغول في معالجتهم ، ويحدون استعماله ومن العلماء اليوم من يحرم استعماله بتاتا .

تأثيره الفسيولوجي — اما درس تأثير الغول الفسيولوجي فيرد تاريخه الى أواخر القرن التاسع عشر . وقد تخلل هذا الدرس صعوبات حمة ، منها ما هو ناشئ عن المعنقات والآراء الخارجة عن العلم ، ومنها ما هو حاصل من اختلاف طرق التجارب العلمية وتعدد أنواع الاثربة الروحية ونوع تراكيها . ومما يجب ملاحظته واعتباره في درس تأثير الغول الفسيولوجي . مدة استعماله ، والسن ، والجفس ، والبنية ، والوراثة ، وصحة الجسم ، وحالة الكبد ، والكليتين ، والجهاز العصبي . وذلك لان اكل من هذه العوامل تأثيراً خاصاً في تكيف فعل الغول في الجسم البشري .

وقد تبين من التجارب التي قام بها الاستاذ بوشه (Pouchet) ان الكمية اللازمة لقتل الانسان الكمل المعتدل الجسم الذي لم يألف شرب الغول البتة ، هي ستة غرامات غولاً اكل كيلو غرام من وزنه ، فالرجل الذي وزنه خمسة وستون كيلو غراماً يقتل اذا

شرب ٣٩٠ ثلاثمائة وتسعين غراماً من الغول الصرف اي تسعمائة غرام من العرقى او القونياق . وقد شاهد طفلاً عمره ستة أشهر أعطي شرباً فيه ملاعق قهوة من القونياق فمات في تسع ساعات . و يختلف تأثير الغول حسب ما يكون صرفاً او ممزوجاً ونسبة تمدد هذا المزج .

هل الغول غذاء — ومن أهم المسائل التي تنازعت فيها آراء علماء الفسيولوجيا زمناً طويلاً مصير الغول في الجسم البشري . وهل هو غذاء كاللبن والسكر . فمن الاطباء من كان يقول بان الغول يحترق في الجسم كسائر الأغذية . ومنهم من قال بانه يجناز الجسم اجتنيازاً دون ان يغول فيه تحولاً يستحق الذكر ومن دعاة الفريق الاول ليبيج (Liebig) فهو يقول بان الغول يقوم في الغذاء مقام المواد السكرية والنشوية . وهو يفضلها و يفضل المواد الزلالية ايضاً كاللحم والبيض لان الغرام منه ينشر سبع سعرات (والسعرة هي الكالوري) بينما الغرام من اللحم والسكر لا ينشر سوى ثلاث سعرات ونصف الى اربع سعرات . وقد ظل هذا الخلاف قائماً ما بين الاطباء الى ان قام شوفو (Chauveau) عام ١٩٠١ بسلسلة تجارب على الحيوانات درس فيها قيمة الغول الغذائية بالنسبة الى المواد السكرية . وقد أسفرت هذه التجارب عن النتيجة الآتية :
ان ابدال قسم من السكر بقسم يعادله من الغول في قوام غذاء الرجل الذي يشتغل يحدث نقصاً في قيمة العمل العضلي المطلق .

وفي سنة ١٩٠٢ قام انواتر وبنديك في اميركا بتجاربهما المشهورة ، وهي التي تقوم عليها أفكار العلم الحاضرة . وخلاصتها : « ان الغول يحترق في الجسم ، عدا قسم صغير يفرز بواسطة الكليتين والجلد والرئتين » . وبما ان قيمة الاغذية كانت تقدر في ذلك العهد ، اي قبل الحرب العامة بمقدار السعرات ، اي الحرارة التي تصدرها . استفاد باعة الغول وتجاره من نتائج تجارب انواتر وبنديك ، فاستثمروها لمصلحتهم واخذوا بطرود منافع الغول الغذائية بالفسحات والصحف اليومية ، تحت عنوان : (الغول غذاء) ولكن لم تلبث هذه النظرية طويلاً حتى بدا خطأها . فقد برهن روبنير (Rubner) على ان الحرارة التي يمدتها الغذاء هي عرض ، وليست هي الغاية . وان نظرية تنظيم الاغذية

بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها فاسدة ، وإن قيمة الغذاء تقدر بحسب ما يستفاد من قدرته في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، ولو لم يكن الامر كذلك لساخ انسا ان نستعمل بدل غول الخمر غول البطاطا . مثلاً الذي يستعمل للشعل لانه يحدث حرارة اكثر منه . هذا وقد صرح انواثر بنفسه وكتبه هي كلمة سائر علماء الفسيولوجيا اليوم ، بانه اذا كان الغول بمعد غذاء فهو غذاء سيئ ، غذاء مكروه ، لانه يخرب الجسم اثناء اشتعاله فيه . هذه آخر كلمة علم الفسيولوجيا في أم خاصة كان يتمتع بها الغول حتى اواخر الحرب العامة . ولننظر الآن - في تأثيره في أجهزة الجسم البشري كل منها على حدة .

تأثير الغول في الجهاز الهضمي - عندما يشرب المرء جرعة خفيفة من الغول يشعر في ناحية معدته بحرارة لطيفة ، اما اذا كانت الجرعة كبيرة فان هذا الحس يكون سيئاً ، واذا تجرع الانسان الصحيح مقدار خمسة غرامات اي درهما ونصف درهم من الغول الممدد بالماء بنسبة ثلثيه فان هذه الكمية تحدث زيادة في الافرازات المعدية الهاضمة . اما اذا أدمن الانسان الشرب ، فان كمية الافرازات المعدية تنقص و يقل فيها فعل الهضم وتصلب أنسجة المعدة وتلشأ عنها الالتهايات وسوء الهضم المزمن والتي الذي يشاهد غالباً عند السكيرين .

تأثيره في الدم - عندما تمتص المعدة الغول يدخل الدم فيخفف مائه ويخرب من كرياتة الحمراء ويزيد في عدد كرياتة البيضاء ويتحد مع اوكسيجين الدم ليتحول الى حامض خلي وخللات الصودا فتتقص قلوية الدم وتوقف المبادلات الحيوية .

تأثيره في الجهاز الدوراني - ان الجرعات المتوسطة من الغول تحدث باديء بدء زيادة في عدد ضربات القلبية لا تلبث ان يعقبها تناقص . ويزداد الضغط الدموي في باديء الامر ثم يخف . اما اذا كانت الجرعات كبيرة ، فان فعل الغول الفالج يظهر حينئذ جلياً وتتناقص سعة ضربات القلب ويخف الضغط الدموي ويقع عدم الانظام في الحركة القلبية . ويحدث إدمان الغول تصلباً في الشرايين الشعرية وفي الادرية

ولاسيما أوردة الاطراف السفلية ، وعصبدة سيف أوعية الدماغ تنشأ عنها جميعاً امراض القلب واوجاع الساقين والفالج .

تأثيره في الجهاز التنفسي — ان الجرعة الخفيفة من الغول تزيد في سرعة التنفس وسعته ، وكية امتصاص الاوكسيجين ، ونبذ حامض الفحم ، ويعقب هذا التزايد نقص في هذه الافعال ولا سيما اذا كررت الجرعات فيحصل بطأ في التنفس وبصير سطحياً ونقص المبادلات التنفسية فنتمرض الرئة بالالتهابات كذات القصبات المزمنة وذات الرئة والغرغرينا والسل الرئوي . اما تأثير الغول في الشجرة فانه يحدث فيها التهاباً مزمناً يولد خشونة في الصوت يعرف مدمنو السكر منها لاول وهلة .

تأثيره في الحرارة والمبادلات — يعتقد كثير من الناس ان الغول يزيد في حرارة الجسم ، فهذا الاعتقاد باطل مخالف للحقيقة ، فان الجرعة الخفيفة من الغول لا تحدث تبديلاً في حرارة الجسم . اما الجرعات الكبيرة فقد سبق لنا القول بانها تحدث بطأ في ضربات القلب ، وهبوطاً في ضغط الدم ، وتوقفاً في المبادلات الدموية . فينتج عن ذلك هبوط في حرارة الجسم . قال الاستاذ بوشه : « تهبط الحرارة المركزة عند التملين الى درجة ٣٠ او ٢٦ وهو هبوط عظيم » . ولهذا يحظر الطب استعمال المشروبات الغولية في الاسفار الباردة لان الحرارة التي يشعر بها الشارب هي حرارة وهمية ، وضحايا القولياقي في الاسفار الباردة عظيمة ومشهورة .

تأثيره في اعضاء التناسل — قال لانسرو (Lancereaux) ان ادمان الغول يحدث ضمور المبيض عند المرأة . وقال برنوله (Bertholet) شاهدت اثناء تشريح جثث مدمني السكر ضموراً وتصلباً في الخصى ولم أشاهد الحيوانات المنوية في ست وثمانين من المئة من الحوادث التي شرحتها ، وهذا يوضح لنا اسباب العقم والعنة المشهودين عند كثير من مدمني الغول .

تأثيره في الكبد — ان التسمم المزمن بالغول يحدث تخریباً عظيماً في خلايا الكبد والفسج الخلالي ، وينشأ عن هذا التخریب امراض كثيرة ، منها اليرقان الخفيف ومنها تورم الكبد وتشحمه وتضخمه وضموره وتشحمه والاستسقاء وتزيف الدم المعوي والبواسير .

افراز الغول — ان التجارب التي قام بها نيكلو (Nicloux) وافرها مجمع العلوم اثبتت ان الغول يفرز بواسطة البلغم واللغاب وعصارة (البنكرأس) والصفراء ومائع النخاع الشوكي والمني واللبن عند الموضع والمبعض والبروستات والمثانة ، فان الرجل الذي يلامس امرأته في حال السكر يفرز حويصلات منوية ثملة يأتي ولده من تأثيرها معرضاً لداء الصرع والالتهابات الدماغية . وان المرأة التي تنجرح قبل الولادة بساعة مقداراً من القونياق يشاهد الغول في دم الجنين بعد الولادة ، وان المرأة التي ترضع ولدها وهي سكرى ، تسكره وتعرضه لامراض عصبية وخيمة . وقد اهتمت الامم المتقدمة اهتماماً عظيماً لهذه النتائج العلمية لما لها من العلاقة الكبرى في تربية الاطفال واصلاح النسل .

تأثير الغول في الجهاز العصبي — ان للغول ولوعاً خاصاً بالاعصاب فهو يؤثر فيها مباشرة فينبهها باديء بدء ثم يحدث فيها خدرًا فاسترخاءً فالفالج حسب قلة الكمية المأخوذة وكثرتها . وقد تبين من التجارب التي قام بها اخيراً هان ماير : ان للغول تأثيراً كبيراً في الاعصاب ، فهو يذيب شعومها ويحدث انقباضاً في زوائد العصبيات فيضعف فعلها ثم يبطله ، فالغول والحالة هذه مخدر غير منبه كما يظن ، وما النشاط الموقوت الذي يشعر به التمل باديء بدء الافعل منعكس عن اعضاء الحس ولاسيما الذوق ، وقد اظهرت التجارب العلمية ان الكمية المتوسطة من الغول التي لا تتجاوز العشرة دراهم تساعد برهة قليلة على زيادة العمل ولكن هذه الزيادة لا تلبث اكثر من عشرين دقيقة حتى لتلاشى ويعقبها نقص في القوة العضلية ، وقد ابدت تجارب اندية الرياضة البدنية ومشاهداتها هذه الحقيقة العلمية . والغول مبطل للحس خلافاً لما بدعيه شاربوه من ان احساسهم يزداد بشربه ، اما سبب ادعائهم هذا فنشئ عن نقص شعورهم بفعل الغول المخدر ، فالتمل لا يحس بالآلم ، وقد استخدم الجراحون هذه الخاصة قديماً لتخدير المرضى لاجراء العمليات الجراحية الكبيرة .

اما الحالات المرضية التي تنشأ عن هذه التأثيرات فاهمها : الرعشة والآلام العصبية وذات الاعصاب المجتمعة ووهن الاعصاب والفالج . واذا استطلعنا احوال عشرة اشخاص من معاصري المشروبات الروحية نجد ان الثمانية منهم يشكون وهناً في عضلاتهم وهبوطاً في

قوام الجسمية والعقلية وثقلاً في رؤوسهم وتغيراً في طباعهم ، اهمه الحدة وسرعة الضجر ، واذا قلت لم ان هذه الاعراض ناشئة عن شرب المسكر يجيبونك سلباً بان هذه الاحوال تزول بتناً بشرب الغول ، وما ذلك الا لان الغول مبطل للحس ، وهل من شعور لمن يطل حسه .

قال لغران (Legrain) في كتاب التسمات من مجموعة الامراض الباطنة والمداواة المطبوع سنة ١٩٢٣ « ان اصغر كمية من الغول تحدث اضطراباً في الافعال الدماغية الطبيعية ، واذا كان هذا الاضطراب لا يقع تحت ادراك حواسنا لدقته فهو يبدو لنا جلياً عندما تزداد كمية الغول ، ويؤول غواة الغول هذه الاختلالات الدماغية تأويلاً مخالفاً للحقائق العلمية مستندين الى الحس الذاتي المتسم وهل للر يرض من شهادة تقبل مغضين الطرف عن تجارب العلم ومشاهداته ، واهم هذه الدعايات المخالفة للعلم هي ان الغول منبه ومنشط ، على حين اثبتت التجارب انه مخدر ومنوم . اما النشاط الذي يشعر به السكيريون فما هو الا اشارة الى اختلال الموازنة في الملكات النفسية العصبية ، فهو خطأ حسي متولد من تخدير قوة المراقبة النفسية » ومن النوادر التي تروى عن ابي نواس وهي تدل دلالة واضحة على نقص ملكة الشعور الباطن وشلها اثناء السكر ما روي من انه شوهد يوماً يضحك من رجل سكران اقيه في الطريق ويسخر به ، فقيل له لم تهنأ به وانت في كل يوم مثله : فاجاب اني والله لم اشاهد في حياتي سكراناً قبله ، وذلك اني اول من يسكر وآخر من يصح .

تأثيره في الاخلاق — اما السكر المزمن فانه يقود حتماً الى فساد الطباع والغرائز وضعف الفاعلية وفساد الانفعالية ، فيعتري المرء الضجر والملل ويصبح شرس الخلق ، لا ثبات له على العمل المنتج ، ويفقد الشعور العيالي فلا يهتم بواجباته الزوجية ويهمل مصالح بنيته ، ويختصر همه في الحصول على ما يتطلبه من الغول بدافع الاحتياج الجسدي ، وكثيراً ما يقوده هذا الاحتياج الى بذل ماء وجهه ومعاشرة الادنياء والسفهاء ، وفقد الغيرة على العرض وارتكاب الجرائم البذيئة الدنيا ، ثم تضعف ملكاته العقلية رويداً رويداً ، وتعتبره الهذيان العارضة والالهام ، والصرع والعنة الى غير ذلك من انواع الجنون ،

ونظرة خفيفة في احصاءات مستشفيات الامراض الباطنة ودور المجانين واحصاءات السجون والمحاكم ، وجولة خفيفة ما بين جدران هذه المصانع العامة تكفي لتأيد هذه الحقائق العلمية الراحنة . فان القسم الاوفر من الجناة والمجانين والمرضى بالآفات العصبية والقلبية والاستسقاء هم ضحايا الغول ، ضحايا المشروبات الروحية ، قال غلادستون : وحسي بقول هذا السياسي الانكليزي الشهير حجة على صحة ما قدمت « ان مضار الغول تربو كثيراً على مضار الطاعون والحرب معاً » . « ولا غرو فقد قال لگران (Legrain) فاننا اذا جمعنا ما تنفقه الامة الواحدة من الاموال لشراء المواد الاولى الخاصة بصنع الغول كالغيب والحبوب والثمار السكرية وما تنكبه من النفقات على دور المجانين وعلى حياة النفوس التي نقصفها المنون قبل ابتاعها ، وعلى العاهات الوراثية ، وعلى المتشردين وعلى الجناة ، الذين كان الغول علة آثامهم وآلامهم ، نجد امامنا مجموعاً يربو على المليار من الفرنكات ، نقف امامه نفقات الحرب العالمية الكبرى وضحاياها صغيرة حقيرة ضئيلة ، مما أهاب بالحكومات والعلماء ، والقسم المتعلم من الامم ، ودفعهم الى أن ينادوا بملأ أفواههم العدو الداخلي هو الغول . »

تلك كلتي ايها السادة في تأثير الغول في جسم الفرد . اما مضاره في نفسيته وفي الامرّة وفي الامة فهي ادعى وانكى .

(البحث صلة)

المتنبي

- ١ -

اول عهدي به - درستنا في الماضي والحاضر
كتب التراجم

أرجع بالخاطر الى الماضي ، وبيني وبين هذا الماضي سبع عشرة سنة ، وما هي هذه البرهة قياساً بالزمان الذي لا نهتدي الى اوائله ، ولا ننصل باواخره ، ما هو العمر كله سواء اطلال هذا العمر أم قصر ، وسواء التمت جنباته أم عبست ، ما هو عمر الانسان الى جنب أعمار العوالم في الطبيعة ، وإلى جنب أعمار طبقات الارض . ما لنا ولهذا التعجب فاننا اذا أمعنا في اشياء هذه المسائل غرقنا في خضم الزمان ، وتبين لنا اننا لم نك شيئاً في العالم ، أرجع بالخاطر الى الماضي ، وقد كان الشباب مثيد الغصن ، أملد العود ، وكانت البال هادئاً والفكر ساكناً لم يشغله شيء من شواغل الحياة وما أكثر شواغلها اللهم الا انصرافه الى الادب وتمتعه بآثاره الخالدة ولكن هل كنا نفهم هذه الآثار ؟ هل كانوا يفهمونها ايها ؟ هل كان يحسن فهمنا وتفهمهم ؟ كنت ورفيقي لي اذا اغتنمنا خفة من زحمة مدرستنا نتردد الى مكتبة مطمئنة مسنقرة لبس فيها شيء من العظمة وانما عظمتها في حقارة شأنها كنا نلذنا هذه المكتبة في حي ريفي اي في حي النصارى فما كنا نجالس من الشعراء الا شيخنا ابا الطيب ولا كنا نحدث من الكتاب الا أستاذنا عبد الله بن المقفع .

اني لا أزال اذكر الابيات التي كنا نرددوها ونستعظمها ونحس لا نعرف السر في عظمتها ، ومن هذه الابيات ، وهي كريمة علي ، لانها رفيقة الصبوة وشقيقة الروح :
وانا لتلقى الحادثات بانفس كثير الرزايا عندهن قليل

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبوري
عضو الجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

يهون علينا ان تصاب جسمونا وتسلم أعراض لنا وعقول
 واحتمال الاذى ورؤية جانيه غذاء تضىء به الاجسام ومنها :
 ذل من يغبط الدليل بعيش رب عيش اخف منه الحام
 من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام
 ومنها في استعطاف سيف الدولة :
 ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم
 ومنها في رثاء جدته :

اتاهما كتابي بعد بأس وثرعة فمات مروراً بي فمت بها غما
 حرام على قلبي السرور فانني اعد الذي مات به بعدها سما

نعم هذه طائفة من الشعر الذي كونا نتحدث به انا ورفيقي من دون ان نخوض في شيء من الكلام على بواطن هذا الشعر او ننصدي لكشف الغطاء عن اسراره وانما كان يسحرنا بظاهره فيشغلنا جمال هذا الظاهر عن النظر في جمال الباطن فكنا نجعل المنني ونجعل طبيعة عبقريته وانما كونا تنفخ بشعره حتى اقترقنا فطرحتني النوى مطارحها واذا انا في شارع من شوارع الاسكندرية واذا انا في دكان وراق من الوراقين فأخذت عيني ديوان ابي الطيب الذي شرحه الشيخ اليازجي فاشتريت هذا الديوان وحفظت منه ما تنسبر لي حفظه وقد ذهب المحفوظ الا اقله وانا لم ازدد معرفة بالمنني وبحقيقة حاله وشعره وانما ازددت عبادة له .

هذا اول عهدني بشيخنا ابي الطيب وما قدمت هذا الكلام عبثاً ، ولا رجعت الى الماضي عرضاً ، فلم انعود ان اقلق غيري واضجره بكلامي على نفسي وانما المرء لا يكون اميناً كل الامين الا اذا جرى على لسانه ما تصوره فكره هذا ما قاله انا اول فرانس ، لم اعرض الماضي عليكم عبثاً وانما اردت ان اصف لكم طوراً من اطوارنا في فهم الادب ، اردت ان اصور لكم كيف كانت دراستنا للادب من سبع عشرة سنة ، كونا لا ندرى بشيء من جملة حياة الشاعر وجملة اخلاقه وطبائعه وجملة عبقريته ، حسبنا ان نستظهر بعض شماره ونروي هذا المستظهر في مجالسنا حتى يطبعنا الادب بطوابعه ويصبنا في قوالبه ، اما اليوم فلا يكفيننا ان نملأ أذهاننا ببعض ابهاث نجمع بها في محافل الادب ، تلك حالة

قد خلت ، ليس صاحبها في شيء من الادب ، قرأنا المتنبي فلم نعرف عنه كل شيء تهمننا معرفته ، لم نعرف اين ولد واين نشأ وكيف حصل وقراً ، وما هي اخباره من مبادئها الى خواتيمها ، كيف جال في الافطار وكيف اتصل بسيف الدولة ثم انفصل عنه ، وكيف قصد كافوراً ثم تركه ، وكيف عاد الى بغداد ثم خرج منها ، وكيف رحل الى بلاد فارس ثم غادرها فقتل في طريقه الى وطنه الكوفة ، قرأنا المتنبي فلم نخط بشيء من سلسلة اخباره ، فلم يتبين لنا طراز حياة المتنبي وما قصدنا ان نعرف انه اتصل بفلان او فلان من الوزراء والامراء ، وانما اذا عرفنا جملة اخباره استخلصنا منها نمط حياته فتبين لنا ان هذه الحياة كانت جياشة بالحوادث والفن فياضة بالقلق والاضطراب بكاد صاحبها لم يعرف الهدوء في يوم من ايامه ، ولم يذق الطمأنينة في ساعة من ساعاته ، اعصاب هائجة مائجة اذا حركوا منها طرفاً أنفضت ولا انفض البرق فوبل للذي مسها بسوء .

هكذا قرأنا المتنبي ، اما اليوم فاني احاول ان ادرسه واياكم على صورة اتم ، ووجه اكمل ، احاول اليوم ان اقرأ كل ما اهتدي اليه مما يتعلق بحياة المتنبي ، احاول ان اقرأ شعره وان ادون في دفترتي ما توحيه اليّ هذه القراءة ، وان احدثكم في كل اسبوع بما بقي في نفسي من آثارها على مختلف صفات هذه الآثار ، وعلى ما به لا بد لنا من ان ننقل الى وطن شيخنا ابي الطيب ونراقبه في اطوار حياته بمجامعها ونصحه في اسفاره كلها ، في جولانه في الشام وفي اتصاله بسيف الدولة ، وفي دخوله مصر وخروجه منها ، وفي رجوعه الى العراق وفي شخوصه من العراق الى فارس وفي مغادرته بلاد فارس وعودته الى وطنه وفي مقبلته على طريقه الى الكوفة ، لا بد لنا من ان نصحب شيخنا ابا الطيب من مبدأ منشأه الى خاتمة حياته وان نعنى بجميع ما حدث له من الحوادث في مجالسه كلها وما اكثر هذه الحوادث ، وان نستنبط منها طراز حياته وما ملئت به هذه الحياة من قلق واضطراب ، وما انقلب فيه من علو وهبوط لا بد لنا بعد الوقوف على دقائق هذه الحياة من معرفة مزاجه وخلقه مستندين في هذه المعرفة الى آثار عبقريته نفسها لا بد لنا من النظر في آثار عصره في شعره وآثار شعره في عصره ، ما الذي اوحاه اليه عصره وما الذي اوحاه الى عصره لا بد لنا من النظر في عبقريته وفي خصائصها راجعين في الاحاطة بهذه الخصائص الى مصادر شعره

وجملة القول : لا بد لنا من ان نعيش مع المنبي حتى نعرف من هو المنبي ، وقد يجوز أن يعرض لي في أثناء هذا كله فكر عام يحمره فكر خاص ، لان المرء اذا تصور موضوعاً وهياً له عناصره ثم اخذ قلمه ليكتب هم على ذهنه شيء ما كانت بتصوره ، كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف فقيلاً له في ذلك فقال نردحم الافكار في صدري فيقف القلم لتخيره .

اول ما يهمننا علمه الاحاطة بحياة المنبي من اولها الى آخرها ، والوقوف على اخباره وحوادثه من دون ان تكون هذه الاخبار مقتضبة مبعثرة فاذا وقع الانقضاب في الاخبار فالتنا صورة صاحبها المتكامله ، فاذا كنا نبحث عن حياة المنبي وتعرضنا في خلال بحثنا للكلام على شعره من دون ان يكون لهذا الكلام ارتباط بحياة صاحبه شاعت صورة هذه الحياة وقبحت فالاجدر بنا ان نرسل اخبار الحياة دفعة واحدة ، وقد عني الافرنجة بهذا النمط من الترتيب العناية كلها ، اذكر اني قرأت كتاباً عمله « اناطول فرانس » سماه العبقريّة اللاتينية ، وصف فيه طائفة من كبار شعراء فرانسة وكتابتها من جملة هؤلاء الشعراء (راسين) وكاد راسين يكون اكبر شعراء فرانسة عقده اناطول فصلاً في كتابه يشتمل على خمس وثلاثين صفحة لم يذكر فيها الا حياة راسين من صدره الى عجازها وقليلاً ما كان يتعرض للكلام على عبقريته في تضاعيف كلامه على حياته الا ما افنضاه المقام ، من هذا يتبين لكم مبلغ اخبار الكتاب او الشاعر في الادب الحديث لان لهذه الاخبار نعلماً بروح الشاعر وبأخلاقه وبطبائعه وبعقريته نفسها .

رجعت الى المصادر التي استطيع ان اهتمدي بها الى معرفة حياة المنبي من جملة هذه المصادر : ابن خلكان ، طبقات الادباء ، بئمة الدهر ، الصبح المنبي . تصفحت كتاب ابن خلكان فبدلاً من ان يبدأ بالكلام على مولد المنبي ثم على اهله ثم على تحصيله ثم على اخباره ثم على شعره ، بدأ بالكلام على تحصيله ثم انتقل الى الكلام على شعره ونثره ثم ذكر نظر الناس فيه ثم رجع الى اخباره ثم بين مولده ثم ذكر نسبه حتى ركب البحث بعضه بعضاً دون شيء من الترتيب وكذلك صاحب الصبح المنبي فانه عوضاً عن ان يروي لنا اخبار المنبي دفعة واحدة رواها على صورة مفرقة مبددة وانه ليروي لنا اخبار المنبي عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا فجأة الى اخباره عند ابن العميد ، بحيث قضيت ثلاث ساعات ونصف ساعة في التدقيق والتحصيل حتى اجمع اخبار ابي الطيب كلها ، واصل بعضها

ببعض من بدء حياته الى يوم مقتله ، فلو ذكر صاحب المنبي الاخبار دفعة واحدة من دون ان يتخللها شيء من نقد الشعر او غيره مما لا محل له سبفه فصل الاخبار لكفى القاري كثيراً من العناء . ادبنا في القديم لا يزال فوضى ينقصه كثير من الترتيب ، وهذه حقيقة واضحة حتى ان هذه الفوضى قد حملت بعض الناس على ان يعتقدوا اننا لا ادب لنا في القديم ، او ان هذا الادب لا قيمة له . وما اعتقدوا هذا الاعتقاد الالفة الترتيب في ادبنا فلو روى المؤلفون اخبار شاعر من الشعراء على حدة حتى نستخلص من هذه الاخبار طراز حياته باجمعه . ولو نقدوا شعر هذا الشاعر على حدة حتى نستنبط من هذا النقد رأيهم في الشعر دون ان يتخلل الاخبار شيء من النقد . او ان يتخلل النقد شيء من الاخبار مما لا يتعلق بالنقد . لو فعل المؤلفون هذا كله لكان ادبنا في شكل اتم ، فاذا لنا ادبنا في القديم فوضى فما في مقالنا شيء من المبالغة . وما اظن ان ادبنا في الحديث فحسن ترتيباً . ومن المؤلم ان يدعوا استاذ روسي في المجمع العلمي في لينغرد وهو الاستاذ اغاطيوس كراتشكوفسكي ادباء العرب الى تنظيم ادبهم في هذا العصر قبل ان يفكر احد امن هؤلاء الادباء في التنظيم ، فقد كتب هذا الاستاذ مقالة بالعربية مماها : درس الادب العربية الحديثة — مناهجه ومقاصده في الحاضر — نظر واقتراح — وارسل مقالته الى مجلة المجمع العلمي في دمشق ، وستظهر هذه المقالة قريباً في مجلة المجمع . وقد قرأناها كلها فان صاحبها دلنا على ما يجب علينا ان ننهجه من المناهج في ترتيب ادبنا الحديث واقترح ان يكون دخول نابوليون مصر فاتحة عصر هذا الادب .

دمشق : في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

المحاضرة العاشرة

وطن المتنبّي

خذ العذراء

- ٢ -

« موقع الكوفة — اوليتها - وصفها »

انقل بكم في غسق ليلتنا هذه من البلد الذي رمى ظله عليه جبار بني أمية الى البلد الذي أوفت ظلاله فيه جبار بني العباس ، انقل بكم من دمشق الى بغداد :
محضتك يا بغداد ودي على النوى واني ان أمحض ودادي أصدق
فما يردي لولا الفرات بمورد لظنّ ان يشرب من الماء يشرق
ولا دجلة لولا مناهل جلق بمجرى برود كالرحيق مصفق
انقل بكم من شواطئ بردى الذي نكاد نسمع نجواه وراء قاعة مدرستنا الى شواطئ
الرافدين : دجلة والفرات ، تصوروا الام التي طوتها هذه الانهر الثلاثة ، تصوروا
العقريات التي نبتت على ضفاف هذا الماء السادر في غلوائه ، الجامح في خيلائه ، الذي
ما انفك يسخر في ماضيه وحاضره وآتبه من كل جبار عنيد . ماذا ولهذه الذكريات
الايمة ، استغفر الله . وهل الامم الا سلاسل ذكريات . هل كان الحاضر الا ابن الماضي
هل كان الا آتي الا نتيجة الحاضر ؟ . انقل بكم من منازل العصاة الذين نادهم حسان
في الزمان الاول بجلق ، من منازل ابناء جفنة على يردي الى منازل النعمان على الفرات
من منزهات الغوطة جنة الدنيا الى منزهات الخورنق والسدير .

اني لاجوز هذه المواضع كلها دون ان اقف بكم على موضع منها ما خلا موضعاً طلع
على الدنيا والناس من عشرة قرون ونيف برجل ملا الدنيا وشغل الناس ، وقبج بنا ان
نقلق شيخنا ابا الطيب في ضيعته ونبعثه من مرفده من غير ان يطوف بالوطن الذي انبت
امثال ابي الطيب ، ولا مثيل له ، ونعرف شيئاً من خصائص هذا الوطن ، والمرء ابن
ارضه وسمائه ومائه وهوائه بأخذ من تربته ويعطيها ولناجيه ويناجيها يؤثر فيه كل ناحية

من نوحى هذه التربة فلا يتخلص من عوامل طبيعتها ولا ينسلك من عوامل السياسة والاجتماع والتاريخ في آفاقها ، على ان بعضهم لم يجعل للبيئة المقام الاول سيف نشوء العبقريات ، قال الاستاذ برونثير :

« لا ننسوا ان المرء وان كانت بيئته تؤثر فيه فهو يستطيع ان يتخلص من آثارها وانه يستطيع ان يصرفها في مصالحه وقد أجمع علماء الطبيعة على هذا الامر ، لاشك في انهم لا ينكرون آثار البيئة ولكنهم بعيدون عن ان يجعلوها حتى في علم الحيوان المحل الذي جعله لها (نين) في مذهبه » .

وسواء اتركت الكوفة في شعر ابي الطيب أثراً من آثارها ام لم تترك . وسواء اكان هذا الاثر غامضاً ام كان واضحاً لا بد لنا من السياحة في الكوفة .

اين هو هذا الوطن على التحقيق ، نقرأ ان المننبي ولد في الكوفة في محلة يقال لها كندة ، ولكننا قليلاً مانهم بمعرفة موقع الكوفة قليلاً ما نبالي بمعرفة طبيعتها ولا نسأل هل تغنى المننبي بوطنه ، هل عبق وطنه . وحسبنا ان نعلم ان الكوفة مدينة من مدن العراق . قال ياقوت في معجمه : الكوفة بالضم المصر المشهور بارض بابل من سواد العراق . لاشك في ان هذا التعريف العام لا يزال مبهماً ، فهو لم يزدنا علماً بموقع الكوفة ، فلم يبين ياقوت اين الكوفة من بغداد واين هي من دجلة او الفرات حتى انه أورد ابياتاً في هجاء اهل الكوفة من جملتها بيت من الشعر أتحاشى عن ذكره في مثل هذا المقام ، يدل هذا البيت على ان الكوفة قريبة من دجلة وهذا خطأ لم ينبه عليه ياقوت .

قال صاحب كتاب بلاد العرب الاستاذ (دي فرجر) مصّـر عمر البصرة على خليج فارس ، ومصّـر الكوفة على بحيرة الرهيمية . فأين الرهيمية ؟ بقول لنا الفيروزابادي في قاموسه المحيط : ورهيمية كجيمية عين بين الشام والكوفة . وهذا التعريف لا يقل غموضاً عن تعريف ياقوت للكوفة . وردت الرهيمية في شعر المننبي معرفة بال . لما خرج ابو الطيب من مصر ورجع الى الكوفة وصف منازل طريقه فقال في جملة ما قال :

فيا لك ليلاً على اعكش احم البلاد خفي الصوى
وردنا الرهيمية في جوزه وباقيه اكثر مما مضى
فلما انخسأ ركزنا الرماح بين مكارمنا والعي

من هنا يستدل على ان الكوفة واقعة على الرهبة او قريبة منها لانها آخر ما ذكر المنني في قصيدته من المواضع ، وقد ذكر عشرين موضعاً فبعد ان ورد الرهبة قال : ركزنا الرماح اي بلغنا الى الكوفة .

فالكوفة على التحقيق واقعة على الجانب الجنوبي من بغداد ، في الجانب الغربي من الفرات ، وبينها وبين بغداد مائة واربعون كيلومتراً وصفها عراقي لي فقال : فيها بساتين ولا تزال آثار مسجدتها القديم قائمة .

ولئن طولت الكلام على موقع الكوفة فقد نعمت هذا التطويل لنعرفوا قلة التوضيح وقلة التحقيق في كثير من كتبنا .

ما معنى الكوفة . ويسميتها قوم خذ العذراء وسماها عبدة بن الطيب : كوفة الجند فقال :

ان التي وضعت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند قد غالت بها غول
قال ياقوت في معجمه :

« قال ابو بكر محمد بن القاسم : سميت الكوفة لاستدارتها ، اخذ من قول العرب رأيت كوفانا ، وكوفانا بضم الكاف وفتحها للرميلة المستديرة ، وقيل : سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل اذا ركب بعضه بعضاً ، ويقال : اخذت الكوفة من الكوفان . هم في كوفان اي في بلاء وشر ، وقيل : سميت كوفة لانها قطعة من البلاد . من قول العرب قد اعطيت فلان كيفة اي قطعة ، ويقال : كفت كيف كيفاً اذا قطعت فالكوفة قطعة من هذا ، انقلبت الياء فيها واواً اسكونها وانضم ما قبلها . وقال فطرب : يقال القوم في كوفان اي في امر يجمعهم ، قال ابو القاسم : قد ذهب جماعة الى انها سميت كوفة بموضعها من الارض وذلك ان كل رملة يخاطبها حصباء تسمى كوفة . وقال آخرون : سميت كوفة لان جبل سائيزما يحيط بها كالكاف عليها . وقال ابن الكلبي : سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان ، وعليه اختطت مهرة موضعها . وكان هذا الجبل مرافعاً عليها فسميت به . فهذا في اشتقاقها كاف . »
نعم هذا في اشتقاقها كاف . وهذا اكثر من الكافي ، ثمانية اسباب في تسمية بلد ، يحار المرء في معرفة الاصح منها ، فيخرج من حيرته هادي البال ، مطمئن الفكر بقوله : والله اعلم .

مالنا ولهذا الفوضى ، فلننظر الى اولى الكوفة في الاسلام ، فلنرجع الى أوائل الفتح الاسلامي ، فلنرجع الى ايام عمر بن الخطاب دون ان نجاوز هذا الزمن مخافة ان نضيع في مجاهل العصور .

بنيت الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب على مقربة من أطلال الحيرة ، منازل المناذرة والاكاسرة قبل الاسلام . قال قوم : مضرت الكوفة في السنة التي مضت فيها البصرة وهي سنة ١٧ ، وقال آخرون : مضرت الكوفة بعد البصرة بسنتين ، وقالوا بسنة . والسبب في بناءها ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كانت نفد عليه وفود العرب بعد الفتوح وألوانهم شاحبة ، وسخسائهم متغيرة ، فكتب الى سعد بن ابي وقاص : ان العرب لا يصلحها من البلدان الا ما اصلح الشاة والبعر ، فلا تجعل بيني وبينهم بحراً . وعليك بالرف ، فوقع اختيار سعد على ارض يقال لها قبل الاسلام سورستان فبنى فيها الكوفة ، وكان اول ما خط فيها المسجد ودار الامارة وقد نزل الكوفة في أوائل الفتح الاسلامي جماعة من تزار واهل اليمن ، اما اهل اليمن فكانت خططهم في الجانب الشرقي من البلد وهو خير الجانبين ، واما تزار فقد كانت خططهم في الجانب الغربي من وراء الغابات ، اني الفنكم من اليوم الى منازل اهل اليمن في الكوفة فسير بكم ان المنني ينسب الى حي يمان فسكان اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول امرها في الاسلام أحبوا ان يسموا محلاتهم فيها ككندة احياء لذكر كندة ابي حي من اليمن ، والمنني ولد في هذه المحلة حتى قال قوم بدي الشعر بكندة ، بعنوان امراً القيس ، وختم بكندة بعنوان ابا الطيب .

هذا موقع الكوفة وهذه اوليتها ، افلا يليق بنا ان نسمع وصفها ، ونعرف طبيعتها وللشاعر ارتباط بطبيعة وطنه ، وصف الكوفة محمد بن عمير العطاسدي لعبد الملك بن مروان فقال : الكوفة سفلت عن الشام ووبائتها وارتفعت عن البصرة وحرها فهي برية مربعة اذا اثنتا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضاء الكافور واذا هبت الجنوب جاء لنا ريح السواد وورده ويا سمينه واترنجه ، ماؤنا عذب وعيشنا خصب .

ووصفها الحجاج فقال : واما الكوفة فبكر عاطل عنطاء لاحلي لها ولا زينة .

وكان علي اذا اشرف على الكوفة يقول : يا حبيذا مقالنا بالكوفة — ارض سواء
سهلة معروفة — تعرفنا جملها العلوقة ^(١) .

والظاهر ان الكوفة صبغت في بدء امرها بصيغة دينية فكان سلمان الفارسي يقول :
اهل الكوفة اهل الله ، وهي قبة الاسلام يحن اليها كل مؤمن ، وكان علي يقول : الكوفة
كنز الايمان وحجة الاسلام وسيف الله ورمحه بضعه حيث شاء والذي نفسي بيده لينصرن الله
بأهلها في شرق الارض وغربها كما انصر بالحجاز .

وقال سفيان بن عيينة : خذوا المناسك عن اهل مكة وخذوا القراءة عن اهل
المدينة وخذوا الحلال والحرام عن اهل الكوفة .

هذه صورة الكوفة التي عرضوها علينا ، ولكنها سرعان ما عركت بالنوازل وركبت
بالزلازل كما قال علي ، ولقد اشبه المنبي امه الكوفة فما ظلم فما كان الا ابن النوازل ولا
كان الا صنو الزلازل ، مارسته ومارسها وطاعنته وطاعنها فما هو ملأها ولا هي ملأته .

نعم هذا هو وصف الكوفة على قدر ما تبسر ، ولقد نشأ في الكوفة من الشعراء مطيع
ابن ابياس وحماد عجرد وابو دلامة ودعبل الخزاعي وابو العتاهية وغيرهم حتى قال بعضهم :
الشعر ميراث في الكوفة ، ولما استنفر علي اهل الكوفة لقتال اهل الشام ولم ينفروا معه
خطب فيهم فقال : اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقاً عزيزين تضربون الامثال ولناشدون
الاشعار ، تربت ايديكم وقد نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها
وشغلتهموها بالاباطيل والاضاليل » فالظاهر ان الشعر كان يجد في خد العذراء تربة
صالحة وهواءاً صالحاً حتى زعم حماد ان النعمان بن المنذر امر ففست له اشعار العرب في
الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض بالكوفة فلما وثب الخنار بن ابي عبيد الثقفي بالكوفة
سنة ٦٦ في سلطان ابن الزبير قيل له : ان تحت القصر كنزاً فاحنفره فأخرج تلك
الاشعار قال : فن ثم اهل الكوفة أعلم بالشعر من اهل البصرة .

وفي الكوفة نشأ اكابر النخاة معاذ الهراء والكسائي والفراء وابن السكيت فكانت
الشدوذ من طبع الكوفيين .

(١) هكذا ورد الضمير في تعرفنا والمقام يقتضي رجوعه الى الجمال .

وفي الكوفة نشأ اكابر علماء اللغة والادب كحامد الراوية والمفضل الضبي وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي وابن قتيبة وفيها نشأ كثير من الحفاظ .
من كل ما تقدم يتبين لكم ان الكوفة مدينة الشعر ومدينة النخو والشذوذ ومدينة اللغة ومدينة الدين . فقد ظهر فيها شيء من هذا كله وظهر على شيخنا ابي الطيب شيء من هذه الآثار باجمعها فالشعر من طبع المنني والشذوذ من سجيته واللغة مختصرة فيه الا الدين فاني لا اجد في شعره أبيات قلائل فيها شيء من النزعة الاسلامية اقتضتها طبيمة الحرب بين الروم والمسلمين .

واست أعني بهذا ان الكوفة هي التي خلقت الشعر في طبع المنني او طبعته على الشذوذ ولو كان الامر كذلك لوجب ان يكون شعراء الكوفة كلهم مثل المنني وانما المنني مطبوع على الشعر ومطبوع على الشذوذ . واذا كان للبيئة اثر في المرء فقد يجوز ان يكون للكوفة بعض الاثر في نحو هذا الطبع وليس في هذا شيء من المبالغة على ان هذا المقام انما هو مقام الكلام على وصف الكوفة ووطن ابي الطيب لا غير ، فلا أخرج عن هذا الكلام .

هذا آخر ما أحببت ان اذكره لكم مما يتعلق بالكوفة ، ولقد وددت لو ان خلد العذراء اثرأ في شعر المنني أبلغ من الاثر الذي وجدته فليتي لم أعرف الكوفة الا من شعر ابي الطيب . واذا الشاعر لم يتغن بوطنه فمن الذي يتغن به ؟ ان النفوس لتحرّكها محبة الألوان والأشكال اي أشكال هذا الوطن الكريم والوانه البراقة الوضاعة فتى استطعنا ان نتغن بحبالنا واودبتنا وبمروجنا وسهولنا ومتى استطعنا ان نتغن بهذا النسيم العليل الذي نشقه اباؤنا وأجدادنا ، وبهذا الماء العذب الذي وردوا عليه وصدروا عنه وبهذه الغوطة الغناء بحلى الطبيعة ، ومعنى الانس عرفنا حينئذ قيمة الوطنية الزقية الهادئة التي لا تقوى على قتلها العصور والأحقاب فما تكر عليها الايام الا ازدادت رسوخاً في القلوب وتمكناً من الصدور .

ان شيخنا ابا الطيب لم يبر وطنه الماهرة التي نريدها في هذا العصر فكأن فكرة الوطن حديثة ، ولكنها غير حديثة الا ان شعراءنا لم يعالجوها في القديم معالجتناها في هذه الايام . لم يترك المنني في شعره اثرأ للكوفة . ولكنه تغنى ببعض منازل قرية من وطنه

فتارة كنت أجد شديداً الحنين الى كندة محلته بالكوفة حتى جعل هذه المحلة بمنزلة والدته فقال لعلي بن ابراهيم النخعي :

امنسي السكون وحضرمونا ووالدي وكندة والسبيعا
ونارة كنت اجد له لا بوحشه وطنه اذا شطت به الذوى فهو أفاق يضرب في البلاد مكنسباً فقد قال
وما بلد الاناس غير الموافق ولا اهله الا دنون غير الا صادق
نعم مرة كان يستوحش فيشتاق الى وطنه والى اهل من مصر :
بما التعلل لا اهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

أحن الى اهلي واهوى لقاءهم وابن من المشتاق عنقاء مغرب
ومرة كان يستغني عن هذا الوطن فيطيب له المقام بكل ارض بأمل فيها ضيعة
او ولاية ، فقد قال الكافور في مصر :
اذا لم نطبي ضيعة او ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب
وقال له :

وكل امريء بولي الجليل محبب وكل مكان يفت العز طيب
والخلاصة لم يفتن ابو الطيب بالتربة التي أنبتته وبالهواء الذي شمه وبالظلال التي
أظلمته واذا حن في بعض الأحيان الى شيء من هذا كله وذكر بعض أماكن قريته
من وطنه اختصر الكلام ولم يطوله :

وايلاً توسدنا الثوبة تحته كأن تراها عنبر في المرافق
بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى توبها ثقبته الميخانيق
والثوبة موضع على مقربة من الكوفة .

وكم دون الثوبة من حزين يقول له قدومي : ذا هذا كا
على ان المنبي كان جواب آفاق قد دحا الارض فلم تشتد الغمة لوطنه .
كأنني دحوت الارض من خبرتي بها كأن بني الاسكندر السد ن عزمي
فكان اذا نزل منزلاً وكرمه اهل هذا المنزل وبلجوه . استطابه فلم يحن الى ربه .
دمشق : في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

نسب المتنبي

- ٣ -

اتصاله بقبائل اليمن - تأثير الدم - نخره بقومه -

فهم الناس لشعره - اهله

استوفتكم وانا اطوف بكم في « خد العذراء » على الجانب الشرقي من هذا البلد الطيب ، مهبط الشعر والعبقريّة ، وذكرت لكم ان اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول تمصيرها كانت خططهم ومنازلهم في هذا الجانب ، وهو خير الجانبين ، والمنبي ولد في كندة وهي محلة في الكوفة ، فكان اليمانيون الذين استوطنوا الكوفة ، احبوا ان يجهبوا فيها اسماء بطونهم ، فسموا محلة كندة ، وكندة ابو حي من اليمن ، وسموا محلة ثانية السبيع ، والسبيع بن سبع ابو بطن من همدان ، وهمدان قبيلة باليمن ، وقد جاء ذكر المحلاتين في شعر ابي الطيب ، ورويت لكم البيت الذي تضمنها :

امنسي السكون وحضرمونا ووالدتي وكندة والسبيعا

فلننظر هل للمنبي اتصال بهذه القبائل اليمانية وما هو نسب المتنبي .

لست ادري كيف يؤلفون في مثل هذا العصر ، عصر التثقيب والاستقصاء كتاباً يبحث بجذافه عن حياة المتنبي وخلق وشعره واسلوبه ، من دون ان يهتموا بالبحث عن اصل المتنبي ، سواء أكان هذا الاصل ظاهراً بعض الظهور ام كان خفياً بعض الخفاء ، لست ادري كيف يفهمون كلام الذي يقول :

وفؤادي من الملوك وان كان لساني يرى من الشعراء

من دون ان يعتنوا بالسؤال عن آباء الذي يحمل هذا الفؤاد ، فاذا خفي علينا اصل المتنبي ، خفي علينا ادراك روحه الذي يترق في شعره ، واذا نحن لم نفهم روح الشاعر فما الذي نفهمه من شعره .

اجمع الرواة على ان شيخنا ابا الطيب اسمه احمد ، وقد صرح باسمه في شعره .

تجعل المسك عن غداثرها الريح ونفث عن شنيب برود
 جمعت بين جسم احمد والسقم وبين الجفوف التسييد
 واجمعوا على ان اباہ اسمه الحسين ، فالمتنبي احمد بن الحسين ، ولكنهم اختلفوا في
 اسماء اجداده ، فقال بعضهم : هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، وقال
 آخرون : هو احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، ولئن اضطربوا في اسماء اجداده
 فقد اطبقوا على ان ابا المتنبي جعفي . قال صاحب طبقات الادباء : وذكر القاضي ابو الحسن
 ابن ام شيبان الهاشمي الكوفي ان عيدان كان جعفياً صحيح النسب . وعيدان السقاء لقب
 والد المتنبي ، فقد هداً بالنا من ناحية نسب ابيه ، فلننظر اليه من ناحية نسب امه فلنستمن
 بطبقات الادباء فقد جاء فيه :

قال ابو الحسن : وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت
 جار لنا وكانت من صلحاء النساء الكوفيات ، من هنا يتبين لكم ان والد المتنبي جعفي وان
 جدته همدانية ، فانكشفت لنا ناحية من نسبه نستطيع الاستعانة بها فلننبي اصل من
 الاصول ، فلندقق هذا الاصل على قدر الامكان .

قلت : نزل الكوفة في اول اسرها جماعة من اهل اليمن ومن هذه الجماعة همدان
 ومذحج ، وبهمدان ومذحج اسمعان زياد وهو امير البصرة والكوفة على القبض على حجر
 ابن عدي صاحب فتنه الكوفة في ايام زياد وعلى شباب همدان ومذحج في الكوفة كان
 يثني زياد فاذا علم ان بين السنة التي مصرت فيها الكوفة وهي سنة ١٧ وبين السنة التي
 ولد فيها المتنبي وهي سنة ٣٠٢ ثلاثة قرون على التقريب واذا احطتم من جهة ثانية
 باسماء ثلاثة من اجداد المتنبي تحقق عندكم ان اصل المتنبي من هذه القبائل البجائية التي
 رمت اظلالها على الكوفة في اول بنائها .

والد المتنبي جعفي وجدته همدانية فالمتنبي ياتي الاصل من الناحيتين من ناحية
 ابيه ومن ناحية امه وفي فضائل بيوتات اليمن يقول عبد الله بن عباس لبعض
 البجائية : لكم من السماء نجما ومن الكعبة ركنها ومن الشرف صميحه .

فلننظر الى المتنبي من ناحية ابيه . كان الحسين جعفياً صحيح النسب وجعفي على
 وزن كرمي من بطون سعد العشيرة وانما سمي سعد العشيرة لانه لم يمت حتى ركب

معه من ولده وولد ولده ثلثائة رجل وسعد العشيرة من قبائل مذحج وبيهان مذحج
أقر أبو عبيدة فقال : لسان العرب مذحج .

ولننظر اليه من ناحية جدته . كانت جدته همدانية صحيحة النسب ، وبفروسية
همدان اعترف ابن الكلابي فقال : وهمدان احلاس الخليل وفي همدان يقول الشاعر :

ناديت همدان والابواب مغلقة ومثل همدان سنى فتحة البساب
كالهندواني لم تغفل مضاربه وجه جميل وقلب غدير وجاب
وفيهم يقول علي :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ومن همدان اعشى همدان وهو شاعر كوفي من شعراء الدولة الاموية وكان
الزعمان بن بشير عامل حمص يقول فيه : هذا شاعر اليمن ولسانها —

بالفروسية والصلاح من جملة اخلاق القبائل التي ينتسب اليها المتنبي والبيهان
في هذه القبائل .

اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان نفهم كلام الذي يقول وفؤادي من الملوك . . .
فان الذي ينتسب الى قبائل فيها شيء لا يل اشياء من الفروسية والصلاح وان الذي
ينتسب الى جدة صالحة موصوفة بالحزم لا يستغرب فخره ان يخر .

نعم اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان ندرك روح المتنبي واسرار خلقه في الآتي
وليس من الضروري ان تكون جدة المتنبي صالحة او ان يكون جده او خاله او عمه فارساً
من الفرسان ، حتى يتوارث المتنبي عنهم الصفات وانما يكفي ابا الطيب ان يكون احد
اهل بيته . في القديم قد جمع شيئاً من هذه الصفات حتى ينتقل اليه هذا الشيء على سبيل
الميراث فالمرء يتوارث محاسن الصفات ومقايها عن اهل في قريهم منه وبعدهم عنه فقد
يتوارث عن ابيه او خاله او عمه وما بينه وبين واحد منهم الا قليل من الزمن وقد يتوارث
عن احد اقرار به في قديم الدهر مها كان مدى الايام بينه وبين هؤلاء الاقارب متراخياً
فالعرق نزاع .

قرأت مقالاً في مجلة بيار يز لعالم من العلماء خلاصتها اننا لو حوطينا في هذه الايام
بلاد الترك بعد ان تغيرت سماتهم عن سماتهم القديمة ومنعنا الام عن مخالطتهم وصر

الترك في بلادهم فلم يصبروا الى احد من غيرهم ولم يصبر غيرهم الى احد منهم ودام هذا الحصر الف سنة لرجعت هياثهم بعد الف سنة الى هياث الترك القدماء المعروفين بلونهم الخاص وبتركيهم الخاص وبصفتهم الخاصة .

من هذا يسهل عليكم ان تعتقدوا ان المتنبي انتقلت اليه صفاته التي سوف نكشف لكم في كلامي على اخلافه من احد اقاربه في الحديث او في القديم ولا عجب في هذا مادام ابوه جمعياً ومادامت جدته همدانية وفي جمعي وفي همدان صفات تشبه صفات ابي الطيب .

للدلم تأثير في العبقريات واطن انكم لا تزالون تذكرن مذهب (نبن) في النقد فقد اراد (نبن) ان يجعل للجنس وللبيئة وللزمن تأثيراً في القرائح والامزجة فمن البشر على مايقول من يجمع صفات الشجاعة والفطنة ومنهم من يعرف بالبلادة وقصر المدارك ومنهم من يعلم في التصورات والاختراعات ومنهم من يسف ومنهم من يختص بطائفة من الاعمال ونقوى فيهم طائفة من الفرائز كما ان من الكلاب ما يصلح للعدو والركض ومنها ما يصلح للصيد ومنها ما يصلح لحراسة الدور والمواشي .

وقد ذكرت لكم ان (نبن) قد ادخل عناصر حديثة في دراسة الآثار الادبية الا ان مذهبه لا يخلو من شيء من الافراط ، وقد اشار الاستاذ (برونثير) في اثناء كلامه على هذا المذهب الى ناحية الافراط في نظر (نبن) ان بعض اجناس البشر يصلحون لشيء لا تصلح له اجناس غيرها فقال (برونثير) لو صح هذا النظر على الاطلاق لامتنع علم ماوراء الطبيعة في الشعوب السامية مثلاً لان هذا العلم مشهور في الشعوب الآرية في الهند وعلى الرغم من هذه الشهرة فقد كان اكبر عالم في علم ماوراء الطبيعة في العالم كله رجلاً سامياً من بلاد البرتغال وهو سبينوزا .

ولئن كان مذهب (نبن) فيه شيء من الافراط فهو لا يخلو من شيء من الحقائق . فان للدلم تأثيراً في العبقريات . فقد تشتهر اجناس من البشر بامور لا يشتهر بها غيرها . وقد تعرف قبائل باشياء لا يعرف بها غيرها . كانوا يقولون مثلاً : جرأة بني الحرث . فتك مراد . بأس زبيد . كيد جمعي . مغارطي الى غير ذلك . وقد يتوارث اواخر القبيلة المحاسن والمساوي عن اوائها . فالمتنبي انتقلت اليه صفاته من احد اقاربه في

جعفي او في همدان على سبيل الارث . ولا يمكن ان يجمع المتنبي صفاته المعروفة من دون ان تكون مجموعة في احد أقاربه .

من كل ما تقدم استخلص ان ابا الطيب وقد صح نسبه في جعفي وفي همدان ولد وفي طبعه اشياء متوارثة عن اهل في هاتين القبيلتين . فهو لم تحدثه نفسه بهذه الاماني البعيدة من دون ان يكون منسباً الى اهل قد حدثتهم انفسهم بمثل هذه الاماني . واذا لم نشأ ان نفهم هذا كله فكأننا لا نشأ ان نفهم روح ابي الطيب .

فالشيخ ابو الطيب يماي الاصل من ناحية ابيه ، ومن ناحية أمه فهو عريق في يمانيته . وفي عربيته . وسأتكلم في الاسبوع الآتي بكلام على نغته بعروبيته . ومن الغريب ان المتقدمين من المؤلفين وفي حملتهم ابن خلكان وصاحب طبقات الادباء والشمالي وصاحب الصبح المنبي اقتصروا في كلامهم على ابي الطيب على ان قالوا في ابيه انه جعفي ، وفي جدته انها همدانية من دون ان يبحثوا عن أسرار هذه الصفات التي اجتمعت فيه . ومنهم من لم يشر الى أصله ، وأغرب من هذا كله ان صاحب كتاب ابي الطيب المتنبي الذي نشر كتابه في مصر من تسع سنين ، قد انبت ابا الطيب في اسوار المناب ، ورده الى ارض الاصول ، ولم يكتف بهذا كله فذهب مذهباً بعد ، فقد ذهب الى ان ابا الطيب نفسه كان بعترف في بعض شعره بوضاعة نسبه والخطاط اصله ومن هذا الشعر قوله في رثاء جدته :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد لكان اباك الضخم كونك لي أما

فظن ان ابا الطيب ينفي عن جدته كرم والدها ، وعجيب طراز هذا الفهم ، فابو الطيب يقول لجدته في هذا البيت : لو لم بأنك الكرم من نواحي اهلك لاناك من ناحيتي ، فكأنه يقول : انت بنت اكرم والد ، وانت أم اكرم ولد ، فقد جمعت اليك الكرم من ناحية اهلك ومن ناحية ابنك ، ولعمري كيف ينفي الكرم عن قومه من يقول في القصيدة نفسها :

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما

فاذا كان القوم الذين تأنف نفوسهم ان تسكن اللحم والعظم لا يملكون من كرم الاعراق شيئاً فمن الذي يملك هذا الكرم ؟ أفملكه اللاصقون لمجوسهم اللازقون بعظامهم الذين لم يخلقوا في جوة اعلى من جوة الحيوانية .

وكما انه اساء الى ابي الطيب في فهم هذا البيت فقد اساء اليه في فهم ابيات غيره من جملتها قوله :

ولست بقانع من كل فضل بان أعزى الى جد همام
فطن ان ابا الطيب ينفي عن جده عظيم همته والتمني بقول ولا يحتاج قوله الى دليل
لست أنفع من الفضل بان اكون منسوباً الى جد عظيم الهمة وانما أمتني ان اجمع شيئاً من
الفضل بنفسي فأبو الطيب يعتقد انه فاضل وابن فاضل .
من جملة هذه الابيات التي ساء فهمهم لها قوله :

نخر الفتى بالنفس والأفعال من قبله بالعم والأحوال
او قوله لباحث عنه :

انا ابن من بعضه يفوق ابا الباحث والفجل بعض من نجله
انما يذكر الجدود لهم من نفروهم وانفدوا حيله
فلا يستنبط من هذا ان المتنبي لا يفخر بعمومته وخؤولته وانما المتنبي يرجع في هذه
الابيات الى شغشته ، فهو يرى ان الفخر بالنفس وبالفعل أعظم من الفخر بالعم وبالحال
وهذا لا ينفي عن ابي الطيب فخره بالعمومة والخؤوله وانما يؤيده فكأنما المتنبي يريد ان
يجمع الى تالذ الفخر طريقه وهذا أبعد مجالات الهمة .
ولما قال :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسني نخرت لا يجوددي
وبهم نخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد
لما قال هذا ظنوا انه يعتقد ان قومه لا شرف لهم وانما الذي عناء بقوله هذا ان
قومه شرفاء وانهم نخر العرب كلها ولكنه اشرف من قومه .
ما رميت في كلامي هذا الى الدفاع عن منبت المتنبي وعن اخلاقه وانما اردت ان انبه
على خطأ وقعوا فيه مما يتعلق بفهم شعر المتنبي وما اظن انهم انبتوا ابا الطيب هذا المنبت
الا لان والده كان سقاء في الكوفة حتى قالوا :

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء حيناً يبيع ماء الحيا

فلو كان الحسين الجعفي من اصحاب النعم افكان الناس ينظرون الى المتنبي وابوه غني
نظروهم اليه وابوه سقاء ، فالمال وحده هو الذي حرّف الانظار ، ومتى كان المال مقياس
الاصول وكرم الاعراق ، افلا نجد في ايامنا من ابساء سلاطين آل عثمان ومن حاشية
قياصرة الروس الذين شنت السياسات شملهم في البلاد من يشتغل باحقر الصناعات حتى
لا يموت من الجوع ، افلا نجد من اصحاب الذم رجلا لا يعلم الا الله مقادير اخلاقهم الفاسدة ،
انا لا اريد ان اقول ان المتنبي نشأ الملك في بيته قديماً ولكنني لا اعتقد انه وضع ولا
اريد ان اعتقد انه كان يعترف بوضاعته .

اما وقد فرغت من الكلام على نسب ابي الطيب . فلننظر الى اهله في عصره واياه
فقد اشار في شعره الى امه وإلى جدته .

اما جدته فقد كان غالباً عنها في افطار الشام ، وطالت غيبته هذه ، وقد ارسلت
اليه كتاباً تشكو فيه شوقها اليه . وطول غيبته عنها . فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه
دخول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر الى بغداد وكانت جدته قد بشت منه ، فكتب
اليها كتاباً يسألها ان تسير اليه فقبلت كتابه وحثت لوفتها سروراً به وغلب الفرح على
قلبيها فقلتها فرثاها بقصيدة ملاًها من رقة العاطفة وصدقها ما تكلم فيها في اثناء كلامي على
شعره وفي هذه القصيدة ابيات تدل على شدة محبة جدته اياه . وعلى شدة محبة اياها
فن قوله في حبها اياه :

لك الله من مفجوعة بحبيها قتيلة شوق غير ملحقة وصما

ومن قوله في حبه اياها :

احن الى الكأس التي شربت بها واهوى لمثواها التراب وما ضما
ولا بعد ان جدته كانت تقرأ فكانت لتعجب من خط كتابه اليها ومن لفظه :
تعجب من خطي ولفظي كأنما ترى بحروف السطر اغربة عصما
وتلثمه حتى أصار مداده محاجر عينيه وانيابها سحما
وقد وصفها بالحزم فقال :

فوا أسفا الا اكب مقبلا لرأسك والصدر الذي ملثما حزما
واني أعتقد ان ابا الطيب قد توارث عن جدته هذه بعض صفاتها من مجملتها هذا الحزم .

واما أمه فلما اعتقل وطال اعتقاله كتب الى الوالي ابناً أشار فيها اليها :
 يدي ايها الامير الارب لا شيء الا لاني غريب
 او لام لها اذا ذكرني دم قلب في دمع عين يذوب
 وفي هذا البيت عاطفة الامومة والبنوة ولما كان في ارجان عند ابن العميد عمل شعراً
 في ابن العميد قال له في جملته :

يا ليت باكية شجاني دمعها نظرت اليك كأنظرت فتندرا
 ولكننا لا نعرف هذه الباكية التي بكت على فراق ابي الطيب وأحزنه دمعها .
 وكان له ابن اسمه محمد صحبه الى بلاد فارس ويظهر ان محمداً كان شاعراً . نقل
 صاحب الصبح المنبئ عن باقوت ان المتنبي كان جالساً بواسطة فدخل عليه رجل وقال :
 نريد ان تجيز لنا قول الشاعر :

زارنا في الظلام بطلب سترنا فافتضحنا بنوره في الظلام
 فرفع ابو الطيب رأسه وكان محمد واقفاً بين يديه وقال :
 يا محمد قد جاءك بالشمال فأته باليمين فقال محمد ارتجالاً :

فالتجأنا الى حنادس شعر سترنا عن أعين الاوام
 وقد قرأ الشيخ اليازجي انه وجدت له في احدى نسخ الديوان أبيات بعد فواره من
 مصر يظهر فيها شوقه الى ابنه محمد والى شيخ يقال له الحسين ، من هذه الابيات :
 لولا محمد بل لولا الحسين لما رأيت رأيت رأيت بوهم العزم محتالطاً
 هذا هو اي وذالني خط مسكن ذا بمصر والشام التي دائماً خططاً
 والابيات كلها ثمانية وفيها اشارة الى هرب ابي الطيب من مصر ولكنها لا تخلو من
 تحريف اذا صححت اما محمد الوارد اسمه فيها فقد يجوز ان يكون محرفاً عن محمد واما الحسين
 فقد يجوز ان يكون شيئاً له وعلى كل الرواية غامضة .

هذا كل ما حققته من نسب المتنبي ومن اهله في عصره وايامه ، واما ما يتعلق بزوجته
 وبقية اهله فهو خاف علينا . دوشق : في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة المسمى باخبار المذاكرة »

— ٥ —

قال ابو الحسين فكنا في بعض الليالي بمحضرة ابن الفرات وهو يعمل
وانا مع ابي والمجلس حافل . حتى قرأ كتاباً من صاحب بريد الموصل يذكر
فيه ان ابا احمد هذا قد بسط (١) في الاعمال واظهر من المروءة امراً عظيماً
وركب بالابود الطاهرية وبعده حجاب وغلما ن حتى انه يسير معهم في موكب
وانه ورد معه من الزواريق (٢) والجمال التي تحمل اثقاله شيء كثير . وان
هذا ما لا يحتمله رزقه وانما هو من الاصل . فرمى بالكتاب الى ابي القاسم
زنحى الباقي الى الآن . وكان اذذاك حدثاً يخط بمحضرة . وقال له وقع عليه
ليكتب اليه ويعرف انه تقع الرجل من حيث تعمد ضره . لانه اذا كان
في مثل هذا الصقع عامل وجيه جليل كثير التجميل والهيبة والمروءة
صاح ان يبادر به السلطان الى مصر واجناد الشام متى انكر على عماله امراً .
لان هذه النواحي لا تصالح الا لمن كان حسن التجميل والمروءة كثير النعمة .
ثم أقبل على من في مجلسه . فقال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن سليمان ان
المعتضد رفع اليه خبر رقعة النوشجاني صاحب بريده يذكر فيها : ان الاخبار

« ١ » م . ع ؛ لعله تبسط او بسط يده . « ٢ » م . ع ؛ لم نجد الزواريق ولعلها
الزوارق جمع زورق وهو القارب .

ذاعت ببغداد بان حامد بن العباس لما دخل فارس متقلداً فيها لعمالتها دخل
ومعه عدد كثير عظيم من الغلمان والحاشية قال فتحيرت لما دفع الكتاب
اليّ وخفت ان يكون قد انكر ذلك ويقع له ان هذا اصطلام (١) للمال .
ودخاني فزع منه فلم ادر باي شيء أجيب . فقال لي : يا ابا القاسم وقد كان
كناه اول ما استوزره . وكان يتكنى على الناس الا على بدر وصاحب
خراسان . وكان هو وبدر يتكاتبان بالكاف والدعاء بينهما سواء . قال لي المعتضد
يا ابا القاسم قرأت الكتاب . فقلت نعم . فقال قد سرني ما ذاع من مروءة
حامد وهيبته بذلك في نفوس الرعية . فكم رزقه ؟ فقلت الفان وخمسمائة
دينار في الشهر . فقال اجعلها ثلاثة آلاف ليستعين بها على مروءته . قال ثم
قال ابو الحسن بن الفرات عقيب هذا وقد فعل المعتضد قريباً من هذا مع
ابي العباس احمد بن بسطام . فان المعتضد طالبه بعجز ضمانه واسط وجبسه
في دار ابن طاهر وألزم سبعين الف دينار يوءديها . فكان يصححها (٢)
على جميل وهو يوكل به من قبل المعتضد في دار ابن طاهر . وأصحاب عبيد الله
يطالبونه ويقتضون المال ، فكتب النوشجاني صاحب الخبر فيه انه كان
يفرق في ايام ولايته في كل شهر عشرين كراً حنطة ودقيقاً على حاشيته
وعلى المستورين والفقراء . وانه فرق في هذا الشهر الا كرا على رسمه
ولم يقطعها وهو مع ذلك يماطل باداء ما عليه . فلما دخل عبيد الله على

«١» م ، ع : اي استئصال . «٢» م . ع : كذا في الاصل وفي التاج صحيح الحساب

المتنضد اراد الرقعة . فسكت عبيد الله فقال له المتنضد : قد سرني هذا لان ابن بسطام رجل مشهور بعظم المروعة وكثرة المعروف وقد جملنا بما قد فعله حين لم يظهر ان ما قد الزمناه أحوجه الى الزوال عن عاداته في المعروف فكم بقي عليه قال بضعة عشر الف دينار فقال اسقطها عنه ورده الى عمله وعرفه إجمادي ما قد فعله . فامتثل عبيد الله ذلك .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا عبد الله احمد بن محمد بن بدر بن الاصمغ يحدث ابي قال كنت انصرف مع سليمان بن وهب لقراءة كانت بيننا من جهة النساء وكانت حالي بصحبته في نهاية السعة حتى انه كان يطحن الزعفران في داري كما يطحن الناس الدقيق الكثرة ما كان يجيئنا من الجبل ونستعمله ونهديه . فولي سليمان ديوان الخراج فكنت احد عماله فيه فوقعت بيني وبين ابنه عبيد الله نمرة فلزمت منزلي اياماً فما شعرت الا برقعة الحسن ابن محمد يستدعيني وهو يتولى ديوان الضياع وكانت بينهما مماظة (١) فضيت اليه فقال لي انت معطل ولا تصير الي وقد انفصل ما بينك وبين ابي ايوب فقلت يا سيدي كيف يفصل ما بيننا مع القرابة ولكن بيننا عتب . فقال دع ذا عنك انت معطل وماتبرح . قال واراد اجتذابي من جنبته وكان الناس اذذاك يتغايرون على الكفاة فقلدني اعمال السيب (٢) الاسفل وقسين (٣) وجيلا (٤)

«١» م.ع : منازعة . «٢» م.ع : السيب كورة من سواد الكوفة وهما سيان اعلى واسفل . «٣» م.ع : قسين كورة من نواحي الكوفة . «٤» م.ع : جليل اسم لاماكن كثيرة منها جبل قرب فيد وفيد بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة ولعلها محرفة عن جبل (بفتح الجيم وضم الباء المشددة) وهي بلدة بين النعمانية وواسط .

وكانت تجري في ديوانه فقبلتها وخرجت اليها وكان الارز قد قارب الادراك
فقدرته وعدت الى سر من رأى لاشرح له حال التقدير واستأمره في
العمل فلما بصر بي قال قد قدمت على فاقة مني البك قد تأذيت بالفلاحين
واريد لهم عشرة آلاف دينار سلفاً لما يقيمونه من جبل ياسورين (١) من
الشلج فقلت له الارز خافور (٢) وما بلغ الى ان يجرز فقل لا بد من ان
تستفرغ جهدك وحيلتك في هذا حتى تخفف عني . وكان اول خدمة فاحتجت
ان اضرب (٣) لاصنع (٤) نفسي عنده فخرجت مفكراً فيما عمله فلا قبالي
لقيني رجل من وجوه التجار في الطريق وكانت بيننا مودة وكان موسراً وكان
جميع متجره غلات السلطان فبداني على تركي مبايعته شيئاً بالاسلف من غلات
عملي فاجتذبه الى منزلي وقلت البيت لك فاحتفي (٥) ولو رأيتك ما عدت
عك . قال فاقام عندي يومه ولم ازل حتى بعته حساب الكر الارز المعدل
بسبعة دنائير وكنت قد قدرت الحاصل فيه للسلطان ثلاثة آلاف كر معدل
واستثنت عليه في كل كر ديناراً وأخذت خطه بضمانه تعجيل عشرة آلاف
دينار لمن يؤمر بادائها اليه ورحت الى دار الحسن بن مخلد فوجدته نائماً والناس
مطرحون في داره . ثم دخلت اليه وشرحت له الصورة فسر بها وأمر باحضار
صاحب مجلس النفقات في الديوان وسلم الرقعة اليه وقال أحل الفلاحين على هذا
التاجر . فلما خلا مجلسه تقدمت اليه وعرفته خبر الاستثناء واريته الخط وقات

« ١ » م . ع : ياسورين موضع فوق الموصل يقال له البلد . « ٢ » م . ع : الخافور بنت

كالزوان ولعله يريد ان الارز في حالته الحاضرة كالخافور . « ٣ » م . ع : اكتسب .

« ٤ » م . ع : اي اجملها . « ٥ » لعله سقط : بك .

الى من اسلم المال اذا قبض فلم يجبني فالحجت عليه فقال لي يا هذا انك صحبت قوماً لا مروءة لهم فتعودت منهم ان يطعموا نفوسهم الى (١) مضايقة خدمهم في هذا القدر وما هو اقل (٢) منه واذا اخذت انا هذا المرفق فانت لم تخدمني وتبغني خذ هذا واصالح به حالك ليبين عليك اثر خدمتك لي . فقبلت يده ورجله وعدت الى عملي واستخرجت المال ودبرت العمل . وحضر بعد مديدة النوروز وقد كنت مذخرت من حضرته سألت ثقات اخواني من التجار في الاسواق ان يجمعوا لي كل علق حسن غريب طريف مشمن (٣) من فرش ديباج مثل وابي قلمون مذهب ووشي وديقي (٤) مرتفع وقصب . قال فجمع لي من ذلك ما كان شراه ٥٠ خمسة آلاف دينار وهو يساوي اكثر منها بكثير ثم كتبت اليه رقعة في معنى الهدية وتضرعت في قبولها وتسببت لذلك وكتبت ثبت الهدية في اسفل الرقعة فكتبت الي فيها لك اكرمك الله بنات وهن الى هذا الحوج مني وقد قبلت ما يصالح قبوله انسا بك واسقاطاً للحشمة معك ورددت اليك الباقي ليكون لكن وكان الذي قبله ثوب قصب و مندبل دقيقي وشسته قصب .

حدثني ابو الحسين (٦) قال سمعت ابا عبد الله الباقراني يقول : وحكى لي ابي ذلك قال ان السجزية (٧) لما غلبوا على فارس اجلى قوم من اهل

«١» م . ع : الاظهر في مضايقة خدمهم الى «٢» بالاصل اومه . «٣» م . ع : ذي ثمن . «٤» م . ع : ثياب منسوبة الى ديق . بمصر . «٥» م . ع : الشرى والشرى . بمعنى واحد والقصر افصح . «٦» كتاب الوزراء لهلل ص ٣٣٩ . «٧» م . ع : السجزية بالفتح والكسر نسبة الى سجستان اقليم بين خراسان والسند وكرمان .

الخراج عنها لسوء المعاملة ففضوا (١) خراجهم على الموجودين وسموا ذلك التكملة حتى يكمل به مال قانون فارس كان متقدماً (٢) ولم يزل الحال في ذلك تريد تارة وتنقص أخرى الى ان افتتح ابو الحسن ابن الفرات في وزارته الاولى فارس على يد وصيف ومحمد بن جعفر العبرثائي (٣) ومن ضمه اليهما من القواد في سنة ٢٩٨ فأمر ابن الفرات باجراء الامر في التكملة على ما كان جارياً عليه وجرى الامر على ذلك في ايام محمد بن عبد الله الحاقاني وفعله علي بن عيسى في صدر وزارته الاولى فلما (٤) مضت منها مديدة صار الى مدينة السلام عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي وطعن على محمد بن احمد بن ابي البغل وكان اذذاك يتقلد فارس وذكر انه إن ضمن العمل مكانه وفر حمله (٥) من المال فضمنه علي بن عيسى وانصرف ابن ابي البغل عما كان يتقلده امانة وقلده اصبهان ثم أخرج عبد الرحمن بن جعفر المال واحتج بان اهل فارس يتظلمون من التكملة ولا يلتزمون بها. وكان ابو المنذر النعمن بن عبد الله يتقلد ديوان كور الاهواز مجموعة فكتب اليه علي بن عيسى ان يستخاف على اعماله وينفذ الى فارس فيطالب عبد الرحمن بما حل عليه من المال وينظر في هذه التكملة ويشرح امرها. وكتب الى احمد بن محمد بن رستم بان يصير من اصبهان الى فارس ليضمنها وكتب الى النعمن بحل ضمان

«١» م. ع. يقال فض المال على القوم فرقه. «٣» م. ع. كذا في الاصل واصل اصله. وكان، او الذي كان. «٣» م. ع. عبرتي قرية قرب الهروان النسبة اليها عبرتي على ما يظهر من التاج ومعجم البلدان. «٤» بالاصل فلما. «٥» م. ع. اعله جملة.

عبد الرحمن وعقد البلد على ابن رستم فاستخرج النعمن التكملة ووجد قطعة منها على عبد الرحمن قد قدر ان يكسرها (١) ففسقه (٢) وباع قطعة من املاكه عليه حتى استوفى ذلك وكتب اليه علي بن عيسى يسأله عن التكملة وان يشرح له امرها وانه قد صار يستضعف (٣) قوم فيلزمون منها اكثر مما يجب عليهم ويرهب قوم فيسأحون بها وبالكثيرها فكتب اليه النعمن وابن رستم ان من طرائف ما يجري بفارس ان الناس يطالبون بالتكملة وهي ظلم صراح سنة الخوارج ويترك عليهم ما قد اوجبه الفقهاء وهو خراج الشجر لان فارس افتتحت عنوة وليس على الشجر بها خراج وارباب الشجر يذكرون ان المهدي اسقط عنهم خراج الشجر وليس لهم حجة بذلك الا طول مدة الرسم والاصل وجوب الخراج على الشجر فتسامع اهل البلدان بالخبر فتبادر اجلاؤهم الى حضرة علي بن عيسى من فارس فدخلوا مجلسه للمظالم وفي اكمامهم حنطة محرقة فلما تظاهروا قالوا له تمنع من اطلاق غلاتنا وتعتقل علينا في الكناديج (٤) الى ان تعفن وتصير هكذا ورموا بالحنطة المحرقة من اكمامهم حتى نبيع شعورنا (٥) ونودي التكملة الباطلة حتى تطلق غلاتنا وقد احترقت هكذا ورمى قوم منهم من اكمامهم بتيين يابس وخوخ مقدد ولوز وفستق وبندق وغيره (٦) ونبق وبلوط وقالوا

«١» م. ع. كذا في الاصل ولعله من اكتمر بمعنى اقتطع. «٢» م. ع. اي ظلمه.

«٣» بالاصل: يستضعف قوم فيلزمون ورواية هلال اصح. «٤» م. ع. جمع كندوج الخزانة الصغيرة والخلية. «٥» عند هلال نفوسنا وشعور نساتنا. «٦» م. ع. الغبراء شجرة لها ثمر يغبر ثم يحمر ويقال لهذا الثمر غبراء ايضاً ويتخذ منه خمر يقال له غبراء ايضاً.

هذا كله بلا خراج لقوم آخرين والبلد عنوة فاما تساوينا في الاحسان او الاستيفاء . فخطب علي بن عيسى في ذلك الخليفة واستأذنه في جمع الفقهاء والقضاة ومشايخ الكتاب ووجوه العمال وجلة القواد ومناظرة القوم بحضرته وتقرير الامر على ما يوجب الحق عند الجماعة والعدل فأذن في ذلك فجمع الناس في دار المحرم التي كانت برسم الوزارة وصيرها علي بن عيسى ديواناً وطالت المناظرات واحتيج من حضر من ارباب الشجر بفعل المهدي وقالوا قد استهلكتم اموالنا في اثمان هذه الاملاك التي لخراج عليها وان الزمت الخراج بطلت القيم وافترقنا فافتي الفقهاء بوجوب الخراج وبطلان التكملة . وقال الكتاب ان كان المهدي شرط شرطاً لمصلحة في الحال او عناه^(١) اعتناه اهل البلاد في جذب او غيرها^(٢) ثم زالت المصلحة زال الشرط . فقال علي بن عيسى للقوم اليس عندكم ان ما فعله المهدي واجب؟ قالوا بلى : قال لم أليس لانه امام رأي رأياً ليس فيه مضرة؟ قالوا بلى قال : فن امير المؤمنين وهو الامام الآن قد رأى ان الاحوط للمسلمين والاحفظ للكافة الزام الخراج للشجر وازالة التكملة فقام اليه الزجاج ووكيع القاضي فوصفاه وقرظاه . وقال الزجاج لقد حكمت بحكم لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضراً ما تجاوزته . وقال وكيع لقد فعل الوزير في هذا كفعل ابني بكر الصديق رضوان الله عليه في مطالبة اهل الردة بالزكاة وانهى علي بن

«١» م . ع : هكذا في الاصل ولعل اصله او عناه اعتناه باهل البلاد الخ اي اهمه اعتناء بامرهم او الاصل عناه تعناه اي قاساه الخ . «٢» م ، ع : الظاهر او غيره .

عيسى والقضاة ما جرى الى المقتدر في يوم الموكب واستأذنه في كتب كتاب باسقاط التكملة عاجلاً الى ان يتقرر امر الشجر فامر بكتب ذلك في الحال بحضرته واحضر قائداً من قواد الحضرة كان يخلف بدرا الكبير المعروف بالحمامي عامل المعاون بفارس وكرمان يسلم اليه الكتاب ويطلب النعمن وابن رستم بامثاله . وامر الخليفة باحضار دواة يكتب بها علي بن عيسى وكان رسم الوزراء اذا امروا بكتب كتاب بحضرة الخليفة ان تحضر لهم دواة لطيفة بسلسلة فيمسكها الوزير بيده اليسرى ويكتب منها باليمنى فاحضرت تلك الدواة لعلي بن عيسى وبدأ يكتب منها الكتاب بغير نسخة فلما رآه المقتدر وقد شق عليه ذلك امر باحضار دواته وان يقف بعض الخدم فيمسكها الى ان يكتب . فكان اول وزير اكرم بهذا ثم صار ذلك رسماً جارياً للوزراء بحضرته فكتب علي بن عيسى في ذلك كتاباً الى النعمن وخرجت نسخته الى الديوان واثبت فيه قال ابو الحسين فحفظناه ونحن احداث ونسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير المؤمنين الى النعمن بن عبد الله : سلام عليك فان امير المؤمنين محمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم كثيراً . اما بعد فنفضل الاعمال قدراً واجماها ذكراً واكملها اجراً ما كان لالتقى جامعاً ولا هدي تابعاً ولا لورى نافعاً^(١) ولا بلوى دافعاً وقد جعل

الله عز وجل امير المؤمنين فيما استرعاه من امور المسلمين مؤثراً ما يرضيه صابراً (١) على ما يرافقه عنده ويحظيه ، وما توفيق امير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل وبه يستعين . وقد عرفت حال السجنية والحرمية الذين تغلبوا على كور فارس وكرمان واحدنوا الجور والعدوان ، وظهروا العتو والطغيان ، وانتكحوا المحارم وارتكبوا المظالم ، حتى انفذ امير المؤمنين جيوشه اليهم وتورد بها عليهم ، فازالهم وابادهم وشتتهم وابارهم ، بعد حروب تواصلت ، ووقائع تتابعت ، احل الله بهم فيه سطوته ، وعجل لهم نقمته ، وجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمستمعين ؛ « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم شديد » ولما محق الله امره هو لاء الكفار ، وفرق عدداً وباشهم الفجار ، وجد امير المؤمنين افطع ما اخترعوه واشنع ما ابتدعوه في مدتهم التي طال امدها وعظم ضررها ، تكلمة اجتبوها (٢) بكور فارس في سني غوايتهم لما طالبوا اهلها بالخراج على اوفر عبرتهم من غير اقتصاد به على الموحدين حتى فضوا عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين فانكر امير المؤمنين ما استقر من هذا الرسم الذميم ، واكبر ما استمر به من الظلم العظيم ، ورأى صيانة دولته عن قبيح معرته وحراسترعيته ، من عظيم مضرتة مع كثرتة ووفور جملة ، فرفع عن الرعية هذه التكملة رفعاً مشهوراً ، وقد جعل الله تعالى من سننها مدحوراً ، ونادى في المساجد الجامعة بازالتها وابطال جبايتها ليرتفع (٣) ذلك في الجمهور ويتمكن السكون اليه في الصدور وتحمد

«١» عند هلال ميثراً «٢» م ، ع : الاجتباء افعال من الجباية ، «٣» عند هلال يذبح

الله الكفاية على ما تاحه لها من تعطف امير المؤمنين ورعايته وجميل حياطته لهم وعنايته . واكتب ما يكون منك في ذلك فان امير المؤمنين يتوكفه ويراعيه ويتشوفه ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب علي بن عيسى يوم النصف من رجب سنة ٣٠٣ .

وقد كان علي بن عيسى قبل ذلك بسنة نظر لاهل التكملة من جملتها في شيراز بمشرة آلاف درهم^(١) قبل ان يخرج في السنة المقبلة خراج الشجر ثم تقرر امر الشجر على ان يؤخذ منه الخراج ويقارب اهله فيه على طسوق^(٢) توضع لهم مخففة . وكان النعمن رفيقاً يقاربهم حتى عاد بازاء ما اسقط من مال الضمان في التكملة اكثره على التدرج . فكتب علي بن عيسى في امر الشجر كتاباً كنا نحفظه^(٣) في الحداثة من الدار نسخته الى ابن رستم لان النعمن عاد الى بغداد واستخلف بفارس ابا مسلم محمد بن محمد وضمن البلد من ابن رستم وجعل با مسلم مستوفياً عليه للمال . بسم الله الرحمن الرحيم الى احمد بن محمد بن محمد بن رستم من عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير المؤمنين والنسخة واحدة الى قوله اما بعد فان الله بعظيم آلائه وقديم نعمائه وجميل بلائه وجزيل عطائه جعل اموال النبي^ﷺ للمدين قواماً وللحق نظاماً وللعز تماماً فاوجب للائمة حمايتها وحرم عليهم اضاعتها

«١» عند هلال : بالف الف درهم . «٢» م . ع : في القاموس الطسق بالفتح مكبال اوما يوضع من الخراج على الجربان او شبه ضريبة معلومة . «٣» م . ع : تحفظ الكتاب استظهره شيئاً بعد شيء .

إذا كان ما يجتبي منها عائداً بصلاح العباد وحراسة البلاد وحماية البرية وحياطة الحوزة والرعية ولذلك يعمل امير المؤمنين فكره ورويته ويستفرغ وسمه وطاقته في حراستها وحياطتها وقبض كل يد عن تحيفها^(١) وتنقصها والله ولي معونته على جميل نيته وحسن طويته بمنه ورحمته . ولما فتح الله عز وجل (كور فارس) على المسلمين وازال عنها ايدي المتغلبين وجد امير المؤمنين اهلها قد احتالوا في اسقاط خراج الشجر باسره مع كثرته وجلالة قدره وامر باشخاص وجوهرهم الى حضرته واتصت المناظرة لهم بمشهد من فضائه وخاصته الى ان اعترفوا به مذعنين والتزموه طائعين وضمنوا اداء ما اوجبه الله تعالى فيه من حقوقه على ما تقرر معهم من وضائعه^(٢) وطسوقه فتطالب بخراج الشجر في سائر الكور على استقبال سنة ٣٠٣ فاستخرجه واستوفى جميعه واستنظفه واكتب بمايرتفع من مساحته ويتحصل من مبلغ جبايته متجراً للحق متوخياً للرفق ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب علي بن عيسى يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شعبان سنة ٣٠٣ .

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصبيني^(٣) وهو ابن بنت ابراهيم بن المدبر . قال حدثني ابو الفضل صاعد

«١» م . ع : تحيف الشيء تنقصه من حيفه اي نواحيه جمع حيفة . «٢» م . ع : جمع وضيفة وهي ما يأخذه السلطان من الخراج والمشور . «٣» م . ع : بفتح الحاء كما في التاج .

ابن هارون بن مخلد بن ابان قال حدثني عدة من جلة الكتاب عن كاتب كان يخط بين يدي المورياني (١) وهو وزير المنصور قال كنت يوماً بحضرته على خلوة فدخل عليه حاجبه وقال بالباب رجل يذكر انه يريد ان اقي اليك شيئاً مهماً قال اسمع منه ما يقوله وادّه اليّ قال قد سمته ذلك فاني وبذات ان اخرج اليه كاتباً فامتنع من ذلك وقال اما ان اصل اليه او انصرف . قال فما زيه ؟ قال زيّ التنا . قال هاته فادخله فلما وصل استأذنه في السرار فاذن فدنا اليه فاطال سراره ثم دعا بخازنه فقال خذ ما يدفعه اليك . ثم قال لي قم فاكتب له بكلاماً يريد على املائه وان التمس توقيعني في شيء منه فاتفقنا اليّ مع غلامك . قال فقلت فكتبت له بما املاه وعدت وعرفته ازاحتي عنه فيما طلبه فيجمل بيكي بكاء شديداً فسألت غلامه هل ورد بعدي شيء يكرهه فقالوا لا . فقلت يا سيدي ما هذا البكاء وكنت آتياً به فقال ان هذا الرجل لقيني منذ اكثر من سنة انه من بني البختكاني وذكر كبر نعمته وانا بهم عارف . ووصف ان العمال يخيفونه ويستضعفونه وسأني ان اوقع اسمي على ضيعته واظهر اني قد استأجرتها منه واكاتب العمال ووكلائي بذلك وان تقدر يده منها اذ كنت قد وثقت به على ذلك وبذل لي النصف من ارتفاعه بعد المؤونة حلالاً فوافقته على ذلك وكتبت له بما اراد ومضى ولم تبغ نفسي الاستقصاء

«٣» م . ع : نسبة الى موريان قرية من نواحي خوزستان واسمه سليمان ابن ابي سليمان ابن ابي مجاهد وقتله المنصور .

عليه ولا الاستظهار ولا مضايقته وقتل امله اراد الانتفاع بجاهي فلا
احرمه اياه فان وفا (١) والا كان ذلك من زكاة الجاه ثم انسيت امره
فذاكرته حتى رأيت الساعة فاعلمني انه يتردد منذ مدة الى الباب فلا يصل.
واعلمني انه قد حصل لي من ذلك مائتا الف درهم وواقفني (٢) على حساب
رفعه واستأذني في تسليم المال وسألني تجديد الكتب بمثل ما كنت كتبت
به اليهم في السنة الماضية في امر هذه الضياع فتقدمت الى خازني بقبض
المال وتقدمت اليك فكتبت عني بذلك فانا ابكي لهذه الحال. فقلت له
يا سيدي فاي شيء هذا مما يبكيك فقال ويحك ويذهب هذا عليك مع
طول ملازمتي وخدمتي قد كنت عندي انك تحنكت بخدمتي. امرؤ يكون
هذا من اقباله فكيف يكون ادباره؟ قال فما بعد ان قبض عليه المنصور ونكبه
واستصفى ماله واموال اهله وقتله. قال ابو الحسين عبد الواحد بن محمد
فحدثت بهذا الحديث ابا الحسن علي بن محمد بن القرات و ابا الحسن علي بن
عيسى كبل واحد على الانفراد في وقت مفرد فكل واحد منهما افرط في
استحسانه حتى سأل ان امليه عليه فكتبه عني بخطه • « للبحث صلة »

(١) م. ع. كذا في الاصل والصواب وفي (٢) م. ع. كذا في الاصل والفصح
وقف بغير الف في جميع معانيها •

أسامة بن منقذ

- ٢ -

« أسامة في وادي موسى »

لقي أسامة ضيقاً شديداً في وقعة كانت بينه وبين الفرنج قتل فيها ابنه حسام الملك وأمر ابنه ناصر الدين وأخوه نجم الدولة أبو عبد الله محمد وأخذت خزائنه وحرمه وقتل الفرنج كل من ظفروا به ، وهو بمن معه تحصن في الجبال .

بقول أسامة : فسرنا في اشد من الموت في بلاد الفرنج بغير زاد للرجال ولا علف للخيال الى ان وصلنا جبال بني فهير لعنهم الله في وادي موسى وطلعنا في طرفات ضيقة وعرة الى ارض فسيحة وهناك رجال وشياطين رجيمه من ظفروا به منا منفرداً قتلوه وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الامراء الطائفين فسألت من هاهنا من امراء بني ربيعة قالوا منصور بن عذقل وهو صديقي ودفعت لواحد دينارين وقلت له امض الى منصور قل له صديقك بن منقذ يسلم عليك وبقول لك صل اليه بكرة ، ثم جاء منصور بن عذقل فصاح بالاعراب وسبهم فنفروا وقال اركب فركبنا وجمعت للامير الف دينار مصرية ودفعها له وعاد ومرنا حتى وصلنا دمشق بمن سلم من الافرنج وبني فهير يوم الجمعة خامس ربيع الآخر من السنة نفسها .

« اول وقائعه »

سيره ولده الى أفاشيا سنة ٥١٣ لقتال الفرنج الخييمين بها وكان الانتصار حليفه يقول أسامة في وصف هذه الحملة فرجعت على فارس في اولم قد التي عنه درعه وتحنف ليحوزنا من بين ايدينا فطعنني سيف صدره فطار عن سرجه ميتاً ، ثم استقبلت خيلهم المنيابة فولوا وانا غر ما حضرت قتالاً قبل هذا اليوم وتحني فرس مثل الطير ألحق أعقابهم لأطعن فيهم ، ثم أجنت عنهم وفي آخرهم فارس عى حصان أدم مثل الجمل بالدرع ولامة الحرب ، انا خائف منه لا يكون جاذباً لي ليعود علي حتى رأيت ضربه حصانه بهمازه فلوحت بذنبه فملت انه قد أعيا فحملت عليه وطعنته فنفذ الرمح من قدمه فحوا

من ذراع وخرجت من السرج لحفة جسمي وقوة الطعنة وسرعة الفرس ، ثم تراجعت وجذبت رمحي وأنا أظن اني قتلتها ، فجمعت اصحابي وهم سالمون وكان معي مملوك صغير بجرّ فرسا لي دهماء بجنوبة وتحتة بغلة مليحة سرورية فنزل عن البغلة وسبها وركب الحجرة فطارت به الى شيزر ، فلما عدت الى اصحابي وقد أمسكوا البغلة سألت عن الغلام فقالوا راح فعملت انه يصل الى شيزر ويشغل قلب والده ، فدعوت رجلاً من الجنود وقلت أسرع الى شيزر وعرف والدي بما جرى ، فذهب فوجد الغلام يقصّ على والده الحالة ، ولما عاد أسامة قصّ عليه القصة .

« اقامته على عسقلان في قتال الفرنج »

أرسل الملك العادل أسامة للسير الى الملك العادل نور الدين الشهيد وقال له خذ معك المال المطلوب وامض اليه لينازل طبرية ويشغل الفرنج عنا لنخرج من هاهنا نخرب غزّة ، وكان الفرنج قد شرعوا في عمارة غزّة ليحاصروا عسقلان . فقال له أسامة : فان اعتذر او كان له من الأشغال ما يعوقه فأني شيء تأمرني به . فقال : ان نزل على طبرية فأعطه المال الذي معك وان كان له مانع فدوتن ما قدرت عليه من الجند واطلع الى عسقلان أقم بها في قتال الفرنج واكتب اليّ بوصولك لأمرك بما تعمل ودفع اليه ستة آلاف دينار مصرية وحمل حمل ديبقياً ورتب معه قوماً من العرب ادلاء .

« في طريقه الى عسقلان »

يقول أسامة فلما دنونا من الجفر قال لي الأدلاء هذا مكان لا يكاد يخلو من الفرنج فأمرت اثنين من الادلاء ركبا مهربين وسارا قدامنا الى الجفر فوقفت وجمعت الجمال التي عليها ثقلي ورددتها الى العرب وندبت ستة فوارس من ممالكي وقلت لقدمونا وأنا في أثركم فساروا يركضون وأنا أسير خلفهم فعاد اليّ واحد منهم وقال ما على الجفر احد ولعلمهم أبصروا عرباً ونسازع هو والأدلاء فنفذت من رد الجمال وسرت فلما وصلت الجفر وفيه مياه وعشب وشجر ، قام من ذلك العشب رجل عليه ثوب أسود فأخذناه ونفرق أصحابي فأخذوا رجلاً آخر وامرأتين وصبيين نجاةً امرأةً منهم أمسكت ثوبي وقالت يا شيخ انا في حسبك ، قلت انت آمنة مالك ؟ قالت قد اخذ اصحابك لي ثوباً وناهماً وناجماً وخرزة فقلت لغلامي من كان اخذ شيئاً فليرده فردت هذه الاشياء اليهم ، جمع هؤلاء

أسامة حين رأى بهم من الضر ما رأى وقد بيست جلودهم على عظامهم ، وسألهم من اين انتم ؟ فقالوا نحن من بني أبي وبنو أبي فرقة من العرب من طي لا يأكلون الا الميتة ويقولون نحن خير من العرب ، ما فينا مجزوم ولا أبرص ولا أعمى ، واذا نزل بهم الضيف ذبحوا له وأطعموه من غير طعامهم ، ثم سألهم كم لكم هنا فقالوا من عيد رمضان مارأينا الزاد باعينا ، قلت : فمن اين تعيشون ؟ قالوا : من الرمة (يعنون العظام البالية) الملقاة ندقها ونعمل عليها الماء وورق القطف (شجر بتلك الارض) وننقوت به ، قال : فكلاكم قالوا : الكلاب نطعمها من عيشنا والحمر تأكل الحشيش ، فقال : فلماذا لاتدخلون الى دمشق ؟ قالوا : خفنا الوباء (ولا وباء أعظم مما كانوا فيه) وكان ذلك بعد عيد الاضحى فوقف حتى جاءت الجمال وأعطي هؤلاء الاعراب من الزاد الذي كان معه ، ثم قطع فوطه كانت على رأسه وأعطاهما للمرأتين فسكادت عقولهم نزول من فرحهم بالزاد ، ثم أسدى اليهم النصح راغباً عدا فامتهم في هذا المكان خوفاً عليهم من ان يسببهم الافرنج .

« وقوعه في التيه »

وقع أسامة في تيه اثناء مجيئه الى نور الدين الشهيد في بصرى ولولا لطف الله لمالك في هذا التيه وقد وصف تيهه وصفاً بطول شرحه هرب منهم البغل في اثناء رحلته هذه وعليه اربعة آلاف دينار فلحقه بفرسه فأعيا عن اللحاق به وقد كان لحقه الغلام ايضاً فعاد بالخروج دون البغل قائلاً يا مولاي وجدت الخرج ولم اجد البغل فقال للخروج كنت اطلب والبغل اهون مفقود .

« صيده وقنصه »

كان أسامة ولوعاً بالصيد والقنص كما ولع به ابوه من قبله فقد كان والده ليس له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج الصليبيين يركب الى الصيد يوماً ويستريح يوماً ، نسخ عند فراغه سناً واربعين مصحفاً يخطه منها ختمان بالذهب جميع القرآن وكان صوماً قواماً . كان لأسامة في شيزر متصيدان متصيد للحجل والارانب في الجبل قبلي البلد ، ومتصيد لطير الماء والدراج والارانب والغزلان على النهر في الازوار من غربي البلد ، وكان يتكلف في تسخير قوم من اصحابه الى البلاد لشراء البزاة فأتقذ الى القسطنطينية من احضر منها بزاة وقد حمل الغلمان معهم من الحمام ما ظنوا انه يكفي البزاة التي معهم

فغدير عليهم البحر وتعرفوا ولم يبق من لحوم الطير فاضطروا ان يطعموا البزاة من لحم السمك
فاثر ذلك في اجنحتها وصار ريشها ينكسر وينقص فلما وصلوا بها الى شيزر كان فيها
بزاة نادرة وكان لدى والده خادم (بازيار) عارف في اصلاح البزاة وعلاجها يقال له
غنائم فوصل اجنحتها واصطادها وقرنص بعضها عنده وكان اكثر ما يستدعي البزاة
ويشترها من وادي الاحمر ، وحسبنا ان نلج الى صيده وقنصه الماعز ضاربين صفحا عن
كل ما وقع له في صيده وتربته البزاة .

« صيده مع الملوك والامراء »

حضر الصيد مع والده مرشد بشيزر في صدر العمر ومع ابنائه عمه بها ومع ملك
الامراء اتابك زنكي بن آق سنقر .

ومع الملك العادل نور الدين ابي المظفر محمود بن اتابك زنكي رحمه الله ، وبديار
بكر مع الامير نحر الدين قرا ارسلان بن داود بن ارتق .

« ادب أسامة وشعره »

أسامة ادب كما اسلفنا تلمس من شعره الجزالة والسهولة لم يستعمل عو بص الافاظ
ولا وحشي الكلام مدح في شعره وعتب وبكى وتغزل وحرض ونحر وحن الى الاوطان
حنين الابل الى الاعطان حتي انه ضرب في كل فن وتناول طرفاً من كل علم ، وله ديوان
شعر في مجلدين لم اعثر عليها بالرغم عن كثرة بحثي وتطلعي ولكني لم اعدم الحصول على
شيء كثير منه في اثناء مطالعتي الكتب وتصفحي اياها ومن جملة ما عثرت عليه كتاب
العصا وهو في نحو مائة وخمسين صفحة نسخة على نسخة طبعت في باريز كنت اوصيت
عليها صديقي الحميم ورفيق الدراسة المرحوم الدكتور صالح قنباز وانا اليوم آخذ بتصحيحها
وضبطها وشرحها وزيادة ما عثرت عليه في العصا حتي يجي الكتاب جامعاً وافياً بالمرام .

« ثلث من شعره »

وقعت نفرة بينه وبين ابن عمه صاحب شيزر لمقالة بلغته فكان ينظم في العتاب ما هو
مستطاب . وما كتبه لابه يدل على كرم محتده وسامي اخلاقه وعظيم خلاله قوله :

وما أشكو تلوث اهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ويشت منهم فما أرجوم فيمن رجوت

إذا أدمت قوارصهم فؤادي صبرت على أذاهم وانطويت
وجئت اليهم طلق الحيا كأي ما سمعت ولا رأيت
تجتوا لي ذنوباً ما جنتها بدائي ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرأ كما قد أضمره ولا نويت
ويوم الحشر موعدا وتبدو صحيفة ما جنوه وما جنت
وله أيضاً يشكو من الهجران :

لا تسنعر جليداً على هجرانهم فقواك تضعف عن صدور دائم
واعلم بانك ان رجعت اليهم طوعاً والا عدت عودة راغم
وله قصيدة سير بها الى ابن عمه صاحب شيزر بعثذره عن قول بلغه عنه جاءت
على قافية الفاء تبلغ خمسين بيتاً مطلعها :
أطاع ما قاله الواشي وما هرفا فراح ينكر منسا كل ما عرفا
ومما أحفظه له ينشوق الى اهله وصحبه ويحن فيه الى وطنه وهو من الشعر المنسجم
الذي يدخل الأذان بغير استئذان :

ما يريد الشوق من قلب معني ذكر الآلاف والوصل لخصاً
حسبه من شوقه ما عنده وكفاه من هواه ما اجنأ
كأ شاهد شمالاً جامعاً طار وجرأ وهفا شرقاً وأنا
فرثي من رحمة عاذله ورأي الحاسد فيه ماتمني
ويجه من حرق تعناده وهموم حمة تطرق وهنا
بازمان الوصل سقيالك من زمن لو كان قرب الدار عنا
قل لأحباب نأت دارهم وعلى قريهم أفرع سنا
ساء ظني باصطباري بعدكم ولقد كنت بكم أحسن ظنا

« وصف الزلزلة الكبرى في شيزر وحماة »

في سنة ٥٥٢ كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة متتابعة اخرجت البلاد
واهلكت العباد وكان اشدها بمدينة حماة وحصن شيزر كما قال ابن الاثير فانها خربا
بالمرة وخرب ما جاورهما كحصن بارين والمرة وغيرهما من البلاد وهلك تحت الردم

من الخلق ما لا يحصيه الا الله ولولا ان بين الله تعالى على المسلمين بنور الدين فيصلح ما تهدم
ويحفظ البلاد لهلكت البقية الباقية منهم واصبحت لقمة سائغة في افواه الفرنجة . ومن
غريب ما يروى ان بعض المعلمين بحجة ذكر انه فارق المكتب لمهم فجاءت الزلزلة فاخربت
الدار وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت احد يسأل عن صبي كان له
في المكتب مما يدل على ان الزلزلة اخذت اولياءهم ايضاً .

في هذا الزلزال سقطت قلعة شيزر على آل منقذ ولم يبق على احد منهم الا
امراة اخرجت من الردم ، وما يروى انه بينما كان احد ابناء آل منقذ فاراً من الزلزال
حتى اذا وافى باب القلعة رجمه الحصان فمات لوفته وبهذا لم ينج احد من آل منقذ الذين
هم داخل القلعة ، اما المرأة التي اخرجت من الردم فهي زوجة ابي الفضل اسماعيل بن
ابي العساكر بن علي بن مقلد تدعي الخاتون اخت شمس الملوك بنت بوري بن طغتكين
ولما جاء نور الدين الشهيد الى استلام شيزر طلب من هذه المرأة ان تعلمه عن المال وهددها
فذكرت ان الردم سقط عليها وعليهم ونبتت هي دونهم ولا تعلم بشيء . واذا كان لم شيء
فهو تحت الردم وكانت شرف الدولة غائباً فخصر بعد الزلزلة وعابن ما فعلت بشيزر واخيه
وشاهد امراة اخيه بعد العز في ذلك الذل فعمل :

ليس الصباح من المساء بامثل فأقول لليل الطويل الا انجلي
شلت يد الايام انت قسيها ما ارسلت سهما فاخطا مقالي
لي كل يوم كربة من نكبة يهيج لها جفني وقلي بصطي
يا تاج دولة هاشم بل يا ابا التيجان بل يا قصد كل مؤمل
لوعايت عيناك قلعة شيزر والستر دون نسائها لم يسبل
لرأيت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل
لا يهتدي فيه السعاة لمسلك فسكنا يسري بقاع مهول

وما قاله فيها يذكر امراة اخيه المذكورة .

نزلت على رغم الزمان ولو حوت يمينك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعوذت عن عزها بتذل

«أسامة يرثي أهله»

أسامة رثي أهله الذين هلكوا في هذا الزلزال رثاءً مستقبياً وبكاهم كثيراً في شعره
أكتفي بذكر شيء من قصيدته الذونية لأن له مرثي كثيرة بكي فيها ذلك العز الشامخ
بعيون هتانة هطالة وهي :

ما استدبرج الموت قومي في ملاكمهم	ولا تخزتهم مثنى ووجدانا
فكنت أصبر عنهم صبر محسوب	واحمد الخطب فيهم عزاً ومانا
واقنندي بالورى قبلي فكهم فقدوا	أخاً وكم فارقوا أهلاً وجيرانا
لكن سقيت المنايا وسط جمعهم	رغمًا نفروا على الاذقان اذعانا
وفاجأهم من الايام قارعة	سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا
ما اتوا جميعاً كرجع الطرف وانقضوا	هل ما نرى تارك للحين انسانا
اعزز علي بهم من معشر صبروا	على الحفيظة ان ذلولثة لانا
لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم	قلباً اجشمه صبراً وسلوانا
فلورأدني لقالوا مات اسعدنا	وعاش لهم والاحزان اشقاننا
لم يترك الموت منهم من يخبرني	عنهم فيوضح ما قالوه تيباننا
بادوا جميعاً وما شادوا فواعجبنا	للخطب أهلك عمتاراً وعمراننا
هذي قصورهم أمست قبورهم	كذاك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل افنت معشري فاذا	ذكرتهم خلاني في القوم سكرانا
لا النقي الدهر من بعد الزلازل ما	حييت الا كسير القلب حيرانا
اخنت على معشري الادنين فاصطلمت	منهم كهولاً وشباناً وولدانا
لم يحصهم حصنهم منها ولا رهبت	بأساً تبادره الاقربان ازمانا
ان أفقرت شيزر منهم فهم جعلوا	منيع أسوارها بهضاً وخرسانا
هم حموها فلو شاهدتهم وهم	بها لشاهدت آساداً وآخفاننا
ترام في الوغى أسداً ويوم ندي	غيثاً مغيثاً وفي الظلماء رهباننا
بنوا لي وبنوا عمي دمي دمهم	وان أروني مناواة وشناننا
يطيب النفس عنهم انهم رحلوا	وخلفوني على الآثار عجلائنا

« مراسلاته مع ابن رزيك »

وكانت بينه وبين الصالح بن رزيك مراسلات شعرية ومطارات أدبية أفردت لها رسالة خاصة ، وقد أرسل إلى أسامة يعزيه بقومه الذين هلكوا بالزلزال في قصيدة مطلعها :

بابي شخصك الذي لا يغيب عن عيالي فهو البعيد القريب
ومنها : كره الشام أهله فهو محقو ق بان لا يقيم فيه لبيب
ان تجلت عنه الحروب قليلاً خلفتها زلازل وخطوب
رقصت أرضه عشية غنى الرعد في الجو والكريم طروب
ولثنت حيطانه اذ أمالتها شمال بزمها وجنوب
لا هبوب لنائم من أمانه وللعاصفات فيها هبوب
ومنها : لطف نفسي على ديار من السكك اقوت فليس فيها محبيب
فاحتسب ما اصاب قومك بمجد الدين واصبر فالحادثات ضروب

وكتب أسامة إلى الصالح طلائع ابن رزيك هذا يسأله تسخير أهله إلى الشام وكان الصالح بن رزيك يتوقع رجوعه إلى مصر من حين لآخر ويسير له الرسائل طالباً عودته إلى مصر ، وأسامة لا يرغب بالعودة بعد حوادث ابن السلال والظافر العبدي .

اذكركم الود ان صدوا وان صدفوا ان الكرام اذا استعطفتهم عطفوا
ولا ترد شافعاً الا هواك لم كفناك ما اختبروا منه وما كشفوا
يا جيرة القلب والفسطاط دارهم لم تصقب الدار لكن أصقب الكاف
فارقتكم مكرهاً والقلب يخبرني ان ليس لي عوض منكم ولا خلف
ولو تعوضت بالدنيا غبت وهل بعوضني عن نفيس الجوهر الصدف
ولست انكر ما يأتي الزمان به كل الوري لزاياء دهرهم هدف
ولا أسنت لأمر فات مطلبه لكن لفرقة من فارقتهم الاسف
المالك الصالح الهادي الذي شهدت بفضل ايامه الأنباء والصحف
ملك أقل عطاياء الغني فاذا أدناك منه فأدنى حظك الشرف
سعت إلى زهده الدنيا بزخرفها طوعاً وفيها على خطاياها صلف
مسهد وعيون الناس هاجمة على التهجيد والقرآن معتكف

وتشرق الشمس من لآلاء غرته في دسسته فتكاد الشمس تنكشف
فأجابه الصالح وكان يجيد النظم رحمه الله :

آدابك الغر بجر ما له طرف في كل جنس بدا من حسنه طرف
نقول لما اتانا ما بعثت به هذا كتاب اتى ام روضة أنف
اذا ذكرناك مجد الدين عاودنا شوق تجدد منه الوجد والاسف
يا من جفانا ولو قد شاء كان الى جنابنا دون اهل الارض ينعطف
« كتبه وتأليف »

لأسامة كتاب الاعتبار ترجم الى اللغة الافرنسية وترجم اخيراً الى اللغة الانكليزية
وعنوانه المترجم بقوله « الرجل الكامل » وهو يشتمل على ترجمة نفسه ، وله كتاب العضا
وازهار الأنهار وكتاب البديع ^(١) واختصر سيرة عمر بن الخطاب تأليف ابن الجوزي
البغدادي وقد عثرت على هذا الكتاب ونسخته وبعثت بالأصل مع مختصر الموافقة بين آل
البيت والصحابه للزخشرى الى العلامة المرحوم احمد تيمور ، وله التاريخ البدرى واخبار
البلدان وذبل على خريدة القصر للباخرزي . وكانت لديه مكتبة عامرة تشتمل على غرر
المخطوطات ونفائسها تبلغ اربعة آلاف مجلد .

« أخذ الامان لاهله من الفرنج في جلبهم من مصر »

استقدم عائلته واولاده من مصر في مركب بعد ان اخذ لهم الامان من الفرنج فما كان
منهم الا ان أخذوا من النساء مامعهم من الحلبي والجواهر والذهب والفضة بما يقدر بثلاثين
الف دينار ، يقول أسامة فهون علي سلامة اولادي واولاد أخي وحرماً ذهاب مذهب
من المال الا مذهب لي من الكتب فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة
فان ذهابها حزاة في قلبي ما عشت فهذه نكبات تززع الجبال ولا ريب هذه الكتب
التي فقدتها هي غير الكتب التي كانت لديه في شيزر ولدى والده .

» (١) قال في كشف الظنون كتاب البديع في علوم الشعر لأسامة بن منقذ اوله :
الحمد لله الحي القيوم « الخ ذكر فيه انه جمع ما تفرق سيفه كتب العلماء من نقد الشعر
وذكر محاسنه وعيوبه وانه وقف عليه اه .

« نموذج من كتاب العصا »

اخترته لئلا له من العلاقة بدمشق

يقول أسامة رحمه الله حضرت بدمشق وقد وقع بين العميان وبين رجل كان يتولى
وقفهم يعرف بابن البعلبي خلف فلقوا فيه صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج المملوك
يوري رحمه الله عدة مرار فقال للأمير مجاهد الدين تالله خلصني منهم واجمعهم واحضر
نائبهم في الوقف وافصل حالهم فقال السهم والطاعة وقال لي مجاهد الدين بفضل واحضر
معنا فاجتمعنا في ايوان كبير في دار وحضر النائب ابن البعلبي ونائب كان قبله يقال له
ابن الفرائش وحضر العميان في نحو من ثلاثمائة رجل فحملوا قدامهم ودخلوا الايوان كل
واحد وعصاه معه في يده وضماها الى جنبه ، ثم تجاروا الحديث فكان بعضهم هواه مع
النائب الاول ابن الفرائش وبعضهم هواه مع ابن البعلبي فنسازعوا وتخاصموا ساعة
ولا يتدخل بينهم لعلو أصواتهم وكثرتهم ثم فاثبوا فارفع في الايوان نحو من ثلاثمائة
عصا في ايدي العميان لا يدرون من يضربون وعلا الضجيج والصياح حتى ندمت على
حضورني فتلطفنا في الامر حتى سكنت الفتنة بينهم وشبها امرهم على ما أرادوا وما صدقنا
انهم ينصرفون .

« نموذج من شعره في العصا »

كتب في كتاب الى ولده الامير عضد الدين ابي الفوارس مرهف الى مصر يطلب
منه عصا من آبنوس وكان مرهف مؤسراً في مصر من قبل صلاح الدين رحمه الله :

أريد عصا من آبنوس ثقلي فان الثمانين استعادت قوى رجلي
ولو بعصا موسى القيث لا دها على ما بهسا من قوة حملها ثقلي
ولكن تمنينا الرجاء ببساطل وكم قدر ما نرجي المنايا وكم تملي
اذا بلغ المرء الثمانين فالرد بناجيهِ بالترحال من جانب الرحل

« وله في شيفوخته »

يشكو ضعف جسمه ويأسف على شبابه ويذكر من طول العمر والمدد :

مع الثمانين عاث الضعف في جلدي وساء في ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت فخطي جدٌ مضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعد

وان مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأنني أخوض الوحل سيفي الجلد
فأعجب لضعف يدي عن حملها فلماً من بعد حطم القنا في لبة الأسد
فقل لمن أتقى طول مدته هذي عواقب طول العمر والمدد
« هو والأسد »

حقاً ان أسامة لقد حطم القنا في لبة الأسد : بلغه ان هناك اسداً على شاطئ الفرات
يمنع الناس من المرور ولم يستطع احد ان يتعرض لقتله وانقاذ الناس من شره فما كان منه
الا ان هب ذات يوم متقلداً سيفه ورمحه دون ان يعلم أهله وذوي رحمه ومضى الى الفرات
حيث مقر الأسد وما هي الا بضع دقائق على منازلته اياه حتى حطم القنا في لبته فخر
صريعاً لليدين وللفم ثم جاء بآثاره الى شبر فأكبر أهله عمله وكان يوماً مشهوداً .
« ضرائح العظماء تهمان »

هؤلاء آل منقذ باسادة وذاك طرف من أخبارهم وهذا أسامة بن منقذ القائد
العظيم والبطل المغوار الذي كان يد نور الدين العامة في صد اغارات الفرنج وفي الفتوح
والذي كان يخطب بده الامراء والملوك قد الممت بشيء من ترجمته وأثبت على ننف من
شعره وذكرت انه بعد البحث والتنقيب في بطون التاريخ تحقق لدي انه دفن في سفح
فاسيون — من ترى وقف على ضريحه وعرف مقره ، لقد ذهبت غير مرة الى ذلك
السفح الذي ضم أعظم الرجال ، وبحث بين الضرائح فلم أقف له على أثر ولعلي جهلت
مقره فلم اهتم اليه ، ولكنني شاهدت أصحاب البنيان قد امتدوا الى الضرائح فتناولوها
وقوضوا دعائمها وبغثروا رفاتهم وطمسوا اعلامها وشوهوا محاسنها وداوسوا حرمتها ولا من
ينهي أصحاب هذا البنيان عن عملهم او يفكر في نقل رفات العظماء الذين يجب ان تبقى
ضرائحهم ماثلة لبراها ابناؤنا واحفادنا واحفاد احفادنا فيتحذروا قدوة صالحة لهم تبعث من
العم وتحض على العمل ، ولسان حالها ينطق انهجوا مناهجنا واسلكوا سبيلنا وافتنوا آثارنا
فلا حياة لكم ولا صلاح الا بما صلح به اولكم ، أليس من العار ان نهب عظماءنا ولا نفكر
في حفظ ضرائحهم وصونهم من إغارة المغيرين الجشعين التهمين الذين لا تأخذهم رافة
على الأمة في محو آثارها ومزاحمة ضرائح أعلامها ؟
أنضيق دمشق ضريح ابن منقذ مع الضرائح الضائعة من ضرائح العظماء والعلماء وهي

مهد العروبة وعنها يؤخذ الشتم واليهما ينتمي الآباء ؟
 فإلى تجديد ضرائح العظماء أيها السادة الى الاحتفاظ بها فهي الواعظ الأقوى للابناء
 والمرشد الأمين للأحفاد بدفع بهم الى الامام ، وكأني بأبي العلاء فيلسوف العرب قد
 أدرك منذ ذلك الحين ان الناس يهينون العظماء ولا يعنون بضرائحهم فأهابت به نفسه
 للذود عنها والدعوة الى احترامها والنصح في الابقاء عليها وعدم الإجهاز على اصحابها فطفق
 بنشد وما أجمل هذا الانشاد :

صاح هذي قبورنا تملأ الرح - بَ فأين القبور من عهد عاد
 خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض الا من هذه الاجساد
 سر ان استطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
 فقيح بنسا وان قدم العم - دُ هو ان الآباء والأجداد
 « عودة للبحث عن ضريح ابن منقذ »

أليس من العار ان لانعرف مقر ابن منقذ وهو الذي ذكرت مز واقائه وعلمه ونبله ؟
 هذا نابليون رجل فرنسا وعبرقربها الفذ بعد وفاته في جزيرة القديسة هيلانة
 واستحالته الى رفات بالية وعظام نخرة هب الفرنسيون من باريز فاستخرجوه من ضريحه
 ورجعوا به الى قلب بلادهم بعيدون به ذكر نابليون وبشون في أممهم ما كان لهم من العظمة
 والآباء والمجد والفخار .

الضرائح في الاسلام لها حرمتها ولها مكانتها فكيف بضريح علم من الاعلام وقائد
 من اكبر القواد كإبن منقذ وأضرابه من عظماء الامة وقادة الرأي المفكرين .
 هذا داني لأرجو من المجمع العلمي متطفلاً على مائدته ان يؤلف لجنة في البحث عن
 ضريح ابن منقذ ومن على شاكلته من الأبطال الذين خدموا الامة وزادوا عن حياضها
 ونفعوا بعلمهم ودرابهم راجياً ان يحل اقتراحه لديه محل القبول .

طاهر النعساني

آراء وافكار

في عدد كانون الثاني — شباط سنة ١٩٣٠ من المجلة مقال موسوم بـ «قوة الحافظة وكثرة المحفوظات» بقلم الشيخ كامل الغزي أورد فيه الكاتب (ص ١٢٠ — ٢١) حكاية عن لسان الامير أسامة بن منقذ، يؤخذ منها ان أسامة اجتمع بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية واستن قوة ذاكرته وأعجب بها . ولكن أسامة ولد عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) وابا العلاء توفي عام ٤٤٩ (١٠٥٨) فبينهما قرن كامل والواحد منهما لم يعاصر الآخر . ولا أثر لهذه القصة في مذكرات أسامة المعنونة بـ «كتاب الاعتبار» . فمن اين نرى أتي بها الشيخ الغزي ؟ .

جامعة برنستون : فيليب حتي
عضو المجمع العلمي العربي

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

٢ —

كتاب ادب السلوك . — لابي الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الاندلسي المتوفى سنة ٦٠٣ هـ المشتمل — كما جاء في مقدمته — على مشاريع كتابات الحكمة والادب والاخلاق وهو يقع في ٢١٦ صفحة صغيرة يرجع تاريخ كتابته الى القرن الثامن الهجري .

قاموس الاطباء وقاموس الالباء . — لمدين بن عبد الرحيم القوصي المصري من اطباء القرن الحادي عشر الهجري وهو في المفردات الطبية في ٣٥٨ صفحة كبيرة . (رقم ١٠٨ : الطب) .

ما لا يسع الطبيب جهله . — ليوسف بن اسماعيل المعروف بابن الكبير من اطباء

القرن الثامن وهو في مجلد ضخم يقع في ٨٠٠ صفحة كبيرة كتب سنة ١١٣٣ هـ (رقم ١٠٣ الطب).

منهاج البيان فيما يستعمله الانسان — لابي العبار يحيى بن عيسى الكاتب الملقب بالرئيس الأجل المتوفى سنة ٤٩٣ هـ ضمنه ذكر جميع الادوية والاشربة والاغذية وكل مركب بسيط ومفرد ورتب على حروف المعجم وهو في جزئين في مجلد واحد ينقص الجزء الاول منه ورقة واحدة وكان الفراغ من نسخه سنة ٩٦٢ (رقم ١٠٧ : الطب).

خلاصة تحقيق الظنون في الشرح والمنتون — تأليف كمال الدين محمد بن مصطفى الصديقي وهو ذيل لكشف الظنون وقد ضم مؤلفه ما زيد على كتب العلم من الكتب وما لم يطلع عليه صاحب كشف الظنون (فنون متنوعة رقم ٤٣).

شذرات الذهب في اخبار من ذهب — تأليف عبد الحلي بن احمد المعروف بابن العماد الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ وهو في ١٠٩١ صفحة كبيرة بخط شعبان الخزرجي سنة ١٠٨٥ (رقم ٣٨٧ : التاريخ).

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة — تأليف ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣ هـ وهو في مجلد كبير عدد صفحاته ٥٤٧ وفيه خط ابراهيم البقاعي (رقم ٣٨٨ : التاريخ).

طبقات النخاة واللغويين — تأليف ابي بكر احمد بن محمد بن عمر نقي الدين بن قاضي شهة الاسدي الدمشقي المتوفى سنة ٨٥١ ويليها مختصر طبقات النخاة للزبيدي اختيار المحلي وهو في ٦٤٠ صفحة صغيرة كتب سنة ٩٥٠ (رقم ٤٣٨ : التاريخ).

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

فاوست

— ترجمها —

« الاستاذ محمد عوض محمد »

القصة وضعها شاعر المانية « غوته » . —

خلاصتها على وجه التقريب ان الدكتور « فاوست » خلا بنفسه ساعة ، قرأى انه قد جهد في كل شيء ، جهد في طلب الفلسفة والشريعة والطب وعلوم الدين وهو بعد هذا كله لم يخط الى المعرفة خطوة واحدة . —

وانه لاني هذه الوسواس وأمثالها اذ دخل ابليس عليه غرفته فتساقطا أطرافاً من الأحدث ثم تعاقدوا على ان يكون ابليس عبداً للدكتور « فاوست » في هذه الدنيا وعلى ان يكون الدكتور « فاوست » عبداً لابليس في اليوم الآخر . —

وجزاء هذا التعاقد ان الدكتور « فاوست » سير به ابليس في هذه الحياة ما لم تره العيون وما لم يخطر على بال . —

وعلى هذه الصورة نعم الدكتور « فاوست » بجبانته وغرق في اللذات على اختلاف أنواعها ، وأفضت به لذاته الى الاستيلاء على قلب فتاة بلغ من حبها اياه ان قتل أمها وابنها ، وأن كانت سبباً في قتل اخيها في سبيل حبيبها « فاوست » ثم سحبت . —

نعم : هذه خلاصة القصة ، ولكن الحكمة لا تجدها في القصة نفسها ، وانما تجدها في تضاعيف القصة ، انك لتجد في تحاور ابليس والله ، وفي تحاور « فاوست » والروح ، وفي تحاور « فاوست » وتلميذه ، وفي تحاور « فاوست » وابليس شيئاً من روح الفلسفة ، وهذا الشيء انما هو الاستهزاء بالقوانين والشرائع والفقه والدين والمذاهب كلها ، وبالبناء والكنايس ، فاذا أعجبتك قصة « فاوست » فانها تعجبك من ناحية أساليب التهمك ، على انك تجد بين تهمك الالمان وبين تهمك الفرنسيين من الفرق مثل ما تجده من الفرق بين طبائع الأمتين . —

قدّم الترجمة الدكتور طه حسين .—

قدّم في قسم منها الاستاذ محمد عوض محمد وذكر رأيه في الترجمة ، وأشار في قسم آخر الى قصة « فاوست » وبين رأيه فيها .—

خلاصة رأي الدكتور طه حسين في ترجمة الاستاذ عوض ان هذه الترجمة جيدة لا يذكر الدكتور انه قرأ بالعربية ترجمة كتاب من كتب (اوروبية) تعدل هذه الترجمة او تقرب منها دقة ، وخفة ، وسهولة ، وظرفاً ، وأضاف الى هذا كله ان هذا (الجغرافي) لا تنقص شعره الخفة والروعة والظرف في اكثر الأحيان .—

الترجمة في رأي الدكتور طه حسين سهلة يسيرة ، ليس فيها لفظ غريب او كلام منمنع وانما هي مشتملة على كلام مألوف منسجم عذب .—

امامقدمة الدكتور طه حسين فلا يخلو قسم قليل منها من روح الدكتور نفسه ، فقد غلب على كتابات الدكتور طه حسين أسلوب الاساتذة المدرسين ، وأعني بهذا الأسلوب المصطنع ، فالدكتور طه حسين أستاذ مدرّس فهو مكافئ في « كلية الآداب » أن يأخذ بمخزّي الكلام في ساعة تدرّسه خوفاً من ان تنفلت منه هذه الساعة دون ان يحشوها كلاماً ، فالكلام غالب على لسانه في اكثر الاحايين وقلّ ما تجد لسانه سلطاناً على الكلام ، ولست أدري أفي جمهور القراء من يأنس بالتمطط في الكلام ام فيهم من ترجمه المصطنع في معظم الأوقات .—

واما ترجمة الأستاذ عوض فهي لا تخلو من السهولة التي أشار اليها الدكتور طه حسين فالصحيح ليس فيها كلام منمنع ، وأريد بالكلام المنمنع هذا الكلام الذي يزيد على المعنى فلا يكون مناسباً له ، قد تلجأ اليه طائفة من الكتاب ليستروا به شيئاً من ضعف معانيهم .— ولئن لم تخل هذه الترجمة من السهولة فقد خلا اكثرها من شيء غير السهولة ، فاذا أعوزها شيء فانما تعوزها هذه الموسيقى اللفظية التي تجعل للكلام وقعاً حسناً في الآذان ، واللغة الشعرية اذا خلت من آثار الموسيقى اللفظية ضعف سلطانها ، فقد يكون الكلام سهلاً ولا يكون وقعاً حسناً في الآذان ، « فالحياة الارضية » سهلة الالفاظ ، ولكنها في هذه السهولة بعيدة عن ان تستحقها الآذان . « شفيق جبري »

عضو المجمع العلمي العربي

مجلد علمی عربی

(دمشق) : حزيران سنة ١٩٣٠ م الموافق المحرم سنة ١٣٤٩ هـ ١١٤

المحاضرة الثانية عشرة

عروبية المتنبی (١)

الفتی العربي

— ٤ —

حرص العرب على قوميتهم - اختلاط العرب بالاعاجم -
تشتت العرب

« نغني الشعراء بالقومية العربية »

أرايتم كيف كان البمايون وهم في ارض غيرارضهم ، وتحت سماء غيرسمائهم يلعبون
بذكربطونهم وأحيائهم ، وقد نقاذفت بهم وهاد وتلاع ، وشطت بهم غربة نازحة ،
أرايتم كيف كانوا يحنوت الى قبيلهم وعشيرهم ، فما يسمون منازلهم في خد العذراء الا
كندة والا السبيع ، أرايتم كيف كان اهل البدو يعتصمون بالعروة الوثقى من قوميتهم
وتطرب السننهم بذكربانهم ، وهل القومية الا الحرص على الذكريات ، هل القومية الا
النغني باصحاب هذه الذكريات .

قال المؤلف الايطالي (فرورو Ferrero) أصبح احتفال الامم بعد تماقب مائة عام

(١) سلسلة المحاضرات التي القاهما في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبيري
عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

على وفاة الفضلاء من رجالها عقيدة قومية في كل الامصار ، وهذا مما جاء به القرن التاسع عشر .

والى هذا رمي اوغست كونت لما اراد ان يجعل عبادة عظماء الرجال بمنزلة عقيدة من عقائد البشر .

فالمعتقد الذي يذهب اليه الافرنجية في عصرنا هذا ذهب اليه العرب في قديم الدهر ولئن ملأ مذهب القوميات القرن التاسع عشر على ما قال الاستاذ « سورل » فان هذا المذهب قد ملأ تاريخ العرب من قبل ان يخلق القرن التاسع عشر .

لقد كان العرب يحرصون على قوميتهم وهل القومية الا اتصال رجال الامة بعضهم ببعض ، امواتهم باحيائهم ، وحاضرهم بغابرهم ولم لا يحرصون هذا الحرص ، وقد كانوا امة على معنى المصطلح الاجتماعي في عصرنا هذا ، ينسبون الى اصل واحد ، وقد تقاربت اخلاقهم وطبائعهم ، وتشابهت هيااتهم وسخنائهم ، وتماثل تاريخهم وسياساتهم ، وجمعتهم ارض واحدة ، واطلمتهم سماء واحدة ، وهل الامة الا واحدة في جنسها وبيئتها ولغتها ودينها وحكومتها وارضها ، على اننا نرى في ايامنا امماً من اجناس مختلفة ، يتكلمون بلغات مختلفة ، ويدخلون في ادبيات مختلفة ، اننا نرى شعوباً يجمعهم نظام قومي محكم وهم مبعثرون في نواحي العالم كله . كاليهود مثلاً اننا نرى شعوباً يتكلمون بلغة واحدة ولا ينسبون الى امة واحدة ، كالانكليز واميركان الشمال ، وكسكان اسبانية وجمهوريات اميركة الجنوبية ، وكسكان البرازيل والبرازيل ، وكسكان فرانسة وباجيكة الشرقية وكسكان ألمانية ومويسرة الشرقية ، اننا نرى امماً من اجناس مختلفين ، كالروس ، او كاهل الولايات المتحدة ، حيث نشاهد الالبض والاسود والاحمر . اننا نرى امماً فيها مذاهب شتى واديان متباينة ^(١)

عاملان من العوامل بنشأت الامة : اشتراك الامة في ميراث ملان من الذكريات واجتماع كلمة هذه الامة على احياء ميراثها المشترك ، فالعرب في قديم الدهر قد لناوات ميراثاً خصيباً بذكرياته وتضافرت على احياء هذا الميراث فعاشت به زمناً رغداً يتغنى العربي

(١) دائرة المعارف الفرنسية : بحث القوميات .

بعروبيته . ويفخر بقوميته ، فهو صاحب الامر النافذ في دياره ، بتصرف سيفه ملكه لا يشاركه رومي او تركي او فارسي او ديلي في سلطانه ، العربية لسانه والعمائم ثيابه والمشرقية سيوفه والخطية رماحه ، نعم عاش العرب في صدر الاسلام بهذا الميراث الخصب : « يتبخترن على شباب الدهر في ظل السرير »

ولكن سرعان ما حالت احوال وحدثت حوادث وما هو الا كد النفس واذا القيسية والبيانية ، واذا المن والنعاب ، واذا الفرس والترك والديلم ، واذا التطاول لانتزاع الملك والسلطان ، واذا الفرقة بعد الالة . واذا الطولونية والاشيدية والحمدانية والفاطمية والسجوقية ، ذهبت وحدة العرب او كادت ، وطلعت الشعوبية في البلاد فلا عز ولا منعة ولا حكمة السن ولا شدة عقول :

فلست بتارك ابوان كسرى لتوضح او لحومل فالدخول

وضب في الفلاساع وذئب بهسا يموي وليث وسط غيل

هذه هي نعمات الشعوبية بعد ان كان السلطان عربيا واللسان مضربا . والوشي يمانيا ازدهم الاعاجم في البلاد واخذ عمال الخلافة العباسية بنفصلون عن بغداد وبنفردون بامور الملك والسلطان ، قال غسثاف لوبون :

« من جملة الاسباب في ضعف العرب اختلاف الامم الذين خضعوا لسلطانهم ، فقد ادى هذا الاختلاف الى تمازج شعوب لا يشبه بعضهم بعضا ، الى تنازع هذه الشعوب ونشأ عن هذا كله نزواج عناصر متباينة ، فافسد هذا التزاوج دم الفاتحين من العرب ، لقد كان تمازج الشعوب المتباينة في بلاد واحدة سببا في انقراض هذه البلاد في كل عصر من العصور واثبت التاريخ ان لا سبيل الى ابقاء اجناس مختلفين في قبضة واحدة الا بامرين ، اما ان يشدد سلطان الفاتحين فلا تخرج الخوارج عليهم وأما ان لا يتزوج الغالب الى نساء المغلوب اي ان لا يندمج الغالب في المغلوب وهذا الامر الثاني لم يحذر العرب - »
نعم لم يحذر العرب هذه الامور كلها حتى اختلطوا بالاعاجم فنفقرت كلمة العرب وضمف تغني القوم بعروبيتهم .

فلننظر في هذه الحالة الاليمة هل حافظ المنفي على عروبيته ، أفكان يضطرب في هذه العروبة اضطرابه في حنينه الى وطنه ، أفكان يتغنى بها مرة ، ويعقها مرة ، كما

كان يحن حيناً الى كندة ، وحيناً يرى ان كل مكان ينبت العز طيب ، فلننظر هل اشتدت الفة المننبي ليمانته وعروبته في جمع اطوار حياته .

لئن كان ابو الطيب قلقاً في تغنيه بتربته كرشة في مهب الريح ، لئن عطف حيناً على وطنه وعقه حيناً آخر ، فما كان قلقاً في تغنيه بعروبته ، لم يعقها في يوم من ايامه ولا حدثته نفسه بالانسلاخ منها في حال من احواله ، ولئن لم تشتد الفة ابو الطيب لتربته فقد اشتدت الفة ليمانته وعروبته فهذه العروبة ممزوجة بنفسه ، موصولة بروحه من اول حياته الى آخرها .

المننبي عريق في يمانته ، شديد الحرص عليها وهل هو الا من جعني وحمدان ، وكأني به وهو يقول في صباه على لسان بعض النيوخين :

ومجدي يدل بني خندف على ان كل كريم يمان

كأني به يريد نفسه بهذه اليمانية ولكن ابا الطيب لم يبقع في عقر يمانته فقد طار في فضاء اوسع وحلق في سماء امد ، فانسخ من اليمانية واندج في العروبة بفاخر بكل شيء عربي بفاخر بلسان العرب وبتيهان العرب و بسيوف العرب . وسواء أكان ابو الطيب رقيق الحال ام كان واسع النعمة وسواء أكان في بلاد العرب ام كان في بلاد المعجم انه حافظ على هذا الدم العربي وتعلق باعداب هذه القومية العربية فلم يرض بغيرها ديناً ولم يبع عنها حولاً .

وما قولكم في شاعر يمر بشعب بوان بارض فارس وهو احد منزهات الدنيا ، مشهور بحسنه وكثرة شجره وتدفق امواجه وكثرة انواع طيره .

اذا أشرف الحزون من رأس تلعة على شعب بوان استراح من الكرب تغنى به الكتاب والشعراء فوصفوا فيه جداول ماء ارق من دموع العشاق وابرد من ثغور الاحباب ، ووصفوا تفرق آذيها وتدفق تيارها وتكسر حبابها في خلال زهر ورباض ، ووصفوا ظلها الخضل الالى ، ما قولكم في شاعر يصف هذا المنزه ويقول فيه :

ملاعب جنة لو صار فيها سليمان لسار بترجمان

طبت فرساننا والخيل حتى خشيت وان كر من الحران

غدونا ننفض الاغصان فيها على اعرافها مثل الجمال

فسرت وقد حجبني الحر عني وجئت من الضياء بما كفا في
والقى الشرق منها في ثيابي دنائراً نقر من البنات
لها ثمر تشير اليه منه بأشربة وقفن بلا اوان
وامواه نصل بها حصاها صليل الحلي في ابدي الغواني
ما قولكم في شاعر يرى هذه العجائب والغرائب فلم تستول على قلبه ولم تأخذ من
نفسه لانه تذكر وهو في شعب بوان انه عربي بين عجم فنأوه وقال :
ولكن الفنى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
وما هذا الفنى العربي الا ابو الطيب نفسه .
وحن الى منازل دمشق العربية وقال :

منازل لم يزل منها خيال يشيعني الى النوبندجان
اذا غنى الحمام الورق فيها اجابته اغاني القيات
ومن بالشعب احوج من حمام اذا غنى وفاح الى البسان

* * *

من هذا يتبين لكم مقدار احتفاظ المتنبي بعروبيته وهو في آخر مدي حياته قد
وقف على الحسين اوجاوزها ولم يكتف بهذا المقدار فذهب في هذه النزعة القومية مذهباً
ابعد ، فهو لا يريد ان يرى الا ملكاً عربياً ، ولا يمتقد ان العرب تفجح اذا كانت
ملوكها من العجم لان العجم ينقضون العهود ولا يخفرون الدم :

وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا ادب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذم
بكل ارض وطنتها ام ترعى بعبد كآنها غنم
يستخشن الخز حين يلسه وكاث يبرى بظفرو القلم

وما هؤلاء العبيد الا عبيد الخلفاء من الاتراك الذين يأمرؤن على الناس . فالمتنبي
يرى بين قومه وبين الاعاجم من ترامي المسافات ما لا يمكن تقريبه فهم متباينون في اللغة
والذكريات فليس لهم ماض مشترك يؤلف بين قلوبهم . ليس لهم ذكريات واحدة .
وادب واحد . واخلاق واحدة . وتربية واحدة فالتمافر مستحکم بينهم من كل النواحي . -

فالمثنيّ عربي في سلطانه . وقد حملته عربيته هذه في بعض الاحابن على ابلاد
الاعاجم فانه لما قدم من الرملة يريد انطاكية مر بابن كينغلغ وهو رجل رومي كان يحافظ على
الطريق في طرابلس . فسأله هذا الرومي ان يمدحه فترفع ابو الطيب عن مدحه . فاعتاقه
ابن كينغلغ عن سفره ثلاثة ايام . فلما فارقه المثنيّ قال فيه قصيدته المشهورة : لهوى
النفوس سريرة لا تعلم . من جملة هذا البيت :

افعال من نلد الكرام كريمة وفعال من نلد الاعاجم اعجم
انظروا كيف كان ابو الطيب يتجرد للراماة دون حياض العرب . فقد كان يباهر
بكل شيء عربي . يباهر بلسان العرب وبنجان العرب . و بسيوف العرب . وصحبته هذه
العاطفة الشريفة حتى آخر نفس من انفاسه الدكية . لما مدح ابن العميد في ارض
فارس وهنأه بالنيروز مدح فيه عروبة اللسان قبل كل شيء فقال :

عربي لسانه فلسفي رأيه فارسية اعياده

ولما انصرف سيف الدولة من الظفر بمحضره وعاد الى انطاكية . جلس في
فازة من الدباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان . فتنظرون ان ابا الطيب
فضل تيجان الروم على عمامة العرب كلاً ثم كلاً . فقد قال لسيف الدولة :

وفي صورة الرومي ذي الناج ذلة لا بلج لا تيجان الاعمامه
نقبّل افواه الملوك بساطه ويكبر عنها كره وبراچه

نعم كان يفاخر بكل شيء عربي انظروا الى مفاخرته بسيوف العرب قال يمدح
سيف الدولة وبذكر بناءه مرعش :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد فكيف اذا كانت نزارية عربا

وكان هذه النزعة القومية كانت نزعة طائفة من شعراء تلك الايام على ان الحرب
التي كانت تدور بين المسلمين والروم قد صبغت بصبغة دينية فكان ملك الروم اذا غزا
بلاد المسلمين يجهز رجاله بالصليب الاحمر وقد كان شعراء العرب يؤمّن يذهبون في شعرهم
بعض مذاهب اسلامية مجازاة لطبيعة الحرب بين الروم والمسلمين قال ابو الطيب
لسيف الدولة :

خضعت لمنصلك المناصل عنوة واذل دينك سائر الاديان
ولكنهم مع هذا كله قد خرجوا من افق الدين الى افق اوسع واعم ، فلم يقنصر
ابو الطيب في مدائحہ في سيف الدولة على الاشارة الى نصرة الاسلام في حرب الروم
ولكنه كان يرمي مرمي عربياً ابعد أفقاً فن قوله في سيف الدولة :

رفعت بك العرب العاد وصيرت قمر الملوک موافد النسيان
انساب نخرم اليك وانما انساب اصلهم الى عدنان

فقال : رفعت بك العرب ولم يقل رفع بك الدين .

نعم كانت هذه الالهجة لهجة كثير من شعراء تلك الايام ، لما بني سيف الدولة قلعة
الحدث وقد جمع ملك الروم اكابر مملكته وجهزم بالصليب الاحمر هناك كثير من
الشعراء من جملتهم السري الذي قال في بناء الحدث :

رفعت بالحدث الحصن الذي خففت منه الحوادث حتى ذل صاحبه
اعيدته عدويا سيف مناسبه من بعد ما كان رومياً مناسبه
وكتب ابو فراس الى سيف الدولة وهو في الاسر ابهاتاً من جملتها :
وانك لي الجبل المشحور بل لقومك بل للعرب

ومن قول ابى نصر ابن نباتة في سيف الدولة :

حاشاك ان يدعيك العرب واحداً يا من ثرى قدميه طينة العرب
وما اكرم هذه الصرخة التي صرخها ابو فراس على اسان نساء بني كلاب وذلك ان
سيف الدولة اصطنع بني كلاب وادناهم وآمن سر بهم فقهروا العرب وعلت كلمتهم الى ان
بذت منهم هفوة احفظت سيف الدولة فاسرى اليهم وادفع بهم وملك حرمهم واموالهم
ثم صفح عنهم وكرم وجمع الحرم وركل بهن الخدم وحملن وافضل عليهن واحسن اليهن
فكتب اليه ابو فراس في تلك الحال قصيدة يقول فيها :

ينادين بين خلال البيوت لا يقطع الله اصل العرب !
وفي هذه الوقعة يقول ابو الطيب :

وان بك سيف دولة غير قيس فمنه جلود قيس والشياب
وتحت ربابه نبثوا واثوا وفي ايامه كثروا وطابوا

وتحت لوائه ضربوا الاعادي وذل لهم من العرب الصعاب

هكذا كان نغني الشعراء بالقومية حتى ان ابا تمام لما قال قصيدته الخالدة في مدح المعتصم وذكر فتح عمورية نزع في شعره نزعة اسلامية ولكنه لم يسعه في آخر القصيدة الا النغني بالعروبة فقال :

ان كان بين صروف الدهر من رحم موصولة او زمام غير منقضب
فبين ايامك اللاتي نصرت بها وبين ايام بدر اقرب النسب
ابقت بني الاصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجلت اوجه العرب
فانتم تجدون في هذا كله ان كلمة العرب كانت تجري على السن الشعراء في ذلك
العصر حتى في الحروب الدينية وفي هذا اشارة الى نزعة قومية لا يخفى امرها .

هذا ما عن لي من الكلام على عروبة المنبيء ولم لا بنغني ابو الطيب بعروبيته ،
وقد جاءت هذه العروبة من ناحية ابيه ومن ناحية امه فاختمت في صدره فلم تفارقه في
طور من اطوار حياته ، واذا كان شاعر مثل المنبيء لم ينزع في شعره نزعة قومية فمن
الذي بذهب هذا المذهب ، فاللسان العربي الذي لهج ابو الطيب بحبته عامل من اقوى
عوامل القومية ولئن وجدنا شعوباً يتكلمون بلغات واحدة ولا ينسبون الى امة واحدة
فلا يستنبط من هذا ان اللغة الواحدة لا تكون عنصراً من عناصر القومية فاللغة انما
هي اشد الاواصر بين حاضر الامة وماضيها ، وبين احبائها وموتاهها . فيها كل شيء
يربطنا بالماضي ، فيها افراح العرب وآلامهم وفيها افكارهم وعواطفهم ، انها تضمنت ميراثنا
الادبي الذي نعب آباؤنا واجدادنا في صقل جوانبه وتهذيب حواشيه ولا تكون الامة
امة على مصطلح هذا العصر الا اذا تضافر رجالها على الاعناء بهذا الميراث .

هذا ما رمى اليه ابو الطيب في الماضي وهذا ما نرعى اليه في الحاضر والآتي .

دمشق : في اشباط سنة ١٩٣٠

المحاضرة الثالثة عشرة

هل كان المتنبي شعوبياً

- ٥ -

نفهم عنه التمصب لوطاي - نفهم عنه التمصب لقومه
« نقد الشاعر من ناحية واحدة »

هيات الكلام على ابتداء امر المتنبي ، وعلى اول تربته وثقافته ، وعلى رقة حاله
وجملة اخباره ، ووصف طبائعه ، واعدته لأحضره في هذا اليوم الا ان المقام اقضى
ان اعود على ما بدأت به من الكلام على تمصب المتنبي للعرب والعروبة ، وعلى حنينه الى
وطنه واضطرابه في هذا الحنين لاني وجدت بعض المؤلفين في هذا العصر ممن عملوا
كتاباً على حدة في ابي الطيب المتنبي بنفون عن ابي الطيب تمصبه لقومه ، وتمصبه لبلده ،
ملفين الكلام على عواهنه دون شيء من التحيص . أما نفهم عنه التمصب للوطن ، فقد
استندوا فيه الى طائفة من الابيات التي رويتها لكم واثرت فيها الى اضطراب المتنبي في
حنينه الى تربته منها :

وما بلد الانسان غير الموافق ولا اهله الاذنون غير الاصادق
ومنها وكل امريء يولي الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب
واضافوا اليها ابياتاً غيرها من جملتها :

غني عن الاوطان لا يستخفي الى بلد سافرت عنه اياها
ومنها : في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من اختمها بدل
على ان البيت الذي جاء قبل هذا البيت وهو :

اذا صديق نكرت جانبه لم تعبني في فراقه الحيل

بدل على ان ابا الطيب اذا حدثه نفسه بالاضطراب في سعة الخافقين فانما ذهب هذا
المذهب لانكاره جانب الصديق ولم يذهب لانكاره جانب الوطن نفسه .

ذكروا هذه الابهات كلها ، وقارنوا بينها وبين الابهات الآتية التي بقولها اصحابها في حينهم الى بلادهم والى قومهم :

بلادي وان جارت علي عزيزة وقومي وان ضنوا علي كرام

او كقول المعري :

فلا هطلت علي ولا بارض صحائب ليس انتظم البلادا
فحكوا على المتنبي انه لا يتعصب لبلده ، ورموه بضعف الخلق ، وشبهوه بالطفل الذي
يهد يديه الى الخير ، لا يبالي اين وجده وكيف النقطة -

واما فهم عنه التعصب لقومه ، فانهم لم يذكروا الابهات التي استندوا اليها في هذا
النفي ، ولكنهم اشاروا الى مدائح ابي الطيب في عضد الدولة وفي كافور وعجبوا من
المنثني كيف يمدح الاعاجم بعد قوله :

وانما الناس بالملوك وما نفلح عرب ملوكها عجم

كيف يمدح ابو الطيب عضد الدولة ، وكيف يذكر في شعره اسمه ولقبه ويقول :

وقد رأيت الملوك فاطبة وسرت حتى رأيت مولاها

اباشجاع بفارس عضدالدو لة فتسا خسرو شهنشاهما

نعم عجبوا من هذا كله ، فحكوا على المتنبي انه مجرد من التعصب للعرب ولبلاذ العرب
فكانهم يقولون فيه انه شعوبي ، وان هم لم يصرحوا بهذه الصفة ، فلننظر في مبلغ هذا
العجب ومقدار هذا الحكم ، أفكانوا مصيبين في هذا الحكم ام كانوا مخطئين فيه ،
أفصدر حكمهم بعد ان نظروا الى ابي الطيب من جميع النواحي ، ام صدر الحكم وهم لم
ينظروا الى المنثني الا من ناحية واحدة ، فلا بأس بان يكون الدرس في هذا اليوم ضرباً
من النقد :

الغريب انهم اذا نقدوا شعر شاعر ، وصوبوا النظر وصعدوه في بواطن هذا الشاعر
وفي ظواهره ، نظروا اليه من طرف واحد . فمنهم من ينظر اليه من الناحية التي يظنها
ناحية المحاسن ، ومنهم من ينظر اليه من الناحية التي يحسبها ناحية المساوي ، وفي هذين
المذهبين اشتطاط في الرأي وذهاب مع الهوى . وانقياد للعاطفة ، وضعف في النظر

وما ينبغي للناقد ان يكون خاضعاً لسلطان الهوى ، ما ينبغي للعين ان يخفى عليها الضياء فلا ترى الا الظلام ، فأنهم اذا ذهبوا سبغوا النقد هذه المذاهب ، وساروا هذه السيرة ضاعت الحسنات ، حتى انهم لم يعطوا العورات في بعض الاحيان وبتعقبونها فيمرون بالحسنات الرائعة والى جنبها سيئة خفية فيغضون على الروائع وينهامون بالعورات وما هذا من النقد في شيء ، واذا الناقد لم ينظر الى الشاعر من جميع الوجوه من وجه الحسنات ومن وجه السيئات على السواء لم يكن نقده نقداً ولا تمييزه تمييزاً ، اذا هو نظر اليه من طرف واحد ، حكّم الهوى في نظره كان نقده مثلوم الجواب .

جردوا ابا الطيب من كل عاطفة وطنية ومن كل نزعة قومية واعتمدوا سبغ تجربتهم هذا على الابهات التي رويها لكم فلننظر في حكمهم على ابي الطيب من الناحية الوطنية ، والمراد بالوطنية في هذا المقام الحنين الى الوطن ، لا ريب في ان ابا الطيب لم يثبت على حال في شوقه الى تربته ، وقد بدت اضطرابه في هذا الحنين فلا أجد حاجة الى الرجوع اليه . وقد يكون لهذا الاضطراب اسباب شتى : منها ان ابا الطيب لم يستقر في وطنه منذ نشأ وترعرع حتى قتل ، فمن بادية العراق الى بادية الشام ، ومن اللاذقية الى انطاكية الى حلب ، ومن حمص الى دمشق ومن دمشق الى طبريا الى الرملة ومن فلسطين الى مصر ومن مصر الى العراق ، ومن العراق الى بلاد فارس ، فهو لم يقيم بوطنه فلم تألف عينه هذا الوطن ، ومنها ان النفس تعرض لها في بعض الساعات عوارض فتذهل عن كل شيء في الدنيا حتى انها لشكاد نعان الحياة والمنني عصبي المزاج فكان تعرض له هذه العوارض من ألم في النفس وضيق في الصدر كما تعرض اكل واحد منا وما قولكم في شاعر بترك بلاد الشام وذهب الى مصر فيجلى له كافور داراً ويخلع عليه ويجعل اليه آلافاً من الدراهم فيستقبله المتنبي بهذا الشعر :

كنى بك داء ان ترى الموت شافياً وحسب المنايا ان يكن امانياً

ما فواكم في شاعر يتنى الموت وهو في مجبوحة من العيش وسعة من الامل أفيكثر عليه ان يعاف بلده في بعض الساعات اذا كان يعاف حياته ، على ان ابا الطيب لم يجرّد من العاطفة الوطنية كل التجريد ، فانه اذا اضطرب وقال :

غني عن الأوطان لا يستغني الى بلد سافرت عنه اياك

هدأ بعد مضطربه وقال وهو في بلاد فارس بين يدي ملك عجمي :
أحب حمص الى خناصرة وكل نفس تحب محياها
وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصححان مشتاهها

وان الذي يقول : وكل نفس تحب محياها ، او يقول : أحسن الى اهلي واهوى لقاءهم ، لا يرمى بممة الوطن فكان ابو الطيب يضطرب في بعض الاحوال ثم يهدأ فيصفو خاطره ويروق ذهنه فيذكر اهله ووطنه فكان يجب على الذين نقوا عنه التعصب لبلده ان ينظروا اليه من النواحي كلها ، من ناحية حنينه الى تربته ومن ناحية اضطرابه في هذا الحنين حتى يكون حكمهم صادقا الا انهم لم ينظروا اليه الا من ناحية واحدة ، فأشاروا الى الابیات التي دلت على اضطرابه في الحنين الى الوطن وسكتوا عن الابیات التي تضمنت حنينه اليه فإما ان يكونوا متعاملين على المنهبي ، وإما انهم لم يقرأوا ديوانه كله ، والأمر الثاني أغرب فكيف يؤلفون في هذا العصر كتابا في شاعر من الشعراء ولا يقرأون شعره كله .

على انهم لو انصفوا فنظروا الى ابي الطيب في وطنه اي في حنينه الى تربته من الناحيتين ، واحبوا ان ينقدوه من الناحية التي اشتملت على تغنيته بتربته لوجدوا مجال النقد ذا سعة فان ابا الطيب لم يخلف لنا في شعره صورة التربة التي ألفها ، فلم يجعلها على الحنو على هذه الارض الكريمة التي رويت من دماء آبائنا واجدادنا فلو أحطنا مثلاً في شعر ابي الطيب وهو في مصيفه في حمص بالعاصي من منعطفات شطوطه ، فحمننا على هذا النهر المنبسط وصوبنا النظر وصعدناه في مروجيه وفي جنانه وشمعننا نسيم الشبح والقيصوم في البادية التي جال فيها كل مجال لشعرنا حينئذ بفرط الحنو على هذه الارض الكريمة حيث نبث لنا في كل بقعة من بقاعها اصول دقيقة قوية نذكرنا فيها ما وعشيرنا في الماضي .

لو نقدوا ابا الطيب من هذه الناحية ، وقالوا لم يخلف في شعره صورة تجمع أشكال التربة التي ألفها والوان هذه التربة لأصابوا في تقديم بعض الاصابة ولكنهم لم ينقدوه من هذا الوجه وانما جردوه من العاطفة الوطنية تجرّيداً ، وهذا موضع الاشتطاط ، على

ان ابا الطيب لم يخل شعره من اثر للتربة التي مر بها والفها ، ولكن هذا الاثر انما هو اثر اعرابي يوافق ذوق ابي الطيب وعاداته في مشابهة الاعراب وهل هو الا ابن البادية ، وربيب القبائل الف الاعراب من حداثة سنه واخذ عنهم اللغة . صحيحهم منين ثم جاء الكوفة و هو بدوي فح ، نعم لم يخل شعره من اثر للتربة التي الفها فانه كما قال :

احب محمداً الى خناصرة وكل نفس تحب محمداً
وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصحصحان مشتاها

وصف في مصيفه في حمص ومشتاه بالصحصحان نط عبشته وما هذه العيشة الا عيشة الأعراب :

ان اعشبت روضة رعينهاها او ذكرت حلة غزوناها
او عرضت عانة مقزعة صدنا باخرى الجياد اولها
او عبرت هجمة بنسا تركت تكوس بين الشروب عقراها
والخيل مطرودة وطاردة تجر طول القنا وقصرها
يعجبها قنلها الكماة ولا ينظرها الدهر بعد قنلاها

هذا الذي تركه لنا من آثار مصيفه ومشتاه في حمص والصحصحان وانتم ترون ان هذه الآثار اعرابية ما فيها الا الصيد والا الغزو .

فلننظر الآن في حكمهم على المتنبي من الناحية القومية ، فقد عجبوا منه كيف سمحت له نفسه بمدح العجم والاعاجم ، بعد مدح امراء العرب كسيف الدولة واخراجه ، وبعد تعبيره بكراهية العجم ، لا شك في ان ابا الطيب مدح ملوكاً وامراء لا ينتسبون الى اصل عربي من جملتهم عضد الدولة ومن جملتهم الاستاذ كافور ولكن هل يجوز ان يكون مجرد مدحه لامراء وملوك اعاجم دليلاً على ايمه في عروبيته وهوادته في قوميته وعلى الخصوص فإنه لم يجر على شعره في مدائحه فيهم شيء يستلخص منه فضل الاعاجم على العرب او انه طعن على العرب ورفع من مقادير العجم كما كانت تفعل الشعوبية ، فهو لم يمدح الروم والصقالب والبلغار ولا مدح الدمستق وقسطنطين . وانما مدح ملوكاً مسلمين يتكلمون بلغة العرب وبفأخرون بها فان ملوك آل بويه شعروا ورويت لهم اشعار وكان في خدمتهم

من الكتاب والوزراء امثال ابي اسحق الصابي وابي القاسم عبد العزيز بن يوسف وابي احمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي وأبي القاسم علي بن القاسم القاشاني وابن العميد عماد ملك آل بويه والصاحب ابي القاسم وغيرهم ممن كانوا امراء البیان والانشاء وكانت اللغة الفارسية قد غرقت في خضم العربية وكان عضد الدولة نفسه على ما ذكره الثعالي في يتيمة يتفرغ للادب ويتشاغل بالكتب ويؤثر بحالسة الادباء على منسامة الامراء ويقول شعراً كثيراً قال ابو بكر الخوارزمي :

كان بنادم عضد الدولة بعض الادباء والظرفاء ويحاضر بالادوصاف والتشبيهات ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتها وغيرهما الا وانشد فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً ، فبينما هو ذات يوم معه على المائدة ينشده كمادته اذ قدمت بهيمة فنظر عضد الدولة كالامر اياه بان يصفها فارتح عليه وغلبه سكوت معه نجل فارتحل عضد الدولة وقال :

بهيمة تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
كأنها في الجام مجلوة لا لي في ماء كافور

وقد رويت اشعار لابنه تاج الدولة ابي الحسين احمد ولعن الدولة ابي منصور بخنيار ولابي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة فالمنبي لم يمدح ملوكاً طعنوا على العربية وانما مدح ملوكاً كانوا يشككون بها وبفاخرون وفي اتصاله بهم لم ينس عروبيته ولم يتجرد منها واظن انكم لاتزالون تذكرون قوله في مغاني شعب روان .

ولكن الفنى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

والنزعة العربية في هذا البيت واضحة فالذي لا تهمه العصبية لقومه لا يستوحش في بلاد العجم وقد كان يستطيع ان يرضي العجم فيقول لم مثلاً اذا نزل العربي بارضكم فلا يكون غريباً ولكن نفسه العربية أبت الا الوحشة والا الحنين الى منازل دمشق .

وكذلك الاستاذ كافور فقد كانت مجالسه عامرة بالشعراء منهم الانصاري وكانوا يتفاوضون في اللغة والادب حتى ان المنبي عارض الانصاري بحضرة كافور في فصيدته الميمية التي يقول فيها : (نظر الحب الى الحبيب غرام) ، وقال له : العرب لانقول اليه

غرام وانما العرب نقول له ، فقال له الانصاري : العرب نقول اليه ولديه وله وحروف
الخفض ينوب بعضها عن بعض .

فالملوك الذين تعمروهم بالسهم بامثال هذه المجادلات انما هم ملوك لا يكرهون العربية
على ما اظن فما في مدح المنبي لهم طعن عليه من الناحية القومية فما كان يحضرتهم بغض
من العرب وبنقصهم .

فالمنبي عربي في اصله ، عربي في عيشته ، عربي في نزعتة ، وقد صحب الاعراب
وخالطهم ولهذه المخالطة آثار في شعره فيجب على الذين ينفون عنه التمسك لوطنه ولقومه
ان ينظروا اليه من كل النواحي حتى يكون نقدهم صحيحا .

دمشق : في ٨ شباط سنة ١٩٣٠

اين تعلم المتنبي

- ٦ -

عرفنا اين ولد المتنبي ، وعلينا ما تيسر لنا علمه من نسبه وعروبته ، فأين تعلم القراءة والكتابة ، واين طلب أدبه ولغته ، وهل كان لمدرسته آثار في عبقريته ، هذا ما أبحث عنه واياكم في مجلسنا هذا .

قال ابو الحسن محمد بن يحيى العلوي : كان ابو الطيب محباً للعلم والادب فصحب الاعراب في البادية وجاءنا بعد سنين بدوياً حقاً ، وكان تعلم القراءة والكتابة فلزم اهل العلم والادب واكثر من ملازمة الورقاءين فكان علمه من دفاترهم .

وقال الشعالي : ذكرت الرواة ان اباہ سافر به الى بلاد الشام فلم يزل ينقله من ياديتها الى حضرها ، ومن مدرها الى وبرها ويستلمه من المكاتب ويردده في القبائل ومحابه نواطق الحسنى عنه وضوا من النجح فيه ، حتى توفي ابوه وقد ترعرع ابو الطيب وشعر وبرع . وقال صاحب الطبقات : وأقام بالبادية وطلب الادب وعلم العربية ونظر في ايام الناس .

وقال ابن خلكان : واشتغل بفنون الادب ومهر فيها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطالعين على غريبها وحوشها ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ ابا علي الفارسي صاحب الايضاح والتكملة قال يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ، فقال المتنبي في الحال ، حجلي وظربي ، قال الشيخ ابو علي : « فطالمت كتب اللغة ثلاث ليال على ان اجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجده » .

من هذا يتبين لكم ان ابا الطيب قد جهد نفسه في طلب الادب واللغة فكانت له دفاتر يدرسها في الليل وربما مضى من الليل اكثره وهو يدرس وكان كثير الاشفاق على هذه الدفاتر اذا سافر اخذها معه لانه كان قد اتقنها وأحكمها قراءةً وتصحيحاً ، ولنا نعرف هذه الدفاتر ولا ندري بما كانت تشتمل عليه ، وانما نقل عنه انه كان يروي شعر ابي تمام ويقول

« او يجوز للاديب ان لا يعرف شعر ابي تمام ، وهو استاذ كل من قال الشعر بعده » فالمنبئي درس كثيراً وقرأ كثيراً فن الشعراء الذين نظر في شعرهم البحري وابن الرومي وابوتمام ومسلم بن الوليد وبشار وابو نواس وابن المعتز والغزدق وعمرو بن كلثوم وامرو القيس والاعشى وبعض رجّاز العرب وغيرهم من الذين لا يخلو شعره من رسومهم واني لا جاوز في هذا المقام الاشارة الى ثقافته العامة فأخطى الكلام على تجاربه في الحياة وعلى ما فذقت له هذه التجارب من ضروب الحكم :

اذا ما الناس جريهم لبيب فاني قد اكلتهم وذاقا

واخطى الكلام على نظرائه الفلسفية مرجئاً هذا كله الى حين البحث عن هذه النظرات فلا اتعرض في هذا المجلس الا لآثار مدرسته الاولى في شعره .

للبادية في ثقافة المنبئي آثار ظاهرة على شعره في كل طور من اطوار هذا الشعر فهو ابن البهد والفياني من افق البادية درج خياله ، وفي جو البادية نما هذا الخيال فلا عجب اذا عاينت بذهنه صور هذه البادية ، الف المنبئي اهل البادية وخیلها ومهامها ومفاوزها وغزوها وصيدها وسيوفها وقناها ، فلا تجدون في كثير من شعره فرقاً بينه وبين الاعراب الذين صحبهم في التنفي بكل امر من امور البادية ولا يكاد شعره يخلو من آثار صهيل الخيل وقعقة اللجم وصرير العوالي ، فالبادية اول مدرسة درس فيها المنبئي وكما ان للبيئة وللزمن وللدم تأثيراً في العبقرية فكذلك التربية فأنها لا تخلو من التأثير في الاذهان ، الف المنبئي البادية فلم يخف عليه امر من امورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج اليها ابن البادية في وصف ابله وخیله وسلاحه وضروب ذلك ، وقد رسخت في ذهنه صور البادية من حداثة سنه الى آخر يوم من ايامه ، حتى انه اذا فارق الاعراب وجالس الملوك والامراء والوزراء ، كانت صور البادية ترجع الى ذهنه من حين الى آخر فلست اعرف شاعراً اعند من المنبئي في الحرص على آثار تربيته الاولى ، جالس الملوك والامراء والوزراء فلم يقلع عن اعرابته ، وعرضت عليه الحضارة مشاهد رائعة فلم تنزع به عن بدويته ، فقد غلبت عليه صور البادية فلنبين هذا الامر على قدر ما ينسجم له مجلسنا .

للمنبئي اربعة اطوار في شعره ، طور وهو يجول في افطار الشام قبل اتصاله بسيف

الدولة ، وطور وهو في ظلال سيف الدولة وطور وهو في حضرة كافور الإخشيدي وطور
وهو في بلاد فارس ، فلننظر في آثار البادية على شعره في كل طور من هذه الاطوار
الاربعة .

لما كان المنبيء يجوب آفاق الشام ويمدح رجالها وذلك في اول نشأته وتعرعه
كانت آثار الثقافة البدوية ظاهرة على شعره كل الظهور فان خياله الذي نما في البادية
كان خيالاً على فطرته الاولى فكأنه اعرابي لم يألف الحضر .

برني السرى بري المدى فرددني اخف على المركوب من نفسي جرمي
وابصر من زرقاء جو لاني متى نظرت عيناي سواهما علي
كأنني دحوت الارض من خبرتي بها كاني بنى الاسكندر السد من عزمي
فلاشارة الى السرى والى حدة البصر والى الخبرة بالارض كل هذا من مذهب
اهل البدو الذين لا يقيمون بقعة من الارض دون بقعة .

اواناً في بهوت البدو رحلي وآونة على قتند البعير
فتارة كان يتغنى ببنيات الجدبل وبالفتة الجاهل والفلوات .

نحن ركب ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال
من بنات الجدبل تمشي بنافي البيد مشي الايام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها اثر النار في سليط الدبال
وتارة كان يتغنى بسيفه :

كفرندي فرند سبني الجراز لذة العين عدة للبراز
تحسب الماء خط في لهب النار ادق الخطوط في الاحراز
كلما رمت لونه منع الناظر موج كأنه منك هازي
ودقيق قذى الهباء انيق متوال في مستوى هزماز
الى آخر ما وصف به هذا السيف .

هكذا كان دأبه في الشدو بأمر البادية ولقد تجلت شئشئته هذه في اراجيزه
التي كان يتشبه فيها بالاعراب منها ارجوزته :

ما للروج الخضر ولحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

فكان له حجر تسمى « الجهامة » ولها مهر يسمى « الطخور » فاقام التاج على الارض بانطاكية وتعذر المرعى على المهر فقال المنبي ارجوزته هذه ومن قرأها حسب بدوياً يصف الخليل .

كل هذا من آثار مدرسته الاولى ولقد اثرت فيه هذه المدرسة من الناحيتين المادية والمعنوية حتى انه اذا تغزل كان يتغزل بالاعرابيات :

هام الغواد باعرايبة سكنت بيتاً من القلب لم تمدد له طنباً

واذا شبه في غزله جرت على خاطره في الحال تشبيهات اهل البادية ، فالرماح والسيوف ادوات يلجأ اليها في هذا الغزل :

من طاعني ثغر الرجال جآذر ومن الرماح دماج وخلاخل

ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

على انكم نجدون في بعض الاحوال آثاراً حاضرة الى جنب هذه الآثار البدوية خالية من السيوف والرماح وما شابه ذلك :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي بصن به الجمالا

وضفة رن الغدائر لا الحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا

نعم انكم تجدون في بعض غزله وشي الحضارة ونعومتها :

حسان النثني بنقش الوشي مثله اذا مسن في اجسامهن النواع

وييمن عن در ثقلدن مثله كآب التراقي وشحت بالمباسم

ليس معنى هذا ان المنبي لم يصف مشاهد الحضر ولكن البادية شغلت القسم الاعظم من خياله فاذا وصف مشهداً من مشاهد الحضر طادت الى ذهنه في الحال صور البادية لتضرب مثلاً لذلك .

من قوله في قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم النخعي وقد تصدى لوصف بحيرة طبرية :

لولاك لم أترك البحيرة والغور دفي وماؤها شيم

والماوج مثل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطع

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها للجم

كانها والرياح تضربها جيشا وغى : هازم ومنهزم
كانها في نهـارها قمر حف به من جنانها ظم

فأنتم ترون انه لما أراد ان يشبه الموج شبهه بهدير الفحول ، ولما أراد ان يشبه الطير وهي فوق الحباب شبهها بفرسان خيل بلق ، ولما أراد ان يشبه الرياح وهي تضرب الطير شبهها بجيشي وغى ، والفحول وفرسان الخيل والجيش والماء الشيم والقطم كل هذا لا يخلو من اثر بدوي ، واذا أردتم ان تعرفوا الفرق بين هذا الخيال البدوي وبين الخيال الحضري فارجعوا الى وصف ماء لشاعر من شعراء العرب ، ارجعوا الى وصف البحري للبركة ، ومن شروط المقايسة والموازنة ان تأخذوا قصيدتين في موضوع واحد ، اذ انه لا تصح الموازنة بين قصيدتين مختلفتين في الموضوع ، فالمني وصف بحيرة طبرية والبحري وصف البركة ، وقد سمعتم وصف ابي الطيب فاسمعوا شبيهاً من وصف البحري ، ولا يتسع المقام لذكر الابیات كلها وانما اذكر طائفة منها :

كانما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكاً مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يضاحكها وربق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ايلاً حسبت سماء ركبت فيها

الى غير ذلك من وصف السمك وعمومه والرياض وبشاشتها ، وانا أنترك لكم الحكم على الفرق بين الوصفين فانكم ولاشك تعترفون معي بان الفضة البيضاء ومضاحكة الشمس وما شابه ذلك انما هو كلام حضري لا اثر للبداءة عليه .

هذا هو الطور الاول في شعره فلننظر الى ابي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة فقد وجد في هذه الظلال الوارفة أفقاً مبدئاً يسرح فيه خياله البدوي فانه لما اتصل بسيف الدولة سلمه الى الرواض فملوه الفروسية والطراد والمتاففة ، وصحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم فتصرف المنابي في وصف هذه الحروب والغزوات أبلغ التصرف اعانته على ذلك امور شتى منها تربيته الاولى ومصاحبته للاعراب وما أثرت فيه هذه المصاحبة من الآثار التي شهدتم منها شيئاً في شعره في طوره الاول وهي كلها سبيل مهيمة

الى وصف الحروب ، ومنها مصاحبته لسيف الدولة في هذه الغزوات فاذا وصف انما كان بصف بعد العيان فاكثر شعره في سيف الدولة وصف فيه هذه الحروب فلا نعرض في هذا المقام لشيء من هذا الوصف لان هذا يأتي في الكلام على شعره ، وانما غرضي في هذا المجلس ان أبين ان المنبئي كانت تغلب على شعره آثار البداوة وان هذه الآثار جاءت من مدرسته الاولى وما هذه المدرسة الاولى الا البادية ولئن كان ابوه يسافر به من البدو الى الحضر فان صور البدو شغلت الناحية الكبرى من خياله ، فهل تبدل خياله البدوي وهو في ظل سيف الدولة ، هل اقل من التغني بالابل وبقوته على السير وماشابه ذلك فلننظر في هذا كله .

لما اتصل بسيف الدولة اتصل بملك قد روي من نعيم الحضارة وترفها فأخلق بابي الطيب ان تظهر على شعره آثار هذه الحضارة فأول قصيدة قالها فيه وصف فيها فائزة من الدهباج عليها صورة ملك الروم وصورة وحش وحيوان وقد جلس سيف الدولة على هذه الفائزة فقال ابو الطيب :

وأحسن من ماء الشبيبة كله	حيا بارق في فائزة انا شائمه
عليها رياض لم تحكها سمابة	واغصان درج لم تنغن حمائم
وفوق حواشي كل ثوب موجه	من الدر سمط لم ينقبه ناظمه
تري حيوان البر مصطلحاً به	يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه	تجول مذاكيه وتدأى ضرغامه
وفي صورة الرومي ذي الناج	ذلة لا يبلغ لا تيجان الا عمائم

فأنتم تجدون في هذا الشعر صوراً حضريه حتى ان غزل المنبئي ظهرت عليه آثار رقة الحضر فقد عدل في غزله عن السيوف والرماح الى الأزاهير والرياحين :

سقاك وحيانا بك الله انما على العيس نور والحدور كئامة

ومنه قوله :

وغضبي من الادلال سكرى من الصبي	شفعت اليها من شبابي بربق
واشذب معسول الثنيات واضح	سترت في عنه فقابل مغرقي

وأجباد غزلان كجيدك زرني فلم أتبين عاطلاً من مطوق
ومنه قوله :

واني لأعشق من أجلكم نخولي وكل امريء ناحل
ولو زاتم ثم لم أبكم بكيت على حيي الزائل

ولكنه مع هذا كله لم تغارق صور البادية ذهنه فكان يرجع اليها في بعض غزله
فيرجع الى السيوف وأشكالها :

وقد طرقت فتاة الحلي مرتدياً بصاحب غير عزهاة ولا غزل
فبات بين ثواقينسا ندفعه وليس يعلم بالشكوى ولا القبل
ثم اغتدى وبه من درعها أثر على ذؤابته والجنن والخلل

ويرجع الى هذه الصور في المراثي نفسها :

نعد المشرفية والعوالي ونقتلنا المنون بلا قتال
وترتبط السوابق مقدمات وما ينجين من خيب الليالي

ومنه قوله في هذه القصيدة :

لساحبه على الاجداث حفش كأبدي الخيل ابصرت الخالي
والحفش والخالي والحب وارتباط السوابق كل هذا من آثار البدو ولا ريب في
ذلك .

فابوالطيب في التبدل البسير الذي تبدله وهو في افياء سيف الدولة اي في افياء
النعم والترف كان يعود الى شغشته في التغني بالابل و بالقوة على السير الى غير ذلك
من مذاهب الاعراب واهل البدو ، فمن وصفه للابل :

وحكمت في البلد العراء بناعج معناده مجنابه مفتاله
يمشي كما عدت المطي وراه ويزيد وقت جماعها وكلاله
وتراخ غير معقلات حوله فيفوتها متجفلاً بعقاله
فغدا النجاح وراح في اخفافه وغدا المراح وراح في ارقاله

نعم انه لا يكاد ينسي فرسه ورمحه وسيفه وناقته حتى مواطن الغزل :

سلي عن سيرتي فرسي ورمحي وسهني والحملعة الدفاقا
ولا يكاد يذهل عن الخيل والبهاء :
الخيل والليل والبهاء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صعبت في الفلوات الوحش منفرداً حتى تعجب بني القور والاكم

هذه هي شئنة المنبئي وهو في ظلال سيف الدولة المديدة فلتنظر اليه لما غضب على
سيف الدولة وتراحت به البهد والفيافي الى كافور الاخشيدي ، فلتنظر اليه هل افلح
عن هذه الشئنة ام لازمته في مصر ، اظن انه لم يقلع وهو في مصر عن شيء من هذه
العادات البدوية فقد عاد الى دأبه من ذكر الخيل والقنا والموالي ومما اثل ذلك حتى في
اول قصيدته في كافور .

وجردا مددنا بين آذانها القنا فبنن خفافاً يتبعن العواليا
تماشى بايد كلما وافت الصفا نقشن به صدر البزات حوافيا
وننظر من سود صوادق في الدجي يرين بعيدات الشخوص كماهيا
وننصب للجرس الخفي سوامعاً يخلن مناجاة الضمير نناديا

ولما طالبه كافور بذكر الدار التي بناها على البركة بازاء الجامع الاعلى لم يقل شيئاً في
وصفها يسمى وصفاً فكانت بحقرة الدور .

مسنقل لك الديار ولو كان نجومًا آجر هذا البناء
ولوان الذي يحرم الام واه فيها من فضة بهضاء

فكان يحاول التخلص من الوصف الى المديح والوصول الى ذكر الجياد والسمهريه السمراء
والصوارم البيض والهيحاء

وبسانينك الجياد وما تحم ل من سمهريه سمراء
انما يفخر الكريم ابوالمسك بما بينني من العلياء
وبايامه التي انسلخت عنه وما داره سوى الهيحاء
وبما اثر صوارمه البيض له سيفي حجاجم الاعداء
لا بما بينني الحواضر في الرد ف وما بطني قلوب النساء

فأين هذا الخيال من خيال الجعري في وصفه لقصور بني العباس في بغداد .
 نعم لم يقطع عن هذه الشئشنة حتى ولا في غزله فهو لا يجب الا البدويات :
 ما اوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعائيب
 حسن الحضارة محبوب بتطرية وفي البداوة حسن غير محبوب
 ابن المعيز من الارام ناظرة وغير ناظرة في الحسن والطيب
 افدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبح الحواجيب
 ولا برزت من الحمام ماثلة اورا كهن صقيلات العراقيب

ولما اصابته الحمى وهو بمصر ووصفها لم يغفل في وصفه عن التغني بما يتغنى به الاعراب عادة
 ذرائي والفلاة بلا دليل ووجهي والهجير بلا لثام
 فاني استريح بذني وهذا وانب بالاناخة والمقام
 عيون رواحي ان حرت عيني وكل بفسام راحلة بغامي
 فقد ارد المياه بغير هاد سوى عدي لها برق الغمام

فانتم تروث في هذا كله آثار ما يتغنى به الاعراب عادة فسلوك الفلاة بلا دليل
 واعتماد السير في الهجير بغير لثام والمعرفة بدلالات النجوم بالليل وعد برق الغمام كل هذا
 مما يفخر به اهل البدو .
 ولما فارق مصر وورد الى الكوفة وصف منازل طريقه فسكان المثني متلفع بثوب
 بدوي في هذا الوصف :

الا كل ماشية الخيزلي فدي كل ماشية الهيدبي
 وكل نجاة يجساوية خنوف وما بي حسن المشي
 ولكنن حبال الحياة وكيد العداة وميط الاذي
 ضربت بها التيه ضرب ال قمار اما لهذا واما لذا

وكذلك لما رثى ابا شجاع فانكأ وهو في الكوفة بعد خروجه من مصر اشار الى العيس :
 لا ابغض العيس لكنني وقيت بها قلبي من الحزن او جسمي من السقم
 ظردت من مصر ابدنها بارجلها حتى مرقن بنا من جوش والعلم

نبري لمن نعام الدو مسرجة تعارض الجدل المرخاة بالجم

هل رغب المنبي عن مذاهب اهل البدو في آخر طور من اطوار شعره فانه لما خرج من مصر وقدم العراق ثم شخص من العراق الى بلاد فارس انصل بابن العميد وبعض الدولة وعرف ان الذين يجالسهم في فارس هم غير الاعراب واثار الى ذلك سيف اماديه في ابن العميد :

من بلغ الاعراب اني بعدها جالست رسطايس والاسكندرا
وملت نحر عشارها فاضافني من نحر البدر النضار لمن فري
وسمعت بطليموس دارس كتبه مقلدا متبذرا متخضرا
نعم جالس المنبي في بلاد فارس امثال رسطايس و بطليموس وجاري الفرس في
عادتهم في التبروز في اتخاذ كليل من النبات والزهر وليس هذه الا كليل :
ماليسنا فيم الا كليل حتى ليستها نلاعه ووهاده
وشهد مشاهد تأخذ بجامع القلوب مثل شعب يون :

مغاني الشعب طهبا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
ومع هذا كله فقد بقي بدويا فتحا كما كان في صباه شهد هذه المشاهد كلها فلم
يزهد في اعرابته واثن رق غزله بعض الشيء وخرج من الغزل بالبدويات الى الغزل
بالشاميات :

شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محياها
فقبلت ناظري تغالطي وانما قبلت به فاهها
فليتها لا تزال آوبة وليته لا يزال مأواها
تبل خدي كلما ابسمت من مطر يرقه ثناياها
ما نفضت في يدي غداثها جعلته في المدام افواها
لئن رق هذا الغزل بعض الشيء ولئن تبدل خياله بعض التبدل فما تبدلت اعرابته
حتى انه عاد في القصيدة نفسها التي تغزل فيها بالشاميات الى ذكر الغزو والصيد وقد
كنت تلوث عليكم ابهاث هذا الغزو وهذا الصيد :

ان اعشبت روضة رعيناتها او ذكرت حلة غزونا
وعاد الى التغي بالقنا والطعان :

فاما تربني لا اقيم ببليدة فآفة غمدي في دلوقي وفي حدي

يحل القنا يوم الطعان بمقوتي فاحرمه عرضي واطعمه جلدي

تبذل ايامي وعيشي ومنزلي نجائب لا يفكرون في الخس والسعد

لئن بدلت هذه الذجائب ايامه وعيشه ومنزله فما بدلت اعرابيه ، وارجوزته في
عضد الدولة وقد خرج للصيد دليل على تعلقه باهداب هذه الاعرابية وهي من آخر شعره :

ما اجدر الايام والليالي بان نقول ماله ومالي

فآثار مدرسته الاولى ظاهرة على شعره من ابتداء امره الى منتهاه .

دمشق : في ١٥ آذار سنة ١٩٣٠

المسكرات ومضارها

« النفسية والاجتماعية ^(١) »

— ٢ —

عرف الانسان الخمرة بسائق المصادفة وعشقها منذ العصور الاولى وذلك لانه كان يأكل الثمار السكرية الطعم ومنها العنب و يتلذذ بجلاوتها . وبما أن هذه الثمار موفوة لا تدوم ادخلها الانسان مدفوعاً بعامل اللذة . فكانت تختصر فيأكلها متخمرة فيشعر بتأثيرها فيطرب وتستهو به سورتها فيكثر من الاكل منها الى ان يسكر . وكان كلما نال منها وطراً يجدد في طلبها طلباً . وكما رشف منها وشلاً تلظى لكاسها ظمأً . وكما ارتقى في الحضارة باعاً زاد في صناعتها ابداعاً صنوفاً وانواعاً . الى ان اعتدى منها بواسطة الجسم الى الروح اي من الخمر الى الغول فأسلم له روحه وجسده وماله وولده .

هكذا انتقل الانسان من السكر الى السكر ، ومن الحقيقة الى الخيال ، ومن اللذة الحسية ، الى اللذة النفسية ، ومن حرية الارادة ، الى إفسار العادة ، ومن ماء الحياة الى داء الغول . وهكذا عرف الخمرة وعشقها ، وهام بها وعبدتها ، فهي الصحة وهي المرض ، وهي المسرة وهي الألم ، وهي السعادة وهي الشقاء ، وهي الحياة وهي الممات . فأعجب بها من معشوقة ممقونة ، وممدوحة مذمومة ، وأسيرة مملوكة ، وطريدة منشودة ، ومباحة محرمة ، وعاهرة مشرفة ، لا يرضيها الوصل ، ولا يفسد من ملامحها الدهر . بأنبياء المرء لازل مرة بمعاملة او تشبهاً ، ثم طوعاً وتشوقاً ، ثم كرهاً مغلوباً على امره . فليت شعري ما علة هذا الولوع بذلك المنوع . وما السر في هوى بنت الغواية والهوى ؟

الاسباب : منها ما هو حيوي ، ومنها ما هو اجتماعي ، ومنها ما هو نفسي . فمن الاسباب الحيوية الوراثة ، فقد أثبتت المشاهدات العلمية ان لنسل الغوليين استعداداً خاصاً لتعاطي المسكرات . ولهذا كان احتياج الغربيين أشد الى شرب الخمر من احتياج

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤ نيسان

الشرقيين بدافع العامل الوراثي . ومن الاسباب الاجتماعية البيئة ، فان الوسط الاجتماعي المؤتلف شرب الخمر ادعى الى انتشار معاقبتها من الوسط الذي يحرمها قانوناً او شريعة او عادة ، ومنها المعتقدات والعدوى الأخلاقية وحب التقليد والمجاملات في الاجتماعات الخاصة والعامة .

ومن الاسباب النفسانية ، وهي لعمرى العامل الأقوى في انتشار المسكرات ما بين جميع العناصر البشرية على اختلاف الأجيال . طلب السعادة ، واي سعادة ، السعادة الخيالية ، ولا غرو فهل السعادة الا الارتياح النفسي الذي يحدث عندما تحقق اهواء الانسان الكامنة في النفس ، وبعبارة أفصح هل هي سوى ارضاء الرغبات النفسية ، وما أدراك ما الرغبات النفسية : هي الميل الغريزي والشهوات الحيوانية والاهواء المادية والمعنوية الشريفة والدنية ، ولما كان تحقيق هذا الميل متعذراً لآل النقايد والعادات والظواهر الاجتماعية والشرائع الدينية ، والانظمة والقوانين الادارية ، تخطر على المرء وتبان ما يحالفها مما تشهيه نفسه ويصبو له قلبه ، ونضطره الى كتمان ميله وشهوته وقهر مطامعه ومطامحه ، لان من الاولى مايستوجب الخزي والعار ، ومن الاخرى مايستدعي القصاص والدمار ، فلا تبيح للوضع الطموح ان يكون ملكاً تعوله الرقاب ولا للفقير ان يكون غنياً يتنعم برغد العيش وأبهة الحياة ، ولا للغني ان يدفع بماله مرضاً عضالاً أو يستموي به قلب غداة فتاة ، أسرته لحاظها ، وأقصاء عنها عفافها ، ولا للعاشق ان يغازل عشيقته على مرأى من الناس او مستمع منهم ، ولا للقوي ان يبطش بالضعيف يده ليشفي ببطشه غلة ، ولا للجائع ان يمد يده لرغيف على قارعة الطريق فيسد به ريقه ، ولا للصديق ان يمس حرم صديقه بسوء وفي قلبه نار لتأجيج من الحب والهوى . الى غير ذلك من الامثلة التي لا يقع عليها حصر . لما كانت تحقيق كل هذه الاهواء متعذراً أصبحت السعادة البشرية محدودة جداً على وجه هذه البسيطة . وهي نسبة شخصية وبات الشقاء البشري عاملاً لا يخفف وطأته الا الايمان بالسعادة الآخرة وفسحة الامل .

واذا استقرأنا العامل الاساسي الذي يقف في وجه هذه الاهواء ويمنعها من الظهور والتحقيق فيسبب بهذا المنع تملل النفس وكآبتها ، نجد انه هو العقل . فالعقل هو القوة الوحيدة التي تردع الانسان عن خرق القوانين ولاحكام ، ومخالفة النقايد والعادات ،

وهناك الشرائع والادبان ، وتحمله على حرمتها . رعابيتها هو الحاجز المانع الذي يقف في وجه الاهواء المخالفة للأداب والتاريخ والشرائع . فيمنعها من الظهور في حيز الشعور ، ويحصرها في سويداء النفس في عالم اللاشعور ، حيث لا تقنى بل تستحيل الى قوى كامنة مبهمة لاشعورية ، لتكيف بحسبها طبيعة الانسان ، وتظل في جدال عنيف دائم مع العقل بغية الظهور والتحقق ، فينشأ عن هذا الجدل اللاشعوري عدم الاطمئنان النفسي وذلك الفراغ الباطني المبهم الذي قلما يهتدي المرء الى تحليله وايضاحه . فالعقل هو والحالة هذه علة شقاء الانسان ، وبعبارة اخرى اخذ الانسان يشعر بالشقاء منذ بدأ بالانسانية ، اي منذ خرج من الحيوانية ، وبدأ بعقل . ولا مشاحة فهل الانظمة والقوانين والتكاليف الحيوية الشديدة التي تقلل منها اليوم كل انسان الا وليدة العقل وهل سوى القوة العاقلة ، يحمل الانسان على حرمتها ورعايتها . وقد ادرك السلف منذ العصور القديمة كنه هذه الحقيقة ، فجلوا السعادة المطلقة في بعض انواع الجنون ، من ذلك قول الشاعر : ما لذة العيش الا للجانين .

وقول المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
وقوله : تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى منها وما يتوقع
وقوله . وبعض العقل عقال :

وقول ابي جعفر القمي :

تحامق نطب عيشاً ولا تلك عاقلاً فعقل الفتي في ذا الزمان عدوه
ولابي الربيع محمد بن علي الصفار البلخي :
طاب عيش الرقيق في ذا الزمان والجهول الغفول والصفهان
وانشد ابو منصور مهمل بن علي الغنوي :

الروح والراحة في الحق وفي زوال العقل والخرق

فمن اراد العيش في راحة فليلزم الجهل مع الحق

وجاء في النظرات للمنفلوطي في وصفه الحياة الشعرية « يقولون اشقى الناس في

هذه الحياة العقلاء ، ويقولون ما لذة العيش الا للجانين ، اندري لماذا ؟ لان نصيب

الاولين من الحياة الشعرية اضعف من نصب الآخرين . وذلك ان عقل العاقل يحول بينه وبين استمرار الطيران في فضاء الخيالات الذهنية ، والمغالطات الشعرية ، فلا يرى سوى ما بين يديه من الحقائق الملموسة . ولا يسمح له علمه باحوال الدنيا وشؤونها ، ومعرفة ان المصائب والآلام ، لازم من لوازمها التي لا تفارقها ، ان يؤمل منها ما ليس في طبيعتها من دوام السرور واستمرار الهناء ، فلا يطلب سعة العيش من وراء الأمل كبقية المؤمنين ، ولا يتلذذ بتصديق مالا يكون تلذذ الجانين » .

ولما كانت الغرائز الحيوانية تأبى ان تضحل ونفني بتأثير العقل . توخى الانسان منذ العصور الاولى ان يقلص من قيود عقله ، ليتجرد عن آلامه ومتاعبه الجسمية والروحية فاهتمدى الى عدة مواد ذات تأثير خاص في مراكز جهازه العصبي الدنيا والعليا فتخدرها وتضعفها ، اهمها الأفيون والحشيش والكوكائين والغول الذي نحن في صده . وقد نفرد الانسان دون سائر الحيوانات بسم دماغه بارادته قصد تخديره لتفكيك قيوده العقلية . والحصول على النشوة التي ليست في الحقيقة الا سعادة خيالية مرضية وبعبارة أصح جنونا اختيارياً موفوناً .

قال المنفلوطي في كليمه الحياة الشعرية : لولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس كثير من المومنين بتخدير أعصابهم . كشاربي الخمر ، ومدخني الحشيشة ، وآكلي الأفيون وهي وان كانت في نظرهم حياة سعادة بتخللها شقاء . الا انها خير عندهم من حياة شقاء لا بتخللها سعادة . ولولا حب الحياة الشعرية ما وجد في الناس هذا الجم الغفير من الشعراء المتخيلين والماعدين المتبتلين .

لا يجد السكير لذة العيش وهناته الا اذا أسلم نفسه الى كأس الشراب فنقلته من هذا العالم البسيط المحدود ، الى عالم واسع النطاق ، شاسع الاطراف ، يرى فيه كل ما تشتهي نفسه ان تراه . فان كانت قبيح الوجه مشوه الخلقة ، تخيل انه شرك الابصار وفننة النظار ، وان القلوب محقة على جماله ، تخليق الأطياف على الأشجار ، وان كانت فقيراً معدماً لا يملك فلساً واحداً نوه انه جالس على عرش الملك ، والوصولان في يمينه ، والتاج فوق رأسه . واعتقد ان عبيد الله تعالى جميعهم عبيده ، وجنود المملكة بأسرهم جنوده حتى ذلك الجندي الذي يسجبه على وجهه الى غرفة السجن . يقضي فيها ابلته .

وجملة القول ، ان عينه لا تقع على ما يحزنه من المظنورات ، وان أذنه لا تسمع ما ينفره من المسموعات حتى ليرى الجمال الباهر في وجه العجوز الشمطاء . ويسمع في صوت الرعد القاصف ألحان الغناء .

فالسكر هو والحالة هذه جنون عارض يتصف بتغير الأفعال النفسية من درجة النشاط الى التشوش والاختلاط ، الى الفساد والهديان ، الى الخدر والخليل ، حسب كمية المادة المسكرة وكميبتها وحالة الشارب ومزاجه . واليك صورة مصغرة للانسان الذي يتعاطى شرب الغول حسب الادوار الحادة التي يجنازها . وهي تقسم الى خمسة أدوار دور النشوة ودور التمل ودور السكر ودور السبات ودور الفالج .

فالنشوة ايها السادة هي الحالة النفسية التي يشعر بها الانسان عندما يتجرع القليل من الغول . او هي الدرجة الاولى من السكر . وهي تشبه باعراضها النوع الجنوني المعروف بالمانيا او الجنون السبعي . وتلصف بنشاط الجسم وانطلاق الافكار . فيتورد الوجه وتضي العينان . ويزداد عدد ضربات القلبية ، والمبادلات النفسية ، وتقدر الأعصاب ، وتسكن الآلام . ويشعر المرء بحرارة لطيفة في جميع أعضائه ، وخفة في جسمه ، ويحتمل اليه ان قواه قد زادت ، وانه أقدر على العمل من ذي قبل ، وينطلق لسانه ويكثر كلامه ، وتوارد خواطره وأفكاره ، مع ضعف في روابطها ، وعدم تناسق في تداعيتها . وتنفقد الذاكرة وتسرح الخيلة . فيذكر ما كان ناسياً ويتدع من الصور الخيالية ما لا يقوى على مثله في حال صحوه . فتراه يكثر من الكلام المنمق ، والمجاز والامثال والكنايات والنقد . اما محامدته ومميزته فيستولي عليهما الضعف والخفة . فتأتي قياساته واهية لسرعة الحكم ، وتحول النباهة والعجز عن اعمال الذهن والتأمل . وبالنظر لخطر النافذة والمراقبة لتطلق اهواؤه المحصورة من قيودها . فتتجلى ثمة حقيقته الجبلية . فيبوح بكثير من أسرارها التي طالما حرص على كتمانها . ولهذا قيل الغول ، معيار الاشخاص ، ومحك الطبائهم . ويعتري السكر في هذا الدور الغرور والأناية ، والغطرسة ، فيمسي مريع الانفعال ميالاً للبطش والمشاجرة . محباً للمدح والثناء اللذين يدفعانه الى الكرم والاسراف . والغول يحل التوازن القائم ما بين ظاهر المرء الصناعي وباطنه المكتوم . ومن الخطأ الفادح ان يظن الناس انه يكسب المرء فضائل ليست فيه موجودة لان الاناء

لا ينضج الا بما فيه . ولما كانت طبائع الناس وأخلاقهم ونزعاتهم الجبلية والكسبية ، مختلفة لا يقع عليها الحصر أصبح من المتعذر وضع صورة عامة لتطبق على كل امريء في حال النشوة الغولية . ولهذا يمكننا القول بان لكل انسان صورة خاصة يثقل بها اثناء السكر ، وان الغول خير كشاف لاسرار البشر وحقيقتهم ، وهو عدو الكتمان . وكثيراً ما يتوصل به الدهاء الى اكتشاف الاسرار الدفينة سياسية وغرامية وجنائية .

تلك النشوة الغولية ايها السادة وهي كما اوضحناه حالة نفسية متصفة بالخلل قوة العقل والمرافقة ، وانطلاق الملكات النفسية الفكرية الشاعرة ، والبهيمية على اهوائها ، وهي الدور الاول من السكر ، دور الالذة والنشاط ، والحرية النفسية والخيال ، دور الانطلاق والانسراح ، المتعارف في الاندبة والمجتمعات العامة والخللات الرسمية والخاصة ، ويسمونه العادة المعتدلة والسكر الادبي والكأس المشبية . اما في لغة العلم فهو جملة اعراض سم الدماغ الغولي الاولى ، والجملة السبعية الغولية الخفيفة .

واذا كان القسم المحشم ذو الثقافة الاجتماعية من الناس ، يقف عند هذا الحد من النشوة ، فان القسم الآخر منهم يتعداه الى الدور الثاني ، دور التمل ، دور سم الحواس والمشاعر ، ويتصف هذا الدور بنحمود النشاط الفكري السابق وانطلاق الانفعالية والحواس والمشاعر ، وخدر الحس والشعور الاخلاقي . فالنشوان شارذ الفكر والعواطف اما التمل فهو طائش الشهوات والغرائز ، لا سيما الحس النئاسلي ، فان هذه الشهوات تستولي على اتانيتها وتدفعه الى اظهارها ، هازئة بالنقاب اليد والاداب العامة ، فيبسط من المعنويات الى الحسيات ، ويتعرض لما فيه مساس بالشرف والعفاف . وما حوادث السب والشنم والضرب والقتل ، في سبيل المرأة في المرافص وعلى موائد السكر عنا بغربة ، واذا اضعنا الى هذه الاعراض نشاط الشعور الغامض وهو القسوة والخيلاء وسرعة التهييج وعدم الشعور بالواجب لتجلى لنا صورة التمل باجلى مظاهرها . اما الممدارك العقلية فانها تخمد ما عدى الخيلة فانها تنطلق بصورة خاصة ، فيأخذ التمل بالثرثرة وخلق الاساطير ، وادعاء ما ليس فيه مما لا يختلف عما يشاهد في الهذيان الحادة على اختلاف صورها وموضوعاتها .

وتزداد هذه الاعراض بازدياد تخرج الغول فتظهر في نهاية هذا الدور اعراض تأثير

السم في اعصاب الحركة . فيختل نظام الحركات العضلية وتنفقد دفتها ، وتعترى السكر الرعشة والاضطراب فلا يتماثل في المشي ، وتختل موازنته ، ويسترخي كلامه ، ويتداعى الى الجمود والتخمود الفكري والحسي الى ان يدخل الدور الرابع دور السبات ، دور النوم والخدر الدال دلالة واضحة على ان المسكرات الغولية مخدرة وليست منهبة كما كانت بطن ، وانها من فصيلة الافيون والحشيش ، فيفقد السكر ثمة قواه المحركة ويصبح عاجزاً عن المشي فيقع حيثما هوى به السكر ، خائر القوى محني الرأس والظهر ، ساقط الاجفان غامض الحس والشعور والادراك ، غارقاً في بحران مظلم من الحياة الذاتية المبهمة ، يقبض يديه على ما حوله من اشياء وهمية او حقيقية ، كأنه يحاول التماس من هذا الكابوس النومي القاهر ولكن هيهات هيهات فما هي الا منهيات من الزمن ، حتى يستولي السم على جميع اعصاب الحس والحركة فيفقد حياثها العملية . وينزل بالسكر من درجة الحيوان الى مصاف النبات .

وهنا يقتل لنا الدور الاخير من هذه المأساة المفجعة ، دور الفالج ، فيتراءى لنا ذلك البشر السوي الذي كان بهجة النظر قبيل ساعات قليلة جثة هامدة بلا حراك ، ليس فيها ما ينم عن الحياة سوى انفاس خشنة تنصعد ، ونبضات قلب خائر ثناج ، تنتشر منها رواشح كريهة لفلج مصرفي البول والغائط مما نقضى لمنظره الاعين ، وتجم وصفه الاذان . هذا هو السكر الحاد ايها السادة وتلك هي الحالات النفسية التي يتجلى بها السكر منذ اول فطرة تجرعها حتى الكأس الاخيرة ، وهي تشبه من حيث مجموعها ونتائجها احوال سفينة في عرض البحر اصابتها اعصار شديد افقدها توازنها فظلت في صعود وهبوط ، واقدام واحجام وتمايل واضطراب وظلام اذا اخرج المرء يده لم يكذب براها ، الى ان سكنت العاصفة فعاد اليها سكونها واصبحت كأنه لم يطرأ عليها حادث بالامس ، اللهم عدا ما يعترى روابطها من خلل ضئيل ، قد لا يضر بسيرها فيما اذا لم انوال عليها الزواجع ، وفيما اذا كانت اوائلها محكمة الروابط ، سالمة متينة . اما اذا راجعها الاعصار من حين الى آخر وكانت اجهزتها سقيمة ، وغير محكمة الرباط فانها لا تلبث ان تجرب وتصير الى الفرق . وهكذا غد السكر ايها السادة فان الاعراض التي اتبت على ذكرها ، نثلاشي رويداً رويداً باحتراق الغول في الجسم وطرده . منه بالافراز والمبادلات عن اختلاف اعضائها

فيعود المرء صحوه ونشاطه السابق ، غير ان ذلك الاحترق والافراز وتلك المبادلات والاضطرابات لا بد لها من أن تترك اثر تخريب ضئيل في تلك الاعضاء ، قد لا يشعر به المرء باديء بدء لدقته ولكنه يتفاقم و يظهر كلما تكرر حادث النشوة والسكر ، وبنسبة كمية الغول وكيفيته ، والزمن والبنية ومقاومة الجسم . فتبدأ ثمّة اعراض داء السكر المزمّن او الغولية وهي داء عضال ينذر بتغلب الغول على قوى الجسم وعجز هذه القوى عن طرد هذا السم النافع . وبدل دلالة واضحة على ان تلك المسرة الاولى او الرشقة المشبية الصحية المباعدة لا بد لها من ان تترك اثرآ في الجسم يتفاقم بحسب تكررها فننشأ عنه حسرات وآلام نفسي صاحبها تلك الاحلام فيندم ولات ساعة مندم . وقد اثبت الدكتور ميلاني (Mellanby) تراكم فعل المقادير القليلة من الغول في الجسم واضرارها ، في بيان اعمال وزارة مراقبة الغول في انكلترا المنشور عام ١٩١٨ كما اثبتت احصاءات شركات ضمان الحياة الانكليزية والاميركية والسويسرية والالمانية ، ان الذين يشربون الماء الصّرف الخالص اطول اعماراً من الذين يتناولون المشروبات الغولية بالصورة المعتدلة ، اقول بالصورة المعتدلة لان هذه الشركات ترفض ضمان حياة السكيرين المدمنين ، وتعد هذه الاحصاءات اليوم حقائق علمية راهنة لانها قائمة على اسس من المشاهدات مكيّنة وعلى نطاق واسع عظيم من الناس ، ولان نتائجها كانت ثابتة ومقاربة على اختلاف الازمنة والاماكن .

الغولية - . ويبدأ داء السكر المزمّن او الغولية عندما يصبح الدماغ عاجزاً عن تحمل فعل الغول . وينجلى بتغير في طباع المرء واخلاقه ، فترى ذلك الشاب المذهب الذي كان طوال حياته حتى اليوم مثلاً للنشاط والجد وحسن السلوك والمعاشرة ، والحرص على القيام بالواجب يحاول الشرود والتخلص من طباعه وعاداته متجهاً نحو حياة ذاتية وانانية بحيث ، فيعاشر من لم يكن يألف معهم من الناس ، وينقطع عن ارتياد داره في الاوقات المعتادة ، وتحشن معاملته ذوبه ، ويحمل واجبه نحو أسرته ، ويكثر تردده على المقاهي والحانات ، حيث يلذ له شرب المسكر ، ولعب الميسر . وقد جعل فريق من الحكماء هذا اللعنة الاخلاقي العرض الاساسي للغولية المزمنة . وقد دعوها الجنون الاخلاقي المكتمل . وذلك لان

الاختلال بهم فيها جميع اقسام الفعالية الاخلاقية ، وهي علاقات المرء مع نفسه ومع أسرته ومع غيره وعلاقاته الاجتماعية والصناعية .

اما علائم فساد العلاقات الذاتية فاهمها : عدم احترام الذات وعدم الاكتراث بها وفقد الآباء ، والشرف والمروءة والنخوة والوجدان والتزاهة والعفة ، والنظافة والحشمة وحس الجمال ، وحرمة المبادي العامة الدينية والاجتماعية . ومن علائم فساد علاقاته بأسرته : فقد الحب والامانة الزوجية ، والشعور بالواجب العيالي ، ، وغريزة التناسل والاهتمام بتهديب الاولاد والحنو الغريزي الابوي ، والتوقى والحذر والتبصر والتوفير والاقتصاد .

واما فساد علاقاته مع غيره : فيتجلى بضعف الصداقة ، وفقد المودة والمغادة والرافة وحب الاحسان . واما فساد العلاقات الاجتماعية ، فتظهر بالتداعي للكسل ، وفقد النشاط للعمل ، والقدرة على الانتاج وحب الوطن ، وحرمة المبادي العامة .

اضف الى ذلك شراسة الخلق ، والتهور ومسرعة التأثر ، وسوء الظن وانقباض النفس ، وحمل الامور على غير محملها ، والامتناع بالرأي ، والفكر الثابت والفعالية العقيمة ، الى غير ذلك من المساوي الخلقية التي نشاهدها كل يوم في من نعهد فيهم السكر المزمن .

ويترافق ضعف الحس الاخلاقي هذا مع ضعف الملكات العقلية ولا سيما النباهة والمحاكمة وقابلية الائتلاف ، والذاكرة والقياس وذوق الجمال والاستقراء الادبي والفني ويتجلى هذا الضعف باجلى مظاهره عندما نقاس اعمال الغولي السابقة باللاحقة ، فترى ذلك العامل اليقظ النشط ، يرتكب انواع الخطأ في عمله ويتداعى للاهمال والكسل لضعف ذاكرته وعدم قدرته على متابعة الاعمال الذهنية . وترى ذلك الرسام الذي كان يبتدع من المناظر ما يفتن النظر ويحجل الطبيعة ، وذلك الشاعر الذي كان يسحر الالباب ببهانه ومبتكرات افكاره ، وذلك الموسيقي الذي كان يطرب النفوس ويتلاعب بالقلوب يتدهورون رو يبدأ رو يبدأ بتأثير السم في رؤوسهم الى ما دون الحد الوسطي من الناس ، وليت هذا السم يقف تأثيره عند تخريب الدعائم الدماغية العليا فقط ، بل يتعداها الى مراكز الحواس فيسببها فيمسي الغولي مسيراً يجواس مريضة بنشأ عنها خطأ الحس

والاوهام السمعية والبصرية والدوقية والمسيسة ، والتخيلات والاحلام المزعجة ، والكابوس والارق المتواصل . وفي ذلك منتهى الشقاء البشري وارذل الحياة الانسانية ،

تلك هي المراحل التي يجتازها الغولي منذ الكائنات الاولى حتى النملة ، وقد يهون الخطب فيها لو كان هذا الداء فردياً يعيش مع صاحبه و يزول بزواله كجل الامراض التي لا تمتددي الفرد الى سواء . ولكن الامر مع الغولية ليس كذلك ، فهي مرض اجتماعي ينتقل من الوالد الى الولد ويهدد الأسرة والحياة الاجتماعية بفساد اعضائها وانهدار كيانها . ولقائل يقول ان من الامم من تمنع المسكرات من آلاف السنين وهي لم تنزل حبة تمتنع بقوتها وفراط عظميتها .

فأجيب على ذلك بان الغولية لم تصبح مرضاً اجتماعياً يهدد كيان الأمم وحياة العنصر الا منذ نصف قرن فقط . وذلك لان الغول كان مجهولاً قبل القرن الحادي عشر . وقد انحصر استعماله في الصيدلة حتى القرن السادس عشر . ولم يسج ببعه خارج الصيدليات الا في عهد لويس الثاني عشر ، ففي عام ١٦٧٨ عرض الغول للبيع لأول مرة على قارعة الطرق . ولكن داءه لم ينفش في اوروبا الا في القرنين الاخيرين . عندما امتدت الصناعة الى استحصاله بنقطير الجيوب والشمندر . ولان الحياة باتت فيها ثقيلة العبء كثيرة المشاق والتكاليف تضطر العامل لمغالبتها الى الالتجاء الى منبه صناعي وجده في الغول .

ولكنه لم يلبث حتى وجد نفسه وماله وولده عرضة لاغتياله . اما مضار الغول الاجتماعية - فانها لم تظهر الا في منتصف القرن التاسع عشر . واول من لفت نظر العالم اليها هو الطبيب الاسويجي مانيوس هوس (Magnus Huss) عام ١٨٤٧ حيث قام بصف مضار الغول في الجسم البشري و ينذر بوخيم عاقبته وفداحة مضاره .

اما الاقدمون فلم يكونوا يشربوا سوى الخمر الصرف المخلو من الفش وقد سبق لنا القول في المحاضرة الاولى بانه لايجوز سوى ثمانية أجزاء في المئة من الغول وهي كمية زهيدة لا ينشأ عنها السكر ، اللهم الا اذا شرب المرء كميات عظيمة من الخمر مما لا يعاينه كل انسان ولا يمتددي حد الافراد ولهذا لم تعرف الغولية بشكلها الاجتماعي في العصور القديمة . فهي مرض اجتماعي كالكسل والافرنجبي حديث العهد أقرنه مشاهدات العلوم

الاجتماعية والاقتصادية والطبية ، ولكن الغولية ادهى وانكى لانها لنال الامة سيف جميع مقوماتها التناسلية والاقتصادية والاخلاقية و . . .

وقد أثبت فوريل (Forel) عام ١٩١١ نظريته القائلة باستحالة البذور التناسلية بالغول في المؤتمر الدولي الثالث عشر المنعقد في لاهي ضد الغولية . ويتلخص قوله بأنه ما من انسان يرتاب اليوم بان الغول يحدث استحالة في كل من حجيرات اعضاء السكير التناسلية . وقد أبدت المشاهدات والتجارب العلمية السابقة واللاحقة هذا القول . فقد جاء في بحث كونيال (Combemale) عن نسل السكيرين المنشور عام ١٨٨٨ مانصه : « يحدث ادمان السكر ضموراً في الخصى حتي ان حجمها ينقص لدرجة حجم البندقة . ويسترخي الصفن وعضو التناسل ويندر وجود الحويصلات في المني . اما عند المرأة فيحصل ضمور في المبيض ويختل نظام الطمث اي الحيض وينقطع قبل زمانه المتعارف .

ثم قام كيرل وشوبر (Kyrle & Schopper) من جامعة فيينا بتجارب عديدة على الحيوانات ، فأسكرأ واحداً وثلاثين حيواناً بالغول بادخاله يومياً زرقاً في المعدة او في الوريد او تحت الجلد فشاهدوا بعد مضي ثلاثة أسابيع ضموراً في جميع خصاها ، بلغ عند سبعة منها درجة شديدة أفقدت الخصى كل حجيرات المنيوبة .

وذكر الاستاذان ويشلباوم وكيرل من فيينا (Weichselbaum & kyrle) في بحثهما عن مضار الغول عام ١٩١٢ ان السم الغولي يحدث تخریباً في الخصى بدرجات متفاوتة تنتهي ابدأ بفقد الافنية المنيوبة .

وقد ذكر برتوليه (Bertholet) في بحثه عن تأثير الغولية المزمنة على أعضاء الرجل التناسلية المطبوع في لوزان عام ١٩١٣ انه شرح جثث ١٦٣ سكيراً مانوا جميعهم بالتسمم الغولي فشاهد بعد الفحص المجهرى ان معظم التخریب واقع في الخصى بالنسبة لساير أعضاء الجسم .

ولقد تلخص هذا العالم تجاربه ومشاهداته بالنتائج الآتية :

(١) يحدث الغول عند مدمني السكر استحالة مبتسرة في الخصى تنتهي بضمورها وبفقد الحويصلات المنيوبة .

(٢) وتكون هذه الاستحالة دهنية في بادى الامر ثم يعقبها التصلب وفقد الافنية المنيوبة .

(٣) ويحدث هذا التخریب عينه في المهبض عند المرأة التي تدمن السكر الغولي .
وقد اقر العلم الحاضر هذه النتائج واصبحت نظرية فورل القائلة باستحالة البذور في
اعضاء الذناسل بتأثير الغول حقيقة راهنة لا تقبل النقذ ابداً التشریح المرضي والطب
السريري والتجارب الفسيولوجية وعلم حفظ الصحة .

واذ قد ثبت لنا ان النطفة التي ستكون بشراً هي مصابة بتأثير الغولية بحيث باتت
معها حياتها مهددة بالفقدان فهل من ريب بان النسل الذي سينشأ منها سيكون فاسداً
مؤوفاً بنسبة فسادها وآفتها ، هل من ريب بعد ان ثبت لنا ان الحبة التي تغرسها في بطن
الارض عاطلة بان الثمر الذي سنثمره سوف يكون عاطلاً ايضاً ؟ ما من ذي لب يرتاب
في ذلك .

وقد عرف الأقدمون بالتجارب تأثير غولية الآباء في سلامة الابناء فعملوا على منعها
ومقاومتها . قال لادام (Ladame) كانت شربعة قرطجنة تحرم على العروسين شرب غير
الماء في ايام الجماع محافظة على سلامة النسل . وكان رؤساء الدين في البلاد المدمنة
السكر يمنعون طوائفهم من ملامسة النساء قبل مضي ثلاثة ايام على يوم العرس لا يتناولون
فيها غير الماء خشية حصول نسل فاسد ، وذلك لانهم كانوا يسكرون بشدة ايام الاعراس
وقال ابن عبد ربه في عقده الفريد : وربما بلغت جنابة الكأس الى عقب الرجل ونجمله
وكان المأمون يقول : يانطف الخمار .

وذكر الاستاذ لومب (Lombe) من لوزان في بحثه في عاهات الاولاد العصبية
المطبوع في لبسليك عام ١٩٠٣ : " ان رجلاً ولد له ولد ابله فكتب اليه انه لم يسكر في
حياته الا يوم بضع هذا الولد . مما يؤيد ايضاً ان السكر العرضي ذو دخل ايضاً في
استحالة النسل .

وذكر سبانية (Sabatier) في بحثه في تأثير الغول في النسل عام ١٨٧٥ المشاهدة
الآتية : رجل عفيف ذكي قوي البنية لم يشرب المسكر في حياته الا في الاسابيع الثلاثة
التي تزوج فيها ، ولدت له بنت غب تسعة اشهر ونصف من زواجه مصابة بالبلاهة وعدم
توازن النفس .

وقد ابدت مشاهدات بزوولا (Bezzola) في سويسرة هذه المشاهدات السريرية

القديمة فانه درس ترجمة حياة سبعين فدماً اي ابلة فوجد ان النصف منهم بضعوا في حالة سكر الاربون يوم عيد المرفع والباقي اثناء سكرهم خلال السنة ، ثم درس ترجمة حياة ١٨١٩٦ رجلاً مصاباً بضعف العقل من بين ٩٣٤١٦٩ ولادة في سويسرة ما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠ فشاهد ان خمسين في المائة من البلة بضعوا في ايام الاعياد المشهورة بتعاطي السكر .

ودرس موللير (Muller) من جامعة زوريخ سنة ١٩١٣ (٨٤٧) حادثة صرع فوجد ان الخمسين في المائة منهم بضعوا في الايام المعروفة بشرب المسكرات .
وذكر سيبيلش (Sippich) سنة ١٩١٧ انه جمع ٩٧ مشاهدة لاولاد بضعوا اثناء السكر فلم يجد سالماً منهم سوى ١٤ ولداً فقط ، والباقيون مصابون بآفات عقلية وعصبية مختلفة .

ومن التجارب العلمية المؤيدة لهذه المشاهدات تجارب ستوكار (Stockard) على الحيوانات فقد جمع ستوكار فريقاً من الحيوانات واسكرها برائحة الغول بعد نعيده فشاهد ان صحتها لم تختل كثيراً خلافاً لاعضاؤها التناسلية فقد حدث فيها استئصال ادت الى فقد نسلها خواصه الاصلية فجاء مخالفاً لهيئة والدته مما يستونه عجيبة .

و يطول بنا البحث اذا اردنا ان ناتي على ذكر ما كتبه وشاهده اساتذة العلم عند الامم المتقدمة العظمى في هذا الموضوع وكله يثبت استئصال البذور المنوية عند الرجل بناثير الغول ويدعو الى عدم ملامسة النساء اثناء السكر الشديد منعاً لفساد النسل وحفظاً لسلامته ، ولهذا أنقل من هذا البحث الى مضار سكر المرأة بالنسل فأقول :

الغولية الولادية — اذا كان سكر الرجل يؤثر في بذوره المنوية فيفسدها فأنت سكر الام اثناء الحمل بفعل في النطفة الصحيحة وهي داخل الرحم فيعرضها للاسقاط والاستئصال ، وذلك لان قسماً من الغول يطرد من الجسم كما سبق لنا بيان في المحاضرة السابقة بواسطة المشيمة ، فينقل من دم الام الى دم الجنين داخل الرحم فيسته ويعرضه للغولية الولادية .

وقد اثبت كومبال (Combemale) مضار سكر الام الحامل على النسل بتجارب

علمية مشهورة ، منها انه اسكر كلبة في الاسابيع الثلاثة الاخيرة من الحمل فالتجت ستة جراء ثلاثة منها ميتة والرابع بخصية واحدة والاثنان الآخران مؤوفا الدماغ . ومن التجارب العلمية المؤيدة هذا المطالب تجارب اوسكار ريدل وغاردينر بوسيت (Oscar Riddle & Gardiner Bossett) على ببض الحمام ، فقد اسكر هذان العالمان عدداً من الحمامات بالغول بواسطة الشم فوجدوا في النتيجة نقصاً واضحاً في صفاره ، ومن الوقائع المدهشة الدالة دلالة واضحة على استئالة الجنين في الرحم من جراء ادمان الحامل شرب الغول ما قاله لانغستين (Langstein) في بحثه في تأثير الغول في النسل قال : اني عهد على نساء فينا كن فيه مولعات ولعاً شديداً بالكلاب القزمية اي الصغيرة الجثة التي كانوا يسمونها لصغرها كلاب الاكام . لان النساء كانت يضعنها في اثناء تجوالهن في اكامهن . وقد كان من المعروف بالمشاهدة والتجارب ان الكلاب السكيرات تلنج جراءاً صغيرة الجثث . فاستفاد احد اصحاب المعامل من هذه المشاهدات فأسس معمللاً لانتاج الكلاب القزمية ، وقد كان يصدر كميات عظيمة منها وذلك بواسطة اعطاء الغول للكلبات اثناء الحمل .

ومن هذه المشاهدات والتجارب يتضح لنا ان جرم الام السكيرة الاجتماعي عظيم وان تبعته التي تقع عليها من جراء سكرها اثناء الحمل لا تقل عن تبعة الرجل من جراء جماعه في حالة السكر .

الغولية بواسطة الرضاع . — وهنا ننقل من الجنين الى الرضيع انشاهد الغول بنسب الى جسمه مع اللبن كالسم بالدم فما من طبيب في جميع انحاء العالم يعاني طب الاطفال الا ويحرم على المرضع شرب الغول أشهر الرضاع ، وذلك لان الاضرار التي يلحقها سكر المرضع بالرضيع أعظم من ان تعد ويحصى . ولبدت هذه العناية الصحية بنت العلم الحاضر فقط . بل هي سليمة التجارب والمشاهدات القديمة العهد . فقد كانت شريعة اليونان تمنع المرضع من شرب الخمر والمشروبات المسكرة محافظة على صحة الأطفال وسلامتهم . وقد أثبت نيكلو (Nicloux) ان الغول يفرز مع اللبن عند المرضع معها فأت كميته التي تشربها . وهو يظهر في لبن المرضع بسرعة عظيمة قد لا تزيد على ربع ساعة من تناوله .

اما المشاهدات السريرية الدالة على ان لبن الموضع السكير سم قاتل للأطفال فهي كثيرة لا يقع عليها حصر . منها ما ذكره فرني (Vernay) في ليون مديكال عام ١٨٧٢ من انه شاهد مرضعاً تشرب يومياً ست كاسات من النبيذ فأصيب طفلها باختلاجات عصبية شديدة كادت تودي بحياته . فأجبرت الموضع على ترك النبيذ مدة فشن في الطفل . ومن ذلك ما ذكره ديفوازين (Desvoisin) من انه شاهد بأم العين وفيات الأطفال في نورمانديا تزداد من ٨ الى ١٤ في المائة بمجرد ابدال ارضاع الاطفال اللبن الصناعي بلبن المراضع اللاتي يتعاطين المسكرات .

ومن ذلك يتبين لنا الخطأ الفادح الذي يرتكبه بعض الناس باعطائهم الجعة اي البيرا للأمهات المرضعات بدعوى انها تزيد في كمية الدرة . فيعرضون بمعلمهم هذا اطفالهن لانواع الآلام والآفات . ولا يقتصرون ضرر الغول بالطفل فحسب بل هو يلحق بالمرضع ايضاً ، فينقص كمية اللبن ، ويفقد المرأة ونسلها خاصة الارضاع وهذه حقيقة أبدتها مشاهدات العلامة بونج (Bunge) واحصاؤه العلمية . فقد درس هذا العالم الفسيولوجي تأثير الغول في خاصة الارضاع في مدينة بال وطلب الى الاخصائيين المشهورين في سائر المدن الكبيرة الاوربية ان يوافوه بمشاهداتهم المتعلقة بهذا المطلب ليضمها الى استقراآته . وقد أسفر هذا الدرس الشاق عن تلك النتيجة المؤلمة وهي ان ثمانين في المئة من ساكنات (بال) عاجزات عن ارضاع أطفالهن إرضاعاً تاماً وهكذا حال النساء في سائر المدينت الاوربية المركبة ، وان سبب هذا العجز هو الغولية الوراثية . ون انتشار الغولية في النساء في الزمن الحاضر هو السبب لعدم إرضاع الأطفال إرضاعاً حقيقياً وان عدم الارضاع هذا سيؤدي حتماً الى تليينيين مؤلمتين احدهما أخلاقية وهي ضعف شعور الأمومة في المرأة ، والثانية طبيعية وهي فقدان المقدرة على الارضاع . ولا يخفى ما في ضياع هاتين الوظيفتين من فساد الأسرة ونداعي كيان الامة . وقد أبدت نتائج بونج (Bunge) هذه مشاهدات ستمبفس (Stumpffs) في بافيرا بلاد الجعة . فانه شاهد ان فرط شرب البيرا يحدث تضخماً شحمياً في الثدي يجعلها غير صالحة للارضاع .

الغولية وفيات الاطفال — ومن الاضرار الاجتماعية الفادحة التي نشأ عن

معاقر الغول موت الأجنة في الأرحام وفطر وفيات الأطفال . وقد جاءت استقرآت لوليفان (Lullivan) مؤيدة هذه الحقيقة المؤلمة . فان هذا العالم راقب ١٢٠ امرأة لتعاطى شرب الغول خلال سنين معينة ولدن فيها ستمائة ولد . فشهد انه لم يعش منهم سوى ٢٦٥ ولداً . اما الباقيون وعددهم ٣٣٥ فقد ماتوا جميعهم خلال السنة الاولى والثانية من الوضع . مما يجعل نسبة وفيات الاطفال عند الغوليين $8/55$ في المئة في حين ان نسبة وفيات الاطفال عند المعفين عن الغول هي $2/23$ في المئة . وتعظم وفيات الأطفال بنسبة إدمان سكر الأبوين المزمين . وقد شاهد سوليفان (Sullivan) ايضاً ان النساء المبتليات بالغولية اللواتي لا يعيشن لمن اولاد يصبحن أمهات ذوات اولاد اذا هجرن الغولية وانقطعن عن المسكرات .

وأيد ليتنان (Litinan) مشاهداته التي عرضها على المؤتمر الدولي الذي عقد في لوندرا ضد الغول عام ١٩٠٩ بالاحصاءات العلمية الآتية : فان هذا العالم أحصى وفيات الأطفال في ٥٨٤٥ أسرة ولدها ٢٠٠٠٨ أولاد فشهد ان نسبة وفيات الاطفال في الأسر التي لا تعاطى شرب الغول هي $45/13$ في المئة وان نسبة الوفيات في الاسر التي تشرب الغول بصورة معتدلة هي $17/23$ في المئة . وان هذه النسبة تصعد الى $20/33$ في المئة في الاسر المدمنة السكر مما يدل دلالة واضحة على ان انتشار الغولية وازديادها في الشعوب داع لانقطاع النسل وضمحلل الامة .

استخالة النسل الغولية . — ولننقل الآن من الماهية الى الكيفية لنشاهد تأثير غولية الآباء في صحة الابناء وصور أبدانهم ونفوسهم . فقد سبق لنا القول بان الغول يفسد البذور المنوية وان من الحبة الفاسدة لا يحصد الا ثمر فاسد . ونظرة خفيفة في احصاءات أطباء المدارس في الممالك الراقية ، ومديري ملاجيء تعليم البله ، واحصاءات المحاكم والسجون ودور المجانين تكفي لاثبات تلك الحقيقة المؤلمة .

قال بورنفيل (Bourneville) انه استقرأ حياة ابوي الف قدم اي ابله منشاء بالبلاهة لا يعقل ولا يتكلم ولا يعي فوجد ان آباء (٤٧١) منهم كانوا سكيرين وان أمهات (٨٤) منهم كن سكيرات وان الأبوين معاً كانا من مدمني الغول في (١٦٥) حادثة .

وقد فحص اليكس نيكول (Alex Nicholle) من نيو يرك (٦٣٠٠٠) تليد - في المدارس فشاهد ان ٥٣ - ٧٧ في المئة من اولاد السكيرين هم دون الحد الوسطي من الوجهة العقلية والجسمية . وقد وجد شلسنكير (Schlesinger) ان (٣٠) في المئة من اولاد المتأخرين في مدارس برلين هم من آباء سكيرين . وبالنظر لنفاسم عدد الطلاب الاغبياء في المدارس اضطرت حكومات الممالك الراقية في اوروبا واميركة لتأسيس مدارس خاصة بهم في جميع مدنها ، بعهد بادارتها الى أطباء ومعلمين اخصائهم . وذلك لما ينشأ عن احتكاكهم بالاولاد الاصحاء من الأضرار ، مما يكبدها نفقات عظيمة وبثقل كاهل موازاتها السنوية .

الجنون والغولية . - وقد لا نعد هذه النفقات الباهظة شيئاً مذكوراً نجاه ما تنفقه تلك الحكومات من الملايين من الليرات على دور المرضى والمجانين التي تضم بين جدرانها الوفاً ، وائمة من انقراض البشرية الذين كان الغول من اكبر العوامل في تجريدهم من الانسانية ، والزام البشرية بهم ، مما تضطرب لهوله القلوب .

فقد جاء في الاحصاء الرسمي الذي نشره ماينان وبوشرو (Magnan & Bouchereau) عام ١٨٧١ ان عدد المرضى بالجنون الناشئ عن الغول هو (٣١) في المئة من مجموع مرضى سانت آت .

وجاء في الاحصاءات الرسمية التي نشرها غارنيه (Garnier) وماينان (Magnan) ولغران (Legrain) وهي تشمل جميع ملاجئ فطر السين ان ٣٣ في المائة من مرضى السين بالجنون كان الغول من اعظم العوامل في جنونهم . وجاء في احصاءات سويسرا ان نسبة الجنون الغولي فيها هي (٢٠) في المائة عند الرجال واثنان في المائة عند النساء . وجاء في احصاءات ملاجئ بروكسل ان هذه النسبة هي ٣١ في المائة . وجاء في احصاءات ملاجئ انكلترا وبلاد الغال انه بلغ عدد الوفيات بالجنون الغولي فيها خلال عشرين سنة (٣٧٩٥٥) وفاة . وان نسبة الجنون الغولي هي ٢٦/٣ في المائة عند الرجال و (١٠/٤) عند النساء .

وجاء في احصاء امالدي (Amaldi) للملاجئ ايطاليا خلال عام ١٩٠٩ الى عام

١٩١١ ان نسبة الجنون المسبب عن الغول هي ٣١/٥ في المائة عند الرجال و ٥/٩ في المائة عند النساء .

وجاء في الاحصاء الذي نشره وارين فاريس (warren Ferris) وهو يشمل حكومة نيو يورك ان عدد السكان ازداد بنسبة ٤٧/١ في المائة من عام ١٨٩٠ — ١٩١٠ وان عدد المجانين ازداد في السنين المذكورة بنسبة ١٠٣/٩ في المائة اي تضاعف وان اعظم الاسباب في هذه الزيادة هو انتشار الغول .

واليكم الآن الاحصاء الرسمي الذي نشره الدكتور بولاك (Pollak) باسم لجنة مستشفيات حكومة نيويورك المنشور سنة ١٩١١ وهو يدل بكل وضوح على ان الجنون ينقص بنقص استعمال الغول كما انه يزداد بانتشاره . فان هذا الاحصاء يذكر انه دخل ملاجي نيو يورك خلال سنة ١٩٠٨ — ١٩٣٠ (٢٧٦٩٩) مجنوناً وان نسبة الداخين كانت تزداد من سنة الى اخرى حتى سنة ١٩١٧ حيث استقرت . ثم اخذت لتناقص بصورة منتظمة وذلك بالنظر لامتناع الناس عن شرب المسكرات .

تلك فطرة من وابل من مجموع التجارب والمشاهدات العلمية التي ابدتها الاحصاءات التي قام بجمعها وضبطها جهابذة اساتذة العلم في الممالك الراقية في جميع انحاء العالم . وكلها متضادة متضامن على تأييد حكمة تلك الآلة الكريمة (وانتمها اكبر من نفعها) وعلى اثبات فداحة مضار الغول في الفرد والاسرة والامة ، وان الغولية داء عضال نفش في هذا العصر في الامم العظمى نفشاً مريعاً لاعدد للتاريخ بمثابة في الازمنة الغابرة . وهو يهدد هذه الامم بهلاك النسل وفساد العنصر . وليست هذه النتيجة العلمية نبوءة مبتسرة لم تحققها حوادث التاريخ ، فما عهد ابادة الشعوب الضعيفة التي حمل اليها المستعمرون الغول منا ببعيد .

قال لغران (Legrain) في بحث الغولية في الجزء الثاني والعشرين من جامع الطب الداخلي والمداواة العملية ما نصه : (الغول سلاح مهلك يهدد الامم الجائرة تدفعه الى الامم الضعيفة فلتنخر به) (فن ذا الذي لا يعلم ما فعله مستعمرو اميريكيا الشمالية بسلاحهم المسمى ماء الحياة بسكان القارة الاصليين ذوي البشرة الحمراء . ومن ذا الذي يجهل ما نصنع بالاسود في مستعمراتنا الافريقية وما نحاوله بالعرب . ومن يجهل ما صنع

الاسوجيون مع اللابون ٠ « الى ان قال (ص ١٩٠) » وكل الحكومات فعلت ذلك ٠ فالانكليز باعوا الافيون الى الصين ، ونحن نخمد السود بخمورنا وغولنا ٠ ثم قال (ان القوانين العامة التي قضت بهلاك الشعوب الضعيفة قتلاً بفساد الامم القوية منقضي هي نفسها بهلاك هذه الامم القوية (ما دامت مؤدفة بالداء نفسه) وذلك بسرعة اخف من الاولى ولكن بقسوة لا لنقص عنها » ٠

وبما تقدم بيانه في هذه المحاضرة وفي المحاضرة السالفة يتضح لنا ان المضار عظمى ومنافع ضئيلة ٠ وتختصر هذه المنافع بامرئين : احدهما ان الغول غذاء ، والثاني انه منبه ٠ اما القول بان الغول غذاء فقد أبطلته تجارب روبنير (Rubner) التي برهنت على ان ما كل ما يشتغل في الجسم يعد غذاء ٠ وان نظرية تنظيم الاغذية بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها في الجسم فاسدة ، وان قيمة المواد الغذائية تقدر بحسب ما يستفاد من قدرتها في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، وقد صرح انواروبنديك نفسهما وهما اللذان اثبتا بتجاربهما قيمة الغول الغذائية بانه اذا كان الغول يعد غذاءً لاحتراقه في الجسم فهو غذاء سيء غذاء مكرره لانه يخرب الجسم اثناء اشتعاله فيه ٠ وعلى ذلك فقد اضاع الغول اليوم احدى خاصتيه الاساسيتين وهو لا بأسف كثيرآ لهذه الخسارة لان غواته لم يعشقه لاجلها بل لما يحدثه في اجسامهم من النشاط والنشوة ٠ اجل ايها السادة ، ان الغول منبه اذا اخذ بالمقدار الطبي الملائم لطبيعة كل انسان بمفرده مع مراعاة الكيفية والماهية ، مما يتعذر تحقيقه لما بين الاجسام من التفاوت ولما بطراً على الجسم الواحد من يوم الى آخر من التغير ، وهب انه امكن تعيين هذا المقدار لاحد الناس فان هذه الكمية لا تكون ثابتة الا اذا اخذت عند الحاجة وبفواصل بعيدة اعني مرة في الاسبوعين او الشهر ، اما اذا تناولها المرء كل يوم فان الجسم لا يلبث ان يألفها ويصبح لا يتأثر بفعلها وبضطر المرء ليحصل على النشاط واللذة الاولى الى ان يزيد كميتها تدريجياً فيتجاوز بعمله هذا الحد الصحي ويعرض جسمه لانواع الآفات العضوية والنفسية التي مر ذكرها ٠

واذا كان في الامم افراد قليلون ذوو ارادة قوية وتربية صحيحة في وسعهم ان يحافظوا على ذلك المقدار الصحي وان يحفظوا بذلك صحتهم وسلامتهم ، فهم كما قال اغرا

أضرَّ على الناس من الغول نفسه لانهم هم الذين يثلوث للناس فضائل الغول ويتخذهم صناعه وباعته عنواناً لدعايتهم ، فيقلدهم الضعفاء وهم سواد الامة فيهبون الى اشقى الحياة المادية والمعنوية .

فن الفضيلة والانسانية اذاً ان يغادي هذا الفريق العاقل بتلك اللذة العارضة كي لا يكون طعاماً في شرك الغول يغتال به الوالد ثم الولد والاسرة ثم الامة .

وقد اهاب نذير هذا الخطر المدام بالام الادريية والاميركية التي اخذت تشعر شعوراً واضحاً بدبيب السم ، سم الغولية الى مراكز اعضائها الحيوية . فاكبرت الخطب واعظمت الخطر واستفظعت العاقبة وقامت لنداعي كما لنداعي الاعضاء الصحيحة في الجسم المحموم لمقاومة ذلك العدو القاهر الذي استحكمت في النفوس برائته ، كما نشعب الياف السرطان في الجسم نبات الويل في نزعته والموت في تركه .

جيوش جرارة من علماء اساتذة وسياسيين واطباء وقانونيين وادباء ومنشئين ومرشدين ومعلمين وعمال وموظفين مؤمنين وملحدن نساءً ورجالاً شبيهاً وشباناً يلون باجمعهم نذير العلم وداعي الحياة ، فينضمون تحت لوائه ، يعلنون على الغول جهاداً مقدساً من دونه حروب الفاتحين وجهاد الصليبيين .

فهناك في سكاندينايفيا وفينلاندا وانكلترا والمانيا وهولاندا وسويسرة مئات من الجمعيات المؤلفة ضد الغول ومئات من الجرائد والمجلات العلمية والمزلية والاجتماعية المنقطعة تخصصت لمقاومة الغولية .

هنالك جمعيات جوقة الامل (Bands of Hope) في انكلترا وجمعيات منازل فرسان الشباب الصالح الدولية واعضاؤها من الاولاد يعدون بالملايين . وجمعيات امل السرير (Espoir du Bereau) وهي تضم الوفاً من الامهات تعاهدن على ترك المسكر ووقاية اطفالهن من شروره .

هنالك جمعيات الرياضة البدنية التي من شروطها ان لا تضم الى جسمها عضواً يشرب المسكر على اختلاف كمياته وانواعه . وجمعيات (الشريطة البيضاء Ruban blanc) الخاصة بالبنات يتدربن فيها على مكافحة المسكرات ليكن " في المستقبل زوجات وامهات صالحات .

هنالك الجهاد اللاغولي المقدس وكله يرمي الى هدف واحد هو وقاية ابناء الجيل القادم من شرور الغول وتهيبته ليصوت في المجالس النيابية المقبلة ضد المسكرات ، حذوا بما فعله نواب الولايات المتحدة وشيوخها الذين ابدوا بعملهم هذا من رباطة الجأش وقوة الارادة وصلابة العقيدة وصحة الايمان والجرأة والمنفاذة ما لم يتجل في امة من امم التاريخ القديم والحديث .

وبينا نار الحرب لتأجج في اوروبا وامريكا لمقاومة الغول ومطاردته نرى البلاد العربية المتقدمة هذه الغادة الاسيرة الفتانة نجه بكليتها نحو هذا العدو الافعى كأنها استلانت ملامسه ولم تستنكر نواجذه ، او كأنها سمّت الحياة فراحت لتطلب من سمه مخرجاً منها . وفي ذلك لعمرى منتهى الجبن ، واقصى الغباوة ، وابشع خيانة .

الفاظ عربية لمعان زراعية



الجسم الذي له شكل مخروطي والذي يكون في إبط ورقة النبات هو اما عين او برعم .
فاذا نفث عن محور خشبي واوراق سمي عينا وبالفرنسية (Oeil) اما اذا نفث عن زهرة
فهو البرعم والبرعم وبالفرنسية (Bouton à fleurs) ويلاحظ ان لفظة « العين »
لم نضعها نحن ترجمة للفظ الفرنسية (Oeil) بل هي موجودة في كتب اللغة القديمة حيث
كانت تستعمل للمعنى المذكور .

واذا نفثت العيون او البراعم فقد اكمت وفطنت وانضجرت وانفصدت وفقحت
ونفطرت وهو بالفرنسية (Bourgeonnement) .

والاغصان التي لنضرج عنها العيون اصناف : ولكل صنف منها اسم في فن تقليم
الشجر . والالفاظ العربية القديمة التي تدل على اشكال الاغصان لا تشتمل على المعاني
الفنية الحاضرة للاشكال المذكورة ولهذا لا بد من حصر المعنى الذي هو في المعاجم او
التوسع به حتى يكون لكل معنى من المعاني الفنية لفظة عربية خص بها . فالعين في بدء
نفطرها غرنوق وبالفرنسية (Bourgeon) وهو غصين لدن يسمى غرنوقاً ما دام
صغيراً طرياً .

واذا كان الغصن صغيراً طوله سنتيمتر الى ثلاثة سنتيمترات وكان غليظاً متغضناً سهل
القصف بينه وبين فرع الشجرة زاوية قائمة فهو الخوط وبالفرنسية (Lambourde)
ويكون الخوط في الدراق والخوخ والكرز محتوياً على كثير من البراعم الزهرية فيسمونه
في فرنسا « باقة ايار » .

ومن الاغصان غصن مثمر صغير طوله ٣-٨ سنتيمترات اما غليظ صغير العيون
والبراعم الجانبية كبير العين العليا يكاد يكون بينه وبين الفرع زاوية قائمة . وهو اجود
الاغصان المثمرة في التفاح والكمثرى والسفرجل . يسمى بالفرنسية (Dard) ورأيت
ان نسميه الغملوج .

ومنها غصن دقيق سهل التلوي يبلغ طوله ١٠ سنتيمترات الى ٣٠ سنتيمتراً وبينه

وبين الفرع زاوية منفرجة . وتكون براعمه العليا صالحة للازهار في النفاخ والكثيري
اما براعمه السفلى فتتلف . وفي الدراق تزهر جميع براعمه . ويسميه الفرنسيون
(Brindille) وارى ان يخصه بالفظة المسلوج .

ومنها غصن قوي يتراوح طوله بين ٣٠ سنتيمتراً ومترين ويكون مع الفرع الذي
يحملها زاوية حادة . وهو لا يزهار على الاكثر ويسمى بالفرنسية (Rameau)
و بالعربية الخربع والغصن .

ومنها الذي ينشأ من عين عرضية او زائدة على الفروع والسوق وهو سريع الثبات
مضر في الغالب ويسمى الغصن العرضي او الطفيلي (Rameau gourmand) .
ومنها الذي يحمل عيوناً وبراعم معاً وهو مفيد في الدراق لكنهم يقلون في النفاخ
والكثيري واسمه الغصن المختلط او الشامل او المشترك (R.mixte) ومتى شاخ الغصن
وقسا ونشأت عليه اغصان فهو فرع او شعبة (Branche) وهاك خلاصة الالفاظ المذكورة
مع ما يقابلها بالفرنسية :

Oeil	العين
Bouton à fleurs	البرعم
Bourgeonner	اكبح وقطن وانضج وانفصد وفقح ونفطر
Bourgeon	الغرنوق
Lambourde	الخطوط
Dard	الغملوج
Brindille	المسلوج
Rameau	الخربع والغصن
Rameau gourmand	الغصن العرضي او الطفيلي
R. mixte	الغصن المختلط او الشامل او المشترك
Branche	الفرع والشعبة

وفي فن الحراج الفاظ تدل على الحرجة في حالاتها المختلفة كأن يكون شجرها صغاراً
او كباراً ، منفردة او ملتفة ، نامية من يزور او من أرومة الشجرات المقطوعة الخ . ولم

أجد في المعاجم الفرنسية العربية ألفاظاً عربية صحيحة مقابل ما يستعمله الفرنسيون من الألفاظ للمعاني المذكورة . ولذلك رأيت ان نستعمل لها الحروف الآتية مع التوسع او التقيد وهي :

الحرّاجة ج حراج وأحراج وحراج ومحاريج لجماعة الشجر على الإطلاق ودو بالفرنسية (Bois) او (Forêt) ومتى كان شجر الحرّاجة طوالاً ضخام السوق يزيد قطر الساق على ٢٠ سنميترًا وربما بلغ ٥٠ سنميترًا فالحرّاجة هي غابة وبالفرنسية (Futaie) . وتحصل الغابة من البزور لا مما ينبت على أرومة الاشجار المقطوعة . وقبل ان تكبر اشجار الغابة ونضج سوقها اي عندما يكون قطر ساق الشجرة دون ٢٠ سنميترًا فالحرّاجة تسمى أجمة وبالفرنسية (Perchis) .

وقبل ان تبلغ الاشجار قدء شجر الآجام اي عندما تكون شجيرات مشتبكة الأغصان مختلفة الطول فهي غيل وبالفرنسية (Fourré) . هذه كلها في الشجر التي نبتت من البزور فاذا نمت في عجز الاشجار المقطوعة اي كانت فراخًا او أرادًا فالحرّاجة تسمى خيسًا (Taillis) . وهذا الشكل لا وجود له في اشجار الفصيلة الصنوبرية مثلاً لأنهم لا تفرخ بعد ان تقطع . والعيص جماعة الشجر ذي الشوك ج أعصاص . ولعل ما يقابلها بالفرنسية لفظة (Broussaille) فهي تطلق على النباتات الشاكة التي نبتت في الحراج . وتلخص الحروف المذكورة مع مقابلها بالفرنسية على الصورة الآتية :

Forêt	الحرّاجة
Futaie	الغابة
Perchis	الأجمة
Fourré	الغيل
Taillis	الخيس
Broussaille	العيص

آراء وافكار

اصل لفظة «عربية»

ما كدت أطالع في مجلة المجمع العلمي (٩ : ٣٥٦) قول القائل (ووضع ابن بطوطة ايضاً العربية للمجلة التي نقل الركاب) حتى خشيت ان يسري هذا الوم الى سواء فجمت في نيتي السابقة (ص ٦٩٩) أسأله عما اذا كان ابن بطوطة هو الذي وضع هذا اللفظ ؟ فبينت هناك ان ابن بطوطة ليس من اهل الوضع وانه راوٍ لهذا اللفظ لا واضع . ولما كان الشيء بالشئ يذكر استطردت الى قول حضرة الأب انتاس الكرمللي ان لفظة (عربية) تركية الاصل (المشرق ٥ : ٥١٩) او تركية التركيب والوضع كما يريد الآن (لغة العرب ٨ ص ٢٨٦) وذهبت اذ ذاك الى انها من اصل سرياني وذكرت ما قاله لغويو السريان في مادتي (ايزرا وعربا) ملحوظاً ذلك بما قاله احمد وفيق باشا في مجمعه (اللهجة العثمانية) عربية خطأ لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارابه) وهذا يؤكد ما قلته : لا اظن العربية من اصل تركي مديلاً كل ذلك بما قاله العلامة الزبيدي في التاج : والعربات سفن رواكد كانت في دجلة النهر المعروف . وهو ما قاله العلامة ابن منظور في لسان العرب . بقصد ان اثبت ان ما ذكره لغويو السريان لا يتعدى ما قاله لغويو العرب في مادة عربية . وقد كنت حينذاك وقفت على نص ياقوت الحموي في معجم البلدان في شأن عربية حيث قال : والعربية بلغة اهل الجزيرة السفينة تعمل فيها ربح في وسط الماء الجاري مثل دجلة والفرات والخابور يديرها شدة جريه قال (وهي مولدة فيما احسب) والاولى انها اعجمية كما ترى . وقد قلت عندئذ وهذا يحقق ما قاله لغويو السريان (جناح دولاب العربية) في الماء ويرجح ان اللفظ اعجمي وقد كان معروفاً في بغداد خاصة . فظهر الآت من قول ياقوت انها كانت معروفة في الجزيرة ايضاً . وان اصل اللفظ من لغة اهلها اي السريانية . وقلت اخيراً ان العربية كانت من اعتاد^(١) الحرب عند الشعوب القديمة فتوسعوا في معناها ونقلوها

(١) انكر الأب انتاس الاعتاد جمعاً لعتاد وانا اكتفي بما اثبتته اللغويون في هذا

من معنى الرحي التي تكون في الماء الى معنى المركبة او المجلة التي تدار على دولابين او اكثر فعرفت بهذا المعنى . على ان الأب انستاس الكرملي لم يرقه كل ذلك فعاد في مجلته لغة العرب^(١) يؤكد ان العربية تركيبة الاصل وانه لما قال تركيبة لم يقل انها كذلك بلغظها الحالي بل اراد ان يقول تركيبة التركيب والوضع . . . الى ان قال : اما ان العربية تركيبة فهو لا يشك فيها لانه رآها مدونة بهذا المعنى في كتاب (ديوان لغات الترك) لمؤلفه محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري وقد فرغ من تأليفه في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) وادى في اواخر المائة الحادية عشرة قال وانت تعلم ان المؤلف تركي صنف كتابه في بغداد نقل الفاظه عن الترك كما تعلم ان اللفظة لا تشيع بين الامة البعيدة الاوطان الا بعدد

الجمع قال في لسان العرب الاعتد جمع قلة للعتاد وهو ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب للجهاد ويجمع على اعتدة ايضاً . قال : وفي رواية انه احتبس ادراعه واعتاده قال الدارقطني قال احمد بن حنبل قال علي بن حفص واعتاده واخطأ فيه وصحف وانما هو اعتدة (اي جمع قلة) وجاء في رواية اعبدته بالباء الموحدة جمع قلة للعبد . وفي معنى الحديث قولان احدهما انه كان طولب بالزكاة عن اثمان الدروع والاعتد على معنى انها كانت عنده للتجارة فاخبرهم النبي (صلم) انه لازكاة عليه فيها وانه قد جعلها حبساً في سبيل الله . والثاني ان يكون اعتذر لخالد ودافع عنه يقول اذا كان خالد جعل ادراعه واعتاده في سبيل الله تبرعاً وتقرباً الى الله وهو غير واجب عليه فكيف يستجيز منع الصدقة الواجبة عليه اه . وقال في المصباح « واخذ للامر عتاده (بالفتح) وهو ما اعده من السلاح والدواب وآلة الحرب وجمعه اعتد واعتدة مثال زمان وازمن وازمنة . وفي حديث ان خالداً جعل رقيقه واعتده حبساً في سبيل الله . وروى واعبدته بالباء الموحدة والاول اظهر للحديث الصحيح . اما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس ادراعه واعتاده في سبيل الله اه بلغظه وهذا كاف لاثبات ان اعتاد جمع كثرة للعتاد وانه جاء في كلام القوم من اقدم الايام . ولا ابالي بعده سائر ما جاء به الأب انستاس من هذا النمط فاني لا اريد ان اجعل مجلة المجمع ميداناً للقال والقليل كما لا ينبغي .

(١) سنة ٨ جزء ٤ ص ٢٨٥ وما يليها واعاد نشر رده ملخصاً في مجلة المجمع العلمي .

مئات من السنين ٠٠٠ الى آخر ما جاء به وانا ارى انها سر يانية الاصل اخذها الترك عن السريان وتوسعوا في معناها ونقلوها من المعصرة والرحى في الماء الى المركبة والعجلة . لا يجهل الخبير ان السريان المشارقة او النساطرة قد كانوا على اتصال بالترك ، قال ابن العبري في مختصر الدول (ص ١٣٥) وآمن بعد هؤلاء أصفاف من الترك ايضاً . وجاء في سيرة مارآبآ (سنة ٥٤٠-٥٥٢ م) ان خان الهون البيض « وهم جيل من الترك كانوا يتوطنون بكتريانة » أرسل الى جاثليق النساطرة مارآبآ المشار اليه يطلب منه ان يرسل اليه أسقفًا ينصر القبائل التي كانت خاضعة لسلطانه ففعل وأنشأ أسقفيتين في هراة وسمرقند (سيرة مارآبآ ص ٢٦ وكتاب لاهور ص ١٨٩) ومن سعى لتوثيق عرى العلاقات بين الترك والسريان المشارقة طيموثاوس الكبير في أواخر القرن الثامن فقد ذكر في احدى رسائله سنة ٧٩٢ م ان أمة الترك نهضت على يدي أساقفة ارسلهم اليها وروى نوما المروجي في كتاب الرؤساء (ص ٢٥٢-٢٦٣) ان شوبحا المشوع مطران جيلان والديلم ذهب بامر طيموثاوس الكبير الى جهات الهرقانيين والأتراك فنصر كثيرين وشيد الكنائس . وقد نبهه اخواه بباهاالا وكرداغ اللذان سقفاها طيموثاوس الموما اليه وأرسلها الى بلاد الأتراك صحبة خمسة عشر راهباً من دير مارآبآ .

وفي تاريخ بطارقة المشرق لماري بن سليمان ان طيموثاوس دعا الى الايمان خافات ملك الترك وغيره من الملوك . ومنذ ذلك العهد ترى للنساطرة عدة كرامي أسقفية في بلاد الترك وماجاورها عدة عمرو بن متى في تاريخه المعروف بالمجدل (ص ١٢٦) وانا لا أقصد تبين انتشار النصرانية بين الأتراك بل أنوحي ذكر اتصال الترك بالسريان المشارقة او النساطرة من أقدم الايام فلا عجب ان استعمار الأتراك من السريانية بعض الالفاظ كما استعماروا كثيراً من الالفاظ الفارسية والعربية وغيرها .

ومن المقرر ان الترك كانوا في العراق والجزيرة بل في بغداد نفسها . قال ابن خلدون ان الترك عند الفتح (العربي) لم يذعنوا الا بعد طول حرب وممارسة ايام سائر دولة بني أمية وصدرأ من دولة بني العباس فامتلاأت أيدي العرب من سبيهم واتخذوهم نولاً^(١) في المهن والصنائع ٠٠٠

(١) المجمع لعل صوابه 'ندلاً' او 'خولاً' .

ولما كانت بغداد قاعدة الدولة العباسية ادنى الى بلاد الترك من دمشق وكان اولوا عصبيتها الفرس في خراسان على مقربة من الترك شرع هؤلاء وأخص منهم بالذكر عشائر القاني لي والقلاج والتركمان سكان ما بين النهرين بنقدهون - في صدر الدولة العباسية في خراسان والعراق هرباً من أذى أبناء عمهم الأتغور^(١) وطلباً للرزق (Le Cahun int . a l hist . de l' asie) .

ثم تضاعفت رغبة الترك بالمهاجرة الى الشرق الادنى حينما عوّل العباسيون على تجنيدهم بعد ان كانوا مماليك بالقصور في ايام الأمويين وفي زمن السفاح اول العباسيين (سنة ١٣٢ - ١٣٧ هـ) فان ابا جعفر المنصور ثاني العباسيين (سنة ١٣٧ - ١٥٨ هـ) كان اول من فطن للاستفادة من بأس الترك فألف منهم شزيمة قليلة لا شأن لها وانما بقي الشأن الاكبر يومئذ للعرب وللخراسانيين الفرس (المسعودي ج ٢ ص ٢٤٦) .

ثم اتخذ بنو العباس من لدن المهدي والرشيد بطانة اصطفوه من موالي الترك والروم والبربر ملأوا منهم المواكب في الاعياد والمشاهد والحروب حتى اتخذ المعتصم مدينة سامرا^١ انزلهم وكان اسم الترك يعمهم جميعاً فكان الروم والبربر تبعاً لهم ومندرجين فيهم .

وفي اثناء ذلك كان يتنازع السلطة في الدولة العباسية عنصران قويان العرب وهم اصحاب الدولة والفرس وهم اهل عصبيتها الذين قاموا بتأسيسها حتى اذا انتصر المأمون باخواله الفرس على اخيه الامين وعصبته العرب نفرد الفرس بالسيطرة . ومع ذلك فلم تكن حاشية الخليفة لتخلو من الترك النسا فذي الكلمة يذكر منهم طولوت جد الدولة الطولونية بمصر . ثم لم يمض الا القليل حتى قام الترك مقام العرب في منازعة الفرس النفوذ . ولا سيما منذ صار الامر الى المعتصم ثامن العباسيين (سنة ٢١٨ - ٢٣٢ هـ) فكثيراً ذاك الترك سيف ارجاء العراق (راجع فلسفة التاريخ العثماني ص ٣٢ وما يليها) فلا يستغرب اذا اقتبس الترك مثل لفظة (عربة) عن السريان العراقيين وقد كانت على حبل ذراعهم سواء أكان في بلادهم ام في العراق والجزيرة . فلا يقتضي لها مئات او آلاف من السنين حتى تنتشر وتشيع بين الترك كما ادعى حضرة الاب . بل لا يستغرب اذا

(١) كذا رسمها بعضهم ورسمها آخرون (الاو بغور) .

ذكرها محمود بن الحسين الكاشغري في (ديوان لغات الترك) في أواخر القرن الحادي عشر دون ان يشير الى أصلها السرياني .

وقد ذهب بعضهم الى أن لهجات القبائل التركية على كثرتها تعود الى اصل واحد هو التركي القديم ومنه التركي الحديث . وذهب آخر الى ان اللهجة التركية التي انتقلت الى الشرق الأدنى عن الطريق الاول ككشغر وفرغانة وسمرقند الى فارس والعراق تسمى (اللهجة الخاقانية) والتي انتقلت عن الطريق الثاني ضفاف جيحون في خراسان الى الشراطي الجنوبية من بحر طبرستان (الخرز) فمقاطعات قوه قاف الى الاناضول تدعى (اللهجة الأغورية) وهي الباقية في الاناضول على السنة التركمان . وكيف كان الامر فقد ثبت ان هذه اللغة لم تكتب بالحرف خاصة بها بل كتبت بحروف لغات عديدة فقد عثروا على كتابات تركية مكتوبة باليونانية واللاتينية والسريانية والرونية (Le runnique) ثم كتبت بالحروف العربية والارمنية . وقد غلب على بعض القبائل ولاسيما الأغور كتابة لغتهم بحرف خاص نقلوه عن الكلدانية وعُرف بالحرف الأغوري وهو يكتب عمودياً من الشمال الى اليمين . الى ان كتبت التركية الآن بالحروف اللاتينية لقطع آخر صلة بالعرب واللغة العربية . فاذا كانت الاتراك القدماء اقتبسوا الكتابة السريانية او الحروف الكلدانية فلم يسبستغرب اذا اقتبسوا عن اللغة السريانية بعض اللفاظ فتأمل .

واذا انقصت الجلد الثاني من (منتخبات اللغات العثمانية) يجد مؤلفه يذكر في مادة (عربية) عرب . عرباء . عربان . عربده . عربده جو . عربستان . عربون . عربية . عربي . عربيد . فنتحقق ان (عربية) لا تمت الى أصلي تركي . واذا طالعنا قاموس اللغة العثمانية المعروف (بالدراري اللامعات) نراه يقول في مادة (عربية) عرب — عرب اسود زنجي . عرب داريسي قبح اسود . عرب صاچي مشوش مضطرب . عرب كوله المملوك الاسود . عربجه عربي . عربده جو (ع ف) معربد . عربستان بلاد العرب عربه عجله (عربية) فنأكد ان لفظة (عربية) لا نشق من اصل تركي . ولا بد من تنبيه حضرة الأب الى ان احمد وفيق باشا لا يبحث في اللغة العربية او اليونانية بل يبحث في لغته التركية وقد تابعته في بحثه عن هذه اللغة فقط فلا يفيد الأب

ما عني نفسه به وعدده من الالفاظ التي عربها العلامة سليمان البستاني في الالباذة بحرف العين في اولها ووسطها وآخرها كما لا يفيد ذكر غيرها من الالفاظ التي عربها العرب بالعين بدلاً من الألف ولو بلغت الوفاء عديدة . فان احمد وفيق باشا لما رأى لفظة (عربية) مدونة في اللغة التركية بهذا الرسم قال عربية خطأ محض وعل ذلك مبرهنًا عليه بقوله لان حرف العين لا وجود له في اللغة التركية فلنظ عربية غير تركي لانه مبدوء بحرف العين الذي لا اثر له في التركية وهو ما اردته عندما تمثلت بقول ذلك العالم المدقق فتبصر وتدبر .

وغرب من حضرة الأب ان يقول في حاشية صفحة ٢٨٦ من مجلته ونقول الآن : (عفارم) وفي التركية (افرين) الى غيرها من الالفاظ التي يرى فيها العين في الاول او الوسط او الآخر وهي مع ذلك ليست بعربية . أفينكر أصلها الغريب الخالي من العين لاننا نقلناها في لغتنا بهذا الحرف الحلقي ؟ وهو قول جميل جداً ولكنه لا يعد حجة للأب بل حجة عليه يؤيده قول احمد وفيق باشا السابق الذكر حيث قال : ان حرف العين لا وجود له في التركية . فقال العرب (عفارم) بالعين وقال الترك (افرين) بالالف وعليه لا ينكر اصل اللفظ الغريب الخالي من العين لاننا نقلناه في لغتنا العربية بهذا الحرف الحلقي . ولكنه ينكر في اللغة التركية لان العين لا وجود لها في هذه اللغة مما لا يختلف فيه اثنان .

وقال حضرة الأب في ص ٢٨٨ من مجلته ان لفظ العربية بمعنى العجالة لم تشع بين الناطقين بالضاد قبل المائة الرابعة للهجرة او المائة العاشرة للميلاد . فاذا كان ذلك فعمن اخذها العرب عن الترك ام عن السريان ؟ وكما توسع بها العرب ونقلوها من معنى السفينة بالماء الى معنى سفينة البر التي نقل الركاب تصرف بها الترك ايضاً فنقلوها من معنى الرحى بالماء الى معنى المركبة .

والاغرب ان حضرة الأب استأس في رده ونقده تراه على خلاف عادته لا يرجع على اشتقاق اللفظ من اصل تركي بل يعتمد في قوله ان اصل (عربية) تركي على مثل صاحب مرآة اللغات ومؤلف الدرر العثمانية وصاحب لهجة اللغات وغيرهم ولا سيما محمود الكاشغري مؤلف (ذبوان لغات الترك) مما لا يجدي نفعا في هذا البحث ولا يثبت ان

العربية تركية الاصل و بالنتيجة لا يجردها من اصلها السرياني . واذا كان السرياني عرفوها بمعنى المعصرة او الرحى او ما اشبه ذلك فقد توسع بها الترك ونقلوها الى معنى المحلة او المركبة كما فعلوا في غيرها من الالفاظ مما لا يحتاج الى دليل او برهان . وبهذا القدر كفاية للتأمل البصير فقد اخضعت القصد ووفيت الامانة حقها في بيان الحقيقة ولكل احد ان يتبع الرأي الاقرب الى الصواب .

الطوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي

استدراك

كتب اليّ عالم من علماء العراق يقول : خطأت في الصفحة ١٩٠ من الجزء الثالث استعمال البقي والصنار والفندق وأدجبت استعمال البعوض والدلب والبنديق بدلاً منها على حين ان الالفاظ الاولى لا غبار عليها . وخطأت استعمال حري في الدبقي والعنم للنبات المسمى بالفرنسية (Gui) وباللاتينية (Viscum album) وهما صميجان . قلت لاشك ان البقي في كتب اللغة يطلق على جنسين من الحشرات هما أنواع البعوض (Moustiques) ونوع بنات الحصير ذوات الرائحة الكريهة (Punaise) . ولكن الشاميين الا القليل منهم لا يعرفون ان لفظة البقي تطلق على البعوض . اما هذه اللفظة الأخيرة فلا يجملها احد من المتعلمين ولذلك يجب في الكتب المدرسية ككتاب الاستاذ الهاشمي ان تسمى حشرات الـ (Moustiques) بعوضاً وحشرات الـ (Punaises) بقاً وهذا التخصيص ضروري جداً في الكتب التي تدرّس في المدارس .

ومن البديهي لديّ ان لفظتي الصنار والفندق صميجتان . ولكن من هو الذي يعرف في الشام على الأقل لفظة الصنار المعربة عن جنار الفارسية . انه لا يعرفها احد على العكس من لفظة الدلب الشائعة . وكذا لفظة بندقي فانه لا يلفظها احد في الشام بالفاء فلهذا السبب « ثم لأسباب أخرى يطول شرحها » رجعت استعمال الدلب والبنديق بدلاً من الصنار والفندق في الكتب المدرسية خاصة الا اذا كان العراقيون لم يألفوا

سوي لمظني الصنار والفندق فعندئذ نوضحان بين هلائين بجانب حرفي الدلب والبندق .
 اما الدبق فهو مواد لزجة لانيات . ومن هذه المواد صنّف يصنع من نبات الـ (Gui)
 لكن أهمها « ولاسبا الدبق الذي تصاد به العصافير » تصنع من نباتات أخرى ، مثل
 النبات المسمى (Ilex) وغيره . فاذا قلنا « شجر الدبق » نبادر الى الدهن كل الاشجار
 التي تصنع منها مادة الدبق وهي كثار . اما اذا قلنا شجر الهدالة فلا يرز الى الدهن سوى
 نوع نباتي بعينه هو الـ (Gui) .

اما لفظة العنم فلا يناسب « على ما حققته من محلبة هذا النبات » اطلاقها على نبات
 الـ (Gui) بل تطلق على بعض أنواع الجنس المسمى (Loranthus) .

مصطفى الشهابي

مطبوعات حديثة

مرجريت

— أو —

غادة الكميليا

« ترجمها الدكتور احمد زكي »

لا أذكر اني قرأت دُفُوعَ خمسين صفحة من كتاب دون ان يواثبني اليسير من التعب
 او الضجر ، اما رواية « غادة لكميليا » فقد جالست لقراءتها جلستين ، فما نهضت حتى
 أتيت عليها كلها ، ولقد وددت لو ان المؤلف قد أرخى من عنان الكلام حتى لا يكون
 لهذه الرواية آخر أفق عنده .

خلاصة هذه الرواية ان « مرغريت » وهي بغني من بغايا باريز بارعة الجمال أحبت
 في اسمه « ارمان » ولما علم والد « ارمان » بهذا الحب ألح على « مرغريت » في هجر « ارمان »
 فهجرت « مرغريت » رافقة بوالده على فرط حبها إياه .

لا تظن ان هذه الخلاصة تطلعك على شيء من جمال (غادة الكيليا) فاذا أردت ان
ننعم بهذا الجمال فاقرأ (غادة الكيليا) مرة ومرتين وثلاث مرات وانا أضمن لك انك
لا تكاد تغرق من قراءتها حتى تجد نفسك بالعودة الى هذه القراءة .

لله در صاحبها ! لله در (دوماس) ما أقدره على اللعب بالنفوس ، أوتي من الفن شيئاً
عجيباً ، أراد ان يصور لنا فضيلة البغايا ، أراد ان يصور لنا هذه المخلوقات التي دفعت
بها الطبيعة الى مواطن الفحش لسبب من الاسباب او لحاجة من الحاجات فتم له ما أراد
وصور البغي في اكمل صورها فاذا قرأت وصفها علمت ان هذه الطائفة من النساء لها
حياة خاصة وشعور خاص وكلام خاص فلو أحببت ان تحاطبهن بمثل ما تحاطب به
المحصات لما نجوت من شر مخربتهن .

على ان هذا الوصف ما كان الغاية التي رمى اليها (دوماس) في روايته وانما ذهب
في الرواية مذمباً أبعد وحاق في جور أعلى ، أراد ان يفهمنا معاشر الهازئين بالبغايا
المحقرون لمعبشتهم ان الفضيلة قد لبثت في منابتهن واذا ظهرت هذه الفضيلة في أفيائن
ظهرت بظهورها أعمال تهيج عنها أكل المحصات حُطاً . أحببت « مرغريت » التي
« أرمان » حباً ملك عليها كل شيء في العالم ، والمرأة اذا دخل العشق قلبها ضاعت مشيئتها
وعميت بصيرتها فلا تميز بين سبيل عشقها كائناً ما كان ، أحبته حباً جما فكان
من المنظر ان تضحي بكل شيء في سبيل حبها ، ولكن الذي وقع دلنا على خلاف هذا
الامر ، فبدلاً من ان تضحي بكل شيء في سبيل عشقها ، ضحّت بنفسها في سبيل هذا
العشق وقتلت عاطفتها للحي عاطفة والد « أرمان » رحمة لهذا الشيخ ورأفة بابنته
وبمسقبل ابنه .

وعلى هذه الصورة كانت (مرغريت) النابتة في منبت السوء رمز الخلق الكريم
والقلب الشريف .

ليست مهارة (دوماس) في استخلاص هذه الحكمة الاجتماعية فقد تكون البغي أشرف
الشريفات وقد تكون المحصة أرذل الرذيلات ، واذا بحثنا عن سيرة البغايا أحطنا
بأسرار كثيرة ، قد نفحش المرأة لسبب من الاسباب ، او لحاجة من الحاجات ، وقد
نفحش للنفس ، فن البغايا محصات النفوس ، ومن المحصات : بغايا النفوس ، ما هذه

هي الحكمة الرائعة التي يجب عليك ان تقرأ (غادة الكيليا) من اجلها ولكن اقرأ (غادة الكيليا) لتعرف سلطان الألفاظ على الأرواح وتندرك اثر الفن في القلوب . فبين انت تسمع كلام (ارمان) وهو ينغم على (مرغريت) لانها وعدته فأخلفت الميعاد اولاً انها تهزأ به وبين انت تشارك (ارمان) في رأيه في البغايا ونقمة عليهم ، اذ بك تقرأ كلام (مرغريت) فنرجع الى رضاك ونقلع عن نقمتك ونشارك (مرغريت) في حجتها القاطعة فكأنك مسلوب الارادة وماسلبك هذه الارادة الآن (دوماس) وعبر بربته الساحرة . فهو الذي يلعب بقلبك لعب النسيم بالغصون ، فتارة يميل بك الى الرضي عن البغايا فترضى ، وتارة يميل بك الى الغضب عليهم فتغضب وهذا كل شيء في الفن .

وما يحتاج الكاتب الى اكثر من هذه المقدرة ليكون في جملة الخالدين على شباب الالام وعلى هرمها .

اما الدكتور احمد زكي فقد استطاع ان يؤدي الينا عبقرية (دوماس) في أروع معارضها ، وهل يطلب الى المترجم شيء اكثر من حسن هذه التأدية ، فما نقصته سلامة الذوق في انتخاب الألفاظ ولا أعوزته لطائف اللغة الشعرية .

واذا سألناه في بعض ألفاظ استعمالها في غير مواضع استعمالها ، منها قوله : طرف شيقة والشيقة في اللغة المشتاق ، والدكتور يريد ان يقول : الطرف الرائعة أو اذا سألناه في جرأته على استعمال كلمات أعجمية كالمسلمين والدنلات والألواج ، أو اذا سألناه في بعض صفات أضافها الى الموصوفات على غير ارادة المؤلف (دوماس) نوخياً منه ان يجعل النغمات أوقع في الآذان ، اذا سألناه في هذه الهفوات البسيرة استطعنا ان ندق ما يستر هذه الهفوات من الحسنات الكثيرة ، وأظهر هذه الحسنات لتناسق ألفاظه الموسيقية من اول الرواية الى آخرها .

شفيق جبري

عضو المجمع العلمي

الجواهر

« في تفسير القرآن الكريم »

اهدانا السيد مصطفى الباي الحلبي صاحب المطبعة المشهورة بمصر الاجزاء التي صدرت الى اليوم من التفسير النفيس المسحى (بالجواهر) وهي ستة عشر جزءاً تأليف العلامة الاستاذ طنطاوي جوهرى . وقد فضى الاستاذ سنين طويلة في تحرير هذا التفسير ولما يتم وقد بلغ فيه سورة فاطر . ومن تصفحه أدرك سعة علم الاستاذ كما أدرك مبلغ العناية الذي كابدته في وضع هذا التفسير والعناية التي بذلها في جمع مواده ، ونسيق مباحثه . وأول ما يخطر للناظر فيه انه لا ينظر في تفسير قرآن وانما هو ينظر في (دائرة معارف) على القرآن تضمنت شرحاً لا ياتيه ثم تاريخاً وأدباً وأخباراً وفلسفة وسياسة واجتماعاً وزجراً ووعظاً ونهيهاً وتحذيراً حتى انه لم يخل من ذكر نظرية (انيشتين) والاستشهاد بها على ما هو بصده من تفسير الوحي الآهني وكثيراً ما يقع نظرك على بحث في ثنايا الكتاب فتعجب لذكر مثله في تفسير القرآن حتى تراجع صفحات كثيرة سبقت فيتبين لك اذذاك وجه المناسبة ولوضعية بين هذا البحث وبين الآية المفسرة . افتح مثلاً الجزء العاشر ص ٢٢٩ يقع نظرك على مسائل تحت ارقام . تسلسلة ثم نقرأ تحت الرقم الاول ما نصه (الشعوب التي هي جديرة بالاستقلال التام . ويجب ان يتمتع به في الحال . وبينها الصين ومصر وسورية والعراق) فلا تكاد تصدق انك نقرأ تفسيراً للقرآن فترجع أدراجك الى ما سبق من المباحث مبحثاً مبحثاً فتجد نفسك في تفسير قوله تعالى (والتي أحصنت ٠٠٠٠ وجعلناها وابنها ٠٠٠٠ ان هذه امتكم ٠٠٠٠ كل الينا راجعون) .

ففسير (الجواهر) لم يؤلف للطالب العجول . ولا للشجر الملول . وانما ألف للزميت الوقور . الجليلد الصبور . ونرجو ان يكثر امثال هؤلاء بين ابنائنا .
وانا لنشكر المؤلف الفاضل خدمته كما نشكر للطابع الناشر هديته جزاهما الله عن
أمتها خير الجزاء .
« المغربي »

مختار الشعر الجاهلي « الجزء الاول »

تصنيف الاستاذ مصطفى السقا طبع بمطبعة السيد مصطفى الباني الحلبي بمصر
في ٣٣٦ صفحة

من تصفح هذا المصنف الجديد في آدابنا العربية سره منه امران (الاول) ان
الطبع التجاري الذي كان يقصد من ورائه مجرد الربح أخذ يتضاءل رويداً رويداً في
مطابعتنا . (والامر الثاني) ان المشغولين في آدابنا العربية عادوا فأدركوا أنه لا يمكن ان يكون
لنا أدب جديد مالم 'هين على أدب قديم وان العناية بالادب القديم يجب ان تسبق العناية
بالادب الجديد فينبغي أولاً أن تستقصي منابع الادب القديم وتنسق مواده وتصحح كتيبه
وتضبط نصوصه ضبطاً يطمئن اليه قلب الطالب عند دراستها . كما يطمئن اليه قلب
الاستاذ عند استخراج القواعد واستنتاج النتائج منها . والكتاب الذي نقرظه منذ الساعة
هو من تلك المصنفات الحديثة التي روعي فيها كلا الامرين . وقد اصدر مؤلفه جزءه
الاول وضمنه شعر الطبقة الاولى من الجاهليين وبعض اشعار الطبقة الثانية منهم : فهو
يذكر ملخصاً مفيداً من ترجمة الشاعر ثم قطعاً من شعره بأرقام متسلسلة و يعلق عليها في
ذيول الصفحات تفسيراً لا بالطويل الممل ولا بالقصير المحل . وقد لاحظنا أن الاغلاط
فيه طفيفة جداً : مطبعية كانت او لغوية من ذلك كلمة (الود) في قول امرئ القيس
ص ٥٣ (تخرج الود الخ) فقد ضبطت بالشكل بضم الواو مع ان الصواب فتحها مطلقاً
سواء أ كانت بمعنى الوند أو اسماً للجبل . ومنها كلمة (الممر) في قول امرئ القيس
ص ٥٣ ايضاً .

(قد غدا يحملني في أفنه لاحق الإطليلين محبوبك 'ممر)

فقد ضبط (ممر) بضم الميم الاولى وكسر الثانية بصيغة اسم الفاعل وفسره
بالمعتدل الخلق . والصواب فيه ان يكون بصيغة اسم المفعول (بضم ففتح) من أمر الجبل
اذا فتله فتلاً شديداً ومعناه في صفة الجسم أن يكون قوياً شديداً الأمر كالجبل
المحكم الفتل وبذلك يتلاءم بقوله قبله (محبوبك) . وتفسير (الممر) باعتدال الخلق

غير ظاهر لغةً ولو قال موثق الخلق لكان اصوب . والاعتدال في الجسم المتوسط فيه بين الطول والقصر وبين السمن والنحافة ويقولون جارية حسنة الاعتدال اي القوام . وبالجملة فانه اذا صح وصف الفرس بالاعتدال .

(سلي الليل عني كم شققتُ أديمه على ضامر الجنبين معتدل عالي)

فانه لا يصح تفسير (الامرار) بالاعتدال ولا (الممر) بالمعتدل .

« المغربي »

كتاب رغبة الآمل

« من كتاب الكامل »

تأليف الاستاذ سيد بن علي المرصفي طبع منه سبعة أجزاء بكل جزء في نحو

٢٠٠ — ٢٦٠ صفحة بمطبعة النهضة بمصر

سيد بن علي المرصفي مصنف هذا الكتاب هو أستاذ الاستاذين في الآداب العربية وحامل لوائها في البلاد المصرية كان يضع على كامل المبرد هذا الشرح وهو يقرأه على الطلاب وقد طبع منه الى اليوم سبعة أجزاء فقط وصل فيها الى (باب النسب) وشرحه في ذيل الصفحات يستغرق ثلث الصفحة وأحياناً نصفها وأدونة أكثر من ذلك مع ضبط كثير من كلمات المتن بالشكل . اما التحقيق والتدقيق في الشرح والتفسير فحدث عنه ولا حرج . وللشارح ملاحظات كثيرة على المؤلف وتعليقات غاية في الجودة والاصابة . وآثار العناية بطبع هذه الأجزاء ظاهرة ، حتى اننا بعد تصفح كثير من صفحاته لم نظفر بسوى كلمة واحدة وردت في بيت لذي الرمة بصف سيقاً امشهد به الشارح وهو :

(وأبيض موشي القميص نصبتني على خصر) (مقالة) (سفيه جدي لها)

(مقالة) كذا بالقاف والتاء المربوطة . وصوابه (مقالة) بالفاء والتاء المربوطة من فلي

المفازة يفلها اذا تخللها ومنه قوله :

(ساهمت عيسك مرّ عيشك قاعدآ أفلا فليت بهن ناصية الفلا ؟)

او هي (مقلات) بقاف وتاء مفتوحة . يقال نافقة مقلات اذا لم يكن لها ولد . اذ ان

عدم الولد ربما كان أعون للناقة على الاغذاذ والجد في السير فلا يشغلها الحنين الى ولدها عن المضي فيه أو يقال انها اذا لم يكن لها ولد كانت قوية على السير فلا تكون هزيلة ولا ضعيفة الجسم بسبب الولادة والارضاع . ولعمري ان المؤلف قد خدم بمؤلفه هذا المكتبة العربية عامة وكتاب الكامل خاصة فله الشكر وطول العمر . «المغربي»

تنبيه — . اصلاح الاخطاء التي وردت في الجزئين الماضيين الثالث والرابع :

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٣٤	١٦	هذه ثلاثة عشرة كلمة	هذه ثلاث عشرة كلمة
١٨٠	٦	ونحن اول من	ونحن اول من
١٨٠	٨	الاب استناس	الاب الستاس
١٨٣	١٨	ولا بد لهذا العمل اذ كنا نعم انه	ولا بد لهذا العمل اذ كنا نعم انه
٢٣١	٢٣	جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين	جاءت الزلزلة سنة اثنين وخمسين
٢٣٥	٧	وسبجه ثم اعدمه	وسبجه ثم قتله
٢٣٦	٢٣	في سنة اثنين وثلاثين	في سنة اثنين وثلاثين
٢٣٦	٢٤	في سنة اثنين واربعين	في سنة اثنين واربعين
٢٥٥	٩	يعرف قارئه	يعرف قارئه
٢٥٥	٢٠	يجدونه في اعمال	يجدونه في اعمال
٢٥٦	٤	اثني عشر قطعة	اثني عشر قطعة

مجلد الجمع العلمي العربي

(دمشق) : تموز سنة ١٩٣٠ م

الموافق صفر سنة ١٣٤٩ هـ ١١٥

المخاضرة الخامسة عشرة

نبوة المتنبي (١)

-٧-

مر بكم ان ابا الطيب لما ترعرع وشعر و برع توفي ابوه ، فالحسين فارق الدنيا وابنه احمد في عنفوان صوته ، فلترقب ابا الطيب في اول حركة من حركاته بعد ان تم له ماتم من طلب الادب واللغة في البادية والحضر ، فلينقص اخبار ذلك الامر العظيم الذي ذهب بحقيقة اسمه وجعل له اسماً آخر خالداً على وجه الدهر وهو المتنبي ، لماذا لقبوه بالمتنبي هل نذباً ابا الطيب وكم كان عمره في دعوى النبوة ، ما هي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة ، هل نسبوا اليه اموراً غير دعوى النبوة ، هل نسبوا اليه انه هم بالخروج او انه ادعى انه علوي ، او انه ادعى غير ذلك ، ما هي معجزاته ، ما هو قرآنه ، ما هي اقواله في نبوته وقرآنه ، هل شهباً له شيء من اسباب التأثير في عقول الاعراب ، هل صرح في شعره بدعواه ، هل وطن نفسه للموت وهو في السجن على نحو اكابر الرجال الذين لا يبالون بما يصيبهم في سبيل مذهبهم ام او هن رجليه ثقل الحديد ، فاستغاث واستصرخ .

لماذا لقبوه بالمتنبي ؟

حكى ابو الفتح عثمان بن جني وابن جني هذا صاحب ابا الطيب دهرأ طويلاً قال :

(١) سلسلة المخاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبيري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

سمعت ابا الطيب يقول انما لقيت بالمنبيء لقولي :
انا في امة ندار كما الله غريب كصالح في ثمود
وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بارض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود
فنشبهه بصالح وبالمسيح مدعاة الى تلقبه بالمنبيء .
هل لنبياً المنبيء ، وكم كان عمره لما انبأ ، وما هي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة .
قال ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي :

قدم ابو الطيب المنبيء اللاذقية في سنة عشرين وثلاثمائة ، (كان عمره يومئذ سبع عشرة سنة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمي اذنيه ، فاكرمه وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته فلما تمكن الانس بيدي وبينه وخالوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من ادبه قلت له : والله انك لشاب خطير ، تصلح لمناذمة ملك كبير فقال : ويحك اتدري ما نقول ؟ انا نبي مرسل ، فظننت انه بهزل ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هنزل قط منذ عرفته فقلت له : ما نقول : فقال انا نبي مرسل ، فقلت له : مرسل الى من ، قال : الى هذه الامة الضالة قلت : تفعل ماذا ، قال : املاء الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، قلت : بماذا قال : بادرار الارزاق والثواب العاجل والآجل لمن اطاع واتي ، وضرب الاعناق لمن عصى وابتى فقلت له : ان هذا امر عظيم اخاف منه عليك ان يظهر وعدته على ذلك فقال بديها :

ابا عبد الآله معاذ اني	خني عنك في الهيجا مقامي
ذكرت جسم ما طلي وانا	نخاطر فيه بالمهج الجسام
امثلي تأخذ النكبات منه	ويجزع من ملافاة الحمام
ولو برز الزمان الي شخصاً	لخضب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشبهها الليالي	ولا سارت وفي يدها زمامي
اذا امتلأت عيون الخيل مني	فويل لي التيقظ والمنام

هذا قول ابي عبد الله معاذ اللاذقي في نبوة المنبيء فلنسمع قول كافور الاخشيدي وانتم تعلمون ان ابا الطيب لما غضب على سيف الدولة قصد كافوراً فوعده كافور بولاية

بعض أعماله فلما رأى تعالىه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادعي النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، اما يدعي المملكة مع كافور فحسبكم .
اما ابو العلاء المعري ، فقد ذكر عنه الاستاذ عباس محمود العقاد ، في مقال له في « البلاغ » عنوانه هل ننبأ المنبي انه قد شك في دعوى النبوة وبني مقاله على هذا الشك ، فهو يعتقد ان قصة النبوة رواها عن ابي الطيب جماعة من اهل عصره اكثرهم من خصومه وحساد . او من ملقي الأحاديث .

وقد رجعت الى كلام ابي العلاء فلم أجد فيه ما يدل على انه كان يشك في دعوى النبوة فهو قد صدق الدعوى وروي احاديث حدثه بها الثقة عن معجزات المنبي ، وهذا كلام المعري :

« وحدثت انه (اي المنبي) كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة اي المرافق من الارض وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وانما هي مقادير يدبرها في العلو مدير ظفر بها من وفق ، ولا براع بالمجهود ان يخفق ، وقد دلت اشياء في دبوانه انه كان مثالها ، ومثل غيره من الناس متدلها ، فن ذلك قوله :
(ولا قابلاً الا لخالقه حكماً)

وقوله :

ما أقدر الله ان يخزي برئته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا
واذا رجع الى الحقائق فنطق اللسان لابني عن اعتقاد الانسان ، لان العالم محبوب على الكذب والنفاق ويحتمل ان يظهر الرجل بالقول ندينا ، وانما يجعل ذلك تزينا ، يريد ان يصل به الى ثناء او غرض من اغراض الخالصة ام الفناء ، ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعبدون وفيما بطن لمحدوث . «

فن هذا يتبين لكم ان ابا العلاء لم يلحقه الشك في الدعوى التي ادعاها المنبي حتى انه بين علة هذه الدعوى فأشار الى طمع ابي الطيب في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وستسمعون احاديث معجزات ابي الطيب التي حدث بها ابو العلاء ، واذا شك المعري في شيء فانه قد شك في صدق النبوة لا في صدق دعوى هذه النبوة والفرق بين الشكين ظاهر . -

ومن الذين تسكّلوا على دعوى النبوة ابو منصور الشعالي فقد قال :
ويحكى انه أنبأ في صباه وفنن شردمة بقوة اديه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :

قال ابو علي بن حامد : سمعت خاقاً يحلب يحكون ان ابا الطيب المنيني أنبأ ببسادة
السمادة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله واسره ،
وشرّد من كان اجتمع عليه من بني كلب و كلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن
دهراً طويلاً حتى كاد يئلف فسئل في امره فاستنابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها
ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

هذه أقوال من تسكّلوا على دعوى نبوة المنيني على ان بعضهم نسبوا الى المنيني اموراً
غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعائه العلوية وغير ذلك مما لم يذكره ، فالشعالي قبل ان
يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :
وبلغ من كبر نفسه ، وأعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من رأيي نبلة على الحدائنة
من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي
البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه ونقيده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :

وانما قيل له المنيني لانه ادعى النبوة في بادية السمادة وتبعه خلق كثير من بني كلب
 وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فأمره ونفرق أصحابه وحبسه
طويلاً ثم استنابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :

وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان
الى ان قال :

وقيل انه قال : انا اول من أنبأ بالشعر . —

وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه مايلي :
وقال القاضي ابو الحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي ، وكان ابو الطيب لما خرج الى

كذب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالتوبة واطلق .

فوالذي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الافوال في أمر النبي متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .
ولا بأس بان الملح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد تكلموا على نبوته . —

أما المعجزات فقد ذكر منها ابو عبيد الله معاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فمن شاء ، فليقرأ خبرها في الصبح النبي . وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال : «وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها اقررنا انك مرحل . وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتخيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ونكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسحاة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدثت ايضاً انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الاقلام فخرحته جرحاً مفرطاً وان ابا الطيب نفل عليها من ريقه وشد عليها غير منظر لوفته وقال المجروح لا تحملها في يومك وعد له اياماً وليالي . وان ذلك الكتاب قبل منه فبري الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد ويقولون هو كعجي الاموات .
وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل واقيهما كلب الخ عليها . وفي الصباح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الى الامر على ما ذكر ولا يمتنع ان يكون اعد له شيئاً من المطاعم مسموماً والقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل ، والخربق سم الكلام .»

واما القرآن فما انا اتلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفطي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لني اخطار . امض على سننك . واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيف من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طوبلة لم يبق في حفطي منها غير هذا . »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبي في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته .

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبي في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كانت يحكى عنه انكره وجحدته ، وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل يا رضى ان يدعى بالمتنبي لان معنى المتنبي كاذب ومن رضى ان يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغش مني ولست اقدر على المنع .

قال النونخي : قال لي ابي : فاما انا فسألته بالاهواز عن معنى المتنبي لأني اردت ان أسمع منه هل نسباً او لا فجوابني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء كان في الخدانة فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت .

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام : خبرني من اثق به انك قلت انك نبي فقال : الذي قلته : انا احمد النبي .

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهم بالخروج وغير ذلك يحار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه . وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي . ونرى ابا عبد الله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعائه النبوة . ونرى كافور الاخشيدي يصدق دعوى نبوة المتنبي . وهو لا ، كلهم من اهل عصر المتنبي . وانا لنرى ابا العلاء

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المنبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من
السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقانه على دعوى النبوة . وكذلك التعالي وكذلك
ابن خلكان اذ نرى التعالي نفسه يتكلم على هم المنبي بالخروج على السلطان . ونرى
الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المنبي العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر
غير النبوة ، وغير العلوية ويرجحه عليها ولا يذكره . ونرى المنبي نفسه اذا ذكرت له
النبوة والقرآن ينكرهما مرة وبغالط مرة اخرى ويقول : ان هذا شيء كان في الحدائث
فالانسان كما قلت لكم يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المنبي لم يعمرح في
شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان
لا يسمع من الكاشحين وان يفوق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فما لك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود

فلا تسمع من الكاشحين ولا تعبان بعجل اليهود

وكن فارقا بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأ بعيد

فقد يجوز ان ابا الطيب اراد امراً من الامور ولما هم بهذا الامر اخفق فما هو هذا
الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان
تشيع دعوى من الدعاى المذكورة وقصيدته التي قالها في صباه والتي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم

قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم

من لورآني ماء مات من ظاء ولو مثلت له سيف في النوم لم ينم

ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصي من ملوك العرب والعجم

فان اجابوا فما قصدي بها لم وان تولوا فما ارضي لها بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك
سواء عليه اجاءه من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز
ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له
الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جهلها خبرته بالارض وفصاحته

حتى حكوا عنه انه مما كان يخرق به على اهل البادية أنه كان مشاء ، قوياً على السير يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل يديه ورجليه ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقه ويوم ان الارض تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثه بطالب الملك بعد ان تهباً له هذا كله وتنبأ له شيء اعظم من هذا وهو حسن البهان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :

وكلمة في طريق خفت اعربها فيهتدى لي فلم اقدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي نوطي له السبيل الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان متيناً في عقيدته ، شديداً في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورقة الدين في كثير من شعره منه قوله :

لنقصاصر الافلاك عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا
وقوله : لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الاله رسولا
وقوله : او كان لح الحجر مثل يمينه ما انشقى حتى جاز فيه موسى
وقوله : يا من تلوذ من الزمان بظله ابدأ ونطرد باسمه ابليساً

الى كثير من اشباه هذه الالفاظ ، فلما هم بما اراد لم يتم له شيء من مراده ولعل الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به .

ومدفعين بسبوت صحبتهم عارين من حلل كاسين من درن
خراب بادية غرثى بطونهم مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهم خبري وما يطيش لهم سهم من الظنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فان المتنبئ متن بعض المثانة في حبسه فقال :

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للوث نفس معترف
لو كان سكنائي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

ولكنه بعد ان قال هذين البيتين وهما هما في متانة الاخلاق والصبر على المكاره في سبيل مذهب من المذاهب او معنقد من المعنقدات خاله الصبر فضعف عزمه فقال للوالي :

امالك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعنق العبيد
 دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كجبل الوريد
 دعوتك لما براني البلاء واوهن رجلي ثقل الحديد
 فاين نوطين النفس للموت من هذه الاستغاثة .

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠



حياة المتنبي

- ٨ -

أرى أن أفضي إليكم بعد أن تكلمت على وطن أبي الطيب وعلى نسبه وعلى تحصيله وعلى روايات نبوته ، بمجملته أخباره وهو سيف ديار الشام وفي ظلال سيف الدولة وفي مصر وفي العراق وفي بلاد فارس ، على أن تكون أخباره هذه متسلسلة ليس فيها شيء من الاقتضاب ، وكنت أحب أن اختصر الكلام على هذه الأخبار حتى أصل إلى الكلام على أخلاقه وروحه ولبسته وشعره وبعض نظرائه الفلسفية قبل انقضاء سنينا . ولكنني لا أجدي مندوحة عن أن أروي لكم المهمل من هذه الأخبار مما له تأثير في شعره ، فستجدون في الآتي أن أبي الطيب قد شك الحسد في كثير من قصائده ، وستجدون أن الأخبار التي سأرويها لكم لا تخلو من ارتباط بهذا الحسد الذي أكثر من الإشارة إليه في شعره . فالرجل كان محسوداً في جميع حالاته في فقره وفي غناه . -

فلننظر إلى حالة أبي الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة ، فقد علمتم أنه لما نسبوا إليه أنه ادعى النبوة كان عمره سبع عشرة سنة . فكان في أول أمره في خشونة من عيشه ورقة من حاله ، يعوزه كل شيء . يعوزه الناع من الملابس . والكريم من المطايا . توفي أبوه فقيراً فضرب أبو الطيب في منازك الشام التماساً للرزق . وجال في البوادي والخواصر ومدح رجالاً من منبج وطرابلس الشام وطرسوس وأنطاكية . وطبريا ودمشق وبلبك ومر بجمص وبعقاب لبنان . وبغير ذلك من بادية الشام وحضرها :

الفت ترحلي وجعلت أرضي قنودي والغريبي الجللا
فما حاولت في أرض مقاماً ولا أزمعت عن أرض زوالا
على قلق كأن الرمح تحني أوجهها جنوباً أو شمالا
جال أبو الطيب في هذه الآفاق كلها ، ومدح فيها من أمّل نداء وكرمه فقد كان

فقيراً شكا فقره وابتذلت شكايته . فمرة كانت أعصابه تهيج في شكوى الفقر :

الى اي حين انت في زبي محرم وحتى متى في شقوة والى كم
ومرة كانت هذه الأعصاب تهدأ بعض الهدؤ :

لله حال أرجيها وتخلفني واقتضي كونها دهري ويمطلني
لم يكن لابي الطيب في اول امره شيء من المطايا فلا مطية له الا العمل والخف ،
ولا لباس له الا القطن الخشن :

لا نأفني نقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان اجهدنا
شرا كها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها
وقد اكثرت من التنغم بقلة المطايا :

وحبيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت امشي راكباً
حالي متى علم ابن منصور بها جاء الزمان اليّ منها نائباً
نعم كان ابو الطيب يشكو الفقر على انه لم يقصر في طلب الرزق :

ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيامي وقل عنه قعودي
ابداً أقطع البلاد ونجمي في نخوس وهمي في صعود
ولعلي مؤمل بعض ما ابلغ باللطف من عزيز حميد
لسري لباسه خشن القطن ومره مره لبس القردود

ولكن شعره كان يباع في سوق الكساد :

الى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التماذي في التماذي
وشغل النفس عن طلب المعالي يبيع الشعر في سوق الكساد
فيحكى ان علي بن منصور الحاجب الذي امله ورجاه لم يعطه على قصيدته التي فيه واوها :

(بابي الشموس الجانحات غواربا)

الا ديناراً واحداً فسميت الدينارية :

لم يقصر ابو الطيب في السعي ولكن آماله خابت عند من كان يمدحهم .
مدحت قوماً وان عشنا نظمت لهم قصائد من أناث الخيل والحصن
فكم سعى الى حاجة ولم ينل منها شيئاً :

فقل في حاجة لم الض منها على شغفي بها شروى نقير
وكم طلب الرزق لجده ففاته هذا الرزق :
طلبت لها حظاً ففانت وفاني وقد رضيت بي لورضيت بها قسما
فلا ذنب له في هذا كله ، وانما الذنب يرجع الى الذين يذكرون له الجود فلا يحصل
من جودهم الا على الكلام .

أرى أنا ما ومصولي على غنم وذكر جود ومصولي على الكرم
على انه اذا لم بعض بمدوحيه فقد حمد طائفة منهم لم يخلوا عليه ، في جملتهم ابوالعشائر .
هذه حاله وهو في ديار الشام ، شكاف فيها كل شيء ، شكاف فقره واخفافه في السعي ،
وكساد شعره في أسواق بعض المدوحين ، ومع هذا كله ما كان يخلو من حسد الحساد
وشماتة الشامتين وكيد الكائدين ، نعم لم يخل من حسد الحساد .

فلو اني حسدت على نفيس لجدت به لذي الجذ العثور
ولكنني حسدت على حياتي وما خير الحياة بلا مرور
ولم يخل من شماتة الشامتين ، حتى في المواطن التي لا تكون فيها الشماتة الا الأم
اللوم ، فقد شتموا بموت جدته :

لئن لد يوم الشامتين بهومها لقد ولدت مني لأنهم رغا
ولا خلا من كيد الكائدين :

ان الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله .

فلنبحث عن أخبار أبي الطيب وهو في ظلال سيف الدولة ، فهل استمر أبو الطيب
في شكوى الفقر ، هل استمر في شكوى الحسد . —

كان أبو الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة بمدح القريب والغريب وبسطاد ما بين
الكركي والعندليب ، هكذا قال فيه الشعالي وقد تحقق عندنا ذلك وبقيت هذه حالته الى
سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وهي السنة التي مدح فيها سيف الدولة وكان عمره حينئذ
اربعا وثلاثين سنة . —

كيف انفصل بسيف الدولة وكيف كانت منزلته عنده وكيف كان رأي بعض

الشعراء ورجال الادب فيه وكم مكث سيف افياء سيف الدولة وما هي الاسباب التي من أجلها فارق ابو الطيب سيف الدولة .
قال ابو عبد الله ياقوت الرومي :

ولم يزل المنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال حتى اتصل بابي العشائر ومدحه بعدة قصائد ، فأكرمه ابو العشائر وعرف منزلته وكان ابو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة ولما قدم سيف الدولة انطاكية قدم المنبي عليه ، واثنى عنده عليه وعرفه منزلته من الشعر والادب . واشترط ابو الطيب على سيف الدولة اول اتصاله به انه اذا انشدته مديحه فيه لا ينشده الا وهو قاعد ، وانه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه ، فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع الى ما يرده منه وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وحسن موقعه عنده فقر به واجازته الجوائز السنية ومالت نفسه اليه وأحبه فسلمه الى الرواض ، فعملوه الفروسية والطراد والمثاقفة . وحكي انه صحب سيف الدولة في عدة غزوات الى بلاد الروم ، منها غزوة العشاء التي لم ينج منها الا سيف الدولة بنفسه وستة أنصار احدهم المنبي ، واخذت الطرق عليهم الروم فجرد سيف الدولة سيفه وحمل على المعسكر وفرق الصفوف وبدد الالوف . هذا هو اول اتصاله بسيف الدولة ، فبعد ان كان يشكو شقوته وقلة مطايابه واخفافه في السعي وكساد شعره ، انقلبت حاله فجار في كثرة خيله وخوله .

بالشرق والغرب أقوام نحسبهم فطالعام وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم باني في مكارمه اقلب الطرف بين الخليل والخول
لقد غرق ابو الطيب في مكارم سيف الدولة الباهرات حتى ترك السرى لمن لا مال له وانزل خيله ذهباً .

تركت السرى خلتي لمن قل ماله وانعلت أفراسي بنعماك عسجدا
فكان سيف الدولة يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ماعدا الخليل والجواري والخلع والجوائز والاقطاعات .

اسير الى اقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه
من هذه الاقطاعات سبعين وهي قرية بباب حلب ، وصف وهي قرية بالمعرة وكان

له وكيل يتوكل له سيف داره بحلب اسمه ابوسعيد ، فأين حاله من هذه من شقوته التي كان فيها ولا مطية له الا قدماء ، ولا لباس له الا القطن الخشن ، ولئن تكلم ابو الطيب وهو عند سيف الدولة بلسان المياسير الاغنياء ، فستجدون انه سيتكلم بعد تركه سيف الدولة بلسان الملوك اصحاب العبيد . —

ولكن نعمة مثل هذه النعمة لا ينبغي صاحبها من حسد الحساد وكيد الكائدين وعلى الخصوص اذا كان صاحب هذه النعمة قد زاحم غيره من الشعراء عليها ، وما اكثر الشعراء الواقفين بباب سيف الدولة ، وما أعظم الفرق بين منزلتهم ومنزلة ابي الطيب ، فكان من المنتظر ان يكثر حساد ابي الطيب . وان يموت بعضهم حسداً ، وما خلا عصر من العصور من حسد الحساد وكيد الكائدين .

فلنقص انباء الذين ألهم ان يكون ابو الطيب في ظلال سيف الدولة .
منهم السري الرفاء فقد ذكروا انه لما سمع بيت المنبي .

وخصر ثبت الابصار فيه كأن عليه من حلق نطاقا

قال : هذا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون ، ثم انه حم في الحال حسداً وتجاهل الى منزله ومات بعد ثلاثة ايام .

ومنهم ابو العباس النامي ، فقد ذكروا ان سيف الدولة كان يميل اليه ميلاً شديداً الى ان جاء ابو الطيب فقال عنه اليه ففاظ ذلك ابا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا بسيف الدولة وعانيه وقال : الامير لم يفضل عليّ ابن عيّدان السقاء ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فلج وألح عليه وطالبه بالجواب ، فقال : لانك لا تحسن ان تقول كقولك : يعود من كل فتح غير مفتخر وقد اغذ اليه غير محفل

فنهض من بين يديه مغضباً واعتقد ان لا يمده ابدآ ، وابو العباس هذا هو القائل كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها ابو الطيب .

ومنهم ابوفراس الحمداني فقد ذكروا انه قال لسيف الدولة : انت هذا المتمدن يعني المنبي كثير الادلال عليك وانت نعطيته كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً بأنون بما هو خير من شعره .

فأثر هذا الكلام في سيف الدولة وعمل فيه وكان أبو الطيب غائباً فبلغته القصة
ولما حضر دخل على سيف الدولة وانشده هذه الايات :

الا ما لسيف الدولة اليوم عاتياً فداء الوري امضى السيوف مضارباً
ومالي اذا ما شئت ابصرت دونه ثنائف لا اشتاقها وسبابها
وقد كان بدني مجلسي من سمائه احادث فيها بدرها والكواكبها
حنانيك مسؤولاً ولبيك داعياً وحسبي موهوباً وحسبك واهباً
اهذا جزاء الصدق ان كنت صادقاً اهذا جزاء الكذب ان كنت كاذباً
وان كان ذنبي كل ذنب فانه محاذب كل المحو من جاء قائماً

فاطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته فخرج المتنبي متغبراً وحضر أبو فراس
وجماعة من الشعراء فبالغوا في الوقعة في حق المتنبي وانقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم
القصيدة التي اولها :

واحر قلباه من قلبه شيم

ثم جاء وانشدها وجعل يتنظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مالي اكنتم حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان يحبنا حب لغره فليت انا بقدر الحب نقسم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ادلاله واعراض سيف الدولة عنه
فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال أبو فراس قد مسخت قول دعبل :

ولست ارجو انتصافاً منك ما ذرفت عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

قال أبو الطيب :

اعينها نظرات منك صادقة ان تحسب الشعم فيمن شحمه ورم

فعلم أبو فراس انه يعنيه فقال : ومن انت يادعي كندة حتى تأخذ اعراض الامير فاستمر

في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع من ضم مجلسنا بانني خير من اسمي به قدم
 انا الذي نظر الاعمي الى ادبي واسمعت كلامي من به صم
 فزاد ذلك ابا فراس غيظاً وقال : قد سرق هذا من عمرو بن عروة بن العبد
 حيث يقول :

اوضحت من طرق الآداب ما اشتكت دهرأ وظهرت اعراباً وابداعا
 حتى فتحت باعجاز خصصت به للعبي والصم ابصاراً واسماعا
 ولما انتهى ابو الطيب الى قوله :

اخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
 قال ابو فراس : وماذا اقيت للامير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة
 والسماحة تمدح نفسك بما سرقت من كلام غيرك وتأخذ جوائز الامير اما سرقت هذا من
 الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العثماني .
 انا ابن الفلا والظعن والضرب والسرى وجرد المذاكي والقنصا والقواضب
 فقال ابو الطيب :

وما انتفاع اخي الدنيا بنساظه اذا استوت عنده الانوار والظلم
 فقال ابو فراس :

وهذا سرقة من قول معقل العبلي .

اذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعينان زور وباطل

ومنه قول محمد بن احمد بن ابي مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء

حتى غضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في قصيدته هذه ودعا به فيها فضر به

بالدواة التي بين يديه فقال ابو الطيب :

ان كان سركم ما قال حاسدا فما الجرح اذا أرضاكم ألم

فقال ابو فراس : هذا أخذه من قول بشار .

اذا رضمتم بان نجفى ومركم قول الوشاة فلاشكوى ولاضجرا

ومثله قول ابن الرومي :

إذا ما الفجائع اكسبني رضاك فما الدهر بالفاجع
فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس واعجبه بيت المنبي ورضي عنه في
الحال وادناه وقبّل رأسه واجازته بالف دينار ثم اردفها بالف اخرى . .
لم يقتصر ايلام ابي الطيب على الشعراء انفسهم وانما تعدى الشعراء الى بعض رجال
اللغة ممن كان بضعة اقوالهم في حضرة سيف الدولة .

من هؤلاء اللغويين ابو عبد الله بن خالويه النحوي فقد حكوا انه جرت مسألة في
اللغة في حضرة سيف الدولة تكلم فيها ابن خالويه النحوي مع ابي الطيب اللغوي وكان
المنبي حاضراً فضة المنبي قول ابن خالويه فاخرج ابن خالويه من كه مفتاحاً حدبداً
ليلكم به المنبي ، فقال له المنبي اسكت ويحك فانك اعجمي واصلك خوزي فمالك
وللعربية فضرب المنبي بذلك المفتاح وأسأل دمه على وجهه وثيابه فغضب المنبي من
ذلك اذ لم ينصر له سيف الدولة لاقولاً ولا فعلاً .

فتصوروا مقدار ايلام المنبي لهؤلاء الرجال حتى ان واحدهم لم يستطع ان يملك نفسه ،
وبضبط حركته في ساعة الغضب فيعمد الى اللكم والضرب وهذا منتهي الغيظ .
وقد كان لهذه الامور كلها اثر في شعر ابي الطيب ولئن شكّا الحسد وهو في خشونة
من العيش ، فاخلق به ان يضجر من حسد الحساد وهو يتقلب في ظلال النعيم فما غفل
الحساد عن المنبي وهو في حضرة سيف الدولة ، ولا غفل المنبي عن شكوى الحسد
فمن قوله لسيف الدولة :

ازل حسد الحساد عني بكتبهم فانك الذي صيرتهم لي حسداً
ومن قوله له :

فابلغ حاسدي عليك الي كبا يرق يحاول بي لحاقا
ومن قوله :

أعادي على ما يوجب الحب للفني وأهدأ والافكار في تجول
سوء يجمع الحساد داو فانه اذا حل في قلب فليس يحول
ولا تظمن من حاسد في مودة وان كنت نبيد بها له وانيل
من هذا كله يتبين لكم ان ابا الطيب قد استمر في شكوى الحسد ، ولقد اشتد حسد

الساس اياه وهو في ظلال سيف الدولة واشتدت الوقعة فيه واخذ سيف الدولة بعث به بعد ذلك الاكرام ، من ذلك ما حكاه ابو الفرج البغيا قال :

اذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة فشقا بسكين الدواة ، فد ابو عبد الله ابن خالويه طيلسانه فحفي فيه سيف الدولة صالحا ومددت ذيل دراعي فحفي لي جانبا والمنبي حاضر وسيف الدولة ينظر منه ان يفعل مثل فعلنا فافعل ، فغاظه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المنبي انه قد فائنه زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه وركبوه وصارت عمامته في رقبته فاستحي ومضت به ليلة عظيمة فحاطب ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك فقال : يتعاضم تلك العظيمة وينزل تلك المنزلة لولا حماقته .

فصعب على ابي الطيب بعد هذه الامور كلها ان يستقر في حاشية سيف الدولة ، الشعراء يحسدونه و يوقعون فيه ، و يضربونه ، وسيف الدولة يهزأ به و يعبث ، وكان المنبي يشكو من سيف الدولة ، وكان سيف الدولة يتعاضم من تعاضم المنبي و يحفو عليه اذا كلمه والمنبي يجيبه في اكثر الاوقات ويتعاضم في بعضها .

نعم كان يصعب على ابي الطيب ان يواظب على مجلس سيف الدولة بعد ان وقع بينه وبين الشعراء ما وقع فها وضع ابا الطيب الا مفارقة سيف الدولة وذلك في سنة ست واربعمين وثلثائة فتكون مدة ملازمته له تسع سنين .

ولما عوتب المنبي في ترك سيف الدولة ومدح كافور قال :

حذرناه وانذرناه فما نفع فيه الحذر ، الست القائل فيه :

ابا الجود اعط الناس ما انت مالك ولا تعطين الناس ما انا قائل

فهو الذي اعطاني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه .

دمشق : في ٢٩ آذار سنة ٩٣٠

نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »

— للدكتور محمد شرف —

أفت نظر رئيسنا الجليل محمد بك كرد علي وزير المعارف كما لفت نظري ما قرأناه في الصحف المصرية من حمل الاعجاب بمعجم الدكتور محمد شرف وما لقيه المؤلف من ضروب الخفاوة والشكريم لدى جمهور الأطباء في مصر فصحت عزيزة الرئيس حفظه الله على ابتياع ثلاث نسخ منه لخزانة المجمع العلمي وفرعها ودفع الي نسخة منها لألقي عليها نظرة من الوجهة الزراعية . ولما كانت اوقات الفراغ أقصر لدي من ليالي الصيف جلست للمعجم جلستين أفتش فيهما عما ذكره المؤلف في ترجمة الفاظ كانت ترد إلى خاطري عرضاً فوجدت ان أنبهه إلى الأوهام والنواقص الآتية لعله يتلافها في طبعة تالية .

(١) ترجم لفظة (Layering) بما يلي : « تولد النبات بطبقات (غرس العُقل) شتل » والصحيح في علم الزراعة العكس والتزفيد . والعكس هو (Layer) ولم يذكره بهذا المعنى . اما الغرس بالقضبان والفصل فهو ما يسميه المصريون (الغرس بالعُقل) وهو بالفرنسية (Bouturage) وبالانكليزية (Cuttings) .

(٢) عرّف شجر التنوب (Abies) بأنه (نوع من الصنوبر) وفي هذه الجملة غلطتان لان (Abies) هو جنس لا نوع ولان هذا الجنس ليس من الصنوبر بل من الفصيلة الصنوبرية . ولو قال (جنس من الفصيلة الصنوبرية) لما أخطأ . ولم يذكر (Abies cilicica) وهو الشوح الذي بكثرت في حراج شمالي الشام .

(٣) قال ان نبات (Gundelia tournefortii) هو في الشام (العثوب) كذا بالقاف مع ان الشاميين يسمونه العكوب بالكاف .

(٤) ذكر ان (Eryngium) هو القرصنة (قرص عني) وكان يجب ان يذكر اسم النوع فالقرصنة المعروفة هي (E. creticum) .

- (٥) نوح لفظة (Panicle) بطلمة وسنبلة الخ . قلت أرجح لفظة لها هي المشكول
اما السنبلة فترجمة (Speke) .
- (٦) عرّف حرف (Hippology) بقوله (علم أمراض الخيل — بحث الخيل)
قلت الجملة الاولى خطأ والثانية ناقصة لان هذا العلم (تحلية الخيل) يشتمل على مباحث
كثيرة ومنوعة وسماء اجدادنا (الزرطقة) وهي لفظة معربة تصلح ايضاً مقابل
(Hippotechnie) بالفرنسية اي تربية الخيل .
- (٧) عرّف (Achene , Achenium) بلفظ اخينيوم وأخين . قلت هذا
النوع من الثمر الجاف أطلق عليه لفظ (الثمرة الفقيرة) في كل كتب النبات والزراعة
قديمًا وحديثًا (بوس ، الاتراك ، كتب الزراعة والنبات المصرية . الخ) .
- (٨) وضع مقابل حرف (Acclimatation) ما يلي : « تأقلم (كذا) النبات او
الحيوان في بلد غريب ، تبدل ، تعود على الاقليم ، تعود الهواء » . قلت لو قال (ايلاف
الاقليم) لكفى .
- (٩) وجدت مقابل لفظة (Plumule) « ريشة الجنين ، اصل الساق » . قلت
أصلح لفظة لها هي السَّيْد .
- (١٠) خطر ببالي ان ارى الألفاظ العربية التي وضعها صاحب المعجم مقابل الحروف
العجمية الدالة على ألوان الخيل والدواجن السائرة وشيائها ففنتشت عن لفظة (Gris)
بالفرنسية و (Gray) بالانكليزية فأيت مقابلهما (أرمد — أشيب — أشمط — أشهب)
ولم أجد غير ذلك . قلت الـ (Gris) هو الأشهب وهو الفرس تكون شعرانه على لونين
ابيض واسود على ان انفرك فلا تجمع واحداً من اللونين شعرات تخلص بلون واحد كقدر
النكسة فما فوقها . وفي الشهب ألوان مثل الآتية .

Gris clair	أشهب الى باض
= foncé	= الى سواد
= de fer	= حديدي
= sale	= أبرش

Gris cendré

أرمد

rouanné

أغبر

والمعجم خالٍ من كل هذه الاسماء وأظن أنه خالٍ من عشرات الألوان التي تشتق من الشقرة والدممة واللباض والكثمة والحوة والصفرة والبلقة دع أضراب الشيات « انظر م ٥ من مجلة المجمع » ولم يتسع الوقت للبحث عنها كلها في المعجم .

(١١) سمي الفصيلة السنفية (قرنية ، قطانية) باسم الفصيلة البقولية . والألفاظ الاولى أرجح لاسباب يطول شرحها .

(١٢) لم يذكر النظم وأنواعه (Grafting , Greffage) وهو نقص مع سفي معجم علمي .

(١٣) ذكر ان الفطر الطفيلي (Oidium tuckeri) (والارجع Erisyphe tuckeri) هو الذي يولد مرض الـ (Mildew) أي مرض العفونة (الندوة الزراعية) وقد أخطأ بذلك لان الفطر المذكور يولد في الكروم مرض (المن) ويداوى برش مستعوق الكبيرت على أوراقها وعسلجها ولا يجيله احد من اصحاب الكروم ولا سيما في الغوطة . اما مرض العفونة (Mildew) فانه يحصل سفي الكروم من نبات فطر طفيلي آخر ذكره وهو (Peronospora viticola) ويسمى ايضاً (Plasmapara viticola) وهو يداوى بمحلول الكلس وكبريتات النحاس في الماء . وما دام صاحب المعجم العلمي قد جعل سفي معجمه مكاناً لهذين المرضين اللذين يعتبران الكروم فلماذا لم يوجد فيه منسماً لبعض الامراض المهمة التي تعتبر تلك الجنبية مثل :

Guignardia bidwellii

مرض العفونة السوداء

Manginia ampelina

مرض (سويد) الكروم

Agaricus melleus

مرض تعفن الجذور

Dematophora necatrix

دع عشرات غيرها مما يعتبرى النباتات الزراعية السائرة وقد فشت عن بعضها في المعجم فلم أجد لها ذكراً .

(١٤) سمي النبات (Panicum miliaceum) بالـ شيب والدعاع . قال وهي

بقلة تسطح على الارض . قلت ان ما نعلمه ويعلمه ارباب الزراعة هو ان النباتات المذكور يسمى الدخن . وقد ذكره احمد ندا في كتابه الزراعي فكيف سها المؤلف عن مراجعته مع انه وضع احمد ندا بين علماء الحيوان والنبات الذين أستشهد بأقوالهم .

(١٥) سمى الذرة البيضاء اي الذرة البلدية (*Sorghum halepense*) . وهذا النوع هو حبشيش الفرس اما الذرة المذكورة فهي النوع المسمى (*S. Annuum*) (عن يوست) ومن الغريب انه نقل اسم الذرة البيضاء عن احمد ندا باللفظ الذي يلفظها به العوام فقال ذرة بلدي وذرة مصري (كذا) .

(١٦) ذكر ١٤ نوعاً من جنس (*Artemisia*) منها ما لا شأن له ولم يذكر (*Artemisia dracunculus*) وهو بقل الطرخون المعروف .

(١٧) لم يذكر جنس (*Cerasus*) وهو الجنس الذي فيه أنواع « الكرز والوشنة والمحلب والجائزك » بل اكتفى بذكر نوعي الكرز والمحلب في جنس (*Prunus*) مع ان معظم علماء النبات والزراعة في ايامنا هذه يجعلون لأنواع الكرز جنساً منفرداً به .

(١٨) ذكر (*Salicornia fruticosa*) ولم يذكر (*S. herbacea*) وهو أشهر من الأول (نبات الأشنان الذي يستخرج منه القلي) .

(١٩) قال ان الجص (*Cicer arietinum*) هو جنس من النباتات البقولية . والصواب نوع من الفصيلة السنفية (القطانية ، القرنية) .

(٢٠) ترجم نوع القمح المسمى (*Triticum durum*) بما يلي : « قمح أصفر — قمح صلب الحب يزرع في جنوب ادربا — قمح فينو — قمح نبوي الخ » قلت لو اقتصر على ترجمته بالقمح الصلب لكفى . ويمكنه بعد ذلك ان يعرفه بأنه كثير الانتشار في مصر والشام وسواحل بحر الروم .

وترجم (*T. sativum*) بالبر والحنطة ، والقمح . وهذا لا يكفي بل كان يجب ان يسميه القمح اللين (خلافاً للنوع الاول) وان يعرفه بأنه نوع تنسب اليه معظم ضروب القمح التي يزرعها الاوربيون خاصة . ولم يذكر النوعين المعروفين في عالم الزراعة

T. polonicum

T. turgidum

ومما :

وسها عن تعريف (T. spelta) و (T. monococcum) بانها من الخنطة
المكتسية اي ان العصاة نطل لاصقة بالبرة كما في حبة الشعير .
(٢١) لم يذكر الترجمة العلمية لأنواع الشعير . بل أورد مقابل الاسم اللاتيني
لكل نوع اسماء بعض أصنافه (أضرابه) فبدلاً من تسمية (Hordeum distichum)
بلفظ الشعير ذي الحرفين ، أطلق عليه الأسماء الآتية : « شعير انكليزي . شعير
حدوري . شعير حب حوري » . ولا يخفى ان الأصناف كثيرة العدد فيمكن ذكر بعضها
على سبيل المثال ولكنه لا يقتصر عليها او على قسم منها في تعريف النوع . ولذلك يجب
على المؤلف ان يسمي (H. hexastichum) بالشعير ذي الحروف الستة
و (H. tetrastichum) بالشعير ذي الحروف الاربعة . وبعد ان يورد هذه الاسماء
العلمية لأنواع الشعير المذكورة يكون بإمكانه ان يقول ان الضرب الفلاني هو من النوع
الاول او الثاني او الثالث ^(١) . « للبحث تلو » مصطفى الشهابي

(١) يظهر ان صاحب المعجم نقل اسماء النباتات نقلاً عن شوينفورث وغيره دون
ان يكون علماً بعدد كبير من هذه النباتات وبالأصناف الزراعية منها فلفظ « شعير
حدوري ، شعير حب حوري » نقلها بالحرف عن الصفحة ١٦٦ من كتاب النبات تأليف
شوينفورث وهما من أصناف (ضروب) شعير الين كما نقل أصناف الشعير الواردة في
الصفحة ٢٥ من ذلك الكتاب دون ان يزيد عليها شيئاً . ولو كانت المعاجم التي هي مثل
معجمه تتسع لذكر الاصناف للزم ان يذكر مثلاً الشعير المرواي والمربوطي من اصناف
مصر والعربي والرومي من اصناف الشام الخ ، ولزم ان يملأ عدة صفحات في تعداد اصناف
النباتات الزراعية السائرة وهي تعد بالآلاف والمعجم خلو منها .

ونقل لفظي « البرسيم الحجازي والقضب » عن الصفحة ٣٠ من كتاب شوينفورث
ولم يذكر ان النبات المجوثر عنه هو النصفصة والرطبة لان الحرفين الاخيرين لم يردا في
الكتاب المذكور . وهكذا تراه يثبت عدداً عظيماً من الالفاظ العامة للنباتات التي وردت
في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الاعاجم دون ان يحقق عن الالفاظ الصحيحة التي
نقابله . ومن المعروف ان الأجانب الذين ألفوا في النبات كثيراً ما كانوا يكتفون بذكر
الالفاظ العربية المتداولة على الألسن سواء أكانت صحيحة ام عامية .

التدوين في الاسلام

من ادق المسائل معرفة أوائل الاشياء والمحدثات من الامور ، فقد رأينا الغربيين في عهدنا اختلفوا في اول من اخترع الكهرباء ووضع الخطوط الحديدية وعمد الى الطيران . وهذه من الاعمال الحديثة العهد فما بالك بامور انت عليها قرون كمسألة التدوين في الاسلام . كان اول تدوين كتب القرآن في المصاحف في عهد الخليفة الاول وكلا كان يكثر عدد من يكتبون من المسلمين في الاقطار كان عدد من يدونون يزيد كثيراً وقد تبين مؤخراً ان ما نقلته في مجلة المقتطف (المجلد الثامن والعشرون سنة ١٩٠٣ - ١٣٢١ من ٦٦٠) من ان اول من صنف عبد الملك بن جريج البصري المتوفى سنة ١٥٥ او ابو النصر سعيد بن ابي عروبة (١٥٦) او ربيع بن صبيح (١٦٠) او غيرهم من اهل القرن الثاني كان يراد به من افردوا المسائل بالتأليف والافان التدوين وقيد الفوائد الادبية والدينية كان مما حدث في القرن الاول . ولو لم يكن هناك كتب مدونة ما كان خالد بن يزيد الاموي حكيم الامو بن يحرم على نقل بعض العلوم من السريانية واليونانية الى العربية على ما اثبت ذلك الثقات المحققون .

ولقد ثبت على ماروي صاحب الفهرست ان عبيد بن شريفة الجرهمي وفد على معاوية ابن ابي سفيان في الشام فسأله عن اخبار الاقدمين وملوك العرب والعجم فاجابه الى ما امر فامر معاوية ان يدون وينسب الى عبيد ، واعبيد عدة كتب ذكرت في الفهرست . وبقي عبيد حياً الى ايام عبد الملك بن مروان فثبت بذلك ان التدوين حدث في اوائل القرن الاول اي في عصر الصحابة الكرام على ما سيأتي (توجيه النظر) للعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فقد ذكر بعض الحفاظ ان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث . وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . وقد ذكر المؤرخون انه وجد في خزانة الانبار عدة كتب بخطوط بعض الصحابة والتابعين بل وجد كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم من اهل مكة كتب قبل الاسلام .

إذا عرفت هذا فقد زال الشك الذي تطرق الى بعض ما دون من اخبار الجاهلية وشعرهم لانا رأينا القوم قد عنوا بالتدوين لاول القيام بالدعوة الاسلامية بقدر ما ساعدتهم عدد الكتّابين . وبأثبات هذه القضية ، على ما تجلّت لنا بأخرة ، يزول العجب الذي كان ادرك مثل الاستاذ منشيء المقتطف رحمه الله (م ٢٨ - ص ٦٦٣) من توقف العرب عن تدوين اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة قال مع ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتّاب والكتّاب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم ، قال وعجب منه ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعهم اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبراً سمعناه في العام الماضي او نصف حادثة شاهدناها منذ عامين اه .

كان هذا الرأي غالباً على بعض الباحثين ، ولكن الايام اثبتت نقيضه بما وقع لعبيد بن شربة الجرهمي مع معاوية بن ابي سفيان . ومن غرائب الحوادث ان ما رواه الراوون عن هذا الراوية قد ظفر الباحثون بنصه مدوناً ، وقد نشره السيد كرينكو من علماء المشرقيات في انكليترا باسم اخبار عبيد بن شربة الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها وطبعه في حيدرآباد الدكن في الهند ومما جاء فيه وهو ما يؤيد رواية ابن النديم في الفهرست ان معاوية امر (ص ٣١٤) كتّابه ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شربة في كل مجلس سمر فيه معاوية . وقد ذكر عبيد في حضرة الخليفة اخبار عاد وثمود وجرم وخروجهم من اليمن الى الحرم وغير ذلك وكلها مشفوعة باشعارهم ، وكان معاوية يطلب الى رايته المرة بعد المرة ان يسمعه ما قيل - في كل حادثة من الاشعار ومما قاله له (ص ٣٥٢) : « وقد علمت ان الشعر ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (ان من الشعر لحسناً) » . وقد كان معاوية معجباً جداً بما سمع من عبيد بن شربة ، وقال له مرة « خليك يا عبيد ان يكون هكذا فزادك الله علماً وفهماً وزادنا بك رغبة وعليك حرصاً فانا لا نصحي ابا ديك فزادك الله فضلاً الى فضل وهدي الى هدي ٠٠٠ »

ويقال في الجملة ان كتاب اخبار عبيد بن شربة الجرهمي في اخبار اليمن وهو من

اوائل ما درن في الاسلام كان منه حل الاشكال الذي استعصى على كثير من الباحثين وبه ثبت ان المسلمين دونوا في زمن اسبق بكثير مما دون المصنفون ولذلك حفظت السنة واخبار الجاهلية واشعارها فقد ذكر الجلال السيوطي في « تدريب الراوي » في فصل يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لاملأ الحديث فانه اعلى مراتب الرواية — رواية ابن عدي والبيهقي في المدخل من طريقه انبأنا عبد الصمد بن عبد الله ومحمد بن بشر الدمشقيان قالوا حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابو الخطاب معروف الخياط قال رأيت واثلة ابن الاسقع رضي الله تعالى عنه علمي على الناس الاحاديث وهم يكتبونها بين يديه (ويتخذ مستملاً محصلاً متيقظاً يبلغ عنه أكثر الجمع على عادة الحفاظ) في ذلك كما روي عن مالك وشعبة ووكيع وخلائق وقد روى ابو داود والنسائي من حديث رافع بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يعني حين ارفع الضحى على بغلة شهباء وعلي^١ يعبر عنه ، وفي الصحيح عن ابن حمزة قال : كنت اترجم بين ابن عباس وبين الناس فان أكثر الجمع يحيث لا يكفي مستملاً اتخذ مستملاًين فاكثر الى آخر ما قال .

وواثلة بن الاسقع بن عبد العزى من اهل الصفة وسمع على ماني طبقات ابن سعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله خرج الى الشام ومات سنة ثلاث (وقيل خمس) وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وقيل مئة وخمس سنين وكان ينزل بيت المقدس ومات بها ويشهد المغازي فيمر بدمشق وحمص .

والمعروف ان الرسول عليه السلام نهى ان يكتب عنه اولاً غير القرآن ونهى عن كتابة الحديث املاً يخلط بالقرآن . وفي فتاح السنة للاستاذ الخولي وهذا لابناني جواز كتابته اذا أمن اللبس وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه (ائلفوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) وقوله عام الفتح : (اكتبوا لابي شاه) واذنه لعبد الله بن عمر بنقبيد العلم . وابو شاه كان من الصحابة قال : اكتبوا لي فقال النبي اكتبوا لابي شاه يريد خطبته ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث . وصح عن عبد الله بن عمر انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن ابيه عنه وهي من

اصح الاحاديث ، وكتب رسول الله كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو ابن حزم وغيره ، وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة . ففي خلافة يزيد وكان يقول : « لو ان عندي كتيبي باهلي ومالي » .

وبعد ان اوردنا هذه الروايات التي لاسبيل الي تزيفها لورودها من طريق مأمونة مضمونة وساعدنا على تأييدها طبع كتاب اخبار اليمن لعبيد بن شربة ثبت كل الثبوت ان المسلمين باكروا التدوين اكثر مما ظن الظانون وان دعوى كون اشعار الجاهلية مصنوعة قد ردت بشهادات لا يسم المباحكين الا اعتقاد صحتها والله اعلم .

محمد كرد علي



تقسيم نوب الماء

ووضع اسماء عربية لساعاتها

جاء في كتاب من السيد زكي بقلة احد كبار المزارعين في (كفر سوسا) قال فيه :
ارجو التفضل ببيان اسماء الاربع والعشرين ساعة الزمانية اليومية لقضية تتعلق بتقسيم
نوب الماء الخ :

هذا ما سألتني السيد المذكور . ولا يخفى ان دمشق من اكثر بلاد الله قنوات فقد
احصى ابن عساكر في تاريخه الكبير قنواتها فبلغت ٣٠ في داخلها و ٢٠ في ظاهرها وبلغت
حماماتها ٥٧ حماما سوى حمامات القرى . والبلاد التي نسق اراضيها بمياه السج يقع بين اراضيها
نزاع وخصام بشأن سقي اراضيهم ولا سيما ايام (النحر بقى)^(١) وكثيرا ما أدى النزاع حول
سكور الماء . الى سفك الدماء . وبما له علاقة بذلك ان شاعرا جاهليا يخس حقه في الماء
فجعل يبكي فقالوا له مالك ؟ أجنت ؟ فأنشد .

(وقالوا قد جنت فقلت كلاً
وربي ما جنت ولا انتشيت)

(ولكنني ظلمت فكنت أبكي
من الظلم المبين أو بكيت)

(فإن الماء أبي وجدي
وبشري ذو حشرت وذوطويت)

بل ان النزاع على الماء بلغ أمره الى أبعد من هذا : كما قص الوجيه الآتي علينا
ذلك في القرآن في خبر ناقة صالح مذ قال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم) فمنعوها حقها في شربها وعقروها فاهلكهم الله تعالى .

والنصيب المدين من الماء يقال له في اللغة (شرب وسقي وقلد) بكسراً ولها ويقال له في
اصطلاح المزارعين (نوبة) و (عدان) . وقد اصطالحوا في دمشق على تقسيم ساعات
اليوم الى قسمين يسمونها مصرعين (مصرع نهاري) وهو ١٢ ساعة (ومصرع ليلي)
وهو ١٢ أيضاً . وهذه الساعات عندهم اسماء بعضها عربي فصيح وبعضها مولد : فمن الفصيح
كلمات (غداة) (ظهر) (عصر) (استواء) (طلوع) (غياب) (سحر) فيقول المزارع

(١) اي قلة المياه وهي من مصطلحات المزارعين المصريين .

الكفر سوسي مثلاً (حق فلان من الشرب من أذان السحر الى الاستواء) اي الى وقت الزوال . و يقول المزي (حقه من الغذاء الى العصر) والديرياني (من الطلوع الى الغياب) . ولم تعابير اصطلاحية تختلف باختلاف المناطق الزراعية من ذلك قول المزارع الشاغوري مثلاً (حق فلان من المادنة الى الظهرية) أو (من المراسلة الى الظهرية) و يعنون بالمادنة تأذين المؤذنين سحراً في المآذن كما يعنون بالمراسلة تلك التهليل والتسايح التي يفشدونها بطرب من على المآذن في الثلث الاخير من الليل . و يقول الشاغوري ايضاً (حق فلان من المادنة الى ثمانية اقدام صباحاً) أو (من الظهرية الى ثمانية اقدام مساءً) أي الى أن يصير ظل الشخص ثمان اقدام صباحاً وهذا وقت الضخوة او ثمانية اقدام مساءً وهذا وقت العصر .

هذا نموذج من التعابير الاصطلاحية وهي كما يرى القاري عتيقة بالية مختلفة باختلاف المناطق الزراعية ولم تعد صالحة لهذا الزمن الذي اخذت فيه لغتنا العربية نندمش من كبوتها كما اخذت حكومتنا تعني بالصحيح من الاساليب العربية تودعها قيودها وسجلاتها واوراق معاملاتها . وهذا ما حمل السيد زكي بقلة على استغنائنا في وضع كلمات فصيحة لساعات المصراعين الليلي والنهاري .

واصطلاح تقسيم ساعات اليوم يختلف باختلاف الامم منذ القدم حتى قالوا : إن الاصل في تقسيم النهار والليل الى أجزاء متساوية امر مجهول . وغاية ما علم من ذلك أن بعض القدماء قسم اليوم الى (٦٠) ساعة اي حصة من الزمان كالمندود وبعضهم الى (١٢) ساعة كالمصريين والصينيين فساعتهم ساعتان من ساعات زماننا . وبعضهم جعل الليل ١٢ ساعة والنهار ١٢ ساعة وهو اصطلاحنا اليوم .

وكما اختلف القدماء في تقسيم الساعات اختلفوا في ساعة الابتداء : فبعضهم جعلها الغروب وبعضهم الشروق . قالوا : ولا يخلو هذا التقسيم من خلل لا اختلاف أوقات الشروق والغروب باختلاف الفصول حتى قام (أبْرَخُوس) الفلكي اليوناني سنة (١٥٠ ق م) فبسط ساعات الليل والنهار وقسمها الى قسمين : أولها يتبدي في منتصف الليل ، والآخر في منتصف النهار وهو الزوال . وقد جرّسه الادرهون على ذلك ثم احدثوا أخيراً بدعة جديدة لم تقوا فيها بين اصطلاح (أبْرَخُوس) في جعل ساعة الابتداء نصف

الليل وبين اصطلاح آخر للقضاء وهو اعتبار مجموع ساعات الليل والنهار (٢٤) ساعة قسمتها واحدة لأقسمتين ليلية ونهارية . فالساعة الاولى ينتدي في منتصف الليل حتى اذا تمت الساعات الاثنتا عشرة في منتصف النهار لم يبتدا منه بساعة مستأنفة بل بساعة متممة رقمها ١٣ ثم ١٤ الى ٢٤ وقد أخذ هذا الاصطلاح في الشيوخ بيننا اليوم ولم يألفه الناس بعد . ومن لطيف ما يروى ان النهار في اصطلاح العرب الأقدمين ينتدي ايضا من نصف الليل وينتهي في نصف النهار ثم ينتدي الليل من نصف النهار ويدخل وقت المساء حتى ينتهي في نصف الليل .

وقد ذكر البغدادي في رسالته التي جعلها ذبلاً لفصح ثعالب ذلك فقال : « الصباح عند العرب منذ نصف الليل الاخير الى الزوال ثم المساء الى آخر نصف الليل الأول » فالعرب في هذا (النقسم) و (الابتداء) كأنهم تواردوا مع (أبرخوس) اليوناني على هذا الاصطلاح .

اما النهار الشرعي الذي يتعلق به الصوم والصلاة فأوله عند اهل السنة الصبح الصادق الي غروب الشمس . والليل الشرعي من غروبها الى انبلاج الصبح الصادق . وقریب من النهار والليل الشرعيين النهار والليل في اصطلاح المزارعين اليوم . فان النهار عندهم من الشروق الى الغروب ثم الليل من الغروب الى الشروق وساعاتها ٢٤ ساعة . وهذا (النقسم) و (الابتداء) هما اللذان نعتمد عليهما في وضع الفاظ عربية لساعات نوب الماء . والا فان تخطي هذا الاصطلاح المؤلف الى اصطلاح آخر ربما شوش على المزارعين أمرهم وحال بينهم وبين الانفعال بالأوضاع الجديدة التي نريد ان نعرضها عليهم . والافاظ التي بطلقها العرب على ساعات الليل والنهار كثيرة جداً وقد اتبعناها في كتاب (المختصر) فبلغت زهاء ١٧٠ امماً نصفها ليل ونصفها للنهار ومعظمها من قبل المترادف كالعمّة والفحمة . والصبح والفجر . والحاجرة والظهرة . والشروق والذروق . والغروب والغيباب . واذا كانت هناك فرق بين كل كلمتين فهو اعتباري له علاقته بالاشتقاق اللغوي غالباً .

وعلى هذا يمكننا ارجاع هذه الكلمات الكثيرة الى اربع وعشرين كلمة فقط نكتفي بها في تسمية ساعات الليل والنهار وتمييز احدها عن الاخرى .

وكلمة (ساعة) في اللغة العربية لا يراد بها ساعتنا الزمانية المركبة من ستين دقيقة .
والدقيقة من ستين ثانية . والثانية هي اللحظة من الزمان تسم قولك (واحد) — كلا لا يعرف
العرب هذا الاصطلاح الفلكي الطاري . وانما يريدون بالساعة الحصنة من الزمن فأنت
او كشرت . قال في (المصباح) « الساعة الوقت من ليل او نهار والعرب تطلقها وتريد بها
الحين والوقت وان قل » . وعليه قوله تعالى : لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون « اه .
واذا سمعت بعض ارباب المعاجم المتأخرين يقولون ان الساعة جزء من أجزاء الليل
والنهار وهي اربع وعشرون ساعة فاعلم ان مرادهم الاشارة الى الاصطلاح الفلكي الخالف
لا اللغوي السالف .

وتسمية ساعات الليل والنهار عند العرب مبنية على الكيفية لا الكمية اي على احوال
الشروق والغروب والحر والبرد والظلام والنور وأحياناً التوسط كالبحر مثلاً فانها اسم
للساعة الوسطى من الليل . وما كان العرب يبنون تسميتهم على الكمية فيحددوا الساعة
بستين دقيقة والدقيقة بستين ثانية، بل كانوا اذا احتاجوا الى التحديد استعاروا كلمة (الفواق)
مثلاً وهو مقدار ما بين الحلبتين من الزمن فيقولون (عيادة المريض قدر فواق ناقة) .
وفي الاسلام كانوا يقولون (أقام عندنا مقدار صلاة ركعتين مثلاً) اذ ان تحديد الزمان
يعتمد على قواعد علم الفلك وآلاته . ولم يكن العرب القدماء يمارسون هذا الفن ولا يستعملون
بنكائهم^(١) . والساعات المائية والرملية انما استعملت في حضارة الاسلام . ومنها الساعة
المائية التي أهداها هرون الرشيد الى شارلمان فرنسا . وكان مثلها في جامع بني أمية في
دمشق وقد وصفها ابن جبير في رحلته .

هذا هو الشأن في أجزاء الزمان ومفهوم ساعاته عند العرب . ثم جاء القرن الرابع
للهجرة : وهو الزمن الذي كان فيه للعرب القدر المعلى في الطب والهندسة والفلك
فاصطنعوا الأزياج ورسموا الأفلاك وشهدوا المراصد — في ذلك العهد كان يعيش
علماء نيبلان وهما حمزة بن حسن الاصفهاني في فارس وابو جعفر النحاس المصري

(١) جمع بنكام وهي كما في شفاء الغليل الساعة النجومية من الرمل وقد حرقته العامة
قديمًا فقالوا منكب . واصل اللفظ يوناني .

(المتوفى سنة ١٣٣٨ هـ) في مصر فتوارد خاطراهما على اصطلاح جديد في تقسيم الليل والنهار الى أجزاء أو ساعات متساوية وهي (٢٤) ساعة : لليل ١٢ وللنهار ١٢ . ثم خصنا كل ساعة منها باسم عربي من الأسماء أو الأوصاف الكثيرة التي سردها صاحب (المخصص) . وربما كانا في هذا الوضع متأثرين باصطلاح الفلكيين القدماء ولا سيما (ابرخوس) اليوناني كما مر .

وقد رتب كل من (حمزة الاصفهاني) و (النحاس المصري) قائمة باسماء الساعات كما بدا له نذكرهما فيما يلي :

« قائمة حمزة الاصفهاني »

(ساعات الليل)		(ساعات النهار)	
الساعة الاولى	الشفق	الساعة الاولى	الشروق
الساكنة	الغسق	الساكنة	البكور
الساكنة	الغسق	الساكنة	الغدوة
الساكنة	الغسق	الساكنة	الضحى
الساكنة	الغسق	الساكنة	الهاجرة
الساكنة	الغسق	الساكنة	الظهيرة
الساكنة	الغسق	الساكنة	الرواح
الساكنة	الغسق	الساكنة	العصر
الساكنة	الغسق	الساكنة	القصر
الساكنة	الغسق	الساكنة	الأصيل
الساكنة	الغسق	الساكنة	العشي
الساكنة	الغسق	الساكنة	الغروب

ورأي الاصفهاني في هذا الوضع محض اصطلاح له والا فأي فرق بين الصبح والصبح وهما واحد عند اهل اللسان . وما يدل على كونه اصطلاحاً ايضاً ان الثعالبي بعد ان سرد قائمة حمزة هذه في كتابه (فقه اللغة) تبرأ من تبعيتها قائلاً (إن عليه اي على الاصفهاني عهدتها) . ودليل آخر ايضاً وهو ان المحدثاني صاحب كتاب الألفاظ

الكتابية عقد فصلاً لساعات الليل والنهار فجعل ساعات النهار ست عشرة ساعة وساعات الليل سبعة .

ودليل رابع ايضاً : ذلك ان علماء اللغة اذا ذكروا أسماء ساعات الليل والنهار في معاجمهم كالقصر مثلاً فلا يقولون هي الساعة التاسعة من ساعات النهار وانما يكثفون بقولهم (زرت فلاناً قصرآ) اي عشيآ ، واذا قالوا (البهرة) لم يقولوا هي الساعة الثامنة من ساعات الليل وانما يقولون ان البهرة وسط الليل كما ان بهرة الحلقة وسطها وبهرة الوادي وسطه .

بقيت كلمة (الزآة) من أسماء ساعات الاصفهاني فاني لم أجد لها في كتب اللغة معنى زمانياً كاخواتها وأرجح ان يكون صوابها (الزآة) بفتح الزاي لا ضمها ومعناها العُرس والعُرس إهداء العروس الى زوجها وهذا يكون في الليل بل في وسطه عادة . ومنه التعريس وهو نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة ، والاصفهاني جعل الزآة اسماً للساعة السادسة من ساعات الليل .

اما قائمة ابي جعفر النحاس المصري فقد اثبتتها في كتابه (وصف صناعة الكتاب) وهي هذه :

« قائمة النحاس المصري »

(ساعات الليل)		(ساعات النهار)	
الشاهد	الساعة الاولى	الدرور (أو) البكور	الساعة الاولى
الغَسَقِي	الثانية	البزوغ (أو) الشروق	الثانية
العَتَمَة	الثالثة	الضحى (أو) الاشراق	الثالثة
الفحمة	الرابعة	الغزاة (أو) الرأد	الرابعة
الموهن	الخامسة	المهاجرة (أو) الضحى	الخامسة
الْقِطْع	السادسة	الزوال (أو) المتنوع	السادسة
الجوشن	السابعة	المدلوك (أو) المهاجرة	السابعة
العنكة	الثامنة	العصر (أو) الاصيل	الثامنة
النباشير	التاسعة	الاصيل (أو) العصر	التاسعة

(ساعات الليل)	(ساعات النهار)
الساعة العاشرة الفجر الاول	الساعة العاشرة الصبوب (او) الطفل
الحادية عشرة الفجر الثاني	= الحادية عشرة الحدور (او) العشي
= الثانية عشرة المعارض	= الثانية عشرة الغروب

وفي هذه القائمة كلمات تحتاج الى تحليل وتفسير كالتنوع والصبوب والشاهد والجوشن والعنكة والمعارض واذا فسرناها خرجنا عن الصدور وقد زادنا الخامس حيرة مذخيرنا في ساعات النهار بين ان نقول كذا أو كذا وهذا دليل خامس على ان وضع هذه الاسماء وازاء الساعات اصطلاح محض لا يعرفه العرب على هذا الترتيب والتخصيص .

وقد اعتمدنا في نقل هاتين القائمتين على كتابي (نهاية الارب) للنوري و (فقه اللغة) للشعالي ثم ذكرها كل من العالمين في كتابه (الكشكول) والسيوطي في كتابه (الكناز المدفون) .

ومرت مئات من السنين ولم يكن لهاتين القائمتين فائدة عملية حتى اخذ المزارعون في دمشق اليوم بفكرهم في تنظيم (عدادين) الماء وضبط ساعاتها والتساؤل عما اذا كان من الممكن وضع اسماء لها واذا ذلك احتجنا الى الاستفادة من قائمتي الاصفهاني والخامس جزاهما الله عنا خيراً .

غير ان في القائمتين الفاظاً غريبة غير مأنوسة ولا مألوفاً للمزارعين وهذا ما يحملنا على وضع قائمة ثالثة مستخرجة من القائمتين المذكورتين فنلقي منها أسهل الكلمات وأقربها لناولاً من أفهام القرويين وهم الذين عليهم جل الاعتماد في استعمال الكلمات وإداعتها وهذه هي قائمتنا :

❖ القائمة التي ينبغي التعويل عليها اليوم ❖

« في تسمية ساعات الليل والنهار »

(ساعات الليل)	(ساعات النهار)
الساعة الاولى	الساعة الاولى الشروق
= الثانية	= الثانية البكور
= الثالثة	= الثالثة الغدوة

(ساعات الليل)		(ساعات النهار)	
الساعة الرابعة	القمحة	الساعة الرابعة	الضحى
الخامسة	الموّه	الخامسة	الهاجرة
السادسة	القرطع	السادسة	الزوال
السابعة	الزلفة	السابعة	الرواح
الثامنة	البهرة	الثامنة	المصر
التاسعة	الأسحر	التاسعة	الأصيل
العاشر	الفجر الاول	العاشر	الأطفال
الحادية عشرة	الفجر الثاني	الحادية عشرة	العشي
الثانية عشرة	الصباح	الثانية عشرة	الغروب

ولم نجد بداً من اختيار القرطع للساعة السادسة الليلية هروباً من كلمة (الزلة) التي اختارها الاصفهاني لانها مشكوك فيها كما أشرنا . على ان كلمة (القرطع) قرآنية قال تعالى (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ونقل المفسر الطبري عن ابن عباس انه فسر (القطع) بجوف الليل .

هذا ما رأيناه في وضع أسماء الساعات للمصريين الليلي والنهاري نعرضه على اخواننا أعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ولا سيما المزارعين منهم .
واذا حازت هذه القائمة القبول لديهم وارتضوها لغروبة الفاظها ولما فيها من توحيد اصطلاحات المناطق الزراعية كاتب عليهم امر نشرها وتعميمها وذلك يكون باستعمالها وتعبود أسنتهم إياها قولاً وكتابةً فلا تمضي سنة او سنتان حتى تشيع وتؤلف وتصبح مفهومة من دون تفكير : فاذا قالوا مثلاً (حق فلان في الشرب من الأطفال الى القرطع) او (من الأصيل الى الموهن) فهموها كما يفهمون اليوم قولهم (من المادنة الى الظهر) او (من المراسلة الى ثمانية أقدام صباحاً) وتوطن النفس على الشيء كفهمل يتسهل عقباته . وتذلل صعوباته إن شاء الله .
«المغربي»

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

٦

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابو الحسن احمد بن محمد الكاتب المعروف بابن ابي عمر كاتب الحسن بن الفرات وكان ممن تقلد بعد آل الفرات عدة اعمال كبيرة جليلة ودواوين عظيمة حتى تقلد الازمة صارفاً للخيصي في ايام ابن رائق وقتل بديار مضر قتله عمار القرمطي . وقد كان ابو الحسن متقلداً لديار مضر من قبل ابن رائق فاغار عليها عمار لئتملكها حاصياً فطالبه بالمال لاصحابه فقال ما معي شيء ولو قتلتني وصلبتني . فقال علي أن أفعل بك ذلك فقتله وصلبه في يوم عيد الفطر من سنة ٢٩ فلم يزل ابن رائق يحتال على عمار حتى حضر مجلسه وتركه اياماً مع جيشه ثم قبض عليه وبحضرتة وجوه الاتراك المستأمنة الى ابن رائق بالشام من اصحاب بحكم فامرهم بدقه بالاعمدة فلما كاد ان يموت قال اذيقوه حد السيف فاخذ رأسه وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن ابي الحسين (١) قال ابو الحسين فحدثني ابو الحسن ابن ابي عمر هذا قال حدثنا ابو عبد الله حمد بن محمد القناني ابن اخت الحسن بن مخلد . قال حدثنا ابو محمد خالي . قال سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن العباس الصولي يقول حدثت عن المأمون عن الرشيد انه سمع المهدي يقول بعد زوال امر ابي عبيد الله عن الوزارة واقتصاره على

ديوان الرسائل وعلى الجلوس في منزله وتمويز الامر الى يعقوب بن داود مارأيت احزم ولا افهم ولا اكف ولا اعف من ابي عبيد الله ولقد كنت احبه من (١) اجرائي اياه مجرى الوالد منذ خدمني اجتهد به ان يدعوني الى داره فيمتنع ويؤمهم انه لا تتسع همته ولا نعمته لذلك الى ان اعتل علة عظيمة فتبادت الايام به ولم اعهده الى ان كتب الي باستقلاله (٢) وانه قد عمل على الركوب الي بعد يوم او يومين فسايقته وركبت اليه في جف (٣) من غلماني وخاصتي فلما دخلت اليه قلت له قد كنت اجتهد بك ان تدعوني فتأني والآن قد جئتك جامعاً للعبادة والتهنئة بالعافية والدعوة . فقال والله يا امير المؤمنين مالي طعام ولا غلمان ولا زبي يصاح لدعوتك . فقلت قد فرغت لك من ذلك وتقدمت الى غلماني بحمل الآلات والطعام والاشربة وجميع ما يحتاج اليه وانما اردت تشريفك والانس بك . قال وجاء الغلمان بالآلات وفرش لي وجلست وهو ممي فاكلنا وجعل يتحفني من منزله بالفاخر من الفرش والآنية والآلات هدية لي كما يفعل الناس فاخذت كلما يحمله من احسن شيء واجله وارشفه فازداد ابتهاجاً به . ثم دعوت بالشراب فلما شربت ثلاثة فقط عملت على الانصراف . فلما احس بذلك قال لي اريد ان ابكي وانا اتطير ان ابكي بعد انصراف امير المؤمنين وانا استأذنه في البكاء بحضرته قال وتحدرت دموعه عقيب (٤) الكلام فبكي بكاء شديداً فقلت

« ١ » لعله مع « ٢ » م : ع اي شفاؤه لعله من القلة اي النهضة من العلة ويحتمل ان يكون محرفاً عن استباله . « ٣ » م : ع . الجف والجفة وضم الجاء الجماعة او العدة الكثير . « ٤ » م : ع تقدم الكلام عليها .

له يا هذا انا اعلم ان فيك شجراً تسميه حسن التدبير وما يحسن منك فان كان ندماً على ما اهديته فهو مردود بلا شك قال فحلف بايمان عظيمة ويزعج (١) ازعاجاً شديداً انه ما يبكي لذلك وقال كيف ابكي على ما سبيلي امر به حيث جعلتني اهلاً لقبوله قال فقلت فلم تبكي؟ قال لم تبق مرتبة تنال الا وقد نلتها وبلغتها بفضل امير المؤمنين وتطوله حتى انتهت بي الحال الى ان وصلت من مال امير المؤمنين بامرء وعن امرء في ليلة واحدة وهي ليلة ورد الخبر بوفاة امير المؤمنين المنصور صلوات الله عليه وأخذت بيعة ثانية لامير المؤمنين على الناس - بعشرة آلاف الف درهم وفي هذه العلة تصدقت بجميع ما في خزانتي من المال وكان اربعة آلاف الف بعد ان استأذنت امير المؤمنين فاذن لي ولم يكن بقي الا ان يعوذني امير المؤمنين من علة او يهتني بحال متجددة او يصير الى دعوتي . فلما كان اليوم جمع امير المؤمنين لي ذلك فعلمت اني قد بلغت النهاية وانه ليس بعدها الا الانحطاط فبكيت لذلك . قال فرقت له وعلمت فضله وقات له اما في ايامي فانت آمن من ذلك وان اصابك شي بعد في الحياة على كل حال خير من الموت ولك في اسوة واعتقدت ان لا انكبه فلما رأى الربيع عظم منزلته حسده فجذ في السعاية الي به والفساد بيننا والحيلة عليه عندي الى ان جرى في امر ابيه واقارار بالزندقة ما لم يسع معه ان لا يقتل فقتلته وخفت ان يكون قد استوحش لذلك فلم آمنه على نفسي فاحتجت الى صرفه فصرفته

«١» م : ع كذا في الاصل ولعله وانزعج انزعاجاً .

وحرست نفسه و بقيت ذمته واستحال الامر عما عقدته له وكان الامر على ما ظنه من النقصان بعد التناهي .

حدثني (١) (ابو الحسين) قال سمعت علي بن عيسى يحدث دفعات عن ابيه انه سمع اباہ يحدث عن جده عن مشايخ اهل العلم باخبار الفرس و ايامهم قالوا معنى قولهم النهران بالفارسية ثواب العمل قالوا وانما سمي نهر النهران بذلك لان بعض ملوك الالكاسرة كان قد غلب عليه بعض حاشيته حتى دبر اكثر امره وترقت منزلته عنده وكان قبل ذلك من قبل صاحب المائدة مرسوماً باصلاح الالبان والكواميخ (٢) ثم علت حاله فكان صاحب المائدة يتحسر كيف علت حال هذا وقد كان تابعاً له وغلب على الملك وكان مع ذلك الرجل يهودي ساحر محذوق (٣) فقال له مالي اراك مهموماً فحدثني بامرك لعل فرجك على يدي . قال فحدثته فقال له اليهودي ان رددتلك الى منزلتك مالي عندك قال اشاطرك حالي ونعمتي وجميع مالي فتعاهدنا على ذلك فقال اظهر وحشة تجري بيننا وانك قد صرفتني ظاهراً ففعل ذلك به فصار الى الرجل الغالب على الملك فحدثه وتقرب اليه بما جرى عليه من الرجل الاول ولم يزل يحدثه مدة طويلة حتى انس

١٥ معجم البلدان لياقوت ٤ : ٨٤٧ . « ٢ » م : ع الكامخ بفتح الميم اشهر من كسرها ما يؤتدم به ومنهم من خصه بالخللات المستعملة لتشهيه الطعام بجمعه كواميخ بغير ياء كما في المغرب والمصباح وقد ذكرت كذلك كما في مادة سكرج في اللسان والنهاية والتاج . « ٣ » م : ع كذا في الاصل والظاهر انه مخروق اي مموه مشمود وفي ياقوت حاذق .

به ذلك الرجل فلقيه في بعض الايام ومع غلامه غضارة (١) ذهب فيها
 شيراز في نهاية الطيبة يريد ان يقدمه الى الملك فقال ارني هذا الشيراز
 فقال الرجل لغلامه اره اياه فاراه فخالل الرجل والغلام واخذ باعيانهما (٢)
 يسجره وطرح في الشيراز قرطاساً كان معه فيه سم ساعة وغطا (٣) الغلام
 الغضارة الكبيرة ومضى ليقدمها اذا قدمت المائدة فبادر اليهودي الى صاحب
 المائدة الاول وقال له قد قرغت من القصصة وعرفه ما عمله ووصف له
 الغضارة وقال له امض الساعة الى الملك فقل هذا اراد ان يسمك في هذه
 الغضارة فلا تأكلها وجربها فانه سيجربها على كلب او غيره فيموت في
 الحال فنقتل عدوك ويشكر لك فيردك الى مرتبتك . قال فبادر الرجل
 فوجد المائدة تريد ان تقدم الى الملك فحين قدمت تقدم اليه وقال ايها
 الملك ان هذا يريد ان يسمك في هذه الغضارة وهي مسمومة بسم ساعة
 فلا تأكلها فراج الملك وامر بتجريب الشيراز على حيوان . فقال الرجل قد
 كذب هذا وايس يحتاج الى حيوان انا آكل من هذه الغضارة ليعلم الملك
 كذبه قال والرجل لا يعلم ما في الغضارة . فبادر فاكل منها لقمة فتلف في
 الحال . فقال صاحب المائدة الاول انما اكل ايها الملك من ذلك ليتاف لما علم
 انك تجرب ذلك فتجده قاتلاً فيخاف ان تمذبه فاستروح الى هذا فلم يشك

«١» م : ع الغضارة القصصة الكبيرة كما في المغرب والشيراز اللبن الرائب اذا استخرج ماؤه

«٢» م : ع كذا هنا وفي ياقوت باعيانهما .

«٣» م : ع غطا الشيء يغطوه كغطاء يغطيه .

الملك في صحة الامر ورد الى صاحب المائدة الاول ما كان اليه واكرمه وعظمه ومضت السنون على ذلك . قال وعرض للملك علة كان يسهر من اجلها في اكثر الليالي فكان يخرج وحاشيته غافلون فيطوف في صحن داره وحجرها وبساتينها ويقف على ابواب حجر نساؤه وغلماؤه فيتسمع عليهم ويعلم ما يتحدثون به فانتهى في ليلة في طوفه (١) لاجل السهر الى حجرة فيها ذلك اليهودي وقد خاطه صاحب المطبخ بنفسه وغلماؤه وهو جالس يحدث بعض اصحاب المطبخ ويتشكا (٢) اليه ويقول انه يقصر في حقى ويعدد تقصيره في حقه . ثم قال انا اصل نعمته وما هو فيه . فقال له الذي كان يحدثه وكيف صرت اصل نعمته قال وتكتم ذلك ؟ قال نعم فحدثه بحديث الشيراز والسم فلما سمع الملك ذلك قامت قيامته واحضر الموبذ من غد وحدثه بالحديث وشاوره فيما يعمل مما يزيل عنه اثم ذلك الفعل في معاده فامر بقتل اليهودي (٣) والاحسان الى عقب (٤) ان كان للذي قتل نفسه وقال ولا يزيل عنك اثم هذا الا ان تطوف (٥) عملك حتى تنتهي الى بقعة خراب فتستحدث لها عمارة ونهرآ وشرآ فيعيش الناس بذلك في باقي الدهر بدلا من موت ذلك الرجل فتمحص عنك الاثم ففعل الملك ذلك وطاف اعماله حتى بلغ موضع النهر وان وهي خراب واجمع رأيه على حفر النهر

«٩» م : ع . اي طوافه . «٢» م : ع . كذا في الاصل والصواب يتشكى وهي كذلك في ياقوت . «٣» زاد ياقوت : وصاحب المائدة «٤٠» م : ع . في ياقوت الى عقب الذي كان قتل نفسه ، «٥» م : ع . في ياقوت تطوف في عملك .

فيه فحضر وسماه ثواب العمل لاجل هذه القصة .

حدثني (١) أبو الحسين قال حدثني أبو الحسن الأيادي الكاتب صديق الكرخيني (٢) قال دفع الي أبو احمد عبد الوهاب بن الحسن بن عبيد الله ابن سليمان رقعة أبي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب الى جده عبيد الله وقال لي كان لي كان لي أبي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل وديوان المعاون في جملة الدواوين التي كانت اليه في أيام ابيه فامر الوزير عبيد الله أبي ان يستخلف أبا الحسين بن ثوابة على ديوان الرسائل والمعاون وصار كالمتقلد له من قبل الوزير لكثرة استخدامه له فيه وكانت هذه الرقعة سبب ذلك ثم مات أبي فاقره جدي على الديوان رياسة وبقي عليهم يتوارثونه مرة رياسة ومرة خلافة فما سمع برقعة اولى (٣) منها وهي في غاية الحسن ونسختها قد فتحت للمظلوم بابك ورفعت عنه حجابك فانا احاكم الايام الى عدلك واشكو صرفها الى عطفتك واستجير من لوئم غلبتها بكرم قدرتك فانها توخرني اذا قدمت وتحرمني اذا قسمت فان اعطت اعطت يسيراً وان ارتجعت ارتجعت كثيراً ولم اشكها الى احد قبلك ولا اعددت للانصاف منها الافضلك (٤) ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأمل وقدم صدق الموالاتة والمحبة والذي يملأ يدي من

«١» معجم الادباء لياقوت ٢: ٤١٧ «٢» م : ع ، كرخيني قلعة على تل بين دقوق

واربل . ذكر في التاج انها بالف مقصورة وفي نسخة بالف ممدودة وفي معجم البلدان

بماء عمالة . «٣» لعله سقط . بان تحفظ . «٤» لعله فصلك .

النصفة ويسبغ العدل علي حتى تكون محسناً اليّ واكون بك للانام (١)
 معديا ان تحلطني بخواص خدمتك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل
 ومن الحمول الى النباهة والذكر فان رأيت ان تعديني فقد استمديت وتجيّرتني
 فقد عذت بك وتوسع عليّ كنفك فقد اويت اليه وتسماني (٢) باحسانك
 فقد عولت عليه وتستعمل يدي ولساني فيما يصلح ان لخدمتك فيه فقد
 درست كتب اسلافك وهم الائمة في البيان واستضأت بأرائهم واقتفيت
 آثارهم اقتفاءً حصاني بين وحشي الكلام فانيسه (٣) ووقفني منه على جادة
 متوسطة يرجع اليها العالي ويسمو نحوها المقصر فعلت ان شاء الله .

حدثني ابو الحسين قل حدثنا ابو الحسن علي بن احمد بن يحيى بن
 ابي البغل وهو اذذاك عدل في جوارنا ببغداد ويعاشرني قال حدثني ابو
 قوصرة المستخرج قال ابو الحسين وقد رأيت نا ابا قوصرة وانا حدث
 وهو شيخ مسن من بقية القواد المتقدمين وقد لى منزله وكان الرسم قدماً
 ان يقلد بعض القواد الذين يفهمون المناظرة الاستخراج قال ابن ابي البغل
 قال لي ابو قوصرة تقدم اليّ سليمان بن وهب في وزارته لاعتد لما
 قبض على الحسن بن مخلد ان ادخل اليه الى الحبس فاطالبه بما صودر عليه
 فكنت اخشن عليه ظاهراً والين له باطناً والنخبر (٤) له على سليمان واشير

«١» م : ع . في معجم الادباء للابام . «٣» بالاصل وتسمني والصواب عند ياقوت .

«٣» م : ع . في معجم الادباء وانيسه ، ولعله والنسبه . «٤» م : ع . قال في اللسان يقال
 تخبر الخبر واستخبر اذا سأل عن الاخبار ليعرفها وفي حديث الحديدية انه بعث عينا من
 خراقة يتخبر له خبر قريش .

عليه فوقفت على ان عبيد الله بن سليمان قد عمل على ان يجمع هو وابوه وصاعد بن مخلد وابو صالح بن المدبر وجماعة من البكتاب في مجلس ويخرجوا الحسن فيباهتوه (١) بكل محال لا اصل له ويكابروه على المحالات حتى يضطرونه (٢) بذلك الى الاداء ويرهبوه باخذ خطه بزيادة على ما عاينه لانه كان قد بلع وقل لي لم يبق لي ما اؤديه قال فيجئته الى الحبس فحدثته بانهم في غد سيخرجونه لذلك قال ففكر ساعة فظننته يفكر فيما يدبر به امره ثم الشدني لنفسه :

من صادر الناس صادروه وكابر الناس كابروه
وباهتوه الحقوق بهتاً وبالاباطيل ناظروه
تمثل ما راح من قبيح او حسن منه باكروه

حدثني ابو الحسين قال كان ابو الفضل عبيد الله بن عبد الله بن الحارث الكاتب من وجوه العمال ثم خلف ابا القاسم سليمان بن الحسن في وزارته الاولى على كبره (على) كثير من امر الوزارة فتكبر على الناس ولم يوفهم الحق فبحثوا عن معايبه واطلقوا الالسن بمثالبه وكان قد اشتهر ان امه تزوجت ازواجاً بعد ابيه وقبله وقيل ان عددنهم بضعة عشر رجلاً ومنهم رجل يعرف بسوشيخ يبيع الارز باللبن فقال فيه العصفري الشاعر يهجوهم والشدنيها لنفسه :

«١» م : ع . يقال باهته اذا استقبله باصر يقذفه به وهو منه بريء لا يعلمه فيبهت منه . «٢» م : ع كذا في الاصل والظاهر يضطروه .

قالوا ابو الفضل شمع وازداد كبراً وبدخ (١)
 فقلت مه قولوا له ياهرل (٢) سوشيخ الوسخ
 ما كنت لا كنت بذى سوشيخ يقرط لأمنخ
 وإنما اراد ان يطيب (٣) بذاء الشعر مع ذكر امه لان اصله كان من
 قرية من اعمال واسط بالاسافل يقال لها قلهايا وقد كان ابو الحسين بن
 عياش القاضي الشدني هذه الابيات قديماً او حكى مثل هذه القصة فأنشد
 الابيات حتى اذ كرنها ابو الحسين ابن هشام وفي رواية ابن عياش :
 و يلك ما كنت بذى

قال ومعنى يقرط لأمنخ ينيل أملك .

حدثني ابو الحسين بن هشام قال حدثني ابو الحسن زكريا بن يحيى بن
 محمد بن ساذان الجوهري قال حدثنا ابو العباس المبرد قال حدثت عن
 الخليل بن احمد اجتزت في بعض اسفاري وانا متوجه براهب في صومعة
 فدفقت عليه والمساء قد اذف جداً وقد خفت من الصحراء وسألته ان يدخلني
 قال فقال من انت فقلت انا الخليل بن احمد فقال انت الذي يزعم الناس
 انك وجهاً (٤) واحداً في العلم بأمر العرب فقلت كذا يقولون ولست كذلك
 قال ان اجبتني عن ثلاث مسائل جواباً مقنعاً فتحت لك واحسنت ضيافتك

«١» م : ع ، بدخ كبذخ تكبر وتمظم ، «٢» قال في محيط المحيط الهرل ولد
 المرأة من زوجها الاول وهو قاروط له عند العامة . «٣» بالاصل سطب «٤» م : ع
 كذا في الاصل والصواب وجه واحد ووجه القوم سيدهم ووجههم .

والا لم افتح لك فقلت وما هي قال السنا نستدل على الغائب بالشاهد قلت بلى قال فانت تقول ان الله تعالى ليس بجسم وعرض ولم نر له مثلاً فبأي شيء أثبتته وانت تزعم ان الناس في الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون وانت لم تر آكلاً شارباً الا متغوطاً وانت تقول ان نعيم اهل الجنة لا ينقضي وانت لم تر شيئاً الا منقضياً . قال فقلت له بالشاهد الحاضر : استدلت على ذلك كله اما الله تعالى فانما استدلت عليه بافعاله الدالة عليه لا مثل له وفي الشاهد مثل ذلك . الروح التي فيك وفي كل حيوان نعلم انها يحس بها تحت كل شجرة منا ونحن لا ندري اين هي ولا كيف هي ولا ما صفتها ولا جوهرها ثم نرى الانسان من الناس يموت اذا خرجت ولا يحس بشيء وانما استدلت عليها بافعالها وبمركاتها وتصرفنا بكونها فينا . واما قولك ان اهل الجنة لا يتغوطون مع الاكل فالشاهد (١) لا يمنع ذلك الا تعلم ان الجنين يفتدي (٢) في بطن امه ولا يتغوط . واما قولك ان نعيم اهل الجنة لا ينقضي مع ان اوله موجود فانا نجد انفسنا نبتدي الحساب بالواحد ثم لو اردنا ان لا ينقضي الى مالا نهاية له لم نكرره واعداده وتضعيفه الى انقضاء ما . قال ففتح لي الباب واحسن ضيافتي .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله احمد بن سعد مولى بني هاشم وكان يكتب ليوسف القاضي قديماً قال حدثنا اسماعيل بن اسحاق

«١» بالاصل بالشاهد . «٢» م : ع كذا في الاصل والعبارة محرفة . والمعنى ظاهر من

القاضي عن اشيائه قال كان عافية القاضي يتقلد للمهدي القضاء باحد جانبي مدينة السلام مكان ابن علاثة وكان عافية عالماً زاهداً فصّار الى المهدي في وقت الظهر في يوم من الايام وهو خال فاستأذن عليه فادخله واذا معه قطرة فاستعفاه من القضاء واستأذنه في تسليم القمطر الى من يامر به بذلك فظن ان بعض الاولياء قد غرض منه او اضعف يده في الحكم فقال له في ذلك فقال ما جرى من (١) هذا شيء فقال ما سبب استعفائك فقال كان تقدم الي خصمان من شيراز واصهبان في قصة معضلة مشكلة وكل يدعي بينة وشهوداً ويدي بحجج تحتاج الى تأمل وتثبت فرددت الخصوم رجاء ان يصطالحا او يعين لي وجه فصل ما بينهما قال فوقف احدهما من خبري على اني احب الرطب السكر (٢) فعمد في وقتنا جمع (٣) وهو اول اوقات الرطب، الى ان جمع رطباً سكرألاً يتهاً في وقتنا جمع مثله الا لامير المؤمنين وما رأيت احسن منه ورشاً (٤) بوابي جملة دراهم على ان يدخل الطبق الي ولا يبالي ان يرد - فلما ادخل الي انكرت ذلك وطردت بوابي وامرت برد الطبق فردّ فلما كان اليوم تقدم الي مع خصمه فما تساويا في قلبي ولا في عيني وهذا يا امير المؤمنين ولم اقبل فكيف ولو قبلت ذلك ولا آمن ان يقع علي حيلة (٥) في ديني فاهلك وقد فسد الناس فاقلني اقالك الله واعفني. فاعفاه .

«١» بالاصل في . «٢» م: ع السكر رطب طيب شديد الحلاوة . «٣» م : ع كذا في الاصل والظاهر حذف كلمة جمع . «٤» م : ع كذا في الاصل ورشاً لا تتعدى الى مفعولين بنفسها وكأنه ضمنها معنى اعطى . «٥» له خلل .

حدثني ابو الحسين قال سمعت حامد بن العباس في وزارته يتحدث
قال كان صاعد بن مخلد وصفني للناصر لدين الله وعظم عنده من امري حتى
اختصت بخدمته فاستدعاني يوماً على خلوة وقال قد علمت ما لحقنا من
هذا العدو يعني صاحب الزنج حتى عدنا الى هاهنا وكان ذلك بعد ان هزاه
من بين يدي صاحب الزنج وعوده من مقامه بواسط ليستريح ويتأهب
للا رجوع ويستعد لقتاله وقال لي الناصر وامري كما ترى مختل وجميع ما في خزائني
ثلاثون الف دينار عيناً وهذا لا يقع مني (١) واريد ان تصرف همتك الى
ما يتم (٢) معه ويضعف قدره قال فقلت له هاهنا وجه فيه مرفق عظيم فقال
ما هو فقلت هذه اسناية الخيزران ومنها يشرب المبارك باسره وبعض
الصلح وكان اقطاعاً لام الرشيد الخيزران فحفرت لها هذه الاسناية (٣)
وكانت تغلها غلة عظيمة وقد تعطلت الآن وخرب الصلح والمبارك كله
فان صرفت هذه الثلاثين الالف الدينار في حفر الاسناية واطلاق البذر
والبقر لاهل هاتين الناحيتين توليت لك تفرقة ذلك ومشاهدة الحفر
بنفسي حتى لا يضيع منه دائق واحد ولا يرتفق أحد بحجة منه وتغل في
سنة ضعف هذا واكثر قال قد فعلت قال فانفقت دلي حفر الاسناية
عشرين الف دينار باتم احتياط واطلقت العشرة الآلاف الدينار الباقية
للضعفاء من الاكورة والثناء والمزارعين في اثمان بقر وبذور واحتطت

«١» يريد لا اعتد به . «٢» م : ع كذا في الاصل ولعله ينمو . «٣» لم اجد هذه
الكلمة فيما عندي من القواميس ويظهر انها مشتقة من السنو اي السقي .

في جميع ذلك وطالبت الاقوياء بالزراعة من اموالهم وحرصوا هم ايضاً
 الحرص كله لما رأوا الماء وان الضياع معطلة منذ سنين كثيرة . وطمعوا في
 كثرة الربيع ووفور الاسعار في النواحي فزرع الناس بالرغبة والرغبة
 حتى استنفدوا جهدهم فلما ادركت حصاد في بيدرو واحد من يادر الصلح
 وقد كان ارتفع اصل الكيل منه ثلاثة آلاف كر وستائة كر حنطة
 بالنصف . فحصلت منه الثلث والعشر على المقاسمة مع الاجور وفضل
 الكيل الف كر وستائة كر للسلطان . وبعثها حساب الكر بنيف
 وعشرين ديناراً فحصل الثمن ستة وثلاثون (١) الف دينار عيناً من بيدرو
 واحد وبقي البلد كله بأسره ربحاً فحصل له في اول سنة اضعاف ما اتفق
 مضاعفاً فتقوى بذلك على الرجوع الى الحاشئ وكان ذلك من اكبر
 اسباب تقدمي عنده ورفعتي قال وكان حامد (٢) يحدث بهذا عقيب شي
 جرى قال حامد معه لا تصلح الدنيا الا بالعمارة والعدل وقمع العمال عن
 السرقات ثم تحدث بهذا الحديث .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول كان
 ابو الحسن محمد بن فراس الكاتب سبب الوصلة بين القاسم بن عبيد الله
 والعباس بن الحسن حتى استكتبه له فلما علت حال عباس حسده ابن فراس
 وعاد يسعى عليه (٣) ويثلبه عند القاسم الى ان اعتل القاسم علة موته فقال

«١» م ، ع كذا في الاصل . «٢» م ، ع ، كذا في الاصل ولعل اصله وكان

حامد اذا اراد ان يحدث بهذا عقب شيء جرى قال . معه . لا تصلح الخ .

«٣» م : ع المعروف سعى به وربما ضمنه معنى ثم اونهاها .

ابن فراس ان عباس بن الحسن يسعى في طلب الوزارة مع الداية وصافي
الحرمي وانه قد قطع السواد فلم يتقبل ذلك القاسم وكتب الرقعة المشهورة
الى المكتفي قال فدخلنا في الليلة التي ولي فيها الوزارة وهو موت القاسم (١)
ولم يكن خلع عليه ودخل ابن فراس مهتأله يجلس في اخريات الناس وتشاغل
العباس بتقليب ثياب السواد وقد جاؤه بها ليختار منها ما يقطع له فيلبسه من
غد في دخوله الى الخليفة قبل الخلع حتى يبركه (٢) هناك ويلبس الخلع فوقه
وكان الرسم اذ ذك ان لا يصل احد الى الخليفة في يوم موكب الاسود.
قال فلما اختار العباس ما يريده من الثياب اقبل علينا وقال معرضاً بابن فراس
لعن الله اهل الحسا والشير سعى قوم على دمي عند ولي الدولة وقالوا له اني
قد سمعت في الوزارة واني قد قطعت السواد منذ ايام كثيرة وهذا بحضرتكم
على غير تواطيء هو ذا اقلب ثياباً ليقطع منها سواد لي فقام ابن فراس قائماً
وقال قد حضرتي طال الله بقاء الوزير يثان في هذا المعنى فان اذن الوزير
ايده الله انشدتهما فاستحيا العباس وقال بحياتي اجلس وانشد فجلس وقال :

تنسج عن القيسج ولا ترده ومن اوليته حسناً فزده

ستكفي من عدوك كل كيد اذا كاد العدو ولم تكده

حدثنا (٣) ابو الحسن محمد بن محمد بن عثمان الاهوازي السكاك

(١) م، ع : الظاهر بعد موت القاسم . «٢» بالاصل غير معجم يقال برك اذا نثي
ثوباً . م، ع : لم نجد برك بهذا المعنى ولعل اصله برك اي في الموكب . «٣» الفرج بعد
الشدة ١ : ٥٥

المعروف بابن المهندس قال حدثني ابن مروان الجامدي قال لما ظلم الناس بواسط ابو عبدالله احمد بن علي بن سعيد الكوفي وهو اذذاك يتقلدها الناصر الدولة وقد تقلد (١) امرة الوزراء والامراء ببغداد كنت احد من ظلم (٢) فظلمني واخذ من ضيعتي بالجامدة (٣) نيفاً واربعين كراً ارزاً بالنصف (٤) من حق رقبتي (٥) سوى ما اخذه من حق بيت المال بغير تأويل ولا شبهة فظلمت اليه وكلمته فلم ينصفني وكان الكر الارز بالنصف اذ ذاك بثلاثين ديناراً فقلت له قد اخذ سيدنا مني ما اخذ ووالله ما اهتدي انا وعيالي الى شيء سواه ومالي ما اقوتهم به باقي سنتي ولا ما أعمر به ضيعتي وقد طابت نفسي ان تطلق لي من جملته عشرة اككرار وأجعل الباقي له حلالاً فقال هذا ما لا سبيل اليه فقلت فخمسة اككرار فقال لا أفعل قال فبكيت وقبلت يده ورققته وقلت فهب لي منه وتصدق علي بثلاثة اككرار وانت من الجميع في حل وبيعه بطيب (٦) (من) قلبي فقال لا والله ولا أرزة واحدة قال فتحيرت وقلت له فاني أظلم الى الله عز وجل منك فقال لي كن على الظلامة يكررها دفعات ويكسر الميم بلغة الكوفيين . قال فانصرفت محترق القلب فجمعت عيالي وما زلت أدعو الله عليه ليالي كثيرة فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من اخذه الارز وجئت الى اليبدر فأخذت أرزي وحملته

«١» يعني ناصر الدولة . «٢» بالاصل تظلم . م ع : وتظلم صحيح ايضاً ومعناه شكى الظلم . «٣» م ، ع : الجامدة قرية كبيرة بين واسط والبصرة من اعمال واسط . «٤» م ، ع : لعله بالنصف وهو مكبال اي ذلك الكر مكبل بالنصف . «٥» في الفرج الدهقنة . «٦» م ، ع : كذا في الاصل ولعله . وتبيعه بطيب الخ .

الى منزلي وما عاد الكوفي بعدها الى واسط ولا أفلح .

حدثني ابو الحسن محمد بن محمد الالهوازي ابن عثمان المعروف بابن المهندس قال كنت أتقلد الضريبة وغيرها من أعمال واسط في هذا الوقت للكوفي فقدم ملاح يقال له ابن شبيب من بغداد في زورق عظيم وكان فيه حديد وخواب فطالبتة على ضربيهما بثمانية الف (١) درهم وكسر فالتجأ الى يمتك فكتب رقعة وهو غلام سيف الدولة لابن سيف الدولة وكان مقبياً بواسط حينئذ اميراً عظيماً فكتب الى يمتك رقعة يلزمني تخفيف الضريبة عن الملاح ومقاربته وأنفذ غلاماً من غلمانه فوضعت في نفسي المقاربة لاجله فقلت للملاح عليك ثمانية آلاف درهم وكذا وكذا فبكم تحب ان أسامحك لاجل كلام فلان أيدى الله قال وكان مجلساً حافلاً باهل الاسواق والتجار والمعاملين في الضريبة قال فقال لي الملاح مستفهماً كم علي ؟ فقلت ثمانية آلاف درهم وكسر قال فضرط من فمه لي وقال تأخذ مني بميزان قرع وصنج بعمر قال فورد علي امر عظيم من استخفافه بي في مجلس العمل وكرهت ان اوقع به ويشرق (٢) الحال بيني وبين يمتك مع تمكنه من سيف الدولة وتصير منابذة بيني وبين صاحبي ولا أدري كيف يكون حالي في ذلك . فقلت له اما أنت فأقل أن تجاب عن هذا الكلام ولكن سأريك امرئ كانوا معه . قال فوكلت به جماعة من الرجالة وعبرت في زبرني (٣) الى الكوفي

«١» م ، ع كذا في الاصل والصواب آلاف . «٢» م ، ع : في الاساس شرق ما بينهم بشر اذا وقع الشر بينهم . «٣» م ، ع : الزبب نوع من السفن .

فحدثته بالقصة فحين استتم حديثي قال وأي شيء عمات بالملاح ؟ فقلت لم أقدم ان أعمل به شيئاً لاجل يملك وخشيت ان تنكر انك ذلك فقال نفاطين (١) نفاطين وصاح وتغيظ فاحضروا وقال ثلاثين راجلا الساعة فأحضروا فقال اعبروا الى الزورق فاحرقوه بجميع ما فيه من الامتعة الساعة . قال فورد علي امر عظيم وندمت على الشكاية فقلت يكفي من هذا اطل الله بقاء سيدنا ضرب الملاح بالمقارع في السوق وان تضعف عليه الضريبة وتستخرجها منه فقال لا والله الا الاحراق قل فاجتهدت به فلم يكن في يدي منه شيء . وتوجه النفاطون والرجالة الى الزورق فضربوه بالنار وأقبل الملاح يلطم ويضبح ويقول يا قوم فيه أموال الناس قد افتقروا (٢) وافتقرت ويستغيث بالمسلمين ولا يقدم احد على اعانته وأحرقت قلوس (٣) الزورق التي كانت تربطه وتمسكه وخرج منه الملاحون وطرحوا أنفسهم الى الماء فانحدر مع الماء لنفسه والنار تشتعل فيه فوقع على الجسر فقطعه وانحدر حتى انتهى الى موضع معسكر سيف الدولة (٤) وكان نازلا في الماصر (٥) بواسطة والملاح في بكائه (٦) ورآه لا يجسر ان يطفي النار ولا يقدر على (ذلك) (٧) اكثر من

« ١ » م . ع : النفاطون الرماة بالنفاطة وهي اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط والنار . « ٢ » بالاصل افتقر . « ٣ » م . ع : القلوس جبل السفينة جمعه قلوس . « ٤ » لعله ابن . « ٥ » م . ع : قال في التاج واللسان الماصر جبل يلتقي في الماء لمنع السفن عن السير حتى يوءدى ما عليها من حق السلطان في دجلة والفرات . وفي اللسان والماصر يمد على طريق انهر توءصر به السفن والسبالة اي تحبس لتوءخذ منهم العشور . « ٦ » بالاصل ركاية . م . ع : كذا في الاصل ولعل الصواب في براكية وراء . والبراكية ضرب من السفن . « ٧ » م . ع : لا حاجة الى لفظ ذلك .

ان يلطم ويصبح فلما رأى سيف الدولة الصورة استهوها مع صباح الملاح
وقوله فيه أموال فاستدعاه وقال ايش فيه فقال فيه مال صاحب البريديين
اصدره اليهم صاحبهم من بغداد سرّاً وجعله تحت الحديد قال فأمر سيف
الدولة بالزورق فقدم الى الشط وأطفئت النار وقد احترق جوانب الزورق
وظلاله (١) واكثر آتاه الا الامتعة التي في أسفله فانها كالسالمة فرقى بها
الى الشط فأخرج المال فاذا هو ثمانية آلاف دينار عيناً ونيف وستون سيفاً
ومنطقة من فضة وبمضها من ذهب فأخذ ذلك وسلم الزورق الى الملاح
وشد على يده وعصمه من الكوفي حتى نقض الملاح الزورق وانتفع ببقية
خشبه وحديدته ووصل التجار الى ما سلم من المتاع . « للحديث صلة »



« ١ » لعله اطلاله باطء المهمة جمع طلل وهو جل السفينة اي شراؤها وجمعه جلول
واجلال .

آراء وافكار

كتاب الاكليل للمحمداني

لبس فيمن كتبوا عن جزيرة العرب وخططها وجغرافيتها وممالكها ومسالكمها من بفضل ابا محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف المحدثاني (بالذال المهمله نسبة الى همدان) فهو صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » الطائر الصيت المنقطع النظير في بابيه وصاحب كتاب « الاكليل » المشهور ايضا والذي نخصر الناس عليه ولا تظفر به . وقد كنت في القسطنطينية منذ خمس سنوات فجمعتني الأقدار بحضرة الصديق الشريف علي بن عمر بن هزاع من ابناء عم الملك حسين بن علي وهو أقرب أبناء أعمامه اليه من أشرف مكة . ولما كان الشريف علي بن عمر من الضاربين بسهم سيف الأدب والمولعين بالاطلاع تذاكرت وايام امر الكتب العربية في الاستانة فقال لي انه اطلع في خزانة جامع بايزيد على كتاب الاكليل للمحدثاني .

ولما كان هذا السفر نادر الوجود عزمتم ان اذهب مرة مع حضرة الشريف الي خزانة كتب بايزيد حتى نطلع على الاكليل ثم جدت امور عدلنا عن هذا الامر . ويرحت الاستانة على ظن اني راجع اليها فلم يقدر لي الرجوع اليها وفاني النظر الى كتاب الاكليل .

ثم قرأت في كلام لسعادة الاخ العلامة شيخ العروبة وفيلسوف الآثار والصحف المكتوبة امد زكي باشا أمتع الله بطول حياته ان كتاب الاكليل مفقود وانهم يحشوا عنه كثيراً فلم يجدوه حتى هذه الساعة .

فكشيت الى احمد زكي باشا أذكر له ما رواه لي الشريف علي بن عمر . فجوابني بانه لا يظن ذلك او قد يكون وقع سوء فهم في المسألة .

والاستاذ احمد زكي باشا يعرف خزائن الاستانة وقد كان طوَّف فيها ونقَّب واسنخ واستنسخ ووضوَّ بالفوتوغرافيا وقيَّد واودع ما اودع في كنيشاته .

فكشيت في العام الماء بي الى الاخ الاجل الافضل خالد بك القرني من عيوب أعيان طرابلس الغرب اذ كان في الاستانة واخبرته بالقصة ورجوته ان يقتص لي أثر

هذا الكتاب في خزائن الاستانة مبتدئاً ببايزيد حيث كان الشريف علي بن عوف بن هزاع قال لي انه عثر على الاكليل . فجاءني من خالد بك الجواب الاتي أنقله بالحرف :
« اس (٢٥ مارت سنة ١٩٢٩) مضيت الى مكتبة بايزيد وكان مديرها وجهينة أخبارها غائباً فانظرته مدة ثلاث ساعات تصفحت خلالها كل الفهرست العائد للكتب العربية ولم أعتز على الاكليل فعند مجيئ المدير راجعته فأفادني بما يأتي :

« مسأله ده بالان يوق يا كلش واردر » نعم ان حضرة الشريف علي بن عمر اطعم على جزء واحد من هذا الكتاب (وهو الجزء السابع او الثامن) عند المرحوم شيخ الاسلام حسني افندي قبل خمسة عشر عاماً تقريباً وبعد وفاته اشتراه خالص بك وبعد وفاة هذا الاخير اشترت كتبه مكتبة بايزيد ومن ضمنها هذا الكتاب . وكان بها الى مدة قريبة اذ أمرت حكومة انقره بنقل هذه الكتب الى مكتبة دار الفنون فهو الآن هناك . وقد توجد النسخة عينها بمكتبة علي اميري افندي والمحمّل ان تكون الأجزاء الاخرى من الاكليل باطالية من جملة الكتب التي جلبها (غريبيني) من اليمن .
« وسأوافيك بذيل الخبر بعد اطلاعي على الجزء من ان شاء الله » .

ثم جاءني من الاخ المشار اليه كتاب تال بتاريخ اليوم التالي اي ٢٦ مارت من تلك السنة يقول فيه :

« وفقت للاطلاع على كتاب الاكليل لابي محمد الحسن بن يعقوب الهمداني بمكتبة دار الفنون تحت نمرة ٦٢٤٢ من كتب خالص افندي في قسم التاريخ منها وذلك بعد فحص طويل ومراجعة مكتبة بايزيد مرة أخرى .

تصفحت اكثره فوجدته عائداً لأحوال اليمن والتعريف ببلدانها الخاربة وبما ما وجدوا في مقابرها المنسية من اللؤلؤ والنجارة الكريمة وغيرها من الذخائر . وليس به تاريخ البتة ولا امم ناسخه ولا فيه مقدمة . بل يستمر في عبارته كما ستري . وهذا يدل على كونه تابعاً لما قبله . مبتدئاً بعد البسملة (ليس الا) هكذا :

وعن الشرفي عن محمد بن خالد بن عبد الله القسري قال كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر فاذا اساس الحائط رخام طويل فاجتمع قوم فقلبوا الطبق وظن مروان أن فيه كنزاً الخ » ويبدأ على هذا النمط في حكاياته عن المدن الغامرة وما نقلته

الرواة عن المقابر القديمة التي تشبه قبور الفراعنة . وقد يذكر عدة بلدان وقصور كانت مشيدة عامرة وبعدها خربت مثل «ناعط» و«غمدان» و«قصر الذيل» و«قصر سحرار» و«بندون» و«ظفار» الخ و يصف كلاً منها ويستشهد بأبيات قيلت في حقها مثل :
وقد كان في بندون عزٌّ وسودد وفي ناعط ملكٌ قديمٌ ومغز
ومثل :

وأسأل بندون وحيطانها قد نطقت بالدر والجوهر
(ارى الشطر الاول هكذا غير مستقيم الوزن ولعل هذا من النسخ)

ومثل :

أبعد غمدان لا عين ولا أثر أبعد بندون بيني الناس بنيانا
وتجد المؤلف بعد نقله لبعض الاخبار المبالغ فيها ينقد ذلك الكلام ويرجع لتحايل
الاشياء وتحكيم العقل والذوق السليم فيها على طريقة ابن خلدون المألوفة . وفي الكتاب
عدة قصائد مطولة واشعار بعضها متينة الاسلوب والبناء و يوجد كثير من روايات واشعار
وقصائد رجل يقال له علقمة بن ذي الاحدب الاصغر ونسبه هكذا : (من ولد علقمة
ذي الاحدب الاكبر بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن شرحبيل بن مالك بن
زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الحميري) .

واهم هذه القصائد مرثية يقال انها احدى المراثي السبع . منها :

لكل حبيب ما انحنى مضطجع والموت لا ينفع فيه الجزع
والنفس لا يحزنك انلافها لبس لها من يومها مرتجع
والموت ليس له دافع اذا حميم عن حميم دفع
(اوزان مختلفة) وقد تكلم الهمداني عن كتابات موجودة بالناط الحميري وذكر
حروف المسند ورسم أشكالها . ويحتمل مفيد جداً . ونسخ صورة كتابه وجدت بجامع
صنعاء بهذا الخط .

والكتاب يتم وفي آخره قصيدة طويلة جداً للقاضي العالم علي بن احمد العوسجي
الحيارى . وهي تسمى بذات الاصول جواباً للامير عز الدين محمد بن امير المؤمنين
المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان رحمه الله تعالى . اولها :

نفى طيب النوم الامسى المتأوب
عشية ودعت الاحبة للنوى
ووجدت مقيم في الحشى ليس بذهب
وبانوا وحبسات القلوب تأوب
وأخرها :

حميت به أحساب قومي ولم ازل
اذا اتممت اعراض قوم اذا لم
فاني عليهم مشفق متحذب
وبكرت قبل القائلين وثيب
اذارويت كادت من الغيظ انفس
تغص وكاد الحلم عنهم يعزب

وقد تجد النقيض نافصاً في اكثر الكتاب . وتجد غلطات من الناسخ .

وبعد هذه القصيدة يتم الكتاب بجملة « تم هذا الكتاب » وليس هناك تاريخ ولا شيء آخر كما ذكرت لك آنفاً .

ثم اني مشيت الى مكتبة المرحوم علي أميري افندي لأطلع على النسخة التي هناك من الاكليل وأعرف هل هي عين هذه ام لا فقال لي خازنها انه يعلم وجود كتاب الاكليل بها ولكن فهرست الكتب العربية ارسلت الى المجلد ولا تعود الا بعد اسبوع والخازن لا يمكنه ان يهتدي الى الكتاب الا بعد الاطلاع على النمرة . وأفادني ايضاً انه سمع من المرحوم علي أميري افندي ان لهذا الكتاب أجزاء أخرى في اليمن وقد اجتهد في اقتنائها فلم يوفق .

سأرجع بعد اسبوع للاطلاع عليه ان شاء الله وافيدك . انتهى كلام السيد خالد القرقي .

قلت فأما كتاب « صفة جزيرة العرب » لمؤلف المذكور فلم نطلع منه الا على الجزء الثاني مطبوعاً في مدينة «لیدن» بمطبع بريل سنة ١٨٨٤ ولست لهذا الجزء مقدمة بل اوله هكذا : بعد البسملة : « معرفة أفضل البلاد المعمورة . افضل البلاد المعمورة من شق الارض الشمالي الى الجزيرة الكبرى وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس ماروي تقطع على اربعة أقاليم من عمران الشمال الى الخامس لجنوبها اليمن وشمالها الشام وغربها شرم أبلة وما طردته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر وشرقها عمان الى البحرين وكاظمة والبحرة وموسطها الحجاز وارض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب لان

اللسان العربي في كلها شائع وان تفاضل الخ » . وفي آخر الجزء المذكور أرجوزة عن طريق الحج من اليمن الى مكة يسردها وبتمامها يتم الكتاب ويقول : كملت الارجوزة وكل بكاملها كتاب جزيرة العرب والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الطاهرين وسلام » ولانارنج ولا شيء يشبهه . ثم يذكر المعلم داود هنريك موللير أستاذ اللسان الشرقية - في دار الفنون في مدينة وينا انه طبع هذا الكتاب وتم طبعه في سلخ شهر ايار سنة ١٨٨٤ .

وسنقل من « صفة جزيرة العرب » للهمداني بعض شواهد الى رحلتنا الحجازية المسماة « بالارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف » ولكننا نجد معلوماتنا عن الهمداني هذا وكتبه قاصرة . فهل يفيدنا الاخ الاستاذ احمد زكي باشا في هذا الموضوع ما نشفي به الغليل ؟ فان لفضل بشي في عاداته .

لوزان : شكيب ارسلان

عضو المجمع العلمي العربي

(المجمع) بعد ورود الرسالة المنشورة اعلاه جاء من صاحب الامير الكتاب الآتي نصه :

ايضاً كتاب الاكلیل

سهوت في رسالتي الماضية الى هذه المجلة عن ان انشر ما كتبه اليّ حضرة الشريف علي بن عمر من استا بول جواباً على سؤالي اياه بشأن كتاب الاكلیل للهمداني فما اذا

الآن فاعل ان شاء الله .

قال بعد الترجمة :

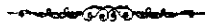
.....

.....

..... | فاما استفساركم عن كتاب الاكلیل للهمداني فالذي كنت رأيتُه واخبرتكم به هو المجلد الثامن من الاكلیل للهمداني وهذا الكتاب الآن نقلوه من مكتبة بايزيد العمومية الى مكتبة دار الفنون ونسخة أخرى من المجلد بعينه موجودة في مكتبة المرحوم علي اميري افندي في الاستانة

ونسخة أخرى في مكتبة برلين عندكم ونسخة في إيطاليا بين كتب غريفييني ولعل التي هناك نسخة نامة جامعة لسائر الاجزاء لولوع الطالبان بكتب اليمين كما يسمع .
 هذا ما عندنا من العلم بهذا الشأن فالسلام في البدء والختام انتهى .
 وفي اول مرة اذهب فيها الى برلين سأفحص عن الكتاب في خزانة كتبها كما اني في اول مرة اذهب فيها الى رومة سأسأل عن كتب غريفييني هذا لعل اليد نظفر بكتاب الاكليل كاملاً . وقد كتبت الى العلامة الشريف عبد الرحمن بن زيدان نقيب العلوية والعائلة السلطانية بمكناس أسأله هل يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب في المغرب لان الشريف المشار اليه من العلماء المحققين وعنده خزانة كتب نادرة الشمال وسنرى ما يكون من جوابه .

لوزان : شكيب أرسلان



مطبوعات حديثة

كتاب التيجان

« في ملوك حمير عن وهب بن منبه »

الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة في الهند بمحاكمة

حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٧ هجرية ص ٣١٠

ويليه

اخبار عبيد بن شريفة الجرهمي

« في اخبار اليمن واشعارها وانسابها »

وهو في ١٨٢ ص طبعت في حيدر آباد الدكن ايضاً

نشر هذين الكتابين كأنهما كتاب واحد لئلا ينسبها في الموضوع — صديقنا العلامة السيد كرنكو من كبار علماء المشرقيات المستعربين عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني كتبت بخط علي بن سعيد بن محمد بن هاجر القملائي سنة ١٠٣١ هـ وقال كاتب الاصل ان الفراغ كان من نسخها سنة ١٠٣٤ بخط مطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن الامام شرف الدين في الدار الحمراء بصنعاء اليمن وهذه النسخة منقولة من نسخة محفوظة في المكتبة الآصفية بحيدرآباد الدكن وعورضت بنسخة اقدم منها محفوظة في المكتبة العمومية في برلين . والكتابان في اخبار اليمن قبل الاسلام وبعده بقليل . وفيها من اخبار ذاك القطر منه ما نقل في كتب أخرى ومنه ما لم يعثر عليه الى اليوم . وهب بن منبه كانت له معرفة باخبار الاوائل وقيام الدول توفي في صنعاء اليمن في سنة عشر وقيل اربع عشرة وقيل ست عشرة ومائة . وكتاب التيجان رآه ابن خلكان في عصره قال « ورأيت له (لوهب بن منبه) تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم في مجلد واحد وهو من الكتب المفيدة » وكتاب التيجان هذا نفس كتاب الملوك المتوجة من حمير . وهب بن منبه كثير ما كانت يعرو العلماء بعض الشك في مروياته لانه كثاره . فما نقله له صاحب الطبقات الكبير قوله : لقد قرأت اثنين وتسعين

كتاباً أنزلت من السماء اثنان وسبعون منها في الكتابس وفي ايدي الناس وعشرون لا يعلمها الا قليل وجدت في كلها انه من أضاف الى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر . «
وفي مقدمة كتاب التيجان قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الانبياء فوجدت فيها ان الكتب التي أنزلها الله على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتاباً أنزل صحيفتين على آدم بكتابين صحيفة في الجنة وصحيفة على جبل لبنان وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وعلى نوح صحيفتين وعلى ابراهيم عشرين صحيفة وعلى موسى خمسين صحيفة وهي الالواح . قال الله : (ان هذا لي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد الفرقان . «
وقال في مكان آخر (ص ٢٠) وقد ذكر الله صحف شيث وغيرهما من الصحف فقال : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) . وقال : (اولم تأتهم بينة ما سيفي الصحف الاولى) . ووهب من علماء التابعين وهو من الانبياء ابناء فارس المبعوثين مع سيف بن ذي يزن لقتال الحبشة في اليمن فهو فارسي الاصل واسم الخيال . ومن الفرس من وضعوا الاخبار في الاسلام عمداً او اتوا ذلك عن نية حسنة اعتقدوها .

وكتاب التيجان هو رواية ابي محمد عبد الملك بن هشام عن اسد بن موسى عن ابي ادريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه بدأه باحوال خلق العالم ونسب ولد سام وحام ويافث وملك حمير ووائل والسكسك ويعفر وعامر ذي رياس والمعاقر بن شداد وشداد بن عاد ولقمان بن عاد والهمال بن عاد والحارث بن الهمال والصعب ذي القرنين وابرهة والعبد بن ابرهة وعمرو بن ابرهة وشرحبيل والد وهب ومُلك بلقيس وملك رحبعم ابن سليمان ومالك بن عمرو بن يعفر وعمرو بن الحسارث بن مصاص وشمير يرعش بن ناشر النعم ونعم صيفي وعمرو بن عامر من بقرية ملك متوج تبع وعمرو بن جفنة اول من ثنوج من ملوك غسان بالشام وربعة بن نصر بن مالك متوج باليمن بين اخشاف التبابعة وقصة النار التي كانت تعبد بها حمير الى آخر من ذكر من الملوك المتوجين فوافق اسم الكتاب مسماء . وكتاب الملوك المتوجة او التيجان من صحف الادب القديم بما ذكر فيه من الشعراء والاخبار .

اما كتاب اخبار عبيد بن شربة الجرهمي فهو من أقدم الكتب في الاسلام وبطبعه حلت اشكالات كثيرة في اصل التدوين في الامة . م كان عبيد بن شربة من المعمرين

من أهل اليمن وقد على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في الشام وهو آية باهرة في معرفة تاريخ اليمن وملوك العرب والعجم يرويها مشفوعة بالقصائد الرنانة « وامر معاوية كتابه ان يدونوا ما يتحدث به عبيد بن شربة في كل مجلس سمر فيه مع معاوية » (ص ٣١٤) فعبيد بن شربة راوية والمدونون كتاب معاوية . وقد كان هذا يعجب بما يلقيه عليه عبيد في كل مجلس ويستزده من ايراد الشعر لان الشعر كما قال معاوية (ص ٣٥٢) ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها والحاكم بينهم في الجاهلية . وذكر عبيد او نقل عنه حديث هلاك عاد وثمود وجرم وخرجه من اليمن الى الحرم وناشر النعم بن عمرو بن يعفر بن عمرو ، وشمر يريش بن افر يقبس بن ابرهة بن الراش ونعم الاقرن وهو ذو القرنين وملكي كرب بن اسعد بن تبع الاكبر واسعد ابو كرب الاوسط . وكل ذلك بلغة سلسة وشعر رائع خال من تكلف المحدثين فهو شعر الفطرة الاولى بل هو نموذج صالح من شعر الجاهلية نُقل في الصدور قبل البعث الى السطور أوائل المئة الاولى . للاسلام . وعلى الجملة فان هذين الكتابين التيجان لوهب بن منبه واخبار اليمن لعبيد بن شربة من أهم الاسفار المفيدة التي نشرت بالطبع في العهد الاخير فجلت شبهات في موضوعات كثيرة وأبرزت لنا صورة كانت متوارية وراء حجاب من أخبار الجاهلية .

لا جرم ان الباحثين يسقطون في هذين السفرين على مسائل كثيرة يستنبجون و يسنقروون فيسفيدون و يفيدون .

م . ك

دانتى اليجييري

« للسيد طه فوزي طبع بمطبعة الاعتاد بمصر ١٣٤٨ - ١٩٣٠ ص ١٥٠ »
صاحب هذا الكتاب ممن يحسنون اللغة الإيطالية وقد درس في هذه الرسالة حياة دانتى شاعر الطليان وواضع اصول لغتهم ثم لخص قصصه ولا سيما قصة المهرلة المقدسة التي قسمها الى ثلاثة أقسام « الجحيم » و « الاعراف او المطهر » و « الجنة » بأسلوب محبوب تلاوتها الى القلوب وتدل على تشييعه بروح موضوعه وروح اللغتين اللتين ينقل من الاولى الى الاخرى .

م . ك

اصلاح الوعظ الديني

« تأليف الاستاذ محمد عبد العزيز الخولي طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي »

« واولاده بمصر سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م ص ٢٥٤ »

ليس المؤلف بالمجهول شأنه بين المشتغلين بعلوم الشريعة الغراء فهو من نوابغ أساندها في مصر ومن عانوا تلقينها والتأليف فيها . وهذا الكتاب ثمرة من ثمرات الاستاذ المؤلف أخرج به خطب المنابر والمواعظ الدينية من طور الجمود الى دور الارتقاء المحمود وأعاض الوعظ والخطباء خطباً بليغة منبرية وغيرها بدلاً من الخطب التي أكل الدهر عليها وشرب ، وبطلت تأثيراتها بما ظهر في الناس من البدع والمقالات وفساد الاخلاق ، وقد عالج المؤلف هذه الموضوعات الجديدة بمسألة و بايجاز لا يخل بالمعاني الجميلة التي يقصد اليها ، ملقناً في كل خطبة بل وفي كل صفحة شيئاً من روح الشرع والسنة النبوية فجاء كتابه دليلاً ناطقاً على دخول الدروس الدينية في مصر في عصر يتجدد اتى على القديم البالي ، وباليت سائر الاقطار الاسلامية لتسج على هذا المدوال البديع وتخرج من طور التلقيم والترقيم .

م . ك

خطرات نفس

« للدكتور منصور فهمي طبع في مطبعة المعارف بمصر »

« سنة ١٩٣٠ ص ٢٢٢ »

هي مقالات موجزة تحمل في مطاوعها أفكاراً اجتماعية صحيحة يراد بها تلقين مدنية وغرس فضائل والوصول بالمجتمع الى مواطن التفكير والتقدير . وقد أحسن الاستاذ منصور فهمي وهو من أسانذة الجامعة المصرية بوضعها هذا الوضع اللطيف الذي يقر بها من القلوب ويجعل لها القبول فيها . وحبذا لو زاد المؤلف من عدد ما ينشر من فقراته وضم كل سنة شواردها في صحيفة كصحيفة خطرانه .

م . ك

المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آب سنة ١٩٣٠ م الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ ١١٢

المحاضرة السابعة عشرة

حياة المتنبّي (١)

— ٩ —

لو سألتنا أبا الطيب عن الأسباب التي من أجلها ترك سيف الدولة وقصد كافوراً لبيتها لنا دون شيء من جمجمة الكلام ، فانه لما أقام بمصر بعد الرحيل من حلب واستعلمون كيف كان ذلك ، انصل به ان قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة وبهذا تستدلون على انه لم ينج من حسد الحساد في قر به منهم وفي بعده عنهم حتى كانوا يثمنون موته فقال قصيدته التي اولها :

بم التعامل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وفي هذه القصيدة عرض بسيف الدولة فقال :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدرك على مرعاكم اللين
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضعف
وتغضبون على من نال رفسكم حتى يعافيه الثغيف والمنن

هذا ما حمّله على الاتزاع عن سيف الدولة وفي هذا الشعر من القوارص ما فيه فإ

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الأستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

بصن سيف الدولة عرض المنبجي ولم تسلم نعمته عليه من المنة والاذى وهو يعلم في باطنه ان سيف الدولة احق الناس به :

ولله سيري ما أقل ثنية عشية شرقي الحوالي وغرب
عشية احق الناس لي من جفوته واهدى الطريقين التي أتجنب
ومع هذا جفاه ، فارقه لما شكاه من امره ما شكاه :

الى اين صار المنبجي بعد ان ترك سيف الدولة وكيف انصل بكافور ، وفي اي شيء كان بطمع وهو في مصر ، وهل خشي كافور جانبه فأعمر له الشر ، هل سلم المنبجي من عداوة بعض الناس في مصر ، هل استمر في شكوى الحسد ، كيف هرب ابو الطيب من مصر ، هل استماله سيف الدولة اليه بعد رجوعه الى الكوفة ، ما ذالقي المنبجي في بغداد من عداوة الادباء والوزراء ، كيف هرب من بغداد ، اين قصد بعد تركه دار السلام ، هل استطاب المنبجي إقامته بظل عضد الدولة في بلاد العجم ، كيف قتل ابو الطيب ، كيف همدت هذه الروح المضطربة التي ماذاقت لذة الهدوء في يوم من الايام ، ولاعرفت نعمة السكون في ساعة من الساعات .

الى اين صار المنبجي بعد مفارقتة سيف الدولة وكيف وصل الى كافور ، جاء في الصبح المنبجي ما يلي :

ولما عزم ابو الطيب على الرحيل من حلب وذلك في سنة ست واربعين وثلاثمائة لم يجد بلداً أقرب اليه من دمشق لان حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، فصار الى دمشق ، والقي بها عصار النسيار وكان بدمشق يهودي يعرف بابن ملك ، من قبل كافور ملك مصر فالتبس من المنبجي ان يمدحه فيقل عليه ، فغضب ابن ملك وجعل كافور الاخشبيدي يكتب في طلب المنبجي من ابن ملك فكتب اليه ابن ملك ان ابا الطيب قال : لا أقصد العبد ، وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيده ثم نبت دمشق بابي الطيب ، فصار الى الرملة فحمل اليه أميرها الحسن بن طغج هدايا نفيسة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب ثقيل وقلده سيفاً محلي . وكانت كافور الاخشبيدي يقول لاصحابه أترونها تبلغ الرملة ولا يأتينا وأخبر المنبجي انه واجد عليه ، ثم كتب كافور في طلبه من امير الرملة فصار اليه «

فقبل ان يتصل المنبي بكافور اتصل بامير الرملة الحسن بن طنج فمدحه ، وفي هذه القصيدة يقول :

وفارقت شر الارض اهلاً وتربة بها علوي جده غيرها ثم
فمن هو هذا العلوي الذي غضب عليه المنبي والظاهر ان جماعة هددوه ، وهم
علويون فأشار اليهم في قصيدة ثانية بقولها في ابي القاسم طاهر العلوي :
أناني وعيد الادعياء وأنهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم فهل في وحدي قولم غير كاذب
الي لعمري قصد كل عجيبة كأنني عجيب في عيون العجائب
فما كاد يسلم المنبي من حاشية سيف الدولة ، حتى أتاه وعيد آخر ، فكان بينه
وبين المصائب صلة رحم ، فلننظر اليه وهو في حضرة كافور فهل نجا من هذه المصائب .
لما قدم ابو الطيب على كافور الاخشيدى امر له بمنزل ، وكل به جماعة ، وظهر
التمهة له وطالبه بمدحه فلم يمدحه فخلع عليه فقال يمدحه بقصيدته التي اولها :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن أمانيا
وأشده اياها في جمادى الآخرة سنة ست واربعين وثلاثمائة ولئن كان المنبي
لا ينشد مديحه في سيف الدولة الا وهو قاعد ، فانه كان يقف بين يدي كافور وفي
رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالديوف والمناطق
وكان لا يجلس في مجلس كافور .

هكذا اتصل المنبي بكافور الاخشيدى ، ولكنه في هذه المرة سمى به نفسه الى
أفق أبعد من أفق المال ، فلم يقتصر على الرغبة في عسجد يسفيدة وانما امتدت هذه
الرغبة الى المفاخر .

وما رغبتني في عسجد أسفيدة ولمكنها في مغفر أستجده
وأعرب عن طمعه هذا في اول قصيدة قالها في كافور :
وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين واليسا
نعم لم يكن لقلبه في هذه المرة مدى ينتهي به في مراد من المرادات .
ومن الناس يرضى بيسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلباً بين جنبي ما له مدى ينهي بي في مراد احده
ولقد أكثر من المصارحة بما في نفسه :

فان نلت ما أملت منك فربما شربت بما يجز الطير ورده
ووعدك فعل قبل وعد لانه نظير فعال الصادق القول وعده

وأخ على كافور في قضاء هذه الحاجة التي شغلت باله :
إذا لم لنط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوفي وشغلك يسلب
واسنجزه وعده :

ارى لي بقربي منك عيناً فريرة وان كان قرباً بالبعد يشاب
وهل نأفني ان ترفع العجب بيننا ودون الذي املت منك حجاب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيات عندها وخطاب

طمع المنبي في الولاية فسأل كافوراً ان يولييه صيداء من بلاد الشام او غيرها من
بلاد الصعيد وكان كافور قد وعده بان يبلغه جميع ما في نفسه ولكنه خاف جانبه وتهيب
امره فقال له : انت في حالة الفقر وسوء الحال ، وعدم المعين سمحت بك نفسك الى النبوة
فان اصبحت الولاية وصارت لك اتباع فمن يطيقك ؟ ثم وقعت الوحشة بينهما ووضع عليه
العيون والأرصاد خوفاً من ان يهرب وأحس المنبي بالشئ .
ولم يخل ابو الطيب وهو في ظلال كافور من جماعة كانوا يبغضونه وبوغروا صدر
كافور ، وفي جملةهم ابن حراية وزير كافور والمقرب منه ، وقد كان المنبي مدحه ،
فكان ابن حراية يشيع استهزاء المنبي بكافور في مدائحهم ، والحقيقة ان ابا الطيب قد
سخر من كافور في كثير من باطن مدحه وظاهره . فمن قوله :

وما طربي لمساراً بتك بدعة لقد كنت ارجو ان أراك فأطرب
لجعل كافوراً بدعة من البدع حتى قال ابن جني : لما قرأت على ابي الطيب هذا
البيت قلت له ما زدت على ان جعلت الرجل ابازنة وهي كنية القرد فضحك . ومن قوله :
وبغيتك عما ينسب الناس انه اليك لنداهي المكومات ونسب
وهذا البيت ظاهره أبلغ المدح ولكن باطنه لا يخلو من غمرة الهمزة .

وقد أشار المتنبي الى سواد كافور في كثير من شعره وهو يعلم ان ذكر لون السواد على مسامع كافور أمر من الموت . فن قوله :

ان في ثوبك الذي الحمد فيه اضياء يزري بكل ضياء
انما الجلد ملبس وابيضاض النفس خير من ابيضاض القباء
وهذان البيتان فيها تعرض بسواد كافور وأصرح منها :

من لبيض الملوك ان تبدل اللون بلون الاستاذ والسحناء
فلا بعد ان ابن حراية كان يذيع مهزأة المتنبي بكافور حتى بكيد له ، فما أشبه
ما كان يقع لابي الطيب وهو عند كافور بما كان يقع له وهو عند سيف الدولة من ابتغاء
الفوائد به وكان ابو الطيب وهو في مجالس كافور يتعرض للملادباء والشعراء فيجلب
عداوتهم لنفسه . في جملة هؤلاء الشعراء ابو القاسم بن ابي العفير الانصاري فقد عارضه
المتنبي بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي اولها :

(نظر المحب الى الحبيب غرام)

فقال له : العرب لا تقول : اليه غرام وانما تقول : له ، فقال له الانصاري العرب
نقول اليه ولديه وله وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض ، والوزير ابو بكر بن صالح
الروزي باذي حاضر والوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات حاضر فقال الانصاري قصيدة
منها هذان البيتان تعرض فيها بالمتنبي :

لما تعرض لي بمقت حاسد ابدى الملام وكيف يرضى الحاسد
ما زال ينشد قائماً حتى اذا انتسدت عارضني لاني قاعد

لم يستطع المتنبي بعد هذا كله ان يطيل الإقامة بمصر ، ولعل مدحه لابي شعيب فانك
المعروف بالجنون قد زاد في حنق كافور وان كان كافور قد أذن له في مدحه ، فان
في القصيدة التي مدحه بها بيتاً يحمل كافوراً على الشك في امر المتنبي :

وان تكن محكمات الشكل تمنعني ظهور جري فلي فهين تصال

وقد قال الواحدي في تفسير هذا البيت : ان لم أقدر على المكاشفة بتعصرك على
كافور فاني أمدحك الى أو ان ذلك كما ان الجواد اذا شكل عن الحركة سهل شوقاً اليها .

من اجل هذا كله فكر المنبي في الخروج من مصر وقد حثه احد معارفه على الحرب
فأخر قصيدة قالها في كافور :

عني كن لي ان البهاض خضاب فيخني بتبييض القروث شباب
وانقطع ابو الطيب بعد انشاده هذه القصيدة لابلقي الاسود الا ان يركب فيسير
معه في الطريق ثم عجل الرحيل وقد أعد كل ما يحتاج اليه على ممر الايام بلطف ورفق
ولا يعلم به احد من غلمانه وهو يظهر الرغبة في المقام وطال عليه التحفظ فخرج ودفن الرماح
في الرمال وحمل الماء على الابل لعشر ليال وتزود لعشرين فنكان خروجه من مصر سنة
خمسین وثلاثمائة فأقام بمصر اربع سنين بوجه التقرب ، وفي يوم عرفة اي قبل مسيره
بيوم واحد قال قصيدته :

عيد بآية حال عدت يا عيد بما مضى ام لا مرفك تجد
وفي هذه القصيدة بيت يدل على استمرار الناس في حسده ، وعلى ايلام هذا
الحسد اياه :

ما ذا لقيت من الدنيا واعجبه اني بما اناشاك منه محسود
هرب ابو الطيب من مصر في يوم العيد من سنة خمسین وثلاثمائة ، وأخفى طريقه فلم
يظهر له اثر وبذل كافور في طلبه ذخائر الرغائب وكتب الى عماله وسائر اعماله فأخفق .
ضرب المنبي في البوادي في طريقه الى الكوفة ومر باماكن ومياه كثيرة ذكرها
في قصيدته التي اولها :

الا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيزلي
ولكن عبيده أنكروا له في الطريق وفسدت نياتهم واخذوا يسرقون له الشيء بعد
الشيء من رحله وذلك ان ابا الطيب لما نزل في طريقه الى الكوفة في حسمى برجل يقال
له وردن الطائي استغوى وردان عبيد ابي الطيب فلما شعر المنبي بذلك ضرب احد
عبيده بالسيف فأصاب وجهه وامر الغلمان فأجهزوا عليه ، والى ذلك أشار في هجاء
وردان :

اشد بعمره عني عبيدي فأتلفهم ومالي أتلفوه
فان شقيت بأيديهم جيايدي لقد شقيت بمنصلي الوجوه

لنكر عبيده له وربما أضمرُوا تسليمه فتركهم في ذات ليلة نياماً وشد على الجمال وسار والقوم لا يعلمون برحيله حتى توسط بسيطة وهي ارض تقرب من الكوفة فرأى بعض عبيده نوراً بلوح فقال : هذه منارة . ونظر آخر الى نعامة فقال : هذه نخلة فصحك ابو الطيب وقال :

بسيطة مهلاً سقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارى
فطنوا النعام عليك التخييل وظنوا الصوار عليك المنسارا
ومن هذا يتبين لكم ما كنت قلته من ان ابا الطيب اخذ يتكلم بكلام الملوك ، فقد صار له عبيد وغرق في المكارم .
وما زال يضرب في البوادي حتى وصل الى الكوفة فأناخ وركز رماحه بين المكارم والعلی :

وبتنا نقبل أسياننا ونسحبها من دماء العدى
وكان دخوله الكوفة في جمادى الآخرة من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .
هل طمع سيف الدولة في عودة المنبي اليه بعد رجوعه الى الكوفة ؟
لما عاد ابو الطيب الى الكوفة وأقام فيها تحركت نفس سيف الدولة فشافتها قلائد المنبي فأنفذ سيف الدولة ابنه من حلب الى الكوفة ومعه هدية الى المنبي وهذا ما بدلنا على تعلق سيف الدولة بابي الطيب فكأن امير حلب ندم على ما فات فأحب ان يصلح ما أفسده ، فمدحه ابو الطيب وكتب بقصيدته التي ادلها :

مالنا كلنا جو يا رسول انا أهوى وقلبك المتبول
اليه من الكوفة سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة اي بعد ان انقطعت مدائحه فيه مدة ست سنين ، وفي هذه القصيدة ما يدل على ان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة وان وقع بينهما ما وقع :

من عبيدي انت عشت لي الف كافور ولي من نذاك ريف ونيل
ولما توفيت اخت سيف الدولة بميفارقين وورد خبرها الى الكوفة عزاه بها المنبي وكتب بقصيدته اليه سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وفي هذه القصيدة أحب المنبي ان ينفي عن نفسه الظن بفتور محبته لسيف الدولة فقال :

يظن ان فؤادي غير ملتصب وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب
والقصيدة فياضة بشعور ابي الطيب .

ولكن سيف الدولة لم تكفه مدائح المنبي عن بعد فانه طمع في رجوعه الى ظلاله
فأنفذ اليه كتاباً يخطه الى الكوفة يسأله المسير اليه فأجابه بقصيدة ارسلها اليه . في
مياقارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واعتذر المنبي
عن الالتحاق بسيف الدولة وقال :

وما عافني غير خوف الوشاة وان الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم ونقليلهم ونقر بهم بيننا والخب
وقد كانت ينصرهم سمعهم وينصرني قلبه والحب
وعاتب سيف الدولة على شدة محبته اياه وعلى قلة حظه منه في هذه المحبة والابيات
كلها تعريض بالماضي :

ولبت شككاتك في جسمه ولينك تجزي بيبغض وحب
فلو كنت تجزي به ناك منك اضعف حظ باقوى سبب

اقام المنبي بالكوفة بعد رجوعه من مصر مدة سنتين بوجه القريب اي من سنة
احدى وخمسين وثلاثمائة الى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ثم توجه نحو بغداد فوقع بينه
وبين ابي علي الخاتمي ما وقع فالظاهر ان ابا الطيب لما قدم دار السلام عظم احتقاره لغيره
من الناس فثقلت وطأته على اهل الادب وكان ابو علي الخاتمي قد قصده في مجلسه فلم
يبال به المنبي وأعرض عنه استصغاراً لشأنه فكاد ابو علي يتميز غيظاً ، حتى انبرى له
وبالغ في تعنيفه فاعتذر المنبي عن ذنبه وأقبل كل منهما على صاحبه ثم اخذ ابو علي ينقد
بعض شعر المنبي واشتد جدالهما ثم تصافيا في آخر المجلس وتأكدت بينهما الصبغة ، وصار
ابو علي يتردد الى ابي الطيب أحياناً .

ولما نجا المنبي من شر ابي علي وقع في شر الوزير المهلب في بغداد وفي شر معز الدولة
نفسه لان معز الدولة ساءه ان يرد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه ولان
الوزير المهلب ساءه ترفع ابو الطيب عن مدحه ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك فشق ذلك

على المهلبى فأغرى به شعراء بغداد على ما قال الشعالي حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه واسمعه ما يكره وتماجنوا به وتنادروا عليه فلم يجيبهم ولم يفكر فيهم وقبل له سيف ذلك فقال اني فرغت من اجابتهم بقولي ان هم ارفع طبقة منهم في الشعر :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضال
ومن بك ذا فم مريض يجسد مرأ به الماء الزلال

وقولي :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف بقاؤني قصير بطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأنتع من ناداك من لا تحبيه واغيظ من عاداك من لا تشاكل

وقولي :

وإذا أنثك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بالي كامل

هكذا كانت معاملة الشعراء لابي الطيب في بغداد على ما وصفها الشعالي فلم يسمع

المتنبي الا الهرب من بغداد .

فالتخذ الليل جملاً وفارق دار السلام متوجهاً الى حضرة ابي الفضل ابن العميد وزير

ركن الدولة وقد كان ابن العميد راسله من ارجان فصار اليها مراغماً للمهلبى الوزير فورد

ارجان واحمد مورده وذلك في صفر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة .

وقد كان ابو الطيب في مدحه لابن العميد بتهيبه لمنزلة ابن العميد سيف الادب فن

قوله فيه :

ما كفاني نقصير ما قلت فيه عن علاه حتى ثناء انتقاده
انني أصيد البزاة ولكن اجل النجوم لا اصطاده
رب ما لا يعبر اللفظ عنه والذي يغمر الفؤاد اعتقاده
ما تعودت ان أرى كأبي الفضل وهذا الذي اتاه اعتياده

وحكي ان ابا الطيب دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفاً فنهض ابن

العميد من مجلسه وأجلسه في دسسته ثم قال له اختر سيفاً من هذه السيوف فاختر منها

واحداً ثقیل الحلي ، واختار ابن العميد غيره ، فقال كل واحد منهما سبي الذي اخترته

أجود ثم اصطلحا على تجربتهما فقال ابن العميد : فيما ذ تجربها ؟ فقال ابو الطيب في الدنانير يؤتى بها فينضد بعضها على بعض ثم تضرب به فان قدها فهو قاطم فطلب ابن العميد عشرين ديناراً فنضدت ثم ضربها ابو الطيب فقدها ونفرت في المجلس فقام من مجلسه المفخم بالنقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه فان احد الخدم يلقطها ويأتى بها اليك فقال ابو الطيب : بل صاحب الحاجة اولى .

ثم ورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيه فودع ابو الطيب ابن العميد سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وقصد ابا شجاع عضد الدولة وقد كان صاحب طمع في زبارة المنبى اياه باصهار على ما ذكره الثعالبى واجرائه مجرى مقصوده من رؤساء الزمان وهو اذ ذاك شاب وحاله حوبلة ولم يكن استوزر بعد ، وكتب اليه بلاطه في استدعائه وضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المنبى وزناً ولم يجبه عن كتابه ولا الى مراده فاتخذ الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقعة ويتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته وينعى عليه سيئاته وهو اعرف الناس بحسناته واحفظهم لها واكثرهم استعمالاً لها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته .

لم يهرج ابو الطيب على حضرة الصاحب وانما قصد عضد الدولة بشيراز وكان ابو علي الفارسي اذ ذاك بشيراز وكان عمر المنبى الى دار عضد الدولة على دار ابي علي الفارسي فكان اذا مر به ابو الطيب يستقله على قبع زبه وما يأخذ به نفسه من الكبرياء ، وكان لابن جني هوى في ابي الطيب فهو كثير الاعجاب بشعره لا يبالي باحد بدمه او يحيط منه ، وكان يسوءه اطناب ابي علي في ذمه حتى ذكر ابن جني ابيانا من شعر ابي الطيب فاستحسنها ابو علي واستعادها وكثر اعجابه بها واستغرابه لمعناها ولما علم ابو علي الفارسي ان المنبى هو فائق هذه الابهات نهض ودخل على عضد الدولة فأثنى على ابي الطيب ولما جاز به استنزه واستنشدته وكتب عنه ابيانا .

وكان ابا الطيب قد استطاب الافامة بظل عضد الدولة فقد انجحت سفرته على ما ذكره الثعالبى وريحت تجارته بحضرته ووصل اليه في صلاته اكثر من مائتي الف درهم ثم استأذنه في المسير عنه ليقضي حوائج نفسه ثم يعود .

لعل الله يجعله رحيلاً يعين على الافامة في ذراكا

فأذن له وأمر بان تحلج عليه الخلع الخاصة وبقاد اليه الحملان الخاص وتعاد صلته
بالمال الكثير فامثل ذلك وانشده ابو الطيب في اول شعبان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة
الكافية التي هي آخر شعره وفي اضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه
منه قوله :

واني شئت يا طرقي فكوني أذاة او نجاة او هلاكاً

جعل قافية البيت الهلاك فهلك وذلك انه سار من واسط يوم السبت لثلاث عشرة
ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ومعه ابنه محمد وغلّامه ومعه بغال
موقرة بكل شيء من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات
لانه كان اذا سافر لم يخلف في منزله درهمًا ولا شيئًا يساويه فتعرض له فأتاك خال
ضبة الذي هجم المتنبي بقصيدته المشهورة :

(ما انصف القوم ضبة)

وقد كان داخلته الحمية لما سمع ذكر اخته بالقبح في شعره ، واتصل به انصراف
المتنبي من بلاد فارس وتوجهه الى بلاد العراق وعلم ان اجتيازه يجمل دير العاقول فجـع
عشرين رجلاً من بني عمه فقتله بضربة تقرب من دير العاقول في يوم الاربعاء لليلتين
بقيتا من شهر رمضان وقتل ابنه محمد وغلّامه فوجه احد معارف المتنبي واسمه ابو النصر
من دفته ودفن ابنه وغلّامه وذهبت دماؤهم هدرًا .

وقد كان ابو النصر هذا نصيح للمتنبي ان يكون معه في الطريق جماعة يشوش بين
يديه الى بغداد وذكر ما عزم عليه فأتاك من التعرض له والعزم على قتله ، ووافق غلام
المتنبي على رأي ابي النصر ، فقطب ابو الطيب وجهه واغتاز من غلامه غيظاً شديداً
وشتمه شتماً قبيحاً ، فقال له ابو النصر : انا اوجه من قبلي قوماً في حاجة يسرون بمسيرك
وهم في خفارتك فإني ابو الطيب فسكان من امره ما كان .

وقيل سبب قتله انه لما ورد على عضد الدولة ومدحه ووصله بثلاثة آلاف دينار
وثلاثة أفراس مسرجة محلاة دس عليه عضد الدولة من بسأله : اين هذا من عطاء
سيف الدولة فقال : ان سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعطاء عضد الدولة تطبعاً فغضب

عضد الدولة فلما انصرف جهز اليه قوماً من بني ضبة فقتلوه بعد ان قاتل قتالاً شديداً
ثم انهزم فقال له غلامه : اين قولك :

الخيال والليل والبهاء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال : قتلني قتلك الله ثم قاتل حتى قتل .

وقيل ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه فمنعه الشح فنقدموه

ووقع به ما وقع .

ولما قتل رثاه ابو القاسم مظفر بن المظفر بن الطوسي ، ورثاه ثابت بن هارون الرقي

النصراني ، ورثاه ابو الفتح عثمان بن جني .

هكذا كانت خاتمة احدى وخمسين سنة انقضت في قلق واضطراب ، هكذا كانت

خاتمة قلب ماله مدى ينهي بصاحبه في مراد من المرادات لقد همدت هذه الروح التي

جالت فيها أفكار الناس مدة الف سنة ونيف .

دمشق : في ١٢ نيسان سنة ١٩٣٠



نظرة

« في معجم العلوم الطبية والطبيعية »
« للدكتور محمد شرف »

— ٢ —

(٢٢) كثيراً ما ينقل المؤلف الحروف التي تدل على الأنواع النباتية كما وردت في اللاتينية ويسمى مثلاً النبات (*Sabbatia angularis*) شبطية الحبوب لاريس على انه كان يجب ان يسميه الشبطية الكثيرة الزوايا وقد عثرت على عدد كبير من مثل ذلك .
واذا ترجم الحروف المذكورة غلط في ترجمتها احياناً . مثاله (*Sabbatia campestris*) فقد ترجمها بلفظ شبطية الآجام والصواب الشبطية السهلية . واذا أعينته ترجمة هذه الحروف صرف النظر عن ذلك مثاله انه أطلق اسم الحبارى والخبيز على كل من الانواع النباتية الآتية وهي :

Malva parviflora

≡ *sylvestris*

≡ *verticillata*

وكان يجب ان يسمي الاولى الحبازة الصغيرة الزهر والثانية الحبازة الاحمية والثالثة الحبازة الدولابية او الكوكبية او الدوارية وهكذا .
(٢٣) لم يذكر الاسماء اللاتينية للحشرات الآتية وهي :

Acridium peregrinum الجراد الراحل

Staurotus marocanus الجراد المراكشي

Earias insulana دودة لوز القطن

Bruchus lentis صوس المدس

Aphis fabæ من الفول

الى عشرات غيرها من الحشرات المهمة التي تضر بالنباتات الزراعية والتي لا يجوز ان يخلو منها معجم علمي .

(٢٤) سمي النبات (*Medicago sativa*) البرسيم الحجازي والقضب ونسي
اصح اسم له وهو الفصفصة والرطبة .

(٢٥) ذكر النبات (*Andropogon alepii*) فسماء (ذره شامي) ولم أدر من اين اتى
بذلك فالذرة الشامية هي (*Zea mays*) ثم ان حرف الذرة مؤنث فلما ذا يجعله مذكراً .

(٢٦) عرّف النبات (*Nicotiana rustica*) بانه (الدخان البلدي) فلت هذا
التعريف لا معنى له وقد ذكر بوست ان هذا النوع هو نوع التبناك .

(٢٧) عرّف الثمرة المسماة (*Capsule*) بما يلي (ثمرة جافة منفحة مكونة من
مدقة مركبة) وقد سميتها الجروج جراء يقال جراء الخشخاش (انظر ج ٤ م ١٠ من
هذه المجلة) .

(٢٨) ذكر أنواعاً من البلوط لا وجود لها في مصر والشام وبلاد العرب السائرة
وسها عن ذكر الانواع الآتية وهي أم اشجار حراج الشام :

السندبان	<i>Quercus coccifera</i>
الملول	<i>lusitanica</i>
البلوط الاخضر « البهش »	<i>ilex</i>
البلوط المسمى عفاً	<i>ægilops</i>

(٢٩) لم يذكر الماش (وهو حب مشهور في الشام) بين انواع الجنس المسمى
(*Vigna*) .

(٣٠) ترجم (*Petal*) بلفظ (بتلة ، ورقة نويجية) واصح لفظ لها هي القعالة .

(٣١) لم يذكر الدفران (*Juniperus drupacea*) وهو من الاشجار المشهورة

في بعض حراج الشام .

(٣٢) ترجم (*Anther*) بلفظة انثيروميك ووعاء الطلع الخ . قلت ان اصلح

الألفاظ على ما أرى هما مثير ومثبار وقد ذكرهما العالم المحقق الطبيب ابن المألف
(انظر ج ٨ م ٨ من هذه المجلة) .

(٣٣) قال عندهما ذكر (*Tilletia*) انه جنس من الفطر الأسفيلاجي ولم يزد

على ذلك . قلت كان يجب ان يذكر على الأقل النوع المسمى (*Tilletia caries*)

وهو الذي يوجد مرض نخر الحبوب اي حفرها وتسوسها ويسمى بالفرنسية (Carie) وهو غير مرض (السويد) الذي يحصل من أنواع الجنس المسمى (Ustilago) وقال في ذكر الجنس الاخير ان (Tilletia foetens) هو صدأ القمح على حين ان مرض الصدأ في الحبوب يحصل من طفيليات أخرى تنسب الى جنس (Puccinia) مثل (P. triticea) و (P. graminis) و (P. glumarum) ولم يورد صاحب المعجم منها شيئاً في معجمه .

(٣٤) ذكر خمسة أنواع من جنس (Polygonum) وترك أهم أنواع هذا الجنس اي :

P. fagopirum

≠ *tartaricum*

≠ *emarginatum*

وهي أنواع الحنطة السوداء (Sarrasin) التي تكثر زراعتها في اوروبا وبلاد الصقالبة خاصة .

(٣٥) الكتاب كثير الأغلاط العربية والمطبعة . فقد فتحت الصفحة ١٦١ عرضاً

فوجدت فيها ما يلي :

« نَفَّةٌ ، بُرْمَعٌ ، ضفدعة زيتوني سمراء ، مابل للهباض أفريقية أسمدة »
والصواب « نَفَّةٌ ، بُرْمَعٌ ، ضفدعة زيتونية سمراء ، ضارب الى بهاض إفريقية ، أسمدة » .

(٣٦) وجاء في الصفحة نفسها ان نبات (Menyanthes trifoliata) هو البرسيم

والأطربفل . فهذان الحرفان لا يملكان على النبات المذكور بل على أنواع النباتات التي هي من جنس (Trifolium) ولئن سمي الاوربيون النبات الاول « طرفيل الماء » فلان اوراقه اشبه اوراق الطرفيل لا لأنه برسيم او أطربفل .

(٣٧) ترجم جنس (Tritolium) بلفظ (ترائي فوليوم و برسيم) ولم يقل انه

جنس النفل^(١) والطرفيل والاطر بفل والطربفلن (ابن البيطار) وهو أشهر من ان يعرف .

(١) يطلق الشاميون هذه اللفظة على أنواع الطربفلن والنصفصة والحنديفوق وغيرها

وعندما ذكر نبا - (*Trifolium pratense*) غلط غلطتين الاولى ترجمته بالبرسيم الاحمر والصواب برسيم المروج (او البرسيم العادي كما نسميه معظم الامم الاوربية) والثانية رسمه الحرف الذي بدل على النوع هكذا (*Partense*) .

(٣٨) ترجم لفظة (*Spore*) بما يلي : « بذرة النباتات خفية التزوج او عديمة الأزهار » قلت انني استعملت لها لفظة غبير والواحدة غبيرة . ووجدتها اخيراً في احد كتب الدكتور بوسنت . وهي على كل حال أرجح من ذلك التعريف الطويل العربي . وان كانت من الغبار .

(٣٩) سمى الجنس (*Viscum*) شجرة الدبق والدابوق . قلت الأرجح شجرة الهدالة (انظر ج ٤ و ٦ م ١٠ من هذه المجلة) وكانت يجب ان يذكر النوع (*Viscum album*) على الأقل .

(٤٠) لم يذكر جنس (*Diospyros*) وانواعه العديدة ومنها بلخ طرايزوت (مشمش اليابان ، كاكاي ، بلاكمينيا) وهي شجرة مثمرة مشهورة .

(٤١) لم يذكر مرض الجماع (الحماق ، البجلى) في الخليل المسمى (*Durine*)

وهو مهم .

(٤٢) لم أجد ذكر الكرسنة (*Vicia ervilia*) وهي من القطاني الدائمة .

(٤٣) لم يذكر جنس (*Styrax*) و جنس (*Cercis*) انواعاً . وكان من المفيد

ذكر النوعين الآتيين :

اللبني « الأهر » *Styrax officinalis*

الزمرريق *Cercis siliquastrum*

وهما مبذولان في لبنان خاصة .

(٤٤) قال ان الحشرة المسماة (*Sitotroga cerealella*) هي دودة الشعير .

من نباتات الفصيلة السننية « قطانية ، قرنية » التي نبتتها الطبيعة في لمروج . مع أنواع من الفصيلة النجيلية فتسمن عليها الخليل والماشية . وقد خصت لفظة النفل اليوم بنباتات الطربالان ولا يحول ما كتب عنها في المعاجم اللغوية دون ذلك .

قلت هذه الحشرة تسطو على حبوب الحنطة والشعير والذرة والشوفان وغيرها واسمها يدل على ذلك . فيجب إذن تسميتها بما يلي « نوع من سوس الحبوب » لانها ليست خاصة بالشعير . ولا يخفى ان أهم حشرات السوس التي تسطو على الحبوب في الانابير ثلاث وهي اولاً هذه التي نتكلم عنها ، ثانياً (*Calandra granaria*) وهذا النوع لم يذكره المؤلف بل اكتفى باسم الجنس وقال « جنس من خنافس الحبوب » . والأرجح « جنس من سوس الحبوب » . ثالثاً (*Tinea granella*) وهذا النوع ايضاً لم يذكره صاحب المعجم بل اكتفى بذكر الجنس فقال « تينسا — نوع من العث او السوس » والصواب « جنس فيه أنواع من العث وسوس الحبوب » .

(٤٥) ذكر في مقدمة المعجم في جملة المؤنثات السماعية الألفاظ الآتية وهي : « الصدر والضحي والرحم والجراد والمسك والسبيل » قلت لقد وسم المؤلف فان هذه الحروف تذكر وتؤنث . وكان يجب ان يشير الى ذلك . وذكر في جملتها ايضاً « الظهر » وهو مذكر لا غير .

هذه هي الاغلاط والنواقص التي عثرت عليها في جلستين وانا لا أدعي العصمة فيما كتبت كما انني لا أنكر ان صاحب المعجم ذو فضل كبير وان معجمه هو الاول في بابهِ لكنه يستحيل على فرد من الافراد اياً كان ان يؤلف وحده معجماً عملياً خالياً من الاغلاط والنواقص ولذلك كان يجب على الدكتور محمد شرف بك المحترم ان يشرك بمعمله الجليل ذوي الاختصاص بعلوم الزراعة والنبات والحيوان وغيرها فيكون معجمه خالياً من الشوائب وصالحاً لغير الاطباء ممن يراجعون المعجم لتحري الألفاظ المستعملة في تلك العلوم .

واذا سُميتُ هل معجم الدكتور شرف ثقة في المصطلحات الطبية فاني غير صالح للجاجة عن ذلك . اما من حيث المصطلحات الزراعية فأرى ان المعجم (طبعته الثانية سنة ١٩٢٨) كثير النواقص لا يفي باغراض تلامذة المدارس الزراعية وخريجيها فلعل المؤلف يتلافى هذه النواقص في الطبعة الثالثة .

مصطفى الشهابي
عضو المجمع العلمي

رسالة الكرم

« موضع الكرم »

الفردوس بالكسر الموضع تكون فيه الكروم مذكرو وقد يؤث . قال في اللسان والعرب تسمي الموضع الذي فيه كرم فردوساً . واهل الشام يقولون للكروم والبساتين الفرديس . ويقال كرم مفردس اي معرّش .

الجنة — الحديقة ذات الشجر والنخل والجمع جنان . وقال ابو علي في التذكرة لا تكون الجنة في كلام العرب الا وفيها نخل وعنب فان لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر لحديقة وليست بجنة كذا في لسان العرب ونحوه في التاج وفي المخصص فان كانت اشجاراً لا نخل فيها ولا أعناب فهي الحدائق وسائر النبات الرياض . وفي القرآن الكريم . (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان) . الحديقة كل ارض ذات شجر مثمر ونخل . وقيل الحديقة البستان والحائط وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب قال :

صُورِيَةٌ أُولَعْتُ بِاشْتِمَارِهَا نَاصِلَةُ الْحَيَةِ وَبَيْنَ مِنْ أَزَارِهَا
بَطَرَقَ كَلْبُ الْحَيِّ مِنْ حِذَارِهَا أَعْطَيْتُ فِيهَا طَائِعاً أَوْ كَارِهَا
حَدِيقَةُ غُلْبَاءٍ ^(١) فِي جِدَارِهَا وَفَرَساً أَنْتَى وَعَبْدًا فَارِهَا

أراد انه أعطاهما نخلاً وكرماً محدقاً عليها ^(٢) وذلك أن الخلل والنخل والكرم لانه لا يحدق عليه الا وهو مضمون به مُنْفِسٌ وانما أراد انه غالى بمهرها على ما هي به من الاشتهار وخلائق الاشرار . وفي اللسان . وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة وما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة .

والبستان بالضم الحديقة او الحديقة من النخل قيل انه عربي وقيل معرب بوسنان اي آخذ الرائحة ^(٣) سقطت الواو عند الاستعمال ثم توسع فيه حتى أطلقوه على الاشجار

(١) عظيمة متكاثفة . (٢) كذا في اللسان والتاج واهله من قولهم أحدق به اذا استدار وأحاط به . (٣) او مجمع الرائحة .

وفي التاج البستان هو حافظ البستان . وفيه أيضاً الناحي خادم البستان وفي التكملة هو البستانيان وفي اللسان الجوار الذي يعمل لك في كرم او بستان أكراراً . وقدم اعرابي من نجد بعض القرى فقال :

سقى نجداً وساكنه هزيم حثيث الودق منسكب يماي
بلاد لا يحس البق فيها ولا يُدرى بها مال البستانقاني
ولم يستب ساكنها عشاء بكشخان ولا بالقرطبات

فيل البستانقاني صاحب البستان وقيل الناطور .

الحائط الجدار والبستان من النخل اذا كان عليه حائط اي جدار جمعه حوائط . وجاء في الحديث (على اهل الحوائط حفظها بالنهار) يعني البساتين وهو عام فيها . وجاء في كتاب النخل والكرم المنسوب للأصمعي والمخصص لابن سيده وغيرهما اطلاق الحائط على الكرم وسبأ في ذلك . ويقال حوَّط كرمه تحويطاً بنى حوله حائطاً فهو محوَّط وفي اللسان . ويقال للارض المحاط عليها حائط وحديقة فاذا لم يحيط ^(١) عليها فهي ضاحية وفي التاج . الحاجر كرم مثنى ^(٢) وهو مطمان له حروف مشرفة تحبس عليه الماء وبذلك سمي حاجراً والجمع حُجْران . والحاجر الارض المرتفعة ووسطها منخفض كلمة حَجْر .

والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به كالحاجور .

جدر العنب حائطه جمعه 'جُدُور' والجَدْر والجدار الحائط وجدره يجدره جدرأ حوطه وجدره شيدته واجتدره بناء والجدر اصل الجدار والجدير المكان يبني حوله جدار ويقال للحظيرة من صخر جديرة .

« الوشيمة والحظيرة »

الوشيم حظيرة الشجر حول الكرم والبستان والجمع الوشائم . ويقال وشعوا على كرومهم توشيعاً . حظروا عليها بالشجر . ووشع كرمه جعل له وشيماً وهو ان يبني جداره بقصب او سعف يشبك الجدار به وهو التوشيع .

ويقال للوشيم السياج قال في اللسان السياج الحظيرة من الشجر تجعل حول الكرم

(١) كذا في اللسان . (٢) يقال ارض مثنى وانبتة اي سهلة منبث لبيت بغليظة .

والبستان وقد سيج على الكرم . ويقال حفر كرمه بالسياج وهو ان يسج حائطه بالشوك لئلا يتسور .

والخطيرة مأحاط بالشيء وهي تكون من قصب وخشب . وكل ما حال بينك وبين شيء فهو حظار وحظار وحجار والمخظر الذي يعمل الخطيرة واحتظر القوم وحظر واتخذوا خطيرة . والخطير الشيء المخظر به وقيل الشجر المخظر به وقيل الشوك الرطب ونه قولهم وقع في الخطير الرطب . اذا وقع فيما لا طاقة له به .
« الحفر والركايا »

الشربة بالغربك كالخويض يحفر حول الشجرة ويملاً ماء فيكون ربيها فتتروى منه والجمع شرب وشربات وشرب الارض والنخل جعل لها شربات .
الاجباب الركايا تحفر وينصب فيها العنب اي بغرس فيها كما يحفر للفسيلة من النخل الواحد جوب . والركايا جمع زكية وهي البئر تحفر من ركا الارض ركواً اذا حفرها حفرأ مستطيلاً . وفي اللسان ركا ركواً حفر حوضاً مستطيلاً .
الجبايا الركايا التي تحفر وتنبص فيها قضبان الكرم .

الفقر ركايا محفورة بعضها الى جنب بعض وينفذ بعضها الى بعض واحدها فقير وفي اللسان الفقير البئر التي تغرس فيها الفسيلة ثم يكبس حولها بترنوق المسيل وهو الطين وبالرمن وهو البعر . وقيل الفقير حفير يحفر حول الفسيلة اذا غرست . وفقروا الفقر بعضها الى بعض اي افضوا .

الجبنة الحفرة الواسعة المستديرة . وحفرة كل شيء وسطه ومعظمه . والجبنة خروق الدعام التي تحفر لها تحت الارض .

« طرق الماء »

الخطامة . القناة تكون في حوائط الأبناب والكرم . وقيل هي ركايا الكرم وقد أفضى بعضها الى بعض ونسأقت كأنها نهر . وكظموا الخطامة . جدروها بجدرين والجدر طين حافئها .

القنطرة الخرق الذي يدخل منه الماء الحائط (والقنطرة صنبور القناة) .
السرب خشبة جوفاء تجعل في القنطرة فيدخل منها الماء حتى لا يأكل الحائط وفي

التاج السرب القناة الجوفاء يدخل منها الماء الحائط .
الركيب مابين النهرين من الكرم او مابين الحائطين من النخل والكرم وفي المخصص
كل نهر من أنهار الكرم فهو ركيب والجمع رُكُوب . وفي اللسان الركيب المشاركة وقيل
الجدول بين الدبرتين وقيل هي مابين الحائطين من الكرم والنخل وقيل هي مابين النهرين
من الكرم وهو الظهر الذي بين النهرين وقيل هي المزرعة . وقال في : عرق : والركيب
النهر الذي يدخل منه الماء الحائط . والجدر والظهر مابين الركيبين من التراب المرتفع
ويقال لكل شطر من الركيبين سريرة والجمع السرايا وعراق الركيب حاشيته من ادناه
الى منتهاء والجمع أعرفقة .

في الرسالة المنسوبة للاصمعي ولا بد للحائط اذا لم تكن له كظامية (قناة) من ان يكون
فيه الأفجج والخأجج والفأجج والثعالب في أواسط الحائط وأعلاه اه .
والفلج مجرى السيل . والخلج جمع خلج وهو في الاصل : شعبة تنشعب من الوادي
تعبّر بعض ماءه الى مكان آخر . وما انقطع من معظم الماء لانه يجذب منه وقد اختلج .
ونهر في شق من النهر الاعظم وجناحا النهر خليجا . والفالج الساقية التي تجري الى جميع
الحائط . والفجان سواقي الزرع . والنباتات اعضاد الفجان واحدها فنبته . والثعالب
جمع ثعلب وهو يخرج الماء من جرين التمر . والجحر الذي يسيل منه ماء المطر .
ويخرج الماء من الدبار او الحوض .

والسري النهر الصغير كالجدول يجري الى النخل والجمع أمريرة ومُريان .
ولا بد من القصاب والقصاب ان تقطع فيه الثائل وتبنى بناء عراق الحائط بناء
مخلخلاً لا يجلب بالطين فاذا أراد ان يخرج الماء منه فلا تهدم الثائل . وعراق الحائط
أسفله يخرج منه الماء الذي يدخل الحائط .

والثائل الضفائر التي تبنى بالحجارة لتمسك الماء على الحرث واحدها ثائلة . وقيل
الثيلة الجدر نفسه . وقيل الثائل البناء الذي فيه الغراس والخفّض والوقائذ
(الخفض حجر يبنى به والوقائذ جمع وقيدة وهي الحجارة المفروشة) .

وفي اللسان القرابية مسناة تبنى في الأنهج كراهية ان يستجمع السيل فيوبل الحائط
اي يذهب به الوبل وينهدم عراقه . و .

وفي التاج القصاب ككتاب وفي نسخة ككتابة مسناة تبنى في اللحف بالكسر هكذا في النسخ وفي بعض الامهات في اللهج اهـ . واللحف اصل الجبل . وليس للهج في عبارة اللسان معنى . ولا للحف في عبارة التاج مناسبة . ولذلك قال بعضهم الصواب في اللحف بالجيم محرّكاً وهو محبس السيل . وحفر في جانب البئر . ولا يبعد ان يكون اللهج محرّفاً للفتح وقد تقدم انه مجرى السيل .

« العزق »

والحائط يعزق في كل سنة بالمعزقة والمعزقة لها شعبتان يجمعهما رأس واحد فيعزقونه حتى يذهب شجره ويكرب الحبل وانما يعزق في زمن الحطاب . وفي اللسان عزق الارض يعزقها شقها وكربها ولا يقال ذلك في غير الارض والمعزقة والمعزق (كككنسة ومنبر) الم من جديد ونحو مما يحفر به الارض وجمعه المعازق . وقال ابن بري : المعزقة ما تعزق به الارض فأشأ كانت او مسحاة او شكة وهي البهلة^(١) المعققة . وأعزق الرجل عمل بالمعزقة وهي المر الذي يكون مع الحفارين . وارض معزوقة اذا شقت بفأس او غيره .

« شجر الكرم »

الكرم كفلس العنب واحده كرمه . وقال الاصمعي يقال لشجر العنب الكرمه والحبل قال الشاعر :

اذا مت فادفني الى جنب كرمه نروي عظامي بعد موتي عروقها
وقيل الكرمه الطاقة^(٢) الواحدة من الكرم جمه كروم . والكرام كشداد حافظ الكرم ويقال له اللامص كما سيأتي . ويقال هذه البلدة انما هي كرمه ونخله يعني بذلك الكثرة .

و يقال للكرمة جفنة والجمع جفن يفتح فسكون فيهما . وقيل الجفن اسم مفرد وهو اصل الكرم يقال جفَنَ وتجنَّ الكرم صار له اصل . وقيل الجفن قضبانه او ورقه . قال الاخطل يصف خابية خمر :

(١) هكذا ذكرت في اللسان والتاج ولم أجد الشكة ولا البهلة بهذا المعنى .

(٢) الطاقة بمعنى الشعبة يقال طامة من ريحان او شعر وطاقة الحبل قوته .

آلت الى النصف من كلفاء أناقها عالج وكنتمها بالجفن والفسار
وقيل الجفن قشر العنب الذي فيه الماء وقيل ضرب من العنب واحده جفنة .
وقال الراغب سمي الكرم جفناً تصوروا انه وعاء للعنب . وقيل الجفن ما ارتقى من الكرم
في الشجر فتحفن فيه اي تمكن ولا يسمى بذلك غيره . ويقال للخمر ماء الجفن قال الشاعر
يصف ربي امرأة ويشبهه بالخمر :

تُحسبي الضجيع ماء جفن شابه صبغة البارق مثلوج تلج
أراد بماء الجفن الخمر . ويقال ايضاً شربوا ماء الجفن اي الكرم .

الحبة بفتح الحاء وبفتح النون ويجوز سكن الباء والحبة بضم ففتح الكرم وقيل الاصل من اصول
الكرم . والحبة طاق من قضبان الكرم . والحبة شجر العنب واحده حبة ونهي
الشرع عن بيع حبل الحبة بغير بكها اي حمل الكرمة قبل ان يبلغ . جعل حملها قبل ان
تبلغ حبلًا . وكان لأنس بن مالك حبة تحمل كراً وكان يسميها ام العيسال . وهي
الاصل من الكرم انتشرت قضبانها عن غراسها وامتدت وكثرت قضبانها حتى بلغ حملها
كراً (والكر ستون قفيزاً والقفيز ثمانية مكايك والمكوك صاع ونصف) .

الميس ضرب من الكرم ينض على ساق بعض النهوض لم ينفرع كله واليه ينسب
الزبيب الميسي كذا قاله سيف التاج . وفي اللسان الميس شجر عظام شبيه في نباته وورقه
بالعروب واذا كان شاباً فهو ابيض الجوف فاذا تقدم اسود فصار كالابنوس ويغلظ
حتى نتخذ منه الموائد الواسعة والرجال . ثم قال : قال ابن سيده واخبرني اعرابي انه
رآه بالطائف قال واليه ينسب الزبيب الذي يسمى الميسي . ولعل ما في التاج أقرب الى
الصواب .

الزرجون بالشوك شجرة العنب واحده زرجونة . قال دككين بن رجاء :

كان باليربأ المعلول ماء دوالي زرجون ميل

وقيل الزرجون قضبان الكرم ومنه قول الشاعر :

بدلوا من منابت الشج والايذ خر تيناً وياتعاً زرجونا

وقيل الزرجون القضيب بغرس من قضبان الكرم وأنشد :

اليك امير المؤمنين بعثتها من الرمل نموي منبت الزرجون

أراد بمنبت الزرجون الشام لأنها أكثر البلاد عنباً .
 وقال ابن سيده : فإذا تأصل واستحكمت نباته فكل أصل زرجونة وحبله وكرم وكومة
 وقال في موضع آخر فإن غرس الكرم من فضيبه فاسم الفضيب الشكير وجمعه شكير
 وهو أيضاً زرجونة وجمعه زرجون . ثم قال والحبل كالشكير وجمعه حبل .
 الحبة بالفتح بالخربك والهاء والحاء بك يحذف الهماء الأصل من أصول الكرم .

العوادي من الكرم ما يفرس في أصول الشجر العظام وأحدثه عادة . قال الأصمعي
 ويسمون كرم العنب الذي يفرس^(١) في أصول الشجر العظام العوادي وذلك أنهم يعمدون
 إلى المكان الكثير الشجر الظليل الذي قد النفت شجره الذي لا يخلو أصله من الظل ولا
 تصيب الشمس ما تحته فيسمونه الصار فإذا غرسوا الكرم تحت ذلك الشجر نسبوا كل شجرة
 من الكرم إلى الشجرة التي غطت عليها ولا يسمونها الحبل كما يسمونها في الحوائط ولكن
 يقولون عادة العتمة وعادة العرس وعادة الثومة ويسمون العوادي الجفن ومثله في
 الخصاص إلا أنه قال فيسمونه الضار بالضاد المعجمة وهو تصحيف والصواب الضار بالصاد
 المهملة . قال في تاج العروس والصار الشجر الملتف الذي لا تخلو أصوله من الظل
 لاشتباكه .

« اصطفاف شجره واتسافه »

السربف كأمر السطر من الكرم .
 السربة الصف من الكرم وكل طريقة سربة . وفي الخصاص السربة الطريقة من
 شجر العنب .
 وفي اللسان في مادة (ج ب) والشربة الطريقة من شجر العنب على طريقة شربه
 ولم يذكرها في مادة (ش ر ب) بهذا المعنى .
 السكة السطر المصطف من الشجر والتخيل . وقال الأصمعي العنب أصيل أي كثير
 أصلاً وفي التاج عن الأساس أن النخل في أرضنا لأصيل أي هو بها لا يزال باقياً لا ينفى
 ونحوه في اللسان .

(١) كذا في الأصل والصواب يفرس .

« النور والزهر »

النور بالفتح الزهر او الابيض منه . وقيل النور الابيض والزهر الاصفر وذلك انه يبيض ثم يصفر وجمعه أنوار . ويقال له النورة والنوار كزمان واحدته نُورَة ونور الشجر لنوياً وأُناَر اِنارة اخرج نوره وأناَر الشجر والنبات وانور ظهر وحسن .

الزهرة بفتح فسكون وبفتحين نور كل نبات والجمع زَهَر وازهار وجمع الجمع أزاهير ويقال أزهر النبات والشجر بالالف وازهرّ وازهاراً اذا نور وظهر زهره ويقال زهر النبات كفرح وكرم اذا حسن .

قال الأصمعي : أزهر العنب . وقد طار الزهر عن العنب وهو ان يخرج زهره اي نوره . وفي المصباح أزهر النبات خرج زهره . وزهر يزهر بفتحين لغة . وفيه قالوا ولا يسمى زهراً حتى ينفث . وقال ابن قتيبة حتى يصفر وقبل النفث هو برعوم . ويقال ابرأشقى الشجر اذا أزهر .

ويقال لفتح الائمة عن النور اي تشقت وكل ما انكشف عن شيء فقد انفتح عنه وانفتح . وفي اللسان وكل نور لفتح فقد انفتح وكذلك الورد وما أشبهه من براعم الأنوار .

الزَهو نور النبات وزهره واشراقه والنبات الناضر وزها النبات يزهر اذا نبت ثمرة وأزهي يُزهي اذا احمر او اصفر وقيل هما بمعنى الاحمرار والاصفرار .

الفعال كغراب نور العنب وشبهه . او الفعال ما ناث من نور العنب وفاغية الحناء وشبهه من كاهه واحدته قُعالَة . وأفعال النور انشقت عنه قُعالته وكذلك أفعال كاشمعل وأفعال الكرم انشقت قُعاله وناث . والافتعال نُخية القعال . واقتعله الرجل استنفذه في مده عن شجره . وفي المخصص واذا انتثرت اكمة الكرم فذلك القعال والافتعال جمعه واخذه . وزعم جماعة ان القعال بوز العنب .

الك والكامة بكسرهما غطاء النور والجمع أركمة وأكمام وركام بالكسر . وك الكبائس يكأها كُأاً وكأها تكأاً جملاً في اغطية تكنها كما تجعل العناقيد في الاغطية الى حين صرامها واسم ذلك الغطاء الركام . وفي اللسان لكل شجرة ثمرة كُوم وهو برعومته . وركام العذوق التي تجعل عليها واحدها كُوم . وفيه ايضاً وكُوم كل نور وعاقوه والجمع أكام

واكاميم وهو الكمام وجهه أكمة . وكتم الفسيل إذا اشفق عليه فستر حتى يقوى .
والكمة بالضم كل ظرف غطيه شبه شيتاً والبسته إياه فصار له كالغلاف . واکام الزرع
غلفها التي يخرج منها والكم غلاف الثمر والحب قبل ان يظهر .
ويقال للأكمة لباس النور . ولباس كل شيء غشاؤه .

قال اللسان : الكافور كم العنب قبل ان ينور . وقال ايضاً وقول العجاج كالكرم
اذ نادى من الكافور كافور الكرم الورق المنطى لما في جوفه من العنقود شبهه بكافور^(١)
الطلع (وهو وعاءه وقشره الاعلى) لانه بنفراج عما فيه ايضاً . وفي المصباح والكافور كم
النخل لانه يستبر ما في جوفه . وقال ابن فارس الكافور كم العنب قبل ان ينور لانه كفر
الوليح^(٢) اي غطاء ويقال له الكمة رنى .

وفي الناج والكافور زعم الكرم وهو الورق المنطى الخ ما جاء في عبارة اللسان ثم قال
وجمه كوافير وكوافر . والمشهور في جمع الكافور كوافير واما كوافر فانه جمع كافر كما
صرح به في اللسان وسيأتي عن المخصص ان البنائقي هي الكوافير اي الاغطية .
البرعم والبرعمة والبرعوم والبرعومة بضم الباء والعين وسكون الراء فيهن كم ثمر
الشجر والنور . وقيل هو زهرة الشجر ونور النبات قبل ان يتفتح وبرعمت الشجرة فهي
مبرعمة وتبرعمت اخرجت برعمتها والجمع البراعم .
القنبرة غلاف نور الشجرة مثل الخنبرة فنبعت الشجرة اذا صارت زهرتها في قنبرة اي غطاء .
البرهمة ويضم برعمة الشجر . وفي اللسان برهمة الشجر برعمته وهو مجتمع ورفه
وثمره ونوره . قال رؤبة : يجلو الوجود ورده وبرهمه .

البهرمة زهر النور . وبها روى قول رؤبة السابق وفي اللسان بهرمة النور زهره .
الحنة محرك نور العنب . وحبه بعد البرم وسيأتي .
الخنطة ريح نور الكرم وما أشبه مما له ريح طيبة وليست الشديدة الذكاء
طيباً . « للبحث صلة »

سليم الجندي

عضو المجمع العلمي

(١) قيل وعاء كل شيء من النبات كافوره . (٢) الوليع الطلع او الطلع قبل ان
يتفتح او ما في جوف الطلعة .

جامع التواريخ

نشوار المحاضرة او اخبار المذاكرة

- V -

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا عيسى احمد بن محمد بن خالد المعروف
 باخي صخرة يحدث ابي قال ما رأينا احسن رعاية من ابي القاسم عبيد الله
 ابن سليمان فمن ذلك ان اسماعيل بن ثابت المعروف بالزغل كان يتقلد لابي
 الصقر اسماعيل بن بلبل في وزارته طساسيج بادوريا وقطربل (١) ومسكن (٢)
 ونهر بوق (٣) والذنب وكلاوازي (٤) ونهرين (٥) فلفق على عبيد الله بن
 سليمان وهو اذ ذلك متعطل في منزله بعقب تقضي النكبة عنه ولزومه لبيته
 ثلاثة لاف درهم ذكر انها تجب عليه بادوريا في سنين من مظالم باطلة
 وبقايا غير لازمة وأحضر وكييله وطالبه بها فقال له أمضي والتقي بصاحبي
 ووافقته على الاداء فوكل به عدة من رجاله وانصرف . فصار الى عبيد الله
 وقال له اغرم للرجالة جملا ودافع بلمقائه يومين الى ان اطرح عليه من يسأله
 ترك المطالبة بان يقررها معه فخرج الوكيل وبذل للرجالة أوفر الاجمال
 فذكروا انهم لا يقدمون علي الافراج عنه خوفاً من الزغل وتكرار الكلام

«١» م ، ع : قطربل قرية في ضواحي بغداد كانت متنزهاً للباطالين وحانة للخمارين .
 «٢» م ، ع : مسكن موضع على نهر دجيل كانت به الوقعة بين عبد الملك ومصعب
 ابن الزبير . «٣» م ، ع : نهر بوق طسوج من سواد بغداد قرب كلاوازي .
 «٤» كلاوازي طسوج قرب بغداد لهج بذكرها الخلاء كثيراً . «٥» م ، ع : نهر بين
 ويقال له نهرييل طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق .

بينهم الى ان وثب حاجب عبيد الله بهم^(١) وحال بينهم وبين الوكيل وادخله الدار وانصرفوا فشكوا ذلك الى الزغل واسرفوا خوفاً منه ليقوم عذرهم بخفاء الزغل فأسرف اسرافهم وأضاف كل قبيح الى عبيد الله وشكاه الى الوزير اسماعيل وقال له انه لا يقدر على استخراج مال عليه الا بالمبالغة في مكروه عبيد الله والانكار عليه وجبسه بنفسه في الديوان حتى يؤدي ولا يقتدي به المتعذر. وكان اسماعيل من المداواة لعبيد الله والبغض له والخوف منه على محله بمنزلة عظيمة وفيه مع ذلك تشدد في نصرته العمل وجبرية في نفسه فاغتاز جداً فأحضرني ونامع ذلك^(٢) اتولى له ديوان ضياعه وتقدمته وتدبير الجيش برسمه ومنزاتي في الاختصاص به قوة فقال احضر هذا الجاهل عبيد الله بن سليمان وعرفه ما شكاه منه اسماعيل بن ثابت وان جرأه عليه الابعاد الى طنجة^(٣) وقبض نعمته وضياعه واني اعرفه بالمعجب والجهل ولولا ان الزمان قد كفاني اسقاطه باسقاط ابيه وصار الى منزلة ان عاقبته بما يستحقه جعلت له فيه سقاً — لما أخرت عقوبته ولكن قل له والله اولا تذممي لا أمرت بالاخير^(٤) ان يصفع من داره الى ديوان اسماعيل بن ثابت ويقام على رجله حتى يوءدي ما عليه ولا تدعه من الديوان اذ يحضر وكيله

«١» م، ع : كذا في الاصل والمعروف وثب عليه . «٢» لعله حينئذ . «٣» م، ع : كذا في الاصل : وفي معجم البلدان طنجة رستاق بخراسان قرب مرو . وطنجة بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء هي آخر حدود افريقية . ولعل الاصل وان جزاءه عليه الابعاد الى ٠٠٠ «٤» م، ع : الاخير . الادنى والارذل والمؤخر والابعد ويقال في الشتم ابعده الله الاخر والاخير .

وحاجبه فيسلمهما الى اسماعيل بن ثابت وتصرفه حينئذ ليطالبهما اسماعيل بما عليه . قال فخرجت وكتبت اليه رقعة استدعيه فيها الى الديوان دعوت له فيها كما يدعى من الديوان لمثله وهي سطران دعاء وترجمتها من ظاهرها لابي فلان من فلان وكان الكاتب يكتبها عني فلما عرضها عليّ زدت فوق الدعاء بخطي يا سيدي وكتبت من داخل الرقعة عبدك وانما أردت توفية الحق بذلك وستر الامر عن كاتبني لئلا يسمع اني خاطبته بتعظيم (١) فأقع في مكروه مع اسماعيل . وزدت في آخر الرقعة بخطي انه لا يجب ان يستوحش من شيء أتوسطه فاني أحوطه بجهدي وان سييله ان يحضر عشيأ ولا يتأخر فيطرق على نفسه امرأ عظيم . وأردت ان يحضر عشيأ ليكون مجلسي خالياً فأوفيه الحق ولا يحجى عدوه فان وفيت له الحق لحقني من الوزير انكار . وان قصرت تذممت اليه وراعت المواقب فيه . فجاءني في جواب الرقعة عشيأ فقامت اليه وكان هذا عظيماً محظوراً على مثلي وخاصة في الديوان وصدرته وجلست بين يديه وعرفته ماجرى من الزغل واعدت من كلام الوزير من الانكار والايعاد ما جعل لفظه ، وقلت قال اشياء أخر كثيرة قيحة عظيمة هائلة لا أستحسن تلقيك بها وأجل سمعك عن ايرادها عليك هذا أقاها وأحسنها . ومع ذلك فانه أمرني ان لا تبرح او تحضر الوكيل والحاجب ثم استأذنته في انصرافك . فأجاب على ان فعلت هذا ان يصير لك اعتقال ان خالفت ثم لا ادري اي شيء يتولد من طمعه فيك ولا اي

شيء ينجز عليك وأكون سببه ولكن اجعلني على ثقة من انفاذك الرجاءين اليه وانصرف لاعرفه ماجرى فان انكر علي انصرفك بغير اذن جحدته اني سمعت ذلك منه وكن على تحرز من غير ان يشيع ذلك الى ان يجيئك ثقتي بجلية الصورة فتعمل بها وبحسبها اما في الامن او الهرب . فشكرني وقال ما أطعم (١) ان اكافيك على هذا . وقام وقت بقيامه وودعته وقلت يا غلمان باسركم بين يديه . فخرج وانفذ الرجلين وتوقى توقياً ضعيفاً . ودخلت فعرفت الوزير الصورة وجلت القصة وأمرني بترك التعرض له وتسليم الرجلين الى الزغل . فأحضرت الزغل وسلمت الرجلين اليه وقلت له تقبل رأيي ؟ فقال قل : فقلت قد بلغت ما تريد فأحسن في الامر ما قدرت . فقال ياسيدي هذا ابطال العمل ولا بد من تقويمهما فجهدت به في الاحسان فلم يفعل وانفذ الرجلين الى باب عبيد الله فضربهما عليه كل واحد منهما عشرين مقرة وصفع الوكيل بعد الضرب خمسين صفقة واستخرج الدراهم ومضت السنون على هذا وفرج الله عن عبيد الله وتقلد الوزارة فاستترت لاجل اختصاصي باسما عيل الوزير وما التزم من جهته . وقبض عبيد الله على الزغل وكان اول من صودر من اسباب اسماعيل وعومل من المسكاره بما لم يسمع باعظم منه . ولم يتصرف في ايام عبيد الله الى ان مات وهو يتصدق (٢) واستترت انا اياماً فلم يعرض عبيد الله لعلابي ولا لشيء من داري وضيعتي

«١» لعله : اطمئني . م ، ع : الاظهر ما في الاصل لان المراد اظهار اليأس من

القدرة على مكافاته لا التعجب من الطمع في المكافاة .

«٢» م ، ع : تصدق بمعنى سأل ومعنى اعطى وانكر الاصمعي وغيره كونها بمعنى سأل .

ولا لاهلي ولا معاملي فأنتست بذلك وكتبت اليه بمد ذلك أسأل الامان
فأمنتني فحضرت مجلسه وهو حافل بالناس وبين يديه الخلق من اصحاب
الدواوين والقواد . فحين رأي قام الي قايماً تاماً فقبات رجله وقلت قباني (١)
الوزير أطال الله بقاءه وليس هذا محلي . فقال ولم ؟ مايفي قيامي لك بقيامك
لي لانك قتلي في وقت عرضت بقيامك لي نفسك ودمك ونعمتك وحالك
لذلك العدو لله . وعاملتني بما لف (٢) به شكري ولك كلما تحبه عندي ولن
يلحقك سوء في مالك ولا غيره قال ولج به المعتضد في مصادرتي وهو يدفعه
عني ويقول له اشياء يدفع بها عني لا اصل لها منها انه قال له هذا قد صدره
اسماعيل في ايام تصرفه معه دفعات وافقره على سبيل القرض وكانت له
نفقات عظيمة ومروءة وهو مع هذا عفيف لا يرتفق بشيء ولا يجاوز رزقه
ولا حال له فيصادر ولا طريق عليه . قال والمعتضد يلح فقال لي عبيد الله
ليس لك الا ان تبعد عن المعتضد حتى ينساك . فقلت الامر للوزير فقلدني
الخراج والضياع بقم وكتب الى صاحب المعونة يخدمني واخرجني على امر
يعظم . وطالبه المعتضد بالتزام مصادرتي فأعاد عليه القول . وقال احتجت
الى الاستعانة بكفائيته فأنفذته الى قم . فقال فلا بد من الزامه شيئاً هناك
فكتب بالصورة اليّ وألزمني عشرين الف دينار وعندي باخلافا علي .
فالتزمتها ولم يكن القول بها موءثراً في حالي . فلما أدت منها عشرة آلاف

«١» م ، ع : كذا في الاصل ولم نجد في معاني قبل ما يلاسم هذا المقام ولعلها محرفة
عن قيد . من قولهم قيده باحسانه .
«٢» لعله لم يف .

أسقط الباقي . وسأل المعتضد فيه فحطه عني وماعطاني الى ان مات . فسلمت
ونعمتي عليه . وكسبت معه نعمة ثانية انا فيها الى الآن بثمره ذلك الاحسان .
وهلك الزغل وبلغ الى الصدقة ومات في الفقر بثمره ذلك الشر .

ومن عجائب الدنيا وآياتها اشياء في سواد واسط : حدثني جماعة
منهم رجل يعرف بابن السراج وغيره ومنهم محمد بن عبد الله بن محمد
ابن سهل بن حامد الواسطي وجده ابو بكر محمد بن سهل كان وجهاً
من وجوه اليهود بواسط . ثم تقلد القضاء بها سنين دفعات فأثبت
ذلك بخطه محمد بن عبد الله عقيب هذا الكلام : شأهت على نحو من
فرسخ وكسر من رصافة الميمون (١) قرية من قرى النبط او الاكاسر
وتعرف بالحراوقله (٢) فيها آثار قديمة من بنايا جبر وجص وفيها قبة قائمة
كالحيسكل كانت قديماً وتمثال رجل من حجر اسود املس عظيم الخلق يعرف
عند اهل ذلك الصقع بابي اسحاق لانه يتعاطى قوم من اهل القوة شيله
فيسحقهم ويكسر عظامهم وقد قتل وأزمن خلقاً فيذكر اهل الموضع انهم
سمعوا أشياخهم يدعونه بذلك على قديم الايام وهذه القرية خراب
لا يذكر فيها عمارة قد كان احتمل هذا الحجر رجل يعرف بالجلندي كان
على حماية المأمون فعمد اليه وشد فيه الحبال وجره بالبقر الى ان بلغ به موضعاً
من الصحراء فأمسى فتركه في موضعه فلما أصبح عاد فوجده ناحية عن

«١» راجع كتاب المشترك لباقوت الحموي ص ٤١٣ .

«٢» كذا بالاصل : ولعله بالجبر او قلة .

الموضع الذي تركه فيه ون ذلك الحجر صار بالقرب من موضعه الاول وتركه والصرف . ثم احتمله بعد ذلك رجل آخر من اهل الرصافة على خلق من الحماليين يتناوبون عليه حتى أدخله الرصافة . فحضر اهل ذلك الصقع الذي كان فيه يصيحون ويقولون ان هذا يؤنس به في ذلك المكان وانا نأوي اليه في الليل فنأنس به ويمتنع عنا الوحش اذا كنا نقر به فلا يقربون ما يأوي اليه . فحملوه ثانية حتى ردوه الى موضعه الاول بعد ان بذل لهم الزجال حمله من الرصافة وكان على صدره وعلى ظهره وكتفيه كتابة محفورة قديمة لا يدرى باي قلم هي . وفي هذه البلاد قرية تعرف بقصبة نهر الفضل وهي تلهوار (١) بنحو فرسخين «من» تل يعرف بتل ريحا من البلاد القديمة فيها آثار وفيه حجر عظيم مربع له سمك كثير وهو كالسريير طوله تسعة اذرع في اذرع (٢) قد غاب في الارض اكثره وعليه تماثيل ونقش وكان صاحب تلهوار احمد بن خاقان أراد اقلاب (٣) هذا الحجر لينظر ما تحته فاحتفر حوله واجتهد ان يقدر على قلبه فلم يقدر على ذلك : انهم كانوا (٤) كلما احتفروا تحته ليتمكنوا من قلبه هوى الى الحفرة فاستغرق فيها فلما أعياه ذلك تركه على حاله . وفي موضع من (٥) الذي في

«١» م ، ع : كذا في الاصل وفي معجم البلدان تل هواره من قرى العراق . ونهر الفضل من نواحي واسط . «٢» م ، ع : كذا في الاصل .

«٣» م ، ع : اقلب بمعنى قلب وهي لغة ضعيفة .

«٤» لعله : لانه كان .

«٥» بياض بالاصل .

ظهر البطائح بين واسط والبصرة مما يلي الطفوف (١) من القبة العتيقة فيه خزانة يقال لها القارة يقال أنها من خزائن قارون . طولها اربعون ذراعاً والعرض مثله وارتفاعها اكثر من ذلك . مبنيّة بالقار والحصى والنوى وهي مجموعة الرأس لها باب ولا نقف لها على مدخل وكان رجل من ساكني تلهوار يعرف بعمر النجار أضاف رجلاً من المجتازين واكرمه فأحب ان يكافيه فأعلمه كيف الوصول الى هذه القارة وكتب له بذلك كتاباً أوقفه عليه وقال له تريد ان نستعين برجل كبير وأومى الى خاقان وابي القاسم بن حوط العبدسي (٢) وكانا رئيسي البلد فاعلهم ذلك فأعدوا له آلة لما يحتاج اليه من الفتح من مرور وآلات حديد وخشب وزيل (٣) وسلاليم (٤) واجرة سفن ورجال وغير ذلك ولزمهما عليها مع مؤن الرجال الوف دراهم كثيرة وأثبتا (٥) رجالاً كثيرة للحماية لان الموضع تطرقه القرامطة والبوادي ثم أخرجاه ومن معه من الرجال في سفن في البطيحة لان الماء اذا زاد في البطيحة يصير فيما بينه وبين هذه القارة دون الفرسخين فمضوا اليها . فحدثنا ابن لهذا الرجل المعروف بعمر النجار انه كان مع ابيه في الموضع

«١» م ، ع : الطف ما اشرف من ارض العرب على ريف العراق ، والطف طف الفرات اي الشاطي موضع بناحية الكوفة والجمع طفوف . «٢» غير واضح .

«٣» غير واضح . م ، ع : قال ياقوت عبدسي اسم مصنعة كانت برستاق كسكر خربها العرب وبقي اسمها على ما كان حولها من العمارة وفي التاج عبدس كمنبر علم .

«٣» م ، ع : زيل ككتب جمع زيل كأمر الققة او الوعاء .

«٤» م ، ع : جمع سلم وهو المرقاة .

«٥» م ، ع : كذا في الاصل ولعله بنا اي فرقاً ونشراً .

فوافي فمسح مما يلي مطلع الشمس من هذه القبة اربعين ذراعاً ثم احتفر
الموضع فظهر له حجر عظيم لا يقله الا الجماعة الكثيرة فلم يزل يحلج (١)
حوله حتى أخرجه واذا أزج (٢) عظيم كان ذلك الحجر عليه على بابه ولحقه
المساء فعمل على المباشرة لدخول الازج والوصول الى باب القبة فبات
ليلته ومن معه فلما كان من وجه الصباح حين يبدو الفجر سمعت الجماعة
تكبيراً وضجة ونظروا فاذا سيوف الخيل تبين من خلال الظلمة فناذروها (٣)
ولم يشكوا انها خيل القرامطة وتوجهوا نحو البطيحة والسفن التي لهم هناك
فلم يزلوا كذلك يتعادون الى ان أصبحوا وبان ماني الصحراء مما يحتاجون ان
يروه فلم يروا خيلاً فظنوا انها قد انصرفت عنهم فعادوا راجعين الى مواضعهم
فصادفوا عمر النجار مذبحاً في بعض الطريق ووافوا الى مواضعهم
فوجدوا أمتعتهم كما هي : ما فقدوا منها شيئاً . فاحتملوها واحتملوا عمر النجار
واصرفوا . وقيل انه لم يوجد الحجر ولا أثر الموضع الذي احتفروا . وقد
يحد الناس ممن يجتازون بذلك الموضع او يقصده - دراهم وجواهر حول تلك
الخربات والقبة وقد يأوي الى تلك الخربات النعام وتبيض فيها الخلوها وانقطاع
الناس عن الاجتياز بها الا في الحين بعد الحين .

رأيت بواسط شيخاً ذكر لي في شهر ربيع الاول من سنة ٣٦٣ انه قد

«١» م ، ع : يقال حلحل الشيء اذا حركه وأزاله ولعل الاصل يحلحل ما حوله .

«٢» م ، ع : الازج بيت بيني طولاً وقد ذكر علماء اللغة أن القنطرة أزج بيني ويعبر

عليه . «٣» م ، ع : كذا في الاصل ولعله تناذروها اي انذر بعضهم بعضاً وخوفه .

تجاوز الستين سنة وان مولده ومذشاه بالدح (١) قرية من سواد واسط
وان ابيه كان رجلاً من اهل البصرة من بني تميم وقد قديماً الى واسط ثم
استوطن السواد فولد هو فيه ونشأ الى ان بلغ ، فأحب العلم فرجع الى
البصرة وأقام بها وتأدب ثم دخل البادية فأقام بها نحو عشر سنين ولقي الناس
ووجدته يفهم من اللغة والنحو طرماً وهو شاعر من شعراء واسط المشهورين
ويلقب بسيدوك . وأخبرني هو قال قال لي ابو محمد المهلي وقد امتدحته
لما وزر : لم تسميت بسيدوك ؟ قال قلت لانه اسم رئيس الجن وانا رئيس
الشعراء . قال فقال لي أفتدري لم سمي سيدوك رئيس الجن بهذا الاسم ؟
قلت لا قال . بلغني انه انما سمي بذلك لان في الجن قبيلة يقال لها هلوكة (٢)
وهو سيدها فاستشفوا ان يقولوا سيد هلوكة (٣) فخففوها فقالوا سيدوك
والرجل كان يكنى ابا طاهر واسمه عبد العزيز بن حامد بن الحضرمي على
ما أخبرني .

وحدثني «٤» قال كنت يوماً بحضرة بمض لرؤساء في مجلس شراب
فرماني بنارنجة نصفها أصفر ونصفها أخضر . وقال لي قل في هذه شيئاً . فقلت
في الحال :

وطيبة النضر مسكية مرصعة بالتحايا «٥» العذاب
فاصفر في لون شمس المساء واخضر في لون قوس السحاب

«١» لعله : بالرحب . «٢» بالاصل يقال لهلوكة .

«٣» بالاصل سيدوك . «٤» بدائع البدائة لابن ظافر ٢ : ٢٢ .

«٥» في البدائع بالسجاية .

فلون ككوجنة مرعوبة ولون ككأثر نصول الخضاب
فهذا كمصة نحر (١) الحبيب وذلك ككاعل صرف الشراب
وأنشدني لنفسه أيضاً :

شربت حلاوة عيش الصبي وذقت مرارة فقد الشباب
فلا طعم اككره مما أغتدى خضابك مسهتر آمن خضابي (٢)
ولا شيء أعجب مما التقى نصول الخضابين يوم العتاب
اشارت الى قصص محذقات بالوان نيلوفرات طياب
وأنشدني نفسه :

ارى قسمة الارزاق أعجب قسمة كذي رعة (٣) مثر ومكد به الكد
فاحق ذو مال واحق معسدم وعقل بلا حظ وعقل به (٤) جد
يغم الغنى والفقر ذا الجهل والحجبي ولله من قبل الامور ومن بعد
وأنشدني لنفسه :

أظن بلية دهمت فوادي وأحسبها غزال بني سليم
والا لم بقيت فيعتريني يد آه ضائم من غير ضم
ولم عني اذا فقدته كانت كمين الشمس اذ غطيت بغم

حدثني ابو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله قال كنت مع ابراهيم
ابن نافع العقيلي المعروف بابن البارد الطوق وبعض العرب (٥) يباري الطوق

«١» في البدائع : خد . «٢» م ، ع كذا في الاصل . «٣» م ، ع كذا في الاصل والرعة
حسن الهياة . والاولى ان تكون دعة بالذال . وهي السعة في العيش والراحة . او هي
الرعية بكسر الراء الماشية الراعية . «٤» بالاصل بدي . «٥» لعله سقط : يسميه .

وكانت العامة تسميه ابن البارء الطوق . وخبروني انه سمي بذلك ابوه لانه ضرب رجلاً في عنقه طوق فبراهما (١) بالضربة قال وكان ابو اسحاق بن البارء هذا اذذاك امير نهر الايسر الذي بين رستاق البصرة والاهواز (٢) وهو اذذاك يليها من قبل معز الدولة . فورد عليه رجل قد هرب من القرامطة من بني عقيل يعرف بمختار بن فرناس وكان من حي ابراهيم من بني معاوية بن حزن . وكان في عنق المختار هذا طوق فضة . وكان سبب هربه على ما سمعت خلقاً من بني عقيل يخبرون بذلك اذذاك انه قتل اخاه وابن عمه لاجل ضيف أضافه وذلك انه كان مع الضيف مال صامت (٣) فأعمل اخوه على الغدر بالضيف واخذ المال منه فأعلم المختار بذلك (و) منعه واقتل بالسيوف فقتل اخاه فجاء ابن عمه يلومه وتخطبها الى ان تجاذبا السيوف وتخطبها فقتل ابن عمه ايضاً وسكن من نفس الضيف حتى لا يذعر ولم يكن له ما يطعمه تلك الليلة فغرق فرسه وذبحه واشتوى من لحمه واوقده حتى اصطلى به الضيف . فلما أصبح وارتحل الضيف خاف ان يبلغ القرامطة خبره فيأمر العريف باخذه واسلامه الى المحنة فهرب الى ابراهيم . فرأيت رسول القرامطة قد جاء الى ابراهيم فأخذه على صلح وامان ورجع الى حيه . ثم بلغنا انهم محنوه بعد ذلك تأديباً له . فما سمع برجل في زماننا من اهل البادية أشجع ولا أكرم ولا أدب منه ، والمحنة عند القرامطة انهم

(١) م ، ع : كذا في الاصل . وعليه يعود الضمير على العنق لانها قد تؤنت . وفي بري العنق بري للطوق . (٢) في معجم البلدان : كودة ورستاق بين الاهواز والبصرة . (٣) م ، ع : الصامت من المال الذهب والفضة والناطق منه الابل .

اذا نقموا على رجل استدعوه من حيه الى الاحسا بلدهم فطرحوه : امامقيداً
يكدي في البلد او سائساً للخيول او راعياً للغنم او الابل او ضربه وجددوا
عليه في كل يوم لوناً من العقاب . ولا يزال عندهم حولاً واكثر وربما
عاقبوه بالوان آخر فجميع ما يعملونه من التأديب يسمونه محنة .
النشدني ابو القاسم لنفسه :

اصدع صدر الرمح في صدر فارس واوقد ما يسبق من الرمح للضيف
واقطع سيفي في الطلى ثم انثني فاذهب عيري (١) بالبقية من سيفي
واني اصيف في الشتاء اذا آتى واني شتاء بارد الظل في الصيف
وما زلت صدر العلم صدر كتابه وقلب الوغى تاب عن الضيم والحيف
حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو جعفر محمد بن يحيى
ابن زكريا بن شيرزاد قال لما أخرج المقتدر هارون بن غريب الحال مع
مونس ونصر والقواد لمحاربة القرمطي حين وافى من زبارا (٢) عرضنا
الجيش لانه كان ديوان العرض الى صاحبي ابن الحال وكنت اكتب عليه
وعلى امره كله فأمره المقتدر بعرض الجيش بزبارا لئلا يكون قد اخلى (٣)
ممن جرد الى الحرب احد فتقدم اليّ ابن الحال بذلك فمرضهم فكانت
العدة من سائر الفرسان والرجال مع من جرد من الحجرية وخدم الدار

«١» م ، ع : كذا في الاصل والغير بفتح العين الحمار الوحشي وبالكسر الابل .
«٢» م ، ع : قال ياقوت في معجم البلدان زبارا موضع اظنه من نواحي الكوفة
ذكر في قتال القرامطة ايام المقتدر ولم يضبطه . «٣» م ، ع : اخلى الرجل انقرد واخلاه
غيره ولعله خلى اي ترك .

الذين وخمسين الف رجل مرتزقوا واحداً وخمسين. الشك من ابن شيرزاد وهذا سوى من تبعهم ممن لارزق له على السلطان وأما رزقه على صاحبه . قال ابو جعفر وكان قد تخلف ببغداد نازوك وعسكره برسمه ورسم الشرطة سبعة آلاف فارس وراجل وبقي في دار الخليفة ممن لم يخرج الف غلام من الحجرية والف خادم (١) اقل او اكثر ممن ترك لحراسة الدار وهذه المدة سوى من كان في النواحي من الشجن (٢) الا من استدعي ممن كان في السواد لمعاون بغداد مثل طريق خراسان وطريق دجلة وسقي الفرات وهذه النواحي القريبة .

حدثني ابو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي قال كنت قد ركبت مع نفر من بني قشير بالموصل فحملوني الى حي لهم بالبادية على ايام منها فأقمت في الحي شهوراً فكنت يوماً جالساً فرأيت فتى بدويّاً يسمى بعساف حدث (٣) السن حسن الوجه راكباً . فقال لي صاحب البيت هذا رجل من بني نمير وهو جار لنا وهو شاعر فيجب ان تسمع من شعره . فقلت نعم : فسأله النزول فنزل وذاكرته بالشعر فوجدته كثير الرواية لاشعار البادية في زمانه فما انشدني بيتاً اعرفه ولا نسب شيئاً مما انشدني الى شاعر اعرفه : متأخر او متقدم ووجدته لا يلحن البتة . وانشدني شيئاً كثيراً

«١» م ، ع : كذا في الاصل ولعله او اقل الخ . «٢» م ، ع : الشحنة من فيه الكفاية لضبط البلد او الكورة من جهة السلطان والرابطة من الخيل .

«٣» م ، ع : جمهور اللغويين يقولون حدث فان ذكرت السن قالوا حديث السن ونقل عن ابن سيده حدث السن وحديثها .

فعلق بحفظي من ذلك قصيدة استعذته اياها دفعات حتى حفظتها وقد شد
عني منها ابيات . قال وكان هذا في سنة ٣٣٦ واسم الشاعر عساف النميري .
قال ولا اعرف اسم ابيه ولا نسبه . والقصيدة :

نظرت واعلام السرية دوننا بعيني فتى صب يرى الهجر مغرماً
واشرف ركب يهلك الطرف دونه يظل به الحبشية (١) الحو جثماً
واكرهت طرف العين حتى كأتني (٢) ارى بفضاء الارض سترأً منمنماً
اذا القوم قالا واصح شيء (٣) حسبته اصم وعن رد المشورة اعجماً
دعاهن من نجد لحوران بعدما رمين بسهم الحب قلباً متنبها
تعرض (٤) لي يوم اللوى عن مشورة واودعن في ذات الوشاحين مرناً (٥)
وقلن اقتلن (٦) يا مليح فانه متى مارمى كانت مراميه (٧) حذماً
دماء الغواني عند ذا مستحلة فان نرم رشقاً (٨) نلق سهماً مسمماً
فابتدت على الابات وحفاً (٩) كأنه عند قيد عذاب تفرعن سلماً

«١» م ، ع : الحبشية ضرب من النمل سود عظامه واخو السود . ومن النمل نمل
حمر يقال لها نمل سليمان وجثم جمع جائم اي لا بد . والمعنى انه يتراءى له من كثرة تحديقته
في الركب خيالات نمل اسود بينه وبين الركب . «٢» بالاصل كانا . «٣» بالاصل سا .
م ، ع الصواب صح شيئاً وهو اقرب الى ما في الاصل . والمراد انه صح قليلاً من عشقه .
«٤» لعله تعرض . «٥» م ، ع كذا في الاصل والظاهر انه محرف عن مزعم اي
مطعم . يقال زعم في غير مزعم . طمع في غير مطعم . اي انهن اودعن فيها طعمهن
ونثقن في ان تكون هي العاملة على قتله . «٦» م ، ع كذا في الاصل والظاهر اقتليه
يامليحة . «٧» م ، ع المرامي جمع مرمة وهي السهم وحذما قاطعات . «٨» م ، ع يقال
رموا رشقاً واحداً اي وجهاً واحداً بجميع سهامهم . «٩» م ، ع الوحف الشعر الكثير
الحسن الاسود .

وجيداً كجمار «١» الفسيلة بزه من الليف جانيه وكان مكرماً
وعني غضيض الطرف من جدل (٢) المها كحيل المآقي قرنه حين كدماً
وابيض براق الغروب (٣) كأنه حصي برد همت به ان تبسما
قالت انا سمدي تبدلت بيننا صدوداً ومحمود المشيرة ضيفما
فقلت هنياً ذاك شيء يسرني غناها وان تلقى من العيش انعماً
ولكن سليني عن حراجيج (٤) ضمير سواهم (٥) يحذفن (٦) السريح المخدماً
وخرق (٧) كأن البق (٨) يلدغ دفها اذا المعجب الساري عليها ترنماً
وعن فتية شعث الهام (٩) رمى بهم هوي (١٠) المطايا مخرماً (١١) ثم مخرماً
سروا السننار هوين (١٢) وكلهم من البرد ما يبدي البنان المكهما
فلما اتونا جانب الحي عرسوا غرائي وما ذاقوا من الالمس مطمناً

«١» م، ع : الجمار شحم النخل . والفسيلة النحلة الصغيرة . «٢» م، ع : جمع جادل وهو ولد البقرة الوحشية وغيرها اذا قوي وتبع امه وكلم اي طلع من كمت النحلة اخرجت كلهما وهو دعاء الطلع وغطاء النور . «٣» م، ع : جمع غرب وهو الماء الذي يجري على الاسنان . «٤» م، ع : جمع حرجوج وهي الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الارض . «٥» م، ع : جمع ساهمة وهي الضامرة المتغيرة . «٦» م، ع : كذا في الاصل والصواب يحذفن السريح المخدماً . والسريح جمع سريحة وهي شبه نعال تلبسها اخفاف الابل . والسريح المخدوم هو المندود الى الخدمة وهي سير غليظ كالحلقة يشد في رسغ البعير قال الاعشى : (وطافن مشياً في السريح المخدوم)

«٧» م، ع : كذا في الاصل والصواب وحرف : وهي الناقة الشديدة ودفعها جنبها او صفحة جنبها . «٨» م، ع : البق عظام البعوض . «٩» م، ع : جمع لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن . «١٠» م، ع : اي سرعة . «١١» م، ع : جمع خرم وهو الطريق في الجبل والرمل . «١٢» لعله : هويًا .

جفشتهم قبل القرى وقريتهم قرى لم يكن ترراً ولم يأت مغنا
وماء قديم قد مضى دون عهده اوارده عشرون حولاً متمما
وعن شرب (١) شعث النواصي كأنها سراحين يحملن الوشيح المقوما
عليهن منا كل اروع ماجد كريم اذا ما عارض (٢) الموت اوسما (٣)
اخو حملات يعلم القوم انه ضروب بنصل السيف ضربا غشمشما (٤)
لحقت بهم جمع القطامي بعدما دنا من يسير (٥) الصبح ان يتسكما
غداة التقينا لا سفيرة بيننا سوى مخلصات (٦) تترك الهام افعما (٧)
يكر عليهم مخطفت (٨) كأنها صقور المضري كان للصيد مطعما
كأن على المشوين (٩) منا ومنهم عما ثم تسقى حالك اللون عندما
سلو قرن مرفوع (١٠) فقد كازا شاهداً غداة التقينا ايناً كان اكرا
للبحث صلة

١، م، ع : اي ضمير . ٢، م، ع : العارض السحاب المعترض في الافق .
٣، م، ع : كذا في الاصل وصوابه اوشم ومن قولهم اوشمت السماء بدا منها برق
واوشم البرق لمع لعمراً خفيفاً قال الشاعر : (حتى اذا ما اوشم الرواعد)
٤، م، ع : رجل غشمشم جري ماض لا يقنيه شيء عما يريد ، ويقال ضرب غشمشم
ومنه قول القحيف بن عمير :

لقد لقيت اقناء بكر بن وائل وهزان بالبطحاء ضربا غشمشما

٥، م، ع : كذا في الاصل . والصواب بشير الصبح اي المبشر به .

٦، م، ع : اي سبوف اخلصت اي جعلت خالصة قال الحصين بن الحمام

صفائح بصرى اخلصتها قبونها ومطر دأ من نسج داود مبهما

٧، م، ع : الاقعم الذي اصابه داء فقتله . ٨، م، ع : ضواصر ٩، م، ع : يقال
اشوى الرجل اذا اصاب شواء وهي جلدة الرأس . واليدان والرجلان . والاول هو
المراد . ١٠، لعله مدفوع .

الاستاذ جبر ضومط



أستاذ اللغة والآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية واحد أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق توفاه الله ليلة الاحد الواقع في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٠ في الثانية والسبعين من عمره بعد ان جاهد في خدمة العلم والادب واللغة العربية اربعاً وخمسين سنة ، وقد أقيمت له جنازة مهيبة وسير بنعشه مرفوعاً على اكف تلاميذه وعارفي فضله الى منتهى الجامعة الكبير حيث صُلي عليه ، ثم نقل الى سوق الغرب يشيعه موكب عظيم من زملائه وأصدقائه وتلاميذه ودُفن بكل احترام في مدفن أسرته .

(نشأته) — كانت ولادة الاستاذ جبر ضومط في ١٤ ايلول سنة ١٨٥٩ في برج صافيتا من اعمال طرابلس الشام من ابوين فاضلين ولكنه مالبت ان تُني بفقد والده وهو في الثانية من عمره فقامت والدته بتربيته وأحسنات فيها مع انه كان وحيداً لها . تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة المرسلين الاميركان - في مسقط رأسه ثم انتقل

منها الى مدرسة عبيه العالية ١٨٧٠ ودرس فيها سنتين متواليتين استعداداً لدخول المدرسة الكلية في بيروت وفي سنة ١٨٧٢ التحق بالقسم العلمي من هذه الكلية (بكية العلوم والآداب) ونال رتبة بكالوريوس علوم ١٨٧٦ وكان ممتازاً بقوة عقله ومقدرته على حل المسائل الرياضية .

(حياته التعليمية) — بعد ان أحرز البكالوريوس قصد حمص وعلم في مدرسة المرسلين الاميركية نحو نصف سنة ثم انتقل منها الى طرابلس الشام ونولي التدريس في مدرستي الاميركان العاليتين فيها مدة ثماني سنوات كات في خلالها بطالع مؤلفات الفيلسوفين هربيرت سبنسر وشارلس دارون وقد نشرت بعض مقالاته في ذلك العهد مجلة المقتطف والنشرة الاسبوعية في بيروت .

(أسفاره وأعماله فيها) — وكأنه سئم التدريس المتواصل وهو لا يزال في إبان شبابه وعنفوان طموحه فغادر طرابلس في سنة ١٨٨٤ الى الاسكندرية واشتغل مدة في إدارة جريدة المحروسة وترجم لها كتاب دفاع عن عرابي باشا لحام انكليزي . ثم برحها الى مصر وكانت بريطانيا العظمى في حاجة الى ترجمة للحملة السودانية التي عبأها لانقاذ غردون باشا ففتوح الاستاذ ضومط مع صديقه جرجي زيدان لهذه الخدمة وعينا ترجمائين في تلك الحملة وصحبها الى السودان وعادا في العام التالي بعد ان عانبا من اختبارات الحملات العسكرية وأهوالها ما عانياه — وما بقي اثره بليغاً في نفس الاستاذ ضومط أورثه الكره الشديد للسياسة الاستعمارية كل ايام حياته .

وأقام الصديقان جبر ضومط وجرجي زيدان في بيروت بدرسان العبرانية والسريانية استعداداً للاشتغال في إحدى جامعات اوربا . وسافرا الى انكلترا وأقاما في لندن مدة من الزمن يترددان الى المتحف البريطاني والى بعض مكاتب لندن الشهيرة . اما الاستاذ ضومط فقد كات من نتائج درسه لهاتين اللسانين انه وضع باكورة مؤلفاته كتاب « خواطر في اللغة » ثم عاد الصديقان الى الوطن للعمل بين اخوانهم .

(استئناف الخطه التعليمية) — كان الاستاذ ضومط قبل سفره الى بلاد الانكليز قد علم في مدرسة كفتين العالية للروم الارثوذكس بضعة اشهر فلما آب من سفره عاد الى وظيفة التعليم في هذه المدرسة ولازمها ثلاثة أعوام حتى انتدبته الكلية السورية

الانجليزية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) لادارة الدروس العربية فيها وكان ذلك سنة ١٨٨٩ على اثر استقالة سلفه الاستاذ المهندس يوسف افيموس . وقام الاستاذ ضومط بادارة الدروس وأعباء التعليم والتهديب خير قيام مع ما كانت يلاقيه مدرسو العربية من مشبطات الهمم سواءً أكان ذلك من اولياء الطلبة ام من الحكومة الحميدية في ذلك العهد .

وقدرت الكلية مواهبه العقلية وجهوده في التعليم فحفظه رتبة معلم علوم سنة ١٩٠١ ورفعت مقامه الى كرسي أستاذ اللغة العربية سنة ١٩٠٩ على اثر اعلان الدستور ونبه الحياة القومية في السلطنة العثمانية .

(مؤلفاته) — ومما يدل على مقدرة الاستاذ ضومط العقلية واجتهاده العلمي مع انه كان يلقي الدروس العربية بنفسه على الصفوف العالية و يقوم بالواجبات المدرسية المتعددة وكان رب أسرة كبيرة — فانه تمكن مع كل ذلك من وضع المؤلفات القيمة في الموضوعات التي درسها .

كانت باكورة مؤلفاته خواطر في اللغة — الكتاب الذي طبعه بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٦ وقد تناول فيه اكثر المبادي التي سارت عليها اللغة في نشوئها . قال الدكتور يعقوب صروف (في المقالة التي أعدها قبيل وفاته لتُتلى في يوبيل الاستاذ ضومط الذهبي) « المشتغلون بالعلم كثيرون ولكن قل منهم من يُبقي أثراً يذكر به . فالذين اشتغلوا بقواعد العربية منذ الف ومئتي سنة الى الآن يعدون بالمثلثات او الالوف ولكن قلما نذكر منهم غير سيبويه والمبرد والكسائي وابن جني وابن مالك وابن هشام وأمثالهم من الذين وضعوا قواعد الصرف والنحو . ومع ذلك فعمل هؤلاء كلهم مقصور على الجمع والتبويب وما منهم من يبحث عن اصل العربية وكيف نشأت كلماتها وتصار بفها . فاننا صرنا نعلم في هذا العصر ان لغات البشر التي تعد بالالوف كانت في زمن متوغل في القدم لغة واحدة قليلة الكلمات ثم تفرقت طوائف وكل طائفة تشعبت شعباً كثيرة ودخل المزج والنخت في كلماتها حتى بلغت مابلغته . وهذا شأن العربية — ولكنني لا أعلم ان احداً أطلق هذا البحث على العربية من ابنائها قبل الاستاذ جبر ضومط . . . والاستاذ ضومط تمكن من البحث في هذا الموضوع لمعرفة العبرانية والسر يانية . . .

ولو عرف الجبرية والحشية لژاد توسعاً في البحث وكشفاً للغوامض . فهو مثل ورثر وآيل في علم الجيولوجيا وتولد طبقات الارض ومثل لامارك ودارون في نشوء الاحياء وتولد بعضها من بعضها ، ومثل مندل في كشف ناموس الوراثة وتطبيقه على الاحياء . . فهل يقوم من تلاميذ الاستاذ ضومط من يعود الى هذا البحث ويكون متضلعا من العربية والسريانية ومن الجبرية والحشية والقبطية واليونانية واللاتينية والفارسية فيحيط اللثام عن تاريخ كل الكلمات التي في معاجمنا العربية ؟ » .

وألف كتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيانات وطبعه بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٨٩٦ ونحنا في تأليفه نحواً جديداً يلائم حال الطلبة في هذا العصر وما هم عليه من تعدد الدروس اليومية وانقلاب نسق التدريس من مجرد سماع شرح الاستاذ الى أمثلة معينة يكفون درسها بانفسهم واستخراج ما فيها من المعاني . وقد أكثر من الأمثلة والايضاحات والاعادات على ما يقتضيه الاسلوب التعليمي لكي يقرب لافهام الطلبة ما كان بعيد المنال عليهم .

ثم لم يلبث ان أردف كتاب الخواطر الحسان بكتاب فلسفة البلاغة وطبعه بالمطبعة العثمانية في بعيدا (لبنان) سنة ١٨٩٨ وقد حاول في هذا المؤلف ان يقرر المبدأ العام الذي تنتهي اليه كل قواعد البلاغة ولتشعب عنه جميع فروعها وضوابطها الكثيرة وهو الاقتصار على انتباه السامع وعلى التأثير فيه .

وكانت الحاسبة ماسة الى مؤلف جديد في علم النحو فنشط الاستاذ ضومط لسد هذه الحاجة ووضع كتاب الخواطر العراب في النحو والاعراب وطبعته المطبعة الادبية في بيروت . وقد أراد به ان يكون لفهم الطالب أكثر مما هو لحفظه ولتشثته التليد على الاعتقاد ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لا مستعصية عليه مستبدة به . وان آراء النحاة حتى المشهورين منهم ان لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه الى النقل او المعقول فيما يحتاج فيه الى العقل فهي مما لا يعتد به .

وما يدل على ما أحرز كتاب الخواطر العراب من المكانة عند أئمة اللغة كتاب بعث به الطيب الذكر المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية قال فيه يخاطب

الاستاذ ضومط — « قصرت في الاسراع الى شكرك لما أنجحت به اهل لغتك من ذلك الكتاب الذي تجلى فيه ذكاؤك واعتدال رأيك في أحسن صورة — كتاب لم تغتلك فيه فضيلة الابداع ، ولم لنقصك مزينة حسن الاتباع . اقلنت اثر سلفك في تجويد الرأي واحترام مقام العقل ، فلم يهبط بك التقليد الى ما يحبط بالعمل ويسقط من قيمة الكد في الجد . ثم ابتدعت في تركيب كتابك على ما هو أقرب الى الفهم وأدنى الى التقريب من حقيقة العلم . . . جزاك الله عن نفسك خير ما يجزى به عامل عن عمله ، وجزاك عن أهل لغتك أفضل ما يجزى به محسن عن احسانه . »

وكان كاتب هذه الرسالة بدرّس علم الصرف في الدائرة الاستعدادية من المدرسة الكلية في ذلك العهد وكان الاستاذ ضومط لا يزال ينوي تجميع مؤلفاته في علوم اللغة فانفقنا على وضع كتاب « فك التقليد » في علم الصرف وطبعناه في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٥ وقد قلنا في مقدمته اننا تطاولنا فيه الى الدعوى اننا مجتهدون لم نتبع ولم نقلد . وسواء أصبحت هذه الدعوى ام لم نصح فائسنا نذبه بها كذابين الى ان الاجتهاد في هذا الفن لم يزل بابه مفتوحاً لكل مؤلف . وحسبنا ان نذبه الخواطر الى هذه الحقيقة الراهنة ، فان اكثر الطلبة والمدرسين ان لم نقل كلهم يؤخذ من ظاهرها احوالهم انهم يعدون علم الصرف من العلوم التي أغلقت فيها باب الاجتهاد فما كُتِبَ فقد كُتِبَ لا يجوز لمؤلف ان يتطاول الى خلافة . وفي هذا ما فيه من جمود الفكر وجمود لغتنا العربية الشريفة على ما كانت عليه في علم أفراد قلائل منذ بضع مئات من السنين الى الآن . »

وكان آخر ما نشره الاستاذ ضومط بحث في من هو كاتب سفر التكوين وأجاب على سؤاله هذا بقوله هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لا موسى الكليم — بانكاراً به هذا على ما استنتجته من درس اسفار العهد القديم ولا سيما الاسفار الخمسة ونقد سفر التكوين وتحليله باعتبار ان يوسف كاتبه لا موسى .

وقد جمعت المقالات التي نشرها الاستاذ ضومط في مجلتي المقتطف والملال وطبعت معاً في كتاب واحد بمطبعة المقتطف سنة ١٩٢٩ تحت عنوان فلسفة اللغة العربية وتطورها .

(نقاعده عن التدريس ويوبله الذهبي) — وفي سنة ١٩٢٢ نقاعد الاستاذ ضومط

من أعمال التدريس فأطلقت عليه عمدة الجامعة لقب أستاذ شرف للغة العربية . وفي أواخر نيسان سنة ١٩٣٨ احتفل تلاميذه واصدقاؤه الكثيرون ببوبله الذهبي . اقاموا الحفلة في منسدى الجامعة الاكبر وشهدوا جمهور عظيم من وجوه بيروت وادبائها وفضلائها بنقدمهم رئيس الجمهورية اللبنانية واركان حكومتها . وتكلم في الحفلة فريق من زملاء الاستاذ وتلاميذه وتليت رسائل وبرقيات التهنئة من الكثيرين ممن لم يتمكنوا من حضور الحفلة . وناب عن المجمع العلمي العربي في دمشق الاستاذ فارس بك الخوري . ومما زاد في رونق ذلك البوبل ان نخامة رئيس الجمهورية اللبنانية قام في مستهل الحفلة وعلق على صدر الاستاذ ضومط وسام الاستحقاق اللبناني وقد اهدت اليه ايضا رئاسة حكومة سورية الجلية وسام الاستحقاق السوري .

(اخلاقه وصفاته العلمية) — تحلّى الاستاذ ضومط بصفات المعلم الصالح — امتلك ناصية الموضوعات التي كان يدرّسها بما خصه الله من قوى العقل الثاقب ومن الجهد في الاكباب على الدرس والنقصي في المسائل التي كانت يعالجها . اكنسب محبة تلاميذه واحترامهم بغزارة علمه وكرم اخلاقه — بلطفه في معاملتهم واخلاصه في ارشادهم وقد كان يجرّهم بحري بفيه . اختط لنفسه أسلوباً جديداً في التعليم وحبب الى تلاميذه درس العلوم العربية على صعوبتها . كان مع جرأته العلمية وديعاً متواضعاً بعيداً عن الدعوى لا يغمط حق زميل او يحاول الخط من كرامته اذا تحدّث عنه . كان ذا شخصية محترمة عالماً عاملاً بعلمه لا يكذب قوله فعلمه . وفوق هذا كله كان شديد الوطنية يحض الناس على التشبث بكل ما يعزز الوطن ويحفظ بمقوماته الادبية والاقتصادية والاخلاقية . وان في كثير من خطبه العمومية ومن المقالات التي نشرت في المجلات ما يؤيد ذلك . هذا غيض من فيض مما يجب ان يقال في أستاذنا الفقيه الخالد الذكروني ما خلف بعده من الاثر الباقي والسيرة الصالحة .

بيروت :

بولس الخولي

عضو المجمع العلمي العربي

نَجْوَى آدَمَ

رمت بآدم أبدًا ما أحيط بها
رمت به سيف عراء كله عجب
إني تلفت لم تأخذ نواظره
شمس تضاحك من علباء هامتها
وأنجم في كفاف الأفق لاهية
فقال آدم : ما للشمس باسمه
فما الذي في مجال الطرف بطربي
أم نظرة من رفيف الفجر ناعسة
أم نفثة من شفاء الورد ناعمة
أم موجة في عصف الريح صاخبة
أم هبة من نسيم البان لينة
هواي في شبح نشوان من مراح
أعطيه حبي وبعطني محبته
نشدو قوافي الهوى في ظل ألفنا

عن عالم مائج الظلماء غريب
فغار آدم في تلك الأعاجيب
الأنحاسين من شتى الأساليب
روضًا يمد برّان التماسيب
في أفقها بين تشريق وغروب
هيمات مائقة صبغوي وتمذيبي
أصحوه الجو أم دفع الشايب
كانها غمرة من عين محبوب
كانها فرجة عن صدر مكروب
كانها غصبة في وجه مغضوب
لناعم الخدّ في صبح وتأويب
ألهوبه في دجى ليلى وبلهوبي
تذوب في مثل في الحب مضروب
حياتنا في الهوى شعر المناسيب

وبينا آدم في خلوة قلبي
بهدد الغم عنه أو بقرّبه
أذروح حواء في عطفيه راضة
فيها من العالم المحبول أمثلة
فقال آدم لما هاج هائج
ما الموج ما الفجر ما الريحان من أربي
فما نفس هذا الورد في بحر

في جاحم من أحج الغم مشبوب
حيران في بعده عنه ونقريب
العوبة العين ، ويحك للأعيب
من كل فن وفيها كل أسلوب
مرحبًا بسناها أي ترحيب
لولاك لم ألفت للريحان من طيب
الا ليقتّر عنه ثغر رعبوب

يا دمية حجت عني محاسنها	حتى تذرفتُ حسناً غير محبوب
كأنما وهبتك الشمس رونقها	يا خير موهبة في خير موهوب
ألقى شعاعاً على عينيك مؤلفاً	بريق عينيك مأمولى ومرهوب
هذي الروائع فيها الحس منقذ	إذا نعتُ فلم أنعم به كذوب
غداً كصفوح اليم مانحة	تكاد تلغ في سود الغرايب
وبسمة كحفيف الروض مائدة	تحنو على لرب الاشتجان مشجوب
حتى نسل من الملهوف لهفته	فلست تلقى عليه ظل نقطيب

* * *

هيهات ما ملأت عيني ولا أذني عوالم حسنها حس الأناصيب
 شفيق جبري
 عضو النجم العلمي



آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع

« من كتاب نهاية الارب »

نشرت مجلة المجمع العلمي سنة ١٩٢٩ فصلاً^(١) ممتداً للاستاذ المغربي عن تصحيح الجزء السابع من كتاب نهاية الارب الذي تقوم بنشره دار الكتب المصرية ، وقد أورد الاستاذ في هذا الفصل طائفة من عبارات هذا الجزء وذكر ان التعبير في بعضها صواب ، وفي البعض الآخر أصوب ، ونحن مع شكرنا الخالص لحسن جهاده وفضل اجتهاده ، نرى ان نبين له وللقراء والادباء وجهة نظرنا في هذه العبارات التي اعتبرها خطأ واعتبرناها نحن صواباً خدمة للعلم وتعميماً للبحث :

(١) - جاء في ص ٣ س ٥ من هذا الجزء (اتى صلى الله عليه وسلم بما أعجز البلغاء ، وأخرس الفصحاء ، وفلّ حد المؤرخين) اهـ . وقد أراد المؤلف بقوله : (وفلّ حد المؤرخين) انه قد ذكر في القرآن من انباء القرون الاولى ، وقصص الانبياء والرسل الماضين ، وأحوال الامم السالفة ما لا علم به للقصاص وأصحاب الاخبار من علماء الاديان الأخرى الذين كانوا في هذا العصر ولم يمكنهم الوصول الى معرفته قبل القرآن ، وقد عدّ الله سبحانه وتعالى ذكر تلك الانبياء والقصص من وجوه الإعجاز في كتابه ، ودليلاً من الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى في سورة هود : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) .

ذلك ما فهمناه من كلمة : « المؤرخين » في عبارة المؤلف ، وذكر الاستاذ ان صواب

(١) نشرت هذا الفصل في مجلد السنة التاسعة (ص ٣٨٥) وفيه ٦٤ تصحيحاً وقد ناقشني الاستاذ صاحب هذا المقال في صفحة نصفها وسكت عن الباقي . ولم أر لزوماً لإعادة القول فيما ناقشني فيه لظهور امره .

« المغربي »

العبارة : (وفلّ حد المعارضين) واحتج لذلك (بانه لم يكن في بلاد العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مؤرخون) اه . ونحن نقول : ان الذي كان غير معروف في بلاد العرب انما هي التسمية بالمؤرخين فقط لأنها تسمية ظهرت في العصور الحديثة ، اما العلم بمسمى التاريخ وهو القصص والأخبار فذلك كان معروفاً لديهم ، شائعاً بين علماء الأديان في هذا العهد ، وبدل على ذلك ما ذكره الله تعالى في كتابه حكاية عن الكفار في تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) وإذن فلا نرى مقتضياً لتغيير كلمة (المؤرخين) الموجودة في الأصل (بالمعارضين) مع ظهور المعنى السابق وبعد الثانية في رسم الحروف من الاولى وان كان المعنى يستقيم بها ايضا .

(٢) - وجاء في (ص ١٩ س ٦) بعد ان أورد المؤلف قوله تعالى : (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم) قال : (فوصف نفسه تعالى جدّه بان علم بالقلم كما وصف به نفسه بالكرم) اه كلام المؤلف ويريد بهذه العبارة انه كما وصف نفسه تعالى بالتعليم بالقلم وصف نفسه بسبب ذلك التعليم بانه كريم ، فالباء في قوله : « به » للسببية والماء ضمير يعود على التعليم بالقلم ، وإذن فقوله : (به) غير زائد ولا حشو وليس من الصواب إسقاطه كما رآه الاستاذ ، بل لو أسقط لضاع بذلك معنى في العبارة لا يؤدى الا به .

(٣) - وجاء في (ص ١٩ س ٦) (واعتدّ بذلك من نعمه العظام) قال الاستاذ : صوابه : (واعتدّ ذلك) بإسقاط باء الجر ، واحتج لذلك بان (اعتدّ) هنا بمعنى (عدّ) وهو (يتعدى بنفسه) اه كلام الاستاذ : وأقول : ورد في المصباح المنير انه يقال : اعتدّدت بالشئ على افتعلت ، اي ادخلته في العدّ والحساب ، والشئ معتد به ، اي محسوب غير ساقط اه كلام المصباح ، وعلى هذا فإثبات الباء في قوله : (بذلك) صحيح لا خطأ فيه ، لان اعتدّ كما يتعدى بنفسه يتعدى كذلك بالحرف .

(٤) - وجاء في (ص ١٩ س ١١) في ذكر الدواة وما يجب على الكاتب من اصلاحها ، قال : (فلينم ربها واصلاحها) اه . وقوله : (ربها) بالياء الموحدة يحتمل معنيين اولها انه مصدر قولهم : رب فلان الامر اذا أصلحه وأحسن القيام عليه ، يريد انه يجب على الكاتب ان يتعمد دواته ويحسن القيام عليها بسائر ضروب التحسين ، وإذن فيكون

عطف الاصلاح عليه من قبيل عطف التفسير وثاني المعنيين ان المراد بالرب هنا : التطبيب يقال : رب فلان الدهن اذا طهيه ، وقد كان بعض الكتاب كالحسن بن سهل وغيره يطيبون دوائهم بالمسك وغيره من انواع الطيب وعلى هذا فقله (ربها) صحيح لا بعد فيه ولا تكلف ولا ينبغي لنا ان نغيره الى ما اختاره الاستاذ من اثباتها بالياء المثناة للتخية مادام الاصل مستقيماً .

(٥) — وجاء في (ص ٢٥٥ س ٢) في صفة الافلام : (نفصح باود القدود) اه . ذكر الاستاذ ان صوابه (نفصح اود) الخ ونقول انه يريد بقوله (نفصح باود القدود) ان هذه الافلام تحاكي القدود محاكاة تامة حتى كأنها تهرع عنها تهرباً فصيحاً لمن يراها وهذا أبلغ في التشبيه وأدق في أدائه ، فان هذه العبارة تتضمن تشبيهين : احدهما تشبيه الافلام بالقدود ، وثانيهما تشبيه تلك المشابهة بتعبير اللفظ عن المعنى في وضوحها ودلائلها على ان هذا التعبير قد ورد في الشعر ، قال الشاعر :

وطرف يترك الأبطال صرعى بلا جرح ويعبث بالحلوم

ووجه مفصح بالصبح تبدو على قسماته سجا النعيم

(٦) — وجاء في (ص ٣٧ س ٧) في الكلام على اللفظ المجازي وسبب تسميته مجازاً ما نصه : « وصف بانه مجاز على انهم قد جازوا به موضعه الاصلي او جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولاً لانه ليس بموضع اصلي لهذا اللفظ ، ولكنه مجازه ومنعدها يقع فيه كالواقف بكان غيره » اه كلام المؤلف . ويقول الاستاذ : « ان صوابه (يقف فيه) بالفاء بدل (يقع) بالعين المهملة » اه ونقول : ان الوقوع هنا بمعنى الحصول ، والمراد ان الكلمة المجازية حين استعمالها في غير ما وضعت له قد وقعت اي حصلت في غير مكانها الاصلي ، وكثيراً ما يستعمل الوقوع بالعين وصفاً للألفاظ فيقال : هذه كلمة وقعت موقعها وهذا اللفظ وقع في موقع هذا ، ولم نجد استعمالوا في ذلك الوقوف بالفاء فلم يقولوا : هذه كلمة وقعت في مكانها او وقعت موقف كذا ، واما قول المؤلف بعد ذلك (كالواقف في موقف غيره) فهو تشبيه للتقريب المعنى .

(٧) — وجاء في (ص ٦١ س ١٤) في الكلام على الفرق بين الاخبار بالاسم والاخبار بالفعل بان الاول يفيد الثبوت بخلاف الثاني ما نصه : « بل جعل الانطلاق

او البسط .مثلاً صفة ثابتة ثبوت الطول او القصر « انخ كلام المؤلف ، قال الاستاذ : « صوابه (بل جعل البسط) باسقاط كلمة (الانطلاق) » اهـ . ونقول : ان إسقاط كلمة كهذه من الاصول التي بين ايدينا بدون حجة قوية لإسقاطها امر خطير لا يصح ان نرتكبه ، والا فقد اخللنا بالأمانة الواجب على الصحيح مراعاتها ، ومع ان المصادر التي بين ايدينا لهذا الكلام قد تضافرت على اثبات هذه الكلمة فان المعنى على اثباتها مستقيم لا غبار عليه . واما احتجاج الاستاذ لرأيه بانه لم يسبق في كلام المؤلف مثال فيه وصف بالانطلاق ، فهو احتجاج لا يسوغ لنا إسقاط هذه الكلمة لجواز ان يكون المؤلف قد اكتفى عن ذكر هذا المثال بالبيت الآتي بعد هذه العبارة وهو قوله :

لا يألف الدرهم المضروب صرنا لكن يمر عليها وهو منطلق
واما استظهار الاستاذ ان يكون هذا البيت كان مقدماً في الكلام ، وقد أصره
فيمعنه ان ارتباط الكلام وآساقه من اول الفصل الى هذا البيت لا يجعلنا نشعر بان البيت
في غير موضعه بل اننا لا نجد في الكلام السابق موضعاً يصح ان يكون هذا البيت فيه .
(٨) — وجاء في (ص ٩٧ س ١٦) هذا البيت :

حدا بابي ام الرئال فأجفلت نعمانته من عارض متلب
وقلنا في تفسير لفظ (المتلب) ان معناه المتخزم بالسلاح ، يريد المتجهي للحرب ، وقد
قلنا هذه الكلمة عن كتاب حسن التوسل اذ كان لفظها في الاصل محرفاً ، وقد اعترض
الاستاذ على هذا التفسير « بان (المتلب) بهذا المعنى لا يناسب ان يكون صفة للعارض
فان العارض هو السحاب المعترض في الأفق » واستظهر « ان لفظ العارض محرف عن
كلمة (الفارس) واذن يستقيم الوصف » اهـ كلام الاستاذ . ونقول : ان العارض هنا
معناه الجيش تشبيهاً له سيفه كثرته وكثافته بالسحاب المتراكم في الأفق ، وهو جيش
المهلب بن ابي صفرة الذي كان يقاتل قطري بن الفجاءة ، وقد شاع بين الشعراء استعارة
لفظ العارض للجيش ، ومنه قول الهذلي يرثي اهل أنف عاذ :

من الأسمى اهل أنف حين جاءهم جيش الحمار ولاقوا عارضاً بردا
يريد ولاقوا جيشاً كالعارض الكثير البرد ، واذن فوصف العارض بالمتلب مستقيم
لا غبار عليه من النقد ولا ينبغي ان نستبدل لفظ (العارض) الوارد في الاصل : بلفظ

(الفارس) كما رآه الاستاذ مع استقامة المعنى على الاول ، وبعد الكتبتين في رسم الحروف من بعضهما .

(٩) — وجاء في (ص ١٢٥ س ١١) في الكلام على عتاب المرء نفسه ، قال المؤلف : « ان هذا النوع من أفراد ابن المعتز ولم ينشد عليه اي ابن المعتز سوى بيتين ذكران الآمدي انشدهما عن الجاحظ » اه كلام المؤلف . وقد كتبنا على قوله : (الآمدي) مانعه : « كذا في الاصل وحسن التوسل ، والذي يفيد تحوير التعبير وخزافة الأدب للحموي : (الأسدي) ولم نقف فيما بين ايدينا من المظان على ما يرجح احدي الروايتين) اه وقد اعترض الاستاذ على شكنا هذا في انه : (الأسدي) او (الآمدي) ورجح ان يكون المنشد هو (الأسدي) واحتج لذلك « بان الآمدي وهو ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى قد توفي بعد ابن المعتز بزمان بعيد » اه . ونقول : اننا لم نشك هذا الشك الا بعد ان راجعنا كتب الأدب التي بين أيدينا والمعاجم التي اشتملت على اسماء الرواة فلم نقف على من ينسب الى بني أسد من رواة الشعر والاعخبار ونحن مع علمنا بان ابا القاسم الحسن بن بشر قد توفي بعد ابن المعتز بزمان بعيد فليس ذلك مزبلاً لشكنا لجواز ان يكون الذي أنشد البيتين رجل آخر غير ابي القاسم ينسب الى (آمد) فان (آمد) من البلاد التي ينسب اليها خلق كثير من اهل العلم ، في كل فن كما في باقوت .

(١٠) — وجاء في (ص ١٨٦ س ٨) قال المؤلف : « وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل نسأل الله » الخ كلام المؤلف ، وقد اعترض الاستاذ على قوله (بمثل) بان الباء زائدة ورأى ان الصواب إسقاطها محتجاً لذلك بان (مثل) خبر لقوله (يكن) اه . ونقول : وما المانع من ان يكون قوله : (بمثل) متعلقاً بمحذوف خبر لقوله (يكن) وفي كتب الفخوات الخبر كما يكون مفرداً يكون جملة وشبه جملة كذلك ويريدون بشبه الجملة الظرف والجار والمجرور وإذن فيكون تقدير الكلام « وليكن ما تختم به فصولك مقترناً بمثل (نسأل الله) الخ يقول : « انه يتعين على الكاتب في ختام رسائله في التعزية مثلاً ان يقرنه بالدعاء المكتوب اليه ان يدفع الله عنه المحذور ، ويصرف عنه المكروه » الخ وقد بني الاستاذ تقدمه على ظنه « ان الباء في قوله : (بمثل) زائدة فقال :

(ان هذا ليس من المواضع التي تجوز فيها زيادة الباء) اه وليس كذلك كما بينا ، فان الباء اصلية في الكلام .

(١١) — وجاء في (ص ١٩٥ س ١٠) يصف استسلام عدو : (فلأذ بالالتجاء إلى سلمنا ، وعاذ باسناد الرجاء الى كفنا عنه وحملنا) الخ وقد ضبطنا (اسناد) بكسر المعزة وهو مصدر قولك : أسندت كذا الى كذا اذا جعلته متكئاً له ومعتمداً ، يريد الكاتب بهذه العبارة ان ذلك العدو قد عاذ من بأسنا بان أسند رجاءه الينا اي جعل حملنا متكئاً لرجائه ، ومعتمداً لآماله ، وقد اعترض الاستاذ على ضبط (اسناد) بكسر المعزة وقال : « ان المعنى لا يستقيم عليه واستصوب ان تكون (اسناد) بفتح المعزة على انه جمع (سند) وهو ما يلتجئ اليه الخائف من حائط او جبل او نحوهما اه . ونقول : ان قول الكاتب بعد : (الى كفنا عنه) يؤيد ما أثبتنا كما يمنع ماراء الاستاذ ، وقد اعترف هو بذلك ، ويرجع ما أثبتنا ايضاً مقابلته الاسناد في هذه الجملة بالالتجاء في الجملة السابقة ، فكنا انكبتين من واد واحد ، فاذا صح ان يلوذ العدو بالالتجاء وهو مصدر صح ان يعوذ باسناد رجائه اذ لا فرق بينهما ، على ان الكاتب لا يريد بالالتجاء والاسناد معناه المصدرية ، وهو نفس الحدث بل يريد المعنى الحاصل به ، والفرق بينهما في كتب القواعد مشهور .

(١٢) — وجاء في (ص ١٩٩ س ١٧) في وصف مارق بمالي الاعداء : « وجرّ لنفسه بموالاة النصار عناء كآب عنه في غنى ، وأوقع روحه بمظافرة المغول سيف حومة السيوف التي تحطفت اولياءه من هنا ومن هنا » الخ . قال الاستاذ : قوله (بمظافرة) لعل صوابه (بمضافرة) بالضاد مصدر ضافره اذا عاونه اه . ونقول : وكذلك (المظافرة) بالظاء مصدر ظافره اذا ناصره ، وهو مشتق من الظفر بفتح الظاء والفاء وهو النصر ، فمعنى المظافرة ، المناصرة ، وهذه الكلمة وان لم ينص عليها في كتب اللغة مادة (ظفر) الا ان صيغة المفاعلة قياسية في كل فعل يراد جعله مشتركاً بين اثنين كما نص على ذلك في كتب القواعد ، واذ قد نصوا على قياسية الصيغة فلا موجب لتدريج أمثلتها في كتب اللغة .

(١٣) — وجاء في (ص ٣٠١ س ٨) ذكر المؤلف « انه يجب أن يراعى في التقاليد والمناسير والتواقيع امور : منها براءة الاستهلال بذكر الرتبة او الحال او قدر النعمة »

الخ . والمراد بالحال هنا الصفة التي يتصف بها من صدر له التقليد او التوقيع كالخبرة بفنون الحرب حتى استحق ان يقلده الملك قيادة جيشه ، او الخدق بالامور الحسابية حتى استحق ان يجعله الملك على ديوان خراجه ، او العلم الواسع بالفقه وأحكام الشريعة حتى كان املاً لأن يتولى القضاء او الافناء مثلاً ، ذلك ما فهمناه من كلمة (الحال) بالخاء المهملة . وقد قال الاستاذ : « لعل صوابه (المال) بالميم ، واحتج لذلك بان توافيق الملوكة كما تصدر بالرتب تصدر كذلك بالمال اه . ونقول : اذا صح المعنى على الاولى فلا موجب لتغييرها بالثانية مادام الاصل مستقيماً لا عوج فيه .

(١٤) — وجاء في (ص ٢٠٤) « وأظلت على الاعداء سيوفنا التي هي على من كفر النعمة دعوة نوح » الخ . يقال : أظله الشيء اذا غشيه كما في القاموس ، يريد الكاتب بهذه العبارة ان السيوف قد غشيت الاعداء فأبادتهم كما أبادت قرم نوح دعوته عليهم ، وقد استصوب الاستاذ ان تكون الكلمة (وأظلت على الاعداء) الخ بالطاء المهملة واحتج لذلك (بان الايظلال بالطاء المحجمة للرحمة اما السيوف لا نظللهم برحمتها) اه . ونقول ان تفسير اهل اللغة الايظلال بالغشيان عام ليس مقيداً بالرحمة او العذاب ، على ان الظل ، وهو اسم الايظلال قد ورد استعماله في العذاب ايضاً كما ورد استعماله في الرحمة . قال تعالى : « الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب » واذا سلمنا ان الايظلال يستعمل في الرحمة فلم لا يكون استعماله هنا في العذاب من قبيل التعميم الذي يستعمله البلغاء كثيراً على حد قوله تعالى : « فيشهرهم بعذاب اليم » ويقول الاستاذ (ان فعل الايظلال يتعمد بنفسه لا بالحرف) ونقول (ان هذا الفعل يتعمد « بعلي » ايضاً) فيقال أظل عليه ، كما يقال (أظله) كما في كتاب أقرب الموارد .

« للبحث صلة »

مصححه

احمد الزين

مطبوعات حديثة

الامتيازات الأجنبية

« تأليف محمد عبد الباري »

(الامتيازات الأجنبية) — علة الشرق عامة ، والدول الإسلامية منه خاصة . كانت منحة الكرم المضيف ، قلدها عنق المضيف الضعيف . فمادت مع الأيام غلاً في عنقه ما يستطيع منه فككاً ، ولا يطيق معه حراكاً .

وليس يعرف شر هذه الامتيازات ، الا امرؤ قضى عليه نكد الطالع ان يعامل في بلده اجنبياً سيئ المعاملة شرس الطبيعة ، او آخر عانى القضاء ، وكان احد الخصمين في احدى قضايا اجنبية ، فهناك القانون مدوس ، والحق مضاع . فلا أوراق تبلغ ، ولا مجالس تعقد ، ولا أحكام تنفذ — ان هي نفذت — الا بشق الأنفس ، وبعد السنين الطوال .

فليس عجباً بعد هذا ان لا تعد في الدول المستقلة دولة ترهقها هذه الامتيازات ، ولا غريباً ان يكون هم الدولة اول ما تستقل ان تفلت من ربة هذا القيد مها كلفها الامر . ومن لم تستطع من الدول غلاباً ، كما فعلت تركيا والفرس والافغان والصين واليابان ، حاولته طلاباً ، كما تفعل الدول المستضعفة الى اليوم ، ومنهن : نحن ومصر .

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر

هذا مادعا السيد الفاضل محمد عبد الباري الى ان يضع كتابه (الامتيازات الأجنبية) واقد قدم هذا الكتاب الدكتور عبد الرزاق السنهوري بمقدمة ممتعة ملأى بالانظار القانونية ، تعرض فيها للمقترحات البريطانية فنقدتها نقداً صحيحاً وجرحها من حيث اساسها باستقلال مصر القضائي . ثم تناول المؤلف الكلام فبرهن على « ان في الامتيازات معارضة لمبدأ المساواة ، وهمد لاهم اركان القانون العام ، وقضاء على سلطان الدولة » . ومضى يقدم الحججة بعد الحججة على فساد هذا النظام ، ويهدم المعذرة بعد المعذرة يستند اليها الغاصب في نبرير موقفه وتمسكه بالامتيازات ، ولو ان الحق ينال بنفسه

وفوته ، لكان خليقاً بمثل السجيج التي أدلى بها المؤلف ان تدفع عن مصر هذا الكابوس .
ولكنك تسمع من ؟

وهل الابقاء على هذه الامتيازات ، ونوسيع ولايتها بشمولها من لم تكن تشمل من قبل ،
والاستمساك بها من غير تبدل ولا تعديل ، الاً دليل على ان الغرب يريد ان يبقى هذه
الامتيازات في حيث يستطيع من بلاد الشرق لسبب آخر غير الحاجة اليها من وجهة
الحق والعدل ، وحماية القلة ، الجنسية او المذهبية ؟

واسنتج المؤلف ان الامتيازات ليس مصدرها اسلامياً « وانما هي من اصل روماني
عرفته اوربا قبل ان تعرف الاسلام . وأساس هذا النظام فكرة (محلية القوانين
ومركزيتها) واصل هذه الفكرة ان الفاتحين الرومان جروا على ترك الولايات الاغريقية
الراقية لباشر تنظيم علاقاتها الداخلية بتطبيق قوانينها المحلية ، ولم يفرضوا تطبيق القانون
الروماني العام الا في الامور ذات الارتباط بالشؤون الرومانية العامة » .

والكتاب قيم مفيد ، لا يستغني عنه رجل يعني بدراسة القوانين في البلاد العربية
التي تزح تحت هذا النير .

عارف السكدي



نيل الوطر

« من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ، لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة »
« الحسني اليمني الصنعاني »

مما نثلج به النفس ، ان هذه النهضة العربية لا يختص بها قطر دون قطر ، بل هي تكاد
تعم الاقطار العربية جميعاً ، على تفاوت بينهم نقضيه حال كل قطر ، من سبق في الأخذ
باسباب النهضة الحديثة ، او موقع جغرافي ، او غير ذلك من العوامل الاجتماعية .

وهذا الكتاب الذي جاءنا من اليمن فساق هذه الكلمة ، يقع في اربعمائة صفحة وينف
فيه مئتان وخمسة عشرة ترجمة من رجال اليمن جلهم من عاني الفقه ، وقال الشعر ، وعرف
بالنقوى والزهد . وقد أورد المؤلف رجاله على النمط الذي فعله ابن خلكان وابن البسام
وغيرها من الفوا في التراجم .

وفي هذا الكتاب كثير من الشعر ، منه طائفة تكاد تعد في الطبقة الوسطى اودونها قليلاً . وهذا الشعر في جملته أشبه بما كانت ينظمه شعراء الشام ومصر لمئة او مئة وخمسين سنة خلت . اي في القرن الثاني للهجرة . أوزان والفاظ وتواريخ .
ولا يؤخذ على أشقائنا في اليمن ان يكون بيننا وبينهم قرن من الزمن . فلقد خالطت مصر والشام ، الغرب ولا يستاه برهة من الدهر أثرت في نهضته وادبه هذا الاثر .
واليمن — من حسن حفظها — لم توفق الى هذه الخلطة ، او بعبارة اصح لم تصب بها . فظل أدبها فاصراً بعيداً عن الروح الجديد .
واذا كان هذا الانزواء ناقصاً في ادبها ، فلقد كان حافظاً لاستقلالها ، وماذا على اليمن ان يظل أدبها حيث هو ، واستقلالها خالصاً تاماً لا يشوبه حماية ولا استعمار . واي شيء في هذه الصناعة اللفظية ، والبضاعة الكلامية ، في جانب الحرية الحقيقية ، والحياة القومية .
على ان في مكنة اخواننا في اليمن ان يستمعينوا بادب اخوانهم العرب المخلصين : سيفي مصر والشام ، فيستفيدوا من النهضة الغربية بالواسطة لا مباشرة . فيفوزوا بالحنين :
الادب عالياً ، والاستقلال باقياً .
عارف النكدي

السوريون في مصر

رسالة للخوري بولس قرألي في هجرة السوريين المسيحيين الى مصر . وطأ لها
بموجز عن تاريخ القطر الشقيق ، منذ القديم الى ايام محمد علي باشا مؤسس الأسرة المحمدية
العلوية .
عارف

في اوقات الفراغ

— بقلم —

«الدكتور حسين هيكل»

رسائل في الأدب والتاريخ والأخلاق والفلسفة كتبها الدكتور حسين هيكل بك وجمعها في كتاب أهدها الى احمد بك لطفي السيد مدير الجامعة المصرية اعترافاً بفضلها عليه . —

يصعب في مثل هذا المقام ان أطيل الكلام على خصائص هذه الرسائل ، فمن جملة هذه الخصائص الرأي المختر ، والفكر المديد ، وليس بقليل ان يكون الكاتب في عصرنا هذا صاحب رأي في موضوعات شتى كالفلسفة والأخلاق والتاريخ وأشياء ذلك ، ان العصر انما هو عصر تفكير ، والكاتب كل الكاتب من انبسط مداه في أفق هذا التفكير ، غير ان الفكر وحده قد لا يخلد صاحبه فلا بد لهذا الفكر من قالب لفظي يجمع شيئاً من روح اللغة وعبريتها ولكن الدكتور حسين هيكل بك لا يوافقنا على هذا المذهب ، ان له رأياً في مسائل القوالب اللفظية غير رأينا ، واليك شيئاً من هذا الرأي :

«الأدب لا يقوم على الألفاظ ولا على العبارات التي يستعملها الكتاب بمقدار ما يقوم على الصور والمعاني التي تلهم بها خيالاتهم وتجدد بها قرائحهم» .

فالدكتور حسين هيكل بك من أصحاب مذهب المعاني فالعبرة في نظر الدكتور بالمعنى لا بالمبنى ، فلو جرينا على هذا المذهب لما كان فرق بين الأدباء وبين غير الأدباء لان المعاني كما قال شيخنا الجاحظ في القديم مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتجهيز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك ، وعلى هذا الرأي اكبر كتاب فراسة في عصرنا ، منهم «اميل فافكه» و«اناتول فرانس» . —

اما وقد عرفنا مذهب الدكتور حسين هيكل بك في الصيغ اللفظية فلا عجب اذا وجدنا في كتاباته شيئاً من المسامحة والمساهلة في هذه الصيغ فقد تستفيض العجمة في كتاباته في بعض الأحوال فاذا كنت تعرف اللغة الفرنسية وقرأت كلام الدكتور

تصورت لك في الحال العبارة الفرنسية التي تقابل عبارته، من هذا القبيل قوله : « وانكون عندهم فكرة عامة من عالم بأسره ، فهذا التركيب انما هو تركيب فرنسي محض واليك التركيب الفرنسي : « afin qu, ilsaient une idée générale de tout un monde » فقد ينقل الدكتور العبارة الفرنسية حرفاً حرفاً دون ان يزيدا او ان ينقصها شيئاً اي دون ان يخلع عليها برداً عربياً يستر عجمتها ، ومن هذا القبيل كثير من عساراته ، منها قوله : اني اعاق الأهمية الكبرى على الكاتب ، فالذي يستخرج من هذا ان الدكتور حسين هيكل بك يفكر تفكيراً أعجمياً اي انه تزدهج في صدره أفكار اقتبسها من قوم غير قومه فاذا أحب ان يؤدي الى قومه هذه الأفكار المخترعة في ذهنه أداها بصورها الأعجمية ، اما ان يكون الدكتور حسين هيكل بك أعجمي المعنى فهذا لا سبيل لنا الى مؤاخذه به فان افكارنا اذا لم يمتزج بها في هذا العصر كثير من الافكار الأوروبية المستحسنة جمدت ونضب ميعنها ، واما ان يكون الدكتور أعجمي المبني فهذا ما يسوءنا جداً لانه مصقول العقل مهذب الفكر فلا ينبغي لهذا الفكر الصقيل ان تظهر عليه آثار العجمة . —

وقد يقول لنا قائل : واي غضاضة على الدكتور حسين هيكل بك في هذا كله ، أما نفهمون كلامه ؟ أما ندر كون مراميه ؟ فسواء أكان أسلوبه أعجمي الطراز أم كان عربي النمط ان كلامه مفهوم ، قد يقول لنا قائل هذا كله وشبه هذا ، فنحن نقول له : كل هذا صحيح ولكن الدكتور حسين هيكل بك لا تزال لغوته عبقريته اللغة وروحها فقد اخذت بمخنق أسلوبه رائحة غريبة ، فأسلوبه فيه شيء من رائحة اللغة الفرنسية وفيه شيء آخر من العربية غير المصقولة . —

شفيق جبري
عضو المجمع العلمي



مبادئ الميكانيكا

« تأليف السيدين الدكتور احمد عبد السلام الكرداني المفتش بوزارة المعارف »

« وحسن الجندي المدرس بالمدرسة الخديوية بمصر »

يقع في ٣٧٢ صفحة وقد طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في القاهرة

سنة ١٩٢٩ م

قابلت هذا الكتاب بكتاب فرنسي كنا ندرس به في فرنسا وهو (كالكتاب الذي نبحث عنه) وضم وفق منهج مدارس التجهيز فاذا بكتابنا العربي يفوق الكتاب الفرنسي بكثرة تمريناته ووضوح اشكاله ووفرة امثاله . ولغته جيدة اجمالاً واغلاطه العربية والمطبعة قليلة . وفيه بعض مصطلحات يستعملها المصريون تخالف مصطلحاتنا في الشام وربما كتبنا عنها على حدة .

والذي يعلم شدة حاجة اللغة العربية الى كتب مدرسية كهذا الكتاب و يدرك ما في تصنيفها من صعوبة لا يسعه الا الارتياح الى هذا المصنف المفيد فاعمل مؤلفيه الفاضلين يتمكنان من تأليف كتاب ثانٍ مسهب وفق منهج مدارس الهندسة او على الأقل وفق منهج المدارس الزراعية العليا فيكون لهم على البلاد العربية يد جديدة تضاف الى هذه اليد .

مصطفى الشهابي



مجلد الحجة على العربي

١١٧

دمشق : ايلول سنة ١٩٣٠ م الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤٩ هـ

درس

في حياة أسامة بن منقذ
و «كتاب الاعتبار»

في العام الذي تلا فيه البابا أوربانوس الثاني في كارمون خطابه الذي يعدّ حقه باعتبار نتائجه الصليبية أفعّل خطاب في التاريخ ، ولد لبني منقذ الامراء في شيزر على العاصي (وذلك يوم الاحد ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ = ٤ تموز سنة ١٠٩٥) غلام أطلق عليه والداه اسماً تحلّى به - في صدر الاسلام اول قائد عربي عهد اليه امر فتح الشام ^(١) ، وكان ذلك الاسم قد ورد في الرُّقْم الحميرية السابقة للاسلام ^(٢) . ذلك أسامة بن منقذ ، مؤلف كتابنا هذا وبطله .

عاش أسامة شهيداً فارساً ، واشتهر مجاهداً مقاتلاً ، ولمع أدبياً وشاعراً ، وتلهم صياداً وجوّاباً . نشأ على ضفاف العاصي بجوار حماة ، وقضى معظم ايام شبابه في البلاط النوري بدمشق ، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة ، وغالب سني كهولته في الدار الانابكية بالموصل ، وفي حصن كيفا على دجلة . زار بيت المقدس في فلسطين وحمى الى

(١) أسامة بن زيد . (٢) في متحف اللوفر بباريز حجر أتى به من صنعاء الرحالة بر كهاردت زيرت عليه كتابة بالقلم المسند تضمنت اسم «أسامة بن عامر» راجع :

M. lidzbarski - Ephemeris Fur Semitische Epigraphik

(Giessen ١٩٠٢) مجلد ١ صفحة ٢٢١ - ٢٢٢ .

الحرمين ، وتنقل بين معظم العواصم الاسلامية مدنية ودينية . عاشم نور الدين زنكي ، وصاحب الخليفة الحافظ . وخلفه الظافر ، وتعرف بنفسه الى بوهمند وتذكروا وفألك من الافرنج الصليبيين ، وخصه قبيل وفاته بدمشق عن ٩٦ عاماً قريبا ، صديقه صلاح الدين بعطفه . آخي الافرنج — ولا سيما الفرسان منهم — في وقت السلم ، وقاتلهم سيفه في حال الحرب ، كما قاتل غيرهم من الاسماعيلية وسائر العرب ، فضلاً عن الأسد والوحوش الضواري . وفي آخر ايامه درّنا كل ما خبره بالذات ، وعرفه من مصادره الاصلية ، في مذكرات شائقة رائعة قلّ نظيرها — من حيث الامانة في النقل والصدق في الرواية والدقة في الملاحظة وطيب النكهة في التعبير — في آداب اللغة العربية .

فحياة أسامة إذن تمثل لنا ازدهار الفروسية الاسلامية العربية في ربوع الشام سيفه أواسط القرون الوسطى . التي بلغت زهوها الكامل في عهد صلاح الدين ، وسيرته لنضمن موجز تاريخ البلاد في القرن الثاني عشر — قرن التجريدات الصليبية الثلاث الاولى — ومذكراته الموسومة « بكتاب الاعتبار » مرآة أنجلي فيها المدنية الشامية في أجلى مظاهرها — لا لذاتها فقط بل بالمقابلة مع المدنية الافرنجية التي قامت الى جانبها . وأسامة لو عاش اليوم لكان بلا ريب عضواً في المجمع العلمي العربي ، ولكان بيته مجلس الأدب بدمشق ، ولراسل «الهلل» و «المقطم» ، ولا أكثر من العيش في الهواء الطلق يدرس طبائع الحيوان ويراقب نموّ النبات ، ولتالت جياده العربية جوائز السبق في بيروت ، ولكان بلا تردد سيفه أثناء الحرب العظمى جيشاً من المتطوعة تولى قيادته بنفسه .

على بعد (١٥) ميلاً الى الشمال من حماة أكمة صخرية منصبة على ضفة العاصي الغربية يكتألف حصن لم يزل قائماً الى اليوم معروفاً باسم «سيجر» تحريف شيزر . شيزر هو المرسخ الذي تمثلت عليه معظم الحوادث المدونة في الكتاب والتي جرت وقائعها في ايام أسامة النقي . الهضبة لتؤمها سماها مؤلفو العرب «عرف الديك» . نهر العاصي يلتف حول الأكمة من جهاتها الثلاث ، فهي إذن شبه جزيرة بوضعها الجغرافي . غير ان الانسان كمل عمل الطبيعة بجنونه خندقاً في الصخر الواصل بين شبه الجزيرة والبر ،

مما زاد في مناعة الحصن وفي تعذر الوصول اليه . وشيزر قسمات : قسم في القلعة على الرابية وهو البلد ، وقسم قرب الجسر على العاصي وهو المدينة . والقلعة أبواب ثلاثة أهمها يفتح الى الجسر . وعلى الجسر حصن أطلق عليه اسم « حصن الجسر » .

إذا غزا غازر البلاد السورية من الشمال فأمامه طريقان : طريق بحرية تمر في اللاذقية فالساحل الفينيقي — وهي الطريق التي اختارها الاسكندر وكثير من الغزاة الأشوريين ، وطريق داخلية تماشى العاصي الى حماة فحمص ثم ننعطف غرباً مع وادي النهر الكبير الى شمالي طرابلس ، أو انها تستمر من حمص في سهل البقاع وتصل بالساحل الغربي جنوباً عند سفوح سلسلة لبنان . والطريق الثانية هي التي سلكها معظم الفاتحين المصريين والبابليين مثل رمسيس ونبوخذ نصر ، وآثرها أكثر الصليبيين . ولا بد ان طرق هذه الطريق الثانية من اجتياز أفاعية (قلعة المضيق) واختارها الجنوبية شيزر المتسلطة على وادي العاصي . هذا ما يجعل لموقع شيزر خطورة حربية .

لشيزر اسم في رأس قائمة المدن السورية المتوقعة في القدم . ذكرها طيمس للمرة الاولى بالهيروغليفية نحو سنة ١٥٠٠ (ق . م) وهو يصف إحدى حملاته من مصر باسم « سترار » أو « سيزار » وذكرها بعده خلفه البعيد المنحوت الثاني^(١) . ووردت بصيغة « زيزر » في رُمق تل العمارنة المسماة . وسماها اليونان الأقدمون « سذرارا » ، والبيزنطيون « سيزر » . وفي أواخر القرن الرابع قبل المسيح أسكنها ملوكس الاول مهاجرين من لارسا في آساليا وغير اسمها الى « لارسا » . على ان الاسم السامي الاصلي ما لبث ان عاد فتغلب وظهر بالعربية في صيغة « شيزر » . وعلى هذه الصورة ورد الاسم في بيت قديم لامري القيس :

نقطع أسباب الأمانة والهوى عشية رحلنا من حماة وشيزرا
وفي آخر لعبيد الله بن قيس الرقيات :

فواحننا اذ فارقونا وجاوروا سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا^(٢)

(١) راجع (١٩٠٦) J. H. Breasted Ancient records of egypt (chicao)

مجلد ٢ فقرة ٥٨٤ و ٣١٤ - (٢) باقوت « معجم البلدان » (لبيزغ ١٨٦٨) ٣ : ٣٥٣

اما مؤرخو الإفرنج الصليبيون فأطلقوا عليها اسم « قيصريّة » (Coesarea) او « قيصريّة العاصي » للتميز .

فتح العرب شيزر عام ١٧ (٦٣٨) فيما فتحوا من المدن الشامية ، وذلك عقب الاستيلاء على حمص وحماة بقيادة ابي عبيدة بن الجراح ، فتلقاه اهل شيزر « بكفّ روث ومعهم المقاتلون ، ورضوا بمثل ما رضي به اهل حماة ^(١) » . وبالنظر لموقع البلدة الجغرافي ، وباعتبار كونها مفتاح سورية الداخلية ، بقيت مطمح ابصار البيزنطيين الذين استخلصوها مراراً من ايدي العرب وخسروها ، الى ان أخضعها الامبراطور باسيل الثاني سنة ٩٩٩ وبقيت بيد الروم حتى عام ١٠٨١ وهو العام الذي استرجعها فيه عزالدولة سديد الملك ابو الحسن علي جد أسامة من ايدي الامبراطور ألكسيس كومنينس .

وكان صالح بن مرداس صاحب حلب قد منج الامراء المنقذين من بني كنانة عام ١٠٢٥ إقطاعاً في جوار شيزر . فتمكن احد هؤلاء الامراء (مقائد) من الاستيلاء على كفر طاب سنة ١٠٤١ . وجاء بعده خلفه ابو المتوَّج مقائد بن نصر الذي بسط سلطته الى العاصي وبني حصن الجسر عند قديم شيزر ليقطع عنها المدد . ولكن البلدة بقيت بيد البيزنطيين الى ايام سديد الملك . فسديد انكأ اذن هو مؤسس الدولة المنقذية بشيزر . ولدن وفاته عام ١٠٨١ عقبه ابنه عزالدولة ابو المرحف نصر ^(٢) ، وهو مع اشتهاره بالورع وحب السلام نولى الى حين أفامية وكفر طاب واللاذقية عدا شيزر .

توفي ابو المرحف بلاعقب عام ١٠٩٨ ، فانقلت الإمارة من بعده الى اخيه الأصغر مجد الدين ابي سلامة مرشد (١٠٦٨-١١٣٧) ، والد مؤلف كتابنا أسامة . ولكن مجد الدين شغف بالصيد ونسخ القرآن أكثر من السياسة ، فننازل عن السيادة لاختيه الأصغر عز الدين ابي العساكر سلطان مردداً (والله لا وليتها . ولا أخرج من الدنيا كما

(١) البلاذري «فتوح البلدان» (لیدن ١٨٦٦) ١٣١ . (٢) فصل ذلك ابن الاثير

« كامل التواريخ » في Recueil des Historiens des Croisades Historiens

Orientaux (paris ١٨٢٢) ٥٠٤ : ١

دخائها^(١) .

وكانت شيزر على عهد سلطان عم أسامة عرضة لغزوات مثابمة يفزوها بنو كلاب في حلب ، وكذلك الاسماعيلية والروم البيزنطيون والافرنج الصليبيون رشقها الامبراطور جان كومينيس عام ١١٣٨ بالنجنيق عشرة ايام متوالية . وحاول الافرنج الاستيلاء عليها مراراً ، ولكن على غير جدوى . فأخذتها من السقوط مناعتها الطبيعية وحصونها القوية ، وزعامتها المنقذبة .

وفي خلال إمارة (سلطان) جرت معظم الحوادث التي دونها أسامة في مذكراته ، وهو شاهد عيان لها ، فخلد وقائعها وجعلها اثراً لنا . ومع ان أسامة كان احد اخوة اربعة هو ثانيهم ، فان عمه سلطاناً - ولم يكن له اولاد - ولد ذكر - خص أسامة بعطفه ورعايته ، ودرّبه على الفنون الحربية ، وكان يتحن بالسؤال حضور ذهنه في ساعة القتال^(٢) ونشأ نشأة من يريد ان يجعل منه خلفاً له . وكثيراً ما وكل اليه قضاء مصالح اهل بيته مثل مرافقته لزوجته وعمه واولادها من شيزر في ايام الحر الى مصياد^(٣) . اما بعد ان رزق العم ولداً يخلفه فوجه نظره نحو ابن اخيه نغيرت ، والحسد أخذ يعمل فيه ، مما جعل أسامة الشاب يغادر شيزر موقتاً عام ١١٢٩ ، ثم اطردت هجرته بعد وفاة والده أخي سلطان في ٣٠ ايار سنة ١١٣٧ . وكانت جدة^(٤) أسامة لايه حذرتة مرة من عمه وقد رأت حفيدها داخل البيت مساء وبهذه رأس أسد ضخم كان قد اصطاده ، فأسدته النصح مشيرة الى الأثر الذي يحدثه عمله هذا سيف نفس عمه قائلة له « ما يقر بك هذا منه وانه

(١) ابوشامة « كتاب الروضتين في اخبار الدولتين » (مصر ١٢٨٨) ١ : ١١١ - ١١٢ وابن الاثير في (Recueil) ١ : ٥٠٤ . (٢) « كتاب الاعتبار » (ليدن ١٨٨٤) ٧٦ ولا بد من التنبيه الى ان الاشارات فيما بعد كلها الى هذه الطبعة - طبعة درنبورخ - ريجا ثم الطبعة الجديدة المبنية على المخطوطة الاصلية والتي نولى الآن طبعتها في طبعة جامعة برنستون العربية . (٣) كتاب الاعتبار ١٠٩ .

(٤) ابن الاثير « تاريخ الدولة الأتابكية » سيف (١٨٨٧ paris) « Recueil »

مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٠ يجعلها والدته .

يزيدك منه بعداً ويزيده منك وحشةً ونفوراً^(١) » . ومع هذا فإن (كتاب الاعتبار) يحفظ لنا نكتة تمثل شهامة سلطان . وخلاصتها ان امرأة كان قد تزوجها سلطان وطلقها فوفقت أسيرة في يد الافرنج ، ففكّ للخال أسرها وسلمها الى أهلها فائلاً « ما دُعِ امرأة تزوجتها وانكشفت عليّ في أمر الافرنج^(٢) » .

توفي سلطان حوالي عام ١١٥٤ تخلفه ابنه تاج الدولة ناصر الدين محمد ، وهو آخر الامراء من بني منقذ وفي ايامه جرت في شيزر مأساة منجعة قضت على بني منقذ بأسرهم . وذلك خلال ختان ولد لتاج الدولة فقد أُولم الوالد وليمة حضرها جميع آلّه ، وفي اثناها حدث الزلزال الشهير عام ٥٥٢ (١١٥٧) الذي « ملك فيه ما لا يحصى » والذي خرب حماة وشيزر وكفرطاب والمعرّة وأفامية وحمص وحصن الاكراد الخ^(٣) » . ولم ينج من بني منقذ احد^(٤) سوى زوجة تاج الدولة التي انتشلت من تحت الردم ، الا ان نور الدين صاحب دمشق عاد فعمّر شيزر .

(التأثير الأكبر في نفسية أسامة كان لعمه سلطان وبعده لوالده) = تمثل صورة الوالد التي ابقاها لنا أسامة في مذكراته رجل نقوى وسلام لاتبه شؤن هذا العالم الغاني ، بفرغ « زمانه لتلاوة القرآن والصيام والصيد في نهاره ، وفي الليل ينسخ كتاب الله^(٥) » . مع ذلك لا يجب ان يفهم من ذلك انه كان متقاعداً جباناً . ففي غير مكان يذكر أسامة ان والده لم يكن « له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله^(٦) » ثم يقتبس عنه عبارة قالها لما حذرّه ولده في معركة : « يا ولدي في طالعي اني لا ارتاع^(٧) » . ولنتشهد الآن ببعض الوقائع الدالة على نوع التربية التي ترباها أسامة في ظل والده وعمه ، وصرها كلها في قول أسامة « ما رأيت الوالد رحمه الله ، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر ، مع ما كان يرى فيّ وأرى من اشفاقه وابشاره لي^(٨) » . أسامة وهو دون العاشرة^(٩) ، بطعن خادمه طعنة نجحية قاضية دون ان يستوجب سخط والده

(١) كتاب الاعتبار ٩٣ . (٢) ص ٥٣ . (٣) ابن الاثير في « Recueil »

١ : ٥٠٣ . (٤) ايضاً ٥٠٥ - ٥٠٦ . (٥) كتاب الاعتبار ١٤٤ .

(٦) ايضاً ١٩٩ . (٧) ايضاً ٤١ . (٨) ايضاً ٧٦ . (٩) ايضاً ١٠٧ .

ببأشرف القتال وهو حدث يانم فيذكر كيف أنه في أول قتال حضره حمل على أفرائجي طعنه فخرج من السرج خلفه جسمه وقوة الطعنة ^(١) . يرى حية وهو صبي على حائط الدار فيسلق إليها ويأخذ يحزم رأسها بسكينه الصغير وهي تلثف على يده ووالده يراه ولا ينهاه ^(٢) . نعود رهائن من أفرنج وأرمن كانت في شيزر إلى بلدها فنقع في أيدي صاحب حصص وهو مسلم ، فنصدر أوامر والد أسامة له في هذه الصيغة « اتبعهم من معك وارموا أنفسكم عليهم واستخلصوا رهائنكم ^(٣) » الكلمات الأخيرة (ارموا بأنفسكم) تقع من نفس أسامة موقعاً شديداً .

وللدلالة على الرابط البنوي الذي كان يربط الابن بالوالد يكفي الاستشهاد بعبارة أوردها أسامة بعد أن أطلب بحسن خط والده : « وما يقتضي الكتاب ذكر هذا وإنما ذكرته لأستدعي الرحمة (على الوالد) من وقف عليه ^(٤) » .

أما والده أسامة فلنا أن نتحقق المعدن التي جبلت منه من مراجعة حادثة ذكرها أسامة ^(٥) . ومفادها ان الاستماعيلية مرة هاجمت شيزر والرجال متخلفون ، فوزعت أم أسامة السلاح والبست ابنتها الخف والازار واجلستها على روشن يشرف على الوادي حتى اذا ما انتهى الاعداء إليها تدفعها وتردها إلى الوادي فتراها ميتة ولا اسيرة سيف أيدي « الفلاحين والحلّاجين ^(٦) » . حقاً ان والدته كجده كانت من « أمهات الرجال ^(٧) » .

تلك هي البيئة التي نشأ فيها أسامة وترعرع . فتصائب عوده وهو صرن ، والف افتحام المخاطر والمغامرات ، ونشأ على مبادئ الفروسية والشهامة . وذلك سيف عصر تلاحقت فيه الحروب ، ولتعاينت الغزوات من الأفرنج والعرب - من مسيحيين ومسلمين ، وفي بلاد كثرت فيها الوحوش الضاربة والحيوانات المفترسة . حتى ان أسامة ما كان يخرج للصيد في جوار شيزر الا وهو مسلح مستعد للعند المفاجي ^(٨) . ولم يشهد أسامة القتال في شيزر وحماة في شمالي سورية فقط ، بل في عسقلان وبيت جبريل

(١) كتاب الاعتبار ٣٠ . (٢) ايضاً ٧٦ . (٣) ايضاً ٣٩ .

(٤) ايضاً ٩٢ . (٥) ايضاً ٩٣ . (٦) ايضاً ١٤٦ .

من اعمال فلسطين ، وفي شبه جزيرة سيناء ومصر ، وفي ديار بكر والموصل . فلا غرو اذا أصبح اسم أسامة في التواريخ الاسلامية مرادفاً للبطولة .
 ولقد دعاه الذهبي « أحد أبطال الاسلام »^(١) ووصفه ابن الاثير بأنه « كان من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها »^(٢) . وأسامة نفسه أجمل اختبارات الحرب بقوله في آخر ايامه « فكم لقيت من الأهوال ، ولتحممت المخاوف ، والاطار ، ولاقيت الفرسان ، وقتلت الاسود ، وخسرت بالسيوف ، وطعنت بالرماح ، وجرحت بالسهم والجروح »^(٣) . هتاف ليس المقصود منه التأثير الخطابي فقط بل تبليغ الحقائق . ومن خلال كل هذه التجارب تبين اننا شخصية أسامة . فاذا بنا شخصية مستقلة تستقبل الأفراح ، وتودع الأحزان ، تواجه الظفر وتجاوبه الفشل ، يروح الصبر والتسليم . النصر — باعتبار أسامة — من الله^(٤) . وكذلك الهزيمة . الموت لا « يقدمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر »^(٥) . « الله مقدر الأقدار ، وموقت الآجال والأعمار »^(٥) . في الجملة الاخيرة متضمن فلسفة الحياة بامرها كما فهمها أسامة .

وفي مجمل معاملاته مع اصدقائه وخصومه يدهشنا بميله للنصفة والعدالة . هاك مع رفيق في مكان مشرف على ثمانية فرسان من الافرنج . الرفيق يشير باخذه على غرة ، ولكن جواب أسامة : « ما هذا انصاف ، بل نحمل عليهم انا وانت »^(٦) . والمبهج انه لا يتم سرد هذه الحادثة ، التي هنرم فيها مع رفيقه ثمانية ، حتى يشرع بسرد غيرها يهزمها فيها « روييل »^(٧) . يروي قصة ممتعة تظهر الطب الافرنجي سقيماً بالمقابلة مع الطب العربي^(٧) — وهي من أبدع قصص الكتاب — ثم يردفها باخرى تظهر الوجهة الفضلى من طب المغرب^(٨) . بطنب بوالده صياداً . ولكن سلامة ذوقه توحى اليه على الأثر « ما أدري : كنت أراه بعين المحبة . كما قال القائل : وكل ما يفعل المحبوب

(١) « دول الاسلام » (حيدرآباد ١٣٣٧) ٢ : ٧١ . (٢) « الدولة الانابكية »

في (Recueil) مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٠٧ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢١ — ١٢٢

(٤) ايضاً ١٠٩ . (٥) ايضاً ١٢١ . (٦) ايضاً ٤٣ . (٧) ايضاً ٩٧ — ٩٨ .

(٨) ايضاً ٩٨ .

محبوب . ما أدري : أكان نظري فيه على التحقيق . وأنا ذاكر شيئاً من ذلك ليحكم فيه من يقف عليه ^(١) .

ففى أسامة سنين غير قليلة في البلاط الفاطمي بمصر (١١٤٤ - ١١٥٤) وربما لم يكن لذلك العهد من دار عشت فيها جرائم المكائد والمفاسد كما في تلك الدار : يد الوالد على الابن ، والابن على الوالد ، وبد الخليفة على الجميع . ابن الاثير ^(٢) يدعي ان أسامة هو الذي أشار على عباس بن ابي الفتح بقتل العادل وزير الظافر ^(٣) . ولكن مذكرات أسامة لا تدل على انه لوث بديه في حال من الأحوال . صلاح الدين الغسياني ، ذلك الجلف التركي ، بوسط من يشاء من رجاله (اي بأمر يقطعهم من الوسط شطرين) لسبب اول غير سبب ، فلا يتردد أمامة في الشفاعة بهم ^(٤) . عم أسامة يجلوه عن مسقط رأسه ، ثم يودي الزلزال بحياة ابن عمه وسائر آله في شيزر ، فيرثيهم أمامة الشاعر بقصيدة كلها شعور طيب :

لم يترك الدهر لي من بعد فقدم	قلبا أجشمة صبرا وسلوانا
فلورأوني لقالوا مات أسعدنا	وعاش لهم والأحزان أشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبرني	عنهم فبوضح ما قاله تنبانا
بادوا جميعا وما شادوا فواجبا	للخطب أملك عمرا وعمرا
هذي قصورهم أمست قبورهم	كذلك كانوا بها من قبل مكانا

الى ان يقول :

بنو أبي وبنو عمي دمي دمهم وان أروني مناواة وشنا ^(٥)

واب احترام أسامة للنساء لامر يسترعي انتباهنا . فانا نراه يضع تأليفا موسوما « باخبار النساء » ويخصص في (كتاب الاعتبار ^(٦)) صفحات للاشادة بأعمال البطولة التي قام بها بعضهن وبينهن والدته . وفي قصته مع خادمتها العجوز التي أفرد لها بيتا في

(١) « كتاب الاعتبار » ص ١٤٤ . (٢) « كامل النوارنج » أيسالا ١٨٥١

١١ : ١٢١ . (٣) قابل « كتاب الاعتبار » ٦ . (٤) ايضا ١١٦ - ١١٧ .

(٥) ابو شامة ١ : ١٠٦ . (٦) ٨٧ - ٩٧ .

داره وكان يناديها « يا أمي ^(١) » نافذة نطل منها على الشيء اللطيف ضمن أعماق نفسه . وما أطف ملاحظته بعد أن افتدى أسيرة مسلمة مع غيرها من يد الافرنج فهربوا قبل أن يدفع الفداء فألزمه الافرنجي القيمة كلها « وهان ذلك علي » أسرني بخلاص أولئك المساكين ^(٢) » .

حين لم يكن أسامة منهكاً بقتال الاعداء من البشر كان يشتغل بقتال الحيوانات المفترسة التي كانت سورية الشمالية يومئذ ملأى بها ، او بصطاد الغزلان والطيور والأرانب وحمر الوحش بالبازي والباشق في شيزر ودمشق وفي الموصل والقاهرة . ونرى زبدة اختباراتِه ضمنها فصلاً في الصيد ختم به كتابه ، فصل ربما لم يكن في اللغة العربية أنفس منه في موضوعه . أسامة يقول عن نفسه انه شهد الصيد سبعين سنة ^(٣) وانه حضر قتال الاسد في مواقف لا تحصى ، وقتل عدة منها لم يشاركه في قتلها احد ^(٤) وان الخليفة الحافظ عناء في سؤاله الانكاري « واي شيء شغل هذا الالقتال والصيد؟ ^(٥) » لذته في درس الحيوان جعله يكتشف ان « الأسد كالإنسان فيها الشجاع وفيها الجبان ^(٦) » وان « الاسد اذا خرج من موضع لا يبد له من الرجوع اليه ^(٧) » وان « الاسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه ، وفيه غفلة وبله ، ما لم يُجرح ، فاذا جرح فحينئذ هو الاسد ^(٨) » .

وان النمر « دون سائر الحيوان يقفز الى فوق اربعين ذراعاً ^(٩) » . على ان صاحبنا شارك جيله في بعض خرافاتهم : « ومن خواص النمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فارة مات ، ولا ترتد الفارة عن جريح النمر ^(١٠) » . ولما عرض افرنجي في حيفا (فهداً) للبيع أدرك أسامة لأول نظرة من طول الوجه وزرقة العينين انه نمر لا فهد ولا يصالح للشر ^(١١) » . ومن دقيق ملاحظاته ان الجُبَارى اذا افترب منها الصقر (استقبلته

(١) كتاب الاعتبار ص ١٣٨ . (٢) ايضاً ٦٢ . (٣) ايضاً ١٦٧ .

(٤) ايضاً ٨١ و ١٠٦ . (٥) ايضاً ١٤٢ . (٦) ايضاً ٧٨ . (٧) ايضاً ٧٨ لم

أجد في الكتب العلمية ما يثبت صحة هذه الملاحظة . (٨) ايضاً ٨١ .

(٩) ايضاً ٨٢ .

بذنبها . فإذا دنا منها سلحت عليه بأث ريشه وملاّت عيفيه وطارت ^(١) .

نظر أسامة للصيد كسبب للهو — ظاهر من البيت الذي استعمل به فصله :

ولله مني جانبٌ لا أُضيعه وللهو مني والبطالة جانبٌ ^(٢)

ونزعته الارستقراطية تلوح من عدم تلبية طلب نور الدين عندما سأله ان يصلح الباز

فرفض وأجاب — لما أظهر نور الدين عجبه كيف ان أسامة يقضي عمره بالصيد ولا يحسن

إصلاح الباز — « يا مولاي ما كنا نصلحها نحن ، كن لنا باز يارية وغلان يصلحونها ^(٣) » .

درس أسامة النحو عشر سنين على (ابوالطَّمِطُي ، سببويه زمانه) الذي كان قد

تولى دار العلم بطرابلس ^(٤) . ولا شك ان سياق دروسه لناول فضلاً عن النحو الخط

والشعر والقرآن — وهي فروع الثقافة في ذلك العصر . فتهذب أسامة على الطريقة التي

كان يتهذب بها أشرف العرب في زمانه . ونشأ رابطة كاتباً ، واديباً شاعراً .

بهذه الصفة الاخيرة عرفه معظم الذين ترجموه . فالذهبي ^(٥) يذكر عن لسان أسامة

انه قال كان يحفظ اكثر من عشرين الف بيت من الشعر الجاهلي ، والراجح انه لم يتصل

بجيل أسامة هذا المقدار من الابيات . ويقول عماد الدين الكاتب الاصفهاني الذي اجتمع

باسامة في دمشق في « خريدة القصر وجريدة العصر ^(٦) » : « أسامة كسسه ، في قوة

نثره ونظمه حلوا المجالسة ، حالي المساجلة ، ندي الندي بما ، الفكاهة ، عالي

النجم في سماء النباهة » . ابن عساكر تليد أسامة ، ذكر في (التاريخ الكبير ^(٧)) ان

لأسامة « بدأ ببضاء سيفه الأدب والكتابة والشعر » واقتبس عن لسانه احدهم قوله ان

أسامة « شاعر اعل الدهر ، مالك عنان النظم والنثر » وان مقطعاته « أحلى من الشهد

(١) كتاب الاعتبار ١٠٣ قابل C. H. Stockley, Big Game Shooting in the indian Empire (London ١٩٢٨)

(٢) كتاب الاعتبار ١٣٩ . (٣) ايضاً ١٤٤ . (٤) ايضاً ١٥٣ .

(٥) ملحوظ (Paris ١٨٨٩) « Vie d' ousama » Derenbourg, ص ٥٩٥

(٦) (باريز ١٨٨٧) ١٢٢ .

(٧) (دمشق ١٣٣٠) ٢ : ٤٠٠ — ٤٠١ .

والذي من النوم بعد طول السهد» . واقتبس باقوت سيف (مجمع البلدان ^(١)) من أشعار أسامة . وأفاد أبو شامة ^(٢) ان صلاح الدين الأيوبي كان « عنده ديوان الأمير مؤيد الدولة أسامة وهو به مشغوف ، وخطره على تأمله موقوف ، والى استخسانه مصروف » . وصلاح بن يحيى ^(٣) بإخراجه باقتناء ديوان شعر « عن الدين ! » أسامة بن منقذ بخطه . وعليه فيكون أسامة قد عُرِفَ لمعظم الذين ترجموا له بشاعريته .

وهاك أبحاثاً تدل على قوة الإبداع في أسامة الشاعر قالها في خرس له قلمه :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد

لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا لناظري افترقنا فرقة الأبد ^(٤)

وغيرها كتبها على حائط مسجد سيف حلب ، وكان قد زار المسجد قبلاً سيف طر بقة الى الحج :

لك الحمد يا مولاي لكم لك منة عليّ وفضل لا يحيط بها شكري

نزلت بهذا المسجد العام قافلاً من الغزو موفور النصيب من الاجر

ومنه رحلت العيس في عامي الذي مضى نحو بيت الله والركن والحجر

فأديت مفروضاً وأسقطت ثقل ما تحملت من وزر المسببة عن ظهري ^(٥)

وأخرى تعرب عن حنينه لوطنه الشامي وتوق نفسه للرجوع الى اهله ، وقد كتبها على حائط دار سكنها بالموصل :

دار سكنت بها كرهاً وما سكنت روجي الى شجن فيها ولا سكن

والقبر أستتر لي منها وأجمل بي إن صد في الدهر عن عودي الى وطني ^(٦)

واليك ما كتب في صدر كتاب الى بعض اهله :

(١) (دمشق ١٣٣٠) ٢ : ٤١٧ - (٢) ١ : ٢٤٧ - (٣) « تاريخ بيروت »

(بيروت ١٩٠٢) ٣٥ - ٣٦ - (٤) الذهبي لمحق (Vie d'ousama) ٥٩٦ .

قابل ابن عساكر ٢ : ٤٠٢ ، ابن خلكان ١ : ١١٢ ، أبو شامة ١ : ٢٦٤ ، عماد الدين

الكاتب ١٢٣ . (٥) ابن الاثير « الدولة الاتاكية » في (Recueil) مجلد ٢ جزء ٢

ص ٢٠٨ - (٦) ابن عساكر ٢ : ٤٠١ .

شكاً ألم الفراق الناس قبلي ورؤيت بالنبوي حي وميت
وأما مثل ما ضمنت ضلوعي فإني ما سمعت ولا رأيت (١)

ويتضح شغف أسامة بالكتب من ملاحظة أهداها عندما عادت أسرته من مصر
فوقعت في ابدي الأفرنج وخسر الكثير من المال فلم يأسف عليه أسفه على ما فقد من
الكتب وعددها أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة « فان ذهباها (على ما قال)
حزازة في فلبي ما عشت (٢) »

جامعة برنستون : فيليب حتي

عضو المجتمع العلمي العربي

—••••—

(١) ابن خلكان ١ : ١١١ .

(٢) « كتاب الاعتبار » ٢٦ .

(١) اخلاق المتنبي

- ١٠ -

ليس من المستسهل ان أخوض في شيء من الكلام على اخلاق المتنبي وعلى طبائعه ، وعلى الخصوص فان ابا الطيب لم يكتب ترجمته بقله وان اهل عصره لم يرض لم قول واف في هذا الباب ، فلانعرف هيأته ولا نعرف تركيب خلقته ، ولو كنا نحيط بطائفة من هذا الامر لاستطعنا ان نستدل بذلك بعض الاستدلال على معرفة اخلاق المتنبي وطبائعه ، فما وصل اليها من أقوال اهل زمانه في هذا الموضوع لا ينفع غليلاً . -

ان ابا عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي لما قدم عليه المتنبي في سنة عشر بن وثلاثمائة اي لما كان عمره سبع عشرة سنة وصفه فقال : قدم اللاذقية وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمي أذنيه فأكرمه وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته ، وازضاف الى هذا كله انه لم يسمع منه كلمة هنزل قط .

والذي أعلمنا به ابو الفرج وقد كان ابو الطيب يأنس به و يأمنه على غيبته ان سيف الدولة كان يفتاظ من تعاطي المتنبي .

وقد عاتب ابو عبد الله بن خالويه سيف الدولة لما غمز غلامه على المتنبي فقال له سيف الدولة : بتعاطي تلك العظيمة و بنزل تلك المنزلة لولا حمايته .

وحكي عن ابي حمزة البصري انه بلا من ابي الطيب خلا لا محمود من عافة المذهب ، والصدق وبلا منه ثلاث خلال ذميمة وذلك انه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن .

ووصفه ابن فورجة فقال فيه : كان داهية مراللسان شجاعاً ، حافظاً للأدب ، عارفاً باخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه الا بخله وشره على المال .

والذي دلنا عليه الوحيد ان المتنبي كان ميّ الرأي ، وسوء رأيه أخرجه من

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة ،

حضرة سيف الدولة ، وعرضه لعداوة الناس .

وقد ذكر ابو علي الخاتمي ان ابا الطيب المتنبي عند وروده مدينة السلام قد التحف برداء الكبر والعظمة فلا يرى احداً الا ويرى لنفسه مزينة عليه حتى ثقلت وطأته على اهل الأدب بمدينة السلام وبلغ من شذوذه انه لبس مرة سبعة اقبية الموتنة وكان الوقت أحر ما يكون من الصيف وأحق بتخفيف اللبس وشهد له ابو علي هذا بالفضيلة وصفاء الذهن ، وجودة القدح .

وكان ابو علي الفارسي قبل معرفته بالمتنبي يستثقله عمر قبح زبه وعلى ما كان يأخذ به نفسه من الكبرياء .

هذا ما تناهانا اليه من وصف بعض ظواهر المتنبي وبواطنه بوجه التقريب ، ولم يكن في مختلف هذا الوصف شيء من الخروج من مقدار ، فمن المحقق ان الرجل كان قليل الميل الى الهزل ، فان روحاً مثل روحه نزاعة الى العظمة والعلو لاشأناً لها في الهزل ، فقد كانت حياته جداً كل الجد ليس فيها متسع للهزل ، وانت رجلاً بضرب في مناكب الارض وبواديتها وحواضرها ابتغاءاً لأمر جل ان يسمى :

يقولون لي ما أنت في كل بلدة وما تبغي ، وما تبغي جل ان يسمى

ان رجلاً هذا هو مظهره في الحياة لا يجد لغير الجد معنى ، ولئن عبث في قليل من شعره ، مثل عبثه في قوله وقد مرّ برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يعجبان الناس من كبره :
وايكما كان من خلفه فان به عضّة من الذنب

او مثل عبثه في قوله :

اذا شاء انت يلهو بلحمة أحرق أراه غباري ثم قال له : الحق

نعم فما كان العبث من مذهبه .

ومن المحقق ان ابا الطيب كان صادقاً عفيف المذهب :

ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبت عن شعور في الرأس مكذوب

فلما نجد في اضعاف شعره نزعة الى اللهو والطرب ، فقد كان ينظر الى الحياة من ناحيتها السوداء وقلم نظر اليها من الناحية البيضاء اللامعة ، فما تغنى في شعره بشيء من نصارة الحياة ولذتها ، وانما أعرب في شعره عن الألم وقلم يجتمع اللهو وألم النفس ، واللهو

نفوس لا سبيل للألم إليها ، أما الأبيات التي ندل على ألم روحه فهي كثيرة - فمنها :
 فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما يهب اللثام ومنها :

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
 فصرت اذا اصابني سهام تكسرت النصال على النصال
 واقعد أكثر من الاشارة الى تضافر المصائب فمن قوله في مصر وقد أصابته حمى :
 أنبت الدهر عندي كل نبت فكيف وصلت انت من الزحام
 وفي هذه القصيدة يقول :

وان أسلم فما أبقى ولكن سلمت من الرحام الى الرحام
 فحياته في نظره موت له ، فما أقل سروره :
 وقت بضيع وعمر ليت مدته في غير أمته من سالف الامم
 أتى الزمان بنوه في شببته فسرقهم وانبتاه على الحرم
 على انه قد جاء في شعره ما يدل على ذوقه شيئاً من اللذات ، فمنه قوله :
 در در الصبا ايام تجر يسر ذبولي بدر أثلة عودي
 ومنه قوله :

وانعم ولذ فللمور أواخر ابدأ اذا كانت لمن أوائل
 مادمت من أرب الحسان فانما روق الشباب عليك ظل زائل
 للهو آونة تمر كأنها قبل يزودها حبيب راحل
 ولكن مذهبه في اللذات العفة التامة :

اني على شغفي بما سيفي خمرها لأعف عما في سراويلها
 ونرى المروءة والفتوة والابوة في كل مليحة خمراتها
 من الثلاث المانعاتي لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها
 نعم هذا هو مذهبه : المروءة والفتوة والابوة ، وان بيتاً مثل هذا البيت :
 اذا كان الشباب السكر والشيب هما فالحياة هي الرحام

لا يصدر عن قلب فضى صاحبه شرح الشباب في شيء من اللهو وفي شيء من نوابع
اللهو ، فما اصدقته في هذا الكلام :
وما كنت ممن بدخل العشق قلبه .

اما شجاعته فلا ريب فيها وان رجلاً يقولون له : كمنت لك جماعة تريد بك الشرّ
فخذ معك من يسير بين يديك فيغتاز من هذا القول غيظاً شديداً ويقول : والله
لا أرضى ان يتحدث الناس بالي سرت في خفارة احد غير سبني ، ان رجلاً مثل هذا
يحذرونه من الموت فلا يبالي بتحذيرهم استصغاراً لشأن الموت ، واجتساراً لمن كمن له ،
فيقيم في الذي حذروه منه لا يدخل الخوف قلبه ، ولقد أعانته على هذه الشجاعة صحبته
للأعراب ، والفقه لغزوم ، وسيره في البوادي ، ومصاحبته لسيف الدولة في كثير من
غزواته ، فالرجل كان شجاعاً لا شك في شجاعته والذي يرى حياته موتاً يستوي عنده
الموت والحياة .

وغاية المفرط في سلمه كفاية المفرط في حربه

فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه

واما شرهه على المال فهذا امر طبيعي ، فقد ذاق المنبئي في حادثة سنة ألم الفقر ،
فما زال يسعى في طلب المال حتى اجتمع له شيء منه ، فحرص على ثروته ولم يهذر
ولا يعرف قيمة المال الا الذي يتعب في جمعه ، والمنبئي لم يغن من غير ان يساوره كثير
من الألم ، واي ألم أعظم من ألم الحساد ، فهل يلام على حرصه ولا سيما ان الرجل كان
محمّداً الشأن حتى كان حساده يمتنون موته ، فكانوا يبعضونه ، ويترصون به الدوائر ،
هل يلام على اتخاذ المال جنة يدفع بها عن نفسه اذا تعرضت الدنيا عنه في يوم من الايام
فما ذا كان يلاقي من الناس في حالة اعراضها ، أفكان يلاقي منهم غير الشمانة ؟

على اني أعقد ان الرجل كان مقصداً ولم يكن بخيلاً والفرق بين البخل وبين
الاقتصاد ظاهر ، فما أظن ان ابا الطيب كان من البخلاء الذين ينشأ بخلهم عن مرض
من أمراض العقل فلا يجدون في انفسهم سلطاناً عليه ، وانما كان مقصداً بحسب الامور
حساباً وبعد لها عندئذ حتى لا يفاجئه الزمان بمكارهه .

واما ضعف عقيدته ورقة دينه فهذا امر صحيح ، وكثيراً ما قرع المنبيء هذا الباب كما قال الشعالي ، وقد رويت لكم الايات التي دلت على اخلاله بالدين وامتهانسه بصره والظاهر ان الرجل كان على مذهب المتشككين .

يخالف الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب
فقبل فخلص نفس المرء سالمة وقبل تشرك جسم المرء في العطب

ولكن أظهر أخلاق المنبيء التعظم وقلة المداراة ، وقد أثبت هذه الأخلاق ما كان يقع له في مجالس سيف الدولة وكافور وفي بغداد ، فأبو الطيب كان قليل المداراة للناس ، وقد شهدتم كيف كان يتعرض لأكابر الادباء ويستأنس بنجيبهم ، وليس معنى هذا ان ابا الطيب كان يجهل بعواقب تعرضه للناس ، ويخونهم قلة المداراة ، ولكن الرجل كان شاذ الخلق ، يصعب عليه ان بداجي وبداري ، ولو فعل شيئاً من ذلك لملك القلوب ، ونحن نشاهد في عصرنا من لا بداجي ولا بداري ، فنقبض القلوب عنه ويسطون السفهم فيه ، والناس ينقادون عادة من نواحي العاطفة والهوى ، قرب ابتسام نبتسمه ينزع ما وفر في الصدور من غل او حقد ، ورب نقطيع نقطبه يفرس لنا البغضاء في القلوب ، هذه هي طبيعة البشر . ولكن ابا الطيب اكبر من ان يحتاج الى شيء من المداراة والمداجاة ، فكان يجري على طبيعته لا يعبأ بشيء من غضب الناس عليه أو طعنهم فيه ، فان له من الثقة بخلود عبقرته ما يجعله يحقر اولئك الغاضبين الطاعنين .

ليت ثنائي الذي أصوغ فدى من صيغ فيه فانه خالد

فالطعن على اهل العبقرية يذهب جفاء ، وتمكث عبقريتهم في الارض ، فلا الافراط في الثناء على اهل البلاهة يهد لهم سبيلاً الى الخلود ، ولا الافراط في نقص اهل العبقرية يفلق الأبواب في وجه خلودهم ، نعم كانت ابو الطيب يعرف هذا كله ، ولكنه أرفع من ان يسرف الى المداجاة والمداراة . ماداجي ولاداري الا كل من لا يثق بقوة نفسه ، وكل من يحتاج الى قوة غيره ، ويستعين بها على حياته .

على ان ابا الطيب كان يجاري الناس في بعض الاحابين في الخداع ، وما بجارانه هذه الا هناء بالناس :

ولما صار ودّ الناس خيماً جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت اشك فبين اصطفيه لعلمي انه بعض الأنام

فالرجل كان قليل المداراة ، وقلة مداراته أوغرت الصدور ، وهاجت الضغائن ،
ولكن ابا الطيب كان يسخر من حسد الحساد ، واغنيهاظ المغناظين ، فلم يفكر فيهم ولا
شغل ذهنه بهم ، فقد سلّح الأدب بابيات سلاحاً بهزاً بثرثرة الثرثار وهذر المهذار ،
أفأجد حاجة الى ان أعيد هذه الابيات وقد سمعتموها في المجلس الماضي و بكفيتني ان
أشير منها الى بيت واحد :

ومن بك ذا فمر مريض يجرد مرأ به الماء الزلالا
او الى بيت آخر :

وأعجب من ناداك من لا يجيبه وأغيط من عاداك من لا تشاكه
بهذه الابيات واشباهها كان المتنبي يستحق المتطارلين للوقية فيه ، فما أصدق الذي
وصفه بمرارة اللسان ، واي مرارة أضر من هذه المرارة ، ولو جمعوا كل ما قالوه فيه من
طعن لما وزن حرفاً من هذه الابيات :
بذي الغباوة من إنشادها ضرر كما تُفسر رباح الورد بالجعل

نعم كان ابو الطيب مرّ اللسان ، فاذا غضب على احد أذاقه مرارة هذا اللسان
فانه لما فارق سيف الدولة لم ينج سيف الدولة من قوارصه ، وفي اول قصيدة قالها سيف
كافور أثر من هذه القوارص :

حببتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكأن أنت وافيها
وأعلم ان البين يشكيك بعده فلست فؤادي ان رأيتك شاكيها
فان دموع العين غدر برهما اذا كن اثراً الغادرين جواريا
اذ الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوراً ولا المال باقيا
وللتفلس أخلاق تدل على الفنى أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

فهذا الشعر كله تعريض بملك حلب ، والظاهر ان سيف الدولة كان يؤلم المتنبي

في عطابه ، فكأن بنعم عليه ولكنه كان يبطل نعمته بالن والاذى فاذا تأخر مدح
ابي الطيب عنه أنكر له بالحال (١)

أرى ذلك القرب صار ازوراراً وصار طويل السلام اختصاراً
تركنتي اليوم في خجلة أموت مراراً وأحيا مراراً
أسارقك اللحظ مستحيباً وازجر في الخيل مهري سراراً

فكان المنبئ بضطر الى الاعتذار :

كفرت مكارمك الباهرات ان كان ذلك مني اختياراً
ولكن حمى الشعر الأليل مـ حمى النوم الأغراراً

ولا يخفى ما في الاعتذار من إعانت النفس والتشديد عليها ، وإذا علمنا ان الشاعر
قد تعرض له في بعض الحالات عوارض يعاف فيها حياته ، فيستعصي عليه الكلام
أدركنا الألم الذي كان يساور ابا الطيب في ازورار سيف الدولة عنه اذا ابطأ عليه
مدحه ، فكأن سيف الدولة يقول له : انا اشتريت شعرك بالمال ، وقد أخذت مالي
فاعطني شعرك ، وكل هذا لا يخلو من منة واذى ، وكل هذا لا يخلو من ايلام وإيجاع ،
وعلى الخصوص اذا كانت الروح الاليمة مثل روح ابي الطيب يجر كها اقل شيء ، ومن
الذي يحق له ان يلجأ الى المنة ، أسيف الدولة أم المنبئ ، أفكان سيف الدولة لولا المنبئ
الامكان من اولئك الملوك الذين ذهبوا بين سمع الأرض وبصرها ولم يبق لهم الا القليل
من الذكر ، أفكان سيف الدولة لولا ابو الطيب يخلد هذا الخلود على شبيهة الإيمان ، على
هرمه ، فالمنبئ لم يسيء الى سيف الدولة ، وانما سيف الدولة هو الذي بدأ بالسوء ،
ومع هذا كله فقد كان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة بعد الانصراف عنه .

(١) كان سيف الدولة اذا تأخر عنه مدح المنبئ شق عليه واكثر اذاه وأحضر
من لا خير فيه ولقد قدم اليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يجب فلا يجيب ابو الطيب احداً
عن شيء فيزبد ذلك في غيظ سيف الدولة ويتأذى ابو الطيب على ترك قول الشعر
ويلج سيف الدولة فيما كان يفعله الى ان زاد الأمر وكثر عليه فقال قصيدته التي اولها .
واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن يحسمي وحالي عنده سقم

رمى وانقضى رمي ومن دون ما انقضى هوى كاسر كفى وفومى وأسهمى
نعم ترك المنبي مجالاً للصحة فلم بغضب على سيف الدولة كل الغضب :
فراق ومن فارقت غير مذم وأُمُّ ومن يمت خير ميم
ولما خرج ابو الطيب من مصر الى العراق كتب اليه سيف الدولة بالعودة اليه وألح
عليه ، فلم يرض بذلك ابو الطيب ، وهذا يدل على أن أثر الجرح في نفسه بليغ .

* * *

نعم غادر المنبي سيف الدولة ولم ينقض كل ما في قلبه من محبة سيف الدولة ، وانما
اقتصر على الاشارة الى التنغيص والمن ، فلم تظهر مرارة لسانه الظهور كله ، ولكنه لما ترك
كافوراً عرض علينا هذه المارة في أوضح معارضها ، فان كافوراً أساء الى بي الطيب من
اول اتصاله به ، فقد أظهر له التهمة اول يوم ولم يسمح له بان ينشده وهو قاعد ، ولم يسمح
له بان يجلس في مجلسه ، ووعد به بان يولييه فأخلف الميعاد ، وفي خاتمة الامر نوى ان يقتله ،
أفيلام ابو الطيب اذا تشفى من غيظه ، وعلى الخصوص بعد ان أضمره كافور في الولاية
ولم يذقه حلاوتها ، وانتم تعلمون كم كانت الولاية تشغل باله ، أفيلام ابو الطيب اذا آذاه
كافور فردّ اليه شيئاً من الاذى :

أميناً واخلاقاً وغدرآ وخسة وجيناً أشخصاً لحى لي ام مخازيا
لم يتزبد المنبي في هذا الهجوم ، رمى كافوراً بالكذب ، وقد كذب عليه ، ورماه
بالاخلاف وقد أخلف وعده ، ورماه بالغدر ، وقد غدر به فأراد قتله ورماه بالجبن وقد
كان يخافه اذا هو ولأه .

ليس من العجب بعد هذا كله ان تظهر مرارة لسان المنبي في أهاجيه في كافور
ولست أنبهكم على موطن من مواطن هذه المارة فارجعوا الى كل اهاجيه فيه فانها ألم
ما يكون من الشعر :

من علم الأسود الخصي مكرمة	أفومه البيض أم آباؤه الصيد
أم اذنه في بد النجاس دامية	أم قدره وهو بالفلسين مردود
اولى اللثام كويغير بمندرة	في كل لؤم وبعض العذر لتفيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة	عن الجليل فكيف الخصية السود

وما هي عطايا كافور الى جنب ما قاله المنذبي فيه ، وما هو حظ كافور من الخلود لولا شعر ابي الطيب الذي خلده .

على ان ابا الطيب لم يكن قليل الوفاء ، فما عرتض بسيف الدولة الا لأن سيف الدولة كان يؤلمه في عطاياء ، وما أخش في هجاء كافور الا لأن كافوراً أراد قتله ، ولقد وفي ببعض اليهود ، وفاء دل على ان الرجل كان صادق الود فقد توفي ابو شجاع فانك بمصر سنة خمسين وثلاث مائة فرثاه المنذبي بعد خروجه منها اي بعد انقطاع رغبته في كل عطية من عطايا فانك ، وتوفيت اخت سيف الدولة ببمافارقين ، وورد خبرها الى الكوفة فرثاها ابو الطيب وعزى اخاها بها سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة اي بعد مفارقتها سيف الدولة وبعد عزمه على ان لا يعود الى مجالس سيف الدولة ، وجاء في هذه القصيدة ابيات دلت على حسن وفائه :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب

حتى اذا لم بدع لي صدقه املاً شرفت بالدمع حتى كاد يشرق بي

نبين لكم ان ابا الطيب كان لا بداري والغالب على الذين نقل مداراتهم التعظم والكبرياء وقد يكون تعظيمهم في بعض الاحيان خلقاً ظاهراً يظنه الناس خلقاً باطناً فقد نفش الظواهر فلا نتم عن حقائق البواطن ، ولنا ندرى أكان ابو الطيب من أصحاب العنجية الظاهرة أم تمكنت الكبرياء من باطنه ، فكان متعظم الظاهر والباطن ، فالذي دل عليه شعره انه اكثر من الفخر بنفسه في كل حال من احواله ، فلا يجب ان نشبهه باحد لأنه لا شبيه له :

أعط عنك تشبيهي بما وكأنه فما احد فوق ولا احد مثلي

وقد كان يشعر بعجبه ، ووضح سبب هذا العجب :

ان اكن معجباً فحجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزبد

ولكن الذي يزعم في بعض الاحوال ان لفظة « انا » لا يكاد يخلو منها شعره ،

فلقد حار في الشيء الذي يشبه به نفسه ، فمرة هو صخرة الوادي والجوزاء :

انا صخرة الوادي اذا مازوحت واذا نطقت فاني الجوزاء

ومرة هو الاديب الذي لا ادب غيره :

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي واستمعت كسائي من به صم
وحينا هو المبدع لكل شيء .

انا السابق الهادي الى ما اقوله اذ القول قبل القائلين مقول
وحيناً هو السهمري :

وما انا الا سهمري حملته فز ين معروضاً وراع مسودا
وما الدهر الامن رواة قصائدي اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

لقد احتلاً ابو الطيب عجباً ، واظن انه كان يقلق اهل عصره في بعض الاحيان
بهذا العجب ، فلو حدثنا محدث ، واخذ في كل فرصة يتحدثنا عن نفسه ويردد لفظة «انا»
«انا» لما فرغ من احاديثه دون ان يغادر في قلوبنا شيئاً من الملل ، لقد يحتمل المرء اذا
نفر بنفسه مرة او مرتين ولكنه اذا جعل هجيراً هذا الفخر فقد ثقل وطأته علينا ،
ولا شك في ان ابا الطيب قد ثقلت وطأته على اهل عصره في بعض الاحيان .

ان تعظمه ظاهر في شعره لا يكاد يخفيه فهو كثير التكلم على نفسه ، لا يبالي بما ينشئ
هذا التكلم من الآثار في النفوس ، ولم يقتصر على التغني بحمال عبقرته ولكنه جاوز
هذا التغني الى شيء من العجب والفخر ، وقد يكون هذا المذهب مدعاة الى الاضجار ، انا
نحب ان يذوق الناس محاسننا من تلقاء انفسهم اي من دون ان نذيقهم اياها ، انا نحب
ان يشعروا بهذه المحاسن من غير ان نشعرهم بها فاذا توخينا اظهارها والنبيه عليها والاشارة
اليها فقد يذهب شيء من آثارها في النفوس ، وربما عادت هذه المحاسن مساوي ،
فابو الطيب كان يجب ان يذيق الناس محاسنه بنفسه فهو لا يريد ان يدع لم مجالاً لدوقها
بانفسهم ، ولعل هذا السر في ثقل وطأته على الناس ، وقد يكون السبب في لجوئه
الى هذا المذهب ان الناس كانوا يبخسونه حقه ، ويظلمون من آثار حسناته فكان
يضطر الى التنبه بحسناته :

واذا خفيت على الغبي فعاذر ان لا تراني مقله عمياء

نعم كان ابو الطيب متمعلاً في الظاهر وفي الباطن وكثيراً ما كان يجعل نفسه في
اماديج بمنزلة الملوك الذين كان يمدحهم :

انما التهنآت للاكفاء ولمن يدني من البعداء

وانا منك لانيهني عضو بالسررات سائر الاعضاء

وربما كان حظ من مدح نفسه في بعض شعره أوفى من حظ الممدوحين ، وقد حمله تعظمه هذا على احتقار الناس ، وما ذهب عنكم امر هذا الاحتقار ، وانه هذا بكافور نفسه في أماديجه فيه ، فأخاف به ان يهزأ به بغير كافور فكان كثيراً ما ياجأ الى التصغير حتى قال فيه ابوالعلاء : ان الرجل كان مولعاً بالتصغير لا يفتنع من ذلك بحجة المغير والصحيح انه أولع بالتصغير فلم يكتف بتصغير الأحمق :
مقالي للأحمق يا حلیم

او بتصغير الخادم :

ونام الخو بدم عن ليلنا

او بتصغير الشاعر :

أفي كل يوم تحت ضبني شو بر

ولكنه صغر اهل زمانه كلهم :

أذم الى هذا الزمان اهيله

دمشق : في ١٩ نيسان سنة ١٩٣٠



المقارنة

بين المعري والحيام (١)

نقوم محاضرتي على المقارنة بين شخصيتي شاعرين حكيمين هما ابو العلاء المعري العربي وعمر الحيام الفارسي واكبر الظن ان ليس في الحاضرين الكرام من لا يعرف شيخ المعرفة الكبير او يجهل ادبه ورأيه في الحياة ونظره في الكون ، اذ انه اشهر من نار على علم ، لذلك ارى من الضرورة ان اتكلم اولاً عن شخصية عمر الحيام . حتى اذا اطلعتم عليها وفهمتم مناحيها ، سهل علينا جميعنا الانتقال الى الامام برأي هذا الحكيم الفارسي ومعرفة اوجه الشبه بينه وبين حكيمنا الجليل ابي العلاء . وقبل ان اخوض هذا البحث ارجب ان بين لكم وجه امتدائي الى هذا الموضوع وما هي الاسباب التي دفعني الى معالجته وما علاقة فتى عربي بالفارسية وما هي صلته بهذا المفكر الفارسي ؟ .

ولدت في كربلاء ، ولا اغالي اذا قلت انها المدينة التي يحج اليها في كل عام مائة الف فارسي ، لزيارة تربة سيدنا الحسين الشهيد واخوانه ، ولا يقنع هؤلاء الزوار وفيهم العالم والغني والامير بالمكوث فيها بضعة ايام ، بل فيهم من بقي فيها محبوا ورأى اعواماً طويلة ، وفيهم من ينقل اليها تجارته واعماله ويتخذها له موطناً ثانياً . فبقنضي هذا الاختلاط اصبح كل من ولد او سكن فيها يتكلم بالفارسية ويلم بها على اختلاف لهجاتها .

ولما فتحت عيني في كربلاء وثرعرت فيها ، واخذت اميز بين الخير والشر ، والنار والنور ، وجدت نفسي اتكلم بالفارسية العامية كباقي الفتيان ، بيد اني وجدت في بيت ابي عجوزاً شمطاء قد وهن عظمها ، وفشا المشيب في رأسها ، ووجدت كل من في البيت يضمحلها حباً كثيراً ويحترمها احتراماً شديداً ، وكانت (زن اغا) او (بي بي جان) الامة الناهية في طول البيت وعرضه لا بعضى لما امر ، ولا ترد لها ارادة ، وقد نشأت على احترامها كسائر افراد العائلة غير اني كنت اجهل علاقة هذه الفارسية ببيت والدي ،

(١) محاضرة القاها في بهو المجمع العلمي العربي الاستاذ السيد احمد حامد الصراف

من ادباء العراق .

وقد قصت عليّ امي امرها فعملت انها كانت زوجة غني فارسي ، كان قد هجروطنه شيراز
 وشد الرحال الى كربلاء . زائراً فطاب له العيش فيها ، فأصبح مجاوراً ، وقد توثقت بينه
 وبين جدي اواصر المحبة . والوداد ، فمكثنا بتمساديان وبنزاوران ، غير ان نكد طالعه
 جره الى استعمال الافيون فاستنزفت امواله فأنزل من عرش الثراء واجلس على بساط
 الفقر ، فهجره خدامه وتركته حاشيته ، وامسح مشقلاً بالديون ، واخيراً صرعه هذه
 الآفة وسلبته روحه ، وبقيت زوجته وحيدة لا معين لها ولا نصير ، الى ان طعنها الفقر
 ووطئها الحزن فوقعت مريضة . ولما بلغ جدي ما جرى لها هزته الحمية وحركته المروءة
 فنقلها الى بيته وجاء لها بالاطباء فعالجوها حتى شفيت وقوي جسدها ، فجعلها مربية
 لاولاده وبناته ، وكان يحترمها ويحسن معاملتها وبوصي بها خيراً . وكانت (زن اغا)
 احدى حفيدات (فتح علي شاه) ملك فارس القاجاري وهي على جانب عظيم من الفضل
 والادب والاخلاق وكانت لبيبة تجيد الانشاء وتنظم القريض في الفارسية ، وتسطير
 اروع الشعر واحسنه سيف الفارسية . وكانت تلم بنكات الشعراء وتحفظ الشيء الكثير من
 الامثال الفارسية والعربية ، وقد تولت (زن اغا) تعليم امي واخواتها ، ادركتها ولم يبق
 فيهما غير ناب واحد ، وكنا اذا اجتمعنا عندها في ليالي الشتاء حدثتنا حديثاً لذيداً عن
 نكات الشعراء والادباء حتى يتغشانا النعاس فتصرفنا الى مضاجعنا واحداً اثر واحد .
 في احدى ليالي الشتاء من سنة ١٩١٨ اجتمعنا عند (زن اغا) وكانت تدير علينا
 اكواب الشاي وقد امسكت يدها غليونها الطويل واستعدت لنقص علينا مما خزنته
 في صدرها .

قالت : احدثكم الليلة عن احد القلندرية واسمه عمر الخيلسام وكان سكيراً مدمناً
 للخمرة مفتوناً بالمشعشة كافلنن ابني نواس بها :
 حمل ذات يوم ابريق خمرته وصعد الجبل ليحسو كؤوسها وكانت تصعبه ابنته وبناتها
 كانت يتمتع نفسه بالذند طعمها هبت ريح شديدة فخطمت ابريق مدامه وانسكب ما في
 الابريق على الارض فغضب وقال مخاطباً الرب بهذه الرباعية :

ابريق مي مر اشكسي ربي برمن درعيش رايدستي ربي
 برو خاك فكنددي مي كلكون مرا خاكم بدن مكرتومستي ربي

اي - يا آهي حشمت ابريق خجري واوصدت باب الطرب في وجهي وقد سكبت
على الارض خمرني اللازوردية تراب بفحي فهل انت مثلي سكران يا آهي .
ولما اتم انشاد هذه الرباعية اسود وجهه حالاً فقالت له ابنته بالبقى لقد اسود وجهك
فطاب المرأة ونظر الى وجهه فالفاه اسود فاحمًا فعلم ان الله قد غضب عليه فخطب الله
مستغفراً بهذه الرباعية .

ناكرده كنه درجهان كېست بكو وانكس كه كنه نكرد جون زېست بكو
من بد كنم وتوبه مكافات دهې بس فرق ميان من وتو جېست بكو
اي - يا آهي قل لي من الذي لم يرتكب خطأ في هذه الحياة وكيف عاش انسان ولم
يرتكب خطيئة ؟ انا اعمل سوءاً وانت تقابلني بسوء مثله اذاً اي فرق بيني وبينك يا آهي .
وبعد انشاد هذه الرباعية عاد وجهه الى ما كان عليه .

بهذا حدثتني (زن اغا) عن عمر الخيام قبل اثني عشر عاماً ، وقد بعثت هذه
الاسطورة اللذيذة في نفسي رغبة الاطلاع على شعره ومعرفة شخصه ، فطلبت اليها ان
تدرسني دبوانه فرفضت طلبي زاعمة ان في شعره ما لا يتفق مع الشرع فالحجت عابها
الحاحاً شديداً فاخذت تدرسني رباعياته . واذا بي امام شاعر حكيم وفلكي شهير وفيلسوف
مفكر له نظرة في الحياة غير هذه النظرات ونأمل في الكون غير هذه التأملات ، وانه لم
يكن بالقلمندري الكبير وانما كان رجلاً فذاً منقطع الظير وانه بعد بلامدافع من حكماء
المسلمين المفكرين .

اما وقد اطلعتم الآن على الاسباب التي دفعتني الى البحث في ادب الخيام حق لكم
ان تستفسروا مني سائلين من هو عمر الخيام ، وفي اي عصر عاش ، وما هو رأيه في
الحياة وما هو اثر ادبه ورأيه في الفرد وفي المجتمع ؟ :

في سنة ١٩٢٢ نشر العالم الكبير الدكتور (ميلار) مقالاً في جريدة (المورن
وست) ادعى فيها ان شخصية عمر الخيام محاطة بغلالة من غموض وابهام . وقد نسبت
حوله اساطير غامضة تدعو الى الشك في وجوده ، وجاء ببراهين واهية واهنة انكر فيها
عمر الخيام وزعم انه كان شخصاً موهوماً قد تخيلانه ادمغة الناس تخيلاً فأنبرى له اذ ذ

العالم الجليل القدر (السر دنيسون روس) مدير مدرسة الدراسات الشرقية في لندن وفيد اقواله بدلائل لنحصر في خمس نقاط ، ولما كنت قد قضيت بضعة اعوام في درس حياة هذا الحكيم وادبه شعرت في نفسي بقوة للرد عليه فرددت عليه بمقال اثبت فيه شخصية المجهوث عنه بثلاث عشرة وثيقة تاريخية لا غبار عليها ، واذ كان الذي بهننا انما هو الاطلاع على ترجمته لذلك اكنفي بسرد الوثائق الهامة منها :

ان من اقدم الوثائق التاريخية التي ورد فيها اخبار عن عمر الخيام وحوادثه كتاب (جواهر مقالة) لمؤلفه احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي الذي تلمذ لعمر الخيام وزار قبره في سنة ٥٣٠ هـ فقد قيل له ان استاذہ توفي منذ اربع سنوات . والنظامي هذا ذكر في المقالة الثالثة التي خصها باخبار الفلكيين ما ترويه : في سنة ٥٠٦ هـ هجرة في مدينة (بلخ) وفي صرح سراي (امير بوسعد جره) حظيت بمقابلة الاستاذ عمر الخيام والامام مظفر اسفزاری وبك اثناء الحديث سمعت حجة الحق اي (عمر الخيام) يقول اني اذا مت فان قبري سيكون في مكان تهب عليه نسيمات الشمال وينشر عليه الزهر والورد — وقد اخذني العجب من قوله لاني كنت اعتقد ان خياماً لا يتكلم الا عن روية . وفي سنة ٥٣٠ هـ هجرة بالغني ان التراب قد اخفي ذلك العظيم منذ اربع سنوات وترك العالم السفلي يتيماً . واذ كان له حق التعليم علي ذهبت الى زيارة قبره يوم الجمعة ومعي رجل يدلي علي قبره فأخذني الى مزار حيرة والثفت الى اليسار فالتفت قبر عمر الخيام بجانب جدار حديقة مهجورة وقد نبت حول القبر اشجار المشمش وكان منوراً وكان الزهر يتساقط علي قبره حتى توارى قبره . وقد ذكرت ما قاله لي في بلخ فبكيت ولم اجد في هذا العالم نظيره اسكنه الله تبارك وتعالى جناته بمنه وكرمه . وبين هؤلاء الشهرزوري شمس الدين محمد بن محمود : وقد ذكر عمر الخيام في كتابه (نزهة الارواح وروضة الافراح) الذي الفه بين سنة ٥٨٦ — ٦١١ .

عمر الخيام نيسابوري الآثار والميلاد كان تلو الي علي (ابن سينا) في معرفة اجزاء علوم الحكمة الا انه كان مي الخلق ضيق العطن تأمل كتاباً باصهار سبع مرات وحفظه وعاد الي نيسابور فأملأه فقبول ينسخته الاصلية فلم يوجد بينها تفاوت . وله ضنة بالتصنيف

والتعليم وله مختصر في الطبيعيات . رسالة في الوجود ورسالة في الـكون والتكليف وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ .

ودخل عمر يوماً على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق وكانت عنده امام القراء ابو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية فقال الوزير على الخبير سقطنا فسئل عمر عن ذلك فذكر وجوه اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهم وذكر الشواذ وعلمها وفضل وجهاً واحداً فقال الغزالي كثر الله في العلماء مثلك اجعلني من ادمه (١) اهلك وارض عني فاني ما ظننت احداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلاً عن واحد من الحكماء . واما اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدة . ودخل حجة الاسلام الغزالي عليه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء فطول الخليام الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا وضمن بالغوض في محل النزاع وكان هذا من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذنت الظير فقال الغزالي جاء الحق وزهق الباطل وقام .

وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخافان شمس الملوك بخاري يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره .

ومن ذكره من مؤرخي العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن علي ابن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ قال :

امام خراسان وعلامة الزمان بعلم اليونان ويبحث على طلب الواحد الديان بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية وبأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية ، وقد وقف متأخراً الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم ونحاذروا بها في مجالسهم وخلواتهم وبواطنها حياة للشرع الواسع ومجامع للأغلال جوامع ، ولما قدح اهل زمانه في دينه واظهروا ما أسرته من مكنونه خشي على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه وحج مقافة لا نقيه وابدى اسراراً من السرار غير نقيه ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ويكتم اسرار له ولا بد ان يبدو

وكان عديم القرنين في علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل في هذه الانواع لورزق العصمة وله شعر طائر يظهر خفياته على خوافيه وتكدر عرق قصده كدر خافيه . فنه :

إذا رضيت نفسي بميسور بلغته	يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها	فكن يازماني موعدي او مواعدي
اليس قضى الافلاك من دورها بان	تعيد الي نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك انما	تخر ذراعها بانقضاء القواعد
ولي فوق هام النيرين منازل	وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
مضى ما دنت دنياك كانت بعيدة	فواعجي من ذا القريب المبعاد
إذا كانت محصول الحياة منية	فسيان حالاً كل ساع وقاعد

جاء في (ج ٤ ص ٦١) من تاريخ روضة الصفا للمؤرخ الفارسي الشهير خواند مير نقلاً عن وصايا الوزير نظام الملك ما ملخصه :

قرأت اربع سنين على الاستاذ موفق الدين النيسابوري فصادفت عنده تلميذين ذكبين عمر الخيام وحسن الصباح ، فصادقتهما وكنا بعد الدرس نجتمع لتكراره والمذاكرة فيه . وعندما اجتمعنا يوماً لمثل ذلك قال لنا حسن الصباح لقد اشتهر انت من يقرأ القرآن او الحديث على الاستاذ موفق الدين يصبح ذا حظ عظيم ومنزلة سامية فاذا كان احداً مصداقاً لذلك فما الذي يجب عليه لصديقه فقلت له فما رأيك انت قال ان يشرك كل منا صديقه فيما يناله من النفع فاتفقنا على ما رآه .

وبعد حين من الدهر جاءني عمر الخيام على عهد السلطان البارسلان السلجوقي فقابلته بمزيد الحفاوة وقلت له الان وجب علي ان ابين درجة علمك وفضلك للسلطان واطلب منه ان يملك ملازماً مجلسه حتى تكون شريكاً في الجاه عنده كما كنا شريكين في الدرس لدى موفق الدين ، فقال اشكر لك حسن ظنك بي ، ولكن افضل ان تأمر لي بشيء اصليحه شأنه كي اتمكن من ممارسة العلوم ومزاولة الفنون لان ملازمتي لمجلس السلطان تمنعني عما اتوخاه ، فجعلت له راتباً سنوياً قدره ١٢٠٠ ذهباً بتقاضاها من املاك نيسابور .

وبعد برهة من الزمن قدم عمر الخيام مروءة على عهد السلطان ملك شاه السلجوقي وكان قد اشتهر في العلوم شهرة فائقة ولا سيما في الرياضيات وعلم الفلك فنال حظوة عظيمة

عنده وحاز منزلة كبار العلماء والحكماء ، ولم يجد نظام الملك في حسن الصباح خيراً لانه اراد مزاحمته في الديوان .

ولقد علمت الآن ان عمر الحليام نيسابوري المنشأ وانه عاش في اكناف الدولة السلجوقية وعاصر ملكشاه البارسلان وقد نلتذ في عنفوان شبابه بموفق الدين النيسابوري مع نظام الملك والحسن الصباح في مدرسة واحدة وانه زار بغداد وتجاوز مع الامام الغزالي في قضايا شرعية وفلكية وقد اتني عليه الامام الغزالي وان له تأليف قيمة في العلوم الشائعة في عصره وانه قد توفي في اوائل القرن السادس الهجري . بقي علينا ان نفهم ماهي الافكار التي نجول في خاطر الحكيم وما هي تلك النظرة التي كان يرسلها الى الحياة وما هي فلسفة هذا الرجل الذي ملأت شهرته ارجاء العالم واستموى شعره الناس .

ارى ان انلو على مسامعكم طرفاً من شعره ليتوضح لكم جلياً رأيه الصريح قال :
زان بيش كه غمهاش شديجون آرند فرماي كه تا باده كلوكوت آرند
توز رنه اي غافل نادان كه ترا در خاك نهند و باز بيرون آرند
قبل ان نهاجك همومك مرهم ان ياتوك بدماء وردية . انت لست ذهباً ايها الجاهل
الغرايد فنوك في التراب ثم يخرجوك .

اي آنكه نتيجه جهار وهفتي در هفت وجهار دائم اندر نفثي
مي خور كه هزار بار بيش كفتم باز آمدات نيست جور فني رفني
يا من هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات حتى م انت لئالم بالتفكر فيها اشرب
الخمرة فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبة فاذا ذهبت ذهبت .

جام ومي وساقى بر لب كشت بهتر بهشتي كه خير بودش دشت
مشنو سخن بهشت و دوزخ از كس كه رفته بدوزخ و كه آمد ز بهشت
ان خيراً من الفردوس الذي وعدته كأس و خمرة وساق في جنب روضة . لا تسمعن
من احد حديث الجنة والجحيم من ذا الذي ذهب الي الجحيم ومن ذا الذي جاء من الجنة .
جون حاصل آدمي درين جاي دودر جزد رد دل و دادن جان نيست دكر
خزم دل آنكه بك نفس زنده بنود وآسوده كسي كه خود نزاد از مادر

ان حاصل الانسان من هذه الدار ذات البابين الالم وزهوق الروح . فهنئنا لمن بعث ساعة وطوبى لمن لم يولد من امه .

روزي که دومهلتست میخو رمی ناب کاین عمر دوروزه برتکرده درباب
دانی که جهات رو بخوابی دارد تومنیزشب وروزهی باش خراب
اشرب الخمر الصافیة مرتین فی کل یوم . فان هذا العمر القلیل لا یعود الیک
مرة اخرى مادمت تعلم ان مصیر الکنون الی الخراب . انت ابضاً کن خراباً لیلاً ونهاراً .
از حادثه زمان آینده مبرس وزهرجه رسد جو نیست باینده مبرس
این بکدمه انقدر اغنیت میدان از رفته میندیش وز آینده مبرس
لا تسأل عن حادث الزمان الآتی وعن کل ما یصیبک منه لانه لا یدوم اغتنم الساعه
التي انت فیها ولا تفکر فیما مضی ولا تحفل بما بآتی .

اقد بان لكم رأي عمر الخيام في الحياة عريان صريحاً فان نظرة واحدة الى المعاني
التي تضمنتها هذه الرباعيات تكفي لان توضح للباحث ان الطريق الذي يوصينا الخيام
ان نسلكه هو طريق مظلم خطر يضل الانسان فيه ولا يهتدي الى السبيل السوي فان
هذه الفلسفة السلبية التي بمقتضاها يتجرد الانسان عن كل شيء سوى الساعه التي يعيش
فيها فلسفة هدم وتخريب لا فلسفة بناء وتعمير لانها فلسفة ترمي الى هدم امسنا الذي
نحن ابناءؤه والذي نستمد منه عناصر القوة في يومنا لنعيش في غد عيشة رغدة .

امس واليوم وغد سلسلة ذات حلقات ثلاث لا انفصم عراها ولا تنفك احداها عن
الاخرى ولا يمكن تصور تجزئتها لانها الحياة والحياة لا تنجز الا لان عناصر الحياة قوة
واحدة في شكل مادة واحدة وان اختلفت مظاهرها وحياتها اليومية حافلة بالاحلام
والاماني والآلام وغيرها مما يخلج في الصدر في كل لحظة ويرد على الخاطر في كل
برهة والانسان لا يستطيع ان يتخلى عن امانيه وآلامه واحلامه وخيالاته واوهامه اذ
لا مندوحة له من هذه السلسلة التي لا انفك لتجدد في كل يوم بل في كل لحظة ، على
ان هذه الانفعالات كلها وليدة الحوادث وكل حادث يستحيل الى ماض بمجرد وقوعه
وهذه المشاكل او الانفعالات النفسية تحتاج الى متسع من الوقت لحلها وهذا الوقت هو
الغد فأمس واليوم وغد حلقات الحياة والوجود وكلها سلاسل وقيود لا يمكن التخلص منها .

إذا فما هو السر الذي جعل الناس يتهافون ويتلذذون بآرائه وكتابه .
 لقد أراد عمر الخيام ان يحل المعضلة العظيمة التي لم يستطع ان يحلها احد قبله ، اراد
 ان يفهم الحياة ففشل ولما فشل تشاءم ولما تشاءم اخذ بصور الحياة بأشع صورة وزعم انها
 ملأى بالالوجاع والاتراح منوعة بالأذى ، لذلك حث على عدم الاهتمام بها وادعى بطلب
 اللذة اغشاماً لهذه الفرصة فهذه الفلسفة السلبية تلائم ذوق الفرد خصوصاً البائس المتألم ،
 ورأى الخيام في الحياة يتلخص فيما يلي :

ما دام ليس في امكاننا ايقاف دورة الفلك وما دمنا لا نعرف من اين جئنا والى اين
 نذهب وما دمنا مسيرين لا نخير بين وما دام العمر قصيراً والحياة اذى فيجب قتل هذا
 الوقت المؤلم القصير بالخمرة وعدم الاهتمام بالتقاليد .
 هذه كلمة موجزة في فلسفة عمر الخيام ، والآن نعود الى اصل الموضوع وهو المقارنة
 بين المعري والخيام .

كنت في اثناء درسي لرباعيات الخيام اشعر بوجود نسب متين وقاربة فكرية بين
 هاتين الشخصيتين وكنت كلما اعنت النظر في فلسفة الخيام ازدادت عقيدة بوجود شبه
 عظيم بين هذين الفذيين ، ولو ان توأمين نشأ في حضن أب وأم وتعلما في مدرسة واحدة
 وتربيا في بيئة واحدة وطراً عليهما من شؤون الحياة في الصغر والكبر ما يكونان به
 شريكين فيه فتأثلت اخلاقهما وطباعهما وتقاربت آراؤهما ونظراتهما في الكون ، لقلنا
 ان المعري والخيام اخوان شقيقان وفرعان من غصن واحد فكانت المشيئة الالهية قد
 قدتها من أديم واحد وجبلت طبيعتها في آنية واحدة وفي آت واحد وحبتهما طبعين
 وفكرين منقارين متشابهين .

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين في الاخلاق فكلاهما كان منقبض
 النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بأيديهم ما فتيا لم يستهزأ بهم مستخفاً
 بعقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة أجل شأنها واعظم قدراً
 من حطامها وكلاهما متطلع نائق الى اسرار الحياة معني بها ، وكلاهما ابي النفس صادق

القول مطلق الرأي جري على البوح بمذهبه ، الا فترات كانا كلاهما براعي فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولو ارادا لدالا وفراً وذهباً وفضة ، وكلاهما عاش عزباً لم يتزوج وكلاهما نشأ في عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالآراء الفلسفية ، اذ في عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفي عصرهما اجتمع اخوان الصفاء خفية وابرزوا رسائلهم الشهيرة . واقول الفيلسوفين على تقارب في العلوم والمعارف . اما تأليفها فقليلة ايضاً واما السياسة في زمانها فمتشابهة فقد كانت نار الفتنه مشتعلة في سورية في عصر المعري . واما فارس فقد كانت رحي الحرب فيها دائرة كل المدة التي عاش فيها الخيام فانه نشأ في اكشاف الدولة السلجوقية التركية التي قامت مقام لدولة الغزنوية ولم تقم تلك الدولة الا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هذه الحكومة في ايام ملكشاه ٤٦٥-٤٨٥ الذي كان يجل عمر الخيام اجلالاً عظيماً حتى عهد اليه بناء الرصد ورتيب الزيج . وفي عهده اسس زميله وشريكه في الدرس (حسن الصباح) مذهب الباطنية وفي ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها اغتيل زميله وشريكه الآخر (نظام الملك) بطعنة باطني . تضاربت آراء الباحثين في السنة التي ولد فيها عمر الخيام كما تشعبت آراؤهم في السنة التي توفي بها فال مؤلفون الغربيون يرجحون ان وفاته كانت سنة ٥١٧ هجرية وهو القول المشهور وقد ذكرت اقوال عديدة في وفاته وكلها بين سنة ٥٠٨ - ٥٣٠ وعمر كل حال فانه توفي في اوائل القرن السادس للهجرة وذكر عن النظام - وهو تلميذ خيام - انه زار قبره في نيسابور سنة ٥٣٠ وقيل له ان الخيام توفي منذ سنوات .

وذكر البيهقي في كتابه حكماء الاسلام وفاته فقال : حكى لي خشنه الامام محمد البغدادي انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل في بحث الآهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل (الواحد والكثير) وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب فلما صلى العشاء الآخرة سجد وكان يقول في سجوده اللهم تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لي وان معرفتي اباك وسياي اليك ومات رحمه الله تعالى . اما ابو العلاء المعري فقد اجمعوا على انه ولد في سنة ٣٦٣ هجرية وتوفي عاشر ربيع الاول من سنة ٤٤٩ . فعلى هذا يكون المعري اقدم من الخيام بما يزيد على نصف

قرن وهي مدة كافية لنشر كتب أبي العلاء ورسائله ودواوينه في اقطار العالم الاسلامي ولا يبعد ان يكون الخيام افننى كتب أبي العلاء في طريقه الى الحجاز واطلع عليها . على اننا لا نريد ان اتهم الخيام ولا نغض من قدره ولا نقدح في علمه وفضله وعبقريته انما نريد ان نبحث عن هذه الآراء المتشابهة التي اشترك فيها الحكميان ، فالمعري . منقدم على زميله وعربي بحث لا يعرف الا اللغة العربية والخيام متأخر فارسي . مستعرب يعرف اللغتين وله شعران عربي وفارسي .

فهل الخيام عيال على المعري في مذهبه الفلسفي والشعري . ينبغي ان نذكر أمثلة بهذا الخصوص .

« اتهامها بالزندقة »

كان كل واحد من الشيخين متهاً بضعف الايمان والمروق عن الشريعة وموحدوماً بالتعبير الذي كانت شائعاً في ذلك العصر وهو (الزندقة) ذلك الجرم الذي ما الصق باحد الا كان جزاؤه الموت وكانت فرائص الاحرار ترتعد خوفاً منها وقد ذهب بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس والحلاج والسهورودي وغيرهم ضحايا هذه التهمة .

اما ابو العلاء فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بابي القاسم فطاب منه بعض الناس ان يقرأ بعضاً من الآي الكريم فقراً (ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واصل سبيلاً) يريد بذلك إهانة الشيخ ، وقد تألم ابو العلاء من ذلك الوقع فهجاء ببنتين .

ودخل عليه الوزير المشهور بالمنازي فسأله ما هذا الذي يرويه عنك الناس ؟ قال : قوم حسدوني فكذبوا علي وقد تركت لهم الدنيا قال المنازي والآخرة فقال ابو العلاء (والآخرة ؟) ثم اطرق ولم يكلمي حتى قُت عنه .

وزاره بعض القضاة فقال له ابو العلاء لم اهج احداً . قال صدقت الا الانبياء قال فتغير لونه . وقد ابتلي عمر الخيام بما ابتلي به صاحبه فقد وصمه (شيخ نجم الدين الرازي) في كتابه (مرصاد العباد) الذي ألفه سنة ٦٢١ هجرية بأنه ممن يدين بدين الفلاسفة والدهريين الطبيعيين وكان القائلون بهذا المذهب كفاراً ضلالاً في نظر الناس وقد احتج نجم الدين على ضلاله وزندقته باحدى رباعياته وقد تقدم ذكرها في ترجمته .

ومما يؤيد ظن الناس به ظناً سبباً واتهامهم له بالزندقة قول (القفطي) (ولما قدح اهل زمانه في دينه واطهروا ما اسره من مكذونه خشي على دمه وامسك من لسان قلمه وحج متافاة لا نقيية وابدى اسراراً من السرار غير نقيية ٠٠٠ الخ) وقول القفطي فيسه بدل على ان الناس كانوا بناوئونه وبنواوشونه بالكلام القارص البذي ولا اشك في ان الذين كانوا يتهمون عليه و يغرون العوام بايذائه هم رجال الدين وهذا شأنهم في كل عصر مع الاحرار والعطاء الا ان الخيام لم يقصر في رد كيدهم في نجوهم واطهار ما يبطنونه من المكر والخبث فقد قذعهم في كثير من ربايعانه فمن ذلك قوله في المفاي واطنه كان من مناوئيه :

اي مفتي شهر از تو بر كار تريم بالين همه مستي ز توهشيار تريم
ماخون رزان خوريم و توخون كسان انصاف بده كدام خو نخوار تريم
يا مفتي المدبنة انا احسن منك عملاً ومع كثرة سكرنا فانا اصمى منك انا اشرب
دم العنقود وانت تشرب دم الناس فانصف فابنا شراب الدماء .

« اعتقادهما بالجبر »

كان كلا الحكيمين معقداً بمذهب الجبر دائماً به . فقد نص ابو العلاء المعري في مقدمة (اللزوميات) على انه لم يؤلف هذا الكتاب مختاراً وانما الفه بقضاء خفي لا يعرف كنهه وحقيقته . وقد ذكر الجبر في اللزوميات صراحة كثيرة مثبتة اياه ومناضلاً عنه فمن قوله فيه :

خرجت الى ذي الدار كرهاً ورحلتي الى غيرها بالرغم والله شاهد
فهل انا فيما بين ذلك مجبر على عمل ام مستطيع فجاهد

...

ما باختيارى ميلادي ولا هجري ولا حياتي فهل لي بعد تحبير

...

جئنا على كره ونرحل رُغماً ولعلنا ما بين ذلك نجبر

...

وردت الى دار المصائب مجبراً واصبحت فيها لبس يعجبني النقل

...

ولم نخلل بدنينا اختياراً ولكن جاء ذلك على اضطرار
 اما عمر الخيام فكان رأيه صريحاً في الجبر بصورة لا يحتمل الشك ولا التأويل
 فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل (احدها) كيف صدر ملازم التضاد والشر
 عن الواجب مع البت بانه عز وجل يتعالى عن ان يكون مصدر شر او ظلم وجور ومع
 القول بامتناع تعدد الواجب . (الثانية) اي الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه
 بالتحقيق : الجبرية القائلون بالجبر وني الاختيار عن الممكن ام القدرية الناسبون الى
 العبد خلق افعاله . (الثالثة) ان قوماً يقولون بان البقاء من صفات المعاني اي انه صفة
 زائدة على ذات الباقي في الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم .
 فاجاب عمر الخيام بكلام طويل حلل فيه هذه الابحاث تحليلاً دقيقاً وكان جوابه
 على السؤال الثالث صريحاً في الجبر فقد قال — واما سؤاله عن اي الفريقين اقرب
 الى الصواب فلعل الجبري اقرب الى الحق في يادي الرأي وظاهر النظر من غير ان يتجلى
 في هدياته وينغلغل في خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً وما يؤيد ذلك قوله في
 احدي رباعياته .

آورد باضطرارم اول بوجود جز حيرتم از جهان جيزي نفزود
 رفتيم با كراه وندانيم چه بود زين آمدن وماندن در قن مقصود
 جاء بي مضطراً الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة . ذهبنا مكرهين ولم
 نعلم المقصود من مجيئنا وبقائنا وذهابنا .

بر هر هزارم هزار جاد ام نهی کوی که بکیرمت اگر کام نهی
 يك ذره ز حکم تو جهان خالی نیست حکم تو کنی وعاصم نام نهی
 تضم الاشراك يا آهي في الف مكان من سبيلي ونقول انك اذا وطأناها فاننا نهلك
 لا نخلو ذرة في العالم من حكمك انت تحكم ونقدر على وانت تسميني بالعاصي .
 « البعث بعد الموت »

كان قدماء المصر بين يعتقدون بعودة الروح الى الجسد في الدنيا ، وكان فلاسفة
 اليونان والآلهيون ولا سيما اتباع افلاطون يعتقدون بخلود الروح الا انهم ما كانوا يؤمنون
 ببعث الارواح كما نصت عليه الشرائع المنزلة وكانوا ينكرون حشر الاجساد التي لا تلبث

ان بطرق اليها البلى بعد دفنها ، وزعموا ان الروح لننقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتي قدسي عقلي وهناك تحيي حياة إما شقية وامام سعيدة لقاء ما أنه في الحياة من آثام أو اعمال مبرورة . اما ارباب الديانات فرأيهم صريح في البعث والمسلون يعتقدون بخلود الارواح وحشر الاجساد ومن ينكر البعث بعد الموت يكفر وعقابه القتل ، والقرآن طافح بالآيات التي يستدل بها المسلمون على البعث والمفسرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة وآراء عجيبة في هذا البحث .

وقد انعمنا النظر في رباعيات عمر الخيام فوجدناه نارة منكرة للبعث انكاراً صريحاً مسفهاً رأيي الزاعمين حشر الاجساد ومستهزئاً باقوالهم وطوراً معترفاً به مما يصعب على الباحث ان يصدر حكماً قطعياً ورأياً نهائياً بالسلب او الايجاب وقد لمس خيام هذا الموضوع استطراداً وذلك اثناء بحثه عن الخمرة وحشه الناس على شربها فن قوله :

زآن بیش که غمهاست شبنون آرند فرماید که تاباده کلکون آرند

نوزرنه ای غافل نادان که ترا در خاک نهند و باز بیرون آرند

صاح قبل ان تهجم عليك غمومك على غرة مرلياً نوك بالخمرة اللازوردية . ايها

الغافل الجاهل انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة اخرى .

ما لبعبتك انيم و فلک لعبت باز ازروي حقيقي نه ازروي مجاز

باز يجه کنان بدبير نظم وجود رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن الاعيب اطفال والفلک هو الملاعب بنا وذلك امر حقيقي غير مجازي لقد

لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً اثر واحد .

فقوله (انت لست ذهباً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة اخرى ، وقد ذهبنا

الى صندوق العدم واحداً بعد واحد) دليل على انه لم يكن معقداً بالخشع والشر كما

يعتقد به المسلمون غير اننا نراه في موضوع آخر بهرم ما نقضه .

از خالق کرد کار و زرب رحيم نو ميد نيم به جرم وعصيان عظيم

کرمست و خراب مرده باشم امروز فردا بخشد به استخوانهاي رميم

لست قانطاً من رحمة الله الرحيم لجرمي وعصيان العظيمين وان انا مت اليوم سكران فانه

سيغفر (غداً) رميم عظامي .

وكلمة (غدا) هنا لا تفسر الا بهيوم القيامة التي يكون بها البعث والحساب والعقاب والعذاب .

وعمر الخيام بنقضه وابرامه يشبه ابوالعلاء المعري فان الثاني اضطرب رأيه في البعث اضطراباً عظيماً فكان تارة مؤمناً به وتارة منكراً له فن قوله الذي أثبت فيه البعث :
 واني لأرجو منه يوم تجاوز فيأمر بي ذات اليمين الى اليسرى
 اذا راكب نالت به الشئ أو ناقة فما أيتني الا الطوالع والخسرى
 وان أعف بعد الموت مما يريني فاحظي الادنى ولا بدني الخسرى
 ومن قوله الذي انكر فيه البعث انكاراً صريحاً :
 ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
 تحطحننا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك
 وقوله :

اما الجسوم فللتراب ما لها وعيث بالارواح اني نسلك
 على اني ارناي ان كلا الحكيمين كان منكراً للبعث غير معتقد ببحر الاجسام وخلود
 الأرواح واما الابطال التي نظمها الشيخان في اثبات البعث فقد نظماها نقيية وخوفاً من
 الناس وسخط الجمهور عليهما (والشك) ولاريب أثبت في الانسان من اليقين ولا سيما في
 قضية هي أقرب الى الخيال الشعري من الحقيقة اليه .
 وكان ابوالعلاء المعري يرى النقيية ومداراة الناس ويحتاط في اظهار آرائه ويعول
 على المجاز كثيراً اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد ، وفي لزومياته شعر كثير نستدل به
 على ذلك فمن قوله :

اصدق الى ان ترى في الصدق مهلكة وبعد ذلك فاكذب فاعداً وقم
 وقوله :

فاضمت فان كلام المرء يهلكه وان نطقت فافصاح وايجاز
 وقوله :

اهوى الحياة وحسبي من معانيها افي أعيش بتجويته وتندليس
 اكتم حديثك لا يشعر به احد من رهط جبريل او من رهط ابليس

فهذه الابیات تدل على ان ابا العلاء كان سيئ الظن بالناس كثير الحذر منهم وقد اتخذ (الثقية) جنة له .

وقد حذا عمر الخيام حذو ابي العلاء المعري وسلك طريقه في دفع الاذى والضرر عن نفسه فقد ذكر « الوزیر جمال الدین ابي الحسين علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي » مانصه : « ولما قدح اهل زمانه في دينه وأظهروا مأسرته من مكذونه خشي على دمه وأسك من عنان لسانه وقلة وحج متافاة لائقية وابدی أمراراً من السرار غیر نقیة » .
ومما يؤيد قول القفطي الصراحة البارزة في بعض رباعياته التي يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه وعدم افشاء ما يمكنه ضميره خوف البُله من صغار العقول وضعفاء الحلووم .

باهر بد ونيك راز ننوانم كفت كوته سختم دراز ننوانم كفت
حالي دارم كه شرح ننوانم داد رازي دارم كه باز ننوانم كفت
لا أستطيع ان ابوح بسرّي لكل طيب وخبيث انا قصير الكلام لا أستطيع ان
أطيله . لي حال لا أستطيع ان أشرحها ومرة لا أستطيع ان اقله .

ولاسيما ان عصر الخيام كان عصراً طافحاً بجماعات من المتصوفة العمي الابصار والقلوب وزمر عظيمة من المتزهدين الناسكبن الذين أعمى النعصب الممقوت أفئدتهم وأطفأ سراج عقولهم فكان من حقّه ان يتكتم وان لا يروح بأرائه اقتداءً بزميله شيخ المعرة خشية هؤلاء الكذابين الذين كانوا يلبعون بعقول العوام كما يشاؤون ويقودونهم كما يرغبون .
وقد انعط الشيوخ بالفجائع والزايّا التي أنزلت بزملائهم وأنسابهم في الرأي من الاحرار الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على البوح بما تحبش به صدورهم فذاقوا من اجل ذلك عذاباً اليماً .

والنطم الذي أضجع عليه صالح بن عبد القدوس ، والسياط التي ألحبت جسد الحكيم الشهيد بشار بن برد الشاعر ، والجذع الذي صلب عليه الصوفي الشهير ابو منصور الحلاج ، والسيف الذي بتر عنق الفيلسوف السهروردي وغيرهم من الفطاحل الأفاضل الى غير ذلك من الفجائع والوقائع الاليمة — كانت عبراً ودروساً .

« التناسخ »

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية فقد زعموا ان الانسان

إذا مات أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته وانصب هامة فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائة سنة وقد مدغمهم الرسول (ص) يردز عمهم فقال (لا هامة ولا عدوى ولا صفر) ثم كثر علم العرب بهذا المذهب في صدر الاسلام وذلك منذ أواخر القرن الاول وكانت بعض الفرق من غلاة الشيعة تدين به كاصحاب عبد الله بن سبا^(١) الذي قال لعلي عليه السلام (أنت أنت) أي أنت الآله فنفاه الى المدائن فادعى بتناسخ الجزء الآلهي في الأئمة بعد علي . ومثل هؤلاء أصحاب ابي كامل^(٢) الذي كان يدعي ان الامامة نور يتناسخ منتقلاً من شخص الى شخص وذلك النور يكون في شخص نبوة وفي شخص يكون امامة وربما تناسخت الامامة فصارت نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت . والغلاة على أصنافهم منفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقوها من الجوس والمزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر وذلك هو معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء كشمس في كوة او كشمس ارقاها على البلور واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشیطان بجيوان ومراتب التناسخ اربع النسخ والنسخ والنسخ والنسخ .

وقد اتخذ بعض الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت ومن اولئك الشاعر السيد الحميري الذي أعماه التعصب فأخرجه عن طريق الصواب وليس بين المطلعين على الآداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميري وسخافاتة .

وقد عثر المستشرق (Zokovski) زووفوسكي في تاريخ الالفى على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ في نفس عمر الخيام فقد ذكروا انه كان أستاذاً في مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة في حاجة الى ترميم واصلاح فكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة وبينما كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف عند باب المدرسة ولم يشأ الدخول اليها فجاء عمر الخيام وتقرب من الحمار وقرأ في أذنه هذه الرباعية :

(١) وتسمى هذه الفرقة السبئية . (٢) وتسمى هذه الفرقة الكاملية راجع ١٣٢

اي رفته و باز آمده بل هم كشته نامت زميات نامها كم كشته
 ناخن همه جمع آمده و سم كشته ريش ازيں كون در آمده دم كشته
 ايسه . يا ايها الذي ذهب وعاد سره أخرى وصار (كالانعام بل هم اضل سبيلا)
 قد ضاع اسمك بين الاسماء لقد اجتمعت أظافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك في عجزك
 فصارت ذبلاً .

فدخل الحمار المدرسة فسأله تلاميذه عن سر ذلك فأجابهم ان الروح التي حلت في
 جسد هذا الحمار كانت روح تليذ عاش وتعلم فيها لذلك لم يرغب الحمار في الدخول اليها
 غير انه لما شاهد رفقاءه الاقدمين رضي بالدخول .

والذي ينعم النظر في هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلاً ان يعتقد بانها من
 القصص الملفقة المصطنعة وانها من نوع الأحاديث التي يختلجها العوام لان هذا الرجل الذي
 دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العالية بين ملوك عصره — على
 راحة عقله وسعة علمه لا يمكن ان يسف هذا الاسفاف وان يتفوه بهذا الرأي المبذل
 المأفون . هذا من جهة ومن جهة أخرى ان ربايعياته التي اشتهر بها والتي أودعها آراءه
 الفلسفية تكاد تسوق الباحث الى الاعتقاد بالحاده وتكرانه البعث والحشر والنشر وبقينه
 بالعدم المحض لذلك يغلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة .
 وقد كان اباالملاء المعري ممن ذم هذا الرأي وهزئ به وشنعه في رسالة الغفران
 وفي لزومياته فقال :

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهذبه النقل
 فلا تقبلن ما يخبرونك ضلالة اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل
 « تشاؤمها »

ان سيرة المعري والخيام وشعرهما وآراءهما في الكون تدل على انها كانا (متشائمين)
 متألمين ما فتئين للحياة لما فيها من شرور وآثام معنقدين ان كل ما فيها خطب وبلاء فالوجود
 خطب والحياة خطب والموت خطب والناس أشرار ذوو غدر وخبت وطباع فاسدة وان
 كل شيء في الكون خبيث ردي وان جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وان آلام الحياة
 وبؤسها وشقاءها أكثر من مسراتها وأفراحها .

والنشاؤم (مرض روحي) ابتلي به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوي الامزجة العصبية وهو مذهب قديم نشأ في ديانة البوذيين وشاع في الشرق ودان به كثير من الحكماء فكانت خالق آلامهم وعلة اوجاعهم وهذا المرض العضال يتغلغل غالباً في نفوس سكان البلاد الحارة الموبوءة بالامراض القليلة الأرزاق الفقيرة التي مافيهما عمل ولا كسب وكثيراً ما يحصل من الوراثة هذا عند عوام الناس وهو وفي لا يلبث ان ينقلب الى نفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحالة فهو اذاً عند عامة الجمهور ضرب من الشكوى الوفتية المتولدة من (الحاجة) ومتى زالت الحاجة زال النشاؤم سريراً .

اما عند الحكماء المفكرين فأمره عظيم وشأنه كبير فانه يقول في نفوسهم من سلسلة التفكير العميقة والتأملات الطويلة في شؤون غامضة وامور مبہمة لم يتوصل العقل البشري الى حل معضلاتها كالوجود والواجب ومر الوجود والخلقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون ومنشئه وهل هو حادث او قديم وهل هو محدود ومتناهي او هو غير محدود وغير متناه والأزلية والسببية والمبدأ والمنهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الأسرار والألغاز التي ما تأمل فيها احد الارجمت تأملاته على أعقابها وتسرب اليه الرب ومال الى الشك قسراً لا اختياراً والشك الذي هو نتيجة عدم ادراك هذه المعميات هو الذي يولد (النشاؤم) ويورث الألم واليأس . وفي الحقيقة اذا فكر الانسان في علة وجود هذا الكون وفي سبب هذه الخليقة والايجاد والبقاء والانتقال الى جهة لا تعرف غايتها وعاقبتها وفي موته الذي يتخلى به عن رجائه وامله وامانيه يشعر ولا ريب بهزات عنيفة في وجدانه وصدمات قوية في شعوره واحساسه واستيلاء بأس مظلم مخيف وخيالات مريعة واحلام محزنة والانسان مفلتور على حب البقاء في الحياة على ما فيها من وجع وكر وآفة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هي التي تورث النشاؤم الذي لامدوحة عنه ما دام موقناً بها .

وقد أعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقداً بكون له ابتداء وانتهاء أوجده خالق قدير من العدم وسيورده العدم كما أوجده وان هناك حشراً ونشراً وحساباً وعقاباً وان هناك جنة عرضها السموات والارض فيها حور عين وأباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم

طير عما يشتمون أعدت للمؤمنين الصالحين وانت هناك ناراً ملتهبة فيها ألوان من العذاب
أعدت للمجرمين الآثمين .
فهذا الأمل الرائع يمنح المعتقدين راحةً وسلاماً وأماناً في الحياة فطوبى للمعتقد المؤمن
وويل للشاك المرتاب .

وان ابا العلاء المعري الذي تدل كلماته وأقواله على انه كان عنادياً بحتاً مرتاباً في وجود
خالق صانع مدير ، حائراً في سبب الخليفة والايجاد والفناء ، شاكاً في العقائد التي من
ضمنها الحشر والمعاد والخلود — يجب ان يكون بطبيعة الحال (منشأماً) وهذا هو الواقع
وانك لتجد عند قراءة (لؤميانه) صيحاته الأليمة وصرخاته الحزينة وكأنك تكاد تلس
بأسه وقنوطه في شعره من أسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتبابه العظيم .
وهذه الآراء التي ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصابب والنكبات التي ألمت به بفقدان
بصره وموت أبيه وأمه وفقره وزنه هي التي أشعلت في قلب الشيخ جذوة اليأس والألم
فراح بكيل للأديان السباب وللأنبياء الشتم وللناس القذع ، مافتة الحياة وسكانها مرسلات
خراطيم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلاً عن الناس ، منزوياً قابلاً في كسر داره
لنقاذفه أمواج الشكوك حتى صيرته حليف الضي واليأس والبؤس وهل هناك برهان أقوى
على مقتته الحياة من ابعثائه ان يكتب على قبره .

هذا جناء ابي عا بي و.ا جنيت على احد

وقوله :

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبئ
لفقدسي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

* * *

تعب كلها الحياة فما أعجب الا من راغب في ازدياد

وقوله وهو دليل على مقتته الناس :

مسخ المباشرة فالغضنفر ثعلب في أوامه والناس كالنسناس
ونفكرت نفس اللبيب وقدرات أشخاص جن أم أشخاص أناس

عرب وعجم دائلون وكلنا في الظلم اهل تشابه وجناس

والشر طبع قد بثت غريزته مقسومة بين أنواع وأجناس

سجايها كلها غدر وخبت توارثها أناس عن أناس

وقد تزاوجت هذه الافكار في دماغ عمر الخيام كما تزاوجت في دماغ صاحبه المعري
وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه مسيطرين على احساسه وشعوره حتى بلغ من كراهته
للحياة وتشاؤمه منها انه تمنى انه لو لم يكن مخلوقاً في الدنيا .

كروآدم نم بمن بدى نامدى ورنيز شدن بمن بدى كى شدى

به زان بندى كه اندر ين عالم خاك نه آمدى نه شدى نه بدى

لوكان مجبئي باختياري لماجئت ولو كانت خلقي بيدي لما رغبت ان أخلق . الافضل
أنني لم اكن في هذا العالم ولم اجئ اليه ولم أخلق ولم ابق فيه .

لقد علمنا مما تقدم ذكره أن كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء . فقد اتفقا
وانفقا على تشخيص الدواء الا انها اختلفا في الدواء .

« الخمرة — المنية »

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحساسة السلافة . وكان
المعري يرى ان المنية هي الوسيلة الى ذلك وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به ابو العلاء
الموت . وفي طافتنا ان ندعي ان نفس المعاني التي ذكرها المعري في الموت جعلها الخيام في الخمر فقد
ذهب في المغالاة بمدحها والامراف في حبها والولوع بها وحث الناس على شربها ما جعل بعض
الباحثين ان يسيئوا به الظنون ويعتبروا أقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب
الخيام في الخمرة مذهب اكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس
وتسكيناً للأوجاع وتخفيفاً للآلام والا كدار وما ينسب الى الحكيم الفارابي في هذا
المعنى قوله :

يزجاجتين قطعت عمري وعليها عولت أمري

فزجاجة ملئت بيجر وزجاجة ملئت بخصمر

فبذني أدون حكمتي وبذني ازيل هموم صدري
وتدل رباعياته على انه لم يشرب لجرد اللهو والعبث. وانما اتخذها دواءً كما اتخذ المار بض
الدواء لمرضه وانه كان يرى ان السلافة هي الوسيلة الوحيدة الى تبديد هموم ونفريج
الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله :

سوى خوردين من نه از براى طرب است في بهر فساد وترك دين وادب است
خواهم كه بپنجوري بر آرم نفسي مى خوردن ومست بودنمزين سبب است
ليس شرب الخمرة من اجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب . انما أراد ان انفس
الصعداء وانا ذاهل عن نفسي فشر بي الخمرة وسكري لهذا السبب .

از آمدن بهار واز رفتن دى اورق وجود ماهمى كرد دطى
مى خورمخور اندوه كه كفتست حكيم غمهای جهان جوز هرو تریاكش مى
بين مجي الربيع وذهابه لنطوي اوراق وجودنا . أشرب الخمرة ولا نألم فقد قال
الحكيم ان آلام الحياة سم ودر ياقها الخمر .

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته هي (سلافة
الحب) او (خمرة الحقيقة) او (السكر المقدس) وهي الخمرة الخيالية التي ينشدها شعراء
الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم وفي الحقيقة ان هذا الظن
باطل غير صحيح فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانما تغزل بالمشعة الحمراء بنت
الكروم لآبادة الألم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كافييتان في دحض
هذا الزعم .

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بدبغة تدل على انه كاتب من دارس الخمرة
ومارس شربها دهرأطوبلاً فهو في وصفه الرائع أشبه بابي نواس في وصفه لها حتى لقد سن
للسكاري قانوناً في كيفية تعاطيها قال :

كرباده خوري تو باخرد مندان خور يا باصنى لاله رخى خندان خور
بسيار مخور ورد مكن فاش مساز اندك خور وكه كاه خور وبنهان خور
اذا شئت شرب الخمرة فامثر بها مع العقلاء او مع ملج ضحكوك ذي محيا منير ولا تشرب
كثيراً ولا تقمض في الكلام اشرب قليلاً وبين آونة وأخرى وفي الخفاء .

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه في هذا المعنى وأكثر من ذم الخمرة وفيجها وندد
بشاربيها وزعم انها سالبة العقول هاتكة الوفار مفرقة الاحباب وقد أجهز على السلافة في
لزومياته فمن ذلك قوله :

وحاذر من الصهباء فهي عدوة من الصهب مشت في مفاصلك السكر

البابلية باب كل بلية	فتوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره	واذى النديم وفرقة الاحباب
ام الحباب وان أميت لهيبها	بمزاجها وافت كأم حباب
هتكت حجاب الحصانة وجشمت	مهن العبيد نهضم الارباب
ونوهم الشيب المدالف انهم	لبسوا على كبر برود شباب
واذا تأملت الحوادث ألغيت	صهب الدنان اعادي الالباب

ديب نمل من عقار نخالها	بجسمك شر من ديب العقارب
ولو انها كالماء طلق لأوجبت	قلاها اصيلات النعي والتجارب

تجوع موت لا تجوع لذة من الخمر في كاساتهم والابارق
قلنا غير مرة ان الخيام والمعري كانا يريان الحياة خطباً وشرأ يجب التخلص منها
اما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة لنجيه منها هي (الخمرة) واما المعري فقد ذمها وكان
يرى ان الموت هو الدواء الشافي وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد تمنها في كثير من
شعره فمن قوله :

اما حياقي فإلي عندها فرج	فليت شعري عن موتي اذا قدما
صحبت عيشاً أعانيه وبغليبي	مثل الوليد يقود المصعب السدما
وقد ملكت زماناً شبره لب	اذا دنا خبوت عاد فاحتمدا
من باعني بحياقي مينة سرحا	بايعته واهات الله من ندما

رب متى ارحل عن هذه الـ
لم ادر ما ننجي ولكنه
فلا صديقي يترجى يدي
والعيش سقم للفقى منصب
والترب مشواي ومشواهم
وما رأينا احداً منه قام

* * *

ملأت عبشي فعوجي بامنية بي
غدي سيوجد امسي لا ينازعني
وذقت فنين من بؤس ومن رغد
في ذاك خلق وامسي لا يصير غدي
« مصير الجسم بعد الموت »

وقد اختلف الحكماء ايضا في قضية مصير الجسم بعد موته فكاف ابو العلاء تارة
يحفل بجسم الانسان بعد موته وتارة لا يرغب في تكريمه ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس
ولا يتألم فمن قوله في تكريم الجسم :

خفف الوطأ ما أظن اديم الـ
سمران اسطعت في المواءر بدأ
أرض الا من هذه الاجساد
لا اختيالا على رفات العباد
ومن قوله في عدم تكريمه :

تكرم اوصال الفنى بعد موته
وقد غالى المعر في عدم الاعناء بالجسد حتى استحسن من عادات المذود حرق
أمواتهم .

فالعجب لتعريق اهل الهند ميتهم
ان احرقوه فما يخشون من ضيع
والنار اطيب من كافور ميتنا
غبا واذهب للسكراء والريح
وقد خالف الخيام شيخ المعرة في هذا المعنى فكاف مبالغا في تكريم الجسد موصيا
الخزاف بالرفق عند جيله الطين قائلا انها اجسام بشرية يجب ان تعامل بالحسنى .
اي كوزه كران بكوش اكره شياري
انكشت فريدون وكف كيجسرو
تاجند كني بر كل آدم خواري
بر جرخ نهاده جء مي بنسداري

ايها الخرافون اسمعوني ان كنتم منتهيين : حتى م تظلمون طينة ابن آدم . انكم قد
وضعتن اضبع فربدون وكف كيخسرو على الدولاب فاذا نظنون ؟
دي كوزه كري بدبدم اندر بازار بر باره كلي لكدم هي زد بـيار
وان كل بر بان حال باوي ميكفت من همجو توبوده ام مرايكودار
رايت امس خزافا في السوق وكان ير كل قطعة من الطين وكان لسان حالها يقول
لخزاف لقد كنت يا هذا مثلك فعاملني بالحسنى .
وقد عاش الشيخان عزبين ولم يتزوجا وكان رأي المعري في المرأة سبئاً وكان يكره
النسل ويرى الزواج إثماً وجرماً عظيمين فلم يشأ ان يجني على غيره كما جنى عليه ابوه
وفي ذلك يقول :

وارحت اولادي فهم في نعمة الـ عدم التي فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لعانوا شدة نرعي بهم في موبقات الآجل

فالبث وحيداً لا وصية ففة في ذراك ولا وصيف

ومع ان الخيام عاش بلا ريب اعزب فلم نطلع على رأيه في الزواج والمرأة والنسل .
لقد علمت ايها السادة مما تقدم ذكره ان عمر الخيام لم يأنثا بشيء جديد وانما كرر
ما تكلم به قبله شيخ المعرة وترنم بعين النعمة التي كان يترنم بها حكيمنا الجليل . فسلام
على الجزيرة وسلام على ربوع الشام منبت الفحول العظام .

احمد حامد الصراف

العراقي



رسالة الكرم

- ٢ -

« اول ما ينبت من الحب والغرس »

اول ما ينبت من الحببة تسميه الحببة مالم نغرسه بايدينا فنزعه ثم نغرسه . فاذا غرسناه سميناها غرساً . هكذا جاء في الكتاب المنسوب للاصمعي ولم أر من ذكر الحببة بهذا المعنى . والذي في اللسان والتاج ان الحببة واحدة الحن وهو صغار القردان ولا معنى له هنا ولعلها محرفة عن الحببة . ويؤيد هذا ما جاء في المخصص فقد قال فيه : قال بعض الطوائف اول ما ينبت من الحببة يسمى الحببة مالم ننزعه فنغرسه بايدينا فاذا نزعناه ثم غرسناه سميناها غرساً وسيأتي عن التاج ان الحببة كناية العنب اول ما ينبت من الحب مالم يغرس جمعه حبى كهدى .

وقال في المخصص ايضاً اذا نبتت حبة العنب وهي العجمة والحصرمة والفرد و هي طائفية . والنواة فهي حببة مالم ينزع نباتها من موضعه فيغرس فاذا نزع ثم غرس سمي 'غرساً' (هكذا ضبط بالشكل بضم الغين ولم ارها لغيره) وسيأتي تحقيق اسمها في الغراس . الاصمعي عن ابي الخطيب . العنب اول ما يغرس يكون غرساً ثم نصرم في قر قابل اي يقطع من غصونها ما يابس منها اجمع حتى يبق منها اصلها ثم نخرج لها شكر فاذا علق الغرسة قطعت من وجه الارض وترك اصلها وعروقها في الارض فاذا قطع رأسها دُمِنَتْ بالدمن اي التي على اصلها الدمن وهو السرجين .

فاذا نبت اصلها الذي في الارض ثانياً فهي نشأة . وقد أنشأت اذا نبتت . وفي القاموس النشئة والنشأة ما نهض من كل نبات ولكنه لم يغلظ بعد ونحوه في اللسان . ويأتي نشأ بمعنى حيي ، وارتفع ، وربا ، وشب ، وبدا .

وبقال سري عرق الشجرة في الارض يسري مرياً ، دب تحت الارض . وقد تقدم ان عروق كل شيء أطناب تشعب منه واحدها عرق والعرقاة بالكسر جمع عرق وعرقاة وقال الليث العرقاة من الشجر أرومة الأوسط ومنه تشعب العروق . وبقال أنسخ الشجر والكرم اذا نبت بعدما قطع .

الغرس — عقاقيل الكرم ما غرس منه . ولم يذكر لها واحد . قال الشاعر :

نجد رقاب الاوس من كل جانب كجد عقاقيل الكروم خبيرها

الفصل — قضبان الكرم للغرس وهو ما أخذ من أمهاته ثم غرس والافتسال قطع غصنة الكرم للغرس . واسم الغصن الفصل .

العكيس — القضيب من الحبلية يعكس تحت الارض الى موضع آخر . (الاصمعي)

العكيسة التي تمس الارض في قضبانها وهي أغلظ من الشكر .

الشكير كقضيب الكرم يغرس من قضيبه جمعه شُكُر كقَضْب والفعل منه شَكِر كفروح وأشكر واشتكر .

وشُكُر الكرم (قضبان الطوال) وقيل قضبانه الاُعلى .

وفي المخصص فان غرس الكرم من قضيبه فاسم القضيب الشكير وجمعه شكر وهو ايضا زرجونة ثم قال والحبلية كالشكير .

والشكير ما ينبت من القضبان الغضة الرخصة بين القضبان العاسية . وما ينبت حول الشجرة من اصلها . او ما ينبت في اصلها من الورق ليس بالكبار والشكير ما ينبت في اصول الشجر الكبار . والورق الصغار ينبت بعد الكبار وقيل الشكير الشجر الذي ينبت حول الشجر .

الغريسة شجر العنب اول ما يغرس ، والنواة التي تزرع ، والغرس بالفتح الشجر الذي يغرس والجمع أغراس وغراس والغرس القضيب الذي يزرع من الحبلية ثم يغرس .

والغراس بالكسر زمن الغرس ووقته وما يغرس من الشجر والمغرس موضع الغرس وجمعه مغراس وغرس الشجر من باب ضرب وأغرسه ايضا بمعنى أثبتته في الارض فالشجر مغروس وغراس وغرس كما تقدم ولم نجد غرسة بضم الغين او بفتحها في اللسان والتاج والمصباح ولعل الاولى تحريف والثانية واحدة الغرس فتأمل .

ويقال نبت الزرع والشجر لنبتا اذا غرسه ، والنابت من كل شيء الطري حين ينبت صغيراً . ويقال استأصلت الشجرة نبتت وثبت أصلها .

«التطعيم»

أطعم الغصن إطعاماً وطعمه نطعياً إذا وصل به غصناً من غير شجره فطعم الغصن أي قبل الوصل .

الغروز بالضم : الاغصان تغرز في قضبان الكرم للوصل واحدها غرز بالفتح والثغار يز ما حول من فسيل النخل وغيره الواحد تغريز سمي بذلك لانه يحول من موضع الى موضع فيغرز وهو التغريز .

وغرز عوداً في الارض وركزه بمعنى واحد ، وكل ما غرز في شيء فقد غُرز وغُورَزَ « ماء الكرم »

أعطى الكرم إذا جرى فيه الماء وزاد ونما .
التوجيم : ان ينطف (١) الماء من عود النواحي إذا كسر يقال وسمت الكرمة توجيم .
الدماغ كومان وغراب ما يسيل من الكرم في ايام الربيع . كذا في اللسان والمخصص
واقصر الصاغاني على الاول قال في التاج وفي نسخ الصحاح والاساس بالتخفيف .
النسخ بالضم ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت .
وقد تقدم ذكر الطل وهو الندى الذي تخرجه عروق الشجر الى غصونها .

«الأبن والزمع وما شاكلهما»

وإذا جرى الماء بعد الخطاب قيل أطررت شكره ثم يقال ازغبت .
وبقال ازغب الكرم وازغاب كاحمر واحمر إذا صار في أبن (عقد) الاغصان التي تخرج منها العناقيد مثل الزغب (٢) وذلك إذا جرى فيه الماء وبدأ يورق .
الأبن جمع أبنة بالضم وهي العقدة في العود او العصا ويقال لها عين وجمعها عيون
وقد تقدم ان قطع الشجر أبنها التي تخرج منها اذا قطعت الواحدة قطعة .
الزمع محركة أبن تكون في مخارج عناقيد الكرم . وقيل الزمعة الحبة اذا كانت مثل رأس الذرة واحدها زمعة بالتخريك وتجمع على زمعات ، ويقال ازمنت الحيلة اذا عظمت

(١) نطف الماء ينطف وينطف قطر قليلاً قليلاً .

(٢) الزغب اول ما يبدو من شعر الصبي والمهر وريش الفرخ .

زعمتها ودنا خروج الحجة منها . وفي اللسان الزمة الطلعة في نواحي الكرم بعد ما يصفوف ^(١) .
وقيل العقدة في مخرج المنقود . وفي الاصمعي اذا رأيت فيه الطلع قلت أزمع وفيه ايضاً
العنب اول شيء يخرج منه ان تعظم الزمة فاذا عظمت جداً سميتها ببقعة ثم يكون
حترّاً ثم يكون غصناً ^(٢) وذلك اول ما يعقد فلا يزال غصناً حتى يأخذ سيف النضج ويرى
فيه السواد .

فاذا عظمت الزمة سميت ببقعة كسفينة .

ويقال اكحت البقعة ^(٣) اذا ابيضت وخرج عليها مثل القطن .

وفي المخصص والبنائقي . هي الكوافير اي الاغطية .

ويقال اكح الكرم بالخاء المعجمة اكحاً اذا تحرك للابراق . واكح بالخاء المعجمة

(١) هكذا ضبط في اللسان في مادة زمع وقد ذكر في مادة : صوف ، صوف الكرم

بتشديد الواو وهو الموافق لما في التاج والاصمعي والمخصص .

(٢) هكذا في نسخة الاصمعي وكتب الشارح في ذيلها عند هذه اللفظة اي (غصناً)

ومنه أغصن المنقود وغصن اذا كبر حبه شيئاً . ومن البين ان قوله ثم يكون غصناً وذلك

اول ما يعقد الخ يتأني قولهم أغصن المنقود اذا كبر حبه شيئاً في العبارتين تباين بين .

والظاهر ان في العبارة تحريفاً لم يفطن له الشارح وان اصلها هكذا : ثم يكون غصناً .

وقد وقع في عبارة اللسان في تفسير الغض خطأ : وذلك انه قال والغض الحين

من حين يعقد الى ان يسود ويبيض وقيل هو بعد ان يحذر الى ان ينضج الخ . ولا معنى

للحين ولا يحذر في هذا المقام والصواب في الاول الحين وفي الثاني يحذر كما تدل عليه

عبارة المخصص فقد جاء فيه : اذا صار حب العنب فوق النفض قيل جدر ثم يكون

غصناً . ثم قال والغض من صفات الحين . ثم قال وقيل هو غض من حين يعقد الى ان

يسود ويبيض . وقيل هو بعد ان يحذر الى ان ينضج وقد جاء عن الاصمعي ما يؤيد ذلك

فيما نقله عن ابن الخطاب : ثم يحذر اذا كان فوبق ذلك . قال يخرج مثل الجدري ثم

يكون غصناً ثم يرق حتى يبلين ويطيب وسيأتي ذلك مفصلاً في موضعه .

(٣) في اللسان الزمة .

بدت زمرعته وذلك حين يتحرك الاوراق .
وفي اللسان حشرة الكرم زمرعته بعد الاكلخ وسيأتي الحثر في العنقود .

« نقطينه »

ويقال قطن الكرم نقطيناً وعطب تعطياً اذا بدت زمرعته وظهرت . وفي المخصص
اذا تحرك الاوراق فبدت زمرعته ظهر لها عطب فيقال قد عطب الكرم وقطن واكنخ وفي
اللسان العُطْب والعُطْب القطن واحده عطبة .
« تحبيه ونفحه »

جدر الكرم كفرح اذا حبب وهم بالاوراق . وفي اللسان جدر النبات يجدر وجدر
جدارة وجدر وأجدر طلعت رؤوسه في اول الربيع وذلك يكون عشراً او نصف شهر .
الأصمعي صوّف الكرم بدت عيونته . وفي المخصص فاذا بدت عيون النواحي بعدما
نصرم قلت صوّف . وفي اللسان والتاج : صوف الكرم بدت نواحيه بعد الصرام يقال
صرم الفحل والشجر والزرع اي جزه . والصرام بالفتح يكسر أو ان ادراكه . والأصرم
القطع البائن للحبيل والعذق ونحو ذلك الصرام .

ويقال بصص الشجر اذا نفّخ الاوراق . وبصصت البراعم اذا نفّخت الكمة الرياض
وبصصت الارض ظهر منها اول ما يظهر من نباتها كبصصت وأبصت وأوبصت .
وجصص العنب والشجر وهو اول ما يرى منه شيء قد خرج مثل بصص مأخوذ من
يخصيص الجرو اذا هم ان ينفخ عينيه . وجصص العنقود هم بالخروج .

الخضب ما يظهر في الشجر من خضرة عند ابتداء الاوراق وجمعه خضوب وخضب
الشجر يخضب خضوباً . وخضب وخضب واخضوب ككلمة بمعنى اخضر وخضبت
الارض خضباً طلع نباتها واخضر .

« للبحث صلة »

عضو المجمع العلمي
سليم الجندي

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع

« من كتاب نهاية الأرب »

- ٢ -

(١٥) - وجاء في ص ٢٠٥ س ١٥ يصف العدو الذي استسلم : فأبصر بالخدمة موضع رشده اه . ذكر الاستاذ ان الصواب : « فأبصر بالخدم » بدل الخدمة وقال : (لان الخدم سبب ابصاره رشده اما الخدمة فانما تصح ارادتها على استعكراه وتكلف) اه ونقول : ان الباء في قوله بالخدمة ليست بمعنى السببية كما فهم الاستاذ وبني على ذلك انتقاده وانما هي بمعنى (في) الظرفية والمراد ان هذا العدو قد أبصر رشده - في رجوعه الى الطاعة وملازمته للخدمة ويدل على ذلك قول الكاتب قبل هذه العبارة (وكان الملك فلان ممن يريد طرق النجاة فلم ير اليها بسوى الطاعة سبيلاً) وبأمل اسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الانتماء دليلاً اه) . واذا فلا موجب لتغيير لفظ الخدمة بالخدم مادام المعنى صحيحاً لاستعكراه فيه ولا تكلف .

(١٦) - وجاء في ص ٢١٤ س ١٥ يصف الرسالة التي يقال ان سيدنا ابا بكر ارسلها الى سيدنا علي « ومحبّات الصنادق » اعترض الاستاذ على قوله : « الصنادق » (بان صوابه الصناديق بالياء لمكان الواو في مفردة وهو صندوق) . ونقول : أجاز علماء الكوفة حذف الياء من مماثل مفاعيل كما أجازوا زيادة تلك الياء في مماثل مفاعل فنقول في جعافر جمع جعفر : جعافير كما نقول في عصافير جمع عصفور : عصافر ، ومن الاول قوله تعالى : (ولو ألقى معاذيره) والاصل معاذره بدون ياء جمع معذرة . ومن الثاني وهو حذف الياء قوله تعالى : (وعنده مفاتيح الغيب) والاصل مفاتيح بالياء جمع مفتاح ، واذا كان ذلك مذهباً لبعض علماء الصرف مستشهدين على صحته بالنزول العزيز وهو حجة لا تبيح لم نشأ والحالة هذه ان نغير ما جاء في الاصل فنزيد ياء - في قوله : « صنادق » لجواز ان يكون صاحب هذا الكلام جازياً على مذهب الكوفيين في ذلك .

(١٧) — وجاء في ص ٢١٧ من ٥ (والتعريض سجال الفئنة اه) . والسجال جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة ، يريد بهذه العبارة ان التعريض بالكلام وهو التلميح به الى عيوب الخصوم يحمل الشر والفئنة في ثنائه كما تحمل الدلو الماء . وإذن فعبارة الاصل مستقيمة لا خطأ فيها ، وقد وردت هذه العبارة ايضاً في صبح الأعشى وقد قال الاستاذ ان الصواب (شجار) بدل (سجال) كما في نسخة المخطوطة لمحاضرة الأبرار ، وقال في تفسير الشجار انه من شجر الطبيب ف المريض اذا فتحه بواسطة عود ثم صب فيه الدواء والعود المذكور هو الشجار ، ومعنى كون التعريض شجار الفئنة ان التورية في الكلام والتلميح به الى عيوب الخصوم تثير الحفاظ وتهيج الأحقاد ويكون ذلك كالشجار بفتح به في الفئنة) الخ كلام الاستاذ . ونقول : « ان المعنى متى اسنقام على الرواية الاولى فلا موجب لطرحها ووضع غيرها مكانها على ان القاري المدقق اذا وازن بين الروابتين ونظر بذوقه ليعرف اي المعنيين أقرب الى الأذهان واي السكتيين أشبه بالأساليب العربية في مثل هذا الغرض الذي نحن بصدده لتبين له واضحاً ان المعنى في الرواية الاولى أشد نبادراً الى الذهن وأقل تكلفاً في توجيهه من الرواية الثانية التي نقلها الاستاذ عن محاضرة الأبرار كما يظهر له ان التعبير بسجال أقرب الى الأساليب العربية في مثل هذا المعنى من التعبير بشجار وانك اذا راجعت كلام العرب وجدتهم اذا ذكروا الفتن والحروب شبهوها بالأشياء المظروفة كالماء ونجوه وليس أدل على ذلك من قولهم : (الحرب بيننا سجال) قال في اللسان في تفسير هذه الكلمة مانعه : معناه (اننا ندال عليه مرة وبدال علينا أخرى وذلك لان المستقيمين بسجلين من البئر يكون اكمل واحد منهما سجال اي دلو ملأى ماء) اه . فأت ترى من هذا ان المساجلة في الحروب اصله من السجل وهو الدلو على التشبيه .

(١٨) — وجاء في ص ٢١٨ من ٧ من كلام ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى علي قال : (ما هذا الذي تسول لك نفسك) الى ان قال : (ويسري فيه ظعنك) اه يريد بقوله : (ويسري فيه ظعنك) اظهار العجب والدهشة من هذه الخطة التي اتبعها علي رضي الله تعالى عنه معه حين ابى عليه البيعة فقال : (ما هذا الذي يسري فيه ظعنك ، اي ما هذه السبيل المظلمة التي تسلكها ويسري فيها ركبك على غير هدك متبعاً بسلوها

غير سبيل المؤمنين كأنه يقول : ان هذا خلاف ما نعرفه منك ، ونهده فيك) . وقد ذكر الاستاذ « ان في نسخته المخطوطة لمحاورة الأبرار : (ويستشري فيه ضعفك) ورأى تفضيل هذه الرواية على الاولى » ونقول : اننا لم ندين وجهها للتفضيل احدى الروايتين على صاحبها ونرى انهما مستويان في ظهور المراد وتأدية الغرض والثناء هما مع ما قبلهما من الكلام على انه ان كان هناك وجه للتفضيل فان الرواية الاولى أليق باخلاق ابي بكر وأنسب بأدابه دون الثانية لما فيها من شتم علي رضي الله تعالى عنه ونسبة الضغن والحقد الى صدره المأهول بالنقوى المعمور بأداب الكتاب والسنة .

(١٩) — وجاء في ص ٢١٨ س ١٠ من كلام ابي بكر ايضاً الى علي رضي الله عنهما (أو مثلك ينقبض عليه الفضاء) الخ المعنى أو مثلك في ذكائه وفطنته بضيق عليه المنع من الامور ، وتلتوي عليه سبل الرشد مع ظهورها ، وتخفى عليه طرق الهداية مع وضوحها واستبانتها . وقال الاستاذ : « لعل الأصوب ما في النسخة الأخرى اي نسخة محاضرة الأبرار : (' ينقبض ' عليه الفضاء) . كان (ينقبض) اي بضيق عليه الفضاء » ونقول : ان الانقباض ايضاً يؤدي هذا المعنى فانه ضد الاتساع والانبساط . وما دام المعنى واحداً في كلتا الروايتين فلا وجه للتفضيل احدهما على الأخرى .

(٢٠) — وجاء في ص ٢١٩ س ٩ في كلام ابي بكر ايضاً : « لا نبلغ مراداً الى شيء الا بعد جرع العذاب معه » الخ . قال الاستاذ : (ان الصواب إسقاط احدى الكلمتين إما كلمة (مراداً) او كلمة (الى شيء) فتكون العبارة مكذبة : ولا نبلغ الى شيء الا بعد الخ او (ولا نبلغ مراداً الا بعد) الخ كلام الاستاذ . ونقول : ان تحطيط الاستاذ لعبارة الاصل وتصويب حذف احدى الكلمتين انما سر يا اليه من انه فهم ان قوله : (الى شيء) متعلق (بنبلغ) وليس كما فهم ولكنه متعلق بقوله (مراداً) وفعل الارادة يتعدى بالي اذا ضمنته معنى الحاجة والاضطرار ومنه قول الشاعر :

اذا ما المرة كان ابوه عيساً فحسبك ماطر يد الى الكلام

قال في لسان العرب بعد ذكر هذا البيت (انما عداه بالي لان فيه معنى الذي يحوجك او يجيئك الى الكلام) اه فقوله هنا مراداً الى شيء اي حاجة الى شيء .

(٢١) — وجاء في ص ٢٢٠ س ٢ من كلام ابي بكر ايضاً : (وانقض الخير لك)

المعني يستره لك ، وقر به منك ، وجعله في متناول يدك ، فاستعار الانهاض لهذا المعني كما يستعار الانهاض في الحظ ايضاً فيقال : أنهض الله حظك ، اي أقاله من كبوته . وقال الاستاذ : « لعل الأصوب ما سيفي نسختنا المخطوطة اي نسخة محاضرة الابرار (وأرهض الخير) الخ يقال : أرهض الشيء اذا أثبته وأسسه » . ونقول : ان المعني الذي يبناه للرواية الاولى ظاهر لا تكلف فيه فلا نرى ما يوجب طرحها ووضع الرواية الثانية مكانها ولسنا في حاجة الى ان نبين هنا ان أكثر الكلام العربي من نظم ونثر قد اختلفت فيه الروايات الى أكثر من ثنتين وشرّاح دواوين العرب تثبت جميع هذه الروايات ولا تثبت رواية مع اطراح الباقي مادام لكل رواية صحيحاً معني تسكن اليه النفس ويطمئن له القلب .

(٢٢) — وجاء في ص ٢٣١ س ٨ : (وخصه بمزية وأفرده بمسألة) الخ يريد : وأفرده بصفة من صفات الخير اي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك واحداً من أصحابه رضي الله تعالى عنهم الا أننى عليه وذكره بصفة يحمدها . وقال الاستاذ : « لعل الأصوب (بجلالة) مكان (حالة) واحتج لذلك بان الحاصل تشمل الحسن والقبح من الصفات بخلاف (الجلالة) » . ونقول : ان سياق الكلام يعين ان المراد بالجملة احدى صفات الخير دون غيرها من الصفات فانه يقول قبل هذا : « اما تعلم انه لم يدع — اي النبي صلى الله عليه وسلم — واحداً من أصحابه وأقاربه وسجرائه الا أبالنه بفضيلة ، وخصه بمزية » الخ ، على ان قوله (بمزية) عام ايضاً لا تخصيص فيه اذ لفظ المزية كلّفظ الجملة في اشتراكها بين صفات الخير والشر فكان مقتضى الاحتجاج الاستاذ تغيير قوله (بمزية) ايضاً .

(٢٣) — وجاء في ص ٢٢٣ س ٥ من كلام ابي عبيدة بن الجراح (لحقني اي عمر — بوجه يبيدي تهللاً) الخ . ومعنى قوله : (يبيدي تهللاً) ان أمارات السرور والبشر بادبة على محياء ظاهرة لا خفاء بها . واما قول الاستاذ : (ان قوله يبيدي تهللاً) لبس من جنس كلام العرب فذلك ما ننوقف في قبوله اذ لا يمكننا الحكم به الا بعد الاطّاعة بكلام العرب نظماً ونثراً على ان مثل ذلك التعبير شائع في الشعر قال الشاعر :

يبدون في رجع الوقائع بشرهم والشمس كالحة الايهاب قطوب

واما الرواية الثانية التي استصوبها الاستاذ وهي قوله : (يندي) بالنون مكان (يبيدي)

فهي رواية جيدة أيضاً لاخلاف في ذلك وإنما الخلاف في تحطّي الأستاذ للرواية الاولى وقد ظهر صوابها بما بينا .

(٢٤) - وجاء في ص ٢٢٥ - ١١ في كلام عمر بن الخطاب يريد به علياً رضي الله تعالى عنهما (حين لا راد لقولك الا من كان منك ، ولا تابع لك الا من كان طامعاً فيك ، يمض إهابك و يعرك اديمك) الخ . يريد بقوله : (يمض إهابك) ان أتباعك من الطامعين فيك لا ينقطع طمعهم حتى اذا استنفدوا كل مالدبك واستخلصوا كل ما في يدك ولم يبق الا إهابك اي جلدك امتصوه كما يمتص العلق الدماء رجاء ان يجدوا فيه ما يسد مطمعهم . وقد كنى عمر رضي الله تعالى عنه بهذه العبارة عن ان الطامع لا يترك في يد المظموع فيه حقيراً ولا جليلاً الا تبعته عينه وامتد اليه طمعه هذا الذي فهمناه من هذه العبارة عند تصحيحنا لها وإذن فلا موجب ان نستبدل قوله (يمض) بالصاد المعجمة بقوله : (يمض) بالضاد المعجمة كما رآه الأستاذ ويمضه من مضه الامر اي أحرقه وأوجمه بل اننا نرى ان في الرواية الاولى من المبالغة في وصف تكالب الطامعين وحرصهم ما لا يخفى على ذي بصر بكلام العرب .

« للبحث صلة »

مصححه

احمد الزين



مطبوعات حديثة

دمية القصر

« وعصرة اهل العصر »

لابي الحسن علي بن الحسن الباخري المشوفي سنة ٤٦٧ هـ وبليه ملنقطات
من ديوانه . طبعه وصححه الشيخ محمد راغب الطباخ بحلب ص ٣١٦ والملنقط
من شعره ص ٥٤ . الطبعة الاولى سنة ١٣٤٩ - ١٩٣٠

هذا ما ذيل به الباخري على بئمة الدهر للثعالي ، ونسج في ذبله على منوال الاصل ،
ذكر فيه تراجم من كانوا على الأغلب بعد عصر الثعالي من شعراء البدو والحجاز والشام
وديار بكر وآذربيجان والجزيرة والعراق وبلاد المغرب والري والجلال وجرجان واستراياذ
ودهستان وقومس وخوارزم وماوراءالنهر وخراسان وقهستان وسجستان وغزنة وغيرهم .
والتزم المؤلف الثنويه بهم بالجمع وبعضه الجيد ، واكثره متكلف بعدد دون طبقة الثعالي ،
كما ان من ترجم لهم هم في ادبهم دون رجال التئمة ، والضعف باد على منشورهم ومنظومهم ،
وان كال المؤلف لهم ولنفسه ولا به المديح كبراً على عادة الفرس في مبالغاتهم .
والباخري نسبة الى باخرز (بفتح الباء الموحدة وبمد الألف خاء مبهمة مفتوحة
ثم راء ساكنة وبعدها زاي) ناحية من نواحي نيسابور . وياخرز بين نيسابور وهراة .
وحقيقة ان هذا النمط من التراجم المختصرة لا يبق في ذهن القاري اقل صورة حقيقية
عن المترجم له ولا عن عصره وشعره ونثره . وقليل من المؤلفين من وفقوا في هذه السبيل
توفيق ابن اسام في الذخيرة والثعالي في التئمة ولسان الدين في الاصحاح والفتح بن خافان
في القلائد . وقليل فبين جمعوا التراجم وكتبوا الطبقات من دانوا الصولي في كتاب
الأرزاق ويافوت في معجم الادباء وابن خلكان في الوفيات والصفدي في الوافي بالوفيات
وابن سعد في طبقاته والجمحي في طبقات الشعراء والاصفهاني في الاغانى والجهشياري
في كتاب الوزراء والكتاب والقفطي في اخبار الحكماء وابن ابي أصبغة في طبقات
الأطباء والصابي في تاريخ الوزراء .

و يخيل اليك وانت تقرأ دمية القصر انك في القرن العاشر او الحادي عشر كأنك
تتلو ريحانة الخفاجي او سلافة ابن معصوم لا في القرن الخامس الذي كان على جانب
من الأدب متين . وقد اعتمد الناشر على احياء هذا الكتاب على نسخة في المدرسة
الاحمدية بحلب وعلى أخرى في المكتبة المارونية في حلب ايضاً والثالثة نسخت له من
الموصل ولم يزد في التعليق على ما رآه شيئاً في حين ترى الحاجة ماسة الى الشرح والتعليق
وبقي في نفسه من تصحيح هذا السفر اشياء كما قال عن نفسه . وقد احسن باثبات ما يرى
بعضهم اليوم حذفه من المجون لان المقصد الانقاع بما كتبه المؤلف غثاً كانت او سميناً
لا التعديل في اشياء يستنكرها بعضهم اليوم وكانت أمس مما لا شأن له .

م . ك

ديوان التحقيق

« والمحاكمات الكبرى »

تأليف محمد عبد الله غنان بك طبع في دار الكتب المصرية بالقاهرة (١٣٤٨)

— (١٩٣٠) بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ٥٤٤

هذا كتاب كذاً كثير ما نشره المؤلف حتى الآن جامع بين أفكار الغرب وما ينفع به
هذا الشرق ، جوّد تأليفه على الأسلوب الحديث واخذه من اوثق المصادر الافرنجية
وبعض المصادر العربية وقد قسمه قسمين الاول في تاريخ ديوان التحقيق (الانكليزي سيون)
ولاسيما الاسباني وما آل اليه من جلاء العرب وتنتصيرهم في الاندلس وعرض في القسم
الثاني للمحاكمات الكبرى في التاريخ الغربي . وكلها تدل على ظلم الانسان للانسان ،
وان دعوى الشفقة والرحمة قلّ ان وجدت في الامم الحديثة والقديمة . فعسى ان يقع
المطالع العربي في هذا المجلد على امور نفيدة في قيام مجتمعه الحديث فلا يرتكب من
الخطايا ما وقع فيه اخوه الانسان في سالف الازمان ، وعسى ان تصح عزيمة المؤلف للجهالة
على وضع كتاب فيما وقع للعرب من هذا القبيل .

م . ك

قلب الطفل

« تأليف ادمون دو آمينشي تعريب السيد عن الدين النخعي طبع بالمطبعة »

« الحديثة بدمشق (١٣٤٩ - ١٩٣٠) ص ١٨٧ الجزء الاول »

مؤلف اصل هذا الكتاب من علماء التربية في ايطاليا ، جعله دروساً للأطفال يتلقون فيها حقائق لنير العقل وتكوين الخلق ونبت العلم ، وقد ترجم الى كثير من اللغات الاوربية . وما نظنه الا كان في الاصل بلغة ساذجة يفهمها الطفل الذي كتبت له . اما الترجمة العربية فمع حسنها لانكاد تخلو من العهدة ، لان المترجم وهو يعربها عن ترجمة افرسية توخى ان يصور الاصل فما استطاع احياناً الا ان يأتي بشيء بعد من عوبص اللغة عند الطلبة المبتدئين ، وان كان من المؤلف عند جمهور المتأدبين ، فاذا أضيف الى هذا العوبص كونه لم يفسر ولم يشكل ضاعث فائدة الكتاب على من يراد استنارتهم بقبس العلم ، وتلقينهم الفضائل العملية ، وانحصر النفع فيمن يتلون فيفهمون وقليل ما هم . وقديماً قالوا ان البلاغة ان يعطى كل موضوع الكلمات التي تليق به فلا يخاطب العالم خطاب الجاهل ولا الكبير كما يخاطب الصغير .

م . ك

افريقية الغربية البريطانية

« تأليف السيد عمر رضا كحالة طبع بمطبعة الفيحاء في دمشق ص ١٣٢ »

هذا باحث مفكر من اهل النشأة الحديثة في دمشق ، رحل الى افريقية الغربية وأقام فيها مدة وكتب في تاريخها وحاضرها واهلها وحيوانها ونباتها وعاداتها وخبراتها الخ صفحات قليلة أظهر بها ما كان العربي في معزل عن معرفته واذا احتاج الى شيء منه فلا يقع عليه الا في كتب الافرنج ، وعسى ان ينظر الكاتب في لغة كتابه في الطبعة الثانية ويحذف بعض المكررات من افكاره وتعليقاته النافعة .

م . ك

كتاب قواعد الافعال السامية

« وصيغها لزمانية »

للاستاذ مارسيل كوهن طبع في باريس سنة ١٩٣٤ في ٣١٧
 Marcel Cohen - Le Systeme Verbal Simitique et
 l'Expression du temps .

وضع هذا الكتاب بالفرنسية وهو يتضمن ابحاثاً لغوية سامية خاصة بالافعال ودلالاتها الزمانية في مختلف اللغات السامية من قديمها وحديثها ولطالما عابوا عليها عدم الوضوح التام في بيان حدوث الفعل في الماضي والحاضر والاستقبال كما هو الحال في اللغات الهندية الاوروبية . وبالرغم من صعوبة هذا البحث فقد عالج المؤلف من جميع النجاة وتوسع فيه بصورة دلت على طول باعه واحاطته بجميع نفعاته ، وقد استفاد المؤلف من الوثائق القديمة فبين جهود اللغات السامية الفصحى وعدم تطورها مستشهداً باللغة الآكادية التي لم يطرأ عليها التطور خلال ثلاث آلاف سنة ومثلها العربية لم تخط خطوة في هذا السبيل منذ تدوينها ، كما انه ذكر شواهد على تشابه اللغات السامية وقلة الفروق بين تراكيبها ، فالكنعانية القديمة مثلاً تشبه العربية من اوجه كثيرة . كما ان المؤلف بحث في تطور بعض اللهجات السامية العامية منذ القرن الثالث حتى القرن العاشر بعد الميلاد وتباعدتها عن قواعد اللغة الفصحى ، وقد أورد المؤلف نصوصاً كثيرة أثبتتها باحرف لا ينبتة لثطلب من المطالع احياناً جهوداً لقراءتها . ولهذا الكتاب قيمة علمية عظيمة ومكانة مؤلفه وشهرته لا تحتاجان الى تعريف .

جعفر الحسني



دليل الاصطيفات والسياسة

« في سورية سنة ١٩٣٠ »

لواضحه السيد اسكندر بارد عدد صفحاته ١٩٤ طبع بمطبعة

وديع ابو فاضل بمصر

من بطالع هذا الدليل يدرك مقدار ما بذله واضعه من العناية في وصف ما بهم السائح والمصطاف معرفته من الاماكن الاثرية في سورية وقرى الاصطيفات فيها وعلى ايجازه تراه شاملاً لما يفيد ، واف بالغرض الذي وضع من اجله . وقد اعتمد واضعه على اوثق المصادر لمعرفة مختصر تاريخ الشام ووصف اقاليمها وزينته برسوم عديدة . وقد وجدت فيه طائفة من الاسماء محرفة مشوهة واغلاطه المطبعية والفرقة ، فالأمل ان يعتني واضعه بتصحيحها في طبعته الثانية لنثم بذلك الفائدة المرجوة .

جعفر الحسني

هدايا كتب

أشهر شروح المجلة الشرح الذي وضعه علامة الترك العثمانيين علي حيدر وسماء (درر الحكام شرح مجلة الأحكام) وقد اخذ الاستاذ فهمي الحسيني المحامي بنشر ترجمة الشرح المذكور الى العربية . وقد أهدي اليها من ترجمة الكتاب الثامن من الكتب الستة عشر التي تنقسم اليها المجلة . وهو يتضمن مجيئي الغصب والانلاف ويشتمل على مقدمة وبابين وربما لا يجد الشاكي شكوي من هذا الشرح النفيس سوى انه غير منقن الطبع فنلفت اليه الفقهاء والمحامين .

واهدى اليها المجمع العلمي في موسكو مجموعة تتضمن نماذجاً من الخطوط الشرقية ، كالخط الهندي والصيني والياباني والهيروغلبي والعربي والمغولي الخ وهو في ٧٣ صفحة حسنة الطبع جميلة الوضع .

المغربي

مجلد علي العربي

(دمشق) : تشرين اول سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٩ هـ ١١٨

مجموع نادر

في خزانة كتب احمد باشا الجزائر بمدرسته المسماة «نور احمدية» في مسجده المعروف بمدينة عكا مجموع قديم كتب باول صفحة منه بخط غير خط ناسخه (تخريجات ابن ابي الدنيا .)

وتحت ذلك عبارة نصها «مجموع ما سب في هذا المجلد الشريف» ثم اسماء الرسائل الآتية :

- ١ - تخريجات اهل الحديث تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن ابي الدنيا وهو من ورقة ١ الى ١٠
- ٢ - وكتاب الاحاديث الاربعين له ايضاً وهو من ورقة ١١ الى ١٨
- ٣ - وكتاب فضائل الشام وفضل دمشق لابي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربيعي المالكي وهو من ورقة ١٩ الى ٣٦
- ٤ - وكتاب فضائل البيت المقدس للإمام ابي بكر محمد بن احمد الواسطي وهو من ورقة ٣٧ الى ٧١
- ٥ - وكتاب اخبار مصر لابي عمرو يوسف بن يعقوب الكندي المصري جمعه بامر كافور الإخشيد وهو من ورقة ٧٢ الى ٧٩
- ٦ - وكتاب قضاء الحوائج من تخريجات ابن ابي الدنيا وهو من ورقة ٨٠ الى ٩٢
- ٧ - وكتاب من عاش بعد الموت له ايضاً وهو من ورقة ٩٣ الى ١١٦
- ٨ - وكتاب الأولياء له وهو من ورقة ١١٧ الى ١٣٤

- ٩ — وكتاب الغيبة والنجمة . له وهو من ورقة ١٣٥ = ١٤٦
 ١٠ — حسن الظن بالله . له = ١٤٧ = ١٦٤
 ١١ — المنام له = ١٦٥ = ٢٠٤
 ١٢ — التوكل على الله له = ٢٠٥ = ٢١٢
 ١٣ — مكارم الأخلاق له = ٢١٣ = ٢٦٤
 وكتاب الحلم له وهو من ورقة ٢٦٥ الى ٢٧٦ وهي آخر الكتاب

وفي آخر الرسالة الاولى سماع جاء فيه :

سمع جميع الجزء على الشيخ الامام الثقة ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري بحق سماعه من الشيخ ابي البركات هبة الله بن محمد بن علي البخاري رحمه الله — الشيخ نقي الدين ابوالحسين احمد بن حمزة بن علي الشافعي والفقير عبد السلام بن ابي بكر بن احمد الشافعي والفقير بدل بن ابي العمر التبريزي والشيخ عبدالرحمن بن طالب بقراءة مثبت السماع الحسين ابن موسى بن الحسين الخوي في كلاسة جامع دمشق حماها الله تعالى يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة والله اعلم . »

وتحت ذلك إجازة هذه عبارتها :

صحيح ذلك وقد أحزت لم جميع مسموعاتي وأحاديثي على الشرائط المعتمدة عند أهل الحديث رضي الله عنهم . وكتب اسمعيل بن علي بن ابراهيم الجبري في التاريخ المذكور . « والجبري هنا بزيادة راء عما في الرواية المذكورة في أول الرسالة وفي السماع المحرر اعلاه وكذلك في السماع المحرر أدناه . »

وبأقي بعد ذلك إجازة أخرى وهي :

سمع مني ولدي الأعز أبو المعالي محمد نفعه الله بالعلم ورفع به بالحلم هذه الأحاديث التي قراتها على الشيخ الاجل ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري في المسجد الجامع بدمشق المكتوبة قبل خطي بقراءتي عليه وأذنت له ان يرويها عني بشرطه وذلك يوم الاحد سابع ذي القعدة سنة احدى وستائة وكتب والده الفقير الى رحمة الله غفرانه الحسين بن موسى بن الحسين الخوي بخطه .

وفي الصفحة التي تلي تلك الإجازة ثبت شيوخ بغلب على الظن انه لصاحب الكتاب وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حدثني الشيخ الامام عبد القادر بن عبد الله الرهاوي بمدينة حران بمسجد الصخر في منتصف شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني الشيخ الامام الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم السلمي في منزله بشجر الاسكندرية وهو اول حديث سمعته منه . قال حدثنا ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج اللغوي ببغداد وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني ابونصر عبد الله بن سعد بن حاتم السجزي الحافظ بمكة وهو اول حديث سمعته منه قال اخبرنا ابو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلب بن نيسابور وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا ابو حامد احمد بن محمد بن يحيى وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا سفيان بن عيينة وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن ابي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو ابن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
الراحمون يرحمهم الله « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . »

قال الشيخ عبد القادر قال شيخنا الحافظ السلمي قال لي ابن السراج لما دخلت مصر حضرت مجلس ابي اسحق الحبال فأخرج لي هذا الحديث وكان يرويه عن ابي نصر فقلت هو سماعي منه فقال اقرؤهُ ^(١) فتسمعه انت مني واسمعه انا منك فقرأه .

وجاء في آخر رسائل فضائل الشام سماع هذه عبارته :

سمع جميع فضائل الشام على الشيخ الامام العالم الحافظ ثقة بهاء الدين صدر الحافظ ناصر ^(٢) محدث الشام جمال الاسلام ابي محمد القاسم ولد ^(٣) الامام العالم الحافظ ثقة الدين شيخ الاسلام ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي رضي الله

(١) في الاصل افراده (٢) لعلها سقطت كلمة الدين بعد ناصر . (٣) في الاصل والد وهو سبق قلم فالقاسم هو ابن علي بن الحسين وهو المشهور بابن عساكر والظاهر انها لم يكونا بضعان هذه النسبة في توافيقهما او انهما لم يعرفا بها الا بعد موتهما .

عنه وقدس روح والده بحق سماعه من الشيخ أبي الفضائل ناصر بن محمود بقراءة صاحب النسخة وكانها الشيخ الفقيه الامام أبي المحاسن الحسين بن موسى بن الحسن بن الخواري - الشيخ الامام ابو جعفر احمد بن علي بن أبي بكر بن اسماعيل القرطبي وابنه ابو الحسن محمد والفقيه ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقي والامام ابو الفرج ابراهيم بن يوسف ابن محمد المعافري البونفي والفقيهان ابو علي الحسن بن علي بن عبد الوارث وابو بكر بن حرز الله بن حجاج التونسيان وابو القاسم محمود بن محمد والشيخ ابو الفضل احمد بن محمد ابن علي بن أبي عقيل وزكريا بن عثمان بن خالويه الموقاني وابو عبد الله محمد بن عبد الوهاب ابن مان (هكذا) وابراهيم وبركات بن ابراهيم الحسوعي (لهله الخشوعي) وابو العساكر المطهر بن محمد بن المطهر وابو . . . العباس بن احمد بن ابراهيم بن أبي العلاء الأزدي واحمد ابن محمد بن احمد الكناني ومحمود بن احمد بن دارا ومحمد بن يمين بن مالك وعمر بن احمد ابن محمد وابو يعلى حمزة بن أبي الفضل بن أبي الفوارس وعمر بن محمد بن أبي الفضل العربي ابن يوسف ومثبات الاسماء بدل بن أبي المعمر بن اسماعيل بن أبي خضر التبريزي وآخرون . . . وذلك في مجلسين آخرهما يوم الاثنين الرابع والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

وتحت ذلك إجازة الشيخ المسمع وهي :

هذا صحيح وكتب القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ^(١) .

(١) ترجم محمد بن طولون الحنفي الصالح المتوفى سنة ٩٥٣ هـ ١٥٤٦ م لقاسم المذكور في كتاب ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر وهو من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة . ولم يفرد له ترجمة خاصة بل ذكر استطراداً في ترجمة محمد بن نافع بن عبد الله العنقبي الشافعي لان المترجم كان سأل عن تراجم بني عساكر فكتب له تراجم احد عشر شيخاً منهم ثم ساق هذه التراجم في تلك الترجمة بهذه المناسبة فقال عن القاسم ما نصه : « ومنهم البهاء بن عساكر وهو القاسم بن الحافظ الاكبر أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي الحافظ ببهاء الدين ابو محمد بن عساكر كان قد شارك اياه في اكثر شيوخه سماعاً وإجازة وصنف عدة مصنفات وخلف اياه

وجاء في الصفحة الاولى من رسالة فضائل البيت المقدس :

« ولي اجازة لفضائل البيت المقدس عن الامام الحافظ بهاء الدين ثقة الاسلام ابي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي الدمشقي رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ الامام ابو القاسم نصر بن احمد بن مقاتل بن مطكود (?) السومري قراءة عليه في الثامن والعشرين من رجب سنة احدى واربعين وخمسمائة قال أخبرنا الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن يونس المصري سنة ثنتين وثمانين واربعائة قال أخبرنا الشيخ ابو محمد عبد العزيز بن احمد بن عمر النصيبيني عن الخطيب ابي بكر محمد بن احمد الواسطي المصنف رحمهم الله ^(١) .

وجاء في آخر كتاب المنام ما يلي :

سمع مني ولدي الأعز ابو المعالي محمد أعزه الله وطول عمره كتاب المنام لابن ابي الدنيا بقراءة في عليه وأجزت له روايته عني بشرطه وكتب والده الواحي عفوره

في القيام بهذا الشأن بدمشق واظهار كتب ابيه واسماها بالجامع ودار الحديث النورية وبقي تاريخ والده لدمشق بخطه في ثمانين مجلداً ورحل الى مصر وأسمع بها وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر سنة ست مائة ودُفن بعد العصر على ابيه بمقبرة باب الصغير خارج الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين من جهة الشرق قال ابوشامة ولي منه اجازة وقد اقتصر تاريخ دمشق في أصغر وأكبر وكلاهما تام فالاول في خمسة عشر مجلداً والاصغر في خمسة مجلدات اه . قلنا ولقاسم المذكور كتاب الجامع المستنقى في فضل المسجد الأقصى ومنه الجزء ١٢ و١٣ و١٤ و١٥ في الخزانة التيمورية بالقاهرة وعندي نسخة منقولة عنها بالتصوير الشمسي نفعل باهدائها لي صاحبها العلامة احمد تيمور باشا .

(١) نظن ان هذه الرسالة هي الوحيدة من نوعها فاننا لم نقرأ عن وجودها في دار من دور الكتب العامة . وقد رأينا القاسم بن عساكر ينقل في جامعته المستنقى عن ابي القاسم السومري عن ابراهيم بن يونس عن عبد العزيز النصيبيني عن ابي بكر الواسطي المذكور الذي لم نطالع له نثراً ترجمة .

نعماني الحسين بن موسى بن الحسين الخوي في الخامس من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستائة .

« صاحب الرسائل »

وقد علمنا من إجازة القامم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ان صاحب هذه الرسالة وناسخها هو الحسين بن موسى بن الحسين الخوي .

ومتناز هذه الرسائل عن الكتب الأخرى بالدقة والثبوت ذلك لان ناسخها لم ينقلها عن الكتب وانما نقلها من أفواه الثقات من شيوخه واليك مثالا من طريقته قال في مطلع الرسالة الاولى : بسم الله الرحمن الرحيم . حدثنا الامام الثقة الامين ابو الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري الدمشقي بها في كلاسمة الجامع قراءة عليه يوم الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخسمائة قال أخبرنا الشيخ ابوالبركات هبة الله ابن محمد بن علي البخاري في ربيع الآخر سنة ست عشرة وخسمائة قال أخبرنا القاضي ابوالطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري قراءة عليه وانا اسمع في يوم السبت رابع شعبان من سنة سبع واربعين واربعائة قال أخبرنا ابواحمد محمد بن احمد بن الفطريف بجرجان في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قال أخبرنا الامام ابوالعباس احمد بن عثمان بن شريح ، أخبرنا ابو يحيى الضرير بن محمد بن سويد بن عمر العطار أخبرنا عبيدة بن حميد أخبرنا الأعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فهذه الرسالة الاولى التي قيل عنها انها لابن ابي الدنيا والرسالة الثانية المسماة « الاحاديث الاربعين » والتي يبتدئ سندها بالشيخ الامام محمد الدين ابى الفرج يحيى بن ابي الرجا محمود بن سعد بن احمد بن محمود بن احمد بن محمود الثقفي الاصفهاني في سنة ٥٨٣ بدمشق وينتهي الى عبد الله بن مسعود لا ذكر فيها لابن ابي الدنيا حتى ننسبها اليه .

ولهذه الرسائل امتياز آخر وهي انها كتبت في سنة ٥٨٣ ١١٨٣ م والحروب الصليبية مستعرة النيران في ديار الشام بل في بلاد الاسلام وحملات الفريبيين نقض المضاجع من الشرقيين .

فانصرف العلماء الى الدرس والاخذ في مسجد بني أمية بدمشق وفي غيرها من

المدن والأحصار يداننا على أن المسلمين كانوا يعملون لدينهم ودنياهم وسط تلك الخطوب
والنكبات التي كانت تكننهم عن أيمانهم وشمائلهم ولم يكن كل ذلك ليصرفهم عن
طلب العلم وبجث الحقائق .

وإذا كان في هذا الأمر ما يؤسف له فهو إهمال المؤرخين ترجمة العلماء الأعلام
المعاصرين الذين جاء ذكرهم في السماكات المقدمة . ولعل ذلك نشأ عن الحالة الحربية التي
كانت البلاد تحتبط في ديجورها وتعافي آلامها وشرورها .

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي العربي



احساس المتنبئ (١)

- ١١ -

عرفنا ناحية من اخلاق المتنبئ ، فلنجهد في معرفة ناحية من نواحي إحساسه وعواطفه ، والاحساس^(٢) انما هو القوة التي تميزنا من بين غيرنا من الناس ، ونطبعنا بطابعنا الخاص ، فهو الذي تحدد خصائصه طبيعة دخیلنا اي طبيعة شخصيتنا ودرجة هذه الشخصية ، فالمدارك العقلية لا يختلف بعضها عن بعض الا قليلاً ، واختلافها هذا لا يكون الا من حيث الدرجة فقط ، اي من حيث قوة نفوذها وضعف هذا النفوذ ، أو من حيث سرعة تغلغلها في بواطن الامور ، وابطاؤها في هذا التغلغل ، ولكن هذه المدارك كلها قادرة من حيث تركيب جواهرها على فهم الحقائق ، من اجل هذا اننا لانجد الا علماً واحداً في الهندسة او في الطبيعيات مثلاً ، وكذلك ارادنا فانها لا يختلف بعضها عن بعض الا من حيث قوتها او ضعفها ، اما حواسنا وعواطفنا فانها على خلاف مداركنا وعلى خلاف ارادتنا ، فهي يختلف بعضها عن بعض من حيث طبائعها فلذلك اننا ولا آلامنا واحدة في كل رجل منا ، فالامور التي تلاقى فيها لذتنا قد لا يلاقى فيها غيرنا الا الألم ، وما اصدق ما قاله المتنبئ في هذا المعنى :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها فيما النفوس تراه غابة الألم
وما اصدق في هذا البيت :

ما ذا لقيت من الدنيا وأعجبه اني بما انا شاك منه محسود
فقد يحسدنا الناس على امور يظنونها برأً وسلاماً ، ونحن لا نجد لها الا عناءاً وتعاباً ،
فالآذواق تختلف باختلاف الناس ، هذا الامر يبيننا وهو نفسه يضحك غيرنا ، وذاك

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبوري
عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .
(٢) رأي الاستاذ برونثير .

ينفعنا وهو ذاته بضر سوانا ، وقد يكون لون من الألوان زاهياً في نظرنا وكامداً في نظر غيرنا ، وقد يستطيب الأنف رائحة من الروائح ويستكرهها أنف آخر .

فالذي يستنبط من هذا الكلام ان ما يميز بعضنا عن بعض انما هو الإحساس ، فالخس في الشعر هو القوة المميزة ، فلا بد للشاعر من ان تهيج له الهوائج ، ولا بد له من ان يجد لهذه الهوائج صوراً مناسبة لها ، فالشاعر يختلف عن الشاعر من حيث طبيعة الخس والخيال ، فقد تأخذ العيون مشاهد شتى فيها كثير من الألوان والأصوات والروائح اي فيها كثير مما يهيج الحواس ويثير العواطف ، فيجوز احداً عن تصوير شيء من هذه المشاهد كلها لان حواسه لا تنبسط الى لون من ألوانها او الى صوت من أصواتها او الى رائحة من روائحها ، ولان نفسه لا يستفزه ما مشهدها ، فاذا الشاعر لم يكن له روح يعمل فيها مختلف المشاهد ، ويترك في باطنها آثاراً ورسوماً ، ولم يكن له خيال يخلق على هذه الرسوم والآثار ما يناسبها من ضروب الخلق ، فعلاً يتناول الشعر ، وعلاً يجهد فرحته ، ولذلك قالوا : بولد المرء شاعراً ، اي يولد قوسية الخس او ضعيفه ، غليظه او رقيقه ، وعلى حسب طبيعة هذا الخس يكون نبرزه في ميدان الشعر ، وتخليقه في سمائه التي لا تطاولها سماء .

هل كان المنبي قوي الإحساس ، هل كانت المشاهد تفعل فيه فعلتها ، هل كان عصبي المزاج يحركه أقل شيء وما هي طبيعة إحساسه وعاطفته ؟

نتجث عن إحساس المنبي شيئاً في بعض مواطن من المواطن التي تظهر فيها آثار الإحساس والعاطفة ، نتجث عن شيء من هذا في مقامات النسيب والغضب والحزن . هل عشق المنبي في حياته او هل كان صادق العشق في نسيبه ، اننا نتجث في شعره كثيراً من الغزل ، فلا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من هذا الغزل ، ولكن الذي أراه ان النسيب كان مذهباً من مذاهب الشعراء ، بصدرون به مطالع قصائدهم وصولاً الى مدح الممدوح ، فلست أرى في أضعاف هذا النسيب آثار نفس ذلها الهوى .

اذا كان مدح فالنسيب المقدم . أكل فصيح قال شعراً متيماً . ولست أرى في هذه الأضعاف هائجة من هوائج النفس ، وانما هذا النسيب عبارة عن تشبيهات او صفات ضاع رونقها لكثرة تكرارها ، فاذا لم بعثي الشاعر حقيقة كان

نسيبه مضجراً مقلماً ، وما مثله سيف ذلك الا كمثل النواحات اللواتي ينحن على ميت بشيء من المال بأخذنه على نواحيهن ، فان اغماءه لام التي تفقد طفلها لا يكاد يوازنها كل الدموع الكاذبة التي تذرفها النواحات ، وكذلك العشق فان صفة لون العاشق أبلغ من التشبيهات والصفات الرائعة التي يلجأ اليها غير العاشق في شعره .

فالمتنبّي عمد الى النسب في شعره ولكني لا أبالغ اذا قلت ان سيف هذا النسب اثر ضعة لا تدل على شيء من حقيقة الهوى ، ولكنه لا يعترف بهذا فهو يقول :

وما أنا الا عاشق كل عاشق أعق خليليه الصغبين لائمه

ثم يرجع فيقول :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك بعشق

فلانظر في هذا كله ، في احدى قصائده في سيف الدولة واولها :

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي ولحب ما لم يبق مني وما بقي وصف ابو الطيب بكاءه فقال :

وبين الرضي والسخط والقرب والنوى بحال لدمع المقلّة المتفرق واكد هذا البكاء :

عشية يعدونا عن النظر البكا وعن لذة التوديع خوف التفرق

ثم انصرف بعد البكاء الى التوديع فقال :

نودعهم والبين فينا كأنه فنا ابن ابي الهيثم في قلب فيلق

وانا لنجده بيكي خوف التفرق ، وانا لنجده بودع اذ ينصرف فجأة الى فنا ابن ابي

الهيثم ، اي الى الممدوح نفسه وهو سيف الدولة ، فتى مسخ دموعه ، ونسى نسي حبيبته ،

فلم يخطر بباله الا سيف الدولة ، قد يكون في هذا كله براعة في الذي يسمونه حسن

التخلص ، وقد يكون شيء من البلاغة في هذا التخلص الحسن ، ولكني لا أجد في هذا

النسب شيئاً من الحقيقة ، فلست أرى خيال روح بذلها الهوى ، وانما ارى فناً يستخدمه

صاحبه في تمهيد السبيل الى المدح ، والهوى الصحيح لا كلفة فيه فاذا ظهرت الكلفة عليه

ذهب أثره .

والأمثلة من هذا الشكل كثيرة في شعره واليكم مثلاً آخر :

ففي قصيدته في سيف الدولة التي يقول في ادلها :
ليالي بعد الظاهنين شكول طوال وليل العاشقين طويل
وصف احتماله للنائبات من بعد أحبته وطلب الى النسيم ان يحمل اليه روائح هؤلاء
الأحبة :

إذا كان شمّ الروح ادنى اليكم فلا يرحني روضة وقبول
وخاطب الحبيب فقال :
أقيت بدرب القلة النجرا لقيمة شفت كبدي واللبل فيه قنبل
ويوماً كان الحسن فيه علامة بعثت بها والشمس منك رسول
وانه ليسترسل الى هذا كله اذ يذكر في الحال ان سيف الدولة ينظر مدحه فيفناش
عن البيت الذي يصل به الى سيف الدولة :

وما قبل سيف الدولة اثار عاشق ولا طلبت عند الظلام ذحول
نعم الأمثلة من هذا القبيل كثيرة فلست أعقد ان نسيب المنبي في مطالع قصائده
يفصح عن عشق حقيقي ، وما هذا الغزل الا ضرب من التقليد ، فقد كان هذا هو أسلوب
الشعراء في أماد مجهم ، يتغزلون ثم يتخلصون من التغزل الى المديح ، والنفس العاشقة
لنصرف عن كل شيء في جوانبها ، ولا تفكر الا في الذي تحبه ، فلا سيف الدولة يصرفها
عنه ، ولا غير سيف الدولة ، فالعاطفة في هذا النسيب بعيدة عن ان تكون صادقة فضلاً
عن انه قد يميل في تصوير بعض نحوه الى شيء من المبالغة التي لا يحمد أثرها :
ولو قلم القيت في شق رأسه من السقم ما غارت من خط كاتب
هذا هو نسيب المنبي ، فالتقليد ظاهرة آثارة عليه ، وقد يخرج في هذا النسيب
من المقدار :

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ثا كل
كل هذا لا يخلو من شيء من المبالغة والعاطفة لا يحسن تأثيرها الا اذا كانت طبيعية .
على انه لا يخلو في بعض الاحيان من الاعتدال المقبول :

واني لأعشق من أجلكم فحولي وكل امريء ناهل
ولو زاتم ثم لم ابكمم بكيت على حبي الزائل

هذا هو شيء من طبيعة حسه وعاطفته في النسيب ، ولكن المواطن التي تظهر فيها شدة هذا الحس إنما هي مواطن الغضب ، سواء أكان غضبه على الأقدار أم كان غضبه على الذين يشتمون بموت جدته ، وسواء أغضب على الذين مدحهم ولم يعطوه ما تستحقه أماديجهم أم غضب على الذين أساءوا إليه ، وكذبوا عليه .

إذا غضب المتنبي على أحد من الناس اهتزت أعصابه كل الاهتزاز فلا يكاد يستطيع أن يسكنها ، ولا يجد أشياء للرجال الذين يحق عليهم إلا الحيوانات :

وانما نحن في جيل سواسية شرس على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق نخطي اذا جئت في اسنفها ما بن
ولا يبالي بعد هذا التعميم بان يخصص الحيوانات التي يشبههم بها :

فقر الجهول الى قلب بلا ادب فقر الحمار بلا رأس الى رسن
على ان هذا الهياج الذي هاجه في هذا المقام قد لا يكون شيئاً قياساً الى الثورة التي
ثارها في هجاء كافور ، فقد كان مضطرباً كل الاضطراب ، مغتاضاً كل الاغتياض ، فتارة
كان غضبه ممزوجاً بشيء من المزه :

فان كنت لا خيراً أفدت فاني أفدت بلحظي مشفريك الملاحيا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحيداد البواكيا
ومرة كان مختلطاً بشيء من الشتم :

لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبد لأفجاس منساكيد
وحينئذ كان يلجأ في غضبه الى شيء من الابلام :

جوعان بأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود
ومنه قوله :

من أبة الطرق يأتي نخوك الكرم اين المحاجم يا كافور والجمام

وإذا قابلنا بين اهاجية في كافور وبين تعريضه بسيف الدولة وجدنا ان ابا الطيب على شدة اهتزاز اعصابه في ساعات الغيظ يستطيع في بعض الأحوال ان يضبط نفسه ، فلم يغضب على سيف الدولة غضبه على كافور ، وانما ملك من حركته وضبط من نفسه فجعل لكل مقام من الغضب مقالا ، فهو لا يشبه هؤلاء الشتامين الطعانين الذين اذا انقموا على احد

من خاصة الناس تقموا عليه نعمتهم على احد من عامة القوم ، واذا شتموا كبير قوم شتموه كما يشتمون صغير القوم حتى يضيع اثر كلامهم فلا يبقى له قيمة .

فالمنني كان في غضبه يشتم ، ولكنه كان يجعل لكل مقام من مقامات الغضب مقالا فمارى سيف الدولة بمثل مارى به كافورا ، اقد كان في تعريضه به شيء من الابلام ولم يكن فيه شيء من الهزء او الشتم او الفحش .

فلننظر الى طبعة عاطفته سيف مرثيه ، فان المراثي تظهر فيها عاطفة الشاعر اكثر من غيرها من الشعر ، لان الشاعر يقولها وعينه تدمع ، وقلبه يحزن ، قال الاصمعي لاعرابي : سابل المراثي اشرف اشعاركم ، فقال : لانا نقولها وقلوبنا محترقة ، لقد صدق الاعرابي في كلامه ، فالمرثي هي الشعر الذي تظهر عليه آثار حرقه القلوب . وما أبرد هذه المراثي التي يقولها اصحابها فلا نجد فيها أثرا لهذه الحرقه ، وانما نرى فيها صوراً اذا انتزعناها من اماكنها والصقناها بمرثي آخر فلا نكاد نجد فرقاً بين الرجلين المرثين ، فما أشبه هذه الطبقة من الشعراء بالذواحات اللواتي يهكين ولا جرح في قلوبهن ، انما لانرى في أمثال هذه المراثي الا استفظاع الخطب ، والنقمة على الأقدار وما شابه هذه الأساليب المتكررة ، فالرجل المرثي ينبغي ان تكون له صورة في المراثية تليق به ولا تليق بغيره من الموتى ، واما اذا كانت هذه الصورة تصلح لكل واحد يموت ، ولكل واحد يهكي عليه ، فلا قيمة لها ولا قيمة لقائلها ، فلننظر الى المنني سيف مرثيه ، هل نجد فيها عاطفة تختلف عن عاطفته في النسب .

أقرب الذين رثاهم اليه جدته ، فقد كان شعره في مرثيته في جدته شعر الألم الحقيقي الذي يشتمل على الحزن من كل وجوهه ، لقد بكى على جدته بكاء شديداً فقد كانت من النساء الصالحات ، فلانكاد نقرأ بيتاً من هذه القصيدة الا ونجد فيه أثراً لعاطفة المنني الصادقة في محبة جدته التي كانت تحبه حباً جما :

لَكَ اللهُ مِنْ مَنجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةٌ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحَقِهَا وَصَمَا

فكان من الطبيعي ان يبادلها المنني في هذا الحب الشريف :

أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا وَاهْوَى لِمُثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّتْ

فليس في عاطفته هذه شيء من الصنعة والكلفة ، انه أحب جدته حباً شديداً

فظهرت حرقه قلبه ولوعة كبده ومهما حاول ان يتجملد :
 ألا لأري الأحداث مدحاً ولا ذمّاً فما بطشها جهلاً ولا كففها حلاً
 ومهما حاول ان يتعزّى بشيء من الفلسفة :
 الى مثل ما كان الفنى مرجع الفنى يعود كما أبدي ويكرى كما أرمي
 فقد أبى قلبه الا ان يفيض حزناً بعد هذا التجلد وهذا العزاء :
 حرام على قلبي السرور فاني أعد الذي مات به بعدها مما
 وان جده تموت سروراً بكتاب اتاها من حفيدها :
 اتاها كتابي بمد بأس وترحة فمات سروراً بي فت بها غما
 لا يكتر على المنني ان يكون بعد موتها كالاعمى لانه لا يراها :
 وما انسدت الدنيا علي لضيقها ولكن طرفاً لا أراك به أعمى
 ولا يكتر عليه ان بأصف على غيبته عند وفاتها :
 فوا أسفاً ألا أكب مقبلاً لرأسك والصدر الذي ملأنا حزماً
 ولا يكتر عليه ان بغضب على الذين شتموا بهومها :
 لئن لدد يوم الشامتين بهومها لقد ولدت مني لأنفهم رغماً
 نعم كل هذا غير كثير ، فالعاطفة في هذا الشعر صادقة ، شريفة كريمة ، ولا عجب
 اذا غضب المنني على الذين شتموا بموت جدته ، واذا أبرق وأرعد في هذا الغضب :
 كأن بنهم عاون باني جلوب اليهم من معادنه اليما
 ولو قابلنا بين عاطفته في هذه المراثية وبين عاطفته في غيرها من المراثي ، كالمراثية
 التي قالها في محمد بن اسحق النخعي :
 خرجوا به ولكل بالك خلفه صعقات مومي يوم ذلك الطور
 والشمس في كبد السماء مريضة والأرض واجفة تكاد تمور
 لتبين لنا الصدق من الكذب في العواطف ، فلا الشمس تمرض من موت رجل من
 الرجال ، ولا الأرض تمور ، فيكاد ابو الطيب في هذه المراثية يكون في زمرة هذه الطبقة
 من الشعراء التي تشبه النواحيات في البكاء .
 على اننا نجد في مراثيه في أم سيف الدولة :

مشى الأسراء حولها حفاة
كأن المروء من زفت الرمال
وأبرزت الحدود مخبات
بضعن النقس امكنسة الغوالي
أنتهن المصيبة غافلات
فدمع الحزن سيف دمع الدلال
وفي أخته :

بظن ان فؤادي غير ملتهب
وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية
لحرمة الحمد والقصاد والادب
وفي عبده يماك :

لا بقي يماك في حشاي صباية
الى كل توكي الفجار جليب
وفي مراتبه في ابي شجاع فاتك :

برّد حشاي ان استطعت بالفظّة
فلقد نصرّ اذا تشاء ولنفع
شيثاً من العواطف الصادقة ولكنها لا تشبه عاطفته في بكائه على جدته ، فان قلبه في
مرثيته في جدته هو الذي يملئ عليه فيكتب .

هذا هو البسير من الكلام على طبائع احساس المثني وعاطفته ، فالمثني صاحب
احساس شديد ، ولا يخلو هذا الاحساس في بعض المواطنين من شيء من القسوة ، واي قلب
افسى من القلب الذي يأنس بالدم ومشاهده ، فلقد ذكر ابو الطيب الدم في كثير من شعره ،
ولا يبعد ان يكون الرجل ميالاً الى الفتك ، ماذا اذكر من أبياته التي فاضت دماً ، اذكر قوله :
فقد بردت فوق اللقان دماؤهم ونحن أناس نُمّيع البارد سخناً
أم اذكر قوله :

ما زال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشي الشارب التمل
أم اذكر هذا البيت :

ألقّت اليك دماء الروم طاعتها فلودعوت بلا ضرب أجاب دم
والايات من هذا النحو مستفيضة في ديوانه ، ان حواسه لتبسط الى رؤية الدم ،
فلا يختلف عن صناديد القواد الذين ألفوا الدم في حروبهم ، فلا يستغفونوه ، فما اصدق
ماقاله فيه الشريف الرضي : واما ابو الطيب المثني فقائد عسكر .

دمشق : في ٢٦ نيسان سنة ١٩٣١ .

أسامة بن منقذ

- ٢ -

ألقن أسامة الفن القصصي وأبدع في إيراد نكته كل الابداع . ولوعاش اليوم لنا أهل
لر كر أستاذ في إحدى مدارس الصحافة التي تلقن طلبتها دروساً في كيفية معالجة الوقائع
ومسرد الحوادث . خذ مثلاً الكيفية التي روى فيها قصة الطبيب الأفرنجي بازاء الطبيب
العربي^(١) او قصة جزاء الامانة^(٢) فان الفن الحديث يكاد يحجز عن الاتيان باحسن منها .
لأسامة المؤلف لا أقل من ثلاثة عشر كتاباً اتصلت بنا اتماماً . وضع معظمها في
آخر بات حياته وهو مبعد في حصن كيفا حيث انفسح له المجال للدرس والتأليف . ولقد
ذكر بعضها حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١) « كتاب البديع في البديع » . (٢)
« تاريخ القلاع والحصون »^(٣) . (٣) « أزهار الأنهار » . (٤) « التاريخ البلدي » .
(٥) « نصيحة الرعاة » . (٦) « التجار المربحة والمساعي المنجحة »^(٤) . (٧) « اخبار
النساء »^(٥) . (٨) « كتاب العصا »^(٦) . (٩) « ديوان أسامة »^(٦) . (١٠) « كتاب
النوم والاحلام »^(٧) . (١١) « كتاب المنازل والأديار »^(٨) . (١٢) « كتاب ابواب
الآداب »^(٩) . (١٣) « كتاب الاعتبار » وهو الذي نحن في صددده .

- (١) كتاب الاعتبار ص ٩٧ - ٩٨ . (٢) ايضاً ١٣١ . (٣) صالح بن يحيى
ص ٣٦ يقول ان « عز الدين أسامة المذكور موالدي بني قلعة عجلون » ويلوح لنا ان
صالحاً خلط بين أسامنا وغيره . (٤) راجع وصف درنبورغ لهذه المخطوطات في
(Vie d'ousama) ٣٣٠ - ٣٣٨ . (٥) أشار اليه أسامة في « كتاب العصا » .
(٦) نشر درنبورغ منتخباً منه في باريز ١٨٩٣ . (٧) أشار اليه أسامة في « كتاب
الاعتبار » ١٣٧ . (٨) مخطوطة في المتحف الاسيوي في لينفر د ذكرها الاستاذ
اغناطيوس كراتشوفسكي في « مجلة المجمع العلمي العربي » تموز سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥ .
(٩) مخطوطة كتب لي عنها مالكها الدكتور يعقوب صروف بتاريخ ٣٠ ايار سنة
١٩٢٧ وعليها بخط ابن أسامة مرهف ان والده اهداها اليه سنة ٥٨٢ راجع « المقتطف »
كانون اول سنة ١٩٠٧ ونيسان سنة ١٩٠٨ . وربما كانت بخط المؤلف نفسه . وفي رسالة

بعد ان تجاوز أسامة التسعين استدعاه صلاح الدين يوسف بن ايوب من حصن كيفا وأسكنه داراً بدمشق ، وذلك بمساعي ابن أسامة المحبوب مرهف الذي كان من المقرّبين لدى السلطان^(١) . وارجع له صلاح الدين اقطاعاً كان في الاصل على ما يظهر لأسامة ، فعاد نحر الحياة يجري في عروق الشيخ بعد ان كان استحال خلاً ، ولنعم صديقنا بشيء من الرفه والهناء قبيل وفاته . فأخذ يلقي المحاضرات في البديع ، ويدرس في المدرسة الحنفية . ولكن لأسباب نجهلها انقلب عليه ظهيرة صلاح الدين ، وربما كانت اقامة أسامة في مصر وأدت فيه ميلاً للتشيع لحظه صلاح الدين^(٢) « محيي دولة امير المؤمنين^(٣) » و « سنة الخلفاء الراشدين^(٤) » . ولانعلم كم طال هذا الجفاء . على ان صالح بن يحيى^(٥) ذكر ان صلاح الدين ولّى ببيروت عز الدين أسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ وكان من المعظمين عند السلطان حتى لم يكن يقدم عليه احداً في المشورة والرأي . وعاد فروى (ص ٣٨) ان عز الدين أسامة بن منقذ لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الافرنج على صيدا خرج من المدينة بجماعته واهله ، فهجاء احدهم بقوله لصاحب حصن تبنين :

سلام الحصن ما عليك ملامه لا بلام الذي يروم السلامة

خصوصية من الشيخ خليل الخالدي بالقدس تاريخها ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٧ انه رأى وهو بقونية باحدى خزائنها نسخة من « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث لشارحه ابي عبيد احمد بن محمد بن ابي عبيد العبيدي الهروي على آخر الجزء الثاني ماصورته « وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث وعشرين شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة بمدينة حمص . كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنتاني المالكي »

(١) ومن الذين امتازوا من آل منقذ شمس الدولة ابن اخي أسامة ، اوفده صلاح الدين الى احد السلاطين الموحدين بمراكش للتخاطبة بشأن استخدام الاسطول لقطع سبل الاتصال البحري بين الافرنج وبين بلادهم . وكان لأسامة عم مقرب من الخليفة الفاطمي « كتاب الاعتبار » ص ١٥٤ .

(٢) الذهبي ملحق (Vie d'ousama) ٦٠٢ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢٣ .

(٤) ايضاً ١٢٤ . (٥) « تاريخ بيروت » ٣٥ - ٣٦ .

فعطاه الحصون من غير حرب سنة سنّها ببيروت أسامة.
ويظهر من هذا ومن ابن الأثير^(١) أنه كان يومئذ ببيروت حاكم يعرف بأسامة ولكنه
هو غير ابن منقذ فالأفرنج فتحوا بيروت عام ١١٩٧ وابن منقذ توفي عام ١١٨٨^(٢).

بعد ان توفّل أسامة « ذروة التسعين »^(٣) وهو في دمشق بشفياً في ظلال نعمة
مولاه صلاح الدين ، اخذ يطل من ذلك العلو الشامق على سابق اختباراته وبدونتها
— او يلقيها — بانشاء ساذج عادي لا تصنع فيه ولا تعمل^(٤) — تلك هي المذكرات
الخالدة الموسومة بـ « كتاب الاعتبار » . أملاها أسامة وهو يردّد :

اذا كتبتُ فخطي جدّ مضطرب كخط مرعش الكفة بين مرعبد
فأعجب لضعف يدي عن حملها قلماً من بعد حطم القنا في لينة الأسد
وان مشيتُ وفي كفي العصا ثقلتُ رجلي كما في أخوض الوحل في الجلد^(٥)
ولسان حاله :

قد كنتُ مسعراً حرباً كلما خمدتُ أذكيتها بافتداح البهض في القمل
اما الآن :

فصرتُ كالغادة المكسال مضجعةُها على الحشايا وراء السجف والكلل
قدكدتُ أعفنُ من طول الثواء كما يصدي المهند طول اللبث في الخلل
أروجُ بعد دروع الحرب في خلل من الدّيبقي فبؤساً لي وللخلل^(٦)
بين كُتُب الادب العربي سيرٌ عددها غير قليل : منها ما كُتب في عصر أسامة
بالذات : كثيرة صلاح الدين الموسومة « بالفتح القسي في الفتح القدسي » بقلم عماد الدين

(١) في « Recueil » مجلد ٢ جزء ١ ص ٨٥ . (٢) لم ينسب لهذا الخلط بين
الأسامتين الأب شيخو محمّد صالح بن يحيى فإنه في حاشية ٢ ص ٣٥ جعل الاثنين واحداً .
(٣) « كتاب الاعتبار » ١١٩ . (٤) الشاذ الوحيد عن هذه القاعدة وصف
أسامة شيخوخته واعطف صلاح الدين عليه ص ١١٩ — ١٢٤ . (٥) ص ١٢٢ .
(٦) ص ١٢٠ .

الكتاب الاصبهاني ، وأختها الموسومة « بالنوادر السلطانية » بقلم بهاء الدين ، وكسيري نور الدين وصلاح الدين المعنولين « بكتاب الروضتين في أخبار الدولتين » تأليف ابي شامة . ولكنها كلها لنضال أمام سيرة أسامة بقلم نفسه « كتاب الاعتبار » هو اول سيرة في الآداب العربية — على ما نعلم — المتهرج والمترجم له فيها واحد .

رمى المؤلف من وراء كتابه الى تعليم أمثلة ادبية ، لذلك سماه « كتاب الاعتبار » وأورد مواد يرجي منها ان يعتبر القاري بما حلَّ بغيره ويستفيد لنفسه ^(١) . اما العظة التي اراد ان ينقشها على ذهن القاري بحيث لا تنسى فهي « ان ركوب اخطار الحروب لا ينقص أجل المكتوب . فاني رأيت ٠٠٠ معتبراً بوضح للشجاع العاقل ، والجبان الجاهل ، ان العمر موقت مقدّر ، لا ينقذ اجله ولا يتأخر ^(٢) ، وان الله مقدّر الأقدار وموقت الآجال والأعمار ^(٣) » وانه يجب ان لا يظن ظان ان الموت يقدمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر ^(٤) ، وان « النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى ، لا بترتيب وتدبير ، ولا بكثرة تغير ولا نصير ^(٥) » .

ولإثبات قضيته أتى أسامة بالقصة تلو القصة « التشابه والمشاركة ، وحياتاً النفاض والمخالفة » كان السلك الذي فاده من رواية الى رواية . ولكن الكثير من المادة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصة به . هنا وهناك يشعر القاري ان الراوي قد رشّ شيئاً من (البهار) على القصة لتحسينها ، او مطّء الواقع قليلاً في الحادث لإشباع داعي الغرض . أخبار كرامات الاولياء ومنافعهم (الباب الثاني ص ١٢٥ — ١٣٨) كلها ازدردها أسامة ، ولم يتسام فوق المستوى الذي عاش فيه جيله . كذلك الاحلام آمن بها ووضع فيها كتاباً ^(٥) . بهد ان ذلك كله لا يعني ان مقياس الصدق لم يكن بالاجمال عالياً .

من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حائل فيه أسامة الأثر الذي آثره في نفسه — وهو المسلم المحافظ — الافرنج الصليبيون . ملاحظات ابن جبير واقوال ابن الاثير لها

(١) ص ١٢٠ — ١٢١ . (٢) ١٢٠ . (٣) ١٢١ . (٤) ١٠٩ .

(٥) نجد اشارة الى « كتاب النوم والاحلام » في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ .

منزاتها ، ولكنها لا توازي منزلة هذا الفصل المبني على اختبارات شخضية عديدة . الافرنج في نظراً أسامة ، لم شجاعتهم ولكنهم خالون من « الغيرة » الجنسية ^(١) . طيهم ساذج جاهل بالمقابلة مع الطب العربي على ما مثله ثابت ^(٢) وابن بطلان ^(٣) البصرانيان . محاكاتهم غيبة غريبة ^(٤) . « من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية أجنى أخلاقاً من الذين قد تبدلوا وعاشروا المسلمين » ^(٥) . المؤلف لم يبخل عليهم بلقب « شياطين » ^(٦) و « كافرين » ^(٧) ، ولم يتردد في استنزال « لعنة الله عليهم » ^(٨) عملاً بمصطلح كتاب ذلك اليوم ، وفي الدعاء الى الله تعالى ان « يطهر الدنيا منهم » ^(٩) . لذلك بلدنا ان نسمع صديقاً افرنجياً يدعو أسامة « ياخي » ^(١٠) ويرجوه ان يسمح لابنه مرهف ان يرافقه الى بلاد الافرنج ، وان نرى أسامة يسمى الفرسان الداوية (Templars) « أصدقائي » ^(١١) ونرى هؤلاء ينجلون له في المسجد الاقصي مسجداً صغيراً يصلي فيه اذا زار البيت المقدس .

وفي الكتاب ، فضلاً عن ذلك ، اشارات وفيرة تنير لنا أحوال البلاد الشامية لذلك العهد في الزراعة والاجتماع ، وتعرض أمام أبصارنا صوراً أشنى من صور الحياة السورية العربية . فقد علمنا ان القطر كان من غلة كفرطاب ^(١٢) ، وان غابات شمالي البلاد الكثيفة كانت غنية بالأشجار والنخور والغزلان وحمر الوحش ^(١٣) ، وان جلالة العروس ^(١٤) — على ما هو متبع الى اليوم في لبنان — كان عادة في القرن الثاني عشر ، وان استئجار نداءات نندب في المآتم ^(١٥) كان معروفاً يومئذ كما هو معروف اليوم . ويتناول آخر فصول الكتاب (ص ١٣٩ فما بعد) مسألة الصيد على ما مارسه ابناء ذلك الزمان بالبازي والصقر وبمعونة الكلاب ، وذلك على شواطئ دجلة والفرات والعاوي والنيل . حتى صيد السمك بالطرق العتيقة الساذجة لم نفت أسامة فانه وصفها ^(١٥) كأنك ترى العملية بعينيك .

- (١) « كتاب الاعتبار » ١٠٠ . ٩٨ (٢) . ١٣٥ — ١٣٨ .
 (٤) ١٠٣ . ٩٩ (٥) . ٨٧ و ٩٥ (٦) . ١٠٠ و ٩٥ (٧) . ١٠٣ (٨) الخ .
 (٩) ٩٧ (١٠) . ١١٢ (١١) . ٨٠ — ٨٢ — ١٤١ .
 (١٣) ١٣٣ — ٨٥ (١٤) . ١٦١ (١٥)

مخطوطة كتاب الاعتبار هي وحيدة لأخت لها ، على ما نعلم ، محفوظة في مكتبة الاسكوريال في اسبانيا . وهي ٦٧ ورقة ومخرومة الاول فقد منها ٢١ ورقة ، فيكون اصلها ٨٨ ورقة . والمخطوطة مكتوبة بالخير الاسود وبالخط الشامي الذي يراني الى القرن الثالث عشر . فهي إذن من أقدم المخطوطات العربية التي اتصلت بنا . وفي خاتمة المخطوطة ما نصه :

« وكان في آخر الكتاب ما مثاله :

قرأت هذا الكتاب من اوله الى آخره في عدة مجالس على مولاي جدي الامير الأجل العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين ، جلوس الملوك والسلاطين ، حجة العرب خالصة امير المؤمنين ، أدام الله سعاده . وسألته ان يجيزني روايته عنه . فأجابني الى ذلك . وسطر خطه الكريم به . وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة عشر^(١) وستمائة صحيح ذلك . وكتب جده مرهف بن أسامة بن منقذ حامداً ومصلياً » .

والتاريخ اعلاه ١٣ صفر ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) ، ليس هو تاريخ مخطوطتنا هذه — كما وهم درنبورغ^(٢) — بل تاريخ الام التي نسخت عنها . فليستنا إذن غير مؤرخة ، ولكنها منقولة عن مخطوط كتبت بعد وفاة المؤلف (أسامة) بست وعشرين سنة قمرية وعليه اجازة من مرهف بن أسامة المحبوب موقعة بامضائه .

وهذه المخطوطة نشرها الاستاذ هارتوغ درنبورغ بالطبع (ليدن ١٨٨٤) . وهي التي نعدّها الآن للطبع في مطبعة برنستون العربية وذلك نقلاً عن الصورة الفوتوغرافية التي حصلنا عليها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركية في مدريد .

وقد حفلت مخطوطتنا بالاغلاط النخوية الصرفية التي لا يتأتى ان يرتكبها مؤلفها — واضع كتاب في «البديع» وصاحب «ديوان» — وهي ايضاً غنية بالعبارات العامية مما يدل على ان المؤلف وهو شيخ ضعيف أملى كتابه شفاهاً وان ابدي النساخ عبثت به . واليك امثلة من آثار عدم عناية الناسخ او النساخ : (دشني) (دشني)^(٣) (موز)

(١) «عصره» في الاصل . (٢) في المقدمة الفرنسية ص ١٠ التي قدم بها مطبوعته

« كتاب الاعتبار » . (٣) ص ٣٨ .

(موزا)^(١) ، (الرحا) (الرحى)^(٢) ، (قاسم) (قسيم)^(٣) ، الى آخر ما هنالك من الكلمات التي جاءت بصورتين او أكثر في سطر واحد او صفحة واحدة .

اما استعمال العبارات العامية فهو فضلاً عن دلالة على سلامة ذوق أسامة في الانشاء اذ كم من حقيقة بعيدة الغور في طبيعة الانسان او اختباره — لايسهل التعبير عنها في الأدب العالمي ومعظمه اصطناعي بل في النسق الساذج (الدارج) الأقرب اتصالاً بمصادر الحياة ومناحيها — فأمره يهمننا من وجهة أخرى . مقابلة هذه الألفاظ والاصطلاحات مع ما يماثلها في لغتنا العامية اليوم فيه درس مهم في تطور اللغة العربية المحكية . وهالك امثلة من أسامة :

(أ) « أبش (اي شيء) انتم ؟ » (ص ٨) — « أبش (اي شيء) كات من خبر الصبية ؟ » (ص ١٢٩) — « مافي (لا يقدر) هذا يسرق رغيف خبز » (ص ٣٣) — « تموا (ما زالوا) بطردونهم » (ص ٣٧) — « خفت لا (لثلا) يكون لم » (ص ٤٧) — « دار حول الصخرة وطأ لم (نطأ لم) نخبها » (ص ١٥٩) — « حمدت الله سبحانه الذي (التي — في العامية) ماناله ضرر » (ص ٤٧) الخ .

(ب) استعمال صيغة الجمع العاقل لما لا يعقل : — « الكلاب نظمهم (نظمها) من عيشنا » (ص ٩) .

(ج) استعمال المثنى المنسوب في حالة الرفع : — « دبواني كل شهر دبنا رين (دبناران) » (ص ٥٦) — « وفيه خرنقين (خرنقان) » (ص ١٤٣) .

(د) ارجاع ضمير الجمع او المفرد لاسم مثنى : — اظمرم (اظمهما) » (ص ١٤٣) « ببست رجلاي ودقت (دقتا) » (ص ١٣١) — نفرج فارسات ٠٠٠ فصادفوا (فصادفا) رجلاً ٠٠٠ فأخذوه (فأخذاه) » (ص ٤٧) .

(هـ) لغة اكلوني البراغيث : = « فاقنطعموم (فاقنطعمهم) الروم » (ص ٦٩) .
(و) الميل لاهمال المعزة او تحويلها باء : = « الحيط (الحائط) » (ص ٥٥) — « خببنته (خببنته) » (ص ٣٤) « غار (أغار) » (ص ٤٣) — « إسل (إسأل) » (ص ٦٥) .

(ز) إبدال ثاني الحرفين المدغمين ياء : « دآيت (دلت) الحرامية » (ص ١٠٢) — « شقيته (شققته) » (ص ١٠٨) .

(ح) الاشباع : « روح (رُح) » (ص ٩١) .

وفي نسق الكتاب ظاهرة غريبة : وهي ميله الى استعمال صبغة المؤنث : « غار معأقة » (ص ٥٢ س ١١) — « عقرب صغيرة » (ص ٨١ س ٨) — « جحر ثائية » (ص ٨٤ س ١٤) — « الأرنب دخلت » (ص ١٤١ س ١) — « سكيناً صغيرة » (ص ٧٦ س ٢٣) — « طارت الحجل » (ص ١٤٦ س ١٥) .

وللخطوطة من حيث الخط ميزات منها انها انتهت اليها خلواً من حركات الاعراب ، ومن علامات الوقف ، ومن أكثر نقط الحروف ، بحيث يصعب أحياناً التمييز بين الفاعل والمفعول ، وبين المعلوم والمجهول وبين نهاية الجملة الواحدة وبداية الأخرى . خذ مثلاً لذلك لفظة (عدل) التي وردت في قصة نمر جاء به أحد الخلبين الى صاحب القدموس . فان درنبورغ على ما يظهر قرأها (عدل) (ص ٨٣) وترجمها ^(١) (La séance) ، وهي في الحقيقة (عدل) بمعنى كبس . ولقد ورد في قصة بعض قطاعي الطرق كلمة (بسمهم) فقرأها درنبورغ (بسمهم) (ص ٥٤) ، وقرأها لانديرخ ^(٢) (بسمهم) ، وقرأها كاتب هذه الاسطر (بسمهم) . بين (السبق) (والشئق) بالتهجئة فرق متضمن في بعض نقط ، ولكنه بالفعل فرق عظيم . في صفحة ٩١ ورد اسم علم هذه صورته (حرار) فهو جرّار ، جزّار ، جزّاز ، حرّار ، حرّاز ، حراز ، خراز ، خراز ، خزّار ، خزّاز — عشر فراءات فقط لاغير وكلها واردة في أسماء اعلام الذهبي (المشبه) ^(٣) ، فاختر لك منها ما يحلو .

ولقد يؤدي عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة ، كما هي الحال في

(١) (Paris ١٨٩٥) « Autobiographie d, Ousama » ص ١١٠ .

(٢) (Leiden ١٨٦٦) « Critica arabica » N° 2 ص ٢٦ .

(٣) (ليدن ١٨٦٣) ٩٧ — ١٠٠ .

اللغات الاوربية احياناً — الى الاشتباه في اللغة العربية . ففي صفحة ٣٧ سطر ١٧ و صفحة ١٥٢ سطر ٧ وردت (العلاء) وهي اسم بلدة في سورية الشمالية فحسبها درنبرغ نكرة وترجمها (La ville hause) ^(١) . اما « قرية خربة » (ص ٦٠) فحسبها علماً ^(٢) .

ان إرجاع الضمير من معضلات العربية . ولكان الاشكال فيه جعل درنبرغ بحسب مرة ان المطعمون طار من السرج الى رقبة الحصان ، والحال انه الطاعن (ص ٤٦) ^(٣) ، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض (ص ١٠٧) ^(٤) ، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه ، وثالثة ان الجريح غشي عليه ^(٥) ، والحال ان الغلام الشاهد هو الذي غشي عليه (ص ١٠٧) .

وليس في المصطلحات العربية علامات للاقتباس انفسن الجمل المحكية . وهذا ما جعل درنبرغ ^(٦) يعتبر الجملة الاخيرة من خطاب أسامة لرجالة عسقلان غير داخله في ذلك الخطاب ، مع انها جزء منه (ص ١١) . ولما مثل أسامة بين يدي الملك الافرنجي فأمك وأعرب له هذا عن فرحه به لانه فارس عظيم أجاب أسامة « انا فارس من جنسي وقومي » وورد على اثر ذلك في الاصل « واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان أعجب لهم » . فدرنبرغ ^(٦) ضمن العبارة الثانية في الاقتباس وجعل أسامة دقيقاً طويلاً بالاستنتاج . والذي يلوح لي ان العبارة الثانية غير داخله في الاقتباس والضمير فيها يعود الافرنج ، فيكون أسامة مميّناً قصيراً .

لم يكن أسامة يحسن غير اللغة العربية . ففي صفحة ٤٩ يقول عن الافرنج « انهم لا يتكلمون الا بالافرنجي ماندري ما يقولون » . وفي مكان آخر يشير الى امرأة افرنجية « نبرير بلسانهم وانا لأدري ما تقول » (ص ١٠٤) ، ويذكر ان رفيقه الغزياني « اللفت الى غلام له كله بالنكري ولا أدري ما يقول » (ص ٧٥) . وفي غير موضع يقول « وهم يتكلمون بالنكري ولا أدري ما يقولون » (ص ١١٢) . على ان ذلك كله لم يمنع من استعمال

(١) (Autobiographie) ص ٥٠ (٢) ايضاً ص ٨١ .

(٣) قابل (Autobiographie) ص ٦٣ (٤) ايضاً ١٤٢ .

(٥) ايضاً ١٤ (٦) ايضاً ٤٧ .

كلمات افرنجية كـ: «مرجندي» (ص ٥٦) و «مرچند» (ص ٤٩) (sergeant) =
«تركبولي» (ص ٣٧) (Turcopole) = «برجامي» (ص ١٠٤) (bourgeoisie)
«البسكند» (ص ١٠٢) (viscount) = «الداما» (ص ١٠٠) (madame) =
«البرونس» (ص ٨٧) (prince) .

والذي يعمنا أكثر من ذلك استعمال طائفة من الكلمات الفارسية والتركية
واليونانية التي كانت صقلتها ألسن العرب وألفتها آذانهم . وبما يجب ملاحظته ان معظم
أسماء آلات الحرب انما هي فارسية ، وذلك لان العرب نقلوا الاساليب الحربية عن
جيرانهم الفرس . واليك بعض الأمثلة من الألفاظ الفارسية المعربة :

(سندروس) (ص ٨٨س ١٣) (سندروس ، معدن شبيه بالكهرباء - مرفسار)
(ص ٩س ٢٠) (مرفسار ، رأس العنان - كزاغند) (ص ٣٤س ٣٧) (كزاغند .
كزاغند ، سترة تقوم مقام الدرع - دركاه) (ص ٣٦س ١٩) (دركاه ، بلاط الملك
= «دُشني» (ص ٣٨س ١٦) دشنه ، خنجر = «خشت» (ص ٣٨س ٢٠) خشت ،
حربه = «موزا» (ص ٥٣س ٢٣) = «موزة ، خف» = «اوزبه» (صفحة ٥٤س ١٠) =
اوزبك ، امير الجيش = «بُشت» (صفحة ٨٦س ٢٤) = بشت ، عباءة = «تركش»
(صفحة ١٥٨س ٨) = تركش ، جمعة = «دبدب» (صفحة ٩٤س ١٠) = ديدهبان ،
راقب .

وهناك لفظتان فارسيتان اشتبه امرهما على درنبورغ فحسبهما عربيتين : (برجم)
(صفحة ١٨س ٩) = برجم ، شعر ذنب عجل البحر . فظنها درنبورغ (برجم) العربية
وترجمها (Articulatoins de doigts) ^(١) . و(نشاف) (صفحة ٩٨س ١) وهي سيف
الراجع (نشاف) الفارسية = بلآه . وترجمها درنبورغ ^(٢) (Consumption) .
واليك مثالا من الالفاظ التركية الواردة في الكتاب : (برقي) (صفحة ٧٦س ٦)
براق ، سلاح = (جوبان) (صفحة ٧٨س ١٣) = جوبان ، راع ^(٣) .

(١) (Autobiographie) ١٥٦ . (٢) ايضاً ١٢٩ . (٣) اما درنبورغ

(صفحة ١٠٥) فحسبها علماً وكتبها (Djaubàn al-khail) .

ومن الألفاظ اليونانية : (سقلاطون) (صفحة ٧ س ٢١) = ثياب موشية =
(فنطارية) (صفحة ٤٢ س ٢١) = الرمح او قنانه = (زُرْبُول) (صفحة ٨١ س ٧) = حذاء .
ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبلي جهاد العلماء الابطال
في حل ألغاز المخطوطة العربية وكشف معيائنها ، وافي مدين له بالشكر الكثير من حيث
قراءة الاصل وفهم المراد .

على اثر ظهور ترجمة درنبورغ الافرنسية لـ « كتاب الاعتبار » ظهرت ترجمة المانية
بقلم جورج شومان (Georg Schumann) عنوانها : ^(١) (Usama Ibn munkidh memoiren)
اعتمد فيها الكتاب على الترجمة الافرنسية مع نصريجه في مقدمة الكتاب
بانه ترجمه عن الاصل العربي . وهذه بعض الشواهد على ذلك : درنبورغ اغفل سهواً
في ترجمته ^(٢) اسم خطيب إسمعرد الاول وهو (سراج الدين) مع انه مثبت في الاصل
(صفحة ١٢٥) ، وكذلك فعل شومان ^(٣) . اقم درنبورغ في مكانين من ترجمته ^(٤) كلمة
(نصر) بعد (ناصر الدين) وهي غير واردة في الاصل (صفحة ٢٠ س ١٢ و ٢) ، وشومان
اتبع اثره ^(٥) . في موضع آخر اشتبهت كلمة (ثمان) (صفحة ٧٢ س ١٩) على درنبورغ فحسبها
(ثمن) وجعل غلة الطاحون مائة دينار (Cent dinars) ^(٦) بدلاً من ثمانمائة دينار كما هي
في الاصل العربي ، وشومان افنقى خطواته (على العميان) وترجم ^(٧) hundred denaren
ولقد نشرت في العام الفأث عن المخطوطة الاصلية المحفوظة بالاسكوريال (كتاب
الاعتبار) هذا مترجماً للانكليزية بعنوان : (An Arab-syrian gentlema nauel
warrior ui the period of the Cruisades) (New york) .

وهي المخطوطة التي نحن بصدد نشرها . وفي العام نفسه ظهر في لندن طبعة أخرى
انكليزية ^(٨) لاقية علمية لها ولا جديد فيها لانها مبنية على الترجمة الافرنسية السابقة .

(١) طبع (Innsbruck) سنة ١٩٠٥ . (٢) (Autobiographie) ١٦٥ .

(٣) (Memoiren) ٢٢٩ . (٤) (Autobiographie) ٢٦ س ١٤ و ٣٧ .

(٥) (memoiren) ٥٠ و ٥١ . (٦) (Autobiographie) ١٠٤ س ١٩ .

وس ٢٨ . (٧) (Memoiren) ١٥٤ س ١٥ - ١٦ و ٢٤ .

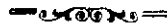
(٨) « Autobiography of Ousama ibn Mounkidh »

فيكون الكتاب قد ترجم للأفراسية والألمانية والانكليزية .

في يوم الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ هـ (٦١ تشرين الثاني سنة ١١٨٨) وهي السنة التالية للسنة التي استرجع فيها صلاح الدين بيت المقدس من يد الأفرنج ، نوب في أسامة في دمشق عن ٩٦ سنة قمرية (٩٣ شمسية) ، ودُفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل فاسيون الجبل الذي نعته يا قوت^(١) بانه (مُعظَّم مُقدَّس) . ولقد دُرس قبره مع مدارس من الآثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على أنقاضها الدور الحديثة^(٢) . ولكن المترجم الدمشقي الشهير بابن خلكان زار تربة أسامة بعيد وفاته حيث قال « ودخلت تربته وهي على جانب نهر يربد الشمالي وقرأتُ عنده شيئاً من القرآن وترجمت عليه »^(٣) .

جامعة برنستون : فيليب حتي

عضو المجمع العلمي العربي



(١) « معجم البلدان » ٤ : ١٣ .

(٢) هذه خلاصة تقرير تفكرم به بتسارنج ١ تشرين الأول سنة ١٩٢٨ الاستاذ

« المغربي » أحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وكنت كلفته امر التنقيب عن

قبر أسامة . (٣) ١ : ١١٢

جامع التواريخ

«نشوار المحاضرة»

او اخبار المذاكرة

- ٨ -

حدثني «١» ابو العباس احمد بن عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن البحري «٢» القاضي الداودي «٣» وهو شيخ من خلفاء قضاء القضاة مشهور بمدينة السلام بالعلم والتصرف في الحكم . قال حدثني ابو الحسين عبد الله ابن احمد بن محمد بن المفلس الداودي قال كان ابو بكر محمد بن داود وابو العباس بن سريج اذا حضرا مجلس القاضي ابي عمر لم يجز بين اثنين فيما يتفاوضانه احسن مما يجري بينهما وكان ابن سريج رضي الله عنه كثيراً ما يتقدم ابا بكر في الحضور الى المجلس فتقدمه في الحضور ابو بكر يوماً فسأله خلق «٤» من الشافعية عن العود الموجب للكفارة «٥» ما هو قال

«١» طبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٨٩ .

«٢» عند السبكي : البخري .

«٣» م ، ع ، في طبقات السبكي الداودي هنا وفيما يلي .

«٤» م ، ع ، في الطبقات فسأله حدث .

«٥» م ، ع ، في طبقات السبكي للكفارة في الظهار .

انه اعادة القول ثانياً وهو مذهبه (١) وحضر ابن سريج فاستشرحهم
ما جرى فشرحوه فقال ابن سريج لابن داود ولا يا ابا بكر اعزك الله هذا
قول من (٢) من المسلمين تقدمكم (٣) فاستشاط ابو بكر من ذلك وقال اتقدر
ان من اعتقدت ان قولهم اجماع في هذه المسألة اجماع عندي احسن احوالهم
ان اعده (٣) خلافاً وهيئات ان يكونوا كذلك فغضب ابن سريج وقال
له انت يا ابا بكر بكتاب الزهرة (٤) امهر منك في هذه الطريقة فقال
ابو بكر بكتاب الزهرة تعيرني والله ما تحسن تستم قراءته قراءة من يفهم وانه
لمن احدى المناقب اذ كنت اقول فيه :

اكرر في روض المحاسن مقلتي وامنع نفسي ان تنال محرما
وينطق سري عن مترجم خاطري فلو لا اختلاسي رده لتكلما
رايت الهوى دعوى من الناس كلهم فما ان ارى حباً صحيحاً مسلماً
فقال القاضي ابو العباس بن سريج أعلي تفخر بهذا القول وانا الذي
اقول :

ومساهر بالفتح من لحظاته قد بت امنعه لذيذ سباته (٥)
صبا بحسن حديثه وعتابه واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده ولي بخاتم ربه وبراته (٦)

« ١ » عند السبكي : ومذهب داود. « ٢ » م. ع. في الطبقات تقدمكم فيه. « ٣ » عند
السبكي : اعدهم. « ٤ » يعني كتاب ادب الفه ابو بكر « ٥ » م. ع. في الطبقات سناته. جمع
سنة اي العاس. « ٦ » بالاصل وفراته، الصواب عند السبكي.

فقال ابن داود لابني عمر ايد الله القاضي قد اقر بالميت على الحال التي ذكرها وادعى البراءة مما يوجب عليه اقامة البيضة فقال ابن سريج من مذهبي ان المقر اذا اقر اقراراً وناطه بصفة كان اقراره موكولاً الى صفته فقال ابن داود للشافعي في هذه المسألة قولان قال ابن سريج فهذا القول اختياري الساعة

حدثني مبشر مولى ابي قال قدمت سوق الاهواز من غيبة كان مولاي غائبها فكتب من المشرعة الى ابي ايوب داود بن علي بن ابي الجعد الكاتب وكان بينهما أنسة ومودة وعرفه قدومه فالتمس منه ان ينفذ اليه مركوباً ليركبه من المشرعة الى داره فانفذ اليه ابو ايوب المركوب وكتب اليه :

عبدك داود به علة تمنعه ان يتلقاكا

والبغلة الشهباء قد اسرجت فاركب فدينك فدينناكا

عيني الى الباب واذني الى مبشري قد جاء مولاناكا

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن ابي بكر بن ابي حامد صاحب بيت المال وكان ابوه المكنى بابي حامد قد تقلد القضاء وابو علي هذا قد خلف عدة قضاة على غير بلد قال حدثني ابن حجا الاصفهاني قال قيل لابني مسلم محمد بن بحر لما دخل اصبهان واليها وصارفا لابن رستم ان ابن رستم قد اخذ طالماً في دخولك وهو يذكرك انه غير جيد فقسال ان كان قد اخذ طالماً فقد أخذت غاربه

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال كان (١) ابو الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة الاولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخاصة من قبل علي بن عيسى واليه اذ ذاك الديوان فقلد ابو الحسن سليمان الديوان باسمه فأقام يتقلده نحو سنتين فقام يصلي المغرب فسقطت من كمه رقعة بخطه نسخة سعاية بابن الفرات واسبابه وسمى لابن عبد الحميد كاتب السيدة بالوزارة (٢) واخذها بعض اسبابه وتقرب بها الى ابن الفرات فقبض عليه للوقت فانقذه الى واسط في زورق مطبق وصودر وعذب بواسط ثم رجع له ابن الفرات لما وقف من كتاب صاحب الخبر (علي) ان ام سليمان ماتت ببغداد ولم يحضرها ولا رآته قبل موتها فاغتم لذلك وبدأ (٣) فكتب اليه بخطه كتابا قرأه سليمان بعد ذلك فحفظته ونسخته: ميزت اكرمك الله بين حقلك وجرمك فوجدت الحق يوفي على الجرم وتفكرت في سالف خدمك في المنازل التي فيها ربيت وبين اهلها غذيت فتناهي اليك وعطفني عليك واحادني الى افضل ماعدت واجل ماالفت فتق اكرمك الله بذلك واسكن اليه دعول في صلاح مااختل من امرك عليه واعلم انني أراعي فيك حقوق ابيك التي تقوم بتوكيد السبب مقام اللعنة والنسب وتسهل ماعظم من جنائتك وتقلل ماكثر من اساءتك ولن ادع

«١» تجارب الامم ١٥: ١ وكتاب الوزراء لخلال ص : ١٠٢ . «٢» م.ع. : في كتاب الوزراء ف وقعت في يد احد الخواشي فحملها الى ابن الفرات ولما وقف عليها قبض عليه الخ «٣» م.ع. : لعل الاصل بداله

مراعاتها والمحافظة عليها ان شاء الله وقد قلدتك اعمال دستميسان (١) لسنة ٢٩٨
وبقايا ما قبلها وكتبت الى احمد بن حبش بحمل عشرة آلاف درهم اليك
فتقلد هذه الاعمال وأظهر فيها اثرأ حميداً يني عن كفايتك ويؤدي الى ما
احبه من زيادتك ان شاء الله

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن
العباس الترمذي قال حدثنا عمر عن اليزيدي الاكبر مؤدب المأمون
قال دخل ابو العباس الفضل بن الربيع على ابي علي يحيى بن خالد البرمكي
وهو جالس للحوائج وابنه جعفر يوقع بين يديه فعرض عليه رقعة فقال هذا
لا يمكن واخرى فقال هذا مما قد حضره امير المؤمنين واخرى فقال هذا
يفسد به الاولياء (واخرى) فقال هذا يثلم الارتفاع الى ان عرض عليه
عشر رقاع واعتل فيها بعلل مختلفة ولم يوقع له بشيء فجمعها الفضل وقال
ارجعن خائبات ونهض وهو يقول:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتصريف حال والزمان عشور
فتقضي لبانات وتشتفي حسائلك (٢) ويحدث من بعد الامور امور

فسمها يحيى فقال عزمت عليك يا ابا العباس ما رجعت فرجع فوقع
له في الرقاع كلها

«١» م.ع. : قال ياقوت دستميسان كورة بين واسط والبصرة والاهواز وهي الى
الاهواز اقرب. وقيل هي كورة قصبتها الابلّة فتكون البصرة من هذه الكورة.
«٢» م.ع. جمع حسبكة او حساكة وهي العداوة والحقد.

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن عيسى قال حدثنا ابي قال حدثنا ابو داود بن الجراح قال قال لي الفضل بن مروان كنت اعمل في ديوان ضياع الرشيد مجلس الحساب فنظمت في الحساب السنة التي نكب فيها البرامكة ووجدت قد ثبت فيه ثمن هدية دفعتمين من مال ضياع الرشيد واهداهما الى جعفر بن يحيى بضعة عشر الف دينار وفيه بعد شهور من هذه الهدية قد ثبت في الحساب لثمن نفط وحب قطن ابيع وحرق به جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر قيراطاً ذهباً .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله نفطويه قال حدثنا ابو العباس ابن الفرات قال قال لي ابو عبد الله ابن سليمان قال قال لي ابي سمعت ابا الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال سمعت ابا جعفر احمد بن يوسف يقول وهو اذ ذاك وزير المأمون لما قال الشاعر بعد قتل ابي سلمة وزير السفاح:

ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشنك كان وزيراً
كذبت الوزراء من يشنك فلا يدخل في هذا الامر الا منحوس .
حدثني ابو علي بن ابي حامد قال سمعت خلقاً يحلب يحسكون ان ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبئ بها اذ ذاك كان في بادية السماوة ونواحيها الى ان اخرج اليه اولو من حمص من قبل الاخشيدية فقاتله واسره وشرده من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرها من قبائل العرب وحبس في السجن دهرًا طويلاً فاعتل وكاد ان يلف حتى سئل في امره فاستتابه

وكتب عليه وثيقة اشهد عليه فيها ببطلان مادعاه ورجوعه الى الاسلام وانه نائب منه ولا يعاود مثله واطلقه قال وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر انه قرآن نزل عليه وكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة فضاعت وبقي اولها (في) حفظي وهو:

والنجم السيار. والفلك الدور. والليل والنهار. ان الكافر لي اخطار. امض على سبيلك. واقف اتر من كان قبلك من المسلمين (١) فان الله قامع بك زيف من ألحد في دينه وضل عن سبيله.

قال وهي طويلة ولم يبق في حفظي منها غير هذا قال وكان المتنبي اذا استوعب (٢) في مجلس سيف الدولة ونحن اذ ذاك بحلب يذكر له هذا القرآن وامثاله مما كان يحكى عنه فينكره ويحجده. قال وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة لولا ان الآخر جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبي لان المتنبي معناه كاذب ومن رضي لنفسه ان يدعى بالكذب فهو جاهل فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغرض مني ولست اقدر على الامتناع. فاما انا فاني سألته بالاهواز في سنة ٣٥٤ عند اجتيازه بها الى فارس في حديث طويل حدث بيننا - عن معنى المتنبي لانني اردت ان اسمع منه هل تبدأ ام لا فأجاني بجواب مغالط لي وهو ان قال: هذا شيء كان في الحداثة اوجبه الصورة فاستحييت ان انستقصي عليه وامسكت. وقال لي ابو علي بن ابي حامد قال لي ابي ونحن

(١) م.ع. في طبقات ابن الباردي من المرسلين. «٢» م.ع. كذا في الاصل.

بحب وقد سمع قوماً يحكون عن ابي الطيب المتنبي هذه السورة التي قدمنا ذكرها لولا جهله. أين قوله امض على سبيلك الى آخر الكلام - من قول الله عز وجل (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزين) الى آخر القصة وهي (١) تتقارب الفصاحة بينهما او يشبهه الكلامان .

حدثنا ابو الحسن محمد بن شجاع المتكلم البغدادي قال : حدثنا ابو سلمة العسكري احد غله ن ابي علي الجبائي قال كنت بحضرته يوماً وهو يصلي ونحن جلوس نتحدث فقال رجل منا اليوم كنت عند صديق لي فأطعمني معقود العسل ودهن اللوز فقالوا..... (٢) ليس بها من يكون هذا عنده الا العامل ولست ممن يأكل طعام العمال (٣) فمن الرجل يشوش الكلام وسلم ابو علي من صلاته فقال لنا لا يهوسكم (٤) لعله كان اليوم عند الصيد لاني وتناول (٥) لطريقك (٦) فقال الرجل هكذا كان.

وحدثنا ابو الحسين ايضاً قال حدثنا ابو محمد الحسن بن عمرو قال (٧) كنت بالاندلس فقيل لي ان بها تلميذاً لابي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن زيد ويكنى (٨)

«١» م.ع. في طبقات ابن الانباري وهل . «٢» بياض بالاصل . «٣» م.ع. لعله فر الرجل يشوش او وتشوش الكلام اي اختلط . «٤» كذا في الاصل ولعله لابهولتكم . «٥» م.ع. كذا في الاصل ولعله تناول طريقاً وسماه ابن البيطار في مفرداته طريقاً وقال هو اسم يوناني ومعناه ذو ثلاثة الاوراق وشرح له فوائد طبية كثيرة الى ان قال : (وقد يقع اصل هذا النبات في اخلاط الادوية المعجونة) فليراجع . «٦» لعله كطريقك . «٧» معجم الادباء - ٦ : ٧٤ - «٨» م.ع. كذا في الاصل والصواب يكنى .

أبا خلف فأثبته فرأيت شيخاًهما فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ولم يقع أبو عثمان إلى الاندلس فقال كان طالب العلم (١) يشرف عند ملوكنا فوقع إلينا كتاب الترتيع والتدوير له فأشاروا إليه ثم أرففه عندنا كتاب البيان والتبيين فبلغ الرجل الصكاك (٢) بكتابة هذين الكتابين قال فخرجت لا أخرج على شيء حتى قصدت بغداد فسألت عنه فقبل هو بسر من رأي فأصعدت إليها فقبل قد انحدر إلى البصرة فأنحدرت إليه وسألته (٣) عن منزله فأرشدت فدخلت إليه وإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو حلية غيره قال فدهشت فقلت أيكم أبو عثمان فرفع يده إلى وحر كها في وجهي وقال من أين . فقلت من الاندلس قال طينة حمقاء . فما الاسم ؟ قلت سلام قال اسم كلب القراد . ابن من ؟ قلت ابن يزيد (٤) قال بحق ما صرت (٥) أبو من ؟ قلت أبو خلف قال كنية قرد زريدة . ماجئت تطلب ؟ قلت العلم قال ارجع بوقت فانك لا تنفلح قلت له ما انصفتني فقد اشتملت على خصائل (٦) أربع : جفاء البلدية (٧) وبعد الشقة وغرة الحداثة ودهشة الداخل . قال فترى حوالي عشرين صبياً ليس فيهم ذو حلية غيري . ما كان يجب

«١» م.ع. في ياقوت طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بقاء أبي عثمان «٢» م.ع. الصواب اسقاط لفظة بكتابة كما في ياقوت والصكاك كتراب لغة في السكاك وهو الهواء الملاقى عنان السماء . أي بلغ غاية الرفعة الخ «٣» م.ع. كذا في الأصل والظاهر . إليها . وسألته . «٤» كذا في خطنا وعند ياقوت وسبق أن اسم أبيه زيد . «٥» لعله صرف «٦» م.ع. كذا في الأصل ولم نجد خصائل بهذا المعنى فالظاهر خصال كما في ياقوت «٧» م.ع. الظاهر البادية .

ان تعرفني بها قال فأقت عليه عشرين سنة قال وكان سلام هذا يحسن العلم
قال وبلغني عن أبي بكر بن مجاهد انه قال: الناس اربعة مליح يتبغض للملاحته.
وبغض يتمالح فذاك الحمى والداء الذي لا دواء له. وبغض يتبغض فيعذر لانه
طبيعة. ومليح يتمالح فتلك الحياة الطيبة

حدثنا ابو الحسين قال كنت بتمامه (١) من بلاد الهند فسمعتهم يتحدثون
ان ملوك الهند يغالون في الافيلة (٢) الحربية على قدر عظم بطشها فرمما بلغ
القييل الفاره المنقطع النظير مائة الف دينار ودائماً يبلغ القيل الواحد منها عشرة
آلاف دينار قال فاذا بلغ الملك ان فيلا قد يعرف وله بطش عظيم وانه
يصلح للحرب امر بصيده قالوا وليس له حيلة في صيده الا بان يخرج قوم
من الفيالين ومعهم فيلة انثى اهلية مملعة فيها فضل خبث (٣) وتأنث والافيلة
فيها من الفطنة امر عظيم قال فيخرج الفيالون وهي معهم الى حيث قد
بلغتهم موضعاً يتغرب القيل فيه فيقاربون الموضع ويلجأون الى موضع يختبئون
فيه: (في) (٤) شجرة (٥) عظيمة لا يمكن القيل فيها حيلة او شيء يحفرونه
ويغطونه ويدعون الفيلة الانثى ترعى. فحين يشم القيل رائحتها يقصدها
وتقصده فتلاعبه وتطاممه (٦) بخرطومها وتوانسه ولا يبرح من حيث هي

«١» لعلها تانه التي ذكرها حمد الله المستوفي في نزهة القلوب (ص ٢٦٢) والدمشقي
(ص ١٧٣) قيل انها بومباي. «٢» م.ع. جمع القيل أفيال وفيول وفيلة ولا يقال
افيلة. «٣» م.ع. الظاهر خنث. «٤» بالاصل ما. «٥» م.ع. الظاهر ان الاصل
اما شجرة الخ. «٦» م.ع. الاظهر تطاعمه من تطاعت الحمامتان اذا ادخلا في قم.

ويرعيان في موضع فيألفها (١) والفيالون يختبون شهراً لا يفرقون بينهما فإذا كان بعد شهر اقل (٢) أو أكثر على حسب علمهم باستحكام الالفة استدعوا الفيلة في وقت تشاغل الفيل عنهم فيه فتجيشهم فيركبونها (٣) فحين يراهم الفيل ويراهما يتبعهم فيروم أن يودي (٤) الفيالين فتضع هي خرطومها عليه وتلاعبه وتسرع ويسرع خلفها فإذا رآوه قد ولى ردوها إليه فتلاعبه فيرجع معها فلا يزالون يمشون به خلفها يومين أو ثلاثة إلى أن يروا منه ضجراً أو شدة في اذيتهم فيقفون ليلة في موضع ويتهاربون عن ظاهرها إلى موضع يختبئون فيه فلا يقصدهم الفيل لتشاغله بها ويحرزون أنفسهم في الختباء ويدعونه معها دون تلك المدة ثم يسبغونها على ذلك الوجه فيتبعها الفيل فيسيرون بها يومين أو ثلاثة أو حسب ما يمكن إلى أن يبدو ضجره فينزلون على رسمهم فلا يزالون كذلك حتى يقربوه من البلد في مدة على حسب بعد المسافة أو قربها فإذا بلغوا المدينة أخرج ملكها جميع أهل البلد أو أكثرهم وجمعهم وصعد عامتهم على السطوح النساء والصبيان والزينة. فحين يرى الفيل اجتماعهم يستوحش وينفر ويولي ويطلب الصحراء فيرجع فإذا رأى الناس بمر (٥) فيرجع إليه فيرده فلا يزال كذلك معه حتى يدخله بين الناس ويقربه منهم ويقيمونه (٦) الفيالون أياماً كذلك حتى يألف الناس فإذا فهم أمر الملك بجمع

«١» لعله وفيألفها. «٢» م.ع. لعله أو اقل. «٣» م.ع. الصواب فيركبونها.

«٤» م.ع. لعله يؤذي أو يودي. «٥» كذا بالأصل والجملة محرفة.

«٦» م.ع. الظاهر ويقيم

اصحاب الدباب والبطول والصنوج فحين يسمع ينفر نفوراً شديداً اشد من ذلك ويهرب فتمضي الفيلة خلفه فحين يراها وقد بعد عن الصوت قليلاً يقف لها فتداعبه وترده وتداريه فحين يقرب من الصوت يهرب ثم يرجع معها هذا دأبه معها يفعل به ذلك اياماً متتابعات الى ان يألف الصوت فاذا الف المناظر والاصوات ادخل الفيالون الفيلة الى البلد ويتبعهم الفيل فيجيشون بها الى ساحة كبيرة معدة لها فيها اربعة اوتاد ساج اقل ما يكون واعظمه متقاربة منصوبة على اساسات شديدة (١) فتدخل الفيلة من بين تلك الاوتاد وتقف فيدخل وراءها ويقف معها فينزل الفيالون وفي اصول تلك الاوتاد حلق عظام وثيقة في كل دقل (٢) حلقة وفيه قيد عظيم ثقيل فيضعون القيد في قائمة من قوائم الفيل فيحصل مقيداً مضبوطاً بين تلك الاوتاد ولا يمكنه قلعها ولا ان يطرح ثقله على شيء ليساوي احراجه (٣) في التقيد اليها فلا يزال على ذلك اياماً والفيلة الى جانبه فاذا مسه الجوع جاءه الفيالون بالارز والسمن المطبوخ فاطمموه اياه بان يرموا اليه من بعد فللجوع (ما) يأكله ولا يزالون يدارونه ويتقربون منه على تدريج حتى يأكله من ايديهم بعد مدة فاذا اكمل من ايديهم فهي العلامة في استئناسه فحين يأكل من ايديهم صراراً كثيرة ويستمر على هذا يركبونه ويضعون الحديد في رأسه

« ١ » بالاصل اساسات شديدة . « ٢٣ » م . ع . الدقل صاري السفينة والمراد هنا الوند المذكور . « ٣ » كذا بالاصل والجملة محرفة . م . ع . الظاهر اجرامه جمع جرم بمعنى الجسم وجمع كائن صير كل جزء جرماً .

اياماً ويعرونها عليه حتى يالها ويعلمونه ويكلمونه فاذا مضت ايام على هذا حلوا قيوده وهم فوقه فيمشي ويصرفونه (١) بحسب ما يصرفونه عليه ويصير في حكم الاهلي. قال وسمعت ان ملك الصنف (٢) وهو البلد الذي يجيء منه العود الصني له الف فيل اذا اخرجت تمتد نحو فرسخ قال وسمعت ان الملك اذا اراد قتل انسان سلمه الى الفيل فيكلمه الفيل في ان يقتله قال فيقتله بالوان من القتل منها انه ربما لف خرطوميه على رجل الرجل ويضع احدي يديه على ساق الرجل الاخرى ثم يعتمد عليه فاذا هو قد خرق الرجل بنصفين من اوله الى آخره وربما ترك الرجل واستعرضه بالعرض ثم وضع يده على بطنه فيسحقه قلت انا رأيت بالبصرة في سنة ٣٣٩ فيلاً لطيفاً حمله صاحب عمان الى معز الدولة فاجتاز بالبصرة وحمل الى دارنا فأدخل الى صحننا فرأيناه وسمعت عدداً كثيراً من اهل البصرة يخبرون اذ ذاك ان هذا الفيل اجتاز في سوق الجامع ف قرب منه صبي دون البالغ فصاح به الفيلون ليتنحى عن طريق الفيل فدهش الصبي وادركه الفيل فلف خرطوميه عليه وشاله فرفعه الى الفيلين فأخذوه منه فصاح الصبي فطار عقله فما انزلوه الا بدرهم وانهم اجتازوا بعد ذلك بايام فادركت الفيل صخرة فقبض على صبي فشاله بخراطومه ورقاه في الهواء ثم استقبله بنابه فأدخله في جسمه فقتله.

حدثني ابو الحسين (٣) قال حدثنا الفضل بن باهماد (٤) افي السير بها وكان

« ١ » م. ع. كذا في الاصل . « ٢ » م. ع. الصنف موضع في بلاد الهند او

الصين . « ٣ » الفرج بعد الشدة ٢ : ١٢٩ . « ٤ » في الفرج هامان .

مشهوراً بسلوك أقاصي بلدان البحر قال قال لي رجل من بعض مياسير (١) بلاد الهند واليسير هو المولود على ملة الاسلام في بلاد الهند (٢) انه كان في بلد من بلاد الهند وكان فيه الملك حسن السيرة وكان لا يأخذ مواجهة ولا يعطي مواجهة اذا يقبل بيده الى وراء ظهره فيأخذ ويعطي بها اعظاما للملك وسنة لهم هناك والله توفي فوثب رجل على ملكه فاحتوى عليه وهرب ابن كان له يصلح الملك خوفاً على نفسه من التغلب. ورسوم ملوك الهند ان الرجل اذا قام من مجلسه لاي حاجة عرضت له كان عليه صدره قد جمع فيها كل نفيس فاخر من البواقيت والجواهر مضرباً بالابرسم في الصدرة ويكون قيمة ذلك ما ان اراد ان يقيم به ملكاً قامه . قال ويقولون ليس بملك من قام من مجلسه وليس معه ما ان حدثت عليه حادثه فهرب به امكنه اقامة ملك عظيم منه فلما حدث على الملك تلك الحادثة اخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكى عن نفسه انه مشى ثلاثة ايام قال ولم اطعم طاماً ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به مأكولاً وانتفت ان استظم ولم اقدر على اظهار مامعي قال فجلست على قارعة الطريق واذا برجل هندي مقبل على كتفه كارة فحطها وجلس حداثي فقلت اين تريد ؟ فقال الجدام الفلاني ومعنى الجدام

١٦، في الفرج بياسرة... واليسر. والارجح ان الكلمة محرفة اصلها مسلمان وكتبها بعض سياحي الافرنج بـسرمان . ٢٠، م . ع . الظاهر انه اليباسرة قال في التاج اليباسرة جبل بالسند « او بالهند » تستأجرهم النواخذة وهم اهل السفن لمحاربة العدو والواحد يسري

الرساق فقلت له هذا الجدام الفلاني اريد فنصطحب قال نعم فطعمت في ان
يعرض علي شيئاً من مأكوله قال فحمل السكارة واكل وانا اراه ولم يعرض
علي وانفت ان ابتدئه بالسوءال وقام يمشي وقد شدها فمشيت معه وتبعته طمعاً
في ان تحمله الانسانية والموانسة والعرض (١) فعمل بالليل معي كما عمل بالنهار
قال واصبغنا من غد ومشينا فعاملني بمثل ذلك على هذا سبعة ايام لم اذق
شيئاً فاصبحت في اليوم الثامن ضعيفاً لاقدرة لي على الحركة فرأيت جداما
في حاشية الطريق وقوما يبذون وقايا عليهم يأمرهم قال ففارقت الرجل
وعدت الى الوكيل فقلت استعملني باجرة تمطينها عشياً مثل هؤلاء فقال
نعم ناولهم الطين قال فكنت آخذ الطين فلما دة الملك اقلب يدي الى ظهري
واعطيتهم الطين فكما (٢) اذكر ان ذلك خطأ علي (٣) وسفك دمي ابادر بتلافي
ذلك فارد يدي بسرعة قبل ان يفظنوا بي قال فلمحتني امرأة قائمة فاخبرت
سيدها بخبري وقالت لا بد ان يكون هذا من اولاد الملوك قال فتقدم عليها (٤)
بحبسي عن المضي مع الصناعات فاحتبستني وانصرف الصناعات فجاءني بالدهن
والعروق لاغتسل بهما وهذه مقدمة اكرامهم وسنة لاعظامهم فتغسلت بذلك
فجاءني بالارز والسماك فطعمت فعرضت المرأة نفسها علي التزويج فعدت
عليها ودخلت بها من ليلتي واقت معها اربع سنين أربا حالها وكانت لها نعمة
فانا يوماً جالس على باب دارها فاذا انا برجل من بلدي فاستدعيته فجاءني

١ « لعله على العرض . ٢ « لعله كذا . ٣ « م . ع . لعل الاصل خطأ مني وسبب

لسفك دمي او خطر علي . ٤ « لعله تقدم اليها اي امرها .

فقلت له من اين انت؟ قال انا من بلد كذا وكذا وذكّر بلدي فقلت ماتصنعها
هنا فقال كان فينا ملك حسن السيرة فمات ووثب على ملكه رجل ليس من اهل بيت
الملك وكان للملك الاول ابن يصلح للملك فخاف على نفسه فهرب وان المتغلب اساء
عشرة رعيته فوثبوا عليه فقتلوه واثبتنا في البلدان نطالب ابن ذلك المتوفي ليجلسه
مكان ابيه فما نعرف له خبراً قال فقلت له : تعرفني؟ قال لا فقلت انا طلبتكم قال
واعطيته العلامات فمعلم صحة ماقلت له فكفر لي قلت اكنتم امرنا الى ان ندخل
الى الناحية فقال افعل قال فدخلت الى المرأة واخبرتها بالخبر وحدثتها بالصورة
وبامري كله واعطيتهما الصدرة وقلت فيها كذا ومن حالها كذا وانا ماض
مع الرجل فان كان مذكّره صحيحاً فالعلامه ان يجيئك رسولي فيذكرك
الصدرة فانهيض معه وان كانت مكسدة كانت الصدرة لك قال ومضى مع
الرجل وكان الامر صحيحاً فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير واجلسوه في الملك
وانفذ الى الزوجة من حملها وجاءت فحين اجتمع شمله واستقام ملكه امر
فبنيت له دار عظيمة وامر ان لا يجتاز في عمله مجتاز الا حمل اليها ويضاف
ثلاثة ايام ويزود لثلاثة ايام اخر وكان يفعل ذلك وهو يراعي الرجل الذي
استصحبه في سفره ويقدر ان يقع في يده واراد ان يبني الدار شكراً لله
تعالى على الخلاص مما كان فيه وان يكني الناس المؤونة التي كانت لحقته (فلما
كان) بعد حول استعرض الناس قال وقد كان يستعرضهم كل شهر فلا
يرى الرجل فيصرفهم فلما كان ذلك اليوم رأى الرجل بينهم فحين وقعت

عليه عينه اعطاه ورقة تانبول (١) وهذه علامة غاية الاكرام ونهاية رتبة الاعظام اذا فعله الملك بائسان من رعيته . قال فحين فعل الملك بالرجل ذلك كفر له وقبل الارض فامر الملك بالنهوض ونظر اليه فاذا هو ليس يعرف الملك فامر بتغيير حاله واحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال له اتعرفني قال وكيف لا اعرف الملك وهو من حاله وعظم شأنه وعلو سلطانه (بحيث هو) قال لم ارد هذا أتعرفني من قبل هذه الحال قل لا قال فاذكره الملك الحديث والقصة في منعه الطعام سبعة ايام في السفر قال فبهت الرجل وقال ردوه الى الدار وونسوه (٢) وزاد في اكرامه وحضر الطعام فاطعم الرجل فلما اراد النوم قال الملك لامرأته امضي فغمزيه (٣) حتى ينام قال فجاءت المرأة ولم تزل تغمزه الى ان نام فجاءت الى الملك وقالت قد نام فقال ليس هذا نوماً حركوه فانه ميت (٤) قال فقالت له المرأة ايش هذا قال فساق اليها حديثه معه وقال وقع في يدي فتناهيت في اكرامه والهند لهم كبود عظام وتوهمهم هو المعروف المتعالم عنهم فدخل عليه حسرة عظيمة اذ لم يحسن الي ذلك الوقت فقتلته الحسرة وقد كنت أتوقع موته قبل هذا مما تتوهمه واستشعره من العلة في نفسه والحسرة والاسف فقتلته

« للبحث صلة »

« ١ » م. ع. التانبول يقال له التامول وهو نبت طيب الريح ينبت نبات اللوبياء طعمه طعم القرنفل يمسخ فيطيب النكهة . « ٢ » م. ع. الظاهر وآنسوه « ٣ » م. ع. الصواب فاعمزيه « ٤ » في الفرج : فحركوه واذا هو ميت

رسالة الكرم

- ٣ -

ويقال أفصد الشجر وانفصد : انشقت عيون ورقه وبدأت أطرافه .
وفي اللسان السغير ماسقط من ورق الشجر وتحات وما سقط من ورق العشب .
وقال الخطيب : ويقال قد حبيب عقد قضبانه في مطلع العناقيد فإذا استدار قيل
فلك فإذا طلع قيل نجم ثم يقال قد أورد وأغنم .

« ورق الكرم وتوريقه »

الورق ^(١) من الشجر كل ما تبسط تبسطاً وكانت له عيز ^(٢) في وسطه لتأشعر عنه
حاشيته . واحدته ورقة والجمع أوراق .

أورد الشجر أيراً وأورد ورق كوعد بعد وورد توريقاً خرج ورقه وقال أبو حنيفة
ظهر ورقه تماماً وأورد بالألف أكثر .

وفي اللسان . ورقت الشجرة توريقاً وأوردت أيراً أخرجت ورقها وأورد اي خرج
ورقه . والوراق بالكسر ككتاب . الوقت الذي يورد فيه الشجر . والوراق بالفتح
ككتاب خضرة الأرض من الحشيش والبرس من الورق اي ورق الأرض . وقال أبو حنيفة
هو ان تطرد الخضرة لعينك قال أوس بن حجر وقبل ابن زهير بصف جيشاً بالكثرة :

كأن جبادهم برعن زُمَ جراد قد اطاع له الوراق

وشجرة وارقة وورقة وورقة ^(٣) كثيرة الورق او خضراء حسنة الورق . ويقال
ورقت الشجرة ورقاً . ألقت ورقها . وورق الشجرة يورقها ورقاً أخذ ورقها فهي
مورقة . وفروع وربق كثير الورق .

ويقال في القوس ورقة اي عيب وهو مخرج النصف اذا كان خفياً فإذا زادت فهي
الأبنة فإذا زادت فهي الشخية هكذا في الناج وفي اللسان فهي السخية هكذا بغير نقط ولم نجد
للشخية معنى ملاماً ولعلها محرفة عن الشخية وهي الشعبة من كل شيء . وفي المخصص فإن

(١) في اللسان الريق ورق الشجر . (٢) غير الورقة الخط الناقى في وسطها كأنه
جد يرد وكل ناقى في وسط مستوي فهو «عير» . (٣) على النسب لانه لا فعل له .

كانت اخفى من الأئنة فهي أرفة . وفي التاج الأرفة العقدة .
 الخلاب . ورق الكرم المريض ونحوه وهو بكسر الخاء على ما نقضيه عبارة القاموس
 والتاج وقد ضبط بالشكل بضم الخاء في عبارة اللسان والمخصص . ومبادي اللغة للاستكافي
 وضبط بالشكل في اللسان في مادة (غلفق) بضم الخاء وتشديد اللام .
 الغلفق كجعفر ورق الكرم مادام على شجره .
 الجفنة ورق الكرم عن ابن سيده .
 الغار ورق الكرم وبه فسر بعضهم قول الاخطل :
 آلت الى النصف من كفاء أنافها^(١) عالج وثمها بالجفن والغار
 ويقال أغلى الكرم خفف من ورقه ليجود ويرثم . وكل ما ارتفع فقد غلا وتعالى .
 والغلة ان يفتح عنب الكرم فيقتطعوا من ورقه فيلنقطوه وفي المخصص الغمل ان
 يخفف حمل الكرم .

« قضبان الكرم »

القضيب . الفصن . وكل نبت من الاغصان يقضب والجمع قُضْب وقُضْب وقُضبان
 وقضبان الأخيرة اسم للجمع .
 السرع بالفتح وبكسر قضيب الكرم الغض لسننه والجمع سرع وهي سرع مروعاً
 وهن سوارع والواحدة سارعة . وفي المخصص وهي السوارع ما دامت عيونها تقودها
 وفي التهذيب والسرع اسم القضيب من ذلك خاصة .
 السرع روع . القضيب مادام رطباً غصاً طرياً لسننه والاني سرع روع . قال في
 اللسان : وكل قضيب رطب سرع وسرع .
 والأساريع شكر تخرج في أصل الحيلة . والأساريع^(٢) التي يتعلق بها العنب

(١) هكذا رواه صاحبها اللسان والتاج ولم نجد معنى لاثاف ولا ذكراً فيها ولعلمنا أنافها
 اي ملأها من قولم أناف السقاء اي ملأته . والكفاء الخمر سميت بذلك لكونها وهي التي
 تشد حمرتها حتى تضرب الى السواد .
 (٢) هكذا في اللسان وفي التاج وهي التي يتعلق الخ . وفي الأصمعي والذي يتعلق به العنب

وربما اكلت وهي رطبة حامضة . الواحد أنشروع .

الأسرع . قضيب الكرم الرطب جمعه سرُوع قال الازهرى والسرغ بالغين المعجمة لغة في السرعة بمعنى القضيب الرطب . وسرع الرجل كفرح اذا أكل القطوف من العنب باصولها . ورواه الليث بالعين المهملة .

الذَفَض قضبان الكرم بعدما ينفر ورقه وقبل ان تلتصق حوافه ^(١) وهو أغص ما يكون وارخصه وقد انفض الكرم عند ذلك . واحده تَفَضَة . وتَفَضُ الشجرة حين تلتفض ثمرتها .

والذَفَض ما تساقط من غير تَفَض في اصول الشجر من انواع الثمر . وفيه اللسان والذَفَض اغص ما يكون من قضبان الكرم .

وفيه ايضا والذَفَض بالتحرريك ما تساقط من الورق والثمر وهو فعل بمعنى مفعول . والذَفَاض والذَفَاض بالضم ^(٢) ما سقط من الشيء اذا تفضت اي حركته . والذَفَض وعاء ينفض فيه التمر .

والذَفَاض بساط يفتح عليه ورق الثمر وغيره وذلك ان يسط له ثوب ثم يجبط بالعصا فذلك الثوب نفاض والجمع نفض بضم نين وما انفض عليه من الورق يقال له نفاض وانفوضة والجمع انافض . الزمخشري الانافض ما تساقط من الثمر في اصول الشجر .

العُسْجُج والعُسْجُج ما لان واخضر من قضبان الشجر والكرم اول ما يذبت ويقال العساجع عروق الشجر وهي نجومها التي تنجم من سننها . ابن سيده : العُسْجُج والعُسْجُج والعُسْجُج الغصن اسننه وقيل هو كل قضيب حديث وقيل العسلاج الغصن اذا يبس وذهبت طراوته . وعسجت الشجرة اخرجت العسلاج .

النامية من الكرم القضيب الذي عليه العناقيد . وقيل هو عين الكرم الذي ينشق

بالشجر يسمى الاساريع . واساريع العنب شكر تخرج في اصل الحبله وربما اكلت رطبة حامضة . وفي المحصن الاساريع مما يلي العنب في الكرم وربما اكلت الخ .

(١) في مبادي اللغة خوالفه والصواب ما ذكرنا .

(٢) في التاج ان النفاض يجوز فيه الكسر .

عن ورقه وحبه وقد أنقى الكرم . قال المفضل يقال للكرمة انها كثيرة النواحي وهي الاغصان واحدها نامية واذا كانت الكرم كثيرة النواحي فهي عاطية ^(١) . الأصمعي فاذا صارت لها قضبان قيل انقى . ويقال ما احسن نواحيه . وقال الحجة والنامية شعب الشكير . وفي المخصص اذا نبت الشكير ثم شعب فتلك الشعب النواحي . وانى الكرم صار له قضبان .

ويقال استظل الكرم اذا التفت نواحيه ونظلل مثله .

الحالقي من الكرم ونحوه ما التوى منه وتعلق بالقضبان . وفي المخصص ويقال خيطوطه الكرم التي تتعلق بها من الشجر الحالقي وكذلك الحالقي وفيه اللسان والحالقي والحالقي ما يتعلق بالقضبان من تعاريش الكرم . قال الازهرى كل ذلك مأخوذ من استدارته كالحلقة ^(٢)

الاطار ككتاب : قضبان الكرم تلوى للتعريش .

العقش ^(٣) : أطراف قضبان الكرم .

العنم : محرقة خيوط تتعلق بها الكرم في تعاريشه واحدها عنمة محرقة .

العردم والعردام : العنق الذي فيه الشاربخ واصله في الخلة كذا في اللسان .

وفي التاج العود الذي فيه الشاربخ نقله الجوهري عن ابي عبيد .

الأظفور بالضم : الدقيق الذي يلتوي على قضيب الكرم . وقال ابو حيان جمع

خيوط تلتوي على قضبان الكرم .

العرجون : اصل عود العنقود وهو من العنب عرجون صغير وفيه المخصص ويقال

لاصل عود العنقود العرجون كما يقال في الكباش .

(١) هكذا رواية اللسان والتاج وهي خطأ والصواب غاطية من قولم غطت الشجرة

اذا طالت أغصانها وانسبطت على الارض فالبت ما حولها .

(٢) والحقائق شجر يذبت نبات الكرم ويرتقي في الشجر وله ورق شبيه بورق العنب

حامض يطبخ به اللحم وله عناقيد صفار كعناقيد العنب البرية الذي يخضر ثم يسود فيكون

مرأاً وبؤخذ ورقه ويطبخ ويحمل ماؤه في العصفور فيكون أجود له من حب الرمان واحده

حلقه . (٣) وفي التاج والعنق والعنقش أطراف الخ .

المرجود كزنبور اصل العذق من التمر والعنب حتى يقطفا . الاصمعي المرجود اصل العذق وهو الاهان . وهو من العنب عرجود صغير فلا يزال عرجوداً حتى يقطع عنه وفي اللسان والعرجود العرجون وهو من العنب عرجون صغير قال ابن الاعرابي هو العُرْجُدُ والعُرْجُدُ والعرجود لعرجون الفحل .
 الاهان عرجون الثمرة والجمع آهنة وأهْن وعن الليث هو العرجون يعني مافوق الشاربخ ويجمع أهناً والعدد ثلاثة آهنة . وفي اللسان العُرْهون والعرجون والعُرْجُد كله الاهان .

الحِجَن : القضبان القصار التي فيها العنب واحدها حَجَنَة .
 العِطْفَة بالكسر : أطراف الكرم المتعلقة منه . والعطفة بالكسر والنخ شجرة تتعلق الحبلية بها ويقال لها العَصَبَة والعَصَبَة محرّكة وبالضم والجمع عَصَب وعَصَب وهي اللبلاب .

وقال الاصمعي وتلك التي تعلق بها الحبلية بالشجر تسمى العِطْفَة وقال ونحن نسميها عِطْفَة ونقل في اللسان عن النضر انها عِطَف واحدها عِطْفَة .
 وفي المحصص ويقال لخيوط الكرم التي تتعلق بها من الشجر الحالقي صاحب العين وكذلك الحالقي . ابو حنيفة والعِطْفَة مثله وهو كذلك من كل ما شبه الكرم .
 الرُعَل : الأطراف الغضة من الكرم الواحدة رُعْلَة وقد رُعَل الكرم .

الغصن : ما نشعب عن ساق الشجرة دفاقها وغلاظها والجمع أغصان وغصون وغصنة والغصنة الشعبة الصغيرة منه وجمعها غُصْن . وغصن الغصن يَغْصِنه قطعه وأخذه .
 وفي اللسان القَطِيع الغصن لقطعه من الشجرة والجمع أَقْطِيعَة وقُطُم وقُطُمَات وأقاطيع كحديث وأحاديث والقِطْع من الشجر كالقِطْع والجمع أَقْطَاع . وأقطعه قضباناً من الكرم اي اذنت له في قطعها .

الشعبة : الغصن ومن الشجر ما تفرق من أغصانها والجمع شُعَب . وشعب الغصن أطرافه . وقيل ما بين كل غصنين شعبة والشعبة الطائفة من الشيء ويقال شعب من العنقود شعبة اي قطعها منه . وفي بدء شعبة من مال اي قطعة وطائفة منه .
 ويقال أغلى الكرم . اذا النف ورقه وكثرت نواميها وطالت وفي المحصص واذا النف

ورق الكرم وكثرت نوااميه وطالت قالوا فدأغلي وغلا واغلولي وأعطى : أعطى وكذلك
غيره من الشجر والنبات . وفي اللسان غَطَّت الشجرة وأعطت طالت أغصانها وانبسطت
على الارض فألبست ما حولها وقوله أنشده ابن قتيبة .

ومن تعاجيب^(١) خلق الله غاطية يعصر منها ملاحي وغريب
انما عني به الدالية لسموها وبسوقها وانتشارها والباسها . المفضل يقال للكرمة
الكثيرة النواامي غاطية .

عَاقَانُ الكرم والنخيل ما يخرج من اصولها واذا لم تقطع العقان فسدت الاصول
وقد أعقت النخلة والكرمة أخرجت عقانها .

القِرْد كزبرج الغشاء اليابس في اصل الكرم . وفي فعر العين .

« للبحث صلة »
عضو المجمع العلمي
سليم الجندي



(١) التعاجيب العجائب لا واحد لها من لفظها .

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع

« من كتاب نهاية الأرب »

- ٣ -

(٢٥) = وجاء في ص ٢٢٥ س ١٤ من كلام عمر ايضاً الى علي رضي الله عنهما
 (فتود لو ان سقيت بالكأس التي أبيتمها ورددت الى حالتك التي استغويتها) الخ . يقول
 الاستاذ : (انه لا معنى للاستغواء هنا) ونقول : ان المعنى ظاهر لاختفاء فيه فان عمر
 يريد بهذا الكلام ان يقول لعلي رضي الله عنهما : اذا صار الامر اليك وتبينت الطمع من
 أتباعك والغش في النصيحة من بطانتك ندمت على مخالفتك لابي بكر وتمنيت ان لو رجعت
 الى الحالة التي استغويتها اي التي كنت تعدها قبل ذلك ضلالاً وغياً وهي الدخول فيما دخل
 فيه المسلمون من بيعة ابي بكر ، هذا ما فهمناه من كلام عمر رضي الله تعالى عنه ومن قوله :
 « استغويتها » وإذن فلا موجب لتغييره برواية أخرى من الروايات .

(٢٦) = وجاء في ص ٢٤٠ س ١١ من كلام لأحنف بن قيس لعمر رضي الله تعالى
 عنهما حين وفد عليه في وفد العراق : (فان كل امرئ انما يجمع في وعائه الا الاقل ممن
 عسى ان تقحمه الأعين فلا يوفد اليك) الخ . يريد بهذه العبارة ان كل امرئ انما يدخر
 لنفسه ويجمع المال في خزائنه لخاصته الا الاقل ، اي الا الاصغر في المكانة والمنزلة من
 الذين تقحمهم الأعين اي لخطاهم لصغر شأنهم فلا يوفدون اليك لترفع ما يثقلهم من المظالم
 وتجبر بالاحسان اليهم ملحقهم من فقر وخصاصة . هـا . ما فهمناه من كلام الأحنف ويرى
 الأستاذ ان « الا » في قوله : « الا الاقل » زائدة يجب إسقاطها وجعل العبارة انما
 يجمع وعائه الاقل وقد ظهر مما بيناه ان لهذه الكلمة فائدة في الجملة بل لا يستقيم الكلام
 بدونها .

(٢٧) = وجاء في ص ٢٤١ س ٣ من كلام أم الخير لمعاوية حين سأها عن خطبتها
 في جيش علي بن ابي طالب يوم صفين قالت لم اكن والله زورته قبل ولا رويته بعد وانما

كانت كلمات نفثين لساني حين الصدمة (الخ . يقال : زوّر الخطبة اذا هيأها سيفه نفسه قبل إلقائها وتربد بقولها : (ولا رويته بعد) انهما لم تحفظ هذا الكلام بعد الانتهاء منه وهذا هو الجواب الذي يطابق سؤال معاوية حين قال لها : (كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر) ويقول الاستاذ ان الأصوب ان تضبط الواو بالتشديد في قولها « رويته » وذلك لان الاستاذ يرى ان قولها (ولا رويته) ليس من الرواية وهي الحفظ وانما هو من قولهم رويته معموماً يقال : (روي في الامر وروى فيه بتشديد الواو اذا نظر فيه وتأمل ومنه الرواية) الخ . ونقول : انه يمنع من حمل الكلام على هذا المعنى قولها : (بعد) فان البعدية تقتضي حمل قولها : « ولا رويته » على معنى الرواية ، اي الحفظ واما التروية في الكلام انما يكون قبله لا بعده على ان قولها فيما سبق : « لم أكن زورته » كاف في هذا المعنى فلا موجب إذن لشكر ير المعنى بالعبارة الثانية وإذن فلا مندوحة من حمل قولها : « رويته » على معنى الرواية .

(٢٨) = وجاء في ص ٢٥٤ س ٣ : (فما الذي يبرر غليلك ويشني إجاج صدرك) اه وقد كتبنا على كلمة (إجاج) في حاشية الكتاب انه جمع إجة بمعنى شدة الحر وتوجهه اه . ويقول الاستاذ اعتراضاً على هذا التفسير (ان استعمالها مجازاً في معنى حرارة الصدر غيظاً قبل الورود في كلام البلغاء ، واستدل على ذلك بان الزمخشري في أساس البلاغة لم يشير اليه) اه . ونقول : ان الزمخشري لم يحط في كتابه أساس البلاغة بجميع الألفاظ المجازية المستعملة في كلام العرب بل نقول : ان أمهات اللغة لم تحط بذلك . وبدل على ذلك ايضاً قول الزمخشري عند ذكر المجازات في كل مادة (ومن المجاز) بمن التي تدل على التبيين وان ما يذكره انما هو بعض المجازات لا كلها على ان علماء الوضع قد ذكروا في كتبهم ان الفاظ المجاز موضوعة بالوضع النوعي وهو الوضع العام وليست موضوعة بالوضع الشخصي وهو الوضع الخاص اي وضع كل كلمة على حدها للمعنى المجازي الاعلى رأي القليل منهم .

(٢٩) = وجاء في ص ٢٦٠ س ٥ : (من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على انسان) الخ . يقول الاستاذ : صوابه بانسان ، لان (أوصى) يتعدى بالياء لا بعلى) اه . ونقول : ان هذا الخاطر قد عرض لنا عند تصحيحنا لهذه العبارة غير اننا

وجدنا انه من المستبعد جداً ان يغلط الناسخ في الباء فيحرفها الى قوله : (على) للفرق البعيد بين الكلمتين وإذن نقول (على انسان) من كلام المؤلف لامن غلط الناسخ وهذا التعبير شائع في كلام المتأخرين فيقولون (أوصيت عليه) ولهذا التعبير وجه حسن لانكره اللغة فانهم يريدون أوصيت عليه بكذا فتعدي أوصى محذوف اللعين به والفظ (على) في هذه العبارة معناه التعليل ، اي أوصيت لاجله وليس للتعدي كما فهم الاستاذ ومنه قول احد الشعراء في خر يدة القصر لعاد الدين الاصفهاني :

رجوت ابا صالح للنداء فلم يغن عني رجائي بشي

ولم استفد بعد طول الرحا سوى وعده ان سيوصي علي

والحق انه كان ينبغي ان نلح الى ذلك في حاشية الكتاب كما نهيئنا الى غيره .

(٣٠) = وجاء في صفحة ٢٦٦ س ١٠ من كلام ابن العميد : (سيف ظل ظليل وتسيم عليل وريح بلبل وهواء ندي) الخ . قال الاستاذ لعل صوابه (وهواء عذي) بالعين المهملة والذال المحجمة والياء المخففة وتشدد اي طيب . وقال : واكثر استعماله سيف المكان يقال (ارض عذبة كما نقول نحن طيبة المناخ) اه . ونقول ان وصف الهواء بانه ندي بتشديد الياء أقرب الى أسلوب ابن العميد وأشباهه من الكتاب واكثر ملائمة لسياق الرسالة لسهولة لفظها وقرب معناها والتجاءها مع بقية ألفاظ هذه الرسالة وانها مألوقة في الاستعمال ووصف الهواء بهسا بخلاف كلمة (عذي) فانه لفظ غريب لم يعهد استعماله في رسائل الكتاب امثال ابن العميد كما انه لم يعرف ان احداً وصف الهواء به .

(٣١) = وجاء في صفحة ٢٦٧ س ١٣ من كلام صاحب ابن عباد يمدح شخصاً : (أم من يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى خلقه) اه . وقد استنصب الاستاذ حذف الباء من قوله (من) وقال (ان فعل كآثر بتعدي بنفسه) فصواب العبارة اذ (عن مكاثرة من) الخ ما قال . ونقول ان معنى المكاثرة هنا المغالبة والمفاخرة بالكثرة ولا ينبغي حملها على غير هذا المعنى في مثل هذا التركيب الا على ضرب من التكلف البعيد ولا صراء بان المكاثرة بهذا المعنى تنعدي الى المفعول بنفسها لا بالباء غير ان الباء في هذه العبارة ليست للتعدي كما فهم الاستاذ ولكنها للظرفية على حد معناها في قولهم (فاخر فلان

فلاناً بعلمه) وطاوله بمجده ، اي في علمه وفي مجده مثلاً ، وإذن فمفعول المكاثرة محذوف للعلم به ، والاصل عن مكاثرة المنافسين بمن ينسب الخ فلو حذف الباء وجعلت (من) في موضع المفعول لكان الكلام ذماً لا مدحاً كأن الكاتب يريد ان يفاخر المكتوب اليه و يغالبه كما هو ظاهر مع انه يريد ان يقول : من ذا الذي لا يود ان يكاثر خصومه و يفاخرهم بصحبة شخص ينسب نضارة الربيع ومحاسنه الى محاسن خلاله وطيب شيمه ، كأن الكاتب يقول ان هذا الممدوح وان كان واحداً في نفسه الا انه كثير في نعمه وغنائمه حتى ان من صاحبه اذا كاثرا لخصوم بصحبته غلبهم في الكثرة وإذن فلا مندوحة من اثبات الباء في قوله (بمن) الخ .

(٣٢) = وجاء في صفحة ٢٨٠ س ٦ قوله في رسالة ابن زيدون (وأظهر وأضمر ، وابتدأ وأخبر ، واستفهم وأهل وقيد ، وأرسل وأسند) اه . يقول الاستاذ : الصواب اسقاط لفظ (واستفهم) واحتج لذلك بطول السجعة به . وان ذلك مخالف لاصول السجع اه . ونقول ان مجرد طول السجعة عما قبلها او ما بعدها لا يستوغ لنا مجال اسقاط كلمة من الاصل فقد قدمنا ان اسقاط كلمة من الاصل امر خطير لا ينبغي للمصحح الامين ان يرتكبه الا عند الضرورة الشديدة كفساد المعنى بها ، او تأكد زيادتها في الجملة ، او غير ذلك من الضرورات ولست نرى ان طول السجعة عن سابقتها او لاحقتها من الضرورات الموجبة لتقصيرها يحذف بعض كلماتها ما دام المعنى صحيحاً والغرض مستقيماً .

(٣٣) = وجاء في صفحة ٢٨١ س ٩ (فكدمت غير مكدم ونفخت في غير فخم) الخ . وقوله (في غير فخم) اي في غير نار فأطلق الفهم هنا وأراد النار اطلاقاً مجازياً لان النار تحل في الفهم وتشتمل به والقربة هنا تعين ذلك وهذا كما يقال (عذبه بالنور) اي بالنار التي فيه ، وإذن فلا مقتضى للتعبير بكلمة (فخم) بـ (ضرم) كما رآه الاستاذ ونقله عن نسخته (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ما دامت الرواية ظاهرة الصحة كما بينا ، ولا سيما اذا عرفنا ان البعد عظيم بين الكتبتين في رسم الحروف بحيث لا يمكننا ان نحكم بان احدهما محرفة عن الاخرى ، وليكن ما في سرح العيون رواية ثانية في العبارة اذ لا مانع من تعدد الروايات . واما قول الاستاذ (ان النفع في الفهم لا يوري ناراً بخلاف النفع في الضرم فهذا انما يصح اذا اريد بالفهم معناه الحقيقي قبل اشتعال النار

فيه اما وقد ظهر ان المراد به النار المشتعلة فيه كما تعينه القرينة فلا مجال لاحتجاج الاستاذ بما احتج به .

(٣٤) = وجاء في صفحة ٢٨٧ س ٦ من كلام ابن زيدون ايضاً (وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجايفت قميصك عن بعض قوتك) اهـ . قال الأستاذ (قوله : «لقميصك» يجب اسقاطها لعدم الحاجة اليها ولظهور حشوها وهي غير موجودة في مخرج العيون المطبوع في المطبعة الملكية) اهـ . ونقول : قوله (لقميصك) يجب اثباتها لاسقاطها لظهور فائدتها في الجملة ولعدم استقامة العبارة بدونها فان مراد ابن زيدون بهذا الكلام ان يتهم بهذا الرجل الذي يخاطبه فهو يقول له : انك توفر من قوتك الذي به قوام حياتك ، وتجايف عن بعضه لتحسن ملبسك بما توفره ، وتجهل ثيابك بما تقتطعه من قوتك لتخدع الناس بجبال منظر ك ، ولا يدرون ان تحت ذلك الحسن الظاهري الجوع والطوى وهذا نهاية في التحكم والسخرية .

(٣٥) = وجاء في ص ٢٨٨ س ١ من كلام ابن زيدون ايضاً : (وقلدك عمرو بالصمصامة) الخ . بقول الاستاذ صوابه (وقلدك عمرو الصمصامة) باسقاط الباء واحتج لذلك (بان فعل قلد يتعدى بنفسه لا بالباء) اهـ . واقول رأيت في عبارة بعض اللغويين ما يفيد ان فعل قلد يتعدى بالباء كما يتعدى بنفسه فقد جاء في اللسان ج ٤ ص ٣٦٨ في تفسير حديث « قلدوا الخليل ولا تقلدوها الأوتار » ما نصه : (انما نهام عنها لانهم كانوا يعتقدون ان تقليد الخليل بالأوتار يدفع عنها العين والاذى) اهـ . ففي هذه العبارة ما يفيد ان تعدية (قلد) بالباء جائزة فانه قال (بالأوتار) باثبات الباء .

(٣٦) = وجاء في ص ٣١٨ س ٦ من كلام ابي حفص عمر بن برد الاصغر الاندلسي : يعاتب بعض اخوانه (فاما ان تبهرني بحجة فأنصل عندك ، واما ان لني بحقيقة فأسندم خلتك ، واما ان تأزم على بأسك فأقطع حبلني منك) اهـ . فأنت ترى من هذه العبارة ان الكاتب قد خير صاحبه بين ثلاثة امور : اولها يقول له : اما ان تأتيني ببرهان على خطئي فاعتذر اليك ، وهذا معنى قوله (فاما ان تبهرني بحجة فأنصل عندك) ، ثانيها يقول له واما ان تكون وفيًا بحق فأسندم إخوانك ، وهذا معنى قوله (واما ان لني بحقيقة فأسندم خلتك) ، ثالثها يقول له (واما ان تأزم على بأسك) اي واما ان نواظب وتدأب على

اليأس الذي عندك وقطع الرجاء في مراجعة ما سلف من عهد الأخوة فأيا أس - أنا منك وأقطع حبل المواصله بيني وبينك ، وإذن فالنفسيم ظاهر مستقيم لا خفاء فيه ولا موجب لتغيير لفظ (بأسك) بكلمة (فأسك) بالفاء كما رآه الاستاذ ، وأما قوله (ان هذا ليس من جنس كلام البلغاء) فاننا لم نقبين وجهاً لذلك مع استقامة المعنى وظهور الغرض .

مصححه

احمد الزين

تصحيح قصة

الحكاية التي نقلها الاستاذ الشيخ كامل الغزي عن لسان الامير أسامة بن منقذ التي تفيد اجتماعه بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية وامتحانه لقوة ذاكرته - نسبتهما الى الامير الموماليه ليست بصواب واعتراض الدكتور فيليب حتي (مجلة المجمع ج ٥ ص ٣١٧) بان بينهما قرناً كاملاً والواحد منهما لم يعاصر الآخر هو في محله .

وقد ذكر القصة على الصواب المؤرخ الكبير ابن العديم في كتابه (الانصاف والتعري في دفع الظلم والتعري عن ابي العلاء المعري) الذي نشرته على نقص فيه في تاريخي الكبير (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ٤ ص ٧٨) والقصة مذكورة في ص ١٣٥ ونصها: وقفت على كتاب سيرة بعض الرؤساء بحلب وضعه الشريف ابو علي المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي الاسحاقي الحسيني نزيل بغداد وهو من ولد الشريف ابي ابراهيم العلوي الحراني واصله من حلب وكانت ابوه حاجب الباب ببغداد ورد هذا الشريف علينا حلب زائراً اهل به فذكر فيه قال حدثني والدي رضي الله عنه وارضاه يرفعه الى ابن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب الخ .

وبعد ان ذكر القصة استبعد ان تكون واقعة في انطاكية لاسباب ذكرها (ثم قال) ويحتمل عندي ان يكون هذا بكفر طاب فقد كانت كفر طاب مشحونة باهل العلم وكان بها من بقرأ الادب و يشتغل به قبل ان يهاجمها الافرنج في سنة ثنتين وتسعين واربعمائة وكانت لابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ في ايام ابي العلاء فاعلمه تصحيف كفر طاب بانطاكية

وأصحفها غير مستبعد فإن كان كذلك فإن منقذ الحاكى لهذه الحكاية هو أبو المتوج مقلد ابن نصر بن منقذ وأبوه نصر وكفرطاب قرية من معرة النعمان ويحتمل أن ذلك كان بحلب فإن أبا العلاء دخل حلب وهو صبي واجتمع بمحمد بن عبد الله بن سعد النحوي ورد عليه خطأ في شعر المنبي على ما ذكرناه في ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم فيحتمل أن هذه الحكاية التي حكاه ابن منقذ كان بحلب وأبو المتوج بن منقذ كان بحلب وله بها دار ومنزل وكان بها خزانة كتب في الشرقية التي بجامعة حلب في موضع خزانة الكتب اليوم الخ .

وأبو المتوج مقلد بن نصر له ترجمة في تاريخي في هذا الجزء (ص ١٨٠) نقلها عن تاريخ ابن خلكان ووفاته سنة ٤٥٠ بحلب وحمل إلى كفرطاب فتكوت وفاته بعد وفاة أبي العلاء بسنة فاجتماعه به محقق ولعل الأسناد الغزي علق ذلك من ذاكرته فكاتب في المقالة أسامة بن منقذ بدل أبي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ فوقع بهذا الخطأ وجل من لا يسهر .

عضو المجمع العلمي العربي
محمد راغب الطباخ

من نوادر المخطوطات « في دار الكتب الظاهرية »

— ٣ —

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور — المشهور بمناسبة البقاعي : إبراهيم الدين أبي اسحاق بن عمر البقاعي الدمشقي المولود سنة ٨٠٩ والمتوفى بدمشق في شهر رجب سنة ٨٨٥ . أوله الحمد لله الذي أنزل الكتاب مناسبا سورة وآياته ، متشابها فواصله وغاياته .

قال صاحب كشف الظنون : وهو كتاب لم يسبقه إليه أحد جمع فيه من أسرار القرآن ما تخبر فيه العقول وذكر في آخره أنه فرغ منه في سابع شعبان سنة ٨٨٥ وكان ابتداءه في شهر شعبان سنة ٨٦١ فكث في تأليفه أربعاً وعشرين سنة ثم قال مؤلفه في نفسه

هذا . اني بعدما توغلت فيه واستقامت لي مبادئه ووصلت الى قريب من نصفه فبالغ الفضلاء في وصفه بحسن سبكه وغزارة معانيه واحكام وصفه ، دب داء الحسد في جماعة اولي نكد ومكر فنصبوا من سهام الشرور والأباطيل وأنواع الزور ما أكثر بسببه الوقائم وطال الامر في ذلك سنين وعم الكرب ، وصنفت بسبب ذلك كتابي (مصادد النظر في الاشراف على مقاصد السور) ثم صنفت (الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة) وثبت الله تعالى ورزق الصبر والاناة حتى كمل هذا الكتاب اه منه نسخة كاملة في خمس مجلدات وفي المجلد الاول خط المؤلف أجاز لكتابه وناسخه خليل الذهبي المقرئ فرغ من نسخه سنة ٨٨٥ (رقم ١٣٩ — ١٤٥ النفيس) .

اللباب في علوم الكتاب — تأليف ابي حفص عمر بن عادل الحنبلي الدمشقي من علماء القرن التاسع الهجري : وهو تفسير جليل وطريقته فيه ان يقول عند ذكر الآية قوله تعالى كذا ، ثم يشرع في تفسير الآية مبيناً سبب النزول والنسخ واوجه الاعراب وغير ذلك ، وهو في ست مجلدات كبار كل مجلد نحو (١٠٠٠) صفحة كتب سنة ١٠٦٥ هـ بخط نفيس (رقم ١٨ — ٢٣ النفيس) .

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

المنبي

« تأليف السيد شفيق جبري ص ٢١٠ طبع بمطبعة ابن زيدون في دمشق »

« سنة ١٣٤٩ - ١٩٣٠ »

عرف قراء هذه المجلة مبلغ الاجادة في كلام الاستاذ جبري على المنبي مما نشر فيها من المحاضرات التي القاها في كلية الآداب بدمشق في السنة الدراسية المنصرمة . ووقعوا ولا شك في أسلوبه الدقيق وعنايته في التحقيق على شيء من التجدد الجميل مما لم يكذب مجري به غير عدد قليل من أفلام الباحثين من المعاصرين في أدبنا العربي . واستفاد محاضروه من مجالسه في الكلية أموراً في الأدب كان عنها الباحثون من القدماء بمعزل . هذا ان صح ان تحكم عليهم حكماً مسطاً بالنظر الى جملة ما انتهى اليها من اسفارهم واخبارهم . وماهيات الاجادة للاستاذ الباحث الاماناته الادب الافرنسي كما عانى الأدب العربي فرأى بنفسه ما ينقص هذا من صور البحث ليكون ادب العرب على سمته وجماله زائداً في الامتاع والافادة ويخرج عما يرميه به خصومه من تذوقوا الادب الافرنجي فقط من وصمه بأنه ادب جامد لا روح فيه ولا حياة ، وأداة مخجلة التركيب قلما ينفع بها في التأثير بالعقول والمجتمعات . ولقد رأينا المؤلف في دروسه الطريقة التي جود القاءاً ايضاً على أساليب البلغاء بأني في تحليل شعر المنبي اوشك معه ان لا يترك بعده خاطراً في النفس ، بصوره لتلاميذه في كل مظهره نصو ير شاعر ماهر . ولا عجب ان كان في كلامه على المنبي شاعراً فهو شاعر محسن . والثوب لا يلحج جودة نسيجه غير النسيج الحاذق . والمنبي (مالي الدنيا وشاغل الناس) كما قال فيه احد واصفيه لم يرزق شاعر من الخطوة مارزقه ، ولا خدم العلماء والادباء ديواناً من دواوين العرب بمثل ما خدم به ديوانه . ومن تمام حظ المنبي الذي اثر في الناس بشعره منذ الف سنة ان يقوم اليوم من المعاصرين من ينظر في كلامه نظراً أوسع وأتم مما نظر فيه الأسلاف . وعبدنا لو حدا الباحثون في تحليل حياة عظمائنا في الأدب والعلم هذه الطريقة التي لا يرضي الدارسين بعد اليوم غيرها .

تأثيرات سياحة

« تأليف السيد موسى كريم طبعت في سان باولو في براز بل ص ٥٩٢ »

هذا وصف رحلة ارتحلها وطنينا وصديقنا المؤلف من ٣٢ حز يران عام ١٩٢٧ الى ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ وصف فيها ما شاهده في البورتغال واسبانيا وفرنسا وسورية ولبنان وفلسطين ومصر وصفاً شافاً جميلاً استعمل فيه الاستاذ حرية الفكر وبعد النظر ورمى الى أغراض وطنية شريفة ومنازع قومية يحمده عليها ويستغرب نقيضها من رجل باحث يعرف الغرب معرفة جيدة ويعرف الاثر الناتج من نزاع التعصبات المذهبية والجنسية . وقد أهدى كتابه الى أم المدن المقدسة دمشق والى النهضة الوطنية في الشرق الخ فدل على تعلقه ببلاده وسروره فيها بعد غيبته عنها سنين طويلة بما شاهده من نهضتها الحديثة . وقد ذكر احاديث وقعت له مع رجال الشام ومصر تكشف القناع عن محيا حقائق العصر وربما لا يرضى بعضهم عما أفضوا به اليه لان منهم من يعيش في نقيمة ممقوتة بل لا يعيش بغيرها . والكتاب بذلك بأسلوبه نقرأه كل الطبقات فتستفيد منه فوائد متممة وقد زينه بصور المشهورين من رجال العلم والسياسة في هذا الشرق القريب ورسوم معاهد أخرى في البلاد التي سار فيها . فاستحق بعمله ثناء الآداب وخلد له بما كتب ذكرًا عطرًا أثبت فيه كيف يكون اثر التربية العالية في النفوس فينزع صاحبها يده من التقاليد الممقوتة وينظر في العالم الى الحقائق المجردة .

م . ك

الجاحظ

« بقلم الاستاذ خليل مردم بك »

أنشأ الاستاذ خليل مردم بك رسالة وجيزة في الجاحظ تكلم فيها على شيء من حياة الجاحظ وصفته ومذهبه وأشار الى سعة علمه وجلالة قدره وانفتح الى دعابته وفكاهته وحسن محاضراته ، وذكر كتبه المطبوعة وكتبه المخطوطة ، ويحث عن اهتمامه في دينه ، وروى طائفة من شعره . وختم رسالته بالكلام على زمن الجاحظ وعلى عوامل نبوغه وعلى مواهبه وقيمة أدبه وأثره وأضاف الى هذا كله طائفة من منتخب كلام الجاحظ .

من خصائص البحث في عصرنا هذا ان الكاتب اذا تكلم على شاعر او على أديب او على عصر من عصورنا الأدبية لزمه ان يصور لنا نواحي هذا الشاعر او هذا الأديب او هذا العصر تصويراً متكاملًا حتى اذا وقع نظرنا على الصورة أخذ النظر جملة هذه النواحي ومن خصائص البحث ان يطبع الباحث هذه الصورة بطابعه الخاص واعني بالطابع الخاص ان تظهر على بحثه آثار فكره في الافراد بالرأي والاستقلال بالتمييز .

ومن بين الطالع ان ادباءنا شعروا بهذا كله فنشطوا اليه فكان تجويد العمل على قدر مواهبهم واستعدادهم .

والاستاذ خليل مردم بك حاول في رسالته ان تظهر على كلامه آثار البحث المناسب لروح هذا العصر وليس بضائره ونحن في بدء النهضة الأدبية ان نقصر بعض النقصير في مباحثنا الادبية وانما الشأن ان نشعر بخصائص البحث المطابق لوضع هذا العصر وقد شعرنا بذلك وهذا شيء ليس بقليل .

نعم ليس بضائر الاستاذ خليل مردم بك ان يفوته نواح كثيرة من نواحي الجاحظ فان الكلام على الجاحظ يستغرق كتاباً مطولاً فضلاً عن رسالة وجيزة .

فليس بضائر الاستاذ ان يفوته الكلام على اساليب الجاحظ في تحقيقه العلمي فالجاحظ عالم من العلماء سواء أكان علمه موافقاً لحقائق علم هذا العصر ام كان غير موافق فهو لا يخالف في تحقيقه العلمي عن اكبر علماء هذا العصر وفي مقدمتهم « باستور » فكانت أساليبه في التجربة والاختبار والتدقيق مطابقة لاساليبهم

وليس بضائره ان يفوته الكلام على طبائع تفهم الجاحظ فقد كان الجاحظ يعتمد في بعض الاحايين النادرة فكانه كان يعتمد الايضاح .

وليس بضائره ان يفوته الاستقصاء في الكلام على أساليب الجاحظ في النقد الأدبي وعلى مذاهبه الأدبية وعلى خصائص لغته الأدبية والعلمية وعلى طبعه الانقلاب الأدبي والانقلاب الفكري في عصره وعلى طبائع فلسفته التي جمعت بين معرفة السماع وعلم التجربة وطبائع مذهبه الديني فقد أشرك الجاحظ بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة .

فقد فات الاستاذ خليل مردم بك الكلام على هذا كله فكأنه وضع رسالته لتلاميذه حتى يمتد لهم السبيل الى الاستثناس بالدراسة الأدبية .

شفيق جبري

عضو المجمع العلمي العربي

تاريخ اللغات السامية

« تأليف الدكتور اسرائيل ولفسون مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية »
« وهو يقع في ٢٥٠ صفحة »

للجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية فضل كبير في سبيل النهضة العلمية العربية بما نشره من حين الى آخر من نفاث مطبوعاتها العلمية . وتاريخ اللغات السامية من أنفس ما تحفت به العالم العربي . يحتوي على تاريخ موجز للغات السامية وهو الوحيد من نوعه . فقد سد المؤلف بكتابه هذا ثمة عظيمة في نهضة اللغة العربية الحديثة فله الفضل العظيم ، اذ انه اول من وضع كتاباً بهذا الموضوع باللغة العربية . وقد الحق المؤلف في نهاية كتابه تعليقات العلامة الاستاذ لبيتان على هذا الكتاب ليتيسر للقاري الاستفادة منها وهذه الملاحظات ثمينة جداً لمكانة هذا العالم في عالم المشرقيات . فقد نبه المؤلف الى مسائل عديدة ذات شأن . وقد لفت نظري بعض ملاحظات ربما لم يذنب اليها العلامة لبيتان فوجدت ان انبه المؤلف اليها ليتلافها في طبعة تالية . واعتمدت في تصحيح بعض الاعلام على ما اصطليحنا عليه نحن معشر العرب في كتابتها او كما وردت في نسخة الكتاب المقدس العربية طبعة نيورك : وجاء في (ص ٣) قال آل عيلم وعيلم وصوابه آل عيلام وعيلام (عز ٢ : ٣١ ونح ٧ : ٣٤) . وجاء في صفحة ٢٠ قال سمارية صوابه السامرة (امل ١٦ : ٢٤) . وصفحة ٤٢ قال الحثية وكرها غير مرة والظاهر ان تكتب الحثية . وصفحة ٥٠ قال عش عصفور (كن) وصوابه وكن او وكنة . وصفحة ٥٦ قال الفرزي وصوابه الفرزي او الفَرَزِيون (تك ١٣ : ٧ و ٣٤ : ٣٠) . وصفحة ٥٦ قال جبال وصوابه جبيل . وصفحة ٥٧ قال (ارواد) بنواحي اسكندرونه وصوابه بين طرابلس

واللاذقية . و صفحة ٥٧ قال عشرت والاظهر في كتابتها عشتاروت . و صفحة ٥٨ قال
اتباع صوابه اتبع (امل : ١٦ : ٣١) . وفيها قال احاب صوابه احاب (امل : ١٦ : ٢٩)
و صفحة ٦٣ قال نقش ويريد بها الكتابة المزبورة على الحجر والاصح ان يقال رقيم فهي
اوفي بالمعنى . و صفحة ٦٧ قال (ان كتابة بجو ملك ترجع الى القرن الخامس (ق م) .
وهي من اقدم الكتابات الفينيقية التي اكتشفت في ارض كنعان) مع ان كتابة احيرام
التي اكتشفت في جبيل في سنة ١٩٢٤ هي اقدم عهداً ويرجع تاريخها الى القرن الثالث
عشر (ق م) . و صفحة ٨٤ (كتابة عبرية على ورق نقدي) مع ان هذا النوع من النقد
غير معروف في ذاك العصر . و صفحة ٩٠ اسرة المكاييم وصوابه اسرة المكايين . و صفحة
١٠٠ صادي ترجمتها شبكة الصيد وصوابه حربة الصيد . و صفحة ١١٦ بيت رحوب
على ضفاف اليرموك والصواب هي جهات مرجعيون وبانياس . و صفحة ١٣٠ أهمل اسم
الشهر في السطر ٢١ . و صفحة ١٤٥ قال (مدينة اودسا) والصواب ادسا لكي لا يحصل
التباس بينها وبين اودسا من سواحل البحر الاسود . و صفحة ١٥٩ قال (المولود)
والصواب معلولاً ثم ان هنالك قريتين اخريين نكلكان بالسريانية الى اليوم غير قرية
معلول وهما جبعدين وبغزة . و صفحة ١٧٨ قال سنة ١٠٦ وصوابه ١٠٥ . و صفحة
٢٠٦ قوله ان القصائد والأساليب الشعرية لم توضع على الورق بالمداد الا في نهاية القرن
الاول وهذا قول مبالغ فيه لان المعروف ان معاوية لما جلب من اليمن عبيد بن شربة
الجرهمي وسأله عن الاخبار المنقمة وملوك العرب والعجم امر معاوية ان يدون ذلك فلو
لم يكن التدوين موجوداً كيف كان يقول له ذلك . وورد في الصفحة ٢٢٣ قوله في
بلاد الشام حيث لا ملك عظيم ولا معاهد منتجة بعد ان انقضى العصر الاموي . فهذا
القول ينفيه الواقع لان تاريخ انشاء المدارس في بلاد الشام يرجع الى أواخر النصف الاول
من القرن الخامس . ايام انشاء بدمشق رشاً بن نظيف بن ماشاء الله ابو الحسن الدمشقي
سنة ٤٤٤ مدرسته المعروفة بالرثائية اتخذها داراً للقرآن وكان الحسن بن عمار حاكم
طرابلس للفاطميين والمتغلب عليها أقام في طرابلس دارحكمة اوشبه مدرسة جامعة على
نحو دارالحكمة التي انشاها الحاكم بالله في مصر سنة ٤٠٠ وفضلاً عن مئات المدارس
التي أنشئت فيما بعد . وورد في الصفحة ٢٢٤ قوله ان كلمات افرنجية وخاصة افرنجية

اندجحت باللهجة الشامية من عهد الحملة الصليبية مسألة فيها نظر لان اللغة الشائعة كانت في الحروب الصليبية هي الايطالية ولان ذكر كلمات شاعت منذ ذلك العهد . وورد في الصفحة ٢٣٤ قال الآله بكوس : آله الخمر والمجون عند اليونان والصواب ان يقال الآله باخوس رب الخمر والمجون عند الرومان . اما عند اليونان فكان يدعى ديونيزوس . وورد في الصفحة ٢٣٥ سترابو وفي الصفحة التالية سترابو وصوابه استرابون .

جعفر الحسني



مركز تحقيق تكملة علوم راسدي
هدايا كتب

أهدى البنا السيد عبدالعزى الميمنى الراجكوتى أستاذ العربية في كلية عليكرة رسالة لطيفة الحجم والطبع ضمنها مائة أثر عليه من قطع الشعر والقصائد من شعر المثنبي وهي ليست موجودة في ديوانه المتداول بين الناس قال (وهي نيف واربعون قطعة او قصيدة) . وأهدت البنا مكتبة العرب بالفجالة في مصر لصاحبها الشيخ يوسف الشيخ نوما البستاني الجزء بن الاول والثاني من رواية (التائه في بدهاء الحياة) وهي اجتماعية اخلاقية فلسفية . (الانطاكيات) مقالات في ضروب اجتماعية مختلفة كتبها الاديب بطرس كلش الانطاكي ثم جمعها في كتاب بلغت صفحاته ٣٠٧ على ورق جيد وحرف مشرق . وقد أهدى نسخة منها الى المجمع فنشكر له هديته .

مجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٤٩ هـ ١١٩

وليمة ابن ولسانة

وصف المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي أحوال القرون الاسلامية الماضية وذكر مميزات كل قرن منها . وقال : ان القرن الرابع قد امتاز على بقية القرون بغلبة (خيالات الصوفية) عليه .

وقوله هذا . سلم بالنسبة الى ما عدا فطرنا الشامي من مجموعة الأقطار الاسلامية . اما هو فأرى ان خيالات الصوفية لم تكن الغالبة عليه وانما الغالب عليه كان اللهو والطرب والتمتع بملذات الحياة على اختلاف ضروبها . وننوع أشكالها : فقد كان لسور يا في القرن الرابع حالة سياسية منقلقة جعلت السور بين يستسلمون للقدر فيما يتعلق بامور الملك والسياسة . ومن طبع الاستسلام للقدر ان يولد في نفس صاحبه فتوراً عن الكد والعمل وميلاً الى الراحة في ظلال النعيم . والنفر ينج عن القلب باللهو والطرب . وضروب المسليات . ومن هنا يمكن التوفيق بين ما قلناه عن طبيعة القرن الرابع وبين ما قاله الكواكبي : فهو يقول ان خيالات الصوفية كانت الغالبة عليه وقلنا نحن ان الاستسلام للقدر ثم للهو هو الغالب على أهله . ولكن أليس هذا الاستسلام اثرًا من آثار خيالات الصوفية ؟ أليست خيالات الصوفية التي تسربت الى أذهاننا من متصوفة الأعاجم هي التي زهدنا في الملك والسياسة وسهلت علينا الخضوع للعناصر الأعجمية . وجعلتنا نستسلم للقدر . ونهيم بالسوالف

(١) محاضرة للاستاذ المغربي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق بتاريخ

٢ و ٩ تشرين الثاني من سنة ١٩٢٨ م .

والطور . وثلثوا بشرب الراح وعزف الوتر .
وهذا عمر الخيام الأعجمي ما الذي جعله يعيش معيشته الابهقورية لولا الخيلالات الصوفية .

حالة سوريا في القرن الرابع

كانت سوريا كالزورق المستمسك بحبل الخلافة العباسية فلما ضعف شأن هذه الخلافة بتغلب آل بويه الأعاجم عليها في القرن الرابع للهجرة انقطع حبل السفينة فتاهت في عرض البحر . واذ ذاك اخذ أمراء مختلفو الجنسية يتجاوزون تلك السفينة من كل جانب : بعضهم يدعي ولايتها باسم خلافة بغداد العباسية وبعضهم باسم خلافة مصر الفاطمية . ولا ننسوا علوج الروم الذين كانوا في ذلك القرن يتواثبون على سوريا من ثغور آسيا الصغرى . ولا القرامطة وفرق الباطنية . ولا شراذم الأعراب التي كانت تعيث فساداً في الشامات فتروع آنيها . ونقلق راحة ساكنيها . وقد اتصلت هذه الحالة المزعجة بزمان أبي العلاء المعري فوصفها وأشار الى ان عاطفة حب الوطن هي التي جعلته يألف الشام وحببت اليه الإقامة فيها . فقال مشيراً الى ما كانت تقاسيه البلاد من أذى الأعراب :

(أَلِفْتُ بلاد الشام وإلف ولادة نلاقي بها سود الخطوب وحرها)

(فطوراً نداري من سُبَيْعَةِ لَيْثِهَا وحيناً نصادي من رُبْعَةِ نَمْرِهَا)

وبظهر ان أبا العلاء في آخر الامر ملّ مدارة قبيلتي ربيعة وسبيعة ولم يمد بطبق الصبر على أذى لَيْثِهَا ونَمْرِهَا . فرحل عن الشام الى بغداد وقال يخاطب نافته :

(اذا ذنوت لشامٍ اذ مررت به فنكّيته وراء الظهر اذ حيسدي)

(قد غيّر الدهر منه كل مبيّج وألحد السيف فيه بعد توحيد)

ثم عمّ الخطب بلاد الشام : فزحف عليها الصليبيون ونقصوها من أطرافها واستولوا على معرة النعمان فرحل عنها ساكنوها يحملون معهم البؤس والشقاء . حتى قال قاضيها ابوالجهد المعري واصفاً ما كابده في غربته . وما قاساه من بلادة غلامه (شعيبا) الذي كان في خدمته :

(زسان غاض اهل الفضل فيه فسقياً للنبوت به ورعيا)

(أسارى بين أتراك وروم وفقد أحبة ورفاق شعيا)

ولكن في ظلّ هذا الاضطراب السياسي والقلق الاجتماعي الذي استحوذ على بلاد الشام كانت تنمو العلوم والآداب . وتزدهر فنون الحكمة والطب والفلك : فكان في ذلك العصر اكبر المؤلفين . وأشهر الفلاسفة والشعراء والمتأدبين . وقد غصت دور الكتب بالأسفار وآثار العلم الخالدة . وناهيك مكتبة آل عمار الشهيرة في طرابلس الشام .

وما أشبه حالة القرن الرابع بعد الاسلام بحالة عرب الجاهلية قبل الاسلام : فقد كانت عرب الجاهلية في أحط الدرجات من الوجهة الاجتماعية وان شئت قلت السياسية أيضاً . لكنهم كانوا في مستوى راقٍ من بلاغة القول والنبوغ في الشعر والحكم وضرب الأمثال . وكما كانت ربوع العلم والعرفان زاهرة في بلاد الشام . وكانت مجالس رؤسائها أشبه بنوادي أدب وشعر — كذلك كان شأن الحضارة وانفساح العمران وتوفر اسباب الترف والنعيم ورغد العيش .

هكذا كانت البيئة الشامية يومئذ .

نرى من جهة حكماً أعاجم يسوسون البلاد بالظلم والقهر . ومن جهة ثانية كنت ترى سوق العلم والأدب والشعر رائجة . وقد مهّدت الحضارة امام الكافة طرق العيش الهني . والحياة الرغدة .

بيئةٌ هذا شأنها لا بد ان يطرح اهلها عن عوائقهم عبء الاهتمام بالسياسة والشؤون العامة وان يقبلوا على اللهو والطرب . والاّ صفاء الى أغزل الشعر وأفكه . وعدم التصوّت من سماع أمجن القول وأخشه .

في مثل هذا الوسط كان يعيش عبدالله بن الحجاج وابن سكرة والبيغاء والحسين بن واسانة صاحب لوليمة . وأضرابهم ممن كانوا يجنون ثمار الممذات . من بين اشواك الفتن والاضطرابات . ويرشفون كدّوس المسرات . ولو تحت مشجر القنا وظلال المشرفيات . نرجع القهقري في عصور التاريخ الى حوالي (سنة ٣٨٥هـ) لنصور حالة دمشق نفسها : الأمر والنهي فيها يومئذ للعامة والأحداث^(١) وجنود الغاربة . اما الخاصة والأشراف فاذا يكون لهم من التأثير والنفوذ إزاء هذا الجيش المختلط المتذمر .

(١) وكانهم يريدون بالأحداث ما نريده اليوم بكلمة قبضايات وفتوات .

نزور جامع دمشق . ونمر في أسواقها . ونعشي دور عظمائها . ومجالس علمائها . فلا نسمع الا همساً . والا قولهم تباً وتعساً .
نسمع هذا يقول :

ومتى ينظر المولى تعالى الى دمشق فينقذها من ظلم عمال الفاطميين ؟ ها اننا لم نكن
ننجو من (نجو تكين) و (ابن تميم) حتى جاءنا هذا الجبار (ابن الصمصامة) . حقاً ان ظلم
هؤلاء هو الذي جعل بني حمدان امراء حلب يستنجدون بباسيل (باسيليوس)
ملك الروم .
فأجابه آخر :

وهل تظن ان الروم أشفق علينا . وأرحم بنا من امراء الفاطميين ؟ أنسيت ما فعله
(البرجي) عامل الروم على انطاكية — باهل اللاذقية ؟ بل أنسيت ما كان من (باسيل)
نفسه منذ جاء بلاد الشام على اثر استنجد الحمدانية به . فنزل على أبواب حلب . فرحب
به امراؤها آل حمدان . ثم سار الى حمص ففتحها وحاصر طرابلس الشام اكثر من
اربعين يوماً ثم عاد الى القسطنطينية . اما والينسا الفاطمي (ابو تميم) فلا أتم الله عليه
نعمته : جاءنا بعد ان غدر بنا اخوه (علي) فواسانا . وطيب خواطرننا في اول الامر .
ثم ظهر لنا من حاله ما لم يكن في الحساب . وإن انس لا انس ذلك اليوم الذي جاء
فيه الى جامع بني أمية يصلي الجمعة سيف ذلك الموكب النخم . وقد ظهر على الناس بزي
أهل الوفاء . وبين يديه القراء والشعاب يقرءون الدرام على المساكين . وبعد ان صلى عاد الى
قصره بظاهر دمشق وجعل ينظر في الظلمات ويأمر باطلاق من في الحبوس . وبهذه
الصورة استمال اليه قلوب العامة فأحبوه . ولكن ما عثم ان انكشف امره . اذ تبين للناس
انه مع سياسته وحسن ادارته كان مستهتراً بالملذات . فنقمت منه العامة والجنود .
وهجموا عليه في قصره . ونهبوا خزانته . وأوقعوا برجاله . وهرب هو فلم يوقف له على
أثر . وسادت الفوضى في دمشق . وخلال الجوه للأحداث والسطار ولرئيسهم (الدهيقين)
الذي تولى قيادتهم . وعرف كيف يستثمر شطارتهم . واستمر المخرج والمخرج حتى جاءنا
(ابن الصمصامة) موالي من قبل الفاطمي صاحب مصر . تخاف زعيم الأحداث (الدهيقين)
من (ابن الصمصامة) فتسأل هارباً الى مصر طالباً الأمان لنفسه .

ولم يكذب صاحب الحديث يثم حديثه حتى ناداه آخر — وبظهر من لهجته انه من اهل الساحل — فقال :

ما أشبه دهيقينيكم يا اهل دمشق بعلافة امير اهل صور . وأظنكم لا تعلمون من امر علافتنا هذا شيئاً : هو رجل نوقي . عصى مع اهل صور مارقاً من طاعة ملك مصر . وضرب سكة باسمه وكتب عليها (عزت بعد فاقة الامير علافة) . فأرسل اليه ملك مصر اسطولا مشحوناً بالمقاتلة . فاستنجد الامير (علافة) بالروم كما استنجد بهم قبله الحمدانيون ملوك حلب . فأنفذ ملك الروم الى معونة علافة اسطولا فالتقى الاسطولان ثم كانت الغلبة للمصر بين على لروم . وفي آخر الامر أمسك علافة . وعاد الى الدل والفاقة . وأرسل الى مصر فسلخ وصب غير مأسوف عليه .

ثم قال الساحلي يخاطب اهل دمشق : كيف رأيتم : أليس ان دهيقينيكم كان أشد فطانة من (علافة) صور مذ بادر الى مصر وطلب الامان لنفسه ؟

فقال احد الحاضرين : دعونا بالله عليكم من (علافة) و (دهيقيني) وفكروا في حالتنا الحاضرة : فكروا في (ابن الصمصامة) الذي عاد من مصر الينا . وتزل نزول البلاء علينا . استقبلناه وهنأناه بالدعاء له وأخطيناه له قرية (بيت لهما) في الغوطة ليكون مقامه فيها مع عسكره . فأظهر لنا في اول الامر العدل . وتخفيف الثقل . وبالغ في الحفاوة : فغلم على رؤساء الأحداث . وملكهم على الخيل والبغال . ووهب لهم الجوارى والغلمان . وعين بعضهم له حجابا . ثم لم يلبث ان قلب لهم ظهر الحزن فأوقع بهم وزحف بعسكره من (بيت لهما) على سور دمشق فثلمه . وسمح لجنوده المغاربة ان ينزلوا في منازلنا وجعل بطوف في دمشق للبطش والتنكيل والناس يلوذون به مستغيثين طالبين لرحمة . فكيف عنهم واستدعى اليه اشرف دمشق فجأوده مطمئنين حتى اذا استراحوا اخرج رؤساء الأحداث الذين في سجنه فضرب أعناقهم والأشراف ينظرون اليهم . ثم صلب كل واحد في محلته . وجر عسكره الى المروج والغوطة وامرهم بوضع السيف في من بها من الأحداث . ثم عاد فقبض على الاشراف ونفاهم الى مصر وصادرهم في اموالهم ونعمهم . ووضع غرامة على اهل البلد بلغت خمسمائة الف دينار . والذين قتلوا في هذه الكارثة فقد بلغوا نحو ثلاثة آلاف نفس .

هكذا كانت نار الفتنة تضطرم في دمشق : رقاب تُضرب • وشبان تُصلب • وأموال تُنهب • وأشراف تُنفي وتغرَّب • وابن واسانة^(١) منهك في إعداد وليمة في قرية (جرايا) لضيوف قادمين عليه من دمشق •

اليوم صحو • والهواء عليل • وغوطة وادي بردى كحساء مستنقية في ذلك الوادي • قد نعت قدميها في مياه النهر وأسندت رأسها المنكلل بأغصان الحور الى هضبة من مضاب الربوة • واستغرقت في نوم عميق لم يوقظها منه الا أشعة الشمس • وخرير المياه • وزقزقة العصافير • وإلاَّ ضوضاء الضيوف المسرعين الى وليمة (ابن واسانة) •

فكنت ترى هؤلاء المدعوين يتراكمون على ظهور عتاق الخيل • وفُرَّه البراذين : هذا يغني • وذاك ينشد الشعر • والآخر يطارح رفيقه النكتة • ولطيف المداعبة • بتخلل ذلك كله صهيل الضوامر • وأصوات وقع الخوافر • وعططة الخدم والاتباع • يتبادلون السباب • ويتنايرون حسب عادتهم بالألقاب •

وليمة (ابن واسانة) هذه في قرية (جرايا) لها دوي في أعماق كتب الأدب والتراجم : فقد دوتها الشعالي في البيئمة (جزء ١ ص ٢٦٦) وخلد ذكرها يافوت في معجم الادباء • وهاهي قد مضى عليها زهاء الف سنة وما زالت رطبة في الافواه • حلوة الوقع على الاسماع •

إذن يلزمنا ان نعرف (١) من هو ابن واسانة ؟ (٢) ابن هي قرية جرايا ؟ (٣) كيف كانت هذه الوليمة ؟ (٤) ماهي حالة جرايا اليوم ؟ •

ابن واسانة

هو ابو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد المعروف بالواساني • ويظهر من هذا النسب ان (واسانة) اسم لاجدى جدانه أو أجداده فنسب اليها اواليه • وسماه (يافوت) في معجم الادباء (ابن واسان) • وقال صاحب البيئمة (جزء ١ ص ٢٦١) في ذمته

(١) الحوادث التاريخية التي سردناها في هذه المحاضرة وقعت حوالي سنة ٣٨٥ هـ ولا ريب ان وليمة (ابن واسانة) وقعت ايضا في ذلك الزمن • لكن لانعلم في اي سنة كانت • اما وفاته هو ففي سنة ٣٩٤ هـ •

(هو العجوبة الزمان ونادره . وفربد عصره وبافعته . وهو احد الفضلاء . المجيدين في الهجاء . وكان في زمانه . كل من الرومي في أوانه) هذا ما قاله الشمالي . ويستنتج من تضاعف كلامه ومن قصيدة هجومية لابن واسانة هجاءها ابا الفضل يومئذ بن علي — ان ابا الفضل هذا كان والياً على ديوان الخراج والضياح في دمشق وكان ابن واسانة كاتباً عنده وكان مَذْشاً او (مَذْشِي) بن ابراهيم القزاز اليهودي موظفاً في ديوان الخراج بل ربما كان رئيس كتّاب ذلك الديوان . فحمل الطيش ابن واسانة على نظم قصيدة في هجاء رئيسه (ابي الفضل ومنسى) وكان هجوم غابة في الإغذاء والفحش . فما كان من ابي الفضل الا ان عزله فبقي من دون عمل طول عمره ثم مات (سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م) .

اما إخمائه في شعره فربما فاق فيه رصيفه ومعاصره عبد الله بن الحجاج (٣٩١ هـ ١٠٠٠ م) فكان ابن الحجاج زعيم الهجائيين في العراق . كما كان ابن واسانة زعيمهم في بلاد الشام .

وكان شعراء ذلك العصر الهجائيون يخيفون الرؤساء وكبار رجال الدولة ويحملونهم على إكرامهم وتقليد الوضائف والاعمال . لا بالالتماس او ابراز شهادة بل بقوة التهديد والهجو وهتك الامتار عن قبيح الاسرار وهي الطريقة التي يسميها أدباء الافرنج شانتاج (Chantage) فاشاعر البسامي البغدادي المتوفى في زمن الخليفة المقتدر (٣٠٣ هـ ٩١٥ م) هدد رؤساء الدولة ان لم يواتوه عملاً فقال :

(قل للرؤوس ومن تُرجى نوافلهم ومن يُؤمل فيه النفع والعمل)
(ان تشغلوني باعمال أصيرها شغلاً والا ففي أعراضكم شغل)

ابن واسانة دمشقي او حليبي ؟

في قصيدة (ابن واسانة) الآتية بيت من الشعر وصف نفسه فيه بأنه (غريب ناك عن الاوطان) إذن هو غريب دمشقي . وفي حلب حمام يسمى (حمام الواساني) فهل ابن واسانة حليبي ؟ جاء في كتاب (نهر الذهب في تاريخ حلب) مانصه : (الحمام الذي يعرف بالواساني ويقال له (الواسانو) قديم جداً : قال صاحب كنوز الذهب : في هذا الحمام جرت اسود يُذكر ان الخليل ابراهيم عليه السلام اغتسل منه ولم يزل هذا الامر مشهوراً حتى

الآن . وهو حمام مبارك يدخله الناس للتبرك بآثار الخليل عليه السلام و يحصل لهم الشفاء من أمراضهم خصوصاً النساء . ولم يزل يزعم من يستأجر الحمام ان الجرث موجود فيه حتى الآن والحمام من أوقاف الحاج موسى الأميري اه .

وكتب اليّ بعض فضلاء حلب وقد سأله عن الواساني فقال :

« الواساني رجل له حمام يجلب ينسب اليه . والحمام موجود الى اليوم في سوق حاتم وراء الجامع الكبير تابع لوقف الأميري ويسميه العامة (حمام الويسني) بالأمالة . قال الرضي الحنبلّي في كتابه (الزند والفكر) الواساني هو الذي ينسب اليه الحمام بجلب واسمه الحسن وكان شاعراً هجاءً وان كان العوام يعتقدونه اليوم من الأولياء وارباب المزارات اه .

ومن هذا يفهم ان باقي الحمام في حلب هو ابن واسانة صاحب الولاية في قرية جبرايا بدليل ما وصفه به من انه كان شاعراً هجاءً . غير انه سماه الحسن وصوابه الحسين كما في يتيمة الدهر . فهل يصح لنا الحكم بانه حلبي ؟ كلا : فان الشبهة في نسبته الى حلب ما زالت موجودة بدليل ان في كتاب (يتيمة الدهر) قصيدة هجومية لابن واسانة ومطلعها :

(ياسا كني حلب العواصم جادها صوب الغامة)

(انا في مدينتكم غريب - لست من اهل الإقامة)

فالله يعلم ان كان مسقط رأس ابن واسانة قبل انه يسكن (حلب) و (دمشق) اولعله يريد بقوله (انا في مدينتكم غريب) انه كالغريب في عدم وجود اصدقاء له او في سهولة رحيله عنها فهو لا يهاب من هجوم ولا يخشى بطشهم على حد قولهم (لا تعاند من اذا هدّ رحل) فيكون حلبيّاً وأقام في دمشق طويلاً .

قرية جبرايا

هذه القرية من فري دمشق وقد كان لها يوم أقيمت فيها وليمة ابن واسانة منذ ألف سنة شأن عظيم . ثم انحطت في عمرائها حتى أصبحت مزرعة صغيرة واخذ اسمها (جبرايا) بنضال و يتلأشى من الاسنة شيئاً فشيئاً اللهم الا من السنة أكارها القليلين الخاملين . وما زاد في غموض امرها وضياح اسمها ان جميعها كانت لتصحف في كتب الأدب واللغة :

ففي (اليتيمة) اسمها (جمرايا) بالخاء المعجمة . وكذا في تاج العروس : فقد روي مؤلفه يعني احمد بن منير هكذا :

(بالنير بين فقرى فالسرير فخم - رايان جو حواشي جسر جسر ين)
(فالقصر فالمرج فالبلدان فالشرف الأعلى فسطرا فجرمانا فقلنين)

وذُكرت (جمرايا) في معجم الادباء باسم (جمرايا) بالخاء المعجمة . اما في (معجم البلدان) فذكرت مرتين مرة باسم (جمرايا) بالهمزة ومرة باسمها الصحيح (جمرايا) بالجيم المعجمة وذلك بمناسبة الكلام على نهر بردى فقد قال : ان عيوناً تظهر على مقربة من الزبداني فتصب في قرية الفيجة وتضم اليها عين أخرى . ثم يخرج الجميع الى قرية تعرف بجمرايا (وقد ضبطها بالشكل بضم الجيم) فيفترق الماء حينئذ فيصير اكثره في بردى ويحمل الباقي نهر يزبد « اهـ .

هكذا تصحف اسم هذه القرية وكادت هي نفسها تنطمس ايضا حتى اني سألت الذّناء المعمرين من اهل دمشق عنها فلم يعرفوها لا باسمها الحقيقي ولا باسمها المصحف . وأجدر الناس بالحيرة هم أدباء دمشق وعلمائها الذين كانوا يقرأون حكاية وليمة ابن واسانة في كتاب التثيمة المطبوع في بلدهم ويتقنون لو يعرفون ان هي قرية جمرايا التي أقيمت فيها الوليمة وكان أشدهم حيرة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري فقد مات وبقيت في قلبه حسرة من (جمرايا) كما مات الاصمعي وفي قلبه حسرة من (حتى) .

ولما طالعت (اليتيمة) في شهر مايس سنة ١٩٢٦ وقرأت وصف الوليمة الواسانية شاركت الاخوان في حديثهم وأخذت أسأل عن قرية (جمرايا) وأراجع عنها في المظان وكنت كلما أوغلت في المراجعة ارتطمت في الشبه والشكوك .

ثم اتفق في أثناء الحرب العامة ان الاستاذ الشيخ عبد القادر الخطيب احد خطباء الجامع الأموي ملك قطعة ارض في مزرعة (جمرايا) فعلم من اكادريها ان اسم مزرعتهم (جمرايا) بالجيم وبالطبع كان اسمها كذلك في اوراق التملك الرسمية التي بيده . وقد بنى الاستاذ ثمة داراً حسنة وجعل يحدث اخوانه عن (جمرايا) وجمال موقعها وطيب هوائها . و يدعوهم الى زيارته وبهذه الصورة نشرت قرية (جمرايا) من مظلومية العدم وعادت

فولدت من جديد باسمها الحقيقي وظهر ان محلها وادي بردى على فيد غلوة من قرية الهامة
منزله اهل دمشق المشهور .

وقال بعض الفضلاء « ان قرية جمرابا كانت موقوفة على احدى مدارس دمشق »
واذن لا بد ان يكون لها ذكر في كتاب (الدارس في المدارس) فلعلنا نظفر به ونحن
نصح هذا الكتاب اليوم ونعده للطبع والنشر .

وسمعت فاضلاً آخر يقول : ذكر باقوت في معجم البلدان (ان قرية يقال لها جمرابا
واقعة بين الهامة والأشرفية كانت قديماً مصيفاً للملك دمشق) ولم أعثر على هذا النص في المعجم .

وليمة ابن واسانة

عرفنا ترجمة (ابن واسانة) وشيئاً عن قرية (جمرابا) بقي علينا ان نعرف ماهي الظروف
التي جعلت ابن واسانة يقيم هذه الوليمة في جمرابا ؟
لم نوصف هذه الوليمة ثراً في كتب الأدب وانما وصفها صاحبها ابن واسانة شعراً
بقصيدة قالها فيها : والقصيدة نحو مائتي بيت ذكرها الثعالبي في (اليتيمة) ثم قال مانصه :
« قد أحسن في هذه القصيدة غاية الاحسان . وأيان فيها عن مغزاه احسن بهان .
ونصرف فيها واطال . وامكنه القول فقال . واذا تخلص الشاعر عند الإطالة والوصف
هذا التخلص . سلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا بدرك غوره .
ولا يخاض بحره اه .

ويمكننا ان نستخرج اسباب هذه الوليمة من القصيدة نفسها التي قيلت فيها: فقد كان يوجد
في دمشق في ذلك العهد رجل من الاشراف يكنى (ابا القاسم) وله اخ اسمه (الفضل) وبظهر
انها كانا صديقين للشاعر ابن واسانة وانها من اصحاب الجاه والظهور والخلول والاتباع .
فكلما ابن واسانة ان يصنع لها وليمة في قصره في قرية (جمرابا) وكانت معها جمع من
الأصدقاء والأدباء . منهم رجل اسمه (الشمولي) ولعل الشمولي هذا هو (بدر الشمولي) الذي
نقله ولادة دمشق سنة ٣٦٣ هـ وان لم يكن هو فواحد من ذريته . وكان في جملة المدعوين
(بنو الجي صفوان) ورجل اسمه (ابن الملبشر) وصديقان لابن واسانة لم يصرح باسمهما : احدهما
أديب والآخر كاتب . وبفهم من القصيدة ايضاً ان لابن واسانة ولداً صغيراً يحبه اسمه

(ميمون) : ذكر في القصيدة ان الخروج الى الوليمة كان ليلة الخميس المصادفة لليلة عيد المرافق . ولم يعين سيفه أبة سنة كانت الوليمة . وأشار الى ان قرية (جمرابا) تبعد عن دمشق تسعة أميال . وقد مر ان جمرابا على غلوة من الهامة والهامة تبعد عن دمشق ١٣ كيلومتراً . وفيما عدا ذلك استوعبت القصيدة اسماء المأكول والمشارب ونفاً من أحوال ذلك الزمن الأخلاقية والاجتماعية مما يجرح عليه كل من يهجمه الوقوف على تاريخ دمشق وأخلاق أهلها وحالة عمرائها منذ الف سنة .

ولعمري ان في هذه القصيدة الحادثة اكبر دليل على درجة الترف والرغد الذي كان يتمتع به أهل دمشق في ذلك العهد . ولا تطيل في وصف القصيدة وما يستخرج منها من الفوائد اللغوية والأدبية والتاريخية بل ندع ذلك لها ولعائلها (ابن واسانه) فعما أفصح لساناً . وأروع بياناً .

تعملون ايها السادة ان اللفة وارتفاع الكلفة اذا استحكما بين شخصين وبين من يدعوم الى ضيافته فكثيراً ما يأخذ هؤلاء الضيوف بمعبوث الطعام تارة . ويستقلونه طوراً . وبكفون صاحبهم احياناً ان يحضر لهم ألواناً أخرى من الطعام وأطابيه . بل يقومون فيفقدون عنها في زوايا البيت ومخابئه . فيأخذ صاحب الدعوة اذذاك في الصراخ والعلو بل والتبرم بالقوم ورفع الصوت في الدعاء عليهم . بل يحلف انهم خربوا داره . وأفقروا أهلهم وصغارهم .

يقع هذا بين الأصدقاء في هذه الايام . وعلى هذا الاساس بنى ابن واسانه قصيدته التي قالها منذ الف عام : فهو يصف المدعوين بالشكر والنهم وانهم كالجراد المنتشر لم يدعوا سيفه قرينه أخضر ولا يابساً الا التهموه . ولا متاعاً او إناء الا حطموه . وقد سلك في الوصف مسلك الغلو والتهويل . زيادة سيفه الإحماض والمداعبة واطهار المقدره في نظم الشعر وحسن التصرف - سيفه أفانين القول وابتكار المعاني . حتى قال يا قوت في كتابه (مجمع الادباء) : « انه احسن في هذه القصيدة كل الإحسان . وابان عن مقاصده احسن بيان » . وموعدنا بالقصيدة العدد الآتي :

« المغربي »



روح المتنبي^(١)

- ١٢ -

لكل شاعر روح تفيض على جنبات شعره ، ومهما حاول ان يخفي هذه الروح فلا بد لها من الظهور ، لكل شاعر روح ، هذا تعبس الدنيا في نظره فنرى في أضفاف شعره ظلمة الدنيا وعيوسها ، وهذا تبسم الايام في وجهه فنجد في اثناء شعره ضياء الايام وابتسامها ، هذا يسترسل الى جد الحياة فلا تقع في شعره على شيء من هنزها ، وهذا ينسبط الى هنزل العيش فلا يشعر في فيض قريحته بشيء من جدته ، شاعر ضياء الامل مستفيض في شعره ، وشاعر ظلمة اليأس شائمة في قريضه ، لكل شاعر روح ، ما هي روح المتنبي ، ما هي هذه الوثبات التي وثبها في كل مذهب من مذاهب شعره ، في نسيبه وراثته ، وفي أماديجه وإهاجيه ، ما هي هذه النزعات التي نزعها في فقره وغناه ، وفي صوته القلقة ، واكتماله المضطرب .

نشعر ونحن نقرأ شعر ابي الطيب بان الحياة مظلمة الجوانب في عينيده ، كامدة الألوان في نظره ، فلسنا نجد في هذا الشعر اثرًا من آثار بشاشة الدنيا وابتسام الزمان ، ان في روح المتنبي شيئًا من الانقباض ، ليس معنى هذا ان ابا الطيب لم يعرف قيمة الحياة ، ولم يقدرها حق قدرها ، فان الذي يقول :

أنعم ولدتُ فللاً مورٍ واوخر ابدًا اذا كانت لمن أوائل
مادمت من أرب الحسان فانما روق الشباب عليك ظل زائل
للهو آونة تمر كآنها فبَل يُزودها حبيب راحل

اعارف بموارد الحياة ومصادرها ، وبمدخلها ومخارجها .

(١) سلسلة المخاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري

عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

وان الذي يقول :

ولذيذ الحياة أنفس في النفس وأشهى من ان يُملّ واحلي
واذا الشبخ قال افـ فـاملـ حياةً وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء ولّى

لا يغفل عن اسرار انبساط النفس وانشراح الصدر ، وربما أحاط من هذه الامرار
بما لم يحيط به أعرف الناس بمقدار الحياة ، وما هذه الأسرار الا الصحة والا الشباب ،
واذا المرء لم يرفل من الصحة في برد قشيب ، ولم يتفياً من الشباب وارف الظلال ، لم يجد
للحياة لذّة ، نعم لم يجهل ابو الطيب قيمة الحياة وهو حريص عليها لانها شبيهة :
المرء بأمل والحياة شبيهة والشباب أوفر والشبيبة انزق
ولقد بكى على شبابه :

ولقد بكيت على الشباب ولمّا في مسودة ولما وجهي رونق
خذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق

وفي هذه الدموع دايمل على حبه الحياة ، وحرصه عليها ، وربما اشتدّ هذا الحرص
حتى أخرجه في صباه من شيء من الشجاعة ، وأقمه في شيء من ذل الجن في بعض
الحالات ، فمن قوله في مدح الحسين بن اسحق الثنوخى وكان قوم قد هجموه ونحلوا الحجاء
الى ابي الطيب :

وما أربت على العشرين سني فكيف مللت من طول البقاء
ومنه قوله للوالي وهو في الاعتقال :

دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كجمل الوريد
دعوتك لما يراني البلاء وأوهن رجلي ثقل الحديد

كل هذا حجة على رغبة المنني في الحياة ، وتمسكه بها . ومع هذا فاننا لانجد في
شعره اثرأ لضياء الحياة وبشاشتها ، فكأن الرجل قد حرم حظه من لذتها ، او كأنه لم
يكن له من نصارة شبابه وكال صحته آلة يستعين بها على ذوق هذه اللذّة ، أفكان المنني
يشتهي صحته ، فكثيراً ما اشار في شعره الى نحوه ، ومن هذه الاشارات :

روح تردّد في مثل الخيال اذا اطارت الريح عنه الثوب لم بين

كفى بجسمي نحولاً انني رجل لولا مخـ اطبقي اباك لم ترني
ومنها :

جمعت بين جسم احمد والسـ قم وبين الجفون والتسهد

ومنها :

ولا وقفت بجسم مُسني ثالثة ذي أرسيم دُرُس في الارسم الدرس
أفكان مصاباً بشيء من المايخوليا التي نجد آثارها في شعره ، فقد اسودت الدنيا
في عينيه ، وقل سروره فيها ، وضاع عمره :

وقت بضيع وعمر ليت مدته في غير أمنا من سالف الأُم
اتي الزمان بنوه في شبيبته فسرحهم واتيناه على الهرم

واستخف باسر الحياة فلم يبال أطال العمر ام قصر :

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وباقى عيشه مثل ذاهب
وافضى به هذا الاستخفاف الى شيء من القسوة في مواطن البكاء :

أنبيكي لموتنا على غير رغبة نفوت من الدنيا ولا موهب جزل
وما الدهر اهل ان نؤمل عنده حياة وان يشئاق فيه الى النسل

نعم لم ينظر الى الدنيا من وجهها الجذل ، وانما نظر اليها من ألقها الكئيب ، ففاض
شعره كآبة ، فهو بتصور الموت في كل حالة من حالانه ، في صحته واعتلاله :

وان اسلم فما ابقي ولكن سلت من الحمام الى الحمام

ومن كان هذا نظره في الدنيا فلا عجب اذا هاجت به المايخوليا في بعض الاحيان فطلب
الموت ، لان الموت هو الذي يشفيه مما يكابده من الم النفس ، واي الم اشد من رؤية
الحساد ، ولا سيما اذا كان المحسود مثل ابي الطيب ، يعادونه على فضله الذي يستوجب
محبة ، وبنام عنهم ولا ينامون عنه :

أعادي على ما يوجب الحب للنفى وأهدأ والافكار في تجول

لا عجب اذا طلب المثني الموت ، ولقد طلبه لانه فتش عن صديق مخلص له فلم يجده ،
وعن عدو مداح فأعياء ، فالحياة التي ليس فيها صديق مخلص ولا عدو مداح لا يكثر

على رجل مثل المثني ان يطلب فيها الموت ، وهو من هو سيف شدة احساسه وامتزاز اعصابه وسرعة حركة نفسه :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب الدنيا ان يكن امانيا
تمنيها لما تمنيت ان ترى صديقا فأعيا او عدوا مذاجيا
لا عجب اذا كانت المسايا من امانى المثني لانه بين ظهوراني رجال ودم خداع
ودينهم نفاق :

فلم ار ودم الا خداعا ولم ار دينهم الا نفاقا
ان رجلاً هذا هو نظره في الحياة ، ان رجلاً يستوي عنده قصر الحياة وطولها
لانه يرى ان الحياة مصيرها الى الزوال لبعيد عن التفرغ لمغالبة الايام ، والسعي في
الحصول على شيء من عظمة الدنيا ، سواء أ كانت هذه العظمة في المال ام في الجاه ، نعم
ان رجلاً هذا مذهبه من عادته ان يقضي في ظلال الهدوء وراحة البال هذه الايام
القليلة التي يعيشها مستهزئاً بكل عظمة ، ساخراً من كل جاه ، لانب الحياة في نظره
احقر من ان يزاحم عليها ، ان رجلاً من امانيه الدنيا لانه لم ير صديقاً مخلصاً له ولا شبه
صديق ، ليغيب اليأس عادة على قلبه ، فلا يضرب في مناكب الارض ابتغاء لشيء
من عظمة الدنيا ، ولكن المثني بعيد عن هذا كله ، وهذا موطن من مواطن تناقضه في
أخلافه فقد كانت حياته تتجمع بين الفأل والشؤم ، وتؤلف بين اليأس والرجاء ، وانه
ليرى ظلمة الدنيا الى جانبه اذ يسعى الى ضيائها من جانب آخر ، وانه ليهزأ بطول الحياة
وقصرها اذ يستنفد وسعه في الوصول الى شيء من ظواهر العظمة في هذه الحياة ، ما اقلق
ابا الطيب ، ما اشد اضطرابه :

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق
فكان يغضب على الحياة و يرضى عنها ، بحسب حالات نفسه ، وعلى قدر هياج
اعصابه وهدوءها ، لقد غضب على الحياة من الناحية التي رآها مسودة ، ولكنه سعى
في الوصول الى الذي خالج قلبه في هذه الحياة سعياً تقتصر دونه سوايق الاقدام ، وربما
كان يخط في بعض سعيه الى طبقات المستعطين فمرة كان استعطاؤه صريحاً :
أمطر عليّ سحاب جودك ثرة وانظر اليّ برحمة لا أغرق

ومرة كان نمرضاً :

فما بفقر شام برفك فاقه ولا في بلاد انت صيها محل
وحينما كان الاستعطاء مشتملاً على شيء من النفن :

فان نقل : ما فعادات عرفت بها او : لا ، فانك لا يستخو بلا فاكا

نعم سعى في هذا كله ما كَلَّتْ عزائمه ولا فترت هممه ولا وجد اليأس الى قلبه سببلاً ، فقد عمل لدنياه كأنه يعيش ابدآ ، وكان مذهبه في عمله : الدنيا لمن غلب ، حاول ان يغلب فما قصّر سحر من كل نائبة نابسه ، وذلل كل عقبة اعترضته ، فلو تجسم العزم لكان ابو الطيب جسمه ، ولو تصوّر العمل لكان صورته الناطقة ، ان شعره ليفيض رجولية ، ان شعره انما هو شعر الرجل القوي على متاعب الحياة ، يتناول له عدوه المبين فلا يخضد من شوكته ، ولا يضعف من عزمه ، واذا نسا به مكان انجح مكاناً غيره ، سواء أ كانت منتجمه بعيداً ام كان قريباً ، ما اعظم المنفي في هذا الجلد على القوس بالآفات ، والمطاعنة للايام فيكاد يكون المثل الأعلى في النزاع والمغالبة ، اوتي من العزم ماضراً اليه كل عظيم من عظام الدنيا ، حتى نشأت له من هذا كله قوة منيعة استعان بها كل حيلاته ، يحبس الرجل في سبيل امر من الامور ، فيخرج من حبسه ، وبضرب في الارض لا مطية له الا النعل والاخلف ، فيمدح من يمدح ، ومن يمدوحه من لا يعطيه على قصائده الادبناراً ، فيصبر ولا يقطع امله من الحياة ، ويتصل بسيف الدولة فيفرق في نعمه ، فيكيد له من بكيد ، ويحسدونه ، فيترك سيف الدولة ويرجع الى ديدنده في الدعي والجهد ، فيأتبه وعد السودان فينجو من شرهم ، ويقصد حضرة كافور الاخشيدي فلا يكرمه اكرام سيف الدولة ، ولا يسمح له بالجلوس في مجلسه ، ويث عليه العيون والأرصاد ، ويضمير قتله ، فينفلت منه ويعود الى سمعيه ، فيتأمر عليه عبيده فيجز على احدثهم ، ويغلب على امرهم ، ويعود الى العراق فيثور عليه شعراء العراق ، فيهرب من بغداد و يصل الى بلاد فارس ، ثم يستأذن عضد الدولة في العودة الى وطنه فيجذرونه من الموت فلا يعبأ بالموت ويهجم عليه فيموت . اظن ان في هذه الامور كلها سلسلة حياة تكاد تكون منقطعة النظير في الصبر على الشدائد ، والاستعداد لمطاعنة الدهر ، واظن ان الرجال الذين يصبرون بعد الصدمة الاولى من صدمات الحياة قليل عددهم ، ان كثيراً

من الناس تضعف عزائمهم في اول ضربة من ضربات الزمان ، فالمنبي من هؤلاء الرجال الذين مارسوا الايام ومارستهم ، وصارعوها وصارعتهم ، فما استسلموا ولا انقادوا ، بباغتهم الدهر من ناحية فيستعدون له من ناحية ثانية حتى تمل الايام طوال نزالهم ، فتلقي اليهم سلاحها وتنتطوي دون عزائمهم ، فلو صور العراك والغلاب والمراس اكان المنبي صورة هذه الامور كلها ، فكأنه جعل مذهبه في سيرته ما جرى على لسانه في بعض شعره :

فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا
هنا تظهر رجولية المنبي ، هنا يكون ابو الطيب القدوة لمن يريد ان يقتدي به من الاعاظم الذين لا يكاد يظهر فضلهم حتى تضافر عليهم المكابد ، وتواطأ عليهم الغوائل فاذا جبنوا واستسلموا اطفأ الحساد من نورهم ، واذا شجعوا ومضوا في سبيلهم مل هؤلاء الحساد حسن ثباتهم وماتوا من سخرية الذين يحسدونهم فلا يجدون الى اطفاء النور سبيلا .
في شعر ابي الطيب رجولية نفيض في كل جنبه من جنبات هذا الشعر المنيع ، وما هذه الرجولية الا صورة روحه ، ولقد ابت هذا الروح الا الظهور في كل مذهب من مذاهب شعره ، فسواء عليه أمدح أم هجا ، وسواء عليه أنفزل أم يكي ، ان روحه لتغلب عليه في اماديه واهاجيه ، وفي غزله وبكائه . ان هذه الروح ابت الا الوضوح في كل حال من حالاته ، وفي كل طور من اطواره ، سواء أكان فقيراً أم كان غنياً . انكم لتجدونه يبي شقوته وبتجبر من رقة حاله وخشونة عيشه ، ومع هذا فان روحه لا تغفل عن النغفي بالتركوم ، وعن التنديد بالدل .
فبعد ان يقول :

الى اي حين انت في زي محرم وحقى متى في شقوة والى كم

لا يلبث ان يقول :

والا تمت تحت السيوف مكرّما تمت ونقاس الدل غير مكرّم

فتب واثقاً بالله وثبة ماجد يرى الموت في الهيجاجني النحل في النعم

وما كان المنبي الا صادقاً في قوله ، ولقد امتلأ شعره من هذه النزعات السامية والوثبات الكريمة فماخلت فصيدة من قصائده من هذه الروح العالية ، وبينا نجده يقول :

ضاق صدري وطال في طلب الر - زق قيسامي وقل عنه فعودي
اذ نجاهه بقول :

عش عزيزاً او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فاطلب العز في لظى ودع الذل ولو كانت في جنان الخلود
فالمرز والحمد والعلياء وكرم النفس الفاظ جرت على لسان ابي الطيب المننبي في كل
شعره فكانت تفصح عن حقائق روحه وبواطن نفسه ، ولقد ادعى به تغنيه بهذا العز
وبهذا المجد وهم هذه العلياء الى مواطن الموت ، مثلاً له الموت وحذرره منه فما حذرره
ولا خافه هجم على الموت خوفاً من ان يقال فيه انه جبان ، فما أبعد ابا الطيب عن احتمال
الأذى ورؤية جانيه :

واحتال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضور به الاجسام
ذل من يغبط الدليل بعيش رب عيش أخف منه الحما
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت ايلام
ما أبعد ابا الطيب عن احتمال الأذى ، لقد غرق في نعيم سيف الدولة وفي مكارمه
ومع هذا كله لما عبث به سيف الدولة واحسن المننبي بالانقباض عنه ما لبث ان عاف
هذا النعم وهذه المكارم :

وما منزل اللذات عندي بمنزل اذا لم أبجل عنده وأكرم
سبيحة نفس ما تزال مليحة من الضيم مرعباً بها كل تخوم
نعم بأبي ابي الطيب الا ان أبجل والآن ان يكرم واذا سكت في حضرة كافور عن
شيء من هذا التجميل والتكريم فما معنى هذا ان الرجل هانت عليه نفسه ، وانما طمع وهو
في حضرة كافور في شيء من الملك شغل باله طول حياته ، فصانع كافوراً ارادة الوصول
الى هذه الولاية التي أملها ولما احسن بالشرو بالأذى ولأى عن كافور .
أبت هذه الروح العالية الا ان تظهر على شعره في كل مذهب من مذاهب هذا
الشعر ، لقد ظهرت في أماديجه ، فاذا مدح أعرب عن روحه قبل ان بصور روح
الممدوح وربما جعل اللافصاح عن روحه في اماديجه النصيب الاوفى :
ولا تحسن المجد زفاً وقينة فالجهد الاالسيف والفنكة البكر

وتضرب اعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر الحجر
وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء انمله العشر
نعم لم يغفل عن اظهار روحه في اماديجه حتى في اماديجه في سيف الدولة :
وانا لنلقى الحادثات بانفس كثير الرزايا عندهن قليل
يهون علينا ن تصاب جسومنا وتسلم اعراض لنا وعقول
واقدر ظهرت روحه في مراثيه اي في المواطن التي بذل فيها الانسان عن كل عظمه
وعن كل عز ، ففي رثائه لجدته وقلبه ملتهب ، ودمعه منسكب لم يغفل عن روحه :
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما
روحه غالبه عليه فأنتم تعلمون مقدار محبته لجدته ومقدار اسفه على وفاتها ومع هذا
فلم ننسه وفاتها روحه فكان في باطنه شيئاً يخزّه حتى يظهر وما هذا الشيء الذي يحركه
الا روحه ، وكذلك حاله في غزله :
وقد طرقت فتاة الحي مرتديا بصاحب غير عزهاة ولا غزل
لا اكسب الذكر الا من مضاربه أو من سنان أصم الكعب معتدل
وكذلك شأنه في أهاجيه :
ويلها خطّة ويلها قايلاً ليلها لملها خلق المهرية القود
وعندها لذ طعم الموت شاربه ان المنية عند الذل فنديد
ما اعظم روح ابي الطيب ! ما اظهرها على شعره !
دمشق : ٣ ايار سنة ١٩٣٠

فلسفة المتنبي

- ١٣ -

علمنا بطائفة من اخبار المتنبي وأحطنا بشيء من جملة اخلاقه وروحه وطبيعة حسه وعاطفته ، بقي ان نعرف درجة عبقريته وخصائص هذه العبقرية ، هل يخلد شعر المتنبي ما هو السر في خلوده . وقبل ان أفرغ لهذا كله ارى ان الواجب علي ان انظر في فلسفة المتنبي .

اشار القاضي الجرجاني والشمالي الي ان ابا الطيب خرج عن رسم الشعر الي طريق الفلسفة واذاف الشمالي الي هذا الكلام ان المتنبي امثل الفاظ المتصوفة واستعمل كلماتهم المعقدة ومعانيهم المغلفة فنه قوله :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخائنه قربك الايام
حتى قال صاحب « ولو وقع هذا القول في عبارات الجنيد والشبلي لتنازعه المتصوفة
دهراً طويلاً »
ومنه قوله :

يا ايها الملك المصني جوهرآ من ذات ذي الملكوت اسمي من سما
نور تظاهر فيك لاهوتيته فتكاد تعلم علم ما لن يعلم
ومنه قوله :

واقعد رمت بالسعادة بعضاً من نفوس العدي فادركت كلا
فالجوهر المصني واللاهوت والبعض والكل من الفاظ رجال الفلسفة والمنطق .
ولعمري الى طائفة من اسماء اطباء اليونانيين وحكائهم امثال جالينوس وبقرات
ورسطاليس وبطليموس .

وجرى في شعره ذكر بعض المذاهب الفلسفية .
من هذه المذاهب :

وكم لظلام الليل عندك من بد تخبر ان الماوية تكذب
ومنها :

الا فنى بورد الهندي هامتة كئيبا تزول شكوك الناس والتهمم
فانه حجة يؤذي القلوب بها من دبه الدهر والتعطيل والقدم
ومنها :

تحالف الناس حتى لا انفاق لهم الا على شجب والخلف في الشجب
فقبيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

واظن ان شيوخ ابن خلدون لم يعجبوا شعر المتنبي بمخالفته الاساليب العربية الاسباب
لجأه الى هذه المصطلحات الفلسفية واشباهها لان الشعر كما قلت سيف « سحر العبقريّة »
غرضه ان يمرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحاشى التجريدات وعبارات العلم واستدلالات
الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم
الصيغ المحسوسة ولكنكم ستجدون في فصل الكلام على شعر المتنبي ان ابا الطيب اذا خلد
فان خلوده سيكون من الناحية التي عابه بها شيوخ ابن خلدون، فاذا خلد المتنبي فان الذي
يخلده انما هي تلك الحكم الرائعة التي استفاضت في شعره فاستشهد الناس بها بحسب ما
يقنضيه مقام الاستشهاد فكأن ابا الطيب لسان حال البشر باجمعهم . فقد يقذف المتنبي
في بيت او في بيتين مذهباً فلسفياً او علمياً يشغل به المفكرون كل حياتهم من هذه المذاهب
قوله :

فقل ما يلوم سيف ثوبه الا الذي يلوم في غرسه
من وجد المذهب عن قدره لم يجد المذهب عن قلسه

ومنها :

راعتك رائحة البياض بفرقي ولو انما الاولى لراع الاسم

ومعنى هذا البيت : راعتك الشعرة البيضاء التي ظهرت في رأسي ولو ان الشعر يكون
أبيض في اول امره ثم يسود لراعتك الشعر الاسود ، فكأنما ابو الطيب أراد ان يمثل
للناس على نحو (بيرون) في القدم ان آراء الخلق سريرة التبدل والتغير مما يدل على شك

الناس في حقائق الامور ، اعتاد البشر ان يروا الحسن في الشعر الاسود والقيح في الشعر الابيض ولو تعودوا ان يروا الحسن في الشعرة البيضاء والمساوي في الشعرة السوداء لما كان لاشتغال الرأس شيئا اثر شنيع في العيون فكأنما لا حقائق مطلقة في العالم وانما الحقائق نسبية للامر الواحد كما قال « انا تول فرانس » مشاهد متفاوتة ومظاهر متباينة ، انظر الى هرم منفيس في طلوع الشمس ثم انظر اليه في غروبها فانك تجد في الصباح مخروط الشكل بنسب عليه ضياء وردي ، وتجد في المساء مثلثا اسود اللون ومن الذي ينفذ فكره الى مادة هذا الهرم فالعادة والمصطلح هما سبب كل عمل في هذه الدنيا .

قد تكثر هذه النظرات الفلسفية في شعر المثنبي ولكني أسرتها كما مر بها ابو الطيب نفسه لانها لا تؤلف الفلسفة التي أريد الكلام عليها ، اي لا تؤلف فلسفة المثنبي ، وانما هي خطرات قد يجوز ان يكون اقتبسها من الكتب المترجمة او دأب عليها عقله الكبير فلم يتوسع فيها وانما الذي توسع فيه النظر في الحياة واخلاق اصحاب هذه الحياة فلننظر في صورة الحياة التي يريدها ابو الطيب .

صوّر ابو الطيب المثنبي الحياة في شعره في اشرف صورها وعرضها في اكرم معارضها فهو يريدها سالمة من كل ضيم ، بعيدة عن كل ذل فلا يتجدون في شعره الا الفاظ العز والجد والكرامة وما تقتضيه هذه الالفاظ من نعب الاجسام وسفك الدماء ، فالمعالي لا تكون رخيصة فلا بد من ابر الفحل دون الشهد ، ولا بد من مرارة الزمان دون حلاوته ، ليس الفقر ان تغث المآكل انما الفقر ان تغث الكرامة ، فلا تكاد عيشة العز تفارق صورها شعره ، وان كان هذا العز في جهنم وان كان الذل في جنات الخلود ، على مخاف الموت فقد يقتل العاجز وهو آمن في سريره ، وقد يوقى الشجاع وهو غارق في الدماء ، على مخاف الموت والموت لا بد منه وسواء أفرط الرجل في سلمه ام أفرط في حربه ، ان غايته الموت فاذا كان الموت غاية كل واحد فلم يتحقق الا فتنة من الرعب فالخلف في العز محبوب والذل في طول العمر بغض .

صوّر الحياة في اكمل صورها ، ينبغي للناس ان يهون عليهم رزء جسومهم اذا سلمت في هذا الرزء عقولهم واعراضهم لا تتحمل الاذى ، لا تغبط الدليل ، لا تن . هذه هي الوصايا التي لم يخل منها شعره ، دع نفسك تأخذ ما يمكنها اخذه من هذه الدنيا ، ولكن

لا تحسبن هذا الاخذ في زق اوقية ، فما الحمد الا السيف والفتكة البكر ، ما الحمد الا ضرب
أعناق الملوك وترك دوي في الدنيا ، اسع الى الحمد ما استطعت اليه سبيلاً ، اطلب المال في
الحمد ، اطلب الحمد في المال ، خلف ذكراً طيباً فالذكر عمر ثمان ، اكسب هذا الحمد من
مضارب السيف ومن سنان الرمح ، قاتل في سبيل العلى ، قاتل في سبيل السلم ، السعادة في
سفك الدماء ، ابن الممالك على الاسل ، سلم شرفك من الاذى باراقة الدم على جوانبه ، اطلب
حقك بالطعن بالضرب ، الدنيا تراع ، والدنيا لمن غلب ومن استطاع ان يلتمس الاشياء
اغتناباً لم يلتمسها سؤلاً ، اذا غامرت في شرف فلا تقنع بما دون النجوم فالموت واحد في
عظائم الامور وفي صفائرها ، لا تعمل بالآمال ، لا تقنع بالافلال ، لا تسكر فعاطاة الصفايح
والعوالي الذ من المدام ، الموت في الوغى عيش ، لا نداج ، لا قصر في امرك ، لا تهجن ،
لا تئكل على احد ، اباك والقص اذا كنت قادراً على التمام ، جالس كتبك فان الكتاب
خير جليس ، اكرم الكريم فتملكه ، لا تكرم اللئيم فيتمرد ، احرص على الحياة فان الحياة شبيهة
واحرص على اللذات ، لتكن في حرصك على هذه الحياة وعلى هذه اللذات مجبلاً مكرماً ،
اباك والغواني فانهم ضياء في بواطنه ظلام ، لا عهد لمن ، يحقدن فلا يبقى في قلبهم رضى
ويرضين فلا يبقى في قلبهم حقد . هذه هي الحياة التي يريد بها المننبي ، انها حياة سامية
ولكنها مزوجة بالدم ، بعيدة عن الهدوء والسكينة ، مملوءة بالقلق والاضطراب ، كلها
نزاع ، وكلها غلاب ، وهل الدنيا الا غلاب . ان الحياة التي يريد بها ابو الطيب انما هي حياة
القوة وهل يكون عزها بجانب غير القوي ، قاتل ، غلب ، هذا هو الهدف الاعلى الذي
يرمي اليه المننبي ، وقد قاتل وغالب كل حياته ، فما كانت فلسفته الا بنت خلقه وطبعه ،
جمعت هذه الفلسفة بين سلطان المادة وكرامة الادب ، فلا خير في المال اذا لم يزينه الحمد
ولا خير في الحمد اذا لم يؤبد به المال . وهل تكسب هذا الحمد الا بعد ازعاج البدن وافلاق
الروح . وهل نصل الى هذا المال الا بعد ذوق مرارة الموت ولكن حلاوة هذا الحمد وهذا
الموت لنسبنا مرارة الايام التي انقضت في كسب الحمد والمال .

هذه هي الحياة التي يريد بها ابو الطيب ومن كان نظره في الحياة مثل نظر ابي الطيب
فأخلق به ان يكون متشائماً لان الحمد والعز والكرامة كل هذا يقتضي مكارم الاخلاق
واين مكارم الاخلاق في زمن لا صديق فيه مخلص ولا عدو مداح اين مكارم الاخلاق

في زمن ودّ الناس فيه خداع ودّ بينهم نفاق عالمهم قدم وحازمهم وغد وبصيرهم اعمى وشجاعهم قرد يلي المنبي بهم بلاء الورد بانوف لا يصلح لها الخشاش ليس من العجب ان يكون المنبي متشاماً اذا كان في زمن وقته فيه ضائع ليس من العجب ان يحذر الناس انهم لا يرحمون فلا ترحمهم روت رحك من دماهم اقتلهم ولا اثم عليك ليس من العجب ان يرى ابو الطيب الدهر غير اهل ان تؤمل عنده حياة وان يشفق فيه الى النسل .

من مزاجه السويداوي ومن شبابه المضطرب ، واكتبه الله القلق ، ومن فرط حسه وعصبته ، ومن الذي لا قاء سبه زمنه من الحسد تولد شيء من التشاؤم في خلق المنبي ، والتشاؤم كما قال فيه الاستاذ «فاكه» مرض خلقي لا يحرم صاحبه العبقريّة على شرط ان يكون المصاب به حاصلاً على النصف الآخر من هذه العبقريّة وهو الخيال المديد .

ما هو التشاؤم ؟ ان هو الا ادراك الحياة من أوسع جوانبها ، ومن اشد نواحيها ظلمة ، واذا لم يكن هذا التشاؤم صادفاً كان ضرباً من السخرية ، واذا كان صادفاً ولم يكن لصاحبه عقل كبير كان نوعاً من الهزء ، لانه قد يفضي بالمبتلي به الى الشكوى من آلام حقيرة يقاسمها كل الناس ، ولكن تشاؤم رجل مثل ابي الطيب صاحب عقل كبير وخيال مديد ليس فيه شيء من المهزلة .

وعن هذا التشاؤم وعن هذا الالم الذي قاساه المنبي كل حياته صدرت افكار سامية من جملة هذه الافكار : العبقريّة تجعل صاحبها في شقاوة :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم
ما اصدق هذه الحكمة ! لنبحث عنها قليلا :

ملك السيارات في هذا العصر (فورد) ذهب اسم سيارته في آفاق العالم كله : يكاد فورد يستصفي ثروة الدنيا فهو يلعب بالذهب لعباً ، انه يستطيع ان يدرك امانيه كلها بالمال فلا يشك احد في عظم سلطانه ، فقد اذعنت له الدنيا بحذافيرها . وملك العلم في هذا العصر (ايسون) لقد أدهش العالم كله بمخترعاته ، فقد ضبط أصوات البشر وقرب بين متباعد المسافات بعد ان قاوا الطبيعة فهو يجد في مملكته اكبر لذة يجدها عالم في اكتشاف شيء ، يعترف بسلطانه العلماء بهجاءهم . لاريب في ان (فورد) و(ايسون) من ذوي العقول الذين أشار اليهم المنبي في شعره ، فهل شقيا في نعيمهما كما قال المنبي ، ام هما نعا على

خلاف رأي ابي الطيب ، لننظر الى رأي كل منها في سعادة الآخر .
يقول (اديسون) في سعادة (فورد) :

رأيت حديثاً كيف ركبت آلات آخر سيارة من سيارات (فورد) لقد رمى بسيارته هذه الى انحاء العالم ، وقد رفق في مخترعه توفيقاً عظيماً ، فكان يجب على فورد ان يكون سعيداً كل ايامه بسبب توفيقه هذا ، ومن واجب الأصف لبس له شيء من هذه السعادة ان (فورد) سيكون سعيداً زمناً قليلاً لانه من هؤلاء الرجال الذين لا بدوم سرورهم طويلاً ان عقله ليعذبه في كل حين لان هذا العقل تشغله امور حديثة لاحد لها ، فاذا تم له امر منها فرح به ، ثم فكر في امر آخر وعلى هذا فانه يجري من ارب الى ارب من غير ان يكون راضياً .

فاذا لم يستطع الرجال ان يحددوا مطامعهم فانهم لا يستطيعون ان يكونوا سعداء فالذي يجدر بنا ان نخسدهم في هذه الحياة انما هم الرجال الذين أبعد مهمهم ان يقبضوا على فراشة ، أسعد الناس انما هو العبد الذي يعيش وليس في قلبه مطمع من المطاعم .
بظن بعضهم ان المستر (كوليدج) كان سعيداً وهذا خطأ فقد قضيت عنده بضعة أيام فكان كل همه ان يتولى رئاسة الجمهورية فلما أُلقيت اليه مقاليد هذه الرئاسة كان كل همه ان يخرج منها وان يغادر القصر الأبيض خوفاً من تبعاته .

اما انا فقد كان أعذب ايامي تلك الايام التي كان عمري فيها اثني عشر عاماً فلم يكن لي فيها مطمع او هم واكنني لما كبرت أضعت السعادة فاذا رميت بنظري الى الاثنين والثلاثين عاماً التي عشتها وجدت فيها اياماً كنت أستطيع ان اكون في خلالها سعيداً كل السعيد غير اني كنت فيها أشقى الأشقياء .

و يقول (فورد) في سعادة (اديسون) :

أرى (اديسون) يعد عدة السعادة الكاملة لانه غارق في مشاغله فلبس به حاجة الى ان يجعل الشغل واسطة العيش وهنا السعادة كلها على خلاف ما كان يذكره العالم الكبير من انه لا سعادة في هذه الدنيا ، كان سعيداً في طفولته وشبابه فقد كان عاملاً في البرق والصحافة وصار عالماً في شبابه ، صاحب مكتشفات عظيمة ، حصلت له اسباب العمل في كل حين ، فقد أراد ان يجعل الليل نهاراً فكتب له التوفيق ، وشاء ان يردد اصداه

الصوت البشري فتمت مشيئته ، لقد وجد لذته كلها في هذا الجهد العظيم ، لان الرجل الذي يعمل من اجل غايات شريفة ، ان الرجل الذي يعمل من اجل العمل نفسه ، انما هو سعيد كل السعيد .

فاذا كان (فورد) يغبط اديسون بطراز حياته ، وهو من هو في الثروة ، واذا لم يكن (اديسون) سعيداً في ايامه وهو من هو في العلم ، فما أصدق ما قاله المنني من ان صاحب العقل يشقى بسبب عقله في النعيم ، وان اخا الجهالة بنعم في شقاوته .

وانكم لتجدون في شعر المنني كثيراً من أشباه هذه الحكمة الرائعة استنبطها من الحياة نفسها ، فيكأن الحياة قد عرضت عليه صورها المختلفة وأشكالها المتباينة فاستنبط من غيرها وشرها ومن حلاوتها ومرارتها ومن كرمها ولؤمها امثالاً قذفها في أبيات وانصاف أبيات ، فالرجل قد جرب كثيراً حتى احكمته التجارب وتغلغل في بواطن القلوب فأعطته مقاليد أسرارها ، فلا يكاد يحدث حادث في هذه الحياة الا ونجد في شعر ابي الطيب ما يمثل هذا الحادث ، فما أقرب الحكمة من طرف لسانه ، وما أجراها على شق قلبه ، والحكمة اذا كانت بنت التجارب كانت أعلى بالاً ذهناً ، وأسير في الایام ، والمنني ابن التجارب :

إذا ما الناس جريهم لبيب فاني قد أكلتهم وذاقا
دمشق : ١٧ أيار سنة ١٩٣٠



عقربة المتنبي^(١)

- ١٤ -

أحفظ من نسم عشرة سنة بيتاً من الشعر قاله الشاعر الفرنسي « بوالو Boileau » في الشاعر « مالرب Malherbe » وهذا هو صدر البيت : حتى جاء مالرب . . . واذكر أنا كننا ندرس في مدرستنا تاريخ الأدب الفرنسي الذي وضعه الاستاذ « دوميك Doumic » صاحب سر الاكاديمية وقد افضى بنا الدرس الى الفصل الذي عقده « دوميك » في الكلام على « مالرب » فالاستاذ « دوميك » يقول في تاريخه ان « حتى » هذه لنقص من مقادير من تقدم « مالرب » من الشعراء .

ولما دقت على كلمة ابن رشيق الشائعة : ^(٢) ثم جاء المتنبي فلاً الدنيا وشغل الناس خطرت ببالي في الحال كلمة « بوالو » : حتى جاء مالرب . . . فقلت في نفسي أفيجوز لي ان أقول في « ثم » هذا ما قاله « دوميك » في « حتى » تلك . أفيجوز لي ان أقول ان كلمة ابن رشيق لنقص من مقادير من تقدم المتنبي من الشعراء . أفيرد ابن رشيق ان يقول ان المتنبي عفى مر آثار من سبقه .

الصحيح ان ابا الطيب المتنبي كان مشغلة للناس متعبة لهم ولكن هل كانت عقربته وحدها السبب في شغله الناس أفلم يكن لحوادثه تأثير في هذا الشغل أفلم يكن لاتصاله بسيف الدولة وبكافور الاء خشيدي و بابر العميد وبعض الدولة اثر في هذه الشهرة الشائعة أفلم يكن في تزامم الملوك والامراء والوزراء عليه وتنافسهم فيه عامل من عوامل هذه الشهرة وعلى الخصوص فان في جملة هؤلاء المتزاممين رجالاً علت منازلهم في الادب كابن العميد مثلاً او كالمصاحب ابن عباد الذي لم يكن نصيب من أماديج المتنبي أفلم يكن في

(١) هذا الفصل والذي يتلوه لم أحضر بها في كلية الآداب وانما كتبتهما في اثناء طبع المحاضرات اي بعد عطلة الكلية تقيماً للكلام على المتنبي .

(٢) العمدة — الصفحة ٦٤ .

تضافر اكابر رجال اللغة على شرح ديوان المتنبي^١ وفي مقدمتهم ابن جني عامل من عوامل شهرة ابي الطيب ان شاعراً يقول فيه الثعالبى^(١) : فليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر ابي الطيب من مجالس الانس ولا اقلام كتّاب الرسائل أجري به من السن الخطباء في المحافل ولا لحون المغنين والقوالين أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين وقد الفت الكتب في نفسه وحل مشكله وعو بصره وكثرت الدفاتر على ذكر جيسده وردبته وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصح عن ابيكار كلامه وعونه ونفروا فرقاً في مدحه والقدح فيه والنضح عنه والتمصّب له وعليه ٠٠٠ » وان شاعراً يقول فيه القيرواني^(٢) : قد شغلت به الاسن وسهرت في اشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والّاخذ لذكرك والغائص في بحره والمفتش عن جمائه ودره وقد طال به الخلف وكثر عنه الكشف وله شيعة تغلو في مدحه وعليه خوارج النغايا في جرحه ٠٠٠ » ان شاعراً هذا هو شأنه في الادب وهذا هو شأن الادباء فيه لا بد له من ان يملأ الدنيا ويشغل الناس .

ولكن هل ينبغي لنا ونحن ندرس شعر ابي الطيب المتنبي ان نلقيه بما نقيده به المتقدمون افلا يليق بنا ان نسلخ عن عوامل الشيعة التي غلت في مدحه والخوارج التي أفرطت في جرحه حتى يكون نظرنّا في شعره صحيحاً افلا يليق بنا ان ننظر الى هذا الشعر من وجهه الشفاف حتى يتبين لنا ما وراءه وسواه عليّ اكنّت من المعجبين بابي الطيب العابدين له ام كنّت من الذين يستوي عندهم ابو الطيب وكثير من الشعراء لا استطيع ان امر بفلتات عبقريته دون الاشارة اليها او ان امرت بسحر هذه العبقرية دون التنبه عليه .

فلا بد لنا اذا نظرنا في طبائع عبقرية المتنبي وفي خصائصها ونقبتنا عن محاسنها ومساوئها من النظر في آفاقها والسماء التي حاطت في عليائها حتى ينكشف لنا كل أفق على حدة فنرى ألوان هذا الأفق سواء أكانت هذه الألوان كامدة ام كانت زاهية نضرة لا بد لنا من النظر في مذاهب ابي الطيب كلها : في غزله وفي بكائه وفي أهاجيه

(١) يتيمة الدهر : الجزء الاول ص ٢٨ .

(٢) اعلام الكلام : ص ٢٥ .

وفي أماديجه وفي وصفه على اختلاف اشكاله وفي حكمه ومن جملة هذه المذاهب تستبين لنا طبائع شعر المتنبي .

اول ما أنعرض له من مذاهب المتنبي إنما هو الغزل — هذا الغزل الذي صدر به معظم قصائده اتباعاً لاصول بني عليهما الشعراء من قبله فلم يخرم القياس ولا خرج عن الاساس على انه لم يؤثر عنه انه عشتق وقد عرضنا حوادثه كلها من ميلاده الى مقتله فما وجدنا فيه ميلاً الى شيء من العشق فعلى هذا النسيب في صدور قصائده يقول الاستاذ «فاكه» في معرض كلامه على «هوغو» : اذا لم تكن أبيات الغزل أبيات شاعر عاشق كانت مقلقة مضجرة وقد تكون هذه الابيات حسنة فلم تعرض المتنبي غزله للاضجار والافلاق وان كان في غزله شيء من الحسن .

لم أجد في كثير من نسب المتنبي الا ما أجده عادة في الشعراء المتغزلين الذين جاؤوا قبله ما خلا الشعراء العشاق الذين قال فيهم القيرواني^(١) : قد استحوذت الصباية على أفكارهم واستغرقت دواعي الحب معاني أشعارهم فكل مشغول بهواه لا يتعمدها الى سواه «لم أجد للمتنبي في غزله الا الصور التي صورها كثير من الشعراء قبله كمناجاة الديار وكاستيقاف الصبح عليها او كالغجر من نيران القلب ومن الشيب وماشاكل ذلك فهذه صور مألوقة ومذاهب معروفة لم يكن للمتنبي فيها ابداع ولا اختراع وانما مشي فيها على آثار غيره .

ففي فؤاد المحب نار جوى أحرّ نار الجحيم أبردها
شباب من الهجر فرق لفته فصار مثل الدمقس أسودها

قرأت مرة رواية وأظنها : رغائب يوحنا سرفيان وهي من روايات «اناتول فرانس» اذكر ان يوحنا هذا وهو بطل الرواية احب فتاة رومانية ممثلة وقد ملك عليه حبه عقله فكانت الدنيا في نظره صورة والحنان اي كانت الدنيا في نظره صورة الممثلة التي شهد تمثيلها وألحانها التي سمعها فكان يهيم على وجهه في جنبات الليل اليهيم فلا يزال هائماً حتى يصل الى دار حبيبته فيتأمل في أطرافها المظلمة ويقبل باجها وربما أغمى عليه فلا يفيق

الأعلى صوت هذه الممثلة فالعاشق كل العاشق من نظر الى حبيبه نظره « يوحنا » هذا الى فتاته أفيشتمل غزل المتنبي على صور مثل هذه الصورة أفكان المتنبي في غزله مثل اولئك العشاق الذين تعرض لهم الطبيعة مشاهد كثيرة فلا يحملون الا بالمشهد الذي استولى على فكرهم وتسمعون اصواتاً متباينة فلا يطرهم الا صوت حبيهم اظن انه يصعب على الباحث ان يجد في غزل المتنبي شيئاً من هذا كله .

نعم لم أجد في كثير من غزل ابي الطيب الا ما أجده في غزل كثير من الشعراء فاذا شبه القوام شبهه بالغصن و ذا شبه الوجه شبهه بالشمس والقمر واذا شبه الشعر شبهه بظلام الليل فمن هذا الشكل قوله :

غصن على نقوي فلاة نابت شمس النهار نقل ليلاً مظلماً
فالأنوان في غزل المتنبي مرردة والأصوات مكررة فالصور التي صورها انما هي صور عتيقة بالنسبة الى عصرنا هذا وبالنسبة الى عصر المتنبي نفسه فأي ابداع في تشبيه الخلد بالورد وتشبيه العين بعيون المهى او بالسيوف :

كم فتيل كما فتلت شهيد لبياض الطلي وورد الخدود
وعيون المهى ولا كميون فتكت بالمتيم المعمود

ومن هذا القبيل قوله :

من طاعني ثغر الرجال جاذر ومن السلاح دماغ وخلاخل
ولذا اسم اغطية العيون جفونها من انها عمل السيوف عوامل

فلم يخصام ابو الطيب المورد العام الذي ازدحم عليه كثير من الشعراء المتغزلين ولا ارتفع عن السماء التي حاق فيها هؤلاء الشعراء فلم يخل معظم غزله من الاشجار والافلاق لان هذا الشعر لم يصدر عن قلب تيمم الحب فالصور التي صورها انما هي صور بالية لانهز الخيلة فامثلها الا كمثل الرماد الذي يبق من النار الهامدة . وعلى الرغم من قوله - في بعض شعره :

جهد الصباية ان تكون كما أرى عين مسهدة وقلب يخفق
لم أجد - في شعره اثر أسهدة عينه وخفقان قلبه .

لولا ظباء عدي ما شغفت بهم ولا بربر بهم لولا جاذره

من كل احور في انيا به شنب خمر يخامرها مسك تخامر
 نعيم عاجره دمع نواظره حمر غفائره سود غدايره
 فهذه نغاث كثيرأ ما رددتها الشعراء قبل المتنبي وربما كانت لهم في الاجادة فيها
 نصيب اوفى من نصيب ابي الطيب فقد سلك المتنبي في غزله طريقاكثر من سلكه
 حتى شاركه فيه غيره من الشعراء فلم يتجاوز مذهبهم .

وقد تعوزه رقة العاطفة في بعض غزله فهو لا يشبه اوائك العشاق المتيمين الذين
 يفنون في عبادة من يعشقونهم ولكنه من هؤلاء العشاق اصحاب القلوب القاسية الذين
 اذا رقد احبا بهم وسهروا هم في التفكير فيهم أسفوا على لياهم التي نقصت في هذا التفكير :
 بمس الليالي سهدت من طرب شوقاً الى من يبيت يرقدها
 فان الضنى الذي بضناه في الهوى انما هو مثل السم في الشهد واللذة التي يجدها في
 هذا الضنى انما هي لذة جهل :

ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامناً لذت به جهلاً وبه اللذة الختف
 فهنا العقل يمل عليه ولا اثر في هذه الامالي للعاطفة الرقيقة على ان له من الابات
 ما يدل على فنائه في حبيبه :

زبدي اذى مهجتي ازدك هوى فأجهل الناس عاشق حاقد
 ينظر المتنبي في بعض غزله الى الحب نظر الفيلسوف المحيط بدقائق هذا الحب
 فلا يكاد يخفى عليه امر من اموره ينظر اليه نظر الفيلسوف الذي يعلم ان المرء يعشق
 عرضاً من دون ان يدري لماذا يعشق ولكنه اذا عشق رحل عقله :
 وما هي الا لحظة بعد لحظة اذا نزلت في قلبه رحل العقل
 ومنه قوله :

الى م طاعة العاذل ولا رأي في الحب للعاقل
 ومنه قوله :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخت اني اسلم
 فعقله في غزله اكثر من عاطفته والحب لا عمل فيه للعقل وانما هو ابن العاطفة على
 انه يعلم ان الحب هو الذي يغلب على اللسان حتى لا يقدر على وصف ما في قلب صاحبه :

الحب ما منع الكلام الا لسانا والذ شكوى عاشق ما اعلنا
نعم هذه هي حقيقة الحب فانه يغلب على صاحبه فلا يدري ما يقول ولكن المتنبي
لم يغلب عليه هذا الحب وانما مثله كمثل الفيلسوف الذي يريد ان يظهر اخلاق المرأة في
الشعر لا كمثل العاشق الذي يجب ان يظهر دقائق العاطفة في شعره :

اذا غدرت حسناء وفتم بعهدا فممن عهدا ان لا يدوم لها عهد
وان عشقت كانت اشدد صباية وان فركت فاذهب فافركها قصد
وان حققت لم يبق في قلبها رضى وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك اخلاق النساء وربما بضل بها الهادي ويخفى بها الرشد
فالمتنبي لم بضل باخلاق النساء .

على انه قد وردت في طائفة من غزله ابيات تكاد تلى فيها اثر العاطفة ولست
اعني بهذه الابيات قصيدته المشهورة :

من الجأذر في زي الأعراب حمر الحلي والمطايا والجلابيب
التي قال فيها الثعالبي : وناهيك بهذه الابيات جزالة وحلاوة وحسن معان كلا
ولست اعني بها البيتين المشهورين :

لبسن الوشي لا فتجمات ولكن كي يصن بها الجمالا
وضفون الغدائر لا لحسن ولكن خفن في الشعر الضلالا
الذين قال فيها الثعالبي : وهذا من احسانه المشهور الذي لا يشق غباره فيه
او البيتين التالين :

حسان التثني ينقش الوشي مثله اذا من في اجسادهن النواع
ويسمن عن درة ثقلدن مثله كأن التراقي وشحت بالباسم
او غير هذه الابيات كلها من ابيات المتنبي الحسنة في الغزل كلا اني لا اشير
الى هذا كله لان هذا الشعر كله لا يخلو من اثر الصنعة فهو حسن ولا شك ولكنه قليل
النصيب من العاطفة وانما أريد بالابيات التي تشتمل على العاطفة قوله :
أحبته والهوى وأدوره وكل حب صباية ووله

هذه هي روح العشاق وهؤلاء هم الشعراء الذين يعرفون مقدار الحب فالعاشق

يحب كل شيء من اجل حبيبه ، فهو يحب حبيبه ويحب الهوى ويحب دار الحبيب
و يقسم بالهوى و بدار الحبيب لان الحب ان هو الا ذهاب العقل ومن هذا الشكل
قوله :

واني لأعشق من اجلكم نخولي وكل امريء ناهل

ومنه قوله :

وكيف التذاذي بالاصائل والضحي اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبنا

ومنه :

اذا كان شم الروح ادنى اليكم فلا برحتني روضة وقبول

ومنه :

فليتها لا تزال آوية وليته لا يزال مأواما

نعم هذه هي روح العشاق وهذا هو رمز العاطفة ولكن أمثال هذه الابهات قليلة
في شعر المنبي ، فلم يكن ابو الطيب من اصحاب النسيب الخالد .
فاذا لم يخلد نسيب المنبي ، أفنخلد مراثيه ، أفكان ابو الطيب في هذه المراثي شجرة
الاختراع وثمره الابداع ، فلننظر في هذا كله .

ما اظن المراثي الا هذا الضرب من الشعر الذي يقرأه القاري فيتبين له في تصاعيفه
اثر اللوعة والحرقه ، او كرامة الميت ومبلغ تأثير موته في اهله وقومه الى غير ذلك من
الكلام على أخلاقه وخصائصه ، فأقبح المراثي هذه القصائد التي لا نرى فيها الا صوراً
عامة تصلح لكل رجل يبكى عليه ، ومن هذا الشكل كثير من مراثي المتقدمين التي تشمل
على الغلو في كل شيء حتي أصبحت مدعاة الى الضحك بدلاً من ان تكون مجلبة للدمع ،
فما هي خصائص مراثي المنبي ؟

رثى ابو الطيب محمد بن اسحق النخعي ورثى جدته التي كانت يحبها حباً جماً ورثى
والده سيف الدولة وابنه ابا العجاء عبد الله وعبيده يماك واخوته الصغرى واخوته الكبرى
وابا وائل تغلب بن داود حمدان وابا شجاع فاتكاً وعممة عضد الدولة .

تختلف المراثي في عظم شأنها وحقارتها على اختلاف موضوعاتها فاذا كانت المراثي
جليلاً استطاع الشاعر ان يجعل رثاءه جليلاً وتختلف العواطف فيها على قدر اتصال

الشاعر بالمرثي ، ولقد رثى ابوالطيب جماعة من أصحاب الشأن الجليل في عصرهم ورثى من يتصل بها بحكم الاتصال وهي جدته فلتنظر الى دموءه في هذه المراثي .

أرخی ابوالطيب في طائفة من مراثيه زمام الخيال بجمع به هذا الخيال حتى بلغ به ألقاً مشتركاً يسرح فيه كثير من الشعراء وكانت هذا الامر في مستقبل عمره اي في الوقت الذي لم يتقف فيه خياله كل الثقيف وهذه حالة كثير من الشعراء فانهم ينزعون في فاتحة الامر الى التقليد ولكنهم اذا كانوا من اصحاب العبقرية لا يلبثون ان يخرجوا من هذا التقليد الى الابداع وهكذا كان المتنبي في اول رثائه كراثيه للتنوخي :

ما كنت احسب قبل دفنك في الثرى ان الكواكب في التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى رضوى على ايدي الرجال تسير
خرجوا به ولكل باك خلفه صعقات موسى يوم دك الطور
والشمس في كبده السماء مريضة والارض واجفة تكاد تمور
وحفيف أجفحة الملائكة حوله وعبود اهل اللاذقية صور

لجأ الى الغلو في وصف الخطب وهذا مذهب كثير من لجأ اليه من الشعراء فلم يكن لابي الطيب فيه اجادة او احسان ففي استطاعة الشاعر ان يقول هذه الأبيات في كل رجل يموت فليس لها طابع خاص ودواوين العرب مشتملة على كثير من اشباه هذه المعاني العامة .

ولئن لم يكن لمرثية ابي الطيب في التنوخي طابع خاص فان في مرثيته في جدته طابعاً ظاهراً وقد اشترت الى هذه المرثية في كلامي على احساس المتنبي فلست أجد حاجة الى الدلالة على موطن من مواطن العاطفة فيها فالقصيدة كلها مبلولة بدموع ابي الطيب فلم ينزع المتنبي فيها الى هذه الرسوم العامة التي تكون مشتركة .

ولكن جلالة الشعر تجلت في قصيدته في أم سيف الدولة فقد وجد المتنبي مجال القول ذا سعة ، ووجد لساناً قانلاً فقال :

أطاب النفس انك مت موتاً تمتبه البواقي والحوالي
رواق العز فوقك مسيطر وملك علي ابنك في كمال
اي نعش اكرم من نعش يمشي الامراء فيه حفاة :

مشى الأمراء حوليها حفاة كأن المرو من زيف الزئال
وابرزت الحدود مخبات بضعن النفس امكنة الغوالي
انتهن المصيبة غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال
لقد استنزل ابو الطيب جلالة رحيه من جلالة الميت فظهرت آثار العظمة على

شعره .

وكذلك فقد استطاع ان يطعم بكاءه على ابن سيف الدولة بطابع خاص :
بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل وهذا الذي بضني كذاك الذي يبلي
كأنك أبصرت الذبيبي وخفته اذا عشت فاخترت الحمام على الشكل
تركت خدود الغانيات وفوقها دموع نذيب الحسن في الاعين النجل
تبل الثرى سوداً من المسك وحده وقد قطرت حمراً على الشعر الجئل
فان نك في قبر فانك في الحشا وان نك طفلاً فالأمني ليس بالطفل
ومثلك لا يبيكى على قدر سنه ولكن على قدر الخيلة والاصل
ولما بكى المتنبي على أخت سيف الدولة الصغرى كان عقله قد اختر فنظر الى
الحياة نظراً صحيحاً ومزج الفلسفة بالشعر فجاءت نظراته صادقة فيها تجربة الفيلسوف
وقال الشاعر :

ولذيذ الحياة أنفـس في النفس وأشهى من ان يمل واحلي
واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فاذا وليا عن المرء وأى
ابداً تسترد ما تهب الدنيا فيسألت جودها كان بخلا
فكفت كوت فرحة تورث الغم وخل بغادر الوجد خلا
وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهداً ولا نثم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها وبفك اليدين عنها تحلى
شيم الغانيات فيها فما أدري لذا أنث الناس اسمها ام لا
ولم يكن بكاءه على أخت سيف لدولة الكبرى باقل من بكائه على أخته الصغرى
ففي هذه المراثية أجري قلبي في وصف المصيبة فكادت المصيبة لتكلم :

طوى الجزيرة حتى جاءني خير فرعت فيه بآمالي الى الكذب
 حتى اذا لم يدع لي صدقه املاً شرفت بالدمع حتى كاد يشرق بي
 تعثرت به في الأفواه ألسنها والبرد في الطرق والأفلام في الكتب
 ثم أفاض في الكلام على أخلاق أخت سيف الدولة وألف بين هذا الكلام وبين
 صدق عاطفته وحسن وفائه وكرم مودته وقد انقطع عن سيف الدولة ولم يبق له طمع
 في العودة اليه :

أرى العراق طویل الليل مذ نعت فكيف ليل فتي النشيات في حلب
 يظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
 بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والأدب
 ومن مضت غير موروثة خلائقها وان مضت بدها موروثة النشب
 وهمها في العلى والمجد ناشئة وهم اثراها في اللهو واللعب
 يعلم حين تحيا حسن مبسمها وليس يعلم الا الله بالشنب
 هذا هو الرثاء لا تلك الصور الجامدة التي صورتها في رثاء التنوخي فان مرثيته من
 بعد مرثية التنوخي طبعت بفراط الحس وكرم العاطفة وطيب القول وصدق النظر في
 الحياة وقد لجأ الى النظرات الفلسفية في رثائه فمرة كان يختصرها :

تصفو الحياة لجاهل او غافل عما مضى فيها وما يتوقع
 ولن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
 ابن الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصراع
 تختلف الآثار عن اصحابها حيناً و بذكرها الفناء فتنبع
 وصره كان يتوسع فيها :

لا بد للانسان من ضجعة لا تقلب المضجع عن جنبه
 ينسى بها ما كان من عجبه وما أذاق الموت من كربه
 نحن بنو الموقى فما بالنا نعاف ما لا بد من شره
 نجل ايدينا بارواحنا على زمان هي من كسبه
 فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تره

لو فكر العاشق في منتهى	حسن الذي يسببه لم يسبه
لم يُر قرن الشمس في شرقه	فشكت الانفس في غربه
يموت راعي الضان في جهله	ميتة جالينوس في ظبه
وربما زاد على عمره	وزاد في الامن على سره
وغاية المفرط في سله	كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب	فؤاده يخفق من رعبه

هذه جملة القول في مرآتيه فاذا كان لها طابع خاص فما هذا الطابع الا جلالة الشأن
 ولئن قلنا د ابا الطيب في نسبه ومشى فيه على آثار غيره فقد ابدع في مرآتيه .
 « للبحث صلة »



جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

٩١

حدثنا ابو الحسن قال حدثني ابي قال رأيت بالهند قوماً يقال لهم الجبارية
ياكلون الميتة ويقذروهم جميع الهند عندهم انهم اذا ماسوهم نجسوا قال فهم
يمشون وفي اعناقهم طبول يطبلون بها لسمع اصواتهم فيتنحون عن طريقهم
فاذا لم يتنجح الرجل عند سماع الطبل فلا شيء على الجباري وان لم يضرب
الجباري الطبل حتى يلاصق جسده جسد غيره قتله الذي يلتصق جسده به
ولا يمدى عليه لان هذا من شرطهم وسنتهم. قال ولا يشرب احد من ماء
هؤلاء الجبارية ولا يأكل من طعامهم ولا يخالطهم فهم ينزلون في ظاهر
البلد فاحية. قال وهم ارمى الناس ومعاشرهم من الصيد. قال وهناك قوم يقال
لهم البابوانية يجرون مجرى المستقفين هاهنا والسلطان يطالبهم فاذا وقعوا في
يده وظفر بهم فعمل بهم كما يفعل بالصوص والبيارين قال وهم يصطادون
الناس لا يعرضون لغير ذلك قال والواحد منهم يتبع التجار الذين يطرأون
اليهم من المسلمين والذمة فاذا رأى الواحد من التجار في طريق خال قبض
عليه فحين يقبض عليه قد علم التاجر بامرهم فيسكت لانه ان استغاث او نطق
قتله الهندي وقتل نفسه في الحال لا يتألم لذلك لاعتقادهم المشهور في القتل
قال ويراهم الناس وقد اصطادوا الرجل فلا يعرضون لخلاصه لئلا يقتله ويقول

لهم الرجل الله الله ان حارضتموه فلا يمكن سلطانا ولا غيره انتزاعه من يده
في تلك الحال لئلا يعجل بقتله قال فاخبرني رجل من الهند ان رجلا من
البابوانية قبض في طريق سفر على رجل لقيه منفرداً من التجار فقال له
اشتر نفسك فتوافقا على ان يشتري نفسه منه بالف درهم فقال له التاجر تعلم اني
خرجت ولاشيء معي ومالي في البلد فتصير معي الى داري في البلد لاؤدي
ذلك اليك قال فأجابته وقبض على يده و لم يزل يمشي معه حتى اجنازا في
طريقهما بقرية الجبارية طريقهما في سكة منها فسلكاها فحين حصلوا فيها وظن
التاجر الحيلة في الخلاص وقد كان عرف مذهب الهندي في الجبارية فلم يزل
يمشي معه حتى رأى باباً مفتوحاً من دور الجبارية ف جذب يده بحمة شديدة
من يد البابواني وسعى فدخل دار الجباري فقال له مالك قال انا مستجير بك
من يد بابواني اصطادني وتعريت منه قال لا بأس عليك فاجلس فصاح
البابواني يا جباري يا جباري اخرج الي قال وهم لا يدخلون دور الجبارية
لاستقذارهم اياهم قال فخرج ووقف وبينهما عرض الطريق لانه لا يجوز
لاحدهما ان يدنو من صاحبه فقال له البابواني اعطني صاحبي قال قد استجار
بي فيه لي قال لا افعل هذا رزقي فان لم تعطنيه لم ندع جبارياً حتى قتلناه قال
فطال الكلام بينهما الى ان قال الجباري اسلمه اليك في الصحراء فامض براً
تسبقه الى الموضع فلاني قتلت فضي ودخل الرجل علي وقال لي اخرج
لا بأس عليك فخرج معه واخذ الجباري قوسه وخمسين نشابة قال وسياهم
من القصب قال فعلق المسلم بكلم الجباري ولصق به علماً منه بأن البابواني

لا يدنو منه فلما صار الى الصحراء قال له الجباري تهبه واجتهد به فلم يفعل
قال فاني لا اسلمه او لا يبقى معي سلاح قل شأنك قال وهم لا يخطئون البتة في
الرمي ففوق نحوه سهمه فحين اطلقه تلقاه البابواني بشيء كان معه فاعترض
السهم باثنين (١) فقطعه باثنين وسلم منه فتحير الجباري قال فلم يزل يرميه
بنشابة نشابة ويفعل بها البابواني مثل ذلك الى ان ذهب النشاب ولم يبق منه
الا نشابتان فضعفت نفس التاجر وايقن بالهلاك وقال للجباري الله الله في دمي
قال فقال له البابواني لا يقع لك انك قد افلت ثم اخذ سهماً فقال له الجباري
لا تقدر على ذلك وسأريك من رمي (٢) ما تحدث به ابداً انظر الى هذا
الطائر الذي يطير في السماء فاني أرميه فأصرعه على رأسك ثم أرميك فلا
اخطئك قال فشال البابواني رأسه ينظر الى الطير فرماه الجباري فاصاب
فؤاده فخر صريعاً يضطرب ومات وقال للتاجر ارجع الآن آمناً فرجع الى
داره واقام عندهم الى ان اجتاز بهم صحبة رحل معها الى مأمنه.

حدثنا ابو الحسن (٣) قال حدثني رجل من اهل دار الزبير بالبصرة
دقاق قال اورد عليّ رجل غريب سفتجة باجل فكان يتردد الى ان حلت ثم
قال ادعها عندك وأخذها متفرقة فكان يحكي في كل يوم فيأخذ بقدر نفقته
الى ان نفدت وصارت بيننا معرفة والف الجلوس عندي والنست به وكان يراني
اخرج كيس من صندوق لي فاعطي منه النفقات التي تحمل عليّ فقال لي

«١» م. ع. كذا في الاصل ولعله فاعترض السهم بالشئ فقطعه اثنين. «٢» بالاصل
ذمي «٣» الفرج بعد الشدة ٣ : ١١٠ كتاب الاذكياء.

يوماً ان قفل الرجل صاحبه في سفره وامينه في حضره وخليفته على حفظ ماله والذي ينبغي الظنة عنده عن عياله فان لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه وارى قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته لا بتاع مثله لنفسه فقلت من فلان القفال في خانات (١) الصفارين قال فما شعرت الاوقدجئت وطلبت صندوقي لا اخرج منه شيئاً من الدراهم فحمل اليّ ففتحتّه فاذا ليس فيه شيء من الدراهم فقلت للغلامي وكان غير متهم عندي هل انكرت من الدرابات شيئاً فقال لا فقلت ففتش هل ترى في الدكان نقباً ففتش فقال لا فقلت فمن السقف حيلة فقال لا فقلت اعلم ان دراهمي قد ذهبت فقلق الغلام فسكت واقت في دكاني لا أدري ما اعمل فتأخر عني الرجل فلما تأخر اهتمته وتذكرت مسألته لي عن القفل فقلت للغلام اخبرني كيف تفتح الدكان وتعلقه فقال رسمي اذا اغلقت الدكان اغلقه درابتين درابتين والدرابات في المسجد احمها دفعات اثنتين وثلاثاً في كل دفعة فاشرجها ثم اقفل وكذا افتحها فقلت البارحة واليوم كذا فعلت فقال نعم فقلت فاذا مضيت لتردد الدرابات او تحضرها على من تدع الدكان قال خالياً فقلت فمن هاهنا وقع الشر ذهبت فضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت له جاءك انسان منذ ايام اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم وحكى عن صفته كيت وكيت فاعطاني صفة صاحبي فعلمت انه جاء واختبأ للغلام (٢) وقت المساء حتى اذا انصرفت انا ومضى وهو يحمل

«١» بالاصل حوانات. «٢» عبارة الفرج اوضح : احتال على الغلام وقت المساء لما

انصرفت انا وذهب الغلام يحمل الدرابات

الدرابات دخل الدكان فاخْتَبَأَ فيه ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه الذي يقع على قفلي وانه أخذ الدراهم وجلس طول الليلة خلف الدرابات فلما جاء الغلام وفتح درابتين او ثلاث وحملها ليدفعها خرج هو وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج الى بغداد قال فسلمت دكاني الى الغلام وقلت له من سأل عني فعرّفه اني خرجت الى ضيعتي قال وخرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدي بطلب الرجل بواسط فلما صعدت من السميرية (١) طلبت خاناً في الجسر (٢) انزله فارشدت اليه فصعدت واذا بقفل مثل قفلي سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله فقال رجل قدم من البصرة اول امس فقلت اي شيء صفته فوصف صفة صاحبي فلم اشك انه هو وان الدراهم في بيته فاكثرته بيتاً الى جنبه ورصدت البيت حتى انصرف القيم وقت ففتحت القفل بمفتاحي فحين دخلت البيت وجدت كيسي بعينه ملقى فيه فاخذته وخرجت وقفلت البيت وتركته ونزلت الى السفينة التي جئت فيها وارغبت الملاح في زيادة أخرى (٣) حتى حماني وانحدرت في الحال وما اقلت بواسط الا ساعتين من النهار ورجعت الى البصرة بمالي .

حدثنا ابو الحسين حدثني رجل من اهل بغداد ان بعض من تاب من اللصوصية حدثه قال كان في الناحية الفلانية صير في كثير المال يطلبه اللصوص فلا يتم عليه حيلة ولا يقدرّون عليه قال فتواطأ عليه جماعة لصوص كنت احدهم فقالوا كيف نعمل في دخول داره فقلت اما الدخول فعلي لكم واما ما بعد

١٩٥ م . ع السميرية ضرب من السفن . ٢٢٠ في الفرج : في الكتبيين . ٣٥٠ لعله : اجرته

ذلك فلا اضميه فقالوا فما نريد الا الدخول قال فجئت وهم معي عشاء فقلت لواحد منهم (١) فتصدق فاذا خرجت الجارية اليك بشيء فتباعد وتعام عليها لتنجي، اليك تعطيك الصدقة وكن على خطأ من الباب لا تدخل انا وهي متشاغلة معك قد بعدت عن الباب فلا تراني الى ان ادخل فاختي، قال ففعل ذلك وحصلت محتبئاً في مستراح في الدهليز فلما عادت الجارية قال لها (سيدها) قد احتبست قالت (٢) حتى اعطيت السائل الصدقة قال ليس هذا قدر دفعك اليه قالت لم يكن على الباب فلحقته في الطريق واعطيته فقالوكم خطوة مشيت من الباب قالت خطأ كثيرة قال لعنك الله اخطأت علي قد حصل معي في الدار لص لا اشك فيه قال فحين سمعت هذا قامت قيامتي وتحيرت فقال لها هات القفل فجاءته به فجاء الى باب دهليز الدار والصحن بعد (٣) باب الدار فقفله من عنده ثم قال لها ادعي اللص الآن يعمل ما يشاء قال فلما انتصف الليل جاء اصحابي فصفروا على الباب ففتحت لهم باب الدار فدخلوا الدهليز واخبرتهم بالخبر فقالوا ننقب العتبة ونخرج الى الصحن ونقبوا فلما فرغوا قالوا ادخل معنا فقلت نفسي قد نبت عن هذا الرجل واحسست بشر وما ادخل البتة فاجتهدوا بي فقالوا لا نعطيك شيئاً فقات قد رضيت فدخلوا فحين حصلوا في الصحن وانا في الدهليز اسمع عليهم مشوا فيه فاذا المولى زية في اكثر الصحن محيطه به يعرفها هو وعياله فيتقون المشي عليها لئلا يهراق وهي منصوبة للحفاظ من هذا وشبهه وعليها بارية من فوق خشب رقيق جداً فحين

«١» لعله سقط : دق الباب. «٢» بالاصل قال. «٣» لعله سقط : قفل.

حصلوا عليها سقطوا اليها فاذا هي عميقة جداً لا يمكن الصعود منها فسمع المولى صوت سقوطهم فصاح وقع هو لاء وقام هو وجارته يصفقون ويرقصون وتناولوا حجارة معدة لهم فآزأوا يشدخون رؤسهم وابدانهم بها واصحابي يصيحون وانا حمد الله على السلامة الى ان اتلفهم (١) وهربت انا من الدهايز ولم اعرف لاصحابي خبراً كيف دفنوا او كيف اخرجوا فكان ذلك سبب توبيي من اللصوصية.

حدثني ابو الحسين قال حدثني رجل من البغداديين قال كنت انا حدثاً حسن الوجه فلما اتصلت لحيتي وهي طرية بعد (٢) طلبت التصرف فكتب لي الى ابي احمد النعمان ابن عبيد الله فلقيته في عمله فاكرمني وبالغ في بري وامرني بالجلوس فجلست وكلما اردت القيام احتبسني الى ان لم يبق عنده احد الا خواصه ثم احضر المائدة فاكلنا فلما فرغنا قت لا غسل يدي فلف ان لا اغسلها الا بحضرته فغسلتها وقت فقال الى اين فقلت الى منزلي فقال انت هاهنا غريب ولعالمك في خان فقلت هو كذلك فقال وموضعنا اطيب وهو خير وخيشنا بارد فاقم عندنا فقلت السمع والطاعة ولم اعرف ما في نفسه فدخلت الخيش فلما حصلت عنده فيه جمل يستدنيني ولا اعلم غرضه الى ان صرت بقربه فضرب بيده يولع بي فعلمت ان شرطه في اللواط اصحاب اللحى الطرية فصعب علي ما تم من ذلك وقات كيف اصنع ليس الا التطايب قال فقلت له ياسيدي اي شيء تريد قال اريد ان افعل كذا وكذا

فقلت ياسيدي براءتي ممي وقبضت على لحيتي قال لا تفعل هذه براءة مزورة
قلت كيف؟ قال لاني ما وقعت فيها بقلمي

النشدي ابوطاهر المعروف بسيدوك الواسطي لنفسه:

هات اسقنيها جموح البرق ما مزجت

الا لتسير سقلاطونها فينا

اذا لواعب اذروا بها غلبت

بجلائر سناها زهر (١) نسرينا

اريدني الناس ذر الشمس (٢) اذ رقصت

والماء يعرف في نار كما شينا

والنشدي لنفسه من ابيات:

ما اكثر الشعراء مذ قتل الندي

والشعر اعوز من دموع الارقم

والنشدي لنفسه قصيدة يمدح بها ابا الحسن عمران ابن شاهين امير

البطيحة وفيها (ذكر) الهدي (٣) الذي يقاتل به هو واصحابه وهو شبيه

الحراب يقول :

يسي النفوس حراب ما ادرت بها

كاس المنية الارحت ذا طرب

تظل من فضة حتى اذا وردت اصدرتها من دم الابطال من ذهب

من كل مقلية (١) الجنين ماضية قدت من الشمس او قدت من الاله
 انشدني ابو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار قال انشدني ابو اسحاق
 ابراهيم بن هليل (٢) الصابي* الكاتب لنفسه :

تورد دمعي فاستوى ومدامتي وفي (٣) مثل ماني السكاس عيني تسكب
 فوالله ما ادري اباخر أسكبت (٤) جفوني ام من دمع عيني أشرب
 وانشدني قال انشدني لنفسه (٥) :

مازلت في سكري المع كفها وذراعها بالقرص والابار (٦)
 حتى تركت ادعها وكأنا غرس البنفسج منه في الجمار
 قال وانشدني لنفسه (٧) :

فديت من شارفي لحظها (٨) من خيفة الناس بتسليمته
 لما رأته بدر الدجى زاهياً (٩) وغازها ذلك من شيمته
 سرت له البرقع عن وجهها فردت البدر الى قيمته
 وانشدني قال قرأت على ظهر دفتر:

كنا نرورك والدار دانية في كل وقت فلما شطت الدار
 صرنا نقدر وقتاً في زيارتك وليس للشوق في الاحشاء مقدار

«١» م . ع . لهما مجلية لغة في مجلوة . «٢» م . ع . المشهور هلال . «٣» م . ع . المعروف
 فن مثل ماني . «٤» م . ع . المعروف : اسبلت . «٥» معجم الادباء ١ : ٣٥٦ «٦» م . ع .
 في معجم الادباء والآثار . «٧» معجم الادباء ١ : ٣٤٨ . «٨» م . ع . كذا في الاصل
 ولعل صوابه سارقي لحظها . وفي معجم الادباء لاحظني طرفها . «٩» م . ع . في معجم الادباء .
 تائهاً .

حدثني ابو الحسن محمد بن غسان الطبيب قال كان عندنا بالبصرة في
 بیمارستان رجل موسوس يعرف بالحسن بن عون من اولاد الكتاب حبس
 في بیمارستان للعلاج في سنة ٣٤٢ وكان حبسه سنين ثم صالح فاستخدم في
 بیمارستان الى ان تكامل صلاحه وكنيت اختلف الى بیمارستان لتعلم
 الطب فكنيت اشاهده كثيراً فاول يوم علمت انه يقول الشعر سمعته وهو يقول :
 ادافع همي بالتعلل والصبر وامنع نفسي بالحديث عن الفكر
 وارجو غداً حتى اذا ماغدأتى يزيداني همي فيسلمني صبري
 فلا اھم يفني ولا العمر ينقضي ولا فرج ياتي سوى ادمع تجري
 الى الله اشكو ما اقا سي فانه عليم باني قد تحيرت في امري
 وعرفت حاله في ادبه بانشاده اياي كل يوم من قطعة شعره يعملها بحضرتي
 وشاهد عمل الجلتجين (١) في بیمارستان .

فقال وانشدنيہ لنفسه :

انظر الى الورد في أكفهم يطبع (٢) للقاطفين من ورقه
 كالقلب نار الهوى تحرقه والقلب يهوى الهوى على حرقه
 وحملت اليه شيئاً من الماء كول اشتهاه علي فكتب الى جانب حائط :
 حضرت من طرف ما بعثت به (٣) وقلت ياسيدي ومولاي

«١» م.ع الجلتجين معجون يعمل من الورد والعسل فارسي مركب من «كل» اي ورد
 و«أنجين» اي عسل «٢» لعله يضيع يعني يضيع . م.ع اطاع يطبع اي لم يتمتع على
 قاطفه ولم نجد ما يستأنس به لمجي يضيع يعني يضيع الا تضيع بمعنى اضوع . «٣» م.ع لعل اصله
 حصرت من ظرف ما بعثت به . اي عييت وعجزت عن الثناء بسبب ظرافته وحسن ما بعثت به .

لو ان اعضاء شاكرك نطقت بالشكر اثنت عليك اعضاءي
ما نفثت للكرام كلهم ويا صباحي كمثل ممساي
لو ان مابي يبعض اعداي بكيت مما اري باعداي

حدثنا القاضي ابو القاسم عمر بن حسان بن الحسين انه بلغه عن رجل قليل
المشيرة (١) ردي الدين كان يجمع بين زوجته وبين اهل الفساد في منزله قال
عشق امرأته رجل وكان مفتناً (٢) عليها في منزله واحلفها بحضرتها انها لا
تطاول زوجها على الجماع قال وكانا ليلة على شأنهما في اسفل الدار التي للزوج
فصعدت المرأة الى السطح هناك واحتبست فلما جاءت خاصمها العشيقة وقال
لعله فعل بك زوجك كذا فقالت وحلفت انه ما جرى من ذلك شيء وسمع
الزوج الكلام فقام يصلي في السطح ويصيح الله اكبر ليسمع العشيقة
ويعلمه انه لم يكن يصلي وهو جنب حتى يصلح بينه وبين المرأة بذلك.

وهذا ضد ما حدثني به ابو الحسن احمد بن يوسف بن البهلول التنوخي ان امرأة
من اهلهم بالانبار كانت قد جازت الاربعين سنة وخرجت من بيتها الى بغداد
في محنة عرضت لها فلما حصلت في الطريق رأت جملاً يدير دولاباً فقالت
ما هذا؟ فقيل لها دولاب الجمل فحلفت بالله انها ما رأت جملاً قط.

حدثنا ابو الحسين احمد بن محمد بن طريف المعروف باحمد الطويل قال
كتب اليّ ابو محمد عبد العزيز المافروخي وانا اتقلد حصن مهدي والغرض

«١» م. ع الصواب قليل الغيرة. «٢» م. ع الظاهر ان اصلها ينفق عليها وهو
اقرب الى الاصل.

والاعمال التي كنت أتقلدها مع ذلك وهو يتقلد البصرة يسألني اطلاق تمر له اجتاز علي ويعرض بان مكافأة ذلك لا تذهب عليه فأطلقت له التمر بلا ضريبة ولا موهنة وكتبت اليه اعاتبه على هذه اللفظة فكتب الي كتابا يعتذر حفظت منه قوله :

ووصل كتابك الذي أبان الله به فضلك وسهل الى سبيل المكارم سبقك وفهمته فهم معجب به و متمجب منه وسرني صدره لا لقدر الحاجة في نفسي ولا في نفسك ولكن لما انقذه من بصيرتي فيك وقواه من معرفتي بك ووجدتك وقد اضطربت من لفظة ذكرت أنني ضمنتها كتابي وهي الايضاح والتلويح بالمكافأة والتمويض ومعاذ الله ان ينطق بذلك اسائي او تجري به يدي لان مثله لايجري الا عن ذي عطن ضيق الى ذي باع في المحامد قصير ولا هذه صورتك ولا صورتي واذا كانت النفس واحدة والاموال مشتركة فأني فائدة لي في ان اتناولك ببعض مالك او ارد اليك ما هو لك فان تكن الصورة كما يخيل لي فانت أيديك الله المليم دوني وانت كنت بحمد الله ومنه من كلما يقع عليه اللوم بعيداً وان تكن الاخرى وهبت زلتي لمعذرتي فأني بشر غير معصوم والخطأ والنسيان جاريان علي .

انشدني ابو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال انشدنا ابو محمد المهلب في وزارته وعمله بين ايدينا وقد نصبت له في داره بالاهواز كلمة قصب وحركتها الريح فاستحسن ذلك وقال :

رأيت من الهوا فشمت بها اختلاس لحظ وختل فيها وجيب قلب (١)
 وحدثني ابو الفضل قال حدثني رجل من شيوخ المتصرفين بيلدنا يقال
 له عباد بن الحريش قال لما كتب علي بن المرزبان عم أهلك (٢) لعمر بن
 الليث ورقت حاله بعده (٣) حتى قلده عمالة شيراز صادر المتصرفين على اموال
 الزمهم اياها وكنت ممن أخذ خطه عن العمل الذي كان يليه بشمانين الف
 درهم قال فأديت منها أربعين الف درهم ونفدت حيلتي وحالي ولم يبق لي في
 الدنيا الا داري التي اسكنها ولا قدر لثمنها فيما بقي علي فلم ادر ما عمل
 وفكرت فوجدت علي بن المرزبان رجلاً سليم الصدر فعملت رؤيا واجمعت
 رأيي على ان القاء بها واجعلها سبباً لشكوى حالي والتوصل الى الخلاص قال
 فجلست وعملت الرؤيا وحفظتها واحتلت خمسين درهماً وبكرت من الغد
 قبل طلوع الفجر فدققت بابه (٤) كان له يجري مجرى حاجب من
 خلف الباب من انت فقلت عباد بن الحريش قال في هذا الوقت قلت نعم
 ففتح لي فدخلت وشكوت حالي وقلت هذه خمسون درهماً لا املك غيرها
 فخذها وادخلني اليه قبل تكاثر الناس عليه فان فرج الله عني فعلت بك وصنعت
 قال فدخل واستأذن لي وتلطف حتى ادخلني اليه وهو يستاك فقال ما جاء بك في
 هذا الوقت فدعوت له وقلت بشارة رأيتها في النوم البارحة فقال وما هي
 فقلت رايتك كأنك تحيي الى شيراز من حضرة الامير وتحتك فرس اشهب
 عظيم لم يرقط احسن منه وعليك السواد وقلنسوة الامير على رأسك وفي

«١» كذا بالاصل . «٢» الاصح: عمك . «٣» لعله عنده . «٤» يظهر انه قد سقط شيء .

يديك خاتمه وحواليك مائة الف انسان من فارس وراجل وقد تلقاك امير
 البلد فترجل لك وانت تجتاز وطريقك كله اخضر منور مزهر والناس
 يقولون ان الامير قد استخلف (١) على جميع امره قال وقصصت الرؤيا
 وهذا معناها فقال خيراً رأيت وخيراً يكون انشاء الله فما تريد؟ قال فشكوت
 حالي وذكرت امري فقال انظر لك بعشرين الف درهم وتؤدي عشرين
 الف درهم قال لخلفت بالطلاق انه لم يبق لي الا مسكني وبكيت وقبلت يده
 واضطربت بحضرته فرحمي وكتب لي الى الديوان باسقاط ذلك عني وانصرفت
 ولم يمض الا شهر حتى كتب عمرو بن الليث الى علي بن المرزبان يستدعيه
 ويأمره بحمل ما اجتمع له من الاموال وكان قد جمع له مالم يسمع قط باجتماع
 مثله في وقت واحد من اموال فارس فانه جمع له ستين الف الف درهم قال فحملها
 الى سابور (٢) وخرج وتلقاه عمرو بن الليث بجميع قواده واهل عسكره
 وهاله عظم ذلك المال فاستخلفه على فارس واعمالها حرباً وخراجاً وفوض
 اليه الامور كلها واذن اليه في الحل والعقد بغير استئثار وخلع عليه سواداً له
 وحمله على فرس اشهب عظيم الحلقة كان يعظمه عمرو ويكثر ركوبه ودفع
 اليه خاتمه وردّه الى فارس قال فوافاني في زمن الربيع ولم يحل الحول على
 قصتي معه فخرج امير البلد وقد صار من قبله ليستقبله وخرج الناس فتلقيه على
 ثلاثين فرسخاً واكثر وخرجت فتلقته في مضيق على العطفة التي في طريق

«١» م . ع الظاهر استخلفه

«٢» م . ع سابور كورة بفارس

خراسان وقد ذكرها (١) . وبينها وبين البلد نصف فرسخ قال فوافني وهو على
الصفة التي ذكرتها له في المنام الموضوع والدنيا على الحقيقة خضراء بآثار
الربيع وزهره وحوله اكثر من مائة الف انسان وعليه قلنسوة عمرو بن
الليث وفي يده خاتمه وعليه السواد وتحتة الفرس الاشهب وقد تلقاه امير
البلد فترجل له . قال فحين رأيته ترجلت ودعوت له فلما رأي تبسم واخذ
بيدي وادني (٢) السواد بي ثم تفرق الجيش بين يديه فلحقته الى البلد فلم
استطع القرب منه لاذحام الدواب فانصرفت وباكركته من غد في مثل
ذلك الوقت الذي كنت جئته ليلة الرويا فقال لي الحاجب من انت فقلت
عباد فقال ادخل واستأذن فدخلت وهو يستاك فضحك الي وقال قد صحت
رودياك يا عباد الحمد لله فقال لا تبرح من الدار حتى انظر في امرك قال وكان
باهله باراً ورسمه اذا ولي عملاً ان لا ينظر في شيء من امر نفسه حتى ينظر في
امر اهله فيصرف من يصلح منهم للتصرف او يبره واذا فرغ منهم تدل
الى الاخص فالأخص من حاشيته فاذا فرغ من ذلك نظر في امر نفسه
قال فجلست في الدار الى قرب العصر وهو ينظر في امر اهله والتوقيعات تخرج
بالصلوات والارزاق وكتب التقليدات الى ان صاح الحاجب عباد بن
الحريش فقمت اليه فقال اني ما نظرت في امر احد غير امر اهلي فلما فرغت

«١» م . ع قوله وقد ذكرها . مقدم وموضعه بعد قوله الاتي في المنام الموضوع
«٢» م . ع الظاهر ان اصلها وادني سوادي . من قولهم وادني سواده من سواده اي
قرب شخصه من شخصه .

منهم بدأت بك قبل الناس كلهم فاحتكم ما تريد . فقلت يرد عليّ المال الذي اديته وتقلدني العمل الذي صرفتني عنه . قال فوقع لي برد المال وتقليد العمل وقال امض فقد اوعز لك بالعمل فخذ ارتفاعه كله . قال وكان يستدعيني في كل مديدة ومحاسبي ولا يأخذ مني شيئاً انما يكتب لي روزات (١) من مال العمل ويصلح حسابات ويقبلها ويخلدها (٢) الديوان وارجع الى العمل و كنت كذلك الى ان زالت ايامه فرجعت الى شيراز وقد اجتمع لي مال عظيم صودرت منه على شيء يسير وجلست في بيتي وعقدت (٣) نعمة بالمال ولم اطلب تصرفاً الى الآن .

حدثني ابو الفضل قال حدثني ابو الحسن ثابت بن سنان الحراني الطبيب انه رأى رقعة يتواردونها (٤) بخط جبريل بن بختيشوع المتطبب فيها ثبت ما وصل اليه من يحيى بن خالد البرمكي وبيته وجواريه واولاده من ضيعة وعقار ومال وغير ذلك يحتوي على سبعين الف الف درهم وتفصيل ذلك شيئاً شديداً وانهم يحفظونها للمعجب والاعتبار قال فاستهولت ذلك وانصرفت فحدثت بذلك بعض الروساء ببغداد وكان بحضرته ابو الحسن

«١» م . ع يقال رازه روزاً اذا اختبره وجرب ما عنده والظاهر انه مأخوذ من كلمة روزي ومعناها بالفارسية يومي او يومية ثم نقلها الفرس انفسهم الى معنى الرزق والمعاش والمعنى على هذا انه كان يكتب لي عطاء من مال عملي . «٢» م . ع الظاهر ان الاصل يخلدها في الديوان او يدخلها الديوان . «٣» م . ع ولعل الاصل واعتقدت عقدة بالمال والعقدة كل مال يتأثل كالضيعة والعقار . واعتقده اشتراه . «٤» م . ع يقال وارده الماء وتوارده اذا ورده معه وبين الشاعرين توارد على معنى واحد ولعلها يتوارثونها .

علي بن هارون المنجم فقال وأي شيء تتمتع من هذا .

حدثني ابي عن ابيه قال (١) كنت بحضرة المتوكل في يوم مهرجان او نيروز وهو جالس والهدايا تحمل اليه من كل شيء عظيم ظريف مليح الى ان ضربت دباب (٢) الظهر وهم بالقيام فدخل بختيشوع الطبيب وهو ابن جبريل بن بختيشوع الاكبر فحين رآه المتوكل استدناه جيداً حتى صار مع سريره واخذ يمازحه ويلاعبه ويقول اين هدية اليوم فقال له بختيشوع يا امير المؤمنين انا رجل نصراني لا اعرف هذا اليوم فاهدي فيه فقال دع هذا عنك ما تأخرت الى الآن الا انك اردت ان تكون هديتك أخير الهدايا فيوري (٣) فضلها على الهدايا فقال ما فكرت في هذا ولا حملت شيئاً فقال له بحياتي عليك . فضرب بيده الى كمه فاخرج منه مثل الدواة معمولاً من عود هندي لم ير قط مثله كالأبنوس سواداً وعليه حلقة ذهب محرق (٤) لم ير قط احسن منها عملاً ولا من الدواة قال فقدر المتوكل ان الهدية هي الدواة فاستحسنها فقال لا تعجل يا مولاي حتى ترى ما فيها ففتحها واخرج من داخلها ملقعة كبيرة محرق من ياقوت احمر قال فخطفت ابصارنا ودهشنا وتحيرنا فهبت المتوكل والبس «٥» وسكت ساعة متعجباً مفكراً ثم قال يا بختيشوع والله ما رأيت لنفسي ولا في خزائني ولا في خزائن

«١» راجع عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٤٣ «٢» م . ع . الدباب
حكاية صوت دب دب والدباب الطبل ودبب ضرب به ويحتمل ان يكون جمع دباب .
«٣» ريد فبرى وهي لغة العامة . م . ع : الظاهر فيدري فضلها . «٤» يقال حرقه بالبرد اذا برده وحك بعضه ببعض كحرقه . «٥» م . ع . ابلس تحير ودهش وسكت غمأ .

ابائي ولا سمعت ولا بلغني انه كان للملوك من بني امية ولا للملوك المعجم
 مثلها فمن اين لك هذه ؟ فقال الناس لا يطالبون بمثل هذا وقد اهديت
 اليك ما قد اعترفت بانك لم تر ولم تسمع بمثله حسناً فليس لك مسألتني عن
 غيره . قال بحياتي اخبرني فامتنع . الى ان كرر عليه احلافه بحياته دفعات
 وهو يمتنع فقال ويحك احلفك بحياتي دفعات ان تحدثني حديثاً فتمتنع وقد
 بذلت لي ما هو اجل من كل شيء قال فقال له نعم يامولاي كنت حدثاً
 اصحب ابني جبريل بن بخيشوع الى دور البرامكة وهو اذ ذاك طيبهم
 لا يعرفون خدمة طيب غيره ولا يثقون برأي غيره ويدخل الى حرمهم ولا
 يستتر اكثرهم عنه . قال فصحبته يوماً وقد دخل الى يحيى بن خالد فلما خرج
 من عنده عدل به الخادم الى حجرة دنانير جاريته فدخلت معه وافضينا الى
 ستارة منصوبة في صدر مجلس عظيم وخلفها الجارية فشكت اليه شيئاً وجدته
 فاشار عليه بالفصد وكان لا يفصد بيده وانما يحمل معه من يفصد من تلامذته
 ورسم الفصد عليهم خمسمائة دينار قال فندبني ذلك اليوم للفصد واخرجت
 يدها من وراء الستارة ففصدتها وحملت الي في الحال خمسمائة دينار عينا
 واخذتها وجلس ابني الى ان يحمل اليها شراب تشربه بحضرته وورمان اشار
 عليها باستعماله قال فحمل ذلك في صينية عظيمة مغطاة وتناولت منه ما ارادت
 وخرج الظرف مكشوراً فرآه ابني فقال للخادم قدمه الي فقدمه اليه فكان
 في جملة جامه فيها رمان وفيها هذه الملعقة فحين راها ابني قال والله ما رأيت
 مثل هذه الملعقة ولا الجامعة قال فقالت له دنانير بحياتي عليك يا جبريل خذها

قال ففعل وقام ينصرف فقالت له تمضي في أي شيء تدع هذه الملعقة قال لا ادري قلت أهدي اليك غلافها فقال ان تفضل «١» فقالت هاتم «٢» تلك الدواة فجاءوا بهذه الدواة فوضع ابي فيها الملعقة وحملها والجامعة في كفه وانصرفنا . فقال له المتوكل جامعة تكون هذه معلقة يجب ان تكون عظيمة القدر فحياتي ما كان من الجامعة ؟ فاضطرب وامتنع امتناعاً عظيماً الى ان احلفه مراراً بحياته . فقال اعلم اذا قلت أي شيء كانت طالبتني بها فدعني امضي واجيء بها واتخلص منك دفعة واحدة فقال افعل قال ومضى فلم يهن المتوكل الجلوس ولم يأخذ القرار حتى جاء بختيشوع «٣» واخرج من كفه جامعة على قدر الزبدية او الجامعة اللطيفة من ياقوت اصفر فوضعها بين يديه .

«للبحث صلة»

«١» كذا بالاصل يريد تنفلي . «٢» م . ع : لم يجد هاتم والمعروف هاتوا «٣» كذا بالاصل والمراد جبرئيل

رسالة الكرم



« مقارنة الأثمار وبواكيره »

في المخصص إذا قارب الشجر أن يثمر فانه يقال له المثلثم وفي اللسان في أرض فلان من الشجر الملم كذا وكذا وهو الذي قارب أن يحمل . ويقال أحبط الشجر والعشب وحبط يحبط حنوطاً إذا أدرك ثمره .

الأصمعي ونقول انه لم يحبل وربما حوّل العنب إذا ما ثمر في عام وأحال في الآخر . وفي المخصص وإذا لم تحمل الشجرة عاماً بعد أن كانت تحمل قبل أخلفت وحالت تحول حبالاً وهي شجرة حائل في شجر حوائل فإذا حملت عاماً ولم تحمل عاماً فقد عاومت . وفي مبادي اللغة وشجر واعد مرجو الثمر . وحائل لم تحمل سنتها .

وعوم الكرم فعومياً إذا كثرت حملة عاماً وقل آخر . وعنب معوم إذا حمل عاماً ولم يحمل عاماً . كذا في اللسان والتاج . وفي الأصمعي . وعنب معوم إذا ما حمل عاماً وقل حملة عاماً . وفي مبادي اللغة ويقال شجرة معاومة وكرم معاوم إذا حملت سنة ولم تحمل أخرى .

البكر الكرم الذي حمل أول مرة ^(١) والجمع ابكار قال الفراء :
إذا من ساقطن الحديث كأنه جنى النخل أو ابكار كرم تنقطف
أراد الكرم البكر الذي لم يحمل قبل ذلك .

وفي المخصص . وإذا عجلت الشجرة بالأثمار وبالينعم قيل بكّرت وأبكرت وبكّرت
تبكر بكوراً وهي بكور وجمعها بكور وإذا كان ذلك عادتاً فهي مبكار والثمرة باكورة
ثم قال وإذا أخرت فهي مثخار . والبساكورة أول ما يدرك من الثمر . وفي المصباح
باكورة الفاكمة أول ما يدرك منها وأبكرت الفاكمة أكلت باكورثها . قال أبو حاتم :
الباكورة من كل فاكمة ما يجمل الإخراج والجمع البواكير والبواكورات . وفي اللسان

(١) وفي اللسان الذي حمل أول حملة .

والبساكور من كل شيء المعجل الحبي والادراك والانشى باكورة . وابتكر الرجل اكل باكورة الفاكهة . واول كل شيء باكورته . وفي اللسان وتسرع الكرم بسوقه غرة غرة وغرة الكرم سرعة بسوقه . وغرة النبات رأسه وغرة كل شيء اوله واكرمه . الحمة لاق والمعة لوق . معلق من عنب ولحم وغيره كذا في اللسان . وفي التاج وفي بيته معاليق التمر والعنب جمع معلق وفيه ايضاً وكل معلق به شيء فهو معلقة . ويقال انما الكرم . فضل ثلثه وأكل ثلثاه .

« حب العنب وثمره »

الحب اسم جنس للحنطة وغيرها مما يكون في السنبل والاكام جمعه حبوب كفلس وفلس وواحدته حبة وتجمع على حبات على لفظها وعلى حباب كككبة وكلاب . وفي اللسان والحب الزرع صغيراً كان او كبيراً واحدته حبة والحب معروف مستعمل في اشياء حبة . حبة من بر . وحبة من شعير حتى يقولوا حبة من عنب والحبة من الشعير والبر ونحوهما والجمل احبات وحب وحُبُوب وحُبُبان والاخيرة نادرة . وفيه ايضاً الحبيبة يزور البقل والرياحين ويزر كل نبات ينبت وحده من غير ان يبذر . وفي التاج الحبة بالضم عجم العنب وقد يخفف فيقال الحبة كشبة وسبأتي .

وفيه ايضاً والحبة كشبة حبة العنب وقيل هي العنب اول ما ينبت من الحب ما لم يغرس جمعه حبي كهدي .

الأصمعي اول ما يخرج من العنب نسيجه ثمراً . وفي القاموس الثمر محركة حمل الشجر ثم قال والواحدة ثمرة وثمره كسمره^(١) . وفي المصباح الثمر بفتحين والثمرة مثله فالاول مذكور ويجمع على ثمار مثل جبل وجبال ثم يجمع الثمار على ثمر^(٢) مثل كتاب وكسب ثم يجمع على أثمار مثل عنق وأعناق . والثاني مؤنث والجمع ثمرات مثل قصبة وقصبات . والثمر هو الحمل الذي تخرجه الشجرة سواء أكل او لا فيقال ثمر الاراك وثمر العوسج وثمر الدوم وهو المقل كما يقال ثمر النخل وثمر العنب . قال الازهرى وثمر الشجر

(١) جمعها ثمره كسمر ولا تكسر لقلة فعلة في كلامهم .

(٢) في اللسان وقد يجوز ان يكون الثمر جمع ثمرة كشبة وخشب .

أطلع ثمره أول ما يخرج منه فهو مثمر . وفي اللسان والثينار كالثمر . وفيه وثمر الشجر وأثمر
صار فيه الثمر وقيل الثامر الذي بلغ أوان أن يثمر والثمر الذي فيه ثمر . وشجر ثامر إذا
أدرك ثمره وشجرة ثراء ذات ثمر .

وأثمر الذبذبات ففض نوره وعقد حبه . وقال ابن الأعرابي أثمر الشجر إذا طلع
ثمره قبل أن ينفج فهو مثمر .

الحامل ثمر الشجرة والكسر لغة فيه . وقيل الحمل بالكسر ما ظهر من ثمر الشجر
والحمل بالفتح ما بطن منه كأنه ذهب به إلى ما تحمله المرأة في البطن . وحملت المرأة
والشجرة عقلت . وشجر حامل . وفي التاج شجرة حاملة ذات حمل . وفي الخصص الحامل
منها المظم . وفي المصباح حملت الشجرة حملاً أخرجت ثمرتها فالثمرة حمل تسمية بالمصدر
وهي حامل وحاملة .

وأطعمت الشجرة أثمرت وأطعمت الثمرة أدركت أي صارت ذات طعم وأطعمت
الشجرة أدرك ثمرها ^(١) وشجر مطعم مثمر يؤكل ثمره والطعم بالفتح الأكل وما يؤديه
الدوق من حلاوة وحموضة ونحوهما . وما يشتهي من الطعام .

والطعم بالضم الطعام . والحب الذي يلقى للطير .
الأكل الثمر يقال أكل بستانك دائم وكل ما يؤكل فهو أكل وآكلت الشجرة
أطعمت وآكل النخل والزرع وكل شيء إذا أطمع وأكل الشجرة جناها .

« العنب وحبه »

العنب والعنباء ^(٢) بالمد ثمر الكرم واحدته عنب . وقال الجوهري فإن جمعته في
ادنى العدد جمعته بالناء فقلت عنبات وفي الكثير عنب وأعناب . وقد عنب العكرم

(١) وأطعمت الشجرة على افتملت أدركت ثمرتها يعني اخذت طعماً وطابت .

(٢) قال الشاعر :

نُطعمين أحياناً وحيناً نَسقين العنباء المنقى والتمين

كأنها من ثمر البساتين لا عيب إلا انهن يلمين

عن لذة الدنيا وعن بعض الدين

تعنيًا • والعذاب كشداد بائع العنب ورجل عاب ذوعنب • والعنب الخمر كما ان الخمر العنب في بعض اللغات • قال سيف الخصاص العرب تسمي العنب خمرًا والخمر عنبًا • قيل ومن الاول قوله تعالى : (اني اراي أعصر خمرًا) اي عنبًا • ونقل ابن رجلاً رأى يمانيا قد حمل عنبًا فقال ما تحمل فقال خمرًا فسمي العنب خمرًا وقيل انها لغة يمانية ومن الثاني قول الراعي :

ينازعني بها نذمان صدق شواء الطير والعنب الحقيتنا^(١)

فقد أراد الخمر • ويقال عنب خمرى يصلح للخمر •

الجبني العنب قال الشاعر : (حب الجني من شرع نزول)

يريد ما شرع من الكرم في الماء وكل ما يجني فهو جني وجناة وجمع الجني أجني وقد يجمع على أجنياء • واكثر ما يستعمل الجني فيما كان غصًا • ويقال أجني العنب وأجني الكرم اذا خرج جناه وأجني الثمر أدرك وأجني الشجر صار له جني يعني فيؤكل • وثمر جني كعني جني من ساعته وقيل الجبني الثمر المجني مادام طرياً وجني الثمر ونحوها وتجنيها واجنيها نساؤها من شجرتها • ويقال على الرجل تعليلاً اذا جني الثمرة مرة بعد أخرى فهو معلل كمحدث وفعله التعليل •

الفطر بالكسر والضم العنب^(٢) اذا بدت رؤوسه لان القضبان تنفطر عنه •

البرم بفتحين حب العنب اذا كان مثل رؤوس الذر او فوفة • وقد أبرم الكرم •

المرجود كزبور اول ما يخرج من العنب كالثآليل •

الحثر محرقة حب العنب وذلك بعد البرم حين بصير كالجبل لال^(٣) • وفي

اللسان والحثر حب العنقود اذا تبين • والحثر من العنب ما لم يوقع وهو حامض صلب لم يشكل ولم يثوم • وفي الاصمعي فاذا فرغ من تنضجه قيل حثر وفصل •

(١) هكذا رواه في اللسان والتاج وفي الخصاص ونازعني بها الخ والحقين لمجمل في

الزق • (٢) هكذا في التاج واللسان وفي الخصاص اذا بدت رؤوس حب العنب كان

فطرًا ثم كان زيمًا اذا كان مثل رؤوس الذر • (٣) هو ثمر الكوبرة وقبل حب السمسم

و يقال لما في جوف التبن من حب الجلبلان •

النفض^(١) . حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض . ويقال نفض الكرم اذا تفتحت
عناقيده واننفض الكرم نضروقه .

وجذر العنب صار حبه فوق النفض . وفي اللسان جدر^(٢) البت والشجر
وجذر^(٣) جدارة وجذر وأجدر طلعت رؤوسه في اول الربيع وذلك يكون عشراً او
نصف شهر وكذلك الأرض .

ويقال فصل الكرم . خرج حبه صغيراً أمثال البؤسن (العدس) فاذا عظم فكان
مثل الحمص قالوا أعبر اي خرج هبه وفي التاج الحبر والهبرة . حب العنب .
أعصى الكرم خرجت عيدانه او عصيته ولم يثر . قال الأصمعي وهو حين يكون
في العيدان مثل حب الخردل . « للبحث صلة »

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي العربي

(١) هكذا في اللسان . وفي المخصص النفض حب العنب حين يأخذ بعضه ببعض
او ينقبض وفي عبارة الأصمعي ثم يكون نقضاً حتى يأخذ بعضه ببعض او ينفض . وفي
القاموس والنقض بالنحر يك ما سقط من الورق والتمر وحب العنب حين يوجد بعضه في
بعض وقد زاد الزبيدي شارحه على الجملة الثانية فقال والنفض ايضاً ما تساقط من حب
العنب الخ عبارة القاموس وقد تبين أن هذه الزيادة ليست في كلام اللسان والمخصص
والأصمعي فلعلها سهو . فتأمل .

(٢) من باب قعد . (٣) ككرم .

مطبوعات حديثة

مختارات المقتطف

« وهي طائفة منتخبة ومبوبة من انباء ارتقاء العلوم في الثلث الاول من
« القرن العشرين ، عدد صفحاته ٢٨٠ صفحة وفيه عدة أشكال »

نعم الهدية هذا الكتاب من المقتطف الى مشتركيه فلقد حوى من الانباء العلمية التي
اعتدنا قراءتها في آخر صفحات المقتطف عدداً وافراً رتبنا على ثلاثة اقسام وهي اولاً
العلوم الطبيعية والرياضية ومنها النور والحرارة والجاذبية والكهرباء والكيمياء والفلك
والجيولوجية . ثانياً علوم الاحياء ومنها العلوم المختصة بالنبات والزراعة والحيوان
والانسان . ثالثاً العلوم التطبيقية وأشهرها الى علم الآثار والعاديات وما كشف العلماء
منها في اوائل هذا القرن ، ثم نقدم المواصلات في البر والبحر والجو ونقدم المحاضرات
بلا أسلاك . الخ .

وأعظم فائدة للكتاب ان القاري يجد فيه معلومات شتى في تقدم العلوم المذكورة
مجموعة في مجلد واحد لولاء لكان القاري يحتاج الى مراجعة عدد كبير من اجزاء المقتطف
او المجلدات الاجنبية . ثم انه يتذوق فيه سلاسة اللغة العلمية لغة العلامة الفقييد بعقوب
صروف الذي لم يجارها بها احد في حياته ولم يبلغ مبلغه بعد مما انه على ما نعلم ويعلم رفاقنا في
المجمع العلمي العربي بدمشق .

ولا شك ان لغة المقتطف العلمية تدنت قليلاً بعد الفقييد وهذا امر لا يستغرب لانه
لا يمكن للسيد فؤاد صروف ولا غيره ابداً كانوا ان يبحثوا في العلوم الحديثة على كثيرتها
بلغة بعقوب او يصلحوا مقالات الكتاب كما كانت يصلحها . ولكنني (وانا قائم على تنبع
المصطلحات العلمية الطبيعية والزراعية في المقتطف وغيره) اتوهم بالسيد فؤاد انه سيكون
خير خلف للفقييد في هذا الباب وهذا ما يسر كل الذين يغارون على لغتنا الكريمة .

وكنيت فيما مضى قرأت في مجلدات المقتطف معظم الأبحاث الواردة في هذا الكتاب
واقترنت كثيراً مما حوته من المصطلحات العلمية وقد عثرت اليوم في الصفحة ١٧٧ على لفظة

« زبانهين » بمعنى قرنين صغيرين وهذه اللفظة فصيحة وهي خير اسم للعضوين اللذين بسميان في علم الحشرات (Antennes) .

ولا بد لي وأنا أكتب في مجلة المجمع من لفت نظر السيد فواد المحترم الى بعض هفوات منها استعماله في الصفحة (ب) من المقدمة لفظة نوع بدلاً من صنف او ضرب فالانسان لا يستطيع اليوم ان يولد بالوسائل العلمية نوع الورد مثلاً بل يولد أصنافاً من نوع الورد (اوضروباً) . وكنت اود لو استعمل لفظة الجسور بدلاً من الكباري في الصفحة (ح) لان اللفظة التركية الأخيرة لا يفهمها غير المصرين ولذلك يمكن وضعها ضمن هلالين لا الاختصار عليها . وفي الصفحة نفسها لفظة النسيجة وهي شائعة مع انني لم أجدها في الامهات فجمع نسج نسج وجمع نسيجة نسايج . وجاء في الصفحة ٥٠ « نتروجين الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا » والصحيح « تترات الصودا أسرع فعلاً من سلفات الامونيا » او « نتروجين تترات الصودا أسرع فعلاً من نتروجين سلفات الامونيا » . وبعد اننا ننهي اصحاب شيوخ المجالات بهذا الكتاب الذي هو يد جديدة تضاف الى ما لم من الأيادي البيضاء على لغتنا العربية . « الشهابي »

الاسمدة واستعمالها

« تأليف السيد حسني المقدادي ، وهو يحتوي على ١٦٥ صفحة »

« بقطع صغير »

يشتمل هذا الكتاب على أبحاث في النبات وغذائه والتربة وعناصرها والاسمدة وتركيبها واستعمالها في أهم الزروع والأشجار .

ويظهر ان المؤلف حديث العهد بالتأليف لان رأيه في كثير من الامور لا يزال فطيراً فقد قسم أنواع الأتربة في الصفحة (٤٣) وما يليها تقسماً ناقصاً ومغلوطاً وجعل الكلس في أهم سهول الشام « أقل من كاف للزروعات » ولا سيما في الاتربة الطينية الكلسية حيث مقدار الكلس عظيم . وقال ان الآزوت (نتروجين) في أكثر نموذجات الأتربة التي أخذت من أنحاء الشام وحلت هو أقل من نصف في الألف مع انني نشرت

الى اليوم نتيجة تحليل اربعين نموذجاً من الأتربة مأخوذة من أهم أصقاع الشام الزراعية
وجميعها تحتوي على أكثر من نصف في الألف من الآزوت .
وسمى الدم والعظم زبلاً (ص ٧٢) كما سمي الروث والخثي والبعر بقايا (٧٨) . الفة
الكتاب فسقية ولا تكاد تخلو صفحة من غلظة أو غلطات .

وبعد اننا ننصح المؤلف وا.شاله من الذين درسوا الزراعة في إحدى المدارس الأجنبية
سواء أجازوا اجازة مدرستهم ام لم يحوزوها ان لا يقدموا على التأليف قبل ان يكتسبوا
وقبل قتل الموضوع الذي يؤلفون فيه درساً ونقياً . وايقتبسوا من كتب أبناء البلاد
الذين سبقوهم الى الدرس والتأليف فان الاختصار على كتب الأجانب أقصر . والأجنبي
لا يعرف أقاليمنا وأتربتنا وزروعنا كما نعرفها نحن .

« الشهابي »

مركز تحقيق وتطوير علوم راسدي

مجلد علمی عربی

(دمشق) : كانون الاول سنة ١٩٣٠ م الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٤٩ هـ

وليمة ابن واسانة

- ٢ -

فأول ما افتتح به ابن واسانة قصيدته وصفه للصيدية التي نزلت به من جراء هذه الوليمة فقال :
(من لعين تجود بالهملات ولقلب مدأمة حيرات)
(يا خليلي أقصرا عن ملاحي وارثيالي من نكبتني وارحماني)
(من عذيري من دعوة أو منت عظمحي وهدت بهولها أركاني)

ثم وصف كيف احتشد الناس على اختلاف أجناسهم من أجل الدعوة فقال :
(ضرب البوق في دمشق ونادوا لشقائي في سائر البلدان)
(النفير النفير بالخيل والرجل لي إلى بيت ذا الفتي الواساني)
(جمعوا لي الجموع من جيل جيل ن وفرغانة ومن ديلان)
(ومن الروم والصقال والتر لك وخلقاً من بؤنر والآن)
(ومن الهند والطاطم والآبر بر والكيلجوج والبيلقان)
(لم يخلأوا من عددت من الآفاق من مسلم ولا نصراني)
(والبوادي من الحجاز إلى نجد لم معندتها مع القحطاني)

هذه الأبيات نلضمّن درساً في الجغرافيا . و (الكيلجوج) بحث عنه فلم اُعتد إلى معرفته فلمل الكلمة بحرفه . واما (الآن) فهي كورة بين ارمينية و بحر الخزر . و (البيلقان) بزيادة ياء بعد الباء اسم مدينتين ذكرهما المقدسي في جغرافيته (أحسن التقاسيم) احدهما

في ارمينية والأخرى في آذربيجان . و (بلغار) هي مدينة الصقالبة الواقعة في أقصى الشمال من بلاد الروسية يذكرها فقهاء الاسلام في كتبهم عند ذكر أوقات الصلاة وتجديدها : فان الشمس لا تكاد تغرب في (بلغار) حتى تشرق بعد اقل من ساعة . فهل يصلي مسلموا تلك البلاد صلاة العشاء او هي قد سقطت عنهم بسقوط وقتها — خلاف بين الفقهاء . وربما سميت بلغار البلقان بلغاراً انزول مهاجرين من بلغار الصقالبة فيها فسموها باسم بلادهم الاصلية .

وبعد ان وصف (ابن واسانة) المدعوين من جهة أجناسهم عاد فوصفهم من جهة عاداتهم وعيوب خلقتهم فقال :

(كل شكل : فن طوال ومن حدّ بـ قصارٍ والحول والعوران)

(وشيوخ مثل الفراخ وشباب رحاب الأشداق والمصران)

(معدّهُ جُوتعت ثلاثين يوماً بسلاح الأضراس والأسنان)

ثم وصف زمن رحيلهم وتجهيلهم بالقدم اليه فقال :

(رحلوا من بيوتهم ليلة المَرّ فم من أجل أكلة بَجْجان)

(يركضون البريد تسعة أميا لـ ينص الوجيف والزملان)

(الوجيف) و (الزملان) نوعان من السير السريع و (البريد) دواب البريد فالضيوف

كانوا يشبهونها في السرعة . وقد نهينا صديقنا الاستاذ فارس بك الخوري الى نكتة

لطيفة : ذلك ان الشاعر يذكره (ليلة المرفع) كأنه يحب الناس من النصاري الذين

تركوا ليلة مرفعهم وهي مقدمة لعيدهم الكبير وأسرعوا الى الوليمة شرهاً او عيثاً في

طعام ابن واسانة .

ثم وصف وصولهم وشروعهم في التفتيش عما هيّ لهم ليطمئن قلوبهم فقال :

(لست أنسى مصيبي يوم جاؤو في وقد غصّ منهمم الوادبان)

(أشرفوا لي على زروعٍ وأحطا بـ وببت من خبزه ملاآ)

(آبن فارس ولحم طريّ وقذور تغلي على الدّيكندان)

(وشواء من الجداء ومعلو فدجاج وفائق الحلائل)

(وشراب الدّ من زورة المّة شوق بعد الصدود والمجران)

قوله (وقدور تغلي على الديكدان) في (البيتية) (الدادكان) وفي (معجم البلدان) (الداركان) بالراء وهما خطأ والصواب (الديكدان) كما قلنا وهي كلمة فارسية مركبة من (ديك) بمعنى قدر و (دان) أداة ظرفية مثل (دان) في شمعدان ومعني (الديكدان) المنصب بالحديدي الذي يوضع عليه القدر على النار . وقد لفظها (ابن واسانة) بأصلها الفارسي (ديكدان) بالكاف ومثله المقدمي في كتابه (أحسن التقاسيم) الذي ألفه سنة (٣٧٥ هـ) وهو معاصر لابن واسانة فقد قال في ص ٣٦٤ من طبعة اوربا في صفة سد بأجوج ومأجوج : « وفي أحد الحصنين آلات البناء التي بني بها السد من قدور الحديد والمغارف على كل ديكدان أربع قدور مثل قدور الصابون » . هكذا لفظها ابن واسانة والمقدمي . أما علماء اللغة فقد كتبوها في معاجمهم بالقاف هكذا : (دقدان) لتكون على وزن من الأوزان العربية (فعلال : شمالال) ولا يوجد في اللغة وزن (فيعلال) قال صاحب القاموس (والعنة دقدان القدر) أي ان معنى كلمة (العنة) عند العرب هو الدقدان الذي توضع عليه القدر .

واختلاف الأدياء واللغو بين في لفظ (ديكدان) أو (دقدان) راجع إلى الخلاف بين سيديبه والجوهري : فالأخير اشترط في تعريب الكلمة ان تكون على أوزان العرب وسيديبه أحسن الله إليه لم يشترط هذا الشرط المتعيب المنصوب .

ثم وصف ابن واسانة أحد المدعوين الذي سماه الهاشمي وشرحه العجيب فقال :

(يقسدم القوم هاشمي هربت الش - دق رجب اليمى طويل اللسان)

(هو نمس الدجاج والبط والوز - وذئب النعاج والخرفان)

ويظهر ان هذا الهاشمي هو غير الشربف أبي القاسم وأخيه الفضل اللذين يقول

فيهما :

(والشربفان أشرفا في خلال ال - خيل في موكب من الحبشان)

(فابو القاسم الكبير على ط - رفد كبت أقب كالسرحان)

(واخوه الصغير يعترض الخيل - ل على قارح عريض الأبن)

(وهما يهويان بالسوط والزجة - ل إلى ما يسوء في مسرعات)

وكان قائلاً يقول له : ولماذا إذن لا تشتمها ؟ فأجاب :

(أيُّ قلبٍ يطيق شتم بني خدي - ر البرايا وأكرم النسوان)

(غير أنني يوم القيامة اشكواهم إلى الحرة الحصان الرزان)

(وأناذي يا بنت خير النبي - بين ويا أم أكرم الفتيات)

(أي شيء صنعتُ بأهلك حتى غزواني بالسود والبعضان)

ثم جاء الدور للشعولي فوصفه قائلاً :

(والشعوليُّ حلقه حلق نرًا - من عريض الأكتاف عبل^(١) اليدان)

(لست أنساء جاثياً جاحظ الأعين - من عبوساً في صورة الغضبان)

(كالهُمّاق الغرثان يقتنص اللح - من ويهوي إلى طيور الخوان)

ووصف أدبياً وآخر كاتباً كانا من جملة الضيوف فقال :

(والأديب الذي كنت أعتدُّ غزاً في للحين فمين غزاني)

(وكذا الكاتب الذي كان جاري وصدقي ومشتكي أحزاني)

(غير أنه الأيام حتى أناني جاثماً للشقاء منذ سنانات)

(كلما شقَّق الفراريج شقَّةً - من لغيطي من فعله قصاني)

(وهو في أمره مجدُّ رخيٍّ لا يال لم بعنه الذي قد عناني)

(مجرَّه^(٢) كالسوس في الصوف في الصبي - ف بقلب خالٍ من الايمان)

ثم خاطب ابن المبشر فقال :

(قلت قل لي يا ابن المبشر ما شأ نك من بين من غزاني وشاني)

(ليس هذا من شهوة الأكل هذا من طيب البغضاء والشنآن)

وكان في المدعوين مدعو سماه (الفيلسوف) وهل هو فيلسوف حقاً أو انه يتهمكم به
تبعاً وصفه فقال :

(١) قوله عبل اليدان بالالف بدل الياء وارد على لغة من يلزم المثني الألف كقوله :

(ان اباهاً وابا اباهاً قد بلغنا في المجد غايتها)

(٢) أي مسرع مجد .

(قلت للفيلسوف لما غدا في الأكل كل يغزو كعنتر الشجعان)

(ليت شعري أمن رسائل بقرا - طر نفلسن او بني يونان)

ثم حمل حملة شديدة على احد المدعوين فوصفه باقبح الأوصاف من دون ان يسميه فقال :

(ان من أعظم المصائب يا قو م بلائي بذلك الطرمذان)

(الطرمذان) هو الذي يقول ولا يفعل ويمدح نفسه بالباطل وهذه الكلمة تصلح ان تقوم مقام كلمة (شارلانتان) الافرنسية . واذا اعترض علينا بان كلمة (الطرمذان) ثقيلة فنقول ان الذي يمدح نفسه بالباطل ثقيل ايضاً والثقل المعقوت جدير بكلمة ثقيلة مثله .

ثم وصف الشاعر ذلك الطرمذان فقال :

(رجل كالفتيق^(١) قدم بلا لب طويل في صورة الشيطان)

(بقفا كالعمود يستعذب الصف - م - ورأس أصم كالسندان)

(واسع الخلق ناقص العقل والدي - ن - غليظ الطباع كالصوان)

(يعلم المطجنات بلعاً بلا مض - غ - ويحسو النيبذ كالثعبان)

(لا تمنني يا رب - حني أراه - قد تدلى وعنقه شبران)

هذا دعاء عليه بالشنق لان المشنوق هو الذي يتدلى وتطول عنقه .

و يظهر ان الضيوف صحبوا زامراً ومغنياً لا يحسنان العزف فقال بهجوهما :

(وأتوني بزامر زمرة يحكمي حُباني العبيد والرعيان)

(الحُباني) له معنى لا يناسب التصريح به فليراجعه طلابنا الفخباء في كتب اللغة .

(ومغن غناؤه بطلق البط - ن - وبأني بالتي والغثيان)

ثم ان الشاعر هجا ضيوفه صفقة واحدة فقال :

(قصدت هذه الطوائف حمرا يا لهنكي وذاتي وامتهاني)

(قلت ما شأنكم ؟ فقالوا أغشنا ما طعمنا الطعام منذ ثمان)

(١) الفتيق الفحل من الابل والقدم الاحمق البليد .

- (وأَنَاخُوا بَنَسَا فَيَا لَكَ مِنْ بُو مَرَبُوس عَصَبِ بَرَّارُونَ)
 (عَصَبُ بَرَّارُونَ) أي صعب شديد . واستعمال (ابن وإسانة) لكلمات اللغة بدل
 على أنه راسخ في اللغة العربية خبير بفصيحتها وغريبها .
 (نَرَكُونِي بِأَقْوَمِ أَجْرَدَ مِنْ قَرْنٍ خَرٍ وَأَعْرَى ظَهْرًا مِنَ الْأَفْعَوَانِ)
 (أَكَلُوا لِي مِنَ الْجَدَاءِ ثَلَاثِينَ - نَ حَنِيدًا بِالْخُلِّ وَالزَّعْفَرَانِ)
 (الحَنِيدُ) الجدي المشوي .
 (أَكَلُوا ضَعْفَ هَاسٍ ضَوَاءٍ وَضَعْفٍ - هَاسٍ طَبِيخًا مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ)
 (أَكَلُوا لِي نَبَالَةً نَبَلَتْ عَقَ - لِي بِعَشْرِ مِنَ الدَّجَاجِ سَمَاتٍ)
 لعل النباله هي ما نسميه اليوم متبَل .
 (أَكَلُوا لِي مُضِيرَةً ضَاعَفَتْ ضَرْبَ بِلْعَمِ الدَّجَاجِ وَالْجُدَيَانِ)
 (المضيرة) عند العرب لبن حامض يطبخ باللحم فلعلها ما نسميه اليوم لبنية أو اللبنة .
 يكون فيها أرز عادةً والمضيرة لا أرز فيها فهي إذن الشاكرية .
 (أَكَلُوا لِي كَشْكِيَّةً كَشْكَشَتْ قَلْبِي - وَهَاجَتْ لِفَقْدِهَا أَشْجَانِي)
 والكشكية هي الكشكة نفسها في الراجح .
 (أَكَلُوا لِي سَبْعِينَ حَوْنًا مِنَ النَّبْ - رِ طَرِيًّا مِنْ أَعْظَمِ الْحَيْثَانِ)
 يظهر أن محصول (بردى) من السمك منذ ألف سنة كان أكثر منه الآن .
 (أَكَلُوا لِي مِنَ الْقَرِيشَاءِ وَالْأَبْرِ نَبِيٍّ وَالْمَعْقَلِيَّ وَالصَّرْفَانَ)
 لعل (القرشاء) هي ما نسميه اليوم قرشة وهي ضرب من الجبن السَّحَجَ يَكْرَهُ الْمُفْلِسُ .
 غير متماسك و (البرني) أجود التمر . أما (المعقلي) و (الصرفان) فلم أعرفهما .
 (أَكَلُوا لِي مِنَ الْكَوَامِخِ وَالْجَوْزِ مَعًا وَالْخَلَّاطِ وَالْأَجْبَانِ)
 (الكوامخ) المشبهات من الاطعمة و (الخلاط) عند الدماشقة اليوم ضرب من المشبهات
 ايضاً يتخذ من الشوندر و البازير أخرى .
 (وَمِنْ الْبَيْضِ وَالْخُلِّ مَا نَعِ - جِزْعَنْ جَمْعُهُ قَرَى حَوْرَانِ)
 (بَذَرُوا لِي مِنَ السَّفَرَجِلِ وَالنَّهْ - سَاحِ وَالرَّازِقِيَّ وَالرَّمَانَ)
 (والرياحين ما رهننت عليه جبني عند احمد الفاكهاني)

(الرازي) و يسمى الملاحي (بالتخفيف والتشديد) ضرب من العنب ابيض طويل الحب ولعله المسمى اليوم (زيني) .
وهنا إشكال : وهو ان الوليمة كانت في عيد المرافع وهذا العيد يكون في آخر الشتاء عادة فكيف وجد السفرجل والنفاح والعنب في جمرايا في ذلك الوقت . اما الرمان فيمكن خزنه الى ايام الشتاء . او لعل الذي اكلوه معقود النفاح والسفرجل وزبيب العنب لا هي نفسها :

(ذبحوا لي بالرغم يا معشر الناس ثمانين من معيز وضاف)
(ما كفاهم تذبذبهم غنم القرية حتى أنخوا على الثيران)
(ذبحوها والدمع يجري على خددي انسياً مثل انسياب الجمان)
(اكلوا كل ما حوته يميني وشمالتي وما حوي جيراني)
(ثم قالوا : هلم شبتاً فننادي - ت غلامي : قموبك خبي حصاني)
ولكن هل سكت الضيوف عن مضيقهم الذي سبهم كل هذا السب ؟ كلا بل كالوا له بالكيل الذي كال لهم وأزيد . وقد وصف ذلك فقال :

(فقالوا علي شتاً ولعننا واستباحوا عرضي بكل لسانني)
(من له قدرة على الهجوم يهجموني ومن كان فمحاء يلحاني)
وبعد ان فرغوا من الطعام والالتهام صدرت عنهم أعمال ممقونة لاثليق بالكرام وقد وصفها بقوله :

(ثم لما أتوا على كل شيء ختموا محنني بكسر الاواني)
(ثم قاموا الى الجلاهي والبا شق والاحابيل والزربطان)
يعني انهم قاموا الى صيد ما في القرية من الطيور لياكلوها فوق ما اكلوا .
(والجلاهي) بندق من طين يرمى به الطير و (الاحابيل) الشاباك و (الزربطان) والزربطانة) حرقتها عوام زمانهم عن (زربطانة) وهي فناء جوفاء كالقصبه نوضع فيها سهام صغار ينشقونها فتخا في صيد الطيور فلا تكاد تحطي . وما زالت الزربطانة والجلالاهق في خدمة الانسان حتى خلفتها البندقية .

(فرأيت الحَمَامَ بعضاً على الأَرَضِ وبعضاً ملقى على الاغصان)
 (ورأيت الدجاج في وسط القرية بقرعة معني مكسرة السيقان)
 ثم وصف تنظيفهم لأيديهم من دسم الطعام فقال :
 (اكلوا ما ذكرت ثم أضاعوا يا شقائي حملاً من الأشنان)
 (ومن الحلب المطيب بالبسان وماء الكافور سبع براني)
 ذكر الأشنان ولم يذكر الصابون مع انه كان في زمنهم . لكنه ذكر مكانه منظفاً
 آخر لا عهد لنا به . وهو الحلب المطيب بالكافور والبان . والبان اسم شجر ورقه كورق
 الصفصاف فهل هو منظف مطيب يا ترى ؟ او المراد بالبان ينحور الحصى لبان ؟ وقد قال
 انهم استعملوا من هذا الحلب المطيب سبع براني اي سبع قدور من خزف .
 ثم عاد الشاعر فذكر من تخر بهم وعيبتهم وعمر بدتهم ما لا يكاد يصدق فقال :
 (وأقاموا سوتاسهم والمككار - ن الى ان سمعت صوت الأذان)
 (ينقلون الاحطاب من حيث وافوا ها : فبالأس ضاع لي غيضان)
 (جوزه كان حملها أحسن الحمل - ل وكانت ظليمة الأفتان)
 (كان لي في فنائها منزل رخا - ب أنيق يحفه نهراش)
 (ورياض مثل البرود علاها ال - طل بين البهار والأخوان)
 (وظيور ما بينها لنفسي بجميع اللغات والألحان)
 (هي كهفي ومستظلي من الحار - ر وذخري لنائبات الزمان)
 (أحرقوها يا قوم ظلماً فكأنوا يرشقون الأخطاب بالنيران)
 (كسروا السكر فاخذت لمط فقالوا كيف تبقى بغير شاذروان)
 (قطعوا اللوز والسفرجل قضا نأ ومالوا بها على غلامي)
 (والنواظير مددوا وعلوم حنقا بالمصي والقضبان)
 ثم ذكر ان ضيوفه أخشوا في مطالبهم : فقد اقترحوا عليه ان يأتيهم بصبيان القرية
 ونساءها كي يقوموا بخدمة خصوصية فطار عقل شاعرنا الواساني وصرخ في وجوههم قائلاً
 ما بقي على جرابي الا ان تقدم لكم هذه الخدمة المغشوشة ونظم في ذلك أبياتاً رأبنا ان
 نغضب صفتها عن ذكرها .

ثم عاد القوم الى عربدتهم وإفسادهم في القرية فقال في حكاية ذلك :
 (ثم راحوا بعد العشاء الى دارهم فلم يتركوا سوى الحيطان)
 (كانت لي مقعدتي وفرش ملج فوقه مطرح من الميساني)
 (المطرح) المفرش ونقول اليوم (طراحة) والميساني نوع من الثياب يصنع في ميسان
 وهي كورة بين البصرة وواسط .

(وبساط من أحسن البسط مذخو رة لعرس او دعوة او ختان)
 (غرقوه بالبصق والبول والقي - ي فأضنى وسعره بعرتان)
 (سرقوا جيتي وسيفي وسكبي - ني وخفي وجورلي ورافي)
 (الران) شبه الطباقات التي تصان بها الساقان وتكون من جلد غالباً . وقد قرر المجمع
 العلمي استعمال الران مكان كلمة (الطباقات) التركية في ما قرر من الألفاظ .

(أوفدوا زبئنا جزافاً بلا كية - لـ بكيلونه ولا ميزان)
 (خلت داري يا اخوتي الجامع الاموي ليلاً بالنصف من رمضان)
 وبعد هذا التعب كله أما أخذ القوم لانفسهم راحة ؟ قال :

(ثم لما انتهت بهم شدة اليبط - نة خرّوا صرعى على الاذقان)
 (هوموا ساعة كتهوية الخائف في غير ارضه الفزعان)

(الفزعان) الخائف ونحن اليوم نستعمل هذه الكلمة وهي غير فاصوسية اي غير موجودة
 في قواميس اللغة وانما الموجود فيها رجل فزع وفازع . ففعل يصح لنا ان نستعمل كلمة
 فزعان استناداً الى استعمال الشاعر الواساني لها ؟ مسألة تحت الدرس في المجمع العلمي .
 ثم وصف الشاعر ما كان من ضيوفه بعد ان هبوا من نومهم يطلبون طعام الصبيحة
 فقال :

(ثم قاموا ليلاً وقد طلع الدس - ر وما ل السماء والفرقدان)
 (بصرخون الصبح باصاحب البید - ت فأبكوا عيني وراعوا جناني)
 (سحبوني من عقر داري على وجه - هي كاني أدعى الى السلطان)
 (بقلوب أشد حراً من الجنة - ر وأفسى من صخرة صوان)

و يظهر ان صديقهم هذا أفزع نسوة بيته ولا سيما ابنة الصغير (ميون) فاستعطفهم عليه قائلاً :

(قلت : رفوا لذلك الطفل ميم - و لا تبتسموه يا إخواني)
 (ما لي اكلت بقتل غريب ذي عيال ناء عن الاوطان)
 ثم ذكر من سوء صديقهم به ما لا يكاد يصدق فقال :
 (عاقوني بفرد رجل الى السة - ف وعذبت ليمني بالدخان)
 (لو رأي أبي وأمي معكو ساً ورجلاي بالعصا لنقران)
 (بكيا رحمةً وفكاً وثافي من يديهم بكل ما يملكان)

ولما رأى الشاعر ما حاق به من البلاء استغاث بالشريفين فقال :

(قلت للفضل والشريف اغيثا في . وموتي قد حل لي خاتمي)
 (واذكرا عشري وودتي واخلا صي وحناً علي واستبقياني)
 (انما انت قتلتاني وحق الله - به من أجل اكلت نندمان)
 (أشهد الله لبس عندي مشرو ب ولا في خزائني لقمنا)
 (فاستشاطا غيظاً علي وقال ال فضل قل لي باي عين تراني)
 (أنا من أحق البرية ان صدد فت ما تأتليه من أيمان)

ثم رق له الفضل وخلصه من الشنق ولكن على هذه الصورة المزعجة :

(قطع الحبل فانقلبته على رأ مي وظهري واندق لي ضلعان)
 وبعد ان يش المدعوون من طعام الصبح شفوا قلوبهم بنهب الزين فقال واصفاً ذلك :
 (ثم لما تمكّن اليأس خلو في ومالوا ميلاً على الانبان)
 (وأجيري مسخر ينقل الأت - بان بالذل عاري الجبان)
 (وهو يبي . فقلت ويحك امانص - نزع بالزين بعد مونة الفدان)

وهل اكتفوا بالزين ؟ كلا بل .

(سرفوا السرج والقناديل والزيت وأقداحنا وكل القناني)
 (لو تزي الفضل وهو يحمل في السرّ ج قيصاً مربوط الأردان)

(قد حشاه لحماً وطيراً وسبعين - من رغيفاً من اكبر الرغفان)
كل هذا صنعه ضيوفك بك يا ابن واسانة . ولكن لما كان يوجد فيهم من يرحمك
ويعطف عليك ؟ فأجاب .

(ما رثي لي سوى المبارك من ضرب - في وذاك القصير الدحدحاني)
(رفهاني وخففها الثقل عني فهما من ملامتي سالمان)
لم أجد في كتب اللغة (الدحدحاني) بمعنى القصير كما استعملها الشاعر هنا . نعم
وجدت : الدردح والدحدح ، والدحدحة والدحداح ، والدحداحة والدحداح والدحديحة
— كل ذلك بمعنى القصير . فكلمة (الدحدحاني) مما ولده الشاعر الواساني . او ان كلمة
الدحدحاني محرفة عن (الرححان) برائين وهو من الاشياء الواسع المنبسط القرب القعر :
يقال قدح رححان اي قرب القعر مع سعة فيه .

ثم ان صاحب الوليمة ختم قصيدته بالسؤال من حضراتكم أيها السادة قائلاً :
(هل سمعتم فيما سمعتم بانسا - ن عراه في دعوة ماعراني)
كلاً والله ! فان ضيوفاً يشنقون مضيفهم الى السقف ثم ينقرون رجليه بالعصا — أمر
لم نسمع بمثله الا عن ضيوفك .

جرايا اليوم

هذا ختام الكلام على وليمة ابن واسانة التي أولها في قرية جرايا منذ ألف سنة
وقد استلجنا من القصيدة ان جرايا كانت في ذلك العهد على جانب من العمران ونوفر
أسباب الرزق . اما اليوم فهل هي كذلك ؟ كلاً ! وانما أصبحت مزرعة صغيرة أضيفت
معظم أراضيها الى قرية (الهامة) وغطى اسم الهامة على اسمها . فنسيها اهل دمشق حتى
بنى الاستاذ الخطيب داره فيها كما قلنا . فأخذ اسم (جرايا) من يومئذ يدور على الأفواه
وجعل معارف الاستاذ واصدقاؤه يقولون ذهب الشيخ الى جرايا . وعاد من جرايا .
وبات في جرايا .

ثم درى الاستاذ الخطيب اني أهني محاضرة في هذا الموضوع أريد القاءها في
ردهة المجمع فقال لي :

أما وقد عزمنا على إحياء ذكر (جربا) فإننا أيضا أردنا أن نذكر ولية ابن واسانة .

ففي ضمنى يوم الثلاثاء الواقع في ١٦ تشرين الأول من هذه السنة (١٩٢٨ م) كانت السيارة تجري بي مع صاحبي المعالي وزير المعارف والمالية إلى (الربوة) (قدمر) (فالهامة) ثم عاجت بنا من جهة اليمين نحو جربا فتسللت إليها من طريق ضيق متعتج غير معتد ولا صالح لسير السيارات ، حتى وصلنا إلى نهر بردى وإذا عليه جسر جديد بني منذ بضع سنوات .

ثم جرى بنا الانوميل صعداً في سفح هضبة . وإذا دار تلوح لنا من بعيد . وإذا بها الضاحية الناصع يتلألأ في خضرة تلك الرياض كقطعة ماس على بساط زبرجد . وإذا هي دار الاستاذ الخطيب ، وإذا هو يستقبلنا ببشاشته وأسنه المهودين ، وإذا لديه طائفة من أعيان دمشق ، وإذا وليمة ابن واسانة تجددت بعد ألف سنة من الزمان (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) وهكذا كانت لنا في دار الاستاذ الخطيب . وليمة ذات رفاغية وعيش خصيب . كان الاستاذ ابن واسانة لكن من دون تبرم بالضيوف . وكان ضيوفه ضيوف ابن واسانة ولكن من دون عريضة ولا إفساد ، ولا تكاليف ممجة دونها خرط القناد .

قرية (جربا) اليوم أهمها السادة ارض ضيقة يحدها الطرف ، ولتخضع العين ، قناة الفيجة تسيل من فوقها ، ونهر بردى يجري من تحتها ، معظم أشجارها الزيتون وقدامتازت بمحصولها من الزيت الجيد ، وفيها بضعة بيوت لفلاحيتها ، وتجري فيها بعض العيون : منها عين القرية وعين الشاعر . ولقد تجولت في جنباتها مستطلعة طالع آثارها القديمة . فبدأتني على قناة محفورة في الصخر في سفح هضبتها . فإذا سعة في القناة نحو متر . ولم يبق من تلك القناة الا بقية . ومن آثار القرية قساطل خزف كانت تجري فيها الماء كالقساطل المهودة عندنا . وفوق القساطل على سماء نحو ذراع ارض مبلطة وبلاطها مرصوف بالفسيفساء وهي أحجار صغيرة كقطع أحجار زهر الطاولة من حيث الحجم والشكل رُصف بعضها إلى بعض . ثم على طول الزمان تراكت الأتربة على الفسيفساء فأصبحت أرضاً زراعية غرست فيها أشجار الزيتون . ويقول فلاحوا (جربا) نقلاً عن آبائهم إن

القساطل والفسيفساء هما بقية آثار حمام كان مشيداً في هذا المكان . وقالوا ايضاً ان عين الشاعر الموجودة في قرينهم سميت باسم شاعر كان بأوي اليها و بذكرها في أشعاره . هذا كل ما في جرايا من الآثار القديمة . ومن قصص فلاحها التي يتداولونها نقلاً عن أسلافهم ان قرينهم كانت في القديم ذات عمرات عظيم وان احد أمراء الشام الظالمين زارها فأولم له رئيس القرية وليمة جمعت من ألوان الطعام وصنوف الفواكه . ما أثار حسد ذلك الأمير الجبار ولا سيما مذ عرف ان كل ما قدم اليه على المائدة كان من محصول القرية ومستغلاتها . فرجع الى دمشق وأخذ يعمل على مصادرة مالكي جرايا واستصفاء أراضيها . ولو كان في زماننا لقال : انما فعل ذلك (باسم المصلحة العامة) ومن يومئذ اخذت القرية تندرج الى هوة التعماسة والخراب . وجعل أهلها يرحلون عنها الى القرى المجاورة فتعمر وتخرّب هي . ثم لم نعلم لها منذ ذلك الحين قائمة .

هذا ما يتحدث به فلاحوا جرايا اليوم . و يغلب على الظن ان هذه القصة ليست سوى صدى ما كانوا يسمعون من أخبار وليمة ابن واسانة المدونة في كتاب تيمة الدهر للشمالي . فان القدماء من أدباء دمشق كانوا يزورون جرايا ويتحدثون — على مسمع من فلاحها — بخبر وليمة ابن واسانة وبقصيدته التي قالها فيها . فعلقت الحادثة في أذهانهم وانتقلت الى أولادهم وأحفادهم على هذا الشكل المحرّف .

اما عين الشاعر فلا يبعد ان يكون المراد بشاعرها التي نسبت اليه هو ابن واسانة نفسه الذي كان له دار وعقار في القرية .

ربما هذه الجولة في أرجاء جرايا عدت عند الغروب الى الهضبة حيث دار الخطيب وأشرفت منها على ذلك المشهد العجيب :

هضاب ورؤي شاخصات للعيان ، شيوخ نهود الحسان ، وعلى إحدى هذه الهضبات قرية الهامة ، ويتخلل تلك الهضبات بساتين قرى الهامة والجديدة والأشرفية وغيرها من قرى الوادي . واتراءى لك من خلال الأشجار قضبان حديد السكة متمجة تمتع الأفعى التي تجدد في الحرب وتسعى .

(و بردي كالدنصل او صفحة السججل)

ثم رجعت بي الذكرى الى ما قبل الف سنة وقت ان اجتمع ضيوف الواساني في دار الواساني .

وما يدري بنا ان تكون الدار حيث الدار . كما ان الهضاب هضاب والأنهار أنهار ؟
بل ان هذه الشمس التي شهدت في أفق (جرايا) تهوي للغروب . أليست هي نفسها
التي شهدت وليمة (ابن واسانة) كما شهدت وليمة (ابن الخطيب) ؟

هاتِ أيتها الشمس حديثنا عن تلك الولاية التي كانت منذ الف سنة ، كما ستحدثين
أبنائنا بعد الف سنة عن وليمة اليوم .

فصت على أحفادنا اخبارنا كما قصصت علينا اخبار اجدادنا . صفي لابنائنا الآتين
ما نحن عليه الآن ، من التفريق والخذلان ، وكآب الزمان ، وتراكم الأحزان .

قولي لهم ان أجدادكم في القرن العشرين « كانوا ^(١) في فقر وفاقة ، وتأخر في القوة
الحربية والسياسية عن سائر الأمم ، وقد فشا فيهم فساد الأخلاق ، فكثرت الكذب والنفاق
والخيانة والتحاقد والتباغض ونفرت كلمتهم ، وجعلوا احوالهم الحاضرة والمستقبل غفلوا
عما يضرهم وعما ينفعهم وقنعوا بحياقتهم بأكلون فيها ويشربون وينامون . ثم لا ينافسون
غيرهم في فضيلة ، ولكن متى أمكن لاحد ان يضر اخاه لا يقصّر في إلحاق الضرر به .
فجعلوا بأسهم بينهم ، والأثم من ورائهم يتعلمهم لقمة بعد أخرى ، رضوا بكل عارض ،
واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا الى السكون في زوايا بيوتهم ، يسرحون في مراهم ،
ثم يعودون الى مأواهم ، والامراء منهم يقطعون ازممتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات ،
وعليهم فروض وواجبات تستغرق سيفه اداؤها أعمارهم ، ولا يؤدون منها شيئاً ، يصرفون
اموالهم في ما يقطعون به زمانهم إسرافاً وتبذيراً . نفقاتهم واسعة ، ولكن لا يدخل سيفه
حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة ، يتخاذلون ويتنافرون وينيطون المصالح العمومية
بمصالحهم الخصوصية . فربّ ثنافر بين اميرين يضيء أمة كاملة . كل منهما يخلد صاحبه .
ويستعدي عليه جاره . فيجد الاجنبي فيهما قوة فانية . وضعفاً قاتلاً . فينال من بلادهما

(١) هذه الجملة من هنا الى قوله (وحفظ الحق من تعدي الاقوياء) مقتبسة من مقال

(القضاء والقدر) احدي مقالات جريدة (المروة الوثقى) .

مالا يكلفه عدداً ولا عدة . شملهم الخوف والذعر . وعظم الجبن والخوار . بفزعون من الهمس .
و يألمون من اللمس . قعدوا عن السير الى ما يلحقون به الامم في العزة والشوكة . وخالفوا في
ذلك كله او امر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين كانوا تحت سلطانهم . بنقد موز عليهم .
و يفاخرونهم بما يعملون ويعملون . واذا اصاب قوماً من إخوانهم مصيبة او عدت عليهم عادة
لا يسعون في تخفيف مصابهم . ولا يذبحون لمناصرتهم . ولا توجد فيهم جمعيات ملية ولا
اخلاقية . يكون من مقاصدها إحياء الغيرة . وتنبه الحمية . ومساعدة الضعفاء . وحفظ
الحق من تعدي الأقوياء . »

هكذا أيتها الشمس قولي لأحفادنا عنا . وصني لهم احوالنا ، حتى اذا رأيتهم قد
أكفهرت وجوههم . وثقعت من الأذى قلوبهم . عودي فارقي بهم . وكفكتني
من دهمهم . ويشربهم ايتها الشمس بنهضتنا الجديدة . التي شيدناها على العلم والاتحاد
فكانت سبباً لسمادكم انتم ايها الاحفاد . والسلام .

« المغربي »



عبقريّة الملتنبي

- ١٤ -

أما أهاجي الملتنبي فنارة كان يهجر فيها ويخش ، فن هذا الشكل قوله :
وقد أرسى الخنزير أبي مدحته ولو علموا قد كان يهجي بما بطري
ومنه قوله :

أبالننن قد قيدني بمواعد مخافة نظم للفؤاد مروّع
وقد عرت من فرط الجهالة أنني أقيم على كذب رصيف مصنع
أقيم على عبد خصي منسافق لثيم ردي الفعل للجود مدّع

أو كقصيدته في ضبّة ، فلا تخرج هذه الأهاجي عما ينشأ به عامة القوم فقد كان
أبو الطيب يباه به مبادهة دون أن يغطيها باغطية رفيقة تستر شيئاً من سوء القول ولم
ينج من هذه الشنائم حي ولا ميت وإذا كان الطعن في الميت لا بعد من مكارم الأخلاق
فالملتنبي لم يتعفف عن هذا الطعن :

إن مات مات بلا فقد ولا أسف أو عاش عاش بلا خاف ولا خلق
منه تعلّم عبد شقّ هامته خون الصديق ودس الغدر في الملق
وحلف الف يمين غير صادقة مطرودة ككعوب الرمح في نسق
ونارة كان يتهم في أهاجيه ثمكاً امرت من القذع والفخس والتهكم في الهجاء اشد
إبلاماً من السب والشتم واقتل للخصم ، فنه قوله في كافور :
من عالم الاسود المحصى مكرمة أقومه البيض أم أباء الصيد
ومنه قوله :

من أبة الطرق يأتي مثلك الكرم أين المحاجم يا كافور والجلم
ومن هذا الشكل :

ومصر لعمرى أهل كل عجيبة ولا مثل ذا الخصي - العجوبة بكرأ
يعدّ إذا عدّ العجائب أو لا كما يتندا في العد بالأصبع الصغرى

فلا شك في ان هذا الضرب من الهجاء أعف من كيات الخنزير والمنافق والمننبي وما شابهها من كلام العامة فهو اشدّ ايجاعاً وأرفع شأنًا .

واذا لم يراع المننبي حرمة كافور في هجائه اياه فقد راعى هذه الحرمة في تعريضه بسيف الدولة فكأن هذا التعريض اثر نفس ثائرة على من تحبه يتنازعها عاملان : عامل الاغضاء على الاذى وعامل التشفي من الغيظ ولكن التشفي غلب في خاتمة الامر على الاغضاء فعرض المننبي بتنغيص سيف الدولة وبمنته دون ان يشتمل هذا التعريض على شيء من شتائم السوق .

واذا انتقلنا من هذه النواحي كلها : نواحي الغزل والبكاء والهجاء الى آفاق المدح والوصف والحكمة تبين لنا ان عبقرية المننبي ارتفعت في هذه الآفاق الى سماء اعلى وصبغت بصباغ خاص .

اول هذه المذاهب مذهب المدح على ان هذا المذهب لا يخلو من بعض المساوي ، من جعلتها تكرار المعاني في طائفة من مدائح المننبي ، والغلو في بعض مدحه ، واللجوء الى صفات تكاد تكون عامة ليس عليها شيء من رونق الجدة والطرافة .

اما تكرار المعاني فمثل مدائح ابي الطيب في هذا التكرار كمثل رواسيم بطبع بها الشاعر اي ممدوح حتى لا تكاد نجد فرقاً كبيراً بين ممدوحيه .

فمن هذا النوع وصفه لطبيعة كرم بعض ممدوحيه وهو المشطوب الذي قال فيه :
يعطي فلا مطلة بكدرها بها ولا منة ينكدها

فلم تكن هذه الصفة خاصة بالمشطوب فقد طبع بها المننبي سيف الدولة فقال له :
انت الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مدل
ومن هذا التكرار وصفه للشجاعة فقد قال في الكلابي المننبي :

لما رأوه وخيل النصر مقبلة والحرب غير عوان أسلموا الحللا
وهذا القول او ما يقرب منه قاله في سيف الدولة :

فما رأوه وحده قبل جيشه دروا ان كل العالمين فضول
ومن هذا الشكل قوله في المننبي :

وضاقت الارض حتى كان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وهذا القول او ما يشاكله قاله في سيف الدولة :
 فكما حلت عذراء عندهم فانها حلت بالسبي والجل
 والشواهد على وحدة المعاني في بعض مدائح ابي الطيب كثيرة ، فمنها قوله في ابي
 المنصور الأزدی :

أمرید مثل محمد في عصرنا لا تبلى بطلاب ما لا يلحق
 لم يخلق الرحمن مثل محمد احداً وظني انه لا يخلق
 ولكن الرحمن خلق مثل محمد وهو سيف الدولة الذي قال فيه المنني :
 ومن علي بن عبد الله معرفتي بحمله من كعبد الله او كعلي
 نعم الشواهد على وحدة المعاني كثيرة وآخر ما اذكره منها هذا البيت الذي قاله المنني
 في جعفر بن كيعم :
 يا من ألوذ به فيما أولمه ومن اعوذ به مما أحاذره
 وهذا الشيء ذاته قاله في الطرسوسي :

يا من نلوز من الزمان بظله ابداً ونطرد باسمه ابليساً
 ولست أحاول الاستقصاء في هذا الباب وانما رغبت في ذكر انماط من الامايج المنني
 استدلالاً بها على وحدة المعاني في طائفة من هذه الامايج ، فلم يكن للمنني في مدح بعض
 ممدوحيه صور خاصة اي لم يصل ابو الطيب الى اعماق الممدوح حتي يستخرج منها صورة
 خاصة بهذا الممدوح تناسبه ولا تناسب غيره من الممدوحين .
 فلنجاوز هذا العيب الى غيره من عيوب مدائح المنني ، من هذه العيوب الغلو في
 وصف الممدوح :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما اتى الظلمات صرن شمساً
 او كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعياء عيسى
 او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتي جاز فيه موسى
 او كان للنيران ضوء جبينه عبت فكان العالمون بحوسا
 فهذا ضرب من المدح خارج عن الاعتدال حتي لا يكاد يكون مبتذلاً .

ومن هذه العيوب ورود المتنبي في بعض مدائحه موارد مشبهة يردّها وبصدر عنها
كثير من الشعراء ، منها قوله :
بفني الكلام ولا يحيط بفضلكم

ومنها :

من كل أبض وضاح عمامته كأنما اشتملت نوراً على قبس
ولكن هذه السيئات قد تشفع لها حسنات المتنبي الكثيرة في مدحه التي انفرد بها
فلا يجاريه فيها مجار ، فمنها تصويره لهمة سيف الدولة :

في سبيل العلي قتالك والسلام وهذا المقام والاجذام
واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

ومنها تصويره لرباطة جأشه :

وقفت وما في الموت شك لوافف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلّى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك بامم
ومن هذا النوع قوله :

وفارس الخيل من خفت فوقرها في الدرب والدم في اعطافه دفع
فأوحدته وما في قلبه قلق واغضبته وما في لفظه قذع
بالجيش تمنع السادات كلهم والجيش باين ابي الهيثم بمنع

ومنه مدحه لكافور :

وما كنت ممن ادرك الملك بالخي وكن بايام اشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد مساعيا وانت تراها في السماء مراقيا
لبست لها كدر العجاج كأنما تري غير صاف ان ترى الجو صافيا
وقدت اليها كل أجرد ساج يؤدبك غضباناً وبثبك راضيا

ومنه مدحه لابي شجاع :

ابو شجاع ابو الشجمان فاطبة هول نمنه من الهيجاء احوال
تمّاك الحمد حتى ما المتفخر في الحمداء ولا ميم ولادال
عليه منه مرابهل مضاعفة وقد كفاه من الماذي سر بال

غير ان الحلبة التي جلى فيها ابو الطيب انما هي حلبة الوصف ولست اطلق هذا الوصف اطلاقاً وانما أريد به ناحية من نواحيه وهي ناحية المعارك ، حتى قال ابن الاثير في المثل السائر :

« واما ابو الطيب المنيني فانه اراد ان يسلك مسلك ابي تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما اعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواضع القتال ، وانا اقول فيه قولاً لست فيه متأثراً ولا منه متأثراً وذلك انه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقواله للسامع مقام افعالها حتى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد نواصلا فطريقه في ذلك يضل بسانكه ويقوم يعذر تاركه ولا شك انه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما اذاه عيانه » .

نعم ، هذه هي الناحية التي برز فيها المنيني فتكاد تمثل معظم عبقريته وربما كانت لروحه ولطباعه الاثر البالغ في نبرزه في وصف الحروب وادواتها فقد كان هذا النوع من الشعر لاصقاً بطبعه متمزجاً بروحه فكان شعره فيه صورته الناطقة واريد بهذه الصورة شغفه بالحروب ونبساطه الى رؤية الدم والشاعر يبدع في المذهب الذي تأنس به نفسه . ولقد مثل ابو الطيب في وصف المعارك جهة من جهات عصر سيف الدولة فكان شعره في هذا الوصف مرآة مصقولة تعكس تلك الجهة فقد حفظ لنا المنيني لوحاً ناطقاً يفصح عما رسم عليه من غزوات سيف الدولة وغاراته فلم يغادر امراً من امور تلك الحروب الا وضحى حتى تجلت لنا مهابة سيف الدولة في العيون ومقادير فضله في دفع الروم عن ديار الشام ومهما وصف رجال التاريخ هذه الغزوات والغارات فلا يستطيع وصفهم ان ينطق بما نطق به شعر المنيني المشتمل على صور شتى ، فاننا لا نشاء ان نعرف شيئاً عن جيش سيف الدولة وعن سفنه وعن مخافة الروم منه وعن شدة غزواته وعن صباغها القومي وصباغها الديني وعن تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم الا عرفناه .

فاذا تكلم على عرض الجيش ذكر تجافيف الخيل ومفاضات الفرسان وتراثيمهم وذكر الرايات والشعار والسلاح المسمم ووصف دربة الخيل فلا يفادر لوناً او شكلاً من الوان الوصف واشكاله ، فكأننا بمحضر جيش متكامل العدة مستقيم التعبئة .

ولما عرضت الجيش كان بهاؤه على الفارس المروحي الذؤابة منهم
حواليه بحر للتجافيف مائل يسير به طود من الخيل ايهم
تساوت به الافطار حتى كأنه يجمع اشتات البلاد وينظم
وكل فتي للعرب فوق جبينه من الضرب سطر بالأسنة معجم
يمد يده في المفاضة ضيغ وعينيه من تحت الثريكة ارقم
كأجناسها راياتها وشعارها وما لبسته والسلاح المسمم
وادبها طول القتال وطرفه يشير اليها من بعيد فنفهم
تجاوبه فعلاً وما تسمع الوحي ويسمعها لفظاً وما يتكلم
لها في الوغى زي الفوارس فوقها فكل حصان دارع مثلث
وما ذاك بخلاً بالنفوس على القنا ولكن صدم الشر بالشر اجزم

فاذا كان لهذا الوصف طبيعة فطبيعته الدقة لان ابا الطيب لم يقل عن ذكر ما يأخذ
بمجامع القلوب في عرض الجيوش ، فالذي يستهوي الطرف في هذا العرض انما هي ملابس
الخيال وملابس الفرسان وحركات الخيل والفرسان والمثني تكلم على هذا كله فما سما عن
صغيرة او عن كبيرة وهذا النوع من الوصف الدقيق يفنقر اليه الشعر العربي .
ولكن كلامه على سفن سيف الدولة لا يعد في طبقة كلامه على الجيش فان ادوات الوصف
انقصه في هذا المذهب حتى اضطر الى استعارة ادوات الخيل فلم يبين لنا الا لونا من
الالوان في وصف السفن :

فاسمها نل بطريق فسكان لها ابطاها ولك الاطفال والحرم
تلقى بهم زبد التيسار مقربة على جمعافلهما من نضحه رثم
دهم فوارسها ركاب ابطنهما مكدرودة وبقوم لا بها الألم
من الجياد التي كدت العدو بها وما لها خلق منها ولا شيم
واذا تكلم على هرب الروم هول الامر حتى تكاد نظن ان الروم بنهمون برأى منا
زرافات ووحدانا :

سراياك تترى والدمستق هارب واصحابه قتلى وامواله نهبي
اني مرعشا يستقرب البعد مقبلا وأدير اذا قبلت يستبعد القربا

كذا يترك الاعداء من يكره القنا ويقتل من كانت غنيته رعبا
 وهل رد عنه باللقا وقوفه صدور العوالي والمطهمة القبا
 مضي بعد ما لثف الرماح ساعة كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
 ولكنه ولي وللطعن سورة اذا ذكرتها نفسه لمس الجنيا
 وخلي العذارى والبطاريق والقري وشعث النصرى والقرايين والصلبا
 ولقد اكثر من الاشارة الى هرب الروم فكان في كل مرة يشير فيها الى خوفهم
 بصور الخائفين في صور ناطقة ، فمرة يحملون بالخوف :

جاز الدروب الى ما خلف خرشنة وزال عنها وذاك الروح لم يزل
 فكما حلت عذراء عندهم فانما حلت بالسبي والجل
 ان كنت ترضي بان يعطوا الجزى بذلوا منها رضاك ومن للعود بالحول
 ومرة يتخبطهم المس من هذا الخوف :

وما نجا من سفار البيض منفلت نجا ومنهن في احشائه فزع
 مباشر الامن دهرآ وهو مختبل ويشرب الخمر حولا وهو منقمع
 هذا هو الوصف الذي انفرد به ابو الطيب فلا تجاربه فيه أقلام النظراء في بيتين
 من الشعر يعرض علينا صورة الجيش :

وجيش بثنى كل طود كأنه خربق رياح واجهت غصنا رطبا
 كأن نجوم الليل خافت مغاره فمدت عليها من عجايبه حجا
 وفي بيت من الشعر يصف لنا تحريق منازل الروم وتحريب ديارهم :
 تسايها النيران في كل منزل به القوم صرعى والديار طولول
 وفي بيتين من الشعر يصف لنا اضطراب القساطل واختلاط المناهل بدماء
 الروم :

واني اهتدى هذا الرسول بأرضه وما سكنت مذسرت فيها القساطل
 ومن اي ماء كانت يسقي جياده ولم نصف من مزج الدماء المناهل
 ومثل هذا المستعر كثير في شعر المتنبي في غزوات سيف الدولة وغاراته ولست اظن
 ان في شعراء العرب شاعرا يعلو ابا الطيب في هذا المذهب .

وما هذه الروائع كلها الى جنب قصيدته في بناء الحدث :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعرف اي الساقبين الغمام
سقتهم الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتهم الجحاحم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها مثل طام
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جثث القتلى عليها ثنائم
ظريدة دهر ساقها فرددتها على الدين بالخطي والدهر راغم
وكيف ترجي الردم والروس هدمها وذا الطعن اساس لها ودعائم
وقد حاكموها والمنايا حواكم فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أتوك يجررون الحديد كأنما سرورا بيجاد ما لهن قوائم
اذا يرفقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم
خمس بشرق الارض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمائم
تجمع فيه كل احسن وأمة فما يفهم الحداث الا التراجم
فله وقت ذوب الغش ناره فلم يبق الا صارم او ضبارم
نقطع ما لا يقطع الدرع والقنا وفر من الفرسان من لا يصادم
وقفت وما في الموت شك لو اقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمريك الابطال كل هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخواجا تحتها والقوادم
بضرب اتى الهامات والنصر غائب وصار الى اللبات والنصر قادم
حقرت الردييات حتى طرحتها وحتى كأن السيف للريح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فانما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق الاحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدرهم
تدريس بك الخيل الوكور على الدرى وقد كثرت حول الوكور المطاعم
نظن فراخ الفتح انك زرتها بأمانها وهي العتاق الصلادم
اذا زلقت مشيتها يبطونها كما نتمشى في الصعيد الأراقم
فأبو الطيب شاعر العوالي والسوايق اذا وصف معركة أفاض في الكلام على الدقائق

كان الكلام على سير الخليل وسير الجيش و كان الكلام على حسن الثبات و فبح الهزيمة ، كان الكلام على
 هيات الهازم والمهزوم الى غير ذلك من الصفات التي تحتاج الى حواس قوية تعمل فيها . شاهد
 القتال والى خيال مدبدد يحجب هذه المشاهد . وقد اجتمع للمنبي شيء من هذا كله واذا اضفنا
 ما اجتمع له من قوة الحواس وامتداد الخيال ميله الى الحروب وشهوده اكثر الغزوات والغارات
 والذنه للبدو في فاتحة امره لم تعجب من زبر يزد في هذا الميدان الذي لم يلحقه به لاحق فاذا
 خلد ابو الطيب فان معظم خلوده يكون من ناحية هذا الوصف فهو وسيف الدولة متلازمان
 في هذا الخلود فلا يذكر سيف الدولة الا ذكر معه المنبي ولا يذكر ابو الطيب الا ذكر معه
 سيف الدولة فلولا وصف المنبي لمعارك سيف الدولة لما كان لهذه المعارك صورناطقة ولولا
 معارك سيف الدولة لما كانت عبقرية المنبي تخلص الا من ناحية واحدة وهي ناحية الحكمة
 ولكن خوضه معارك سيف الدولة جعل له حظاً اوفى من الخلود فاذا كان الأدب مرآة
 المجتمع فشمع المنبي مرآة غزوات سيف الدولة في بلاد الروم .
 واذا كان سيف وصف المعارك شيء يسير يؤخذ به المنبي فما هذا الشيء الا تكرار
 بغض الصور في هذا الوصف ، فن هذا التكرار قوله في بعض قصائده وقد أراد ان
 يصف سرعة الخيل في سيرها :

قاد المقانب أقصى شربها نهل على الشكيم وادنى سيرها سرع
 وهذا قريب من قوله :

وخيل يراها الركض في كل بلدة اذا عرست فيها فليس ثقيل
 ومن هذا النحو قوله وقد وصف همة سيف الدولة :
 ولو كأت الخيل حتى لا تحمله تحملته الى اعدائه المهم
 وهذا شبه قوله :

اكلم رمت جيشاً فالتفتي هرباً نصرفت بك في آثاره المهم
 ومنه قوله وقد اشار الى تحريق منازل الروم :
 عبرت تقدمهم فيه وفي بلد سكانه رم مسكونها حم
 وهذا مثل قوله :

تسايرها النيران في كل منزل به القوم صرعي والديار طول

لكن وحدة هذه المعاني لا تحط من قدر هذا الوصف الجليل .

ولئن مثل أبو الطيب المنبي ناحية من نواحي « فتى الفتيان في حلب » فإنه لم يمثل لنا النواحي كلها من عصر ملك حلب ، فلم نجد في شعر المنبي ما نجد في شعر المجتري من وصف قصور بني العباس ، ونعيم الخلافة وترفها ، أفكان سيف الدولة بعيداً عن مثل هذا النعيم والترف ، أم كانت المنبي غارقاً في الكلام على الجماع والغلصم وعلى القساطر والجحافل ، فشغلته دماء لرم عن الكلام على شيء من المدامة والأتار والغم :

ألمى المالك عن نحر فقلت به شرب المدامة والأتار والغم

فلم يصل إلينا شيء من نعيم سيف الدولة إلا هذه الصورة التي صورها لنا المنبي فارتنا سيف الدولة جالساً في فلاة من الدباب :

عليها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دوح لم تغن حمامة

وفوق حواشي كل ثوب موجه من الدرّ سمط لم يشقه ناظمه

تري حيوان البر مصطلياً به يحارب ضد ضده ويسالنه

إذا ضربته الريح ماج كأنه تجول مذاكيه وتضحي ضراغمه

ومن هذه الأبيات القليلة يتبين لنا أن المنبي لا يقصر إذا شاء عن التصاوير المشتملة على ألوان براقة ولكنه انصرف عن هذا النوع من الشعر إلى مذهب الصق بنفسه وأعلق بروحه فلم يهتم بمشاهد الطبيعة على أن ما خلفه لنا من وصف شعب بوتان يدل على أن عبقرية قد نسميها الطبيعة في بعض الأوقات فإذا استهوته الطبيعة أوحى إليها خصائص الألوان فيطبع خياله مشاهدتها بطواع خاصة تليق بها وقد لا تليق بغيرها .

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان أسرار بترجمان

طبت فرساننا والخليل حتى خشيت أن كرم من الحيران

وكيف كان الأمر فإن أبو الطيب لم يتوسع في هذا المذهب توسع غيره من شعراء الطبيعة وفي مقدمتهم المجتري إلا أن الوصف الذي يشتمل عليه بعض شعره إنما هو وصف دقيق لا يخلو من روح وحياء فلما وصف الحمى :

وزائرني كأن بها حياء فليس نزور إلا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

بضيق الجلد عن نفسي وعنهما فتوسعه بأواع السقام
 كأن الصبح يطردها فتجربى مدامها بأربعة سجام
 أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
 وبصدق وعدما والصدق شر اذا القاك في الكرب العظام

انفتح فيها حياة فجعل الموصوف بمنزلة شخص ناطق ، ولكن الذي وفق فيه التوفيق انما هو
 وصف الاسد فقد خاض في دقائق الوصف كلها فلم يغفل الاشارة الى مهابة الموصوف :
 وقعت على الأردن منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا
 ورد اذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنبلا
 ولا غفل عن الاشارة الى هيأته :
 متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبديته غيلا
 ما قوبلت عيناه الا ظننا تحت الدجى نار الفريق حلولا
 ولا اهل ذكر عيشته ومشيته :
 بفي وحدة الرهبان الا انه لا يعرف التحريم والتحليلا
 بطأ الثرى مترققاً من نيه فكأنه آس يجس عليلا
 ولا قصر في تصوير استعداده للهجوم على فرسته :
 ما زال يجمع نفسه في زوره حتى حسبت العرض منه الطولا
 ويدق بالصدر الحجار كأنه ينبغي الى ما في الحضيض سبيلا

الى غير ذلك من أمرار الوصف التي دلت على ان أبا الطيب يستطيع إذا شاء ان
 يتغلغل في البواطن والظواهر فيستخرج منها اشكالا فيها حياة وشعور :
 هذا شيء من الكلام البدير على مذهب المثنوي في الوصف ، فاذا برز أبو الطيب فان
 نبرزه في وصف المعارك واذا خلد فانما يخلد من هذه الناحية ومن ناحية الحكمة فاذا كان
 المثنوي شاعر الهيماء فانه شاعر الحكمة والمثل ، فقد بلا أخلاق الناس وانمغن الدنيا
 وعرض الحياة فاستنبط من هذا كله روائع الحكم وسوائر الأمثال فلا خوف على خلود
 عبقرته مادامنا نحتاج في كل عصر من العصور الى شكوى الدهر والدنيا والناس الى
 الموعظة والاعتبار الى ما يجري في هذه الامور واشباهها ، لا خوف على خلود هذه

العبقريه مادامت العربيه لغة كثير من الخلق ، ومادام اهل هذه اللغة يتمثلون بالابيات التي
تشمّل على صور الحياه بمجامعها ، كرمها ولؤمها ، وحلوها ومرها ، وعزها وزلها ، وراحتها
وتعبها ، وخيرها وشرها ، واملها وبأسها ، فلم يخطئ ابو الطيب في قوله :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

لزمنا من بعد هذا كله ان نعرف مصادر عبقريه المنبئي ، من هم الشعراء الذين اثروا
في هذه العبقريه ، ومن هم الشعراء والكتاب الذين اثرت فيهم عبقريه ابي الطيب ، وهذا
باب لا أحتاج فيه الى التطويل ، فان المتقدمين من الادباء أمثال الثعالبي والجرجاني قد
عقدوا الفصول الطوال في الكلام على الشعراء الذين اخذ عنهم وعلى الشعراء الذين اخذوا
عنه ، فاما الذين حلوا نظمه واستمعانوا بانفاذه ومعانيه هم الصاحب بن عباد وابواسحاق
الصائي والاستاذ احمد بن ابراهيم الضبي وابوبكر الخوارزمي وابوالفرج البغواء والمهلبى الوزير
والسري بن احمد وابوالفتح علي بن محمد البستي الكاتب وابوالحسن السلامي وابوالقاسم
الزعفراني وغيرهم . واما الذين استعان بهم المنبئي هم ابونمام وابن الرومي والاعشى وابونواس
وعبدالله بن محمد المهلبى وموسى بن جابر الحنفي وعبد الله بن طاهر والعباس بن الأحنف
والجهمي واسحاق الموصلي وابوهفان وعلي بن الجهم و يعقوب بن الربيع وبكر بن النطاح وابن
المعتز وابوسعيد الخزومي وامرو القيس وكثير من أمثالهم فمن كان يهجه ان يعرف شيئاً من
هذا لاخذ فليرجع الى الجرجاني والى الثعالبي فقد شفى كل منهما وكفى وبالغ فأوفى ، اماانا
فاني على مذهب الذي يقول : العلق العسل ولا تسل عن نخله ، فسواء عليّ أمسرك المنبئي من
الشعراء ام سرقوا منه ، ان الذي يعنيني انما هو هذا القالب الذي صب فيه المسروق ، فما
أحسن ما قاله الجاحظ في هذا المعنى (١) .

والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن
في اقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة الخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما
الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير .

شفيق جبري

لغة المتنبي

- ١٥ -

إذا كان الشعر ضرباً من الصبغ وجنساً من التصوير على نحو ما عرّفه الجاحظ فما هو الصباغ الذي كان يصبغ به أبو الطيب المتنبي ، ما هي اللغة التي كان يلجأ إليها في التصوير ، ما هي مصادر هذه اللغة ، ما هي محاسنها ومقاييسها ، ولست أعني بلغة المتنبي مجرد الفاظه وإنما أريد بها أيضاً جملة فنه وما يشتمل عليه هذا الفن من المعاني والقلائد .

أظن أن لغة الشاعر إنما هي السحر الذي يسحر به والفننة التي يفنن بها ، فلا يكون الشاعر شاعراً إلا إذا أحب الالفاظ وعرف كيف ينتخبها ، فلا ريب في أن لغة الشاعر تأثيراً بليغاً في هنر العواطف وفجر بك القلوب ، فقد قرأت مرة في مجلة فرنسية أن الدكتور «ماردروس Mardrus» ترجم القرآن بعد أن استعد لهذا الأمر عشرين سنة ، وقد تكلم على هذه الترجمة أحد كتاب الفرنسيين فقال : لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب ثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً أجمع فيه المبشرون على الاعتراف بأنهم لم يستطيعوا أن يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم ، فاستنتج الدكتور (ماردروس) من ذلك أن الحكمة إذا وضعت مواضعها وانزلت منازلها كانت سحراً حلالاً .

فهل تبسر المتنبي أن يكون لفظه نوعاً من السحر وهو يسمى شعره شعر اللفظ

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعاني الدقائق

قبل أن نقبل هذا كله لا بأس أن نعرف قليلاً من مصادر لغته ، من هم الشعراء الذين كان يأخذ عنهم الفاظه ؟ .

استمعنا أبو الطيب بكثير من الشعراء في اختيار الفاظه ، وقد يطول الكلام على استقصاء اسمائهم فأجتزئ بذكر طائفة منهم كأبي تمام والبحتري وابن الرومي وأبي نواس وكثير .

أما أبو تمام فقد كان الضياء الذي يستضيء به فهو كثير الاغتراف من بحره ، لاف حبيباً كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها وبعطي المعنى حقه بعد طول النظر والبحث

عن البينة أو كالفقيه الورع يتحرق في كلامه ويخرج خوفاً على دينه^(١) .
 فمرة كان يستعين بالي تمام على انتقاء الالفاظ التي يستطيع ان يصوت بها الوان الصبح
 والليل فالمعروف ان الصبح ابيض وان الليل اسود ولكن ابا تمام قلب هذا المعنى فوصف
 اذريحان فقال :

وكانت وليس الصبح فيها بابيض فأمنت وليس الليل فيها باسود
 فاستحسن ابو الطيب هذا الكلام فقال في وصف منج :
 فالليل حين قدمت فيها ابيض والصبح منذ رحلت عنها اسود
 ومرة كان يستعين به على انتخاب الكلمات التي تفصح عن دمع عيونه ، فقد رثى
 ابو تمام اسحق بن ابي ربي فقال :

شق جيوباً من رجال لو اسطاءوا لشقوا ما وراء الجيوب
 فأعجبت ابا الطيب افظة شق ما وراء الجيوب فعزى بها سيف الدولة في عبده يمالك
 علينا لك الاسعاد ان كان نافعاً بشق قلوب لا بشق جيوب
 وحينما كان يستظهر بابي تمام على شكوى مشيب الفؤاد ، فابو تمام يقول
 شاب رأسي ومارأت مشيب الرأس الا من فضل شيب الفؤاد
 فما أحب المتنبي ان نغلتله كلمة شيب الفؤاد فقال
 الا يشب فلقد شابت له كبدي شيباً اذا خضبتة سلوة نصلا
 وحينما كان يستظهر به على شكوى الدهر ، فقد قال ابو تمام لابي سعيد محمد بن

يوسف الثغري

كثرت خطايا الدهر فيّ وقد يرى بنداك وهو اليّ منها نائب
 فأنس المتنبي بتوبة الدهر فقال لعلي بن منصور الحاجب
 حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان اليّ منها تائباً
 وكان ابو الطيب يستنزل وحيه في البكاء على الربوع من أفق ابي تمام فانه لما قال
 لك يا منازل في القلوب منازل أفقرت انت وها من منك اواهل

كان يجعل نصب عينيه بيت ابي تمام
وقفت وأحشائي منازل للامني به وهو ففر قد نعتت منازل
ولقد لجأ الى ابي تمام في التفتيش عن الفاظ يصور بها علو الشرف فلم يجد أحسن
من قوله

همة لنطح النجوم وجد آلف للخصيض فهو حضيض
فأسكرته لفظه لنطح النجوم فقال
شرف ينطح النجوم بروقيه وعزى بقلقل الأجبالا
وعمد له في التفتيش عن الفاظ يجعل بها الممدوح في حفظ الله ، فأبو تمام يقول في
المعتصم

لقد خان من يهدي سو يدا قلبه لحد سنان في يد الله عامله
فهزته كلمة في يد الله فاستقبل بها سيف الدولة وقال
على عائق الملك الأغر نجاده وفي يد جبار السماوات قائمه
ولم يشأ أبو الطيب ان يمر بتخميم ابي تمام لممدوحه دون الاغارة عليه فلما قال أبو تمام
في خالد بن يزيد الشيباني

لبس الشجاعة انها كانت له قدما نشوتا في الصبا ولدودا
قال المنبي لكافور
لبست لها كدر العجاج كأنما ترى خير صاف ان ترى الجو صافيا
ولما قال في اسحق بن ابراهيم
الا ان الندي أضفى اميرا على مال الامير ابي الحسين
قال ابو الطيب في بدر بن عمار
امير امير عليه الندي كأن له منه قلبا جسودا

اما المجتري فقد كان يأخذ عنه المنبي الفاظ الغزل ووصف الطيعة لركة ابي عبادة
فلما اراد ابو الطيب ان يجد صفة للمعين عرض على خاطره بيت المجتري :
لو كان في جسمي الذي في ناظر بك من السقم

فأعجبه هذا السقم فقال :

أعارني سقم جفنيه وحملني من الهوى ثقل ماتحوي مآزره
ولما أراد ان يجعل للاماكن لوناً من الألوان تذكر قول المجتري :
في كل مشرقة حصاهها للؤلؤ وتراها مسك يشاب بعنبر
فارتاح للعنبر واللؤلؤ فقال في وصف الثوبه :

وليلاً توسدنا الثوبه تحته كأن ثراها عنبر في المرافق
بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى تربها ثقبه للخانق

ولما أراد ان يشبه الماء بشيء لم يجد غير الفضة البيضاء فالمجتري يقول في وصف البركة :

كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
والمننبي يقول في وصف دار كافور :
ولوان الذي يخرج من الأمواه فيها من فضة بيضاء

وربما لجأ أبو الطيب الى المجتري في التقييد عن الفاظ تسير بها الأمثال فلما قال المننبي :

فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البناء على فساد
نظر الى بيت المجتري :

اذا ما الجرح رمى على فساد تبيّن فيه إفراط الطبيب
واما ابن الرومي فقد كان يأخذ عنه الألفاظ التي تمثل حالة من حالات النفس او صفة
من صفات الفكر ، فابن الرومي يقول :

ومن فرحات النفس ما يقتل

فارتاح ابو الطيب لفرح النفس فقال :

فلا ننكرن لها صرعة فن فرح النفس ما يقتل

ولما أراد أبو الطيب ان يجد صفة للفكر لم يجد غير الانقاد فقال :

أشفق عند انقاد فكرته عليه منها أخاف يشتمل
وهذا الانقاد افتبسه عن ابن الرومي :

أخشى عليك انقاد الفكر لا حذرا

واذا نظرنا الى اخذ المننبي عن ابي نواس تبين لنا انه كان يأخذ عنه الألفاظ التي
تدل على هبة المدح واتساع مناقبه فلما قال المننبي لكفور :

يُبدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعاني
خطر بباله قول ابي نواس :

كأنا انت شيء حوى جميع المعاني

ولما قال في المغيث بن علي بن بشر العجلي :

اذا بدا حجت عينيك هيبته ولبس يحجبه ستر اذا احتجبا
تذكر قول ابي نواس :

ان العيون تحجب عنك بهيبة فاذا بدوت لمن تكس ناظر

اما كثير فقد كان يأخذ عنه كلمات النسب ، فمن شعر كثير :

رممني بسهم ريشه الهدب لم يصب ظواهر جلدي فهو في القلب جارح
وهذا البيت اوحى الى ابي الطيب قوله :

راميات بأسهم ريشها الهدب تشق القلوب قبل الجلود

هذه طائفة من المصادر التي كانت تصدر عنها لغة المننبي ولا ينسج المقام لاستيعابها
وانما ذكرت اليسير منها على سبيل الاستشهاد ، فأبو الطيب كان كثير الأخذ عن ابي تمام ،
يمشي على آثاره في الفاظه ، ويصعب على قواله ، وابو تمام مشهور باسترساله في البديع ،
وميله فيه الى الرخصة واخراجه الى التعدي^(١) أفكان أبو الطيب يميل الى شيء من البديع
تجدياً لا بي تمام ، والصحيح ان ابا الطيب استرسل في البديع ففي شعره كثير من الاستعارة

والتمثيل والتشبيه والتجنيس والترديد والمقابلة والتقسيم والتفسير والاستطراد والتفريع والغلو والاطراد والاتساع والتغاير وما شابه ذلك الا انه ربما انحط به بديعه الى أسفل مراتب الاساءة .

لا ريب في ان اللجوء الى البديع انما هو من المحاسن واذا كنا نعني بالبديع الجديد من الألفاظ والتراكيب ^(١) فلا مندوحة للغننا عن هذا الجديد والسبب في ذلك ان اللغة انما هي بقية صور قديمة كانت في خوالي عصورها تمثل أشكال الحياة على تباينها ثم بليت هذه الصور وعنقت فأصبحت لا ألوان لها فهي ميتة لانهم الخيلة فاذا أحببنا ان نهز هذه الخيلة وجب علينا ان نبذل اي ان نخلق صوراً لان مثل الصور العتيقة كمثل الرماد الذي بقي من النار الخاملة فالمجددون في كل عصر انما هم الذين ينفخون في هذا الرماد حتى يتلهّب فلننظر في قسم من بديع المنبي .

من صور المنبي ، الترديد :
فقلقت بالهم الذي قلقت الحشا فلاقل عيش كلهم فلاقل
ومنه قوله :

أسد فرائسها الاسود يقودها أسد تكون له الاسود ثعالبها
ومن صور التقسيم :

أقل أنل أقطع أحمل عل سل أعد زد هش بش لفضل أدن مر صل

ومن هذه الصور الاطراد :

فأنت ابو الهيثم بن حمدان بابنه تشابه مولود كريم ووالد
وحمدان حمدون وحمدون حارث وحارث اقمات واقمان راشد
ومنها الغلو والشواهد على غلوه كثيرة :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما اتى الظلمات صرث شمسها

الى آخر الابيات .

من هذه الأمثلة القليلة ينبغي لنا مقدار الانخفاض الذي انخفضه ابو الطيب في

(١) العمدة : الجزء الاول — الصفحة ١٢٢ .

نقليده ابا تمام في النهج الجديد .

والى جنب هذا المطاعن مطاعن كثيرة نبته عليها الائمة في القديم وفي طليعتهم
الشعاليبي فلم يتركوا في هذا التنبيه مجالاً لقائل ولو أعملنا الروية في بعض لغة المتنبي
لتحقق عندنا ان جملة مقايجه اللغوية ناشئة عن فساد ذوقه الغنائي سواء أكانت هذه
المقايح في بشاعة الابتدآت :

آحاد ام سداس في آحاد ليلتنا المنوطة بالتنادي

ام في تعقد اللفظ وسوء الترتيب :

وفاؤ كما كالربع أشجاء طاسمه بان تسعدا والدمع أشفاء ساجمه

ام في الذي ينشأ عن هذا التعقد من اتعاب الفكر :

فتثبت تسند مسنداً في نيهما اسآدها في المهمه الانضاء

ام في استعمال الغريب الوحشي من الالفاظ كالابتشاك والساحي والوطس والكنهور .

ام في التفاضل بنوافر الالفاظ وشواذ الكلام كالخش والتوراب .

ام في الاستكثار من قول : ذا في الشعر ، ام في تكرير اللفظ في البيت الواحد
من غير تحسين :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل امثله الف

ام في اللجوء الى المصطلحات الفلسفية المجردة من الصور كالجوهر والممكنات
واللاهوت واشباه ذلك .

أظن ان هذه المقايح كلها اصلها فساد مسامع المتنبي فكان ابا الطيب لا ذوق له
في الموسيقى على انه يعلم ان الشعر قائم بالفاظه الموسيقية فقد ذكر عنه ان مشرفاً تشرف
عليه وهو يصنع قصيدته التي اولها :

جللا كما بي فليك التبريح

و يتغنى فاذا توقف بعض التوقف رجّح بالانشاد من اول القصيدة الى حيث انتهى
منها ^(١) وفي هذه الرواية دليل على نعبه - في الشعر واكثر الذين يتعبون في الشعر

بمعظم نصيبهم من سلامة الذوق الموسيقي فعلى م كان ابو الطيب بلجاً الى ما يؤيد فساد ذوقه في هذا الوجه .

شبهوا ابا الطيب بالملك الجبار بأخذ ماحوله فهوراً وعنوة ، وشبهوه بالشجاع الجريء يهجم على ما ير يده لا بهالي مالتى ولاحيث وقع^(١) فمن كانت هذه صفاته فأخلق بشعره ان يكون مطبوعاً بكثرة التفاوت وقلة التناسب وتنافر الأطراف وتخالف الالبات ، فالى جنب هذه المساويء اللفظية التي أشرت اليها والتي لم أشير بعدد كعسف اللغة والاعراب ووضع الكلام غير مواضعه وقطع الكلام قبل استيفائه الى غير ذلك مما تعصب له فيه القاضي الجرجاني في وساطته واحتج بحجج تكاد تكون قاطعة ، الى جنب هذه المساويء كلها فلائد وفرائد يز فيها من تقدمه وأبأس منها من تأخر عنه ، فإصح ما قاله الثعالبي في تفاوت شعره :

« يحجم بين البدع النادر والضعيف الساقط فينبأه بصوغ انحر حلي و ينظم أحسن عقد وينسج انفس وشي ويختال في حديقة ورد اذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في ابعاد الاستعارة او تنوعو بص اللفظ او تعقيد المعني الى المبالغة في التكلف والزيادة في اشتمق والخروج الى الافراط والاحالة والفسفة والركاكة والتبرد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة فتحا تلك المحاسن وكدر صفاءها واعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائبين وتحكك بالسنة الطاعنين فمن ممثّل بقول الشاعر :

انت العروس لها جمال رائق لكنّها في كل يوم تصرع
ومن مشبه اياه من يقدم مائدة تشتمل على غرائب الماء كولات وبدائع الطيبات ثم يتبعها بطعام وضر وشراب عكر .

هذا ما قاله الثعالبي في المتنبي ومقاله صحيح من كل وجوهه والظاهر ان التفاوت في الشعر صفة اكابر الشعراء قليلاً ما تناسب فصائدهم قليلاً ما تطرد حسناتهم وبيننا ابو الطيب بقول في بعض قصائده :

تمل الحصون الشم طول نزالنا فتلقني الينا اهلها ونزول

اذ يقول :

أغر كم طول الجيوش وعرضها علي شروب للجيوش اكل
فلست أدري ما الفرق بين قوله : علي شروب وبين قول العامة في القوي
الذي لا يبالي بالضعيف : بأكله اكلاً ، فقد اثر ابو تمام في المنسبي تأثيراً حمله فيه
كثيراً من سبثانه فان هذه الكلمات : شروب ، اكل اخذها المنسبي عن ابو تمام نفسه
من قصيدة يمدح فيها الثغري :

في مكر للروع كنت اكيلا للنايا في ظله وشربا
وبينا نجد بقول :

ابن فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجول التنكيد

اذ يقول :

لامه فاضة اضاءة دلاص أحكت نسجها يد داود
فهذا دليل على حرصه على كلامه ومحافظته عليه فهو لا يسمح بحذف شيء من هذا
الكلام .

ولكن فلائد ابي الطيب غطت عن هذه المفردات فلم تذكر له سبثة الا ذكرت له
حسنات فلئن فتح مطلع في قصائده فلقد حسنت مطالع :

اعلى المالك ما بيني على الاسل

ولئن عوص بعض شعر ، فقد سهل كثير من هذا الشعر

ترفق أمها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

ولئن استعمل الوحشي من الالفاظ فقد استكثر من استعمال مأنوسها

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فلو عرضنا امثاله التي سارت وقوافيه التي شردت لوجدنا لفظه فيها وليد الحضر ،
غذي المدر ، مما يثقل به الخاص والعام والكبير والصغير والعالم والجاهل وهذه خصائص
لغة الامثال والحكم .

ولئن عمد في بعض شعره لمصطلحات الفلسفة والمنطق التي لا تخلو من شيء من
الجفاف فقد عمد لالفاظ كثيرة خالية من هذا الجفاف فيها نغمات موسيقية حلوة على

السمم اذ كر منها قوله : مشى عليها الدهر - شبيبة الزمان وهرمه - يمج ظلاماً -
مكرمات مشت على قدم البر - دمع الحزن - دمع الدلال - دموع تذيب الحسن -
نبتوا تحت ربابه - نسج النقع عليها براقع - القت دماء الروم طاعتها - الى غير ذلك
من آثار اللغة الشعرية .

ولئن وفق ابو الطيب في بعض الفاظه فقد وفق في بعض صفاته فجاءت مطابقة
للموصوفات كل المطابقة لاتشبه الصفات العامة التي قد نطلق على كل موصوف دون شيء
من التمييز فمن هذه الصفات قوله : الحدث الحراء - الحسب الاغر - الرشأ الربيب -
المروج الفجج - لب الوفود - الارض الواجفة .

لكن هذه الالفاظ الموسيقية وهذه الصفات الخاصة قد لا تستفيض في شعره فلا
تشبه لغة المتنبي لغة الشعراء اصحاب الفن الذين أرادوا ان يشعروا فغنوا ، فلا يدخل
ابو الطيب في جملة الشعراء الذين يحبون الالفاظ فاذا أردنا ان نوازن بينه وبين المجتري
مثلاً من ناحية الالفاظ وجدنا بينهما فرقاً فالمتنبي لا يسعونا بالفاظه ولا يغنينا بلغته
الشعرية ، ومع هذا فاننا لانفجو من شعره وفتنته فهو كالمالك الجبار تهولنا جبر ياؤه فيسلبنا
مشيئتنا فنذعن اسلطانة سواء أعدل ام عسف ، او كالصورة الحسنة في جملتها القبيحة في
بعض انفار بقها ننظر الى جملة ألوانها فنجسن في نظرنا ونأمل في بعض انفار بقها فتغطي
متاعة الجملة على شناعة الانفار بق فلا نبالي بالقبح البسير الذي يصحبه حسن كثير .

قد نستطيع ان نعيب لغة المتنبي بامور كثيرة كالامور التي ذكرتها في صدر هذا
الفصل او كالامور التي لم أشر اليها ومنها وحدة الاسلوب في بعض شعره مثل قوله
أمعنر الليث الهزير بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقولا

وقوله

ابن المعنر في نجد فوارسها بسيفه وله كوفات والحرم

ومن هذا النوع قوله

قائدو كل شطبة وحصان قد براها الأسراج والالجام

وقوله

وخيل براها الركض في كل بلدة اذا عرست فيها فليس تقبل

ومن هذا الجنس قوله

لا يجذبني ركابي نحوه أحد ما دمت حياً وما قلقلن كيرانا
وقوله

وما نقر سيوف في ممالكها حتى نقلقل دهرأ قبل في القلل
فالتعفير والبري والقلقلة الفاظ يكررها المتنبي في بعض قصائده وقد يكرر غيرها
من الألفاظ وفي هذا التكرير ما فيه من وحدة الألفاظ أو وحدة الأسلوب .
قد نستطيع ان نعيب ابا الطيب بجماع هذه العيوب ولكننا لانستطيع ان ننفلت
من تأثيره ، فقد فات ان المتنبي انما هو شاعر العجاء وشاعر الحكمة والمثل واذا خلد
فانما يخلد من هاتين الناحيتين فالألفاظ التي تحتاج اليها الحكمة قد اعتدى اليها ابو الطيب
وهي ألفاظ سهلة واي كلام أسهل من هذا الكلام

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوآ له ما من صداقته بد
فلغة المثل والحكمة قليلاً ما تحتاج الى شيء من التزييق وانما تزد بها في حقيقة
تعبيرها وسهولته والألفاظ التي نفتقر اليها الحروب قد ألقت الى المتنبي طاعتها وهي
الفاظ شديدة واي لفظ أشد من هذا اللفظ

وما نقر سيوف في ممالكها حتى نقلقل دهرأ قبل في القلل
فلغة الحرب تحتاج الى صور متقدمة تمثل شيئاً من انقاد العجاء ولبيب نارها والمتنبي
لم تخف عليه مذاهب هذه اللغة .

هذه خصائص لغة لونت بمختلف الألوان : مرة تسهل فتعجل ممانها الى الذهن
قبل الألفاظ ومرة تنوع فلا يدركها الذهن الا بعد التعب والكد ، وحينئذ تملي عليها
الخصارة مألوف الكلام ومعناده فيأنس الطبع بهذا الكلام الانس كله ، وحينئذ تلهيها
البداوة من وحشي الالفاظ وشاذها الفاظاً تظن ان صاحبها من أجف الأعراب طبعاً ،
هذه خصائص لغة تبرز لنا مجردة من كل صورة معرفة من كل نقش ، وتارة تختال
في حال جمعت ضروب النقش والتلوين لكن هذه الصور تؤذك رثائتها في بعض
الأحياء و يرضيك رونق جدتها في بعض الأوقات مرة بصورها صاحبها دون شيء
من حشد الخاطر وتكلف الصناعة بحسب خلو الجو من التعقب والتهيب ومرة لا تظهر

هذه الصور الا بعد الحمل على القرينة والافراط في التعسف ، هذه خصائص لغة اذا
حاطت في سماء فلا تطاولها سماء ، لكنها اذا هبطت من عليائها هبطت الى الدرك
الاسفل ، جمع صاحبها مختلف المحاسن والمساوي فكان هذا الاختلاف عنوان
عبقريته وعلامة خلوده .

قد نهزنا في المتنبي محاسن شتى اذكر منها حسن المطالع وحسن الخروج والتخلص
وحسن التقسيم وسياقة الأعداد والابداع في التشبيهات والتمثيلات وانقضاء البكار
المعاني ، وقد نؤذينا في هذا الشعر مقامج متباينة أشرت الى ما تيسر لي منها لكن هذه
المقامج لا تعني على محاسنه ، وهذه المحاسن لا تؤلف جملة عبقريته فان في لغة المتنبي
وفي شعره شيئاً لا أدري ما هو ولعل هذا الشيء انما هو صورة روحه فاذا كانت هذه
الروح انما هي روح ملك جبار فالصورة التي تستهويننا في شعر المتنبي وفي لغته انما هي
صورة الشاعر الجبار .

شفيق جبري

عضو المجمع العلمي

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

- ١٠ -

وحدثني ابو الفضل قال كنت مقمياً بسيراف اتصرف واجتاز بها يوسف ابن وجيه يريد البصرة ومحاربة البريدي وضامنهما اذ ذاك (١) ابن مكتوم الشيرازي وهو مدبرها حرباً وخراجاً من قبل الامير علي بن بويه فلقاه (٢) وخدمه خدمة ارتضاها ونزل بظاهرها البلد فعمل اليه ابن مكتوم كل شيء من اللطاف والهدايا قال فقال له يوماً والله ماوردت هذا البلد الا وفي نفسي الاجترار (٣) عليه وتخليف (٤) جيشاً به ثم الخروج الى البصرة ولقد كانتني جميع وجوه البلد في ذلك واثاروا علي بهذا ولكن قد استحييت منك ان افعل فانك بدأتني بالخدمة وانا في اطراف عملي وليس بكثير ان اهب لك هذا البلد قال وقد كان بلغنا ان اهل البلد كاتبوه بذلك ولم نتحقق هذا ولما قرب اشار اهل البلد على ابن مكتوم بالانصراف وان لا يحضر وخوفوه ان يقبض عليه وارادوا بذلك ان يتم التدبير لهم في تملك يوسف بن وجيه البلد فلم يحسر ابن مكتوم على ذلك وقال لان يقبض عليّ وايس لي اليه ذنب يقتلني به احب اليّ من ان اصير لنفسي ذنباً عند علي بن بويه فيقتلني

«١» في بعض المواضع جاء ابو مكتوم . «٢» بالاصل فلقاه . «٣» لعله الاحتواء .

«٤» م . ع : كذا في الاصل والاولى وتخلفني جيشاً او تخليف جيش .

به فانه يظن اني واضطت (١) على خروج البلد عن يده لا كسر مال الضمان
ويقول لي كان يجب ان تصبر الى ان يدخل فيقبض عليك او تحبثني بعد وقعة
يحدث (٢) فيها رجل ولم يبرح واخذ الى خدمته العظيمة فنفعه ذلك وتحلص
قال فلما كشف له يوسف ما كان في نفسه دعا له وشكره وتذلل فقال له
يوسف وقد كنت عملت على ان لا أشرب الى ان فتح (٣) هذا البلد الذي اقصده
ولكن قد اشتقت الى الشرب شهوة لان اشرب معك لما رأيته من ظرفك
وفتوتك فنعود العشية الى الشرب ومعك من تأنس به من اصحابك قال
فانصرف واختار جماعة من وجوه البلد ووجوه المتصرفين كنت واحداً
منهم وجاءنا رسول يوسف بعد الظهر فركب ونحن معه حتى اوصلنا الى
حضرتة فاجلسنا في فازه (٤) بهنسي (٥) لم أر قبلها مثلاً حسناً في صدرها
سدة ابنوس مضية بالذهب ومساميرها ذهب وعليها دست ديباج فاخر
جداً وبين يديها بساط جرمي (٦) فوقه حصير واسع كثير (٧) عظيم طبراني
ومخاد وصدر منه وخرج يوسف فجلس وجلسنا معه واحضرت مائدة فضة

«١» لعله : واطأت . م . ع . يقال حدث الشاة اضجعها ليدبحها وحدث بالشاة
ذبحها وحدث بالرجل صرعه ويحتمل ان تكون مصحفة عن نبخذش . وهي ابغ .
«٣» م . ع : الظاهر افتح .

«٤» م . ع : الفازه بناء من خرق وغيرها تبني في المساكن والجمع فاز وقال الجوهري
والفازه مظلة تمد بعمود وفي القاموس بعمودين . «٥» م . ع . بهنسي كورة بصعيد مصر .
ولعله فازه بهنسية . قال المقدسي يصنع بهنسة الستور والاماط . «٦» جهرم مدينة بفارس
يعمل فيها بسط فاخرة « ياقوت » .

«٧» م . ع . لعله كثيراً او كبير .

زرافين (١) تسع عشرين نفساً فجلسنا عليها ونقل علينا من الطعام ما لم ار مثله حسناً في اواني كلها صيني قل وتأملت فاذا خلف كل واحد منا غلام صغير مليح قائم بشرابي ذهب و كوز بلور فيه ماء فاكلنا فلما تم اكلنا نهض يوسف فخرج من وراء الفائزة الى موضع وجاءنا فراشون بعددنا بطساس و اباريق فضة و مجامع فضة ففلسنا ايدينا دفعة واحدة ومضى اولئك الغلمان الا صاغر وجاء غيرهم بعددنا ومعهم المرايا المجلاة (٢) الثقيلة والمضارب البلور والمداخن (٣) المجلاة الحسنة فتبخرنا دفعة وتركت ساعة في موضعنا ثم استدعينا فادخلنا الى فائزة الطف من تلك ديباج وفيها (٤) صندل محلاة بفضة فيها دست ديباج وحصر طبرية مثل تلك الحصر وفيها نحو ثلاثين مطاولة (٥) مسبكة ذهب كلها عليها تماثيل العنبر على هيئة الاترج والبطيخ والدستبو (٦) او غير ذلك قال فدهشنا وتخيرنا واذا في اربع جوانب تلك المطاولات اربع اجاجين بيض كبار عظام كل واحدة كالقدس (٧) الكبير والجميع مملوءة ماء ورد وفيه امر عظيم من تماثيل الكافور وغلمان قيام بمددنا يروحون وغلمان آخر بعددنا بايديهم مناديل الشراب وبين يدي كل

«١» م . ع : الزرافين جمع زرفين وهي الحلقة . «٢» م . ع لعله المحلاة .

«٣» م . ع المجامر والاولى المحلاة .

«٤» لعله سقط : سدة . «٥» لعله طاولة .

«٦» م . ع الدستبوية نوع من البطيخ الاصفر معرب عن دست بوي اي شامة وهو مركب من دست اي يد ومن بوي اي رائحة . فالدستبو . منها . «٧» م . ع القدس والقدس قدح يتطهر به والقدس السطل ولعله المراد هنا .

واحد صينية ذهب ومغسل ومركب (١) ذهب وخرداذي (٢) بلور وقده بلور وكوز بلور والجميع فارغ قال فامر يوسف باخراج الانبذة في مدافات (٣) بلور تسمى بالفارسية جاشنكير (٤) فاخرجت عدة انبذة من العنب مما يعمل في جبل عمان لم نظن انه يكون في تلك (٥) بحسنها وطيبها فاختر ابن مكتوم نيذراً منها فماتت الظروف منه وقام على رأس كل واحد منا غلام يسقيه ويتفقد نقله ويتفرد بخدمته الى ان شربنا اقداحاً ثم اجري يوسف حديث علي بن بويه فقال لابن مكتوم وقد خرج من حديث الى حديث احب ان تخبرني عن اخي ابي الحسن علي بن بويه اي شيء اعتقد في امارته هذه قال فاخبره أن له الف غلام اراك (٦) واربعة آلاف بغل والف جمل قال واخذ يكثر عليه من هذا فقال له ويحك هذا عيال وسبب خرج لم اسأل عن هذا انما سألت اي شيء ادخر مما يتنافس فيه الملوك قال فقال له وصل من الكنوز العتيقة والاموال التي استخرجها الى تسعين الف الف

«١» م . ع الصواب مركب . وهو اناء كالطست يغسل فيه .

«٢» م . ع الخرداذي الخمر والظاهر ان المراد اناء نسب اليها .

«٣» م . ع دافه خلطه ، والمكان مداف ولعل المراد آنية يداف بها الشراب او هي محرفة عن فراغات جمع فراغ بمعنى الاناء على اننا لم نجد هذا الجمع . «٤» م . ع جاشنكير كلمة فارسية معناها مسك اللذة وتطلق على الرجل الموكول اليه في قصور العظماء النظر في لذة الاطعمة اي تمييز لذة الطعام والحكم فيه وينطلق على صنف من الجند يقوم بخدمة المائدة في الولائم ويسمون بالعربية النذل من نذل اذا نقل ، ولعلهم اطلقوا هذا اللفظ على نوع من الآنية لانه يمسك الخمر التي هي سبب اللذة . «٥» لعله سقط : النواحي . «٦» كذا في الاصل ولعله تركي او هو مرفوع على القطع .

درهم قال فقال ولا هذا أردت إنما أردت الذخائر والجواهر وما يخف
وبالجملة (١) الملوك (٢) معهم محملاً لطيفاً إذا احزبهم (٣) امر قال فقال ابن
مكتوم لا أعلم الا ما سمعت ان الحبل الذي كان للمقتدر قد وصل اليه فقال
وما الحبل قال فص يا قوت احمر فيه خمس مثاقيل الا اني ابتعت له جوهرتين
مائة وعشرين الف درهم فقال قد انسيت بك واقتضى ان أريك ما صحتني
في هذه السفرة من هذا الجنس ان نشطت لذلك قال فشكره ودعا له وقال
اي والله انشط لذلك واتشرف به قال فدعا بعلام وقال امض فهاك الربعة (٤)
الفلانية قال فجاءه بربعة كبيرة قال وكانت بين يديه خرائط (٥) خراسانية
مطروحة في المجلس فاستخرج من واحدة منهن مفتاح ذهب وتأمل اولاً
ختم الربعة ثم فتحها بالمفتاح واخرج الينا قضيباً عليه خواتيم نحو خمسمائة
خاتم يواقيت وفير وزج وعقيق لم نر مثله فارانا اياه وقال ليس هذا شيئاً فدعوه قال
فتركناه ثم اخرج الينا عقدأ فيه ثلاث وتسعون حبة جوهر كل واحدة منها
على قدر بيض الحية والمصفور فدهشنا من عظمها فقال ان هذا العقد في
خزانة خالي احمد بن هليل وخزائني من بعده منذ كذا وكذا سنة والجوهر
الينا يصل اولاً ثم يتفرق من عندنا الى البلاد ونحن مجتهدون في ان نجد سبع

«١» م . ع كذا في الاصل الظاهر ان الاصل . وما يحمله الملوك او محرف عن
ما يجعله . «٢» لعله سقط : يحفظون .

«٣» م . ع كذا في الاصل والمعروف خزبه الامر من الثلاثي اي نابه واشتد عليه .

«٤» م . ع : الربعة وعاء مربع الشكل ومنه ربعة المصحف وهو صندوق توضع
فيه اجزاءه . «٥» م . ع الخريطة وعاء من جلد وغيره تشرح على ما فيها .

حبات تشابه هذا فيحصل في العقد مائة حبة فما نقدر على ذلك منذ كذا وكذا سنة قال ثم اخرج الينا فصاً من الماس فلبسه في الحال وادناه من فص عقيق كان في يد ابن مكتوم فجذبه كما يجذب المغناطيس الحديد حتى تكسر فص ابن مكتوم قال ثم استخرج منديلاً لطيفاً فخله واخرج قطعاً ففرقه بيده واستخرج منه شيئاً خطف ابصارنا واضاء المجلس له حتى دهشنا وسله الى ابن مكتوم وقال تأمله قال فتأملناه فاذا هو ياقوت احمر على كبر الكف وقدماً (١) في الطول والمرض قال فدهشنا فقال يوسف بن وجيه ابن هذا يابا مكتوم (٢) من الذي وصفته قال فانكسر ابن مكتوم وما زلنا نقلب تلك الكف ونشرب عليها ساعة قال ثم اخرج الينا من الربة حشائش ذكر انها سموم قاتلة في الحال وحشائش ذكر انها تبزي* من تلك السموم في الحال قال واخرج اشياء هائلة ظريفة لم يعلق بحفظي منها الا ما ذكرته لدهشتي بما رأيت قال فلما جاء المساء جاءنا شموع (٣) عنبر فوضعت تنقد قال وشربنا الى نصف الليل وانصرفنا وشخص يوسف الى البصرة وحاربه البريدي فهزمه وافلت في مركبه واحرقت باقي مراكبه فلم يحب الاجتياز بسيراف فتوه (٤) في البحر وسلك وسطه يريد عمان قال وبلغنا الخبر وانفذ ابو مكتوم (٥) صاحباً له الى عمان يشجع له ويعرف خبره وكاتبه على يده قال فدخل صاحبنا الى عمان قبله بايام ثم وردها يوسف فلما وقف

«١» م. ع. كذا في الاصل . ولعله وقدره في الطول .

«٢» كذا بالاصل والصحيح يا ابن . «٣» م . ع : لعله بشموع .

«٤» م . ع : يقال توه نفسه جبرها وطوحها . «٥» كذا بالاصل .

على الكتب تذكر عهد أبي مكتوم وذكره بالجميل وذهب لصاحبه خمسة آلاف درهم وانفذ إلى أبي مكتوم هدية قيمتها مائة ألف درهم تجتمع (١) على طرائف البحار وانفذ إلى كل واحد من الجماعة الذين كانوا حضوراً دعوته مع أبي مكتوم - عدة أثواب من صنوف الثياب وافخرها واحسنها وكنت ممن وصل إليه ذلك .

حدثني أبو الفضل قال حدثنا شيخ كان لنا بفارس من أهل قم قال ورد إلينا وصيف كأنه أسد على بلدنا فتلقيناه فرأينا من فضله وعقله وجلالة قدره كل عظيم قال فأقبل علينا بخطاب جميل ووعدنا ومنانا وعرفنا رأي السلطان في العدل والاحسان ثم أقبل يسأل عن أمور بلدنا مسألة عالم به ويسأل عن شيوخي إلى أن انتهى في السؤال إلى رجل لم يكن جليلاً ولا مشهوراً ولا عرفه منا إلا واحد كان في المجلس قال فأقبل يعظم من أمره ويسأل عن معيشته وأولاده قال فاسترقعناه قال ثم قال لنا احضروني آياه احضاراً جميلاً فأبى أكره أن انفذ إليه من يستدعيه فاروعه قال فاحضرناه آياه خفين وقمت عينه عليه قام إليه قياماً تاماً وأجلسه في الدست معه قال فسقط عن (٢) أعيننا وقلنا جاهل لا محالة قال ثم أقبل عليه يسأله عن زوجته وبناته وبنيه والشيخ يجيب جواب ضجر باهت معظم لماعمله فقال له احسبك قد أنسيتني وانكرت معرفتي فقال كيف انكر الأمير أيده الله مع عظمه وجلالته فقال له (٣) دع

«١» م . ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن تحتوي او مضمنة معناها .

«٢» م ، ع : المعروف سقط من أعيننا . «٣» بالاصل : لا دع .

هذا أتعرفني جيداً ؟ قال لا قال فقال انا مملوكك وصيف ثم اقبل علينا فقال
يا مشايخ قم : انا رجل من الديلم كنت سبيت في وقت كذا وكذا في الغزاة
التي غزاهم فيها فلان الامير وكان سني اذ ذاك عشر سنين او نحوها فحملت
الى قزوين فاتفق ان هذا الشيخ كان بها فاشتراني وحماني الى قم واسلمني مع
ابنه في أكتاب (١) واجراني مجراه في حسن الترية وفعل بي وصنع وجعل
يعدد له بابا (٢) ذكره وانه احسن ما كنهته حتى انه ما يتأذا (٣) منه قط ولا
ضربوه ولا شتموه وانهم كانوا يكسونه كما يكسون ابنهم ويطعمونه كما
يطعمونه ولم ازل معهم في احسن عشرة الى ان بلغت وكانوا يهبون لي
الدرهم لشهواتي ويعطوني اكثر مما يحتاج اليه وكنت مذ كنت صبيّاً
كلما وقع بيدي شيء جمعته عند بقال في المحلة يعرف بفلان قال ثم سأله عنه
فقال هو باقى فلما بلغت واشتدت طلبت السلاح وعملت به ومولاي مع
هذا يشتري لي كل ما اريده ويكفني (٤) من (٥) شهواتي ويحسن اليّ ولا
يعترض في شيء اريده عليّ قال واتفق ان بعض الجنود رأني فقال هل لك
في ان تخرج معي الى خراسان فاركبك الدواب وأفعل بك واصنع فقلت اصحبك
على شرط ان لا اكون مملوكك ولا تملككني ولكن اشترى لنفسه دابة

«١» م . ع . الظاهر الى الكتاب . «٢» لعله سقط : بابا . م . ع . كذا في الاصل ،
وجعل يعدد له بابا ذكره . ولعل اصله يعدد ما شاء ذكره او يعدد لهم ما نره .

«٣» م . ع . كذا في الاصل والظاهر ما تأذوا .

«٤» لعله ولا يكفني «٥» م . ع . : المعروف كفه عن الشيء ويحتمل ان يكون الاصل

ويكفني من شهواتي

وسلاحاً واتبعت غلاماً لك مالكا لنفسي فتى رأيت منك ما اكره فارقتك ولم يكن لك الاعتراض عليّ فقال افعل قال فجئت الى البقال فحاسبته وكان قد اجتمع لي عنده شيء كثير فاخذته واشتريت منه دابة وسلاحاً واخذت آلتك (١) ومعني دراهم وصحبت الجدي وأبقت من مولاي هذا ومضيت الى خراسان بأسرها وتقلبت بي الامور وترقت حالي مع الايام حتى بلغت هذا المبلغ وانا في رق هذا الشيخ وانا اسألكم الآن مسألته ان يبيّني نفسي قال فاكبر الرجل ذلك وقال انا عبد الامير والامير حر لوجه الله واتحمد بولائه وافتخر انا وعقبى بذلك قال فقال يا غلام هات ثلاث بدر واحضرت وصب المال وسلمه الى الشيخ ثم استدعى له من الثياب والدواب والبغال والطيب والآلات ما يزيد قيمته على قدر المال ثم استدعى ابنه فاحضروا كرمه وتناول (٢) له ووهب له عشرة آلاف درهم وثيابا كثيرة ودواب وبغالا واستدعى البقال ووهب له خمسمائة دينار وثيابا كثيرة قال ثم انفذ هدايا الى بنات الشيخ وزوجته وعيال البقال قال ثم قال للشيخ يا فلان انبسط في هذا السلطان الذي قد رزقك الله انبساط من يعلم ان الامير مولاه واعلم بانك لا تحل شيئا فاعقده ولا تعقد شيئا فاحله قال ثم التفت اليها وقال يا مشايخ (قم) انتم سادتي وشيوخني وماعلى الارض اهل بلد أحب الي منكم ولا اوجب حقاً منكم فانبسطوا في حوائجكم انبساط الشريك الذي لا فرق بينه

«١» مع الظاهر ان الاصل . واخذت آلتى اي ادائي ومتاعي او : اخذت آلتى

اي سلاحى «٢» م ع بقال تناول عليه اي تطول وتفضل وتناول الرجل تمدد قائماً .

وييني الا فيما حظرت له الديانة وليس بيني وبينكم فرق الا في ثلاث: طاعة السلطان وصيانة الحرم ومخالفتكم في الرفض فاني قد طوفت الآفاق وسلكت الجبال والبحار وبلغت اقاصي المشرق والمغرب فما رأيت على دينكم احداً غيركم ومحال ان يجتمع الناس كلهم على ضلالة وتكفونوا انتم من بين اهل الآفاق على حق قال ثم سألت كل واحد منا عن حوائجه ونظر اليه فيه (١) بطرف ونظر للشيخ بضمف ما نظر به لاجلنا قال فخرجنا من عنده وقد نبلى في عيوننا نبلا شديداً وانقلبت المواكب الى باب الشيخ فأقبل الناس اليه في الحوائج والى ابنه فصارا رئيسي البلد ولم يكن وصيف يردهما في شيء يسألانه من قليل ولا كثير الى ان خرج عن قم.

قال وحدثني ابو الهذيل ان وصيفاً لمساولي فارس أقام بشيراز وكان يتواضع للناس تواضعاً شديداً ويحسن السيرة ويتجلب الى العامة جداً حتى كان يعمد مرضاهم ويشهد جنازتهم قالوا وما رأينا اميراً أعقل منه والقد رأيت به يوماً قد حضر جنازة رجل من السوق راكباً دابة وعليه دراعة بيضاء وعمامة وليس بين يديه الا ثلاثة من الشاكربة (٢) فوقف في جملة الناس يصلي على الرجل قال وكان عندنا حائك يعرف بفلان يظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال فرأيت به وقصد أن جاء فوقف الى جنبه (عند) الصلوة وزاحمه حتى وضع مرفقه في صدر وصيف وزاحمه به فجاء بعض من كان معه يذكر ذلك وينهي الرجل فنظر اليه نظراً شزرأ جزع معه الغلام ونهني

(١) لعله: فيها. «٢» م، ع الشاكري الاجير والمستخدم معرب جاكرو.

وتركه والحائث قال فرأيت أنه قد تجمع في مكانه ووسع للحائث حتى قاموا للصلاة .

بلغني من جهة وثقت بها عن أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج قال فحضرت مجلس أبي القاسم عبيد الله بن سليمان وأبو زنبور الكاتب يعنله في إفضائه إلى أبي العباس بن الفرات وتفويضه الأمور إليه ويخاطبه بكل عظيم في ذلك إلى أن قال له الناس يقولون أيها الوزير إنك يتيم في حجر ابن الفرات فقال عبيد الله أنا يتيم في حجر كل كاف .

حدثني بعض اخواني الثقات عندي

قال حدثني (١) أبو أحمد هارون (بن) الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب قال لما صحبت أبا علي بن مقلة إلى بغداد واستكتبني كان يتمم نعمي بكل شيء ويوصل إلي أموالاً جلية فلم أكن أحفظها وكانت كلها تخرج عن يدي في القيان والشراب واتلفتته قال فهو يت جارية في القيان صفراء (٢) واشتهر أمري معها وانفدت كل كسبي عليها حتى بلغ أبا علي وكان يمدني ويؤجني ويمعني من مفارقة حضرته وإن اخل (٣) بها قال فافلت يوماً من حضرته ومضيت إلى بيتي وقد حصلها غلامي واعد لي مجلساً بالفاكهة الكثيرة والتجايا (٤) الظراف والشراب الفاخر قال

«١» معجم الأعيان : ٥٥٤ : ٢٥٤ عند ياقوت أن اسمها مهجة . ٣٥ : لعله : اخلو .

م . ع . الصواب ما في الأصل يقال اخل بالمكان وغيره إذا غاب عنه وتركه . «٤» لعله التحائف م . ع . الظاهر أنها محرقة عن التجايا جمع تحية وهي العمارة والعمارة الريحان بزبن به مجلس الشراب فإذا دخل داخل رفعوا شيئاً منه بأيديهم وحيوه به . ومنه قول

فشريرت ليلتي معها وخفت أن اخل بالوزير فحملتني الشهوة للجلوس مع
 المغنية على أن كتبت الى الوزير رقعة اعتذر فيها من التأخر واقول ان الصفراء
 تحركت علي واضطرب جسمي فلم اقدر على المجيء واما كره الخدمة في
 غد واسأل قبول عذري. قال فعاد اليّ الجواب بخط ابي علي بن مقلة في
 اضعاف السطور باجل خطاب والطف مداعبة وقال فيه يا هذا ظلمت الصفراء
 انت تحركت على الصفراء ليس هي تحركت عليك وقد علمت مغزاك في
 التأخر وبحسب ذاك اجبتك وقد بعثت اليك منديلا مختوماً فاستغن (١) بما فيه
 قال ففتحت المنديل واذا فيه رطل ند وشيء كثير من السكافور والمسك
 ومائتا دينار عيناً.

وانشدني ابو الحسن علي بن هارون بن المنجم لنفسه في معنى الصفراء
 بيتين ما سمعت باظرف من معناهما وهما يقاربان قول ابن مقلة وهما:
 قال الطبيب وقد تأمل سحتي (٢) هذا الفتى اودت به الصفراء
 فعميت منه اذا اصاب ومادري قولاً ومعنى (٣) ما اراد خطاء
 حدثني بعض البغداديين قال ضرب عندنا رجل من اهل العصبية
 خمسمائة سوط في وقت واحد فلم يتأوه ولم ينطق فلما كان بعد ايام حم حمى
 صعبة وضرب عليه معها رأسه فأقبل يصيح كما يصيح البعير ويقول العفو

النابعة (يحيون بالريحان يوم السبا سب). وقول الاعشى :

اذا ما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

وفي الاساس العمارة ريحانة يحيي بها الملك «١» الاظهر فاستغن بالمهمة

«٢» في المعجم جس الطبيب يدي وقال مخبراً. «٣» في المعجم وظاهر.

العفو يكررها فلما كان من غد اجتمع اليه قوم من اهل الحبس فقالوا
فضحنتا انت تضرب بالامس خمسمائة سوط فلا تصبح تحم ساعة من ليلة
فتصبح فقال عذاب الله عز وجل اشد العذاب وما كنت لاتجملد عليه.
قال فأتني بعض الولاة برجلين احدهما قد ثبت عليه الزندقة والآخر
قد وجب عليه الحد فسلم الوالي الرجلين الى بعض اصحابه وقال اضرب عنق
هذا واومى الى الزنديق واجلد هذا كذا وكذا قال فتسلهما وخرج
فوقف المحدود وقال أيها الامير سلمني الى غيره فان هذا الامر لا آمن فيه
الغلط (١) فيه لا يتلافى قال فضحك منه الامير واستطابه وامر باطلاقه
واطلق وضربت عنق الزنديق

قال واقي المهدي بن المنصور برجل قد رمي بالزندقة فسأله عن ذلك
فقال الرجل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً صلى الله
عليه وسلم رسوله وان الاسلام ديني عليه احيا وعليه اموت وعليه ابعث. فقال
له المهدي يا عدو الله انما تقول هذا مدافعة عن نفسك هاتم (٢) السياط
فأحضرت دأمر بضربه فضرب وهو يقرره فلما اوجمه الضرب قال له
يا امير المؤمنين اتق الله قد حكمت علي بخلاف حكم الله تعالى وخلاف
حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم
يقاثل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوها عصموا دماءهم واموالهم

«١» م. ع. كذ في الاصل. ولعل اصله لا امن فيه الغلط والغلط فيه لا يتلافى. «٢» م. ع.
تقدم ان المعروف هاتوا. والظاهر ان هاتم كانت متداولة في ذلك العصر.

الأبحهما وحسابهم على الله وانت قد جلست تطالبني وتضربني حتى اكفر
فبقناني قال فينجل للمهدي وعلم انه قد اخطأ فأمر باطلاقه .

فحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علان الاهوازي قال
حدثني جدي ابو القاسم بن علان وقد جرى حديث السلطان وان شره
يدفع الساعات (١) ورد علينا يوسف اليزيدي (٢) كاتب السيدة يطالبني
وابا يحيى الرامهرمزي ان نضمن منه ضياع السيدة ويشدد علينا ونحن ممنعون
الى ان اخلى لنا مجلسه في يوم خميس وناظرنا مناظرة طويلة وشدد علينا
امراً عظيماً فكنا معه ان نجيبه وكان علينا في ذلك ضرر عظيم فقلت
لابي يحيى يجب ان نجتهد في دفع المجلس اليوم لتنفكر اذا انصرفنا كيف
نعمل قال وكان ابو يوسف محدثاً طيباً (٣) قال فجهره ابو يحيى الى المحادثة
واستلب هو الحديث وسكت ابو يحيى قال وكان عادة ابي يوسف في كلامه
ان يقول في كل قطعة من حديثه افهمت قال وكان كلما قال ابو يوسف
لابي يحيى افهمت يقول ابو يحيى لا فيعيد الحديث ويخرج منه الى حديث
آخر قال فلم يزل كذلك حتى حمى النهار وقربت الشمس من موضعنا
فرجع ابو يوسف الى حديث الضمان ومطالبتنا بالمقد فقلت له انه قد حمى النهار
وهذا لا يتقرر في ساعة ولكن نعود غداً ورفقنا (٤) به فقال انصرفوا فانصرفنا

« ١ » لعنه بالساعات . « ٢ » لعنه ابو يوسف اليزيدي . « ٣ » بالاصل محدثاً ما طس .

« ٤ » ع . يقال رفق به اذا تلطف وألآن جانبه وبجمل ان تكون ورقفنا له . اي

واستدعانا من غد فكتبنا اليه رقعة انه يوم الجمعة وهو يوم ضيق ويحتاج الى الحمام والصلوة وقل امر يبتدأ به يوم الجمعة قبل الصلوة فيتم ولكننا بنا كرك يوم السبت فاندفع واستدعانا يوم السبت فصرنا اليه وقد وضعنا في نفوسنا الاجابة لما ايسنا من الفرج فحين دخلنا اليه ورد اليه كتاب فقرأه وشغل قلبه وقال انصرفوا اليوم فانصرفنا ورحل بعد ساعة لان الكتاب كان يتضمن ذكر صرفه فبادر قبل ورود الصارف وكفينا امره .

قال وورد الينا في وقت من الاوقات بعض العمل متقلداً للاهواز من قبل السلطان وقد اسماه ونسبه الذي حدثني قال فتبع رسومنا ورام بعض شي منها وكنت انا وجماعة من التناء في تلك المطالبة وكان فيها ذهاب غلاتنا في تلك السنة لو تم علينا وذهب اكثر قيم ضياعنا قال فقالت لي الجماعة ليس لنا غيرك تحلو بهذا الرجل وتبذل له مرفقاً وتكفينا اياه قال فجئته وخلوت به وبذلت له مرفقاً جليلاً فلم يقبله ودخلت عليه بالكلام من غير وجه فما لان ولا اجاب قال فأيسست منه وكدت ان اقوم خائباً قال فقلت له في عرض الكلام يا هذا الرجل انت مصمم من هذا الامر على خطأ شديد لانك تظلمنا وتزبل (١) رسومنا من حيث لا يحمدك السلطان ولا تشفع (٢) انت بذلك ومع هذا فاخبرني هل تأمن ان تكون قد صرفت وكتاب صرفك في الطريق يرد عليك بعد يومين او ثلاثة فتكون قد اهاكتنا وأثمت في أمرنا وفاتك هذا المرفق الجليل ولعلنا نحن نكفي ويحي غيرك فلا يطالبنا او يطالبنا فنبذل

« ١ » لعله تريد « ٣ » م . ع كذا في الاصل والظاهر ولا تنتفع .

له هذا المرفق فيقبله ويكون الضرر انما يدخل عليك وحدك. قال فحين سمع هذا اعتقد ان لي ببغداد من يكاتبني بالاخبار واني قد احسست باختلال امره واخذ يخاطبني (١) من لس (٢) وقع لي انه قد وقع هذا قال فقد ثبتته وثبت في نفسه فأجاب الى اخذ المرافق (٣) وازالة المطالبة فسلم (٤) اليه رقايع الصيارف بالمال واخذت منه حجة (٥) بازالة المطالبة وانصرفت وقد بلغت ما اردت قال فسلمت فلما كان بعد خمسة ايام لا تزيد يوماً ورد عليه الكتاب بالصرف قل فدخلت اليه فاخذ يشكرني (٦) بما جرى وبما (٧) ورد عليه فاوهمته اني كنت قد قلت له ذلك على اصل وكفيت تلك المطالبة.

حدثني ابو الطيب محمد بن احمد بن عبد المؤمن الوكيل على ابواب القضاة بالاهواز قال قال لي بعض المكديين (٨) ببغداد عن شيخ لهم أيسر وعظمت حاله حتى استغنى عن الشجذ فكان يعلمهم ما يعملون فسألنا عن سبب نعمته فقال كنت تعلمت بالسريانية حتى كنت اقرأ كتبهم التي يصلون بها ثم ابست زي راهب وخرجت الى سر من رأى وبها قواد الاتراك فاستأذنت على احدهم فأدخلت فقلت له انا فلان الراهب صاحب العمر (٩) الفلاني وذكرت عمراً بعيداً بالشام وانا راهب فيه منذ ثلاثين سنة

- «١» م. ع الظاهر ان الاصل يخاطبني مخاطبة من يشعر انه وقع لي الخ او نحو ذلك
«٢» لعله حيث . م. ع ذكرت قبل بصيغة المفرد . والمرفق ما ينتفع به .
«٣» م. ع كذا في الاصل والظاهر: فسلمت اليه . «٤» لعله خطه .
«٥» م. ع كذا في الاصل ولعلها محرفة عن: يشعري . «٦» لعله : ويخبرني بما
«٧» م. ع الصواب المكديين بياء واحدة . «٨» الممر الدير كما في معجم البلدان

وكنتم نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأأنه قد دخل الى نمري
فدعاني الى الاسلام فأجبتة فقال لي امض الى فلان القائد حتى ياخذ عليك
الاسلام فانه من اهل الجنة فجئت لاسلام على يدك قال ففرح التركي
فرحاً عظيماً شديداً ولم يحسن ان ياخذ عليّ الاسلام فتفرع في كلامه وقطعت
الزناد واسلمت بحضرته قال فوصاني ما قيمته خمسة آلاف درهم من الدراهم
والثياب وغيرها وعدت الى منزلي فلما كان من غد بكرت الى قائد منهم
يزي الرهبان وقلت له كما قلت الاول واعطاني اكثر من ذلك حتى طفت
على جماعة منهم فحصل لي من جهتهم اكثر من خمسين الف درهم فلما
كان في بعض تلك الايام صرت الى احدهم واتفق انه كان عنده دعوة فيها
وجوهم فلما دخلت وقصصت الرؤيا وتأملتهم واذا في الجماعة واحد ممن
كنت لقيته بالرؤيا قال فقامت عليّ القيامة فلما فرغت من حديث الرويا
واظهرت الاسلام على يد التركي وامرني بالجائزة وخرجت اتبعني ذلك
القائد بغلامه فلما بعدت من الدار قبض عليّ وحماني الى منزل التركي الاول
فقامت قيامتي واحسست بالمكروه وبذلت للغلام جميع ما كان معي ليدعني
انصرف فام يفعل وجاء التركي وهو منتش فقال يايا حصات (١) لنسخر
بالآتراك واحد واحد (٢) وتأخذ دراهمهم قال فقلقت فزوا وقلت ياسيدي
انا رجل صفعان (٣) فقير مكدر وانا فعلت هذا لآخذ شيئاً قال فقال لي اظننت

«١» م. ع لعله حلمت من الحلم وهو الرويا. «٢» م. ع كذا في الاصل.

«٣» م. ع اي رجل يصفع

انني افضحك في بلدك ما كنت بالذي فمل وقد جازت السخرية علي حتى
تجوز علي الجماعة كما جازت علي ولكن اليس انت قال فطاب له وتصفت له
فضحك مني واستدعي بالنيذ وشرب ولا عيبه فاستخف روحي وحسني عذره
وخلع علي واعطاني درهم ودعا جماعة من قواد الآرك وخرجت عليهم في
زي الصفاة فمطامطوا (١) علي وضحكوا فحدثهم التركي بالحديث فضحكوا
قال فأخذت منهم على تلك الحال مالا ثانياً جليلاً وانصرفت الى بغداد فابتعت
به عقاراً منه اعيش الى الآن.

تم الجزء الثامن



«٤» م. ع العطمة حكاية صوت المجان اذا قاموا : عيط عيط وذلك اذا غلبوا
قوماً — واختلاط الاصوات وتتابعها في الحرب وغيرها

رسالة الكرم

- ٥ -

« الحصرم »

الحِصْرَم كزبرج اول العنب ولا يزال العنب مادام أخضر حصرماً . ابن سيده
الحصرم الثمر قبل النضج والحصرمة بالهاء حبة العنب حين نبتت عن ابي حنيفة وقال مرة
اذا عقد حب العنب فهو حصرم . الأزهري الحصرم حب العنب اذا صلب وهو حامض .
ابو زيد الحصرم حشف كل شيء . وفي المصباح الحصرم اول العنب مادام حامضاً . وقال
الأصمعي الحصرم ما طال من نبات العنب شيئاً . وقال ايضا اذا لم يرو الغصن من الكرم
وخرج حبه ضعيفاً منفرداً فهو الخصاصه والحصرم .

وحصرم كل شيء حشفه . ومن امثالهم تزيب قبل ان يفحصم . ويقال حصرم الكرم .
العُقَّة يلى بضم العين وفتح القاف المشددة الحصرم . عقل الكرم تعقيلاً اخرج عُقَّةً يلاه .
الكَحْب بالكسر الحصرم واحده كحبة لغة يمانية . وقد كحَّب الكرم تكحيباً اذا ظهر
كحبه اي عنقود حصرمه . وكحَّب العنب تكحيباً اذا انعقد بعد تنقيح^(١) نوره كذا في اللسان
وفي التاج اذا انعقد او كثر حبه .

الكح لغة في الكحب واحده كحمة . وفي اللسان وقد كحب الكرم اذا ظهر كحبه .
وهو البروق^(٢) والواحد كالواحد ونحوه في التاج .

الحُثْن^(٣) بالفتح حصرم العنب وقيل هو اذا كان الحب كرؤوس الذر واحده بالهاء

(١) ففتح الورد اذا لفتح وفتح الشجر انشقت عيون ورقه وبدت اطرافه وكل نور
تفتح فقد نفخ وكذلك الورد وما أشبهه من براعم الأنوار .

(٢) البروق كجعفر ما يكسو الارض من اول خضرة النباتات . وشجر او نبت ضعيف
يعيش بادنى ندى يقع من السماء وقيل يخضر اذا رأى السحاب . والعرب تقول أشكر من
بروقه . وأضعف من بروقة .

(٣) هكذا ذكره في التاج وضبط بالشكل في اللسان والخصص بفتحين : الحُثْن .

هكذا في اللسان والتاج . وفي المخصص اذا تفرق حب العنقود بعد اجتماعه فهو الحُثْن .
وقال ايضاً واذا تجرد الحُثْن وعقد حبه فهو حصرم .
الغَضُّ قال في المخصص والغَضُّ^(١) من صفات الحُثْن وقيل كل ناعم غض وغضيب
بين الغضاضة والغضوضة . وقيل هو غض من حين بعقد الى ان يسود ويبيض . وقيل
هو بعد ان يجدر الى ان ينضج .
المحْتَضُّ الحامض من العنب اي من أخضره . ومحْتَضُّ العنب .

« حب العنب وعججه »

نقدم ان الحبة تستعمل في اشياء حمة فيقال حبة من بر و حبة من عنب وان الحبة
كشبة حبة العنب ايضاً^(٢) وقال الاصمعي الحبة الحب الذي في جوف الحبة من العنب .
وقال : حب كل شيء ثقيل الباء الا حبة العنب والسفرجل والقرع .
العَوَز بالفتح حب العنب واحده عوزة .
الهَبَر والهَبَرَة حب العنب ذكره في التاج وقال الصاغاني فيه نظر .
العُجْد والعُجْدَة حب العنب وقيل حب الزبيب وقيل هو اردؤه . وفي التاج
العجد بالضم الزبيب وحب العنب ويفتح كالعجد والعجد . وفيه والعجد بالفتح حب الزبيب
كالعجد . وعجد العنب صار عجداً . وحاكم اعرابي رجلاً الى القاضي فقال بعث به عجداً
مذ جهر فغاب عني . الجهر قطعة من الدهر .
الأصمعي عن الخليل الفرصيد والفرصيد حب الزبيب والعنب . وهي لغة اهل
الطائف . وفي اللسان الفرصيد والفرصيد والفرصاد عجم الزبيب والعنب وهو العجد ايضاً

(١) وقد أشرنا عند الكلام على الزمع الى ما وقع في عبارة اللسان والاصمعي وغيرهما من
الخطأ والتعريف .

(٢) وان الحبة بالضم عجم العنب وقد تخفف فيقال الحبة كشبة . وفي المخصص ويسمون
ايضاً ما في جوف الهبرة الخبة ضبط فيه بالشكل لهبرة بفتح الهاء وضريح القماموس انها
مضمومة وضبط الحبة بالخاء المعجمة المضمومة ولم أر من ذكرها بهذا المعنى ولعلها الحبة
بالحاء المهملة .

الطافية من العنب الحبة التي قد خرجت عن حد نبته اخوانها من الحب فنشأت وظهرت وارفعت . وفي الحديث انه ذكر الدجال فقال كان عينه عنبه طافية فسرهما ابو العباس بما تقدم وقيل أراد به الحبة الطافية على وجه الماء شبه عينه بها .
 الخدكة بالفتح الحبة الضئيلة من العنب وهي الصغيرة القميئة من آفة او عطش .
 والجمع خدال وخدالها استدارتها كأنها طويت طيًّا .

الحمة ننان الحب الصغار بين الحب العظام ونوع من العنب وسياقي .
 الهُرور الهُرور بالضم فيها ما نثر من حب عنقود العنب في اصل الكرم . قال
 أعرابي مررت على جفنة وقد تحركت مسروغها بقطوفها فسقطت أهرارها فأكلت
 هرهورة فنادقت ولا طارت (الجفنة الكرمة ، والسروغ قضبانها ، والقطوف العناقيد .
 ويقال لما لا ينفع ما وقع ولا طار) .

وفي المخصص الهُرور والهُرور ما تساقط من حمل الكرم قبل ادراكه وقد ضبط
 فيه الهُرور بفتح الهاء بالشكل وكذلك في لسان العرب وهو ظاهر اطلاق القاموس لكن
 قال في التاج ضبطه الصاغاني بالضم وزاد الهُرورة . ونقل في التكملة عن الاصمعي الهُرور
 والهُرورة والهرهورة قال وهو ما تساقط من الكرم من عنبه الردي . وهراء هراء
 أكل هرور العنب .

الجثيث ما تساقط من العنب في اصول الكرم . وما غرس من فراخ النخل ولم يغرس
 من النوى . وقيل الفسيل واحدته جثيثة . والجثيثة والجثيث بكسرهما حدبدة بقلع بها
 الفسيل . والجثث انتزاع الشجر من اصوله .
 القثيث ما ينثر في اصول شجر العنب .

الرؤاء ما تساقط من حب العنب في اصول حبله وضمر .
 وسرق حب العنب يرقى سروقاً انتشر^(١) من ريج او غيره .
 الخراطاة بالضم ما سقط من العنقود حين يختلط يقال خرط العنقود خرطاً واخترطه
 اختراطاً وضعه في فيه واخرج عمشوشه عاربياً . وقال ابو الهيثم خرطت العنقود خرطاً

(١) كذا في اللسان وفي التاج انتثر .

إذا اجتذبت ما عليه من العوز وهو الحب بجميع اصابك حتى تنقيه من عوده وذلك
الخرط وما سقط منه عند ذلك هو الخراطة .

العُثمرة بالضم من العنب ما امتص ماؤه وبقي قشره . وفيه الاصمعي وفنصرة الهبرة
إذا امتص ماؤها وبقي حبها وجلدها العثمرة .

و يقال ما ذقت أكلًا ولا لثما ولا شهماجا^(١) أي ما أكلت شيئًا واصله ما يرى به
من العنب بعدما يؤكل . والأكل ما يؤكل والأكل بالضم ثمر النخل والشجر وكل
ما يؤكل فهو أكل وآكل الشجر والزرع اطعم .

الشحم ككشفت من العنب القليل الماء الغليظ اللحاء . وفيه كتاب الاصمعي نقول
العرب في العنب انه لشم إذا كان رياناً^(٢) .

الضمير كما مير العنب الذابل . ضمير فهو ضمير وذلك حين يتغير وفيه الماء . يقال
اطعمونا من ضميركم . وقيل الضمير ما ضمير من العنب فليس عنياً ولا زيبياً . وفي المخصص
إذا ذبل العنب ممي الضمير فينضد في الجر بن خصلة خصلة فإذا جفت أعاليه قلب فإذا
جف كله ضرب بالخشب ثم ذري في مكانه حتى يتبين الحب في الثفاريق .

الاصمعي قالوا حشف العنب ضامره مثل حشف التمر .
و يقال ألقاب العنب إذا ببس ظاهره فحول وقلب^(٣) لبببس باطنه ويقال جَبَذَ
العنبُ يَجْبِذُ إذا صغر وقف . وفيه الاصمعي ربما كان العنب جابذاً وقد جبذ يجبذ
إذا كان صغيراً مشققاً وقف ورقه . وفي المخصص جبذ العنب يجبذ إذا كان صغيراً مثقفاً
يعني مثقباً . « للبحث صلة »

سليم الجندي
عضو المجمع العربي

(١) هكذا ذكرت في عبارة بعض الأئمة ولم أر من ذكر شمج . ولعلها محرفة .
(٢) كذا في الأصل وصوابه ريان . (٣) يقال قلب الخبز ونحوه يقلبه قلباً إذا
نضج ظاهره فحوله لينضج باطنه وأقلبه لغة ضعيفة . وأقلبت الخبزة حافت لها أن تقلب
والقلب ككبر الحديدة التي تقلب بها الأرض للزراعة .

الفاظ عربية لمعان زراعية

- ٩ -

حرث الارض على اشكال منها شكل يسمونه في بلادنا « النقب » وهو ان تكون الارض حرجة او غيلاً او عيصاً او مرجاً او مواناً لم تعمر بعد فنقطع أشجارها ونكسر او ننقل أشجارها ثم نحرق في عمق اربعين سنين ثم نأخذ على الأقل وقد يبلغ الحراث او المرسنين سنين ثم أحياناً . فشق الارض المذكورة لاتخاذها حراثاً يسمى بالفرنسية (Défoncement) وقد وجدت في المخصص ان ما يقابل ذلك بالعربية مع التوسع هو الحرق يقال حرق الارض خرقاً شقها للحرق (اي لجعلها حراثاً وهي الارض المصلحة للزراعة) .

ومجموع الأعمال التي تجعل الارض حقلاً اي فراحاً طيباً صالحاً للزراعة مثل قطع الشجر وحرق الشوك وابادة الاعشاب بالحرق ونفثت الصخور بالبارود او الديناميت تسمى احياء الارض واعمارها وبالفرنسية (Défrichement) .

والمواد التي يضيفها الأكثرون الى الارض على قسمين الاول يراد به تزويد العناصر الغذائية في التراب فيشتد النبات المزروع وبغزر محصوله . والثاني يراد به تقليل اندماج التربة الطينية فيسهل على جذور الزرع اختراقها والتغلغل بين ذراتها سعياً وراء العناصر الغذائية اللازمة للنبات . فمن المواد الاولى الزبل (السرجين والديبال) والاسمدة المعدنية والكبائية وامثالها . ومن المواد الثانية الكلس والرمل وغيرهما .

فالتسميد هو استعمال سماد ما من الأسمدة المختلفة وهو بالفرنسية (Engraisser) والسماد هو (Engrais) اما استعمال الزبل والديبال والسرجين فهو الزبل والديبال والسرجنة ^(١) وهو بالفرنسية (Fumer) . واما اصلاح الارض المندبجة فهو الدمل والدملان . فقد جاء في المخصص « دمل الارض بالدمل اصحها به وذلك اذا كانت مدرتها لازمة مستحقة فدملت لتسلس وترخو على عروق النبات » ويتضح من هذا التعريف ان الدمل والدملان هما اصح ما يكون للفظ (Amendement) الفرنسية .

(١) انظر مادة دمل في القاموس .

وعناقيد العنب من حيث كثافة الحب على قسمين قسم تكون فيه الحبات كثيفة متراففة وآخر تكون فيه متفرقة فالاول هو العنقود المكثف والمتداحس والمتراصف الحب وبالفرنسية (Grappe serrée) والثاني هو العنقود المتشسل والمتفرق الحب ويسمونه بالفرنسية (Grappe lâche) .

وتطلق هذه الألفاظ على غير عناقيد العنب كسنايل الحنطة مثلاً اذ منها السنايل المكثزة والمتداحسة والمتراففة الحب ومنها على العكس السنايل المتشائلة والمتفرقة الحب وكل ذلك يختلف باختلاف الاصناف الزراعية في نوعي الكرمة والحنطة وغيرهما . وتكون حبة العنب في بعض اصناف الكرمة قليلة الماء كثيرة اللحم كحب العنب البلدي مثلاً في دمشق فهو قليل الماء غليظ اللحاء . فالحب الذي يكون متحلياً بهذه الصفة يسمى العنب الشحيم وبالفرنسية (Raisin charnu) .

وفي شمالي الشام صنف من الضأن يسمى (العومي والعواس) وهو اكثر الاصناف انتشاراً وبظهر انه قديم فقد ورد في الامهات ان العوس ضرب من الغنم وانها الكباش البيض وان الكبش العومي منسوب اليها .

واشهر عروق الضأن في العالم الصنف المسمى (Mérinos) وشهرته منبعثة عن جودة صوفه وغزارته وهو يغطي حتى جبين النعجة وخديها و يبلغ رأس مخزها أحياناً . والصوفة مثينة مرنة جداً ربما دقت فلم يزد ثخنيتها على ١٠ - ١٥ في الالف من المليمتر . والذي يهمنا ذكره مما يكاد يكون مجهولاً لا يعرفه الا نفر قليلون من علماء الدواجن ،

ان هذا العرق من الضأن ينسب الى بني مرين المغاربة المشهورين . ذلك انه عرق المغرب الأصلي جوّده العرب بعد نقله الى الاندلس منذ سطعت أنوار مدينتهم فيها واعتعملوا صوفه في صناعة المنسوجات الصوفية الدقيقة التي استفاضت شهرتها في أنحاء اوروبا وافريقية والشرق العربي . ثم احتفظ به الاسبانيون بعد العرب فسموه مرينوس نسبة الى بني مرين . وهو اليوم اكثر عروق الضأن انتشاراً ولا تكاد دولة من الدول المهمة تخلو منه وهو يعد بالملايين في كل منها . ومن صوفه تصنع نسيج الجوخ الدقيقة الحوك .

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

ملاحظات

« على نشوار المحاضرة »

لما عزم المجمع على طبع الجزء الثامن من نشوار المحاضرة في مجلد هذه السنة ، ألف من بعض أعضائه لجنة لتصحيح أغلاطه وضبط كلماته وتعليق تفسيره وجز عليها . وقد قامت اللجنة بما وكل اليها من هذا الامر ، ولم يكذب صدر الجزآن الأولان من المجلة وفيها طائفة من كتاب النشوار حتى انبرى بعض اهل الفضل لنقدنا في بعض ما علقناه على الكتاب من تأويل وتفسير ، وكان أسبقهم الى ذلك الاستاذ السيد رشدي الحكيم ، ثم نشرت مجلة لغة العرب العراقية عدة مقالات ضمنها نقداً وتخطئة لنا في ما علقنا وفسرنا . لكن هذه المجلة أطالت في التعليق والمواخذة حتى شملت مواخذتها الأغلاط المطبعية واكثرها ناشئة عن سقوط الحروف وتكسرها وهي مما لا دخل له في عبارة الكتاب ، ومن العادة ان تصحح في آخر كل سنة . فما كان ينبغي تطويل الكلام في التنبيه عليها حتى أدى هذا التطويل الى اطراح النظر في النقد بالجملة . ومن ذلك ايضاً ان اللجنة كانت تدع بعض كلمات الكتاب على حالتها من الاملاء محافظة على شكل المخطوط الاصيل من جهة — ولنبين من جهة ثانية عادة نسخ ذلك الزمان في كتابة ما يكتبون ، وقد اعتمد بعض المستشرقين كثيراً ان يفعلوا ذلك في المخطوطات القديمة التي ينشرونها ، مثال ذلك : ان نسخة النشوار كتبت فعل (بكفى) هكذا (بكنا) بالالف فكنا أحياناً كثيرة نتركها ونترك أمثالها من خطأ الإملاء على حاله للسببين المذكورين . وكثيراً ما ذكر المنقدون أشياء تحتمل وجهين وقد رجحنا نحن أحد الوجهين وأهملنا التنبيه الى احتمال الوجه الآخر فراراً من إكثار الشرح والتعليق على القاري . فبأقبي احد المعترضين وبذكر الوجه الآخر الذي تركناه . ويرجحه على ما ذكرناه . مع أن هذا الرأي قد يكون ذكره احدنا . لكننا اخيراً اعتمدنا الرأي الآخر . وهكذا من الاسباب التي دعئنا الى تصحيح ما صححنا . وتفسير ما فسرنا . واعتماد ما اعتمدنا . على اننا لا ننكر ان كثيراً مما اعترض عليه المعترض أصح وأصوب مما ذهبنا اليه . وربما نهينا عليه في مقال خاص لنخقه في كتاب النشوار بعد نجر يده

وطبعه على حدة ، اما الآن فرأينا ان ننشر ما أرسل به اليينا الفاضل السيد رشدي الحكيم شاكرين له اهتمامه وعنايته .
« لجنة التصحيح »

وهذا نص ما أرسله اليينا :

خطر لي بعض ملاحظات على ما نشر في الجزء بين الاول والثاني من المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي العربي من كتاب نشوار المحاضرة اوردها فيما يلي :

(١) جاء في السطر ال ٩ من الصفحة ال ١٥ : « ونقلد ديوان زمام الخراج » بتقديم الديوان على الزمام وعلقت المجلة على هذه العبارة بانها هكذا وجدت في الاصل . وأرى أنه لو لم يتكرر في الكتاب هذا التركيب لكان ثمة مجال للظن بان الخطأ من الناسخ ولكن مجيء كلمة الزمام وبصيغة الجمع في موضع آخر من الكتاب يفهم منه ان كلمة الزمام في ذلك العصر كانت نطاق على احد أوضاع الحكومة فقد جاء في الصفحة ال ٨٠ من الكتاب : « وهو اذ ذاك يتولى دواوين الازمة » .

(٢) جاء في السطر ال ٦ من الصفحة ٨٠ : « وجد الموفق » ، وانفذ اليه المعتضد في الجيش » . وقد علقت المجلة ايضاً على كلمة (جد) ما يفيد التردد وربما كان هذا التعليق لمحيثها بدون مفعول ولم أر في حذف مفعول جد موضعاً للاشكال فكثيراً ما يحذفون المفعول لدلالة الكلام عليه والمفعول هنا مفهوم من سياق الكلام والمعنى جد في محاربه او في السير اليه كما حذف في قولهم « من جد وجد » .

(٣) جاء في السطر ال ٤ من الصفحة ال ٨٥ : « وكان علي بن عيسى اذ حل المال ولبس له وجه استسلفه من التجار — على سفائح قد وردت من الاطراف فلم تحل — عشرة آلاف دينار » . والمجلة غير مفهومة على هذا الشكل وقد علقت عليها المجلة بانها هكذا في الاصل وفي تاريخ الوزراء . وأرى ان زيادة الهاء في (استسلفه) من خطأ الناسخ ولو حذف لاستقام المعنى وتكون عشرة الآلاف مفعولاً ثانياً لاستسلف .

(٤) جاء في السطر ال ٣ من الصفحة ال ٨٩ ما يأتي : « فوعده بها وادفعه اياماً » . وقد علقت مجلة المجمع على كلمة (وادفعه) بان الظاهر (ودافعه) في حين ان استعمال المضارع في معنى الماضي كثير في كلامهم ومنه قول : تأبط شراً :

فأضربها بلا دهش نفرت صر يما لليدين وللجوارف

(٥) جاء في السطر الـ ٩ من الصفحة ٨٧ : « وليس معه من اصحابه كثير احد »

وقد عقلت عليها مجلة المجمع العلمي « لعل صوابه الكثيرين احد » . وأرى ان ليس في عبارة الكتاب شيء وكلمة احد كثيراً ما تستعمل بمعنى جماعة بعد النفي ويراد بها جمع من الجنس الذي يدل الكلام عليه كقوله تعالى (لا تفرق بين أحد من رسله) اي بين جمع من الرسل (فإياكم من احد) من جماعة (استن كأحد من النساء) جماعة من النساء ^(١) .

(٦) جاء في السطر الـ ١١ من الصفحة ٨٩ : « والقارية ساجدة عظيمة » .

و يغلب على ظني ان القارية هنا نسبة الى القار والقار كان يطلق به الخشب صيانة له عن الرطوبة ويظهر انهم كانوا في ذلك العصر يطلقون القارية على خشبة عظيمة مطلية بالقار .

وحذا لو طبع هذا الكتاب على حرف أحسن من هذا الحرف ووضع بين الجمل فواصل وصرفت عناية أتم في تصحيح الروايات فقد جاء فيه غلطات مطبعية كان من حق مجلة المجمع ان تنصرون عنها ، فقد جاء في السطر الـ ١٥ من الصفحة ٧٧ « بعد ان كشف للوزير » والصواب « اكشف » بصيغة المتكلم .

وفي السطر الثاني من الصفحة ٧٩ « لانهلكي جذعاً » بالذال والصواب « جزعاً » بالزاي .

وفي السطر التاسع من الصفحة ٧٩ « ديون المغرب » والصواب « ديوان » .

وفي السطر الثاني من الصفحة ٨٢ « وقبيع » بالواو والصواب « رقيق » بالراء .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة ٨٢ « ماعمله ابي الفرات » والصواب « ماعمله ابن الفرات » وان كانت هذه الغلطة من الاصل فكان ينبغي الاشارة اليها في الهامش .

وفي السطر الـ ٦ من الصفحة ٨٦ « فأقبل علي » صاحب الديوان « بتشديد الياء والصواب « فأقبل على صاحب الديوان » بدون تشديد .

وفي السطر الـ ١١ من الصفحة ٩١ « مرضون عمالمهم » والصواب « يعرضون أعمالهم » جمع عمل .

وان مجلة المجمع العلمي تشكر كل الشكر على نشر هذا المخطوط النفيس الذي

(١) كليات ابي البقاء مادة (احد) .

يستفيد منه القاري فوائد شتى في الادب والانشاء والاجتماع والتاريخ وهو امرأة جليلة
لاوضاع الحكومة في ذاك العصر وأحوالها وطرز ادارتها .

مخطوطات قديمة نفيسة

كتب العلامة كرنكو من جامعة عليكرة الى رئيس المجمع العلمي العربي كتاباً
جاء فيه : انه قرأ مقالة الرئيس (التدوين في الاسلام) وقرأ ما كتبه العلامة الامير
شكيب أرسلان على (كتاب الاكليل للهمداني) وقال ان الامير أهمل ذكر نسخ من
الاكليل هي أقدم من التي ذكرها وهو الجزء الثامن المحفوظ في المتحف البريطاني رقم
(١٣٠٥) كما ان في هذا المتحف مخطوطين آخرين من هذا الكتاب . و يظن ان خزانة
لوندرة هي التي احتفظت وحدها بالمخطوط الفذ من المجلد الرابع (في أنساب همدان
وبكيل) وقد اكده الامير احمد اخو سلطان الحج ان مخطوط الجزء الثامن منتشر جداً
في اليمن . وبما ان الاستاذ كرنكو عازم على طبع المجلدين المذكورين فقد باشر
استنساخها وانه لاحظ ان الهمداني قد ذكر في مجلده الثامن فصلاً في مدافن (قبوريات)
ملوك اليمن الأقدمين وهذا الفصل منقول عن (كتاب التيجان) الذي طبعه الاستاذ
كرنكو . وانه يصحح اليوم (كتاب الفتن) لحماد . والعجيب انه وردت فيه عدة أحاديث
دونت باسم عبد الله بن عمرو بن العاص على ورقة من البردي محفوظة في (هيدلبرغ)
بألمانيا فلا ريب انها كتبت قبل سنة ١٠٠ هـ وهذا دليل على انهم كانوا يصنعون الكتب
في ذاك التاريخ . وقال انه قرأ في (كتاب الجماهر في معرفة الجواهر) للبيروني وهو
من مخطوطات مكتبة الاسكوريال ان المؤلف يملك نسخة كتبت في زمن عبد الملك بن
مروان وفيها بيان الأسعار وقد أوردها بالتفصيل وسيطبعه الاستاذ مع ترجمة انكليزية .
ويجوزي هذا الكتاب اخباراً قيمة في تاريخ افغانستان والهند . وسيصدر الاستاذ قريباً
كتاب (حكمة العين) لابن الهيثم البصري . وقد عثر في مدينة (الكهوه) الهند على نسخة
نفيسة من تاريخ دمشق كتبها البرزالي المؤرخ الدمشقي .

مطبوعات حديثة

كتاب الاعتبار

« لأسامة بن منقذ نشره السيد فيليب حتي وطبعه في مطبعة جامعة برنستون »
 « في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٠ ص ٢٤٠ »

سبق لنا نشر هذا الكتاب وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي واحد أستاذة جامعة برنستون ان نشر كتابين من كتب العرب قبل هذا وهو (١) مختصر كتاب الفرق بين الفرق لمختصره عبد الرزاق الراسعي ، والاصل لابي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . (٢) نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي . وكلاهما لا يمدان في كتب الدرجة الاولى التي تشتد حاجة العلم والأدب الى احيائها . فمختصر الفرق بين الفرق ضئيل الفائدة لان الاصل مختصر فما بالك بمختصره ، اما نظم العقيان ففائدته قليلة ايضاً خلافاً لكتاب طبقات النحاة للسيوطي فان هذا حوى من الفوائد ما عدا بها من الامهات التي لا يستغني عنها ، اما هذا الكتاب الثالث فما ندري السبب الذي حمل محرره على نشره ثانية بعد ان احياه بالطبع في سنة ١٨٨٩ في ليدن العلامة المرحوم هرنويغ درنبورغ من علماء المشرقيات في فرنسا ونقله الى الفرنسية ونشره سنة ١٨٨٩ وذلك عن نفس المخطوط المحفوظ في خزانة كتب الاسكوريال في اسبانيا الذي كان نقله الاستاذ درنبورغ .

لا جرم ان سيفه خزائن الغرب والشرق الوفاً من المخطوطات العربية حربة بالنشر لمن أراد الخدمة اكثر من نشر كتب نافهة او اعادة ما طبع منها . وقد قدم الناشر لطبعة كتابه الثانية مقدمة وصف بها الكتاب وترجم لمؤلفه ، وذكر منشأه وفوائد كتابه الملعب الذي حوى صورة بديعة من صور عصره عصر الحروب الصليبية ، ودون فيه جملة من أخلاق قومه وأخلاق القادمين عليهم من الافرنج وفروسياتهم وجهلهم وعاداتهم وقص فيه أفاصيص وخرافات وغرائب ونوادر ، وألم بصيوده ونزهاته ورحلاته مما تجلت به روح اهل بيته أصحاب قلعة شيزر (يقال لها سيجر اليوم وهي على العاصي قرب حماة) ولم يزد الناشر الثاني على طبعته سوى عناوين للفصول ووقفات ليجعل طبعته على

أسلوب جديد . اما ما سبها عنه العلامة الناشر الاول وهو أعجمي فان الناشر الثاني وهو عربي لم يقل عنه هفوات خصوصاً في المقدمة ففيها من كبوات البهتان ما لا يتناسب مع لغة التأليف اليوم ذلك لان اللغة التي كانت السوربون يكتبون بها منذ خمسين سنة لا يستحب ان يكتب بها العهدنا ، وقد رأينا كيف يجود اهل الاختصاص من المصريين تأليفهم بحيث تجي متسقة جيدة النسخ والوضع . وكل كتاب يكتب بعد الآن بغير أساليب العرب ومناحيهم لا يرجى له البقاء ، فعسى ان ينشر الاستاذ حتي بعد الآن من مؤلفات العرب ما نفاخر به جامعة برنستون ، وان يجذو جذو الغربيين من علماء المشرقيات يوم نلتحق بهمهم باحياء اثرنا . فقد نشرت جامعة شيكاغو مثلاً الجزء الثامن من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي بعناية العلامة جويت ، ونشرت جامعة كليفورنيا بعناية العلامة بويبر كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، ونشرت جامعة نيويورك بعناية العلامة كونينغ ولاة مصر وكتاب تاريخ القضاة لابي عمر الكندي ، ونشرت جامعة يال بعناية العلامة قوري كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن اعين القرشي ، ونشرت بعض جامعات اميركا بفضل علماء المشرقيات فيها آثاراً نافعة من هذا القبيل اطلعنا بها على ما كانت مدفوناً من أمرار تاريخنا وأدبنا فازدادت بها ثروتنا العلمية والادبية . ونظن ان في جامعة برنستون وفيها ٢٥٠٠ مخطوط عربي اسفاراً أحق بالعناية من نشر كتابين تألفين وآخر سبق غيرنا فعني بحل طلاسمه . م . ك



نور الاسلام

هذه « مجلة دينية علمية أخلاقية تاريخية حكيمية » تصدرها مشيخة الأزهر الشريف اول كل شهر عربي ويقوم بتحريرها طائفة من اعلام العلماء أمثال الشيخ حسن منصور والشيخ محمد الخضر حسين والسيد عبد العزيز محمد والشيخ يوسف الدجوي والشيخ ابراهيم الجبالي وغيرهم من المنورين المشهورين بين علماء الدين . وقد حوت هذه المجلة ايضاً ونبدأ علمية ودينية ننير الفكر ونلقن الناس الدين بأسلوب رائع عصري نلذوقه النفوس ويوناج الى مضامينه المؤمنين وغيرهم . وان في تجرد هذه المجموعة المفيدة عن النزعات

السياسية والنزعات الحزبية أكبر ضامن لانتشارها بين عامة الطبقات فتزجوا لها دوام الانتشار ليستفيد الناس مما تنشره وتثملطف في إشراجه القلوب . وقية اشتراكها خارج القطر المصري ٥٠ قرشاً صحيحاً ولطلبة المعاهد والمدارس ٣٠ . م . ك



ذخيرة المتأدب

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ ادوارد مرقص من اعضاء المجمع العلمي ، وس تصفح كتابه هذا (ذخيرة المتأدب) أدرك مبلغ ولع الاستاذ باللغة وآدابها وحرصه على ناقلين مسائلها للطلاب ، وقد قسم كتابه الى ستة أبواب : ضمن الاول الفاظاً كتابية اي طائفة كبيرة من فصيح اللغة الخليق بالاستعمال والتداول ، وضمن الباب الثاني نبذة مختلطة في الأدب . وطائفة من جوامع الكلم اقتبسها من القرآن والحديث وكلام فصحاء العرب وهكذا حتى الباب السادس فأتى فيه على ذكر لمحة من نوادر الفصحاء مما فيه فكهة وفائدة معاً . وقد عقد في الباب الثاني فصلاً جمع فيه كثيراً من الألفاظ التي لها معناها الفصيح فوائده العامة الى معان أخر : من ذلك :

- (استوى) في الفصحى تساوى . وتستعمله العامة بمعنى (نضج الطعام) .
 - (طفر) وثب من أسفل الى اعلا . وعند العامة بمعنى (أفلس) .
 - (بهلول) السيد الجامع لكل خير . وعندهم بمعنى (أبله) .
 - (الحق) ضعف العقل . وعندهم بمعنى (الغضب) .
 - (شاطر) خبيث محتال . وعندهم بمعنى (الحاذق الماهر) .
 - (عبد) الرفيق زنجياً كان او غير زنجي . وعندهم (الزنجي) رقيقاً كان او غير رقيق .
- هذا وفي الكتاب فوائد لغوية من نط مذكرت ، يجدر بحبي اللغة الاطلاع عليها واستعمالها فحبي وتنشر . ومع هذا ففي الكتاب شعر ونثر مما ينشر عادة في صحف الاخبار ليس من الفصاحة والبلاغة في قليل ولا كثير ولا يدخل تحت عنوان الكتاب (ذخيرة المتأدب) فيا ليت المؤلف جرد كتابه منه . على انه قليل بالنسبة لما في الكتاب من الفوائد .

شرح الأرجوزة بالرجز

للمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي أرجوزة في قواعد اللغة اعتمدت عليها المدارس حينئذ من الزمن وقد خدمها فحله اللغوي الكبير الشيخ ابراهيم بشرح وضعه عليها أكثر فيه من الشواهد والأمثلة التي ساعدت على كشف ما أهم من الأرجوزة . وقد عمد الاستاذ نجيب فرج الله فياض الى شرح الشيخ ابراهيم فنظمه كله رجزاً ايضاً في عدة كراريس . وقد توخى فيه محاكاة المتن الاصيل فجاء عمله دليلاً على فضله وجلده . على ان تأليف القواعد العلمية بالنظم كان طريقة قديمة عدل عنها حتى الازهريون أنفسهم ، لكن المؤلف خطر له الرجوع اليها واثقاً بسهولة نظمه وتقريب القواعد من أذهان الطلاب كي يسهل عليهم حفظها ونساؤها عن كتب حين الحاجة اليها وقد صدر منه الى اليوم الجزء الاول وهو يتضمن ثلاث كراريس والجزء الثاني .

— ❦ —

الري في غوطة دمشق

— نشر في مجلة الابحاث الاسلامية —
Revue des Etudes Islamiques

« تأليف رنه تريس طبع باريز سنة ١٩٢٩ عدد صفحاته ٨٤ »

L'Irrigation dans la Ghouta de Damas René Tresse
Paris 1929

ضمن المؤلف كتابه هذا أبحاثاً عن الري في غوطة دمشق ونهر بردى وفروعه وشيئاً قليلاً من تاريخه وذكر لنا نماذج من اصول الري المعروفة اليوم في بعض قرى الغوطة مستنداً على جميع شرعية وقرارات مجلس الادارة وحلاه برسوم . فلا يتخلو هذا الكتاب من فوائد عديدة فهو في الحقيقة الاول من نوعه وهو بحث شاق لقلة الوثائق التاريخية وتبعض المصادر . غير اني عثرت على اسماء امكنة واعلام محرفة بتعمد على القاري معرفة اصلها اذكر أهمها مع بعض ملاحظات :

قال سيف ص ٧٠ : عن نهر (ابانة) انه ورد ذكره في سفر الملوك الخامس مع ان هذا السفر لا وجود له في الكتاب المقدس وصوابه (٣ مل ٥ : ١٢) فان فيه ذكراً لهذا النهر .

وقال في ص ٤٨٧ أم الشرافيط صوابها أم الشرافيط . وفي ص ٤٩٤ الحجج الشرعية
 تؤرخ دائماً بالسنة الهجرية لا الرومية العثمانية كما قال المؤلف . وفي ص ٤٩٥ معضمية
 صوابها المعضمية او (المعظمية) . وفي ص ٤٩٥ مزرعة الكسور صوابه مزرعة النفور .
 وقال في ص ٥٠٤ شقي صوابه شتوي . وفي ص ٥٠٨ عائلة عقيل اقامتها في بيروت لا في
 النيك . وفي ص ٥١٠ جانباً طاموسية صوابه جامع الطواويسية . وقال في ص ٥١١
 من العرب صوابه من القصب (مسجد الانصاب) . وفي ص ٥١٣ حمارة صوابه حمورة .
 وفي ص ٥١٣ بيت مسروا صوابه بيت سوا . وفي ص ٥١٤ بيت سخن صوابه بيت سخن .
 وفي ص ٥١٥ المنخرة صوابه المناخلة . وفي ص ٥١٥ الفراجين صوابه الفرايين . وفي ص
 ٥١٧ صوارف صوابه صواف . وفي ص ٥٢٧ السكاكي صوابه السكاكري . وقال في
 ص ٥٢٨ خيالين صوابه الخياطين . وقال في ص ٥٤٤ ان الدخان لا يزرع في الغوطة مع
 انه يزرع فيها ولا سيما في قرية كفرسوسة وغيرها .

وقد نهينا الاستاذ الامير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي الى انه عثر في الكتاب
 على نحو خمسين غلطة ، منها قوله : ان الدونم (٨٣٣) متراً مربعاً مع انه (٩١٩) متراً مربعاً
 وقوله ان الفدان الخطاط يساوي ٧٥٢ متراً مربعاً مع انه يساوي ٥٧١٣ متراً مربعاً
 وذكره احصاءات في المساحات التي تسقى بمياه بردى يبعد عن الحقيقة بعداً شامكاً الى غير
 ذلك مما يجب تلافيه في الطبعة الثانية .
 « جعفر الحسني »

موجز

« في الصكوك الجزائرية »

هذا الكتاب هو خلاصة المحاضرات التي القاها كل من الاستاذين فارس بك
 الخوري ومحمود بك الخماس على طلاب الصف المنهجي في معهد الحقوق بدمشق .
 وهو كتاب لا يستغني عنه رجال الحقوق من قضاة ومحامين وفي شجرة الاستاذ
 الخوري ومقدرة الاستاذ الخماس ما يكفل لهذا الكتاب الرواج والاعتماد عليه .
 عارف النكدي

الفهرس العام

« لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
٥٠٧ الامتيازات الاجنبية (كتاب)	٢٣٨ ابو شنب (ترجمته)	
٣٣٦ ابن تعلم المنبجي (جبري)	٥٨٤ احساس المنبجي (جبري)	
« حرف الباء »	٥٢٦ اخلاق المنبجي	
١٨٣ و ١٨٤ بشار بن برد (شعره)	٩٣ الأدب	
« حرف التاء »	١١٧ الآداب العربية الحديثة (لكراتشكوفسكي)	
٦٣٦ تأثيرات سباحة (كتاب)	٧٧٥ الارجوزة بالرجز (شرحها)	
١٥٣ تاريخ الادب (جبري)	٣٠٥ و ٣٠ أسامة بن منقذ (محاضرة للنعساني)	
٢٥٣ تاريخ الحركة القومية (كتاب)	٥١٣ و ٥٩٢ « « و كتابه الاعتبار	
١٨٧ تاريخ سورية (اصوله العربية . كتاب)	(لفيليب حتي)	
٦٣٨ تاريخ اللغات السامية (كتاب)	٢١٧ الاسلوب (جبري)	
٢٥٦ تاكرونة (نصوص عربية بلغتها . كتاب)	٧٠٣ الأسمدة واستعمالها (كتاب)	
٤٠٨ التدوين في الاسلام (م . ك)	٤٤٨ اصلاح الوعظ الديني «	
١٨٠ التذكرة الصلاحية (الحسن حسني)	١٦٦ أطوار النقد (جبري)	
عبد الوهاب . كتاب)	٧٧٢ الاعتبار (كتاب . تقرظه)	
٦٣٢ تصحيح قصة (بشأن أسامة بن منقذ)	٦٢ الأعلام (كتاب . تقرظه)	
واجتماعه بالي العلاء)	٥٧٤ افريقية الغربية البريطانية (كتاب)	
١٩٣ تصنيف الاحياء (مقال فيه . كتاب)	٤٣٩ اكبل الحمداني (كتاب . الامير شكيب)	
(الشهابي)	٢٤١ و ٣٦٨ و ٧٦٦ الفاظ عربية لمعارف	
٢١٢ تقسيم نوب ماء دمشق ووضع اسماء	زراعية (الشهابي)	
اسماؤها (المغربي)	٣٧٧ الفاظ عربية زراعية (استدرالك عليها)	
١٠٣ تمازج الثقافات (جبري)		

صفحة	« حرف الدال »
١٢٩	توهم الأصاله (اونأصيل اصل في اللغة
	العربية) (المغربي) ٤٤٧
٤٤٥	التيجان (كتاب لابن منبه) ٥٧٦
	« حرف الثاء » ٥٧٢
٩٨	ثقافة الذوق (جبري) ٥٧٣
	« حرف الجيم » ٧٧٤
٦٣٦	الجاحظ (كتاب) ٧٧٤
١ و ٧٧ و ٣٨ و ٢٠١ و ٢٩١	جامع التواريخ (او نشوار) ٦٧٨ و ٦٠٤ و ٤٧٥ و ٤٢٠ و ٧٤٤
٤٩٢	جبر ضومط (ترجمته) ٧٧٥
	« حرف السين » ٢٢٣
١١١ و ٣١٧ و ٦٣٢	محرر العبقرية (جبري) ٥٠٩
	السوريون في مصر (رسالة) ١٢٦
٥٧	سيد قم بش (كتاب . تقر بظه)
	« حرف الشين » ٢٥٤
١٠٤	شرقي الاردن (خمسة أعوام فيه) ٣٨٢
٤٤٩ و ٣٩٤	الشعر الجاهلي (كتاب) (جزؤه الاول مؤلفه السقا)
	« حرف الصاد » ٢٩
٤٤٨	خطرات نفس (كتاب او مجموعة مقالات) ٥٩
٥٩	خطط الشام (تقر بظه) ٥٣٧
٥٣٧	الخيام والمعري (مقارنة بينهما) ٣٨١
	طنطاوي جوهرى (تفسيره المسمى بالجواهر)

صفحة	« حرف العين »	صفحة
٦٥	عبيد بن شربة (كتابه في اخبار اليمن)	٤٤٥
(نلاليانو)	٧٢٠ و ٦٦٧ عبقرة المنني (جبري)	٦٦٧
« حرف اللام »	١٨٩ العراق (جغرافيته)	١٨٩
٢٥٤ لبنان وسورية (كتاب)	١٧٦ و ٣٧١ عربية (أصلها) (الكرملية منش)	١٧٦
٧٣٢ لغة المنني (جبري)	٣٢١ و ٣٢٩ عروبة المنني (جبري)	٣٢١
« حرف الميم »	« حرف النين »	
٥١٢ مبادي الميكانيك (كتاب)	٣٧٨ غادة الكيليا (كتاب . نقر بظه)	٣٧٨
٢٧١ المنني (جبري)	١٨٨ غولدهير (أعماله العلمية)	١٨٨
٦٣٥ المنني (كتاب . نقر بظه)	« حرف الفاء »	
٢٧٦ المنني (وطنه) (جبري)	٣١٩ فوست (كتاب . نقر بظه)	٣١٩
١٢٥ المجمع العلمي اللبناني	١٠٨ و ١٧٣ فصيح وشوارد (كلمات	١٠٨
٥٧٧ مجموع نادر (عبد الله مخلص)	لغوية) (سالم رزق)	١٧٣
٦٣٣ و ٣١٧ و ٣٥١ مخطوطات دار الكتب	٦٦٠ فلسفة المنني (جبري)	٦٦٠
الظاهرية (نوادرها)	٥١٠ في اوقات الفراغ (كتاب او مجموعة	٥١٠
٧٧١ مخطوطات قديمة (كركنو)	مقالات)	
٤٤ معود الكواكبي (ترجمته)	« حرف القاف »	
(راغب الطباخ)	٥٧٤ قلب الطفل (كتاب . نقر بظه)	٥٧٤
٣٥٧ و ٣٤٧ المسكرات ومضارها (محاضرة	٥٧٥ قواعد الافعال السامية (كتاب فيها)	٥٧٥
اسعد الحكيم)	« حرف الكاف »	
١٨٧ معجم الادباء (جزؤه الخامس)	٣٨٣ كامل المبرد (شرحه للرصني . كتاب)	٣٨٣
٤٠٣ و ٤٦١ معجم الدكتور شرف (نظرة	٢٤٤ و ٤٦٦ و ٥٦٢ (الكرم (رسالة فيه)	٢٤٤
فيه للشهابي)	٦٢١ و ٦٩٧ و ٧٦٣ (الجندي)	٦٢١
٥٣٧ المعري والخيام (مقارنة بينهما)		
(محاضرة الصراف)		

صفحة	صفحة
١٦٠ نقد المؤرخات الادبية (جبري)	١٩١ المغرب الافصي (الادب العربي فيه)
٧٧٣ نور الاسلام (مجلة دينية)	(كتاب)
٥٠٠ و٥٦٧ و٦٢٧ نهاية الأرب (حول	٧٠٢ المقتطف مختاراته
تصحيح جزئه السابع)	٦٢ مكناش (كتاب في تاريخها)
٥٠٨ نيل الوطر (كتاب تراجم الجاهلین)	٧٧٦ موجز في الصكوك الجزائية (كتاب)
« حرف الواو »	« حرف النون »
٧٠٥ و٦٤١ وليلة ابن واسافة (محاضرة	٢٤٩ الذب الطروب (احمد رضا)
المغربي)	٣٨٥ نبوة المنبي (جبري)
٤٤٥ وهب بن منبه (كتابه التبيان في	٤٩٨ نجوى آدم (قصيدة) (جبري)
ملوك حمير)	٢٥٠ نزعة العيون (كتاب)
« حرف الهاء »	٢٨٣ نسب المنبي (جبري)
٦٤٠ و٥٧٦ و١٢٧ و٦٣ هدية مكتبة	٢٠١ و٣٨ و٧٧١
وهدايا كتب	٤٧٥ و٤٢٠ و٢٩١
	٧٤٤ و٦٧٨ و٦٠٤
	٧٦٨ و
	نحوار المحاضرة او جامع
	التواريخ
	وملاحظات على اغلاطه

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

صفحة	« حرف الالف »	صفحة
« الزاي »		
١٨٤ زكي مغامر	٢٩ ابو عبد الله الزنجاني	
« السين »	٥٣٧ احمد حامد الصراف	
٨٥١ و١٧٣١ سالم خليل رزق	٢٤٩ احمد رضا	
٥٦٣ و٤٦٦ و٢٤٤	٥٠٠ و٥٦٧ و٦٢٧ احمد الزين	
٧٦٣ و٦٩٧ و٦٢١ سليم الجندي	٢٥٧ و٣٤٧ اسعد الحكيم	
« الشين »	١٧٦ انستاس الكرملي	
٩٣ و٩٨ و١٠٣ و١٢٦ و١٥٣ و١٦٠	« الباء »	
٢٧١ و٢٢٣ و٣١٧ و١٩١ و١٦٦	٤٩٢ بولس الحلوي	
٣٢٩ و٣٢١ و٣١٩ و٢٨٣ و٢٧٦	« الجيم »	
٤٤٩ و٣٩٤ و٣٨٥ و٣٧٨ و٣٣٦	٣٧١ جرجس منش	
٦٣٦ و٥٨٤ و٥٢٦ و٥١٠ و٤٩٨	٢٥٦ و٥٧٥ و٥٧٦ و٦٣٨ و٧٧٥ جعفر الحسني	
٧٣٢ و٧٢٠ و٦٦٧ و٦٦٠ و٦٥٢	« الحاء »	
٤٣٩ شكيب أرسلان	١٨٠ حسن حسني عبد الوهاب	
« الطاء »	٢٥١ و٣١٧ و٦٣٣ حسني الكسم	
٣٠٥ و٢٣٠ طاهر النعساني	« الخاء »	
« العين »	٥٣ خالد بن محمد الفرج	
٥٠٨ و٥٠٧ و٥٠٩	« الزاء »	
٧٧٦ و٥٠٩ عارف النكدي	٦٣٢ و٤٤٤ راغب الطباخ	
٢٥٤ عبد الله رعد	٧٦٩ رشدي الحكيم	
٥٧٧ عبد الله مخلص		

صفحة	« الفاء »	صفحة
المغربي { ٣٨٢ و ٣٨١ و ١٢٩ و ١٢٧ ٦٤١ و ٥٧٦ و ٤١٢ و ٣٨٣ ٧٧٥ و ٧٧٤ و ٧٠٥	٥٩٢ و ٥٠٣ و ٣١٧ فيليب حتي « الكاف »	١١١ و ٢٥٠ كابل الغزي ١٧ كراشة و فسي ١٨٤ و ٧٧١ كرنكو
مصطفى الشهابي { ٢٥٣ و ٢٤١ و ١٩٣ و ١٨٩ ٤٦١ و ٤٠٣ و ٣٧٧ و ٣٦٨ ٧٦٦ و ٧٠٣ و ٧٠٢ و ٥١٢	« الميم » ٣٣٨ ماسيه (Massé) ١٨٣ محمد بدر الدين العلوي	١٨٨ و ١٨٧ و ٢٥١ و ١٢٤ و ٦٣ و ٦٢ ٥٧٢ و ٤٤٨ و ٤٤٧ و ٤٤٥ و ٤٠٨ ٧٧٢ و ٦٣٦ و ٦٣٥ و ٥٧٤ و ٥٧٣ ٧٧٣

٢٩١ س ٩ القام صوابها القام . وفي ص ٢٩٣ س ١٤ الفاربة صوابها القاربة . وفي ص ٣٠٢ س ٨ فضاته صوابها فضاته . وفي ص ٣٠٣ س ٤ لمي صوابها لمي . وفيها س ٤ سمته صوابها سمته . وفي ص ٣١٤ س ٢١ فالرد الصواب فالردى . وفي ص ٣٧٢ س ٨ نقل الصواب ونقل . وفيها س ٨ بعاد الصواب بعد . وفي ص ٣٧٥ س ٧ قوه قاف الصواب قره قاف . وفي ص ٣٧٦ س ٢٤ الدرر العمانية الصواب الدرر العمانية . وفي ص ٣٨٢ س ٢٢ امم الفاعل الصواب امم المفعول . وفي ص ٣٨٦ س ١٤ بالميني الصواب بالميني . وفي ص ٤٢٧ س ١٢ وفقد لى الصواب وقد لزم . وفي ص ٤٣١ س ١١ وقنا الصواب وقنا . وفي ص ٥٠٧ س ٢٢ هدم الصواب هدم . وفي ص ٥٠٩ س ٤ خالطت الصواب خالط . وفيها س ٥ لابتاه الصواب لابتاه . وفيها نهضته وادبه الصواب نهضتهما وادبهما . وفي ص ٥١٢ س ١٤ فيكون لم فيكون لها . وفي ص ٦١٨ س ١٧ مهدي الصواب مهدي . وفي ص ٧٠٩ س ٢ نفلس الصواب نفلس .

(تنبيه) — معظم الأغلاط في هذا المجلد ناشية عن سقوط الحروف وتكسرهما مما لا يغيب النقطن اليه عن ذكاء القاري .